



مجلة العلوم الإنسانية

Journal of Human Sciences

علمية محكمة - نصف سنوية

تصدرها كلية الآداب / الخمس

جامعة المرقب . ليبيا

18

العدد

الثامن عشر

Issued by Al - Marqab University
Faculty of Arts alkhomes

مارس 2019م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ
بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾

صدق الله العظيم

(سورة الروم - آية 41)

هيئة التحرير

- د. علي سالم جمعة شخطور رئيساً
 - د. أنور عمر أبوشينة عضواً
 - د. أحمد مريحيل حريش عضواً

المجلة علمية ثقافية محكمة نصف سنوية تصدر عن جامعة المرقب/
 كلية الآداب الخمس، وتنتشر بها البحوث والدراسات الأكاديمية المعنية
 بالمشكلات والقضايا المجتمعية المعاصرة في مختلف تخصصات العلوم
 الانسانية.

- كافة الآراء والأفكار والكتابات التي وردت في هذا العدد تعبر عن آراء أصحابها
 فقط، ولا تعكس بالضرورة رأي هيئة تحرير المجلة ولا تتحمل المجلة أية مسؤولية
 اتجاهها.

تُوجّه جميع المراسلات إلى العنوان الآتي:

هيئة تحرير مجلة العلوم الإنسانية

مكتب المجلة بكلية الآداب الخمس جامعة المرقب

الخمس /ليبيا ص.ب (40770)

هاتف (00218924120663 د. على)

(00218926724967 د. أحمد) - أو (00218926308360 د. أنور)

journal.alkhomes@gmail.com

البريد الإلكتروني:

journal.alkhomes@gma

صفحة المجلة على الفيس بوك:

قواعد ومعايير النشر

- تهتم المجلة بنشر الدراسات والبحوث الأصيلة التي تتسم بوضوح المنهج ودقة التوثيق في حقول الدراسات المتخصصة في اللغة العربية والانجليزية والدراسات الإسلامية والشعر والأدب والتاريخ والجغرافيا والفلسفة وعلم الاجتماع والتربية وعلم النفس وما يتصل بها من حقول المعرفة.

- ترحب المجلة بنشر التقارير عن المؤتمرات والندوات العلمية المقامة داخل الجامعة على أن لا يزيد عدد الصفحات عن خمس صفحات مطبوعة.

- نشر البحوث والنصوص المحققة والمترجمة ومراجعات الكتب المتعلقة بالعلوم الإنسانية والاجتماعية ونشر البحوث والدراسات العلمية النقدية الهادفة إلى تقدم المعرفة العلمية والإنسانية.

- ترحب المجلة بعروض الكتب على ألا يتجاوز تاريخ إصدارها ثلاثة أعوام ولا يزيد حجم العرض عن صفحتين مطبوعتين وأن يذكر الباحث في عرضه

المعلومات التالية (اسم المؤلف كاملاً- عنوان الكتاب- مكان وتاريخ النشر- عدد صفحات الكتاب-اسم الناشر- نبذة مختصرة عن مضمونه- تكتب البيانات السالفة الذكر بلغة الكتاب).

ضوابط عامة للمجلة

- يجب أن يتسم البحث بالأسلوب العلمي النزيه الهادف ويحتوى على مقومات ومعايير المنهجية العلمية في اعداد البحوث.

- يُشترط في البحوث المقدمة للمجلة أن تكون أصيلة ولم يسبق أن نشرت أو قدمت للنشر في مجلة أخرى أو أية جهة ناشرة اخرة. وأن يتعهد الباحث بذلك خطيا عند تقديم البحث، وتقديم إقراراً بأنه سيلتزم بكافة الشروط والضوابط المقررة في المجلة، كما أنه لا يجوز يكون البحث فصلاً أو جزءاً من رسالة (ماجستير - دكتوراه) منشورة، أو كتاب منشور.

- لغة المجلة هي العربية ويمكن أن تقبل بحوثاً بالإنجليزية أو بأية لغة أخرى، بعد موافقة هيئة التحرير.

- تحتفظ هيئة التحرير بحقها في عدم نشر أي بحث مخالف وتُعدُّ قراراتها نهائية، وتبلغ الباحث باعتذارها فقط اذا لم يتقرر نشر البحث، ويصبح البحث بعد قبوله حقا محفوظا للمجلة ولا يجوز النقل منه إلا بإشارة إلى المجلة.

- لا يحق للباحث إعادة نشر بحثه في أية مجلة علمية أخرى بعد نشره في مجلة الكلية ، كما لا يحق له طلب استرجاعه سواء قُبِلَ للنشر أم لم يقبل.

-تخضع جميع الدراسات والبحوث والمقالات الواردة إلى المجلة للفحص العلمي، بعرضها على مُحَكِّمين مختصين (محكم واحد لكل بحث) تختارهم هيئة التحرير على نحو سري لتقدير مدى صلاحية البحث للنشر، ويمكن أن يرسل الى محكم آخر وذلك حسب تقدير هيئة التحرير.

- يبدي المقيم رأيه في مدى صلاحية البحث للنشر في تقرير مستقل مدعماً بالمبررات على أن لا تتأخر نتائج التقييم عن شهر من تاريخ إرسال البحث إليه، ويرسل قرار المحكمين النهائي للباحث ويكون القرار إما:

* قبول البحث دون تعديلات.

*قبول البحث بعد تعديلات وإعادة عرضه على المحكم.

*رفض البحث.

-تقوم هيئة تحرير المجلة بإخطار الباحثين بآراء المحكمين ومقترحاتهم إذ كان المقال أو البحث في حال يسمح بالتعديل والتصحيح، وفي حالة وجود تعديلات طلبها المقيم وبعد موافقة الهيئة على قبول البحث للنشر قبولاً مشروطاً بإجراء التعديلات يطلب من الباحث الأخذ بالتعديلات في فترة لا تتجاوز أسبوعين من تاريخ استلامه للبحث، ويقدم تقريراً يبين فيه رده على المحكم، وكيفية الأخذ بالملاحظات والتعديلات المطلوبة.

- ترسل البحوث المقبولة للنشر إلى المدقق اللغوي، ومن حق المدقق اللغوي أن يرفض البحث الذي تتجاوز أخطاؤه اللغوية الحد المقبول.
- تنشر البحوث وفق أسبقية وصولها إلى المجلة من المحكم، على أن تكون مستوفية الشروط السالفة الذكر.
- الباحث مسئول بالكامل عن صحة النقل من المراجع المستخدمة كما أن هيئة تحرير المجلة غير مسئولة عن أية سرقة علمية تتم في هذه البحوث.
- ترفق مع البحث السيرة العلمية (CV) مختصرة قدر الإمكان تتضمن الاسم الثلاثي للباحث ودرجته العلمية وتخصصه الدقيق، وجامعته وكليته وقسمه، وأهم مؤلفاته، والبريد الإلكتروني والهاتف ليسهل الاتصال به.
- يخضع ترتيب البحوث في المجلة لمعايير فنية تراها هيئة التحرير.
- تقدم البحوث إلى مكتب المجلة الكائن بمقر الكلية، أو ترسل إلى بريد المجلة الإلكتروني.
- إذا تم إرسال البحث عن طريق البريد الإلكتروني أو صندوق البريد يتم إبلاغ الباحث بوصول بحثه واستلامه.
- يترتب على الباحث، في حالة سحبه لبحثه أو إبداء رغبته في عدم متابعة إجراءات التحكيم والنشر، دفع الرسوم التي خصصت للمقيمين.

شروط تفصيلية للنشر في المجلة

-عنوان البحث: يكتب العنوان باللغتين العربية والإنجليزية. ويجب أن يكون العنوان مختصراً قدر الإمكان ويعبر عن هدف البحث بوضوح ويتبع المنهجية العلمية من حيث الإحاطة والاستقصاء وأسلوب البحث العلمي.

- يذكر الباحث على الصفحة الأولى من البحث اسمه ودرجته العلمية والجامعة أو المؤسسة الأكاديمية التي يعمل بها.

-أن يكون البحث مصوغاً بإحدى الطريقتين الآتيتين: _

1:البحوث الميدانية: يورد الباحث مقدمة يبين فيها طبيعة البحث ومبرراته ومدى الحاجة إليه، ثم يحدد مشكلة البحث، ويجب أن يتضمن البحث الكلمات المفتاحية (مصطلحات البحث)، ثم يعرض طريقة البحث وأدواته، وكيفية تحليل بياناته، ثم يعرض نتائج البحث ومناقشتها والتوصيات المنبثقة عنها، وأخيراً قائمة المراجع.

2:البحوث النظرية التحليلية: يورد الباحث مقدمة يمهد فيها لمشكلة البحث مبيناً فيها أهميته وقيمه في الإضافة إلى العلوم والمعارف وإغنائها بالجديد، ثم يقسم العرض بعد ذلك إلى أقسام على درجة من الاستقلال فيما بينها، بحيث يعرض في كل منها فكرة مستقلة ضمن إطار الموضوع الكلي ترتبط

بما سبقها وتمهد لما يليها، ثم يختم الموضوع بخلاصة شاملة له، وأخيراً يثبت قائمة المراجع.

-يقدم الباحث ثلاث نسخ ورقية من البحث، وعلى وجه واحد من الورقة (A4) واحدة منها يكتب عليها اسم الباحث ودرجته العلمية، والنسخ الأخرى تقدم ويكتب عليها عنوان البحث فقط، ونسخة الكترونية على (Cd) باستخدام البرنامج الحاسوبي (MS Word).

- يجب ألا تقل صفحات البحث عن 20 صفحة ولا تزيد عن 30 صفحة بما في ذلك صفحات الرسوم والأشكال والجداول وقائمة المراجع .
-يرفق مع البحث ملخصان (باللغة العربية والانجليزية) في حدود (150) كلمة لكل منهما، وعلى ورقتين منفصلتين بحيث يكتب في أعلى الصفحة عنوان البحث ولا يتجاوز الصفحة الواحدة لكل ملخص.

-يُنزك هامش مقداره 3 سم من جهة التجليد بينما تكون الهوامش الأخرى 2.5 سم، المسافة بين الأسطر مسافة ونصف، يكون نوع الخط المستخدم في المتن Times New Roman 12 للغة الانجليزية و مسافة و نصف بخط 14 Simplified Arabic للأبحاث باللغة العربية.

-في حالة وجود جداول وأشكال وصور في البحث يكتب رقم وعنوان الجدول أو الشكل والصورة في الأعلى بحيث يكون موجزاً للمحتوى وتكتب الحواشي

في الأسفل بشكل مختصر كما يشترط لتنظيم الجداول اتباع نظام الجداول المعترف به في جهاز الحاسوب ويكون الخط بحجم 12.

- يجب أن ترقم الصفحات ترقيماً متسلسلاً بما في ذلك الجداول والأشكال والصور واللوحات وقائمة المراجع .

طريقة التوثيق:

- يُشار إلى المصادر والمراجع في متن البحث بأرقام متسلسلة توضع بين قوسين إلى الأعلى هكذا: (1)، (2)، (3)، ويكون ثبوتها في أسفل صفحات البحث، وتكون أرقام التوثيق متسلسلة موضوعة بين قوسين في أسفل كل صفحة، فإذا كانت أرقام التوثيق في الصفحة الأولى مثلاً قد انتهت عند الرقم (6) فإن الصفحة التالية ستبدأ بالرقم (1).

- ويكون توثيق المصادر والمراجع على النحو الآتي:

أولاً: الكتب المطبوعة: اسم المؤلف ثم لقبه، واسم الكتاب مكتوباً بالبنط الغامق، واسم المحقق أو المترجم، والطبعة، والناشر، ومكان النشر، وسنته، ورقم المجلد - إن تعددت المجلدات - والصفحة. مثال: أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان. تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط2، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة، 1965م، ج3، ص40. ويشار إلى المصدر عند وروده مرة ثانية على النحو الآتي: الجاحظ، الحيوان، ج، ص.

ثانياً: الكتب المخطوطة: اسم المؤلف ولقبه، واسم الكتاب مكتوباً بالبنط الغامق، واسم المخطوط مكتوباً بالبنط الغامق، ومكان المخطوط، ورقمه، ورقم اللوحة أو الصفحة. مثال: شافع بن علي الكناني، الفضل المأثور من سيرة السلطان الملك المنصور. مخطوط مكتبة البودليان باكسفورد، مجموعة مارش رقم (424)، ورقة 50.

ثالثاً: الدوريات: اسم كاتب المقالة، عنوان المقالة موضوعاً بين علامتي تنصيص " "، واسم الدورية مكتوباً بالبنط الغامق، رقم المجلد والعدد والسنة، ورقم الصفحة، مثال: جرار، صلاح: "عناية السيوطي بالتراث الأندلسي- مدخل"، مجلة جامعة القاهرة للبحوث والدراسات، المجلد العاشر، العدد الثاني، سنة 1415هـ/ 1995م، ص179.

رابعاً: الآيات القرآنية والاحاديث النبوية:- تكتب الآيات القرآنية بين قوسين مزهرين بالخط العثماني ﴿ ﴾ مع الإشارة إلى السورة ورقم الآية. وتثبت الأحاديث النبوية بين قوسين مزدوجين « » بعد تخريجها من مظانها.

ملاحظة: لا توافق هيئة التحرير على تكرار الاسم نفسه (اسم الباحث) في عددين متتالين وذلك لفتح المجال أمام جميع أعضاء هيئة التدريس للنشر.

فهرس المحتويات

الصفحة	عنوان البحث
15	1- بعض الأمور الجائزة على خلاف الأصل أو القياس (الرُّخص الشرعية) د. عادل فرحات الشبلى.....
43	2- عناية العلماء الأعلام بعمدة الأحكام لعبد الغني المقدسي أ. مفتاح إمحمد صكو.....
81	3- الجذور التاريخية للمذهب المالكي في ليبيا محمد مصطفى المنتصر.....
106	4-ظاهرة مضايقة المرأة في الفضاء العام: دراسة امبيريقية د. عثمان علي أميمن.....
162	5- المعتقلات والسجون في صدر الإسلام (1- 40هـ/ 622- 660م) النشأة والتطور د- حمزة محمد البكوش د- مفتاح جمعة اشكيك د-علي عبد السلام كعوان د- أحمد حسين الشريف.....
185	6-التحول الديمقراطي (دراسة في الآليات والتحديات) د. رجب عمر العاتي - د. خالد إبراهيم أبورقيقة.....
209	7-اضطراب الرواية وأثره على استنباط الأحكام د. النفاتي موسى سالم الشوشان.....
249	8-منهج تصنيف العلوم في الفكر الإسلامي (الفارابي وابن سينا إنموذجًا) د. فوزية محمد مراد.....
276	9- آثار أيام العرب على حياتهم د. عبد السلام عبد الحميد علي أبو القاسم.....
	10- التركيبة السكنية في مدينة الخمس لعام (2018م) دراسة جغرافية.

- 298..... د. محمود علي زايد . د. نورية محمد أبو شرننتة.....
11- مفهوم الأخلاق عند الغزالي
- 310..... د. أمينة عبدالسلام الزائدي.....
12-العوامل الجغرافية الطبيعية المؤثرة في استغلال الموارد الطبيعية لسهل مصراتة.
دراسة جغرافية
- 339..... أ. إبراهيم مفتاح الددقاق - أ: هيام أبو القاسم أبوذينة- د: بشير عمران أبوناجي.....
13-حبوب القمح والشعير وأثارها السياسية والاقتصادية على حياة سكان المدن الإغريقية
ما بين (750 - 338 ق.م)
- 391..... د. عياد مصطفى محمد اعيليكة.....
14- دور الجامعة في تعزيز الأمن الفكري لدى طلابها وسبل تفعيله
- 410..... أ.رويدا رمضان الفتتي - د. فاطمة محمد أبوراس.....
15- استراتيجية الحروب الأوروبية ودورها في بلورة الواقع الأوروبي في الفترة ما بين
(1914-1918م)
- 452..... د. عبد السلام عرقوب.....
16-الاجتهاد في تحقيق المناط في ضوء مقاصد الشريعة
- 493..... د: امحمد عبدالحميد المدني.....
17- العلامة الفقيه:علي بن أبي بكر الحضيري وكتابه الفتح والتيسير (95 - 1061هـ)
- 507..... د. فرج رمضان الشبيلي - أ. جمعة عيد الشف.....
18-الجرامنت ومظاهرهم الحضارية من خلال المصادر الأدبية والمعطيات الأثرية
- 540..... د. محمد علي الدراوي.....
19-الضم الحضري مفهومه ودوافعه
- 562..... د. نورية محمد الشريف- د. فاطمة حسن احمدودة.....

- 20- مثالب الطاعنين ومعايب الخارجين على الخليفة عثمان بن عفان
د. عبدالله علي نوح.....583
- 21- كفاءة الايدي العاملة سياحيا واثرها على جودة الخدمات بفنادق مدينة الخمس
(دراسة تطبيقية لآراء عينة من العاملين في قطاع الفنادق بمدينة الخمس)
د. خالد سالم معوال - د. صالحه علي فلاح.....610
- 22- من بعض استعمالات الحرف في الأعمال والإهمال
د. صالح حسين الأخضر.....641
- 23- الثروة المائية في ليبيا بين العرض والطلب.
د. عمر إبراهيم المنشاز.....688
- 24-the Effectiveness of Teaching Grammar in Context: Teaching
Conjunctions as an Example
Mohammed O. Ramadan.....706
- 25- A research paper entitled “lack of coherence in a translation
text”
Mr. Mohammed Ben Fayed - Mr. Khiri Saad Elkut757
- 26- WRITING ERRORS COMMITTED BY SECOND YEAR
STUDENTS IN ENGLISH DEPARTMENT,ARTS COLLEGE AT
ELMERRGIB UNIVERSITY
Abdulsalam Hamed Omar Altoumi.....777

بعض الأمور الجائزة على خلاف الأصل أو القياس (الرخص الشرعية)

د. عادل فرحات حسين الشلبي

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم . إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، أما بعد، فرخص الشارع الحكيم في بعض العقود التي جاءت مخالفة للقياس والأصول، كالسلم، والعريفة، والقرض، والمساقاة، والمزارعة، والإجارة، والحوالة، والمضاربة، ونحوها مما أبيح لحاجة الناس إليه استحسانا ورفقا، فهذه الأشياء الأصل فيها المنع لاشتغالها على الغرر والمخاطرة أو الجهالة أو الربا، أو أكل أموال الناس بالباطل، أو بيع الإنسان ما ليس عنده، فاستثبنت ورخص فيها تيسيرا وتخفيفا على الناس، فهي من المصالح الحاجية، والبحث سيناقد بعض المسائل التي جاءت على خلاف الأصل أو القياس، لأن من العلماء من يرى أن العقود التي جوزها الشرع كلها جاءت موافقة للقياس والأصل، وليس هناك ما يسمى بخلاف الأصل، فكانت خطة البحث كالتالي: قسمت البحث إلى: مقدمة، وتمهيد، وخمسة مباحث، وخاتمة.

تمهيد:

إن الله فرض على عباده فرائض وعزائم، ورخص لهم رخصا تخفيفا وتيسيرا، فما هي الرخصة والعزيمة في اللغة والشرع؟

تعريف الرخصة: للرخصة إطلاق لغوي وآخر اصطلاحی.

تطلق الرخصة في اللغة ويراد بها التخفيف والتيسير والتسهيل، وهي أصل يدل على لينٍ وخلافٍ شِدَّة، والرخصة في الأمر: خلاف التشديد. يقال: رَخَّصَ الشرع لنا في كذا ترخيصا وأرخص إرخاصا إذا يسَّره وسهله⁽¹⁾.

أما الرخصة في الاصطلاح فلها عدة معان، منها: الرخصة الفقهية، وقد جاء هذا المعنى وفق الاستعمال اللغوي، فهو بمعنى التسهيل والتخفيف، وتتبع الرخص هو طلب التخفيف في الأحكام الشرعية، والمعنى الآخر للرخصة: الرخصة الشرعية وهو المعنى المطلوب في البحث: وهي ما ثبت على خلاف دليل شرعي لمعارض راجح، وهي التي تطلق في مقابل العزيمة، وعرفها الشاطبي بقوله: ما شرع لعذر شاق، استثناء من أصل كلي يقتضي المنع مع الاقتصار على مواضع الحاجة فيه⁽²⁾.

والعزيمة لغة: القصد المؤكد. يقال: عزم على الأمر يعزم عزمًا أراد فعله، وقطع عليه أو جد في الأمر، قال الله - تعالى - { فَتَنِّي وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا } (3) أي لم

(1) ينظر معجم مقاييس اللغة لابن فارس (2/500)، والمصباح المنير للفيومي (1/224).

(2) ينظر شرح الكوكب المنير لابن النجار (1/478)، ونهاية السؤل للإسنوي (1/63)، والموافقات للشاطبي (1/466).

(3) سورة طه، الآية (112).

وجد له قصداً، وأولو العزم من الرسل: الذين عزموا على أمر الله فيما عهد إليهم، وعزيمة الله فريضته التي افترضها⁽¹⁾.

والعزيمة شرعاً: حكم ثابت بدليل شرعي خال عن معارض راجح، أو هي ما لزم العباد بإيجاب الله - تعالى⁽²⁾.

المبحث الأول:

عقد السلم: من الأمور التي جوزت على خلاف الأصل عقد السلم، والسلم لغة مثل السلف وزنا ومعنى، وأسلمت إليه بمعنى أسلفت، وهو لغة أهل العراق، والسلف لغة أهل الحجاز⁽³⁾، وهو بيع يتقدم فيه دفع الثمن ويتأخر فيه تسليم سلعة موصوفة في الذمة غير معين إلى أجل معلوم، وهو مستثنى من نهي الإنسان أن يبيع ما ليس عنده، فهو بيع معدوم وعقد غرر مخالف للقياس أبيح لحاجة الناس إليه وتيسيراً عليهم لما فيه من مصلحة اقتصادية، فقد يحتاج صاحب الثمار إلى الثمن قبل أوانها لينفقه عليها حتى تتضج، وصاحب رأس المال محتاج إلى أن يشتري بثمن أقل، فكل منهما مستفيد.

الدليل على جواز السلم:

(1) ينظر القاموس المحيط (1/1468)، والمصباح المنير للفيومي (2/408).

(2) شرح الكوكب المنير لابن النجار (1/476)، ونهاية السؤل للإسنوي (1/66)، والمستصفي للغزالي (1/78).

(3) ينظر لسان العرب لابن منظور مادة سلم، والمصباح المنير للفيومي (1/286)، وسبل السلام للصنعاني (3/49).

والدليل على جواز السلم قوله - تعالى - { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ } (1)، قال ابن عباس: هذه الآية نزلت في السلم خاصة، ومعناه أن سلم أهل المدينة كان سبب نزول الآية ثم هي تتناول جميع المداينات إجماعاً (2)، وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قدم النبي - صلى الله عليه وسلم - المدينة وهم يسلفون بالتمر السنتين والثلاث، فقال: « مَنْ أَسْلَفَ فِي شَيْءٍ فَفِي كَيْلٍ مَّعْلُومٍ وَوَزْنٍ مَّعْلُومٍ إِلَى أَجَلٍ مَّعْلُومٍ » (3)، وعن محمد بن أبي مجالد قال: أرسلني أبو بردة، وعبد الله بن شداد إلى عبد الرحمن بن ابزى، وعبد الله بن أبي أوفى - رضي الله عنهما - فسألتهما عن السلف، فقالا: كنا نصيب المغنم مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فكان يأتينا أنباطٌ من أنباط الشام فنسلفهم في الحنطة والشعير والزبيب إلى أجل مسمى قال: قلت: أكان لهم زرع، أو لم يكن لهم زرع؟ قالوا: ما كنا نسألهم عن ذلك (4).

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: أشهد أن السلم المضمون إلى أجل مسمى قد أحله الله في الكتاب (5)، ونقل ابن المنذر الإجماع على جواز السلم (6).

(1) سورة البقرة، الآية (281).

(2) تفسير القرطبي (377/3).

(3) أخرجه البخاري/ كتاب السلم/ باب السلم في وزن معلوم/ رقم الحديث: 2240، ومسلم/ كتاب المساقاة/ باب السلم/ رقم الحديث: 1604.

(4) أخرجه البخاري/ كتاب السلم/ باب السلم في وزن معلوم/ رقم الحديث: 2254.

(5) أخرجه الزيلعي في نصب الرأية (44/4).

(6) الإجماع (30/1).

وإنما استثنى الشرع السلم من بيع ما ليس عندك؛ لأنه يبيع تدعو الضرورة إليه لكل وأحد من المتبايعين، فإن صاحب رأس المال محتاج إلى أن يشتري التمر، وصاحب التمر يحتاج إلى ثمنه لينفقه عليه، فظهر أن صفقة السلم من المصالح الحاجية، وقد سماه الفقهاء: ببيع المحاويج، فإذا كان حالا بطلت هذه الحكمة، وارتفعت هذه المصلحة، ولم يكن لاستثنائه من بيع ما ليس عندك فائدة⁽¹⁾.

هل السلم مخالف للقياس والأصل أم هو موافق له؟:

عقد السلم من العقود التي جاءت على خلاف الأصل والقياس، ووجه القياس أنه بيع المعدم إذ المبيع هو المسلم فيه⁽²⁾.

وهو من العقود المؤجلة التي رخص الشرع فيها على خلاف الأصل، ولهذا اشترط له شروط خاصة، منها: أن يقبض الثمن وأن يكون معلوماً، وألا يكون السلم في معين، وتحديد مكان الوفاء إذا لم يمكن الوفاء في مكان العقد، كل هذا تقيداً بمحل الرخصة في عقد السلم، ودفعاً للنزاع، ولهذا لا يصح بيع المسلم فيه قبل قبضه ولا الحوالة به أو عليه للعلة نفسها.

يقول السرخسي في المبسوط: والقياس يأبي جوازه؛ لأنه يبيع المعدم وبيع ما هو موجود غير مملوك للعائد باطل فبيع المعدم أولى بالبطلان ولكننا تركنا القياس بالكتاب والسنة أما الكتاب فقوله: - تعالى - { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ }⁽³⁾، والسنة ما روي أن النبي - صلى الله عليه وسلم - نهى

(1) نصب الرأية (45/4).

(2) فتح القدير (423/15).

(3) سورة البقرة، الآية (281).

عن بيع ما ليس عند الإنسان ورخص في السلم، ففي هذا دليل أنه جوزه للحاجة مع قيام السبب المعجز له عن التسليم وهو عدم وجوده في ملكه ولكن بطريق إقامة الأجل مقام الوجود في ملكه رخصة؛ لأن بالوجود في ملكه يقدر على التسليم وبالأجل كذلك فإنه يقدر على التسليم أما بالتكسب في المدة أو مجيء أوان الحصاد في الطعام⁽¹⁾.

وفي تحفة الفقهاء للسمرقندي: والقياس أن لا يجوز السلم، لأنه بيع المعدوم، وفي الاستحسان جائز بالحديث بخلاف القياس لحاجة الناس إليه⁽²⁾.

يقول ابن نجيم الحنفي في البحر الرائق: والسلم على خلاف القياس إذ هو بيع المعدوم، ووجب المصير إليه بالنص والإجماع للحاجة، ولا اعتبار بمن قال: إنه على وفقه⁽³⁾.

ومن العلماء من يرى أن السلم موافق للقياس، وأنه من الخطأ أن يقال أن السلم مخالف للقياس، فهذا ابن القيم يقول: وأما السلم فمن ظن أنه على خلاف القياس توهم دخوله تحت قول النبي - صلى الله عليه وسلم - : « لا تَبِعْ مَا لَيْسَ عِنْدَكَ » فإنه بيع معدوم، والقياس يمنع منه، والصواب أنه على وفق القياس، فإنه بيع مضمون في الذمة موصوف مقدور على تسليمه غالباً، وهو كالمعاوضة على المنافع في الإجارة، وقد تقدم أنه على وفق القياس، وقياس السلم على بيع العين المعدومة التي لا يدري أيقدر على تحصيلها أم لا، والبائع والمشتري منها على

(1) ينظر المبسوط (218/12).

(2) ينظر تحفة الفقهاء (8/2).

(3) البحر الرائق شرح كنز الدقائق (169/6).

غرر، من أفسد القياس صورة ومعنى، وقد فطر الله العقلاء على الفرق بين بيع الإنسان ما لا يملكه ولا هو مقدور له وبين السلم إليه في مغل مضمون في ذمته مقدور في العادة على تسليمه، فالجمع بينهما كالجمع بين الميتة والمذكي والربا والبيع، وأما قول النبي - صلى الله عليه وسلم - لحكيم بن حزام « لا تَبِعْ مَا لَيْسَ عِنْدَكَ » فيحمل على معنيين: أحدهما : أن يبيع عينا معينة وهي ليست عنده، بل ملك للغير، فيبيعها ثم يسعى في تحصيلها وتسليمها إلى المشتري، والثاني: أن يريد بيع ما لا يقدر على تسليمه وإن كان في الذمة، وهذا أشبه، فليس عنده حسا ولا معنى، فيكون قد باعه شيئا لا يدري هل يحصل له أم لا؟ وهذا يتناول أموراً: أحدها: بيع عين معينة ليست عنده. الثاني: السلم الحال في الذمة إذا لم يكن عنده ما يوفيه. الثالث : السلم المؤجل إذا لم يكن على ثقة من توفيته عادة، فأما إذا كان على ثقة من توفيته عادة فهو دين من الديون، وهو كالإبتياح بثمن مؤجل، فأى فرق بين كون أحد العوضين مؤجلاً في الذمة وبين الآخر؟ فهذا محض القياس والمصلحة، وقد قال - تعالى - : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ } وهذا يعم الثمن والمثمن، وهذا هو الذي فهمه ترجمان القرآن من القرآن عبد الله بن عباس فقال: أشهد أن السلف المضمون في الذمة حلال في كتاب الله، وقرأ هذه الآية، فنبت أن إباحة السلم على وفق القياس والمصلحة، وشرع على أكمل الوجوه وأعدلها، فشرط فيه قبض الثمن في الحال، إذ لو تأخر لحصل شغل الذمتين بغير فائدة، ولهذا سمي سلماً لتسليم الثمن، فإذا أخرج الثمن دخل في حكم الكالئ بالكالئ بل هو نفسه، وكثرت المخاطرة، ودخلت المعاملة في حد الغرر، ولذلك منع الشارع أن يشترط فيه كونه من حائط معين، لأنه قد يتخلف

فيمتنع التسليم، والذين شرطوا أن يكون دائم الجنس غير منقطع قصدوا به أبعاده من الغرر بإمكان التسليم، لكن ضيقوا ما وسع الله، وشرطوا ما لم يشرطه، وخرجوا عن موجب القياس والمصلحة. أما القياس فإنه أحد العوضين، فلم يشترط دوامه ووجوده كالثمن، وأما المصلحة فإن في اشتراط ذلك تعطيل مصالح الناس، إذ الحاجة التي لأجلها شرع الله ورسوله السلم الارتفاق من الجانبين، هذا يرتفق بتعجيل الثمن، وهذا يرتفق برخص الثمن، وهذا قد يكون في منقطع الجنس كما قد يكون في متصله فالذي جاءت به الشريعة أكمل شيء وأقومه بمصالح العباد⁽¹⁾.

وجواز السلم هو القياس الصحيح الموافق للأصول خلافا لمن قال: إن السلم على خلاف الأصول؛ لأنه بيع معدوم والواقع أنه ليس ببيع معدوم في الحقيقة؛ لأنه بيع موصوف في الذمة، ليس معدوما حتى يدخل في الجهالة والغرر، وأيضا القاعدة أن كل ما ثبت بالشرع ليس مخالفا للقياس، بل كل قياس يخالف ما جاء به الشرع فهو قياس باطل، لكنه قد يخفى دخول ذلك في القياس على بعض الناس فيظنه مخالفا للقياس، فالصواب أن السلم على وفق القياس؛ لأن فيه مصلحة للبائع وللمشتري، أما المشتري فمصلحته أنه يحصل على أكثر، وأما البائع فمصلحته أنه يتعجل له الثمن.

ومخالفته للقياس لمصلحة راجحة، والمحذور الشرعي إذا قابلته مصلحة راجحة أرجح منه أصبح جائزا بمقتضى ترجح المصلحة، وإذا كان الشرع يحرم الشيء؛ لأن إثمه أكبر، فإنه يبيح الشيء إذا كانت مصلحته أكبر، ولهذا العبارة المشهورة (درء المفسد أولى من جلب المصالح) هذه يجب أن تكون مقيدة بما إذا تساوت

(1) إعلام الموقعين عن رب العالمين (21/2).

المفاسد والمصالح، أو غلب جانب المفاسد، والا فإنه قد يكون في بعض الأشياء مصلحة ومضرة فتروح المصلحة، فيحلل من أجل هذا الرجحان كذلك فإن السلم ينضبط بالصفات، ولهذا لا يصح فيما لا ينضبط بالصفات⁽¹⁾.

يقول ابن حزم في المحلى: فإن قيل: إن السلم بيع استثنى من جملة بيع ما ليس عندك، قلنا: هذا باطل، لأنه دعوى بلا دليل، وليس كل ما عُوِّض فيه بآخر بيعاً، فهذا القرض مال بمال وليس بيعاً بلا خلاف⁽²⁾.

وحديث حكيم بن حزام الذي ورد فيه النهي عن بيع الإنسان ما ليس عنده المراد به بيع عين معينة ليست في ملك البائع حينما اجري عليها العقد، وإنما يشتريها من صاحبها فيسلمها للمشتري الذي اشتراها منه قبل دخولها في ملكه، وأما السلم فهو متعلق بالذمة لا العين، فهو بيع موصوف في الذمة، ولذا فهو على وفق القياس، والحاجة داعية إليه.

المبحث الثاني:

عقد القرض: من الأمور التي جوزت على خلاف الأصل عقد القرض.

وأصل القرض في اللغة: القطع، ومعاني القرض في اللغة تدور على القطع، والمجازاة، والتترك⁽³⁾.

(1) الشرح الممتع على زاد المستقنع لابن عثيمين (49/9).

(2) المحلى (107/9).

(3) ينظر لسان العرب لابن منظور مادة قرض، والمصباح المنير للفيومي (498/2)، والمعجم

الوسيط (727/2) مادة قرض.

تعريف القرض في الاصطلاح: عرف الفقهاء القرض بتعريفات متقاربة تدل على أنه: دفع مال لمن ينتفع به ويرد بدله⁽¹⁾.

فالقرض ما تعطيه غيرك من مال على أن يرده اليك، وما يقدم من عمل يلتمس عليه الجزاء، ومنها قوله- تعالى- { وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا }⁽²⁾ قرضاً لا ربح فيه ولا فائدة، والقرض مندوب إليه في حق المقرض، وهو من القرب التي حث عليها الإسلام، والأصل فيه أنه من عقود التبرعات التي يراد بها الإرفاق والإحسان إلى المقرض. لأن العقود تنقسم إلى أقسام: منها عقود معاوضات، ومنها عقود تبرعات، ومنها عقود توثيقات، فالرهن والضمان عقود توثيقات، والهبة والوصية والصدقة عقود تبرعات ومنها القرض، وعقود المعاوضات كالبيع والإجارة وشبهها.

الدليل على جواز القرض: والدليل على جواز القرض قوله - تعالى - : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ }، فالأمر بكتابة الدين دليل على المشروعية والجواز، وعن أبي سلمة عن أبي هريرة- رضى الله عنهما- أن رجلاً أتى النبي- صلى الله عليه وسلم- يتقاضاه بغيره، فقال رسول الله- صلى الله عليه وسلم - : « اعطوه »، فقالوا: ما نجد إلا سناً أفضل من سنه، فقال الرجل أوفيتني أوفاك الله، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : « اعطوه فإن من خيار الناس أحسنهم قضاءً »⁽³⁾.

(1) ينظر حاشية الدسوقي على الشرح الكبير (222/3)، والمطلى لابن حزم (77/8).

(2) المزمّل، الآية(20).

(3) أخرجه البخاري/ كتاب الاستقراض/ باب هل يعطى أكبر من سنه/ رقم الحديث: 2392، ومسلم/ كتاب المساقاة/ باب من استلف شيئاً ففضى خيراً منه/ رقم الحديث: 1600.

القرض من عقود التبرعات كالصدقة والهبة والوصية وهو من الاحسان المحض، ولهذا جاز مع أن صورته صورة ربا، فإنه إذا باع درهما بدرهم ولم يحصل بينهما تقابض كان ربا، وإذا أقرضه درهما وبعد شهر أعطاه إياه لم يكن ربا، مع أن الصورة صورة ربا ولا يختلف إلا بالقصد، ولما كان المقصود بالقرض الإرفاق والاحسان صار جائزا، ويجوز التأجيل في رد قرض الأشياء الربوية، كالنقود والطعام على خلاف القاعدة.

فالقرض إرفاق وتبرع لا معاوضة ومقاضاة، ولذا سماه النبي - صلى الله عليه وسلم - منيحة ينتفع بها المقترض ثم يعيدها بعينها إن أمكن، وإلا رد مثلها، فهو ارتفاق.

هل القرض مخالف للقياس والأصل أم هو موافق له؟:

قال القرافي في الذخيرة مبينا أن القرض جائز على خلاف الأصل والقياس: القرض خولفت فيه قاعدة الربا إن كان في الربويات كالنقدين والطعام، وقاعدة المزابنة وهو بيع المعلوم بالمجهول من جنسه إن كان في الحيوان ونحوه من غير المثليات، وقاعدة بيع ما ليس عندك في المثليات لأجل مصلحة المعروف للعباد، فإذا اشترط منفعة فليس معروفا فتكون القواعد خولفت لا لمعارض وهو ممنوع أو أوقعوا ما لله لغير الله وهو ممنوع فللهذه القاعدة يشترط تمحض المنفعة للأخذ⁽¹⁾.

قال ابن القيم مبينا أن القرض موافق للقياس: وأما القرض، فمن قال: إنه على خلاف القياس، فشبهته أنه بيع ربوي بجنسه مع تأخر القبض، وهذا غلط، فإن القرض من جنس التبرع بالمنافع، كالعارية، ولهذا سماه النبي - صلى الله عليه

(1) الذخيرة(5/289).

وسلم- منيحة، فقال: أو منيحة ذهب أو منيحة ورق، وهذا من باب الإرفاق لا من باب المعاوضات، فإن باب المعاوضات يعطي كلا منهما أصل المال على وجه لا يعود إليه، وباب القرض من جنس باب العارية والمنيحة وإفكار الظهر مما يعطى فيه أصل المال لينتفع بما يستخلف منه ثم يعيده إليه بعينه إن أمكن والا فنظيره ومثله، فتارة ينتفع بالمنافع كما في عارية العقار، وتارة يمنحه ماشية ليشرب لبنها ثم يعيدها أو شجرة ليأكل ثمرها ثم يعيدها وتسمى العرية، فإنهم يقولون: أعاره الشجرة وأعاره المتاع ومنحه الشاة وأقره الظهر وأقرضه الدراهم واللبن والتمر، لما كان يستخلف شيئاً بعد شيء كان بمنزلة المنافع، ولهذا كان في الوقف يجري مجرى المنافع، وليس هذا من باب البيع في شيء بل هو من باب الإرفاق والتبرع والصدقة⁽¹⁾.

المبحث الثالث:

عقد الإجارة: من الأمور التي جوزت على خلاف الأصل عقد الإجارة، لأن المعقود عليه وهي المنافع معدومة، والقياس أن لا تجوز لما فيها من إضافة العقد إلى ما سيوجد، أو أنه بيع ما لم يقدر على تسليمه عند العقد وليس سلماً في الذمة إلا أنها أجيبت للضرورة لشدة الحاجة إليها.

الإجارة في اللغة: الأجرة على العمل أو على منفعة، والأجير من يعمل بأجر، واستأجره اتخذه أجيراً، ومنه قوله- تعالى- {عَلَىٰ أَنْ تَأْجُرَنِي تَمَانِي حِجَجٍ} (2)،

(1) ينظر إعلام الموقعين لابن القيم (10/2).

(2) القصص، الآية(27)، ينظر المعجم الوسيط مادة أجر (6/1).

واشتقاق الإجارة من الأجر وهو العوض قال الله -تعالى-: { لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا }⁽¹⁾، ومنه سمي الثواب أجراً، لأن الله تعالى يعوض العبد به على طاعته أو صبره على معصيته⁽²⁾.

أما الإجارة في الشرع: فقد عرفها ابن عرفة بقوله: بيع منفعة ما أمكن نقله غير سفينة ولا حيوان لا يعقل بعوض غير ناشئ عنها بعضه يتبعض بتبعيضها⁽³⁾، أو هي تملك المنافع المباحة مدة معلومة بعوض، أو هي عقد على منفعة مباحة، أو هي بيع المنافع⁽⁴⁾.

دليلها: وهي ثابتة بالكتاب والسنة والإجماع، قال تعالى- { فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أَجُورَهُنَّ }⁽⁵⁾ وأما السنة، فعن ابن عباس- رضي الله عنه- قال: احتجم رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وأعطى الذي حجمه أجره، ولو كان حراماً لم يعطه⁽⁶⁾. فهي من العقود الجائزة، فإن الحاجة داعية إلى الحصول على المنافع كما دعت الحاجة إلى الحصول على الأعيان، فهي من الرخص المستقر حكمها، فليس لكل أحد دار يملكها ولا سيارة يركبها، ولا يلزم الناس تعلم جميع الحرف، فإباحة تبادل المنافع على وجه الإجارة مما تقتضيه الفطرة، وهي من محاسن الشريعة.

(1) الكهف، الآية(77).

(2) ينظر المغني لابن قدامة(6/6).

(3) حدود ابن عرفة(516/2).

(4) ينظر المغني لابن قدامة(6/6)، والبحر الرائق لابن نجيم الحنفي(297/7).

(5) البقرة، الآية(6).

(6) أخرجه البخاري/ كتاب البيوع/ باب ذكر الحمام/ رقم الحديث:2103.

وهي نوع من البيع، لأنها تمليك من كل وأحد منهما لصاحبه، فهي بيع المنافع والمنافع بمنزلة الأعيان، لأنه يصح تمليكها في حال الحياة وبعد الموت وتضمن باليد والإتلاف ويكون عوضها عينا ودينا⁽¹⁾.

ولذلك يحرم عقد الإجارة في المسجد كما يحرم البيع، ويحرم عقد الإجارة بعد نداء الجمعة الثاني، كما يحرم البيع؛ لأنها بيع منافع في الواقع.

والجمهور على جوازها، وحكي عن الأصم وابن عُيَّية منعها، ولا يعتد بخلافهما⁽²⁾. هل الإجارة مخالفة للقياس والأصل أم هي موافقة له؟:

الإجارة: هي بيع المنافع، جوزت على خلاف القياس لحاجة الناس، لأن المنافع معدومة، وبيع المعدوم لا يجوز، إلا أنها جائزة لحاجة الناس إليها⁽³⁾.

قال علاء الدين الكاساني في بدائع الصنائع: وقال أبو بكر الأصم: إنها لا تجوز، والقياس ما قاله، لأن الإجارة بيع المنفعة، والمنافع للحال معدومة، والمعدوم لا يحتل البيع، فلا يجوز اضافة البيع إلى ما يؤخذ في المستقبل كإضافة البيع إلى أعيان تؤخذ في المستقبل، فإذا لا سبيل إلى تجويزها لا باعتبار الحال ولا باعتبار المال، فلا جواز لها رأسا لكننا استحسنا الجواز بالكتاب والسنة والإجماع⁽⁴⁾.

يقول القرافي في الذخيرة: ومنعها بعض العلماء، لأنه بيع ما لم يقدر على تسليمه عند العقد وليس سلما في الذمة، وجوابه: النصوص الواردة في الكتاب والسنة، ولأن

(1) ينظر المغني لابن قدامة (6/6).

(2) ينظر بداية المجتهد لابن رشد (220/2).

(3) ينظر الاختيار لتعليل المختار (53/2).

(4) ينظر بدائع الصنائع (173/4).

تسليم الرقاب تسليم منافعها، وقبض الأوائل كقبض الأواخر⁽¹⁾ وقال ابن رشد في بداية المجتهد: وشبهة من منع ذلك أن المعاوضات إنما يستحق فيها تسليم الثمن بتسليم العين كالحال في الأعيان المحسوسة، والمنافع في الإجراءات في وقت العقد معدومة، فكان ذلك غررا ومن بيع ما لم يخلق، ونحن نقول: إنها وإن كانت معدومة في حال العقد فهي مستوفاة في الغالب، والشرع إنما لحظ من هذه المنافع ما يستوفى في الغالب أو يكون استيفاؤه وعدم استيفائه على السواء⁽²⁾.

وقال ابن القيم: وأما الإجارة فالذين قالوا: هي على خلاف القياس قالوا: هي بيع معدوم، لأن المنافع معدومة حين العقد ثم لما رأوا الكتاب قد دل على جواز إجارة الظئر للرضاع بقوله: {فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآوَهُنَّ أَجُورَهُنَّ} قالوا: إنها على خلاف القياس من وجهين: أحدهما: كونها إجارة، والثاني: أن الإجارة عقد على المنافع وهذه عقد على الأعيان، ومن العجب أنه ليس في القرآن ذكر إجارة جائزة إلا هذه، وقالوا هي على خلاف القياس، والحكم إنما يكون على خلاف القياس إذا كان النص قد جاء في موضع يشابهه بنقيض ذلك الحكم فيقال هذا خلاف قياس ذلك النص، وليس في القرآن ولا في السنة ذكر فساد إجارة شبه هذه الإجارة، ومنشأ وهمهم ظنهم أن مورد عقد الإجارة لا يكون إلا منافع هي أعراض قائمة بغيرها لا أعيان قائمة بنفسها، ثم افترق هؤلاء فرقتين، فقالت فرقة: إنما احتملناها على خلاف القياس لورود النص فلا نتعدى محله، وقالت فرقة بل نخرجها على ما يوافق القياس.

(1) ينظر الذخيرة للقرافي (372/5).

(2) ينظر بداية المجتهد لابن رشد (220/2).

ثم قال ردا عليهم: قولهم إن الإجارة بيع معدوم وبيع المعدوم باطل دليل مبني على مقدمتين مجملتين غير مفصلتين قد اختلط في كل منهما الخطأ بالصواب، فأما المقدمة الأولى وهي كون الإجارة بيعة إن أردتم به البيع الخاص الذي يكون العقد فيه على الأعيان لا على المنافع فهو باطل، وإن أردتم به البيع العام الذي هو معاوضة إما على عين وإما على منفعة فالمقدمة الثانية باطلة، فإن بيع المعدوم ينقسم إلى بيع الأعيان وبيع المنافع، ومن سلم بطلان بيع المعدوم فإنما يسلمه في الأعيان، ولما كان لفظ البيع يحتمل هذا، وهذا تنازع الفقهاء في الإجارة هل تنعقد بلفظ البيع على وجهين، والتحقيق أن المتعاقدين إن عرفا المقصود انعقدت بأي لفظ من الألفاظ عرف به المتعاقدان مقصودهما، وهذا حكم شامل لجميع العقود⁽¹⁾.

فتبين من خلال هذا أن عقد الإجارة من الرخص المستقر حكمها على وفق القياس.

المبحث الرابع:

عقد المساقاة: من الأمور التي جوزت على خلاف الأصل عقد المساقاة والمزارعة أو المخابرة، لأنه استئجار بأجرة مجهولة معدومة واستئجار ببعض ما يحصل من عمل، مستثناة من بيع الغرر، لأنها تعاقد على ما لم يوجد، ومن الاستئجار بأجر مجهول إذ لا يعلم ما يأخذه العامل، لكنها شرعت رفقا بالعباد لحاجتهم إليها، فليس كل الناس له قدرة على العمل بأنفسهم.

المساقاة في اللغة: تسمى معاملة، مفاعلة من السقي والعمل، وهي أن يقوم بما يحتاج إليه الشجر من تلقيح وعسف وتنظيف السواقي وسقي وحراسة، يقال ساقى

(1) ينظر إعلام الموقعين لابن القيم (23/2).

فلان فلانا نخله أو كرمه إذا دفعه إليه واستعمله فيه على أن يعمره ويسقيه ويقوم بمصلحته من الآبار وغيره فما أخرج الله منه فللعامل سهم والباقي لمالك النخل⁽¹⁾. وهي من اسمها، لأن السقي أهم أعمالها وحاجة الشجر إلى السقي أكثر من غيره، وهي قريبة من المزارعة، فالمساقاة دفع الشجر، والمزارعة أو المحاقلة أو المخابرة دفع الأرض.

والمساقاة في الشرع: هي معاودة دفع الأشجار إلى من يعمل فيها على أن الثمرة بينهما⁽²⁾.

الدليل على جوازها:

والدليل على جوازها مساقاته - صلى الله عليه وسلم - وخلفاؤه من بعده أهل خير بشرط ما يخرج منها من ثمر، فعن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عامل أهل خيبر بشرط ما يخرج منها من ثمر أو زرع، وفي رواية: أنه دفع إلى يهود خيبر نخل خيبر وأرضها على أن يعتملوها من أموالهم ولرسول الله - صلى الله عليه وسلم - شطر ثمرها⁽³⁾.

وجمهور الفقهاء على جوازها مالك، والشافعي، وأحمد، خلافاً لأبي حنيفة⁽⁴⁾.

هل المساقاة مخالفة للقياس والأصل أم هي موافقة له؟:

(1) ينظر لسان العرب لابن منظور مادة سقى (2042/3).

(2) البحر الرائق لابن نجيم الحنفي (186/8).

(3) أخرجه مسلم/ كتاب المساقاة/ باب المساقاة والمعاملة بجزء من الثمر والزرع/ رقم الحديث: 1551.

(4) ينظر بداية المجتهد لابن رشد (244/2).

والقياس أن تذكر المدة لما فيها من معنى الإجارة، فهي من الإجارة المجهولة، وعن أبي حنيفة عدم جوازها أصلاً، ولو جازت عنده كان ذلك مخالفاً للأصول، لأنها بيع ما لم يخلق، وأيضاً، فإنه من المزبنة، وهو بيع التمر بالتمر متفاضلاً، لأن القسمة بالخرص بيع الخرص، واستدلوا على مخالفته للأصول بما روي في حديث عبد الله بن رواحة أنه كان يقول لهم عند الخرص: إن شئتم فلکم وتضمنون نصيب المسلمين وإن شئتم فلي واضمن نصيبكم⁽¹⁾، وهذا حرام بإجماع⁽²⁾.

قال الشوكاني: المساقاة ما كان في النخل والكرم وجميع الشجر الذي يثمر بجزء معلوم من الثمرة للأجير، وإليه ذهب الجمهور، وخصها الشافعي في قوله الجديد بالنخل والكرم، وخصها داود بالنخل، وقال مالك: لا تجوز في الزرع والشجر ولا تجوز في البقول عند الجمع، وروي عن ابن دينار أنه أجازها فيها، والحاصل أن من قال: إنها واردة على خلاف القياس قصرها على مورد النص، ومن قال إنها واردة على القياس الحق بالمنصوص غيره⁽³⁾.

قال ابن القيم: فالذين قالوا: "المضاربة والمساقاة والمزارعة على خلاف القياس" ظنوا أن هذه العقود من جنس الإجارة لأنها عمل بعوض والإجارة يشترط فيها العلم بالعوض والمعوض فلما رأوا العمل والربح في هذه العقود غير معلومين قالوا هي على خلاف القياس وهذا من غلطهم فإن هذه العقود من جنس المشاركات لا من جنس المعاوضات المحضة التي يشترط فيها العلم بالعوض والمعوض والمشاركات

(1) الموطأ/ كتاب المساقاة/ باب ما جاء في المساقاة/ حديث رقم 1 (444/2).

(2) ينظر بداية المجتهد لابن رشد (245/2)، وبدائع الصنائع (185/6).

(3) نيل الأوطار (9/6).

جنس غير جنس المعوضات وإن كان فيها شوب المعاوضة وكذلك المقاسمة جنس غير جنس المعاوضة المحضة وإن كان فيها شوب المعاوضة حتى ظن بعض الفقهاء أنها بيع يشترط فيها شروط البيع الخاص⁽¹⁾.

يقول ابن مودود الموصلي الحنفي: والقياس أن تذكر المدة لما فيها من معنى الإجارة، وفي الاستحسان يجوز وإن لم يبينها، وتقع على أول ثمرة تخرج، لأن وقت إدراك الثمرة معلوم والتفاوت فيه قليل⁽²⁾.

وقال ابن القيم في زاد المعاد: وهذا كان هدى خلفائه الراشدين من بعده وكما أنه هو المنقول فهو الموافق للقياس فإن الأرض بمنزلة رأس المال في القراض والبذر يجري مجرى سقي الماء ولهذا يموت في الأرض ولا يرجع إلى صاحبه ولو كان بمنزلة رأس مال المضاربة لاشرط عوده إلى صاحبه وهذا يفسد المزارعة فعلم أن القياس الصحيح هو الموافق لهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين في ذلك⁽³⁾.

والمصلحة تقتضيها، فهي إذا جارية على القياس، وذلك خلافا لمن قال: إنها جارية على خلاف القياس؛ لأن الجزء المشروط للعامل مجهول، فإن هذا الشجر قد يثمر ثمرا كثيرا يقابل أضعاف ما أنفق العامل عليه، وقد يثمر ثمرا قليلا، وقد لا يثمر شيئا فيكون العامل خاسرا، لذلك كان نصيب العامل مجهولا، فيقال: هذه نظير المضاربة تماما؛ لأن المضاربة يأخذ العامل الدراهم ويسافر ويتعب ويربح ربحا

(1) ينظر إعلام الموقعين لابن القيم (3/2).

(2) الاختيار لتعليل المختار (91/3).

(3) زاد المعاد (346/3).

كثيرا عظيما، وفي النهاية يشتري سلعة تجحف بجميع الريح، فهذا خسر البدن والمال، ومع ذلك فهي جائزة، فإذا قال: والمضاربة على خلاف القياس أيضا، فنقول: ما هو القياس الذي تعنيه؟ الممنوع أن يكون أحد المتشاركين غارما والثاني غانما، أما إذا اشتراكا في المغنم والمغرم فإن هذا على وفق القياس، وكون العامل تحت الحظ لا يعني خلاف القياس؛ لأن كل إنسان يعمل في الدنيا فهو تحت الحظ حتى صاحب المال تحت الحظ، ولذلك فهي لما تتضمنه من المصلحة ولكونها جارية على سنن الحياة على وفق القياس⁽¹⁾.

وبهذا علم أنها أحل من الإجارة وأقرب إلى القياس والعدل، ولذا فإنها جاءت على الأصل لا كما قالوا أنها على خلاف القياس لظنهم أنها من باب الإجازات التي يشترط فيها العلم بالعمل والأجرة.

المبحث الخامس:

بيع العرايا: من الأمور التي جوزت على خلاف الأصل العرايا، والعرايا مفردها عرية، سميت بذلك لأنها عريت من البيع المحرم وخرجت منه، أو لعروها عن الثمن، وهي أن يباع الرطب في رؤوس النخل بقدر ما يؤول إليه تمرا يابسا، فيباع بمثله من التمر فيما دون خمسة أوسق، أو هي هبة ثمر النخل أو غيره، مما شأنه اليبس، يهبه مالكة دون أصوله رطبا على الأشجار، ثم يشتريه الموهوب له بتمر يابس يدفعه له عند الجذاذ، وهي رخصة مستثناة من البيوع الربوية إذ الأصل فيها المنع لأنها يبيع الرطب باليابس المنهي عنه للمزابنة، ولأن فيها يبيع الطعام بطعام

(1) الشرح الممتع على زاد المستقنع لابن عثيمين (9/445).

مع التأخير، واحتمال التفاضل في بيع الطعام بجنسه، لكن الشارع رخص فيها لأجل المعروف والرفق بالطرفين⁽¹⁾.

وقال مالك: العرية أن يعري الرجل الرجل النخلة، ثم يتأذى بدخوله عليه، فرخص له أن يشتريها منه بتمر⁽²⁾.

الدليل على جوازها: والدليل على جوازها ما رواه جابر -رضي الله عنه- قال: نهى النبي -صلى الله عليه وسلم- عن بيع الثمر حتى يطيب، ولا يباع شيء منه إلا بالدينار والدرهم إلا العرايا، وفي رواية: نهى عن بيع الثمر بالتمر، ورخص في العرية أن تباع بخرصها يأكلها أهلها رطبا⁽³⁾، وسبب العرية أن رجالا احتاجوا إلى الرطب، وليس بأيديهم مال يشترون بها الرطب، وعندهم تمر جاف فشكوا إلى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أمرهم، فرخص لهم أن يشتروا العرايا بخرصها من التمر الذي بأيديهم ليأكلوا رطبا، فقد سئل زيد بن ثابت -رضي الله تعالى عنه- ما عراياكم هذه؟ قال: إن الرطب ليأتينا ولم يكن في أيدينا بعد نبتاعه به وعندنا فضالات من التمر فرخص لنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أن نبتاع بخرصها تمرا فناكل مع اليابس الرطب ولأن ما على رؤوس النخل لا يتأتى فيها الكيل فأقام الشرع الخرص فيها مقام الكيل للحاجة تيسيرا بخلاف ما إذا كانا

(¹) ينظر الصحاح للجوهري(6/2424)، والمصباح المنير للفيومي(2/406)، والمغني لابن قدامة(4/196)، والاستنكار لابن عبد البر(6/315)، وبداية المجتهد لابن رشد(1/572)، ومدونة الفقه المالكي(3/293).

(²) أخرجه البخاري/ كتاب البيوع/ باب تفسير العرايا/ رقم: 2191.

(³) أخرجه البخاري/ كتاب البيوع/ باب بيع الثمر على رؤوس النخل/ رقم الحديث: 2189.

موضوعين على الأرض وهذه الحاجة في القليل دون الكثير⁽¹⁾ والأصل تحريم شراء ما على رؤوس النخل بتمر لأنهما نوعا جنس وأحد يحرم بينهما التفاضل للجهل بالتساوي وهو كالعلم بالتفاضل في الحكم بالتحريم، وهو من بيع المزابنة المنهي عنه، إلا أنه رخص فيه للحاجة إليه.

هل بيع العرايا مخالف للقياس والأصل أم هو موافق له؟:

بيع العرايا جائز عند أكثر أهل العلم، منهم مالك، وأهل المدينة والأوزاعي، وأهل الشام، والشافعي، وأحمد، وإسحاق، وابن المنذر، وقال أبو حنيفة: لا يحل بيعها، لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- نهى عن بيع المزابنة، والمزابنة بيع الثمر بالتمر، ولأنه بيع الرطب بالتمر من غير كيل أحدهما فلم يجز كما لو كان على وجه الأرض أو فيما زاد على خمسة أوسق⁽²⁾ وذكر الشوكاني أن أبا حنيفة منع صور بيع العرايا كلها، وقصر العرية على الهبة، وهي أن يهب صاحب البستان لرجل ثمر نخلات معلومة من بستانه، ثم يتضرر بدخوله عليه، فيخرصها، ويشترى رطبها منه بقدر خرصه بتمر معجل أي بقدر ما وهبه له من الرطب بما يساويه تخميناً من التمر⁽³⁾.

والعرية رخصة بنيت على خلاف النص والقياس، قال ابن المنذر: الذي نهى عن المزابنة هو الذي أرخص في العرايا وطاعة رسول الله -صلى الله عليه وسلم-

(1) البدر المنير لابن الملقن (586/6)، والمبسوط للسرخسي (342/12).

(2) المغني لابن قدامة (196/4).

(3) ينظر نيل الأوطار (222/5).

أولى، والقياس لا يصار إليه مع النص⁽¹⁾ جازت العرايا وهي حرام من أجل الحاجة دون الضرورة، لأن ما حرم تحريم الوسائل جاز للحاجة.

قال ابن تيمية: فتجوز العرايا أن تباع بخرصها لأجل الحاجة عند تعذر بيعها بالكيل موافق لأصول الشريعة مع ثبوت السنة الصحيحة فيه، إلى أن قال: وحقيقة الأمر أنه لم يشرع شيء على خلاف القياس الصحيح بل ما قيل أنه على خلاف القياس فلا بد من اتصافه بوصف امتاز به عن الأمور التي خالفها واقتضى مفارقتها لها في الحكم، وإذا كان كذلك فذلك الوصف أن شاركه غيره فيه فحكمه كحكمه وإلا كان من الأمور المفارقة له⁽²⁾.

خاتمة البحث

من خلال ما سبقت دراسته وبحثه يمكن أن نخلص إلى ما يأتي: أن الله فرض على عباده فرائض وعزائم، ورخص لهم رخصا تخفيفا وتيسيرا، وأنه رفع عنهم العنت والمشقة.

- أن من العلماء من يرى أن بعض الأمور التي جوزها الشرع جاءت على خلاف القواعد والأصول والأقيسة، وبعضهم يرى أن كل ما جوزه الشرع موفق للقياس.

(1) المغني لابن قدامة (196/4).

(2) مجموع الفتاوى (352/20 - 356).

- أن ما يظن مخالفته للقياس، فأحد الأمرين لازم فيه ولا بد، إما أن يكون القياس فاسداً أو يكون ذلك الحكم لم يثبت بالنص كونه من الشرع.
- أن لفظ القياس لفظ مجمل يدخل فيه القياس الصحيح والفاقد، والصحيح هو الذي وردت به الشريعة.
- أن كل ما ثبت بالشرع ليس مخالفاً للقياس، بل كل قياس يخالف ما جاء به الشرع فهو قياس باطل.
- أن ما يظن أنه مخالف للقياس، فإنه عند التدقيق والنظر يظهر أنه موافق له.
- أن ما قيل أنه على خلاف القياس فلا بد من اتصافه بوصف امتاز به عن الأمور التي خالفها واقتضى مفارقتها لها في الحكم، وإذا كان كذلك فذلك الوصف أن شاركه غيره فيه فحكمه كحكمه وإلا كان من الأمور المفارقة له.
- وفي نهاية هذه الدراسة أسأل الله أن أكون قد وفقت، وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، صلى الله وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

- 1:الإجماع- لابن المنذر- باعتناء وتقديم: محمد حسام بيضون- مؤسسة الكتب الثقافية- بيروت- لبنان- الطبعة الأولى- 1414هـ- 1993م.

- 2: الاختيار لتعليق المختار- لعبد الله بن محمود بن مودود الموصلي الحنفي- دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - 1426 هـ - 2005 م- الطبعة : الثالثة- تحقيق : عبد اللطيف محمد عبد الرحمن.
- 3: الاستذكار الجامع لمذاهب فقهاء الأمصار- لابن عبد البر- تحقيق سالم محمد عطا- محمد علي معوض - دار الكتب العلمية- سنة النشر 2000م- بيروت.
- 4: إعلام الموقعين عن رب العالمين- لابن قيم الجوزية- دراسة وتحقيق: طه عبد الرؤوف سعد- مكتبة الكليات الأزهرية- مصر- القاهرة- 1388هـ-1968م.
- 5: البحر الرائق شرح كنز الدقائق- لزين الدين ابن نجيم الحنفي- دار المعرفة- بيروت.
- 6: بداية المجتهد- لابن رشد- بهامشه السبل المرشد- شرح وتحقيق وتخریج: عبد الله العبادي- دار السلام- الطبعة الرابعة- 1430هـ- 2009م.
- 7: بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع- لعلاء الدين الكاساني- دار الكتاب العربي- بيروت- 1982م.
- 8: البدر المنير في تخریج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير- لابن الملقن- تحقيق مصطفى أبو الغيط، و عبدالله بن سليمان، وياسر بن كمال- دار الهجرة- سنة النشر 1425هـ-2004م- الرياض- السعودية.
- 9: تحفة الفقهاء- لعلاء الدين السمرقندي- دار الكتب العلمية- بيروت- 1405هـ - 1984م.
- 10: الجامع لأحكام القرآن- للقرطبي- دار الشعب- القاهرة.

- 11: حاشية الدسوقي على الشرح الكبير - لمحمد عرفه الدسوقي - تحقيق: محمد عlish - دار الفكر - بيروت.
- 12: الذخيرة- لشهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي - تحقيق: محمد حجي - دار الغرب - 1994م بيروت.
- 13: زاد المعاد في هدي خير العباد- لابن قيم الجوزية - مؤسسة الرسالة، بيروت - مكتبة المنار الإسلامية- الكويت- الطبعة : السابعة والعشرون - 1415هـ - 1994م.
- 14: سبل السلام- للصنعاني - تحقيق: عصام الصبابطي - عماد السيد- دار الحديث- القاهرة.
- 15: شرح الكوكب المنير- لتقي الدين أبو البقاء محمد بن أحمد بن عبد العزيز بن علي الفتوح المعروف بابن النجار- تحقيق: محمد الزحيلي و نزيه حماد- مكتبة العبيكان- الطبعة الثانية 1418هـ - 1997 م .
- 16: الشرح الممتع على زاد المستنقع- لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين- دار ابن الجوزي- الطبعة : الأولى - 1422هـ - 1428 هـ.
- 17: شرح حدود ابن عرفة- لأبي عبد الله محمد الأنصاري الرصاع- تحقيق: محمد أبو الاجفان، الطاهر المعمور- دار الغرب الإسلامي- بيروت- لبنان- الطبعة الأولى- 1993م.
- 18: الصحاح - للجوهري- تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار- دار العلم للملايين - بيروت- الطبعة: الرابعة 1407 هـ - 1987 م.
- 19: صحيح البخاري- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان.

- 20: صحيح البخاري- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان.
- 21: فتح القدير- للكمال بن همام.
- 22: القاموس المحيط- للفيروزآبادي- مؤسسة الرسالة- بيروت.
- 23: لسان العرب- لابن منظور- تحقيق: عبد الله علي الكبير و محمد أحمد حسب الله و هاشم محمد الشاذلي- دار المعارف- القاهرة.
- 24: المبسوط- للسرخسي- دراسة وتحقيق: خليل محي الدين الميس- دار الفكر، بيروت، لبنان- الطبعة الأولى، 1421هـ 2000م.
- 25: مجموع الفتاوى- لابن تيمية- المحقق: أنور الباز - عامر الجزار- دار الوفاء- الطبعة: الثالثة - 1426 هـ - 2005 م
- 26: المحلى- لابن حزم- دار الفكر.
- 27: المستصفى في علم الأصول- لمحمد بن محمد الغزالي أبو حامد- دار الكتب العلمية - بيروت- الطبعة الأولى، 1413هـ- تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي.
- 28: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي- للفيومي- المكتبة العلمية - بيروت.
- 29: المعجم الوسيط - ابراهيم مصطفى- أحمد الزيات- حامد عبد القادر- محمد النجار- دار الدعوة- تحقيق: مجمع اللغة العربية.
- 30: معجم مقاييس اللغة- لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا- تحقيق: عبد السلام محمد هارون- دار الفكر- الطبعة: 1399هـ - 1979م.

- 31: المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل - لابن قدامة - دار الفكر - بيروت - الطبعة الأولى، 1405هـ.
- 32: الموافقات - للشاطبي - لأبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان - دار ابن عفان - الطبعة الأولى 1417هـ / 1997م.
- 33: الموطأ - للإمام مالك - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان.
- 34: نصب الراية لأحاديث الهداية - للزيلعي - تحقيق: محمد يوسف البنوري - دار الحديث - مصر - 1357هـ.
- 35: نهاية السؤل شرح منهاج الوصول - للإمام جمال الدين عبد الرحيم الإسنوي - دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان - الطبعة الأولى 1420هـ - 1999م.
- 36: نيل الأوطار - للشوكاني - دار ابن الهيثم - القاهرة - 2004م.

عناية العلماء الأعلام بعمدة الأحكام لعبد الغني المقدسي

إعداد: أ.مفتاح إمام صكو

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، أذى الأمانة، وبلغ الرسالة، ونصح الأمة، وكشف الله به الغمة، وجاهد في الله حق جهاده حتى أتاه اليقين، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه، ومن سار على نهجه، واتبع سنته إلى يوم الدين.

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ)⁽¹⁾. (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا)⁽²⁾. (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَفُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِغِ اللَّهُ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا)⁽³⁾.

أما بعد:

فلا تخفى مكانة السنة النبوية في الشريعة الإسلامية، فمكانتها كبيرة، ومنزلتها عظيمة، ودرجتها رفيعة، فهي مع القرآن الكريم مصدر للتشريع، ومنبع للإرشاد والهداية، قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: "تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ، لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا كِتَابَ اللَّهِ

(1) سورة آل عمران، الآية 102.

(2) سورة النساء، الآية 1.

(3) سورة الاحزاب، الإيتان 70 - 71.

وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ⁽¹⁾، وعلوم السنة من أشرف العلوم عند الله تعالى بعد القرآن الكريم، وذلك لتعلقها بأقوال الرسول -صلى الله عليه وسلم- وأفعاله وتقاريراته وأحواله.

ولذلك نجد أن جهود العلماء توجهت لخدمتها قديما وحديثا، بجمعها، ودراستها، وشرحها، وبيان الأحكام المستنبطة منها، ومن العلوم التي ظهرت فقه الحديث، وهو ما يسمى بأحاديث الأحكام وشرحها، بل هي الأساس في بناء الأحكام الفقهية؛ لأنه في الغالب لا يمكن الوقوف على الحكم الشرعي إلا بعد الرجوع إلى نصوص السنة النبوية المطهرة، ومن أبرز ما صنف في أحاديث الأحكام كتاب عمدة الأحكام للحافظ عبد الغني المقدسي الذي يعد من أكثرها تداولاً وأوسعها انتشاراً، وقد حظي باهتمام كبير من قبل العديد من العلماء على اختلاف مذاهبهم وأقطارهم، فمنهم من سعى إلى تصحيحه مما لحقه من أغلاط، حرصاً منهم على أن يخرج الكتاب تاماً، خالياً من الخطأ، ومنهم من أقبل عليه شرحاً لمتنته، ومنهم من اكتفى باستخراج غريب ألفاظه، ومنهم من نبه على بدائع النكت من إعرابه، ومنهم من أفرد أسماء رجاله، ومنهم من وضع تعليقا عليه، ومنهم من قام بنظمه، إلى غير ذلك من الأعمال التي قامت عليه.

أهمية البحث: تظهر أهمية البحث من خلال شهرة الكتاب في أحاديث الأحكام، وبيان الجهود التي بذلها العلماء للاهتمام بهذا الكتاب القيم منذ بدأت الأعمال عليه إلى يومنا هذا من شرح وتعليق، وتحقيق واختصار ونظم، سواء كانت هذه الأعمال مكتوبة أو غير مكتوبة، ومن خلال شهرة المؤلف، وسعة علمه، ومكانته في الحديث وعلومه.

أسباب اختيار الموضوع: تتلخص أسباب اختيار هذا الموضوع في الأسباب الآتية:

(1) أخرجه الإمام مالك في الموطأ 899/2 كتاب القدر، باب النهي عن القول بالقدر، رقم الحديث(1594).

- 1- كون البحث يتعلق بسنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي، التي لها مكانة كبيرة، ومنزلة عظيمة في نفوس المسلمين.
 - 2- أن دراسة أحاديث الأحكام تربي عند الطالب الملكة الفقهية، وتعرفه كيف وصل العلماء إلى الأحكام من أدلتها؟
 - 3- بيان الأعمال المكتوبة وغير المكتوبة التي قامت على كتاب عمدة الأحكام.
- الدراسات السابقة:**

اطلعت على عدد من الدراسات السابقة لها صلة قريبة بموضوع البحث، منها:

- 1 - الإعلام بالكتب المؤلفة في أحاديث الأحكام، جمع: أبي يعلى البيضاوي.
- ذكر الباحث في هذه الدراسة واحدا وعشرين شرحا من شروح عمدة الأحكام مبينا فيها مؤلفه، ومحققه، وطبعاته، إن تيسر له ذلك.
- 3 - أحاديث الأحكام وأشهر مؤلفاتها، إعداد: محمد سليمان الفرا، عرف الباحث في هذه الدراسة بأحاديث الأحكام، وذكر أربعة من أشهر كتب أحاديث الأحكام.
- 4 - كتب أحاديث الأحكام جمع ودراسة بلوغ المرام نموذجا، إعداد: عبد الله بن سفر عبادة العبدلي الغامدي، ذكر الباحث عشرين مصنفا على عمدة الأحكام ما بين شروح مطبوعة، وعددها اثنا عشر شرحا، وشروح مخطوطة، وعددها ثمانية شروح، مبينا فيها مؤلفه، وسنة طبعه، ومكان الطبع إن كان مطبوعا، ومحققه إن كان محققا، ونبذة في أسطر عن الشرح كلما تيسر له ذلك⁽¹⁾.
- 5- جهود العلماء في بلوغ المرام من أدلة الأحكام، إعداد: د. علي محمد افريو.

(1) هناك من الشروح ما ذكره مخطوطا، وهو الآن مطبوع مثل: رياض الأفهام في شرح عمدة الأحكام للفاكهاني.

انحصر عمل الباحث في الأعمال التي قامت على بلوغ المرام، وهذا البحث يتعلق بعمدة الأحكام.

والجديد في هذا البحث:

1 - أنه أكثر مما سبق استقصاء للأعمال التي قامت على عمدة الأحكام.
2 - إظهار طريقة تصنيف الأعمال التي قامت على الكتاب من شرح وتعليق ونظم واختصار.

3 - إيراد الأعمال التي قامت مؤخرا بعد تلك الدراسات مكتوبة أو غير مكتوبة.
منهج البحث: اتبعت في هذا البحث المنهج الوصفي الاستقرائي، حيث قمت باتباع الأعمال التي قامت على كتاب عمدة الأحكام مقسما إياها تاريخيا أو موضوعيا أو ألفبائيا على حسب ما يتطلبه البحث.

خطة البحث: يشتمل البحث على مقدمة، ومبحث تمهيدي، ومبحثين، وخاتمة، وذلك على النحو الآتي:

المقدمة: وتشتمل على أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وخطته.

المبحث التمهيدي: وفيه التعريف بأحاديث الأحكام، وأشهر الكتب المؤلفة في أحاديث الأحكام.

المبحث الأول: التعريف بمؤلف عمدة الأحكام ومصنّفه.

وفيه مطلبان: المطلب الأول: التعريف بمؤلف عمدة الأحكام الحافظ عبد الغني المقدسي المطلب الثاني: التعريف بكتاب عمدة الأحكام.

المبحث الثاني: عناية طلبة العلم والعلماء بعمدة الأحكام.

وفيه مطلبان: المطلب الأول: الأعمال المكتوبة.

المطلب الثاني: الأعمال غير المكتوبة.

الخاتمة: وذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها، وضمنتها التوصيات التي رأيت الحاجة ماسة إلى ذكرها، وأخيرا ثبت المصادر والمراجع.

المبحث التمهيدي: تعريف أحاديث الأحكام وأشهر الكتب المصنفة فيها يحتوي هذا المبحث على تعريف أحاديث الأحكام في المطلب الأول، وعلى أشهر الكتب المؤلفة في أحاديث الأحكام في المطلب الثاني.

المطلب الأول: تعريف أحاديث الأحكام

تنوعت كتب السنة النبوية بحسب أغراض مؤلفيها، فمنهم من أَلَّف في الصحيح المجرّد كالبخاري ومسلم وغيرهما، ومنهم من أَلَّف في السنن كأبي داود والترمذي وغيرهما، ومنهم من أَلَّف في المسانيد كأحمد والبخاري وأبي يعلى وغيرهم، ومنهم من أَلَّف في المعاجم كالطبراني، ومنهم من أَلَّف في المصنفات كعبد الرزاق الصنعاني وابن أبي شيبة، ومنهم من أَلَّف في المستدرجات كالحاكم إلى غير ذلك من أنواع التأليف.

ومن المؤلفات الحديثية التأليف في أحاديث الأحكام، وهي الكتب التي اشتملت على أحاديث الأحكام فقط، وهي أحاديث انتقاها مؤلفوها من المصنفات الحديثية الأصول، ورتبها بحسب الأبواب الفقهية مع اختصارها، وذلك بحذف أسانيدها، تسهيلا وتيسيرا لحفظها، وتقريبها للفقهاء الذين يعتنون باستنباط الأحكام الشرعية، والنظر في المسائل الفقهية، ومن أراد الإسناد فعليه الرجوع إلى الكتب الأصلية التي انتقبت منها هذه الأحاديث، أما تعريف أحاديث الأحكام فأقول: الأحاديث: جمع حديث، وهو في اللغة: نقيض القديم، والحديث: الخبر، يأتي على القليل والكثير؛ وجمع حديث أحاديث على غير قياس، قال الفراء (ت 207 هـ): واحد الأحاديث أحدثه، ثم جعل جمعا للحديث⁽¹⁾، والمعنى الثاني هو المراد عند المحدثين.

(1) انظر الصحاح (حدث) ص 301/2.

والحديث في اصطلاح المحدثين: ما أضيف إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - من قول، أو فعل، أو تقرير، أو صفة⁽¹⁾.

والأحكام لغة: جمع حكم، والحكم في اللغة: القضاء، وأصله المنع، يقال: حكمت عليه بكذا، إذا منعته من خلافه⁽²⁾.

وفي الاصطلاح الشرعي: هو الخطاب المتعلق بأفعال المكلفين بالاقتضاء أو التخيير أو الوضع⁽³⁾.

وتعرف أحاديث الأحكام باعتبارها مركبا إضافيا بأنها: الأحاديث النبوية المتعلقة بالأحكام الشرعية العملية⁽⁴⁾ أما تعريفها باعتبارها علما فقد عرفها بعضهم بأنها: الأحاديث النبوية الصحيحة أو الحسنة التي يمكن بصحيح النظر فيها الوصول إلى حكم شرعي عملي⁽⁵⁾.

ويمكن تعريفها بأنها الأحاديث التي انتقيت من المصنفات الحديثية الأصول، ورتبت على أبواب الفقه، وأما تعريف كتب أحاديث الأحكام في اصطلاح المحدثين فهي: الكتب التي اشتملت على أحاديث الأحكام فقط، وهي أحاديث انتقاها مؤلفو هذه الكتب من المصنفات الحديثية الأصول، ورتبوها على أبواب الفقه⁽⁶⁾.

(1) انظر معجم لسان المحدثين 134/5

(2) انظر المصباح المنير (حكم) ص 78.

(3) إرشاد الفحول 25/1

(4) أحاديث الأحكام وأشهر مؤلفاتها، ص 2.

(5) المرجع نفسه.

(6) تدوين السنة النبوية نشأته وتطوره من القرن الأول إلى نهاية القرن التاسع الهجري، ص 212.

المطلب الثاني: أشهر الكتب المصنفة في أحاديث الأحكام: الكتب المصنفة في أحاديث الأحكام⁽¹⁾ كثيرة ومتنوعة، وسأذكر أشهرها مرتبة حسب وفيات أصحابها:

- 1- سنن ابن ماجه، لابن ماجه أبي عبد الله محمد بن يزيد القزويني، المتوفى سنة 273هـ.
- 2- سنن أبي داود، لأبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، المتوفى سنة 275هـ.
- 3- سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى بن سؤرة بن موسى الترمذي، المتوفى سنة 279هـ.
- 4- سنن النسائي، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب الخراساني النسائي، المتوفى سنة 303هـ.
- 5 - الأحكام الصغرى، للشيخ عبد الحق الإشبيلي، المتوفى سنة 582هـ.
- 6 - الأحكام الوسطى، للشيخ عبد الحق الإشبيلي.
- 7 - الأحكام الكبرى، للشيخ عبد الحق الإشبيلي.
- 8 - عمدة الأحكام، للإمام الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي الدمشقي، المتوفى سنة 600هـ.
- 9 - السنن والأحكام عن المصطفى عليه أفضل الصلاة والسلام، لضياء الدين المقدسي محمد ابن عبد الواحد بن أحمد بن عبد الرحمن السعدي، المتوفى سنة 643هـ.
- 10 - الأحكام الكبرى، للإمام الحافظ أبي البركات مجد الدين عبد السلام بن عبد الله بن الخضر المعروف بابن تيمية الحنبلي، المتوفى سنة 652 هـ.
- 11- منتقى الأخبار في أحاديث الأحكام، للإمام الحافظ أبي البركات مجد الدين عبد السلام بن عبد الله بن الخضر المعروف بابن تيمية الحنبلي، المتوفى سنة 652هـ.

(1) للمزيد من الكتب المصنفة في أحاديث الأحكام انظر الرسالة المستطرفة لبنيان مشهور كتب السنة المشرفة، ص 180 وما بعدها، وتدوين السنة النبوية نشأته وتطوره من القرن الأول إلى نهاية القرن التاسع الهجري، ص212.

- 13 - الإمام في بيان أدلة الأحكام، لعز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، المتوفى سنة 660هـ.
- 14 - غاية الإحكام في أحاديث الأحكام، للإمام المحب الطبري أبي العباس أحمد بن عبد الله بن محمد الطبري، المتوفى سنة 694هـ.
- 15 - الإمام في أحاديث الأحكام، للإمام محمد بن علي بن دقيق العيد، المتوفى سنة 702هـ.
- 16 - مختصر الإمام في أحاديث الأحكام، للإمام محمد بن علي بن دقيق العيد.
- 17 - المحرر في أحاديث الأحكام، للحافظ شمس الدين محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي المعروف بابن عبد الهادي، المتوفى سنة 744هـ.
- 18 - تقريب الأسانيد وترتيب المسانيد، لأبي الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن المعروف بالحافظ العراقي، المتوفى سنة 806هـ.
- 19 - بلوغ المرام من أدلة الأحكام، للحافظ أحمد بن علي بن محمد بن محمد بن علي بن أحمد ابن حجر العسقلاني، المتوفى سنة 852هـ.
- 20- المختصر في أحاديث الأحكام، للشيخ يوسف بن عبد الهادي المقدسي الحنبلي المعروف بابن المبرد، المتوفى سنة 904هـ.
- 21 - الإعلام بأحاديث الأحكام، للشيخ أبي يحيى زكريا بن محمد بن أحمد الأنصاري، المتوفى سنة 925هـ.
- 22 - مجموعة الحديث على أبواب الفقه، للشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدي، المتوفى سنة 1206هـ.
- 23 - منتهى الإمام بأحاديث الأحكام، للشيخ محمد بن صالح حريوة السماوي، المتوفى سنة 1241هـ.

24 - فتح الغفار الجامع لأحكام سنة نبينا المختار وأصحابه الأخيار في أحاديث الأحكام، للشيخ حسن بن أحمد بن يوسف الرباعي، المتوفى سنة 1276هـ.

المبحث الأول: التعريف بالحافظ عبد الغني المقدسي ومصنفه

أتناول في هذا المبحث التعريف بالحافظ عبد الغني المقدسي في المطلب الأول، والتعريف بكتابه عمدة الأحكام في المطلب الثاني.

المطلب الأول: التعريف بالحافظ عبد الغني المقدسي

يعد الحافظ عبد الغني المقدسي علما من أعلام الأمة الإسلامية، فهو أشهر من أن يُعرف به، أو يترجم له، ولكن سأقتصر على ترجمة موجزة له تناسب المقام.

و بمناسبة الحديث عن ترجمته فإن الحافظ ضياء الدين أبا عبد الله المقدسي قد جمع سيرته في جزأين، ساق منها الذهبي في (سير أعلام النبلاء) جملة وافرة⁽¹⁾.

أولاً: اسمه ولقبه وكنيته ونسبه

اسمه: هو الإمام العالم الحافظ تقي الدين أبو محمد عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور بن رافع بن حسن بن جعفر الجماعيلي المقدسي الدمشقي الحنبلي⁽²⁾.

لقبه: تقي الدين.

كنيته: أبو محمد.

نسبه: الجماعيلي المقدسي الدمشقي الحنبلي.

الجماعيلي: نسبة إلى جماعيل، وهي قرية في جبل نابلس من أرض فلسطين⁽³⁾.

(1) انظر سير أعلام النبلاء 444/21.

(2) انظر ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب 1/3، 2، وسير أعلام النبلاء 444/21، والنجوم

الزاهرة 185/6، ومعجم المؤلفين 275/5.

(3) انظر معجم البلدان 159/2.

المقدسي: نسبة إلى القدس؛ لقب جماعيل منها⁽¹⁾.

الدِّمَشْقِيُّ: نسبة إلى دمشق، البلدة المشهورة قسبة الشام⁽²⁾، عاصمة الجمهورية العربية السورية.

الحَنْبَلِيُّ: نسبة إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل (ت 241هـ).

ثانيا: مولده

ولد الحافظ نقي الدين بجماعيل في شهر ربيع الآخر سنة إحدى وأربعين وخمسمائة، قال الحافظ ضياء الدين أبو عبد الله المقدسي: أظنه في ربيع الآخر من السنة؛ لما حدثتني والدتي قالت: الحافظ أكبر من أخي الموفق بأربعة أشهر، ومولد الموفق في شعبان من السنة المذكورة، وهما ابنا خالة.

وقال المنذري: ذكر عنه أصحابه ما يدل على أن مولده سنة أربع وأربعين وخمسمائة. وكذا ذكر ابن النجار في تاريخه: أنه سأل الحافظ عبد الغني عن مولده، فقال: إما في سنة ثلاث، أو في سنة أربع وأربعين وخمسمائة، والأظهر أنه في سنة أربع⁽³⁾.

ثالثا: شيوخه

اتسعت دائرة شيوخ الحافظ لاتساع البلاد والعلوم التي تلقاها وبرز فيها، فله في كل فن ومصر شيوخ بارزون، فسمع بدمشق من أبي المعالي بن صابر (ت 576هـ)، وأبي عبد الله بن حمزة بن أبي جميل القرشي (ت 580هـ)، وأبي المكارم بن هلال (ت 597هـ)، وغيرهم، ثم رحل إلى بغداد سنة إحدى وستين، فسمع من الشيخ عبد القادر

(1) انظر المرجع نفسه 160/2.

(2) انظر المرجع نفسه 463/2.

(3) انظر ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب 3/2، 3، وسير أعلام النبلاء 444/21، والنجوم

الزاهرة 185/6، ومعجم المؤلفين 275/5.

الجيلي (ت 561هـ)، وهبة الله بن هلال الدقاق (ت 562هـ)، وابن المني (ت 583هـ)، وغيرهم، وسمع بالإسكندرية من الحافظ السلفي (ت 576هـ)، وأكثر عنه، حتى قيل: لعله كتب عنه ألف جزء، وسمع من غيره أيضا، وسمع بمصر من أبي محمد بن بري النحوي (ت 582هـ)، وجماعة، وبأصبهان من الحافظ: أبي موسى المدني (ت 581هـ)، وغيره، وسمع بالموصل من خطيبها أبي الفضل الطوسي (ت 613هـ)، وطائفة⁽¹⁾.

رابعاً: تلاميذه :

للحافظ عبد الغني مكانة علمية مرموقة في كثير من العلوم، لا سيما في الحديث وعلومه، فقد حدث بأكثر البلاد التي دخلها كبغداد ودمشق ومصر ودمياط، فسمع الحديث منه خلق كثير، ومن أشهر من أخذ عنه: ولده أبو الفتح، وأبو موسى، وعبد القادر الرهاوي، والشيخ موفق الدين، والحافظ الضياء، وابن خليل، والفقهاء اليوناني، ويعيش بن ریحان الفقيه، وأحمد بن عبد الدائم، وعثمان بن مكي الشارعي، وأحمد بن حامد الأرتاحي، وإسماعيل بن عزون، وعبد الله بن علاف، ومحمد بن مهلهل الحسيني، وأحمد بن أبي الخير سلامة الحداد⁽²⁾.

خامساً: آثاره العلمية

صنف الحافظ كثيراً من المؤلفات في فنون مختلفة، وكان ميله إلى علوم الحديث أقرب، فقد ذكر ابن النجار في تاريخه: أنه حدث بالكثير، وصنف تصانيف حسنة في الحديث، وكان غزير الحفظ، من أهل الإتقان والتجويد، فيما بجميع فنون الحديث، عارفاً

(1) انظر نيل طبقات الحنابلة لابن رجب 3/ 3-5، وسير أعلام النبلاء 445/21.

(2) انظر نيل طبقات الحنابلة لابن رجب 49/3

بقوانينه، وأصوله وعلله، وصحيحه وسقيمه، وناسخه ومنسوخه، وغريبه، وشكله، وفقهه، ومعانيه، وضبط أسماء رواته، ومعرفة أحوالهم⁽¹⁾.

وسأذكر بعضاً من مصنفاته مرتباً إياها ترتيباً ألفبائياً:

1 - الآثار المرضية في فضائل خير البرية.

2 - الأحكام على أبواب الفقه.

3 - الأربعين من كلام رب العالمين.

4 - اعتقاد الإمام الشافعي.

5 - الاقتصاد في الاعتقاد.

6 - الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

7 - تحفة الطالبين في الجهاد والمجاهدين.

8 - الترغيب في الدعاء.

9 - الجامع الصغير لأحكام البشير النذير.

10 - الذكر.

11 - ذم الرياء.

12 - الروضة.

13 - سيرة النبي صلى الله عليه وسلم.

14 - الصفات.

15 - عمدة الأحكام مما اتفق عليه البخاري ومسلم.

16 - غنية الحفاظ في تحقيق مشكل الألفاظ.

17 - الفرج.

(1) انظر نيل طبقات الحنابلة لابن رجب 3 / 10، 11.

18 - فضائل رمضان.

19 - فضائل مكة.

20 - الكمال في معرفة الرجال، يشتمل على رجال الصحيحين وأبي داؤد والترمذي والنسائي وابن ماجه.

21 - محنة الإمام أحمد.

22 - المصباح في عيون الأحاديث الصحاح، يشتمل على أحاديث الصحيحين.

23 - من صبر ظفر.

24 - النصيحة في الأدعية الصحيحة.

25 - نهاية المراد من كلام خير العباد (1).

سادسا: ثناء العلماء:

أثنى على الحافظ المقدسي بعض من أهل العلم، من ذلك أبو محمد عبد العزيز بن عبد الملك الشيباني قال: سمعت التاج الكندي - يعني: أبا اليمن - يقول: لم يكن بعد الدارقطني مثل الحافظ عبد الغني.

وأبو التاء محمود بن همام الأنصاري قال: سمعت التاج الكندي يقول: لم ير الحافظ - يعني: عبد الغني - مثل نفسه.

وذكر ابن النجار عن يوسف بن خليل، قال: قال تاج الدين الكندي: رأيت ابن ناصر والحافظ أبا العلاء الهمداني وغيرهما من الحفاظ. ما رأيت أحفظ من عبد الغني المقدسي (2).

(1) انظر ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب 24-26، وسير أعلام النبلاء 447/21، 448.

(2) انظر ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب 7/3، 8، وسير أعلام النبلاء 449/21، والنجوم

الزاهرة 185/6.

ورثاه غير واحد، منهم الإمام أبو عبد الله محمد بن سعد المقدسي الأديب بقصيدة طويلة، أولها:

هَذَا الَّذِي كُنْتَ يَوْمَ الْبَيْنِ أَحْتَسِبُ ... فليقبضْ دمعي عنك بَعْضَ مَا يَجِبُ
يا سائرينِ إِلَى مِصرِ بَرِّكُمْ ... رَفَقًا عَلَيَّ، فَإِنِ الْأَجْرُ مَكْتَسِبُ
قَالُوا لَسَاكِنِهَا: حُبَيْتُ مَنْ سَكَنُ ... يا مَنِيَةَ النَّفْسِ، مَاذَا الصَّدِّ وَالغَضَبِ؟
بِالشَّامِ قَوْمٌ وَفِي بَغْدَادٍ قَدْ أَسَفُوا ... لا الْبَعْدَ أُخْلِقُ بِلِوَاهِمِ وَلَا الْحَقْبِ
قَدْ كُنْتُ بِالْكَتَبِ أَحْيَانًا تَعَلَّلُهُمْ ... فَالْيَوْمَ لَا رَسْلَ تَأْتِي وَلَا كِتَابٌ⁽¹⁾.

سابعاً: وفاته: توفي الحافظ -رحمه الله- يوم الإثنين الثالث والعشرين من شهر ربيع الأول سنة ستمائة، وبقي ليلة الثلاثاء في المسجد، واجتمع الغد خلق كثير من الأئمة والأمراء ما لا يحصيهم إلا الله عز وجل، ودفن يوم الثلاثاء بالقرافة⁽²⁾.

المطلب الثاني: التعريف بعمدة الأحكام

أولاً: اسم الكتاب وكيفية ترتيبه اسم الكتاب: جاء اسم الكتاب بتسميات عدة، منها: الأحكام الصغرى⁽³⁾ وعمدة الأحكام من كلام خير الأنام صلى الله عليه وسلم⁽⁴⁾ والعمدة

(1) انظر ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب 45/3.

(2) انظر المصدر نفسه 44/3.

(3) انظر ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب 25/3، وسير أعلام النبلاء 448/21.

(4) جاءت هذه التسمية في طبعة دار الثقافة العربية، دمشق - بيروت، سنة 1408هـ - 1988م، بتحقيق: محمود الأرناؤوط.

في الأحكام في معالم الحلال والحرام عن خير الأنام محمد عليه الصلاة والسلام⁽¹⁾، وعمدة الأحكام مما اتفق عليه البخاري ومسلم⁽²⁾.

ترتيب الكتاب: اتبع الحافظ عبد الغني المقدسي - رحمه الله - في ترتيبه لكتابه الترتيب الفقهي، فقسمه إلى كتب وأبواب، حيث بدأ كتابه بكتاب الطهارة، فالصلاة، فالجنائز، فالزكاة، وهكذا إلى آخر الكتب والأبواب الفقهية، ثم ختمه بكتاب العتق.

وقد احتوى الكتاب على تسعة عشر كتاباً تضمنت داخلها عدداً من الأبواب، وتجدر الإشارة إلى أن هناك سبعة كتب لا تحتوي على أبواب وهي الجنائز، واللعان، والرضاع، والقصاص، والأشربة، واللباس، والجهاد.

ثانياً: سبب تأليفه: قال المصنف في مقدمته بعد الحمدلة والصلاة والسلام على نبيه ورسوله محمد وآله وصحبه: " فإن بعض إخواني سألني اختصار جملة في أحاديث الأحكام، مما اتفق عليه الإمامان: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، ومسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري، فأجبتة إلى سؤاله رجاء المنفعة به "⁽³⁾.

محتوى الكتاب: يحتوي هذا الكتاب على نخبة من أحاديث الأحكام منتقاة من أصح آثار النبي - صلى الله عليه وسلم - اختارها المؤلف من صحيحي البخاري ومسلم، ورتبها على الأبواب الفقهية؛ لتكون عوناً على أخذ المسائل من أدلتها الصحيحة.

ثالثاً: مزايا عمدة الأحكام كتاب عمدة الأحكام له مزايا عدة، من أبرزها:

(1) ورد هذا الاسم في طبعة دار الجبل، سنة 1991م، بتحقيق الشيخ أحمد بن محمد شاعر

المصري.

(2) انظر الإعلام بفوائد عمدة الأحكام 24/1.

(3) عمدة الأحكام، ص 29.

1 - أنه كتاب فقه وحديث، فهو كتاب فقه؛ لأن المؤلف -رحمه الله- رتبّه على الأبواب الفقهية ابتداء بالطهارة، ثم الصلاة وبقية العبادات، ثم المعاملات والنكاح والجنائيات، ثم ختم مصنّفه بكتاب العتق، وهو كتاب حديث؛ لأن صاحبه ذكر فيه الأدلة من السنة.

2 - أحاديثه في أعلى مراتب الحديث الصحيح، مما اتفق عليه الإمامان البخاريّ ومسلم في صحيحيهما.

3 - سهّل على طلبة العلم حفظ ودراسة مجموعة من أحاديث الأحكام .

4 - أن متونه من المتون المعتمد عليها عند أهل العلم، وأنها مختصرة وموجزة⁽¹⁾.

رابعاً: مصادر الحافظ في عمدة الأحكام: انتقى عبد الغني المقدسي كتابه من الجامع الصحيح للإمام البخاري، والجامع الصحيح للإمام مسلم كما صرح بذلك في مقدمة كتابه بقوله: " فإن بعض إخواني سألني اختصار جملة في أحاديث الأحكام، مما اتفق عليه الإمامان: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري، ومسلم بن الحجاج بن مسلم القشيريّ، فأجبتّه إلى سؤاله رجاء المنفعة به "⁽²⁾ وذكر نظر محمد الفاريابي - في مقدمة تحقيقه لهذا الكتاب الصادرة عن دار طيبة للنشر والتوزيع، سنة 1423هـ- أن من أهم المصادر عند المؤلف كتاب الجمع بين الصحيحين للحميدي⁽³⁾.

خامساً: ثناء العلماء على عمدة الأحكام: أثنى الزركشي على عمدة الأحكام بقوله: " وقد طار في الخافقين ذكره، وذاع بين الأئمة نشره، واعتنى الناس بحفظه وتفهمه، وأكبوا على تعليمه وتعلمه، لا جرم اعتنى الأئمة بشرحه، وانتدبوا لإبراز معانيه عن سهام قدحه "⁽⁴⁾.

(1) انظر متن عمدة الأحكام من كلام خير الأنام صلى الله عليه وسلم، ص2.

(2) عمدة الأحكام، ص29.

(3) انظر مقدمة المحقق، ص8.

(4) متن عمدة الأحكام من كلام خير الأنام صلى الله عليه وسلم، ص2.

سادسا: طبعات عمدة الأحكام

طبع هذا الكتاب طبعات كثيرة، منها:

1. طبعة مطبعة المنار بمصر، سنة (1342هـ)، باعتناء الشيخ محمد رشيد رضا ضمن مجموعة الحديث النجدية.
 2. طبعة مطبعة السنة المحمدية، سنة (1371هـ)، بتحقيق الشيخ محمد حامد الفقي.
 3. طبعة دار المعارف في مصر، سنة (1373هـ)، بتصحيح الشيخ أحمد محمد شاكر.
 4. طبعة المطبعة السلفية في مصر، سنة (1376هـ)، باعتناء الشيخ محب الدين الخطيب.
 5. طبعة دار المأمون للتراث، سنة (1405هـ)، بتحقيق الشيخ محمود الأرنؤوط.
 6. طبعة مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، سنة (1419هـ-1998م)، بتحقيق: سمير بن أمين الزهيري.
 7. طبعة دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، سنة (1423هـ)، بتحقيق نظر محمد الفاريابي، وطبع عدة مرات.
 8. طبعة المطبع الأنصاري بداهلي في الهند ضمن مجموعة الحديث النجدية⁽¹⁾.
- المبحث الثاني عناية طلبة العلم والعلماء بعمدة الأحكام: تناولت في هذا المبحث الأعمال التي قامت على الكتاب، فذكرت ما وقفت عليه، ولا أدعي حصرها واستقصاءها، وسأتناول هذا المبحث في مطلبين: الأعمال المكتوبة في المطلب الأول، والأعمال غير المكتوبة في المطلب الثاني.

(1) انظر كتب أحاديث الأحكام، ص29، 30،

المطلب الأول : الأعمال المكتوبة

على كتاب عمدة الأحكام شروح كثيرة جداً، منها ما هو مطبوع ، ومنها ما هو مخطوط أو مفقود، وسأذكر في المطبوع -حسب علمي- دار الطبع، وسنة النشر، وعدد الصفحات، والمحقق، كلما تيسر ذلك. وقمت في هذا المطلب بترتيب الشروح حسب تاريخ وفاة مؤلفيها، وقسمت الشروح لكثرتها إلى قديمة وحديثة ومعاصرة، وأقصد بالشروح القديمة ما كانت قبل سنة الألف من الهجرة، والشروح الحديثة ما بعد سنة الألف من الهجرة، ثم الشروح المعاصرة ما كانت في وقتنا الحاضر .

أولاً: الشروح

أ. الشروح القديمة:

1- إحكام الأحكام في شرح أحاديث سيد الأنام، لإسماعيل بن أحمد بن سعيد عماد الدين بن تاج الدين بن الأثير (ت 699هـ)، علق به على عمدة الأحكام في مجلدين، فقد قرأ على الشيخ ابن دقيق العيد، ثم شرحه إملاءً، والكتاب لا يزال مخطوطاً، وقيل: سماه "عمدة الأفهام في شرح أحاديث سيد الأنام"⁽¹⁾.

2- إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، للإمام الحافظ تقي الدين بن دقيق العيد (ت 702هـ)⁽²⁾، شرح فيه كتاب العمدة للإمام المقدسي شرحاً وافياً، وذلك بإملائه على تلاميذه، ومنهم الوزير عماد الدين بن الأثير الحلبي، وعليه شروحات وتعليقات فقهية قيمة، طبع هذا الشرح عدة طبعات، منها: طبعة دار عالم الفكر بالقاهرة، التي خرج أحاديثها وعلق عليها: طه سعد ومصطفى الهوارى، في جزأين في مجلد واحد، وطبعة المطبع الأنصاري بدهلي سنة 1313هـ في مجلد، وطبعة محمد منير الدمشقي في مصر

(1) انظر الوافي بالوفيات 9 / 56، وكشف الظنون 2 / 1164، والأعلام 309/1،

ومعجم المؤلفين 2/259، و <http://majles.alukah.net/t2424-2/>

(2) انظر الأعلام 6 / 283.

سنة 1342هـ في مجلدين، وقد صدرت هذه الطبعة في دار الكتب العلمية في بيروت، كما طبع في مطبعة السنة المحمدية في مجلدين سنة 1372هـ بتحقيق ومراجعة الشيخين محمد حامد الفقي، وأحمد محمد شاكِر، وهي من أحسن طبعاته، وطبعته مؤسسة الرسالة، بتحقيق: مصطفى شيخ مصطفى ومدثر سندس، سنة 1426هـ - 2005م⁽¹⁾.

3- إحكام شرح عمدة الأحكام، لعلي بن إبراهيم بن داود بن سلمان بن سليمان، أبو الحسن علاء الدين بن العطار (ت 724هـ)⁽²⁾، أخذ شرح ابن دقيق العيد وزاد عليه من شرح مسلم للنووي فوائد أخر حسنة⁽³⁾، والكتاب طبعته دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، سنة 1427 هـ - 2006 م، في ثلاثة أجزاء، بعنوان العدة في شرح العمدة في أحاديث الأحكام، باعتناء الشيخ نظام محمد صالح يعقوبي.

4- العدة شرح العمدة، لعبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن البغدادي المالكي المعروف بابن عساكر (ت 732هـ)⁽⁴⁾.

5- رياض الأفهام في شرح عمدة الأحكام، لعمر بن علي بن سالم بن صدقة اللخمي الإسكندري الفاكهاني (ت 734هـ)⁽⁵⁾، حقق جزء من الكتاب في جامعة المرقب بكلية الآداب قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية، بتحقيق عبد المطلب سالم قنباشة، من أول الكتاب حتى نهاية كتاب الطهارة في جزأين، وعدد صفحاته 639 صفحة، قدم هذا

(1) انظر الإعلام بالكتب المؤلفة في أحاديث الأحكام، ص15، وكتب أحاديث الأحكام، ص30، ولمحات في المكتبة والبحث والمصادر، ص195، والدليل إلى المتون العلمية، ص262، و

<https://download-islamic-religion-pdf-ebooks.com/7610-free-book>

(2) انظر الأعلام 251/4.

(3) طبقات الشافعية، لابن قاضي شهبة 271/2.

(4) انظر معجم المؤلفين 176/5.

(5) انظر بغية الوعاة 221/2، وهدية العارفين 418/1، والأعلام 56/5.

التحقيق لنيل درجة الإجازة العالية (الماجستير) العام الجامعي 2006-2007م. وطبع الكتاب طبعتين: الأولى في دار ابن حزم، بيروت - لبنان سنة 1430هـ - 2009م، في ثلاثة مجلدات، وتضمن كتاب الطهارة والصلاة فقط، بتحقيق: شريفة العمري، والطبعة الثانية كاملة محققة على ثلاث نسخ خطية في خمسة مجلدات، سنة 1431هـ - 2010م في دار النوادر - سوريا ولبنان، بتحقيق ودراسة: نور الدين طالب بالتعاون مع لجنة مختصة من المحققين.

6- عدة الأفهام في شرح عمدة الأحكام، لعلي بن محمد بن إبراهيم الشحي علاء الدين المعروف بالخازن المفسر (ت741هـ)⁽¹⁾.

7- شرح العمدة ، لمحمد بن علي بن عبد الواحد الدكالي، ثم المصري (ت 763هـ) في ثمانية مجلدات⁽²⁾.

8- تيسير المرام شرح عمدة الأحكام، لمحمد بن أحمد بن محمد بن مرزوق العجيسي التلمساني (ت 781هـ)⁽³⁾، قال الحافظ ابن حجر العسقلاني: جمع فيه: بين كلام ابن دقيق العيد، وابن العطار، والفاكهاني وغيرهم⁽⁴⁾ طبع الكتاب الطبعة الأولى في مجلدين، وعدد صفحاته 1043 صفحة، بنشر دار ابن حزم - ومركز الإمام الثعالبي، سنة 1432هـ - 2011م، بتحقيق سعيدة بحوت؛ لنيل درجة الإجازة الدقيقة (الدكتوراه)⁽⁵⁾.

(1) انظر المصدر نفسه 5/5.

(2) انظر المصدر نفسه 6/286.

(3) انظر الأعلام 5/328، ومُعْجَم أعلام الجزائر ص 290.

(4) انظر كشف الظنون 2/1164.

(5) انظر <http://waqfeya.com/book.php?bid=9278>

9- الإعلام بفوائد عمدة الأحكام، لأبي حفص عمر بن علي بن أحمد الأنصاري الشافعي المعروف بابن الملقن (ت 804هـ)⁽¹⁾، وهو من أحسن مصنفاته، وقد توسع في الشرح توسعا واضحا، وطبع هذا الشرح عدة طبعات، منها: ما حققه وعلق عليه الشيخ عبد العزيز بن أحمد ابن محمد المشيخ، الطبعة الأولى سنة 1417هـ، ونشرته دار العاصمة في الرياض- المملكة العربية السعودية، صدر منه خمسة مجلدات إلى نهاية كتاب الصوم، وتمامه في ثلاثة عشر مجلدا، وطبع في دار الكتب العلمية بتحقيق محمد علي سمك، وعلي بن إبراهيم بن مصطفى، في خمسة مجلدات، وطبع في دار البشائر ببيروت في خمسة مجلدات، وقد قدم له كل من الشيخ صالح بن فوزان الفوزان، والشيخ بكر بن عبد الله أبو زيد، ثم خرج كاملاً في أحد عشر مجلداً⁽²⁾.

10- عدة الحكام في شرح عمدة الأحكام، لمحمد بن يعقوب بن محمد مجد الدين الشيرازي الفيروز آبادي (ت 817هـ)⁽³⁾.

11- شرح عمدة الأحكام عن سيد الأنام، لأحمد بن عبد الله بن بدر العامري الغزي الدمشقي (ت 822هـ) وصل فيه إلى باب الصداق، ومات عنه، فأتمه ابنه الشيخ محمد بن أحمد بن عبد الله رضي الدين أبو البركات الدمشقي الغزي (ت 864هـ)، وسمى كتابه باسم تمام شرح عمدة الأحكام⁽⁴⁾.

(1) انظر هدية العارفين 791/1، والأعلام 57/5.

(2) انظر الإعلام بالكتب المؤلفة في أحاديث الأحكام، ص16، وكتب أحاديث الأحكام، ص32، والدليل إلى المتون العلمية، ص262.

(3) انظر كشف الظنون 1164/2.

(4) انظر مقدمة تحقيق الفارياي لعمدة الأحكام، ص22،

و/ <http://majles.alukah.net/t2424-2/>

- 12- شرح عمدة الأحكام، لإسماعيل بن أبي الحسن بن علي البرماوي (ت 834هـ)⁽¹⁾.
 13- غاية الإلهام في شرح عمدة الأحكام، لمحمد بن عمار بن محمد (ت 844هـ)، في ثلاثة مجلدات⁽²⁾.

- 14- فتح السلام شرح عمدة الأحكام، للحافظ ابن حجر العسقلاني مأخوذ من كتابه فتح الباري، جمعه وهذبه وحققه: أبو محمد عبد السلام بن محمد العامر، في سبعة أجزاء⁽³⁾.
 15- عدة الحكام في شرح عمدة الأحكام، لعبد الوهاب بن محمد بن حسن بن أبي الوفا العلوي الحسيني (ت 875هـ)⁽⁴⁾.

ب. الشروح الحديثة:

- 1- شرح عمدة الأحكام للمقدسي، لأحمد بن يوسف بن محمد بن يوسف، أبي العباس الفهري القصري الفاسي (ت 1021هـ)⁽⁵⁾.
 2- كشف اللثام شرح عمدة الأحكام، لمحمد بن أحمد بن سالم بن سليمان السفاريني النابلسي الحنبلي (ت 1188هـ)⁽⁶⁾، وهو من أوسع شروح الكتاب، وقد طبع في سبعة مجلدات في دار النوادر - سوريا، سنة 1428هـ - 2007م، اعتنى به تحقيقاً وضبطاً وتخريجاً: نور الدين طالب.

(1) انظر مقدمة تحقيق الفارياي لعمدة الأحكام، ص 22.

(2) انظر شجرة النور الزكية في طبقات المالكية 341/1، والأعلام 311/6.

(3) انظر <http://shamela.ws/index.php/book/17369>

(4) انظر هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين 639/1.

(5) انظر الأعلام 275/1.

(6) انظر المصدر نفسه 14/1.

- 3- موارد الإقهام على سلسبيل عمدة الأحكام، لعبد القادر بن بدران الدمشقي (ت 1346هـ) في مجلدين⁽¹⁾.
- 4- نَقْعُ الأوام بشرح أحاديث عمدة الأحكام، لفیصل بن عبد العزيز آل مبارك، (ت 1376هـ) في خمسة أجزاء كبار، في إحدى عشرة مجلدة، مخطوط في مكتبة الملك فهد الوطنية، تصنيف مكتبة حريملاء.
- 5- أقوال العلماء الأعلام على أحاديث عمدة الأحكام، لفیصل بن عبد العزيز آل مبارك، (ت 1376هـ)، في مجلدين ضخمين، وهو مختصر من سابقه.
- 6- خلاصة الكلام، شرح عمدة الأحكام، لفیصل بن عبد العزيز آل مبارك، (ت 1376هـ)، شرح فيه العمدة شرحًا موجزًا، طبع في جزء لطيف أكثر من مرة، منها: سنة "1369هـ" بمصر، وطبع في مكتبة النهضة، والمكتبة الأهلية بالرياض، وطبع في مطابع شركة الشمري للطبع والنشر بالقاهرة سنة 1379هـ، ونشرته مكتبة الرياض سنة 1392هـ، وسنة 1400هـ⁽²⁾.
- 7- الإمام بشرح عمدة الأحكام، لإسماعيل بن محمد الأنصاري (ت 1417هـ)، وهو من الشروح المفيدة المختصرة، طبع الكتاب عدة مرات، منها: طبعة مطبعة السعادة بمصر، وفي مقدمة الكتاب أنه ألف في 1381/6/6هـ وهو مطبوع في جزأين⁽³⁾.

(1) انظر المصدر نفسه 37/4، وانظر مقدمة تحقيق الفارابي لعمدة الأحكام، ص23، و

<http://majles.alukah.net/t2424-2/>

(2) انظر الأعلام 168/5، وهامش لمحات في المكتبة والبحث والمصادر، ص195، والدليل

إلى المتون العلمية، ص263.

(3) انظر مقدمة تحقيق الفارابي لعمدة الأحكام، ص23، وكتب أحاديث الأحكام، ص36، و

<http://majles.alukah.net/t2424-2/>

8- تنبيه الأفهام في شرح عمدة الأحكام، لمحمد بن صالح العثيمين (ت 1421هـ)، طبع الكتاب في ثلاثة أجزاء مرات عديدة، آخرها جمعت الثلاثة الأجزاء في مجلد واحد، وقامت بطبعها دار البصيرة في مصر، وطبعته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عدة مرات⁽¹⁾.

9- نيل المرام شرح عمدة الأحكام، لحسن بن سليمان النوري (ت 1394هـ) وعلوي بن عباس المالكي (ت 1391هـ)، نشر الكتاب في مجلد واحد عن مطبعة مصحف مكة، وفي نهاية الكتاب تم طبعه سنة 1377هـ، ثم تكرر طبعه عدة مرات منها الطبعة الثالثة سنة 1388هـ، نشر مكتبة الاقتصاد في مكة المكرمة، والطبعة الرابعة طبعت في مطابع شركة الشمرلي بمصر سنة 1392هـ، وفيها زيادات مفيدة، وتحسينات مهمة⁽²⁾.

10- الإفهام في شرح عمدة الأحكام، لعبد العزيز بن عبد الله بن باز (ت 1420هـ)، حققه واعتنى به وخرج أحاديثه: د. سعيد بن علي بن وهف القحطاني، نشر مؤسسة الجريسي، في مجلد واحد، عدد صفحاته 902 صفحة، وهو عبارة عن دروس صوتية مفرغة من عشرين شريطاً، وذلك بين أذان العشاء والإقامة في المسجد الذي بجوار منزله في مدينة الرياض يقرأه عليه إمام المسجد الشيخ محمد إلياس بن عبد القادر الهندي، وهو من الشروح المختصرة⁽³⁾.

11- تيسير العلام، شرح عمدة الأحكام، لعبد الله بن عبد الرحمن بن صالح آل بسام (ت 1423هـ)، وهذا الشرح طبع مرات كثيرة كان أولها سنة 1380هـ في مطبعة

(1) انظر مقدمة تحقيق الفارياي لعمة الأحكام، ص 23، وكتب أحاديث الأحكام، ص 36، والدليل إلى المتون العلمية، ص 263،

(2) انظر مقدمة تحقيق الفارياي لعمة الأحكام، ص 23، وكتب أحاديث الأحكام، ص 37، والدليل إلى المتون العلمية، ص 263،

(3) انظر https://books.google.com.ly/books?id=e1IbDgAAQBAJ&hl=ar&source=gb_s_navlinks_s

المدني بالقاهرة في جزأين، وقد توالفت طبعات هذا الكتاب مع إضافات مؤلفه فيه، فطبعته الثالثة كانت سنة 1393هـ في مجلدين، وطبعته مكتبة الصحابة الإمارات، ومكتبة التابعين القاهرة، سنة 1426هـ - 2006م بتحقيق محمد صبحي بن حسن حلاق، وقد خرجت طبعته السابعة قبل وفاة المؤلف رحمه الله، وقد ذكر أنه أضاف إليه بحثاً قيمة، وفوائد استفادها من مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام، ومن شرح العمدة لابن دقيق العيد، وحاشية الصنعاني عليه، وقد اطلع على هذا الكتاب الشيخ محمد بن صالح البسام وذكر بعض الملاحظات والاستدراكات، وقد أخذ الشيخ ببعضها، وقد طبعت هذه الاستدراكات تحت عنوان إرشاد ذي الأفهام إلى الاستدراك والتوضيح في تيسير العلامة، بدار ابن الجوزي سنة 1426هـ، ثم طبع الكتاب أخيراً بدار الميمان للنشر والتوزيع سنة 1426هـ في مجلدين بإشراف ابن المؤلف بسام بن عبد الله البسام، وكتب على غلافها تتضمن إضافات وتصحيحات تركها المؤلف وتنتشر لأول مرة⁽¹⁾.

12- خلاصة الكلام على عمدة الأحكام، تأليف: الشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن صالح البسام (ت 1423هـ)، هو ملخص لكتاب تيسير العلامة، طبع في مجلد واحد، عدد صفحاته 281 صفحة في مطبعة الفجالة الجديدة بالقاهرة، وانتهى منه مؤلفه في 1382/2/4هـ كما جاء في آخر صفحة من الكتاب، وطبعته المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع سنة 1426هـ - 2006م، وخرج أحاديثه وضبطها وعلق عليها: أبو أنس أشرف بن يوسف بن حسن، وطريقة هذا الشرح أنه بعد ذكر الحديث يذكر ما يؤخذ من الحديث من فوائد⁽²⁾.

(1) انظر كتب أحاديث الأحكام، ص34، والدليل إلى المتون العلمية، ص263،

(2) انظر كتب أحاديث الأحكام، ص33.

13- تأسيس الأحكام على ما صح عن خير الأنام بشرح أحاديث عمدة الأحكام، لأحمد بن يحيى النجفي (ت 1429هـ)، أعد المؤلف الجزء الأول من هذا الشرح سنة 1382هـ أثناء تدريسه بالمعهد العلمي بصامطة، وقد عرضه على فضيلة الشيخ المحدث محمد ناصر الدين الألباني سنة 1383هـ أثناء تدريس الشيخ ناصر بالجامعة الإسلامية، وعلق الشيخ على الكتاب تعليقات نافعة طبعت في الجزء الأول سنة 1400هـ في جزء، عدد صفحاته 152 صفحة، وقام بطبعه نادي جازان الأدبي، وقد أعادت دار علماء السلف طبع هذا الجزء، ثم توسع في شرح أحاديث الجزء الثاني من الطبعة الجديدة، وفي سنة 1419هـ طلب بعض الطلاب من الشيخ إكمال شرح هذا الكتاب، لكن الشيخ أبدى عجزه عن الكتابة على سبيل التأليف نظراً لظروفه الصحية، ولكن أبدى رغبته بأن يقوم بشرح الكتاب في درس أسبوعي، وبملي عليهم ما تيسر ليكون شرحاً للكتاب، وقام بعض الطلاب بجمع هذه الشرح وإطلاع الشيخ عليه، ثم تمت مراجعته، وطبع الكتاب كاملاً في خمسة مجلدات بدار المنهاج في مصر سنة 1427هـ، علماً بأن المؤلف انتهى من شرح الكتاب يوم الاثنين الموافق 1424/11/13هـ⁽¹⁾.

ج. الشروح المعاصرة:

- 1- إيقاظ الأفهام في شرح عمدة الأحكام، لسليمان بن محمد اللهيبي، نشر الكتاب على شبكة العنكبوت العالمية (الانترنت)⁽²⁾.
- 2- زبدة الأفهام بفوائد عمدة الأحكام، لسليم بن عيد الهاللي أبي أسامة، نشرته دار ابن حزم في مجلدين، وعدد صفحاته 1706 صفحة⁽³⁾، ونشرته أيضاً دار ابن حزم، بيروت

(1) انظر المصدر نفسه، ص35، والدليل إلى المتون العلمية، ص263،

(2) انظر www.almotaqeen.net

(3) انظر <http://www.ahlalhdeth.com/vb/showthread.php?t=192029>

لبنان، سنة 1431هـ - 2010م، بعنوان تعليقات الأئمة الأعلام على كتاب عمدة الأحكام⁽¹⁾.

3- الكشف والعدة شرح وإعراب العمدة، يشتمل هذا الكتاب على كتابين، وهما العدة في إعراب العمدة، لابن فرحون (ت 769هـ)، وكشف اللثام شرح عمدة الأحكام، للسفاري (ت 1188هـ)، أصدرته مكتبة التوعية الإسلامية، الهرم مصر، بتحقيق الدكتور علي بن عبد الله الزّين⁽²⁾.

ثانياً: بيان الغريب

1- الإحكام في شرح غريب عمدة الأحكام، لمحمد بن عمار بن محمد (ت 844هـ)⁽³⁾.
 2- بيان غريب مفردات وجمل متن عمدة الأحكام، لصيغة المغلوث، نشرته مكتبة الألوكة، سنة 1437هـ - 2016م، وعدد صفحاته 24 صفحة، قام المؤلف باستخراج معانيها من كتاب (تيسير العلام شرح عمدة الأحكام)، للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن البسام (ت 1423هـ)، مع تصرف يسير، واقتصار على ما يُجلى المعنى، ويُبين المراد، ورتبها في جدول⁽⁴⁾.

ثالثاً: النكت والتعليقات.

1- النكت على العمدة في الأحكام، لمحمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي (ت 794هـ)، ويسمى هذا الكتاب أيضاً ب (تصحيح العمدة)، وهو كتاب مهم في باب، ولا يستغني عنه من له اشتغال بمتن العمدة، وقد نقل عنه الصنعاني كثيراً في حاشيته على شرح ابن دقيق العيد، طبع الكتاب في مكتبة الرشد بالرياض في مجلد واحد سنة 1423هـ، بتحقيق نظر

(1) انظر <https://ar.islamway.net/book>

(2) انظر <http://www.feqhweb.com/vb/t21855.html>

(3) انظر شجرة النور الزكية في طبقات المالكية 341/1، والأعلام 311/6.

(4) انظر <https://www.alukah.net/library/0/106474/>

الفريابي، واعتمد في تحقيقه على ثلاث نسخ خطية، ونقل تعقيبات الحافظ ابن حجر (ت 852هـ)، وابن الملتن (ت 804هـ) على العمدة⁽¹⁾.

2- تعليقات البلقيني على العمدة، لأبي حفص عمر بن رسلان البلقيني، (ت 805هـ)⁽²⁾.

3- التعليقات على عمدة الأحكام، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي (ت 1376هـ)، جمعها ولخصها: الشيخ عبد الله بن محمد العوهلي، ومراجعة وتعليق: فضيلة الشيخ محمد بن سليمان البسام، نشرته دار عالم الفوائد سنة 1431هـ - 2010م، في 808 صفحة، بتحقيق عبد الرحمن بن سالم الأهدل⁽³⁾.

رابعاً: الحواشي

1- شرح على شرح العمدة لابن دقيق العيد، لعبد الرحمن بن علي بن خلف، أبو المعالي زين الدين الفارسكوري (ت 808هـ)، في مجلدات، وقف السخاوي على كراريس منه⁽⁴⁾.

2- قطعة على شرح العمدة لابن دقيق العيد، ليعقوب بن جلال بن أحمد التبان الحنفي (ت 827هـ)⁽⁵⁾.

3- النكت على النكت للزركشي، لعلي بن أحمد بن حجر العسقلاني (ت 852هـ)⁽⁶⁾.

(1) انظر <https://www.ahlalhdeeth.com/vb/showthread.php?t=49190> و

<http://shamela.ws/browse.php/book-10772/page-28042>

(2) انظر كتب أحاديث الأحكام، ص37.

(3) انظر <https://www.ajurry.com/vb/showthread.php?t=18953>،

<http://waqfeya.com/book.php?bid=9276>

(4) انظر الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، 97/4، قال السيوطي في بغية الوعاة (2/350)،

(2160): "ورأيت له قطعة على شرح العمدة لابن دقيق العيد، وله أشياء أخر".

(5) قال ابن بدران: في خمس مجلدات جمع فيه بين كلام ابن دقيق العيد وابن العطار والفاكهاني وغيرهم. انظر مقدمة تحقيق الفريابي لعمدة الأحكام، ص22.

(6) انظر المصدر نفسه.

4- القول المفيد في إيضاح شرح العمدة لابن دقيق العيد، لمحمد بن عبد الرحمن بن محمد شمس الدين السخاوي (ت 902هـ)⁽¹⁾.

5- العدة حاشية على إحكام الأحكام، لمحمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني (ت 1182هـ) جعله مؤلفه حاشية على شرح ابن دقيق العيد لعمدة الأحكام، طبع في أربعة مجلدات سنة 1379هـ في المطبعة السلفية في مصر بتحقيق وتعليق: علي بن محمد الهندي، وطبع في دار الكتب العلمية 1999م ت: عادل عبد الموجود وعلي معوض⁽²⁾.
خامسا: النظم والاختصار.

1- فتح السلام نظم عمدة الأحكام، للشيخ عبد الله بن محمد بن إسماعيل بن صلاح الأمير الصنعاني (ت 1242هـ)، كان نظمه فيما يقارب الألف بيت⁽³⁾، طبع الكتاب في دار ابن حزم بيروت بتحقيق: عبد الحميد بن صالح بن قاسم آل أعوج سبر، وشرحه في كتابه (الإمام شرح فتح السلام نظم عمدة الأحكام) مخطوط في (272) لوحة ونصف لوحة⁽⁴⁾.

2- مختصر عمدة الأحكام من كلام خير الأنام للشيخ عبد الغني بن عبد الواحد المقدسي، تأليف: محمود الأرناؤوط، نشر مؤسسة الريان، سنة 1421هـ - 2000م، في مجلد، عدد صفحاته 216 صفحة⁽⁵⁾.

(1) انظر فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيكات والمسلسلات، ص 990.

(2) انظر الإعلام بالكتب المؤلفة في أحاديث الأحكام، ص 15، والدليل إلى المتون العلمية، ص 262، ولمحات في المكتبة والبحث والمصادر، ص 195.

(3) انظر الإعلام 131/4.

(4) انظر <http://www.ajurry.com/vb/showthread.php?t=32657>

(5) انظر <http://waqfeya.com/book.php?bid=3148>

سادسا: الإعراب.

1- العدة في إعراب العمدة، لعبد الله بن محمد بن فرحون التونسي المدني (ت 769هـ)، في مجلدين⁽¹⁾، قال السخاوي: "جمع فيه وجوه الإعراب واللغة والاشتقاقات، وسلك فيه مسلكا غريبا لم يسبق إلى مثله"⁽²⁾ حُقق الكتاب في كلية اللغة العربية بالجامعة الأسمرية؛ لنيل درجة الإجازة العالية (الماجستير) من قبل عبد الحفيظ حسن الباشا، ومفتاح علي البجباح، وميلاد مفتاح العيويص، فحقق الأول منهم القسم الأول من الكتاب، والثاني من أول باب الزكاة إلى آخر باب الشروط في البيع، والثالث من أول باب الربا والصرف إلى آخر الكتاب.

سابعا: الرجال

1- رجال عمدة الأحكام، لعبد القادر بن محمد بن أبي الحسن الصعبي المصري (ت 686هـ)⁽³⁾.

2- العدة من رجال العمدة، وهو في تراجم عمدة الأحكام، لإبراهيم بن موسى بن أيوب أبي إسحاق الأبناسي (ت 802هـ)⁽⁴⁾.

3- العدة في معرفة رجال العمدة، للإمام ابن الملقن (ت 804هـ)، قال عنه: في مجلد، غريب في بابيه، وأشار إليه في خطبة الإعلام⁽⁵⁾.

(1) انظر الديباج المذهب 456/1، وهدية العارفين 467/1، والأعلام 126/4.

(2) انظر <http://majles.alukah.net/t2424-2/>

(3) انظر خزنة التراث 524/54.

(4) انظر الأعلام 75/1.

(5) انظر كشف الظنون 1129/2،

و <http://www.ahlalhdeth.com/vb/showthread.php?t=50059>

المطلب الثاني: الأعمال غير المكتوبة

المراد بالأعمال غير المكتوبة الأعمال الصوتية التي قامت على الكتاب -متنا أو شرحاً- في المساجد، أو في حلقات علم، أو في المعاهد أو الجامعات، وهي كثيرة جداً، ويصعب حصرها واستقصاؤها، منها ما هو كامل، ومنها ما هو غير كامل، بل من هذه الأعمال ما هو قائم وقت إعداد هذا البحث، كما أن بعض هذه الأعمال مقيد بجزء معين من الكتاب، وبعضها غير مقيد، ولذا فإنني سأكتفي بذكر ما اطلعت عليه من أعمال مرتباً إياها على الترتيب الأبجدي حسب أسماء الشارحين على النحو الآتي:

أولاً: الأعمال غير المقيدة

- ذكرت في هذا الفرع الأعمال غير المكتوبة غير المقيدة بكتاب من كتب عمدة الأحكام ككتاب البيوع مثلاً، أو بباب من أبوابه، أو بجزء معين من الكتاب، ومن هذه الأعمال:
- 1- شرح عمدة الأحكام، للشيخ صالح فوزان الفوزان⁽¹⁾.
 - 2- شرح عمدة الأحكام، للشيخ صالح اللحيدان⁽²⁾.
 - 3- شرح عمدة الأحكام، المسمى (ب) نيل المرام شرح عمدة الأحكام)، للشيخين حسن بن سليمان النوري، وعلوي بن عباس المالكي في أشرطة، المكتب الإقليمي⁽³⁾.
 - 4- شرح عمدة الأحكام، للشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز في (20) شريطاً⁽⁴⁾.
 - 5- شرح عمدة الأحكام، للشيخ عبد الكريم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن حمد الخضير في (58) درسا⁽⁵⁾.

(1) انظر <http://www.ajurry.com/vb/showthread.php?t=32657>

(2) انظر <http://alfiqh.net/>

(3) انظر <https://islamhouse.com/ar/audios/322307/>

(4) انظر <http://www.ajurry.com/vb/showthread.php?t=32657>

(5) انظر https://archive.org/details/Sharh_Omdat_Ahkam

- 6- شرح عمدة الأحكام، للشيخ عبد الله بن عبد الرحمن بن جبرين في (72) شريطاً⁽¹⁾.
- 7- شرح عمدة الأحكام باللغة الألمانية، للشيخ محمد سعيد الألماني⁽²⁾.
- 7- شرح عمدة الأحكام، للشيخ محمد باجابر.
- 8- شرح عمدة الأحكام، للشيخ محمد بن صالح المنجد في (24) شريطاً.
- 9- شرح عمدة الأحكام، للشيخ محمد بن صالح بن عثيمين.
- 10- شرح عمدة الأحكام، للشيخ محمد بن محمد المختار الشنقيطي، من تسجيلات المسجد النبوي⁽³⁾.
- 11- شرح عمدة الأحكام، للشيخ محمد سعيد رسلان⁽⁴⁾.

ثانياً: الأعمال المقيدة

- ذكرت في هذا الفرع الأعمال غير المكتوبة المقيدة بكتاب من كتب عمدة الأحكام ككتاب البيوع مثلاً، أو بباب من أبوابه كباب التيمم، ومن هذه الأعمال:
- 1- شرح عمدة الأحكام، للشيخ عبد الرحمن بن ناصر البراك، قطعة يسيرة في (5) أسرطة.
- 2- شرح عمدة الأحكام، للشيخ عبد الله الرضمان والشيخ محمد المهنا، كتاب البيوع فقط في (11) شريطاً⁽⁵⁾.
- 3- شرح عمدة الأحكام، للشيخ عبد الله بن صالح العبيلان، قطعة يسيرة في (3) أسرطة⁽⁶⁾

(1) انظر <https://islamhouse.com/ar/audios/322307/>

(2) انظر <https://islamhouse.com/ar/category/192745/showall/showall/1/>

(3) انظر <https://dro-s.com>، و <https://islamhouse.com/ar/audios/322307/>

(4) انظر <http://www.ajurry.com/vb/showthread.php?t=32657>

(5) انظر الدليل إلى المتون العلمية، ص 264،

و <https://www.ajurry.com/vb/showthread.php?t=30194> و <https://islamhouse.com/ar/audios/322307/>

(6) انظر <https://www.ahlalhdeth.com/vb/showthread.php?t=25602>

ومما تجدر الإشارة إليه أن بعض هذه الشروح الصوتية فرغت في كتب، مثل: شرح عمدة الأحكام، للشيخ عبد العزيز بن باز، وسمي بالإفهام في شرح عمدة الأحكام.

ثالثاً: أعمال أخرى

هناك أعمال صوتية أخرى تناولت عمدة الأحكام، منها:

- 1 - قراءة صوتية لكتاب عمدة الأحكام، بصوت رشيد الشبيطي⁽¹⁾.
- 2 - قراءة صوتية لكتاب عمدة الأحكام، بصوت سليمان بن محمد الشويهي، نشر: تسجيلات التقوى الإسلامية بالرياض، وصدى التقوى للإنتاج الإعلامي والتوزيع بالرياض⁽²⁾

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد نهاية هذا البحث أذكر أهم النتائج التي توصلت إليها، والتوصيات التي أردت العناية بها.

أولاً: النتائج

- 1 - يعد كتاب عمدة الأحكام من تراث هذه الأمة الخالد، ومن أكثرها تداولاً وانتشاراً، وقد أقبل عليه العلماء قديماً وحديثاً بالتدريس والتصنيف، دون حصر في مكان ولا زمان، العمل عليه مستمر إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.
- 2 - تنوعت جهود العلماء في شرح عمدة الأحكام بين مسهب ومختصر، ومعلق وناظم... إلخ بما يخدم السنة النبوية المطهرة، وذلك من حيث المحافظة عليها وتقريب فهمها للناس، ولا شك أن المتأخر استفاد من المتقدم في الشرح.

(1) انظر <http://alfiqh.net/>

(2) انظر <https://www.ahlalhdeth.com/vb/showthread.php?t=300170>

- 3 - أن بعض الشروح والأعمال المكتوبة على عمدة الأحكام لا تزال مخطوطة، ويصعب الاستفادة منها إذا لم يتم تحقيقها وإخراجها.
- 4 - بلغت الأعمال المكتوبة التي ذكرت في هذا البحث سبعة وأربعين عملاً، كما بلغت الأعمال غير المكتوبة سبعة عشر عملاً، فكان مجموع الأعمال أربعة وستين عملاً. وهذا مما يدل على أهمية الكتاب العلمية، وكثرة فوائده.

ثانياً: التوصيات:

- 1- أوصي بتحقيق ما لم يحقق من الأعمال المكتوبة على عمدة الأحكام، حتى ترى النور ويستفاد منها.
- 2- أوصي بالناية بهذا النوع من الأحاديث، وإرشاد الطلبة إلى حفظها، وفهم معانيها، وكيفية استنباط الأحكام منها.
- 3- أوصي بدراسة تقوم على هذا الكتاب من أهل العلم ويتخصصات متعددة لشرح هذه الأحاديث، وذلك بالجمع بين شرح العلماء القدامى ودراسة النوازل المعاصرة، ومعالجتها بما يتوافق مع أصول الشرع، والاستفادة من جهود العلماء المعاصرين.
- وفي الختام أسأل الله - سبحانه وتعالى - أن يكون هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به إخواني المسلمين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم، برواية الإمام قالون عن الإمام نافع المدني.
- 1- أحاديث الأحكام وأشهر مؤلفاتها، لمحمد سليمان الفراء، كلية الشريعة والقانون، الجامعة الإسلامية غزة.
- 2- إرشاد الفحول إلي تحقيق الحق من علم الأصول، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (ت 1250هـ)، تحقيق: الشيخ أحمد عزو عناية، دمشق - كفر

- بطنا، قدم له: الشيخ خليل الميس والدكتور ولي الدين صالح فرفور، نشر دار الكتاب العربي، الطبعة: الأولى 1419 هـ - 1999 م.
- 3- الأعلام، لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس الزركلي الدمشقي (ت 1396 هـ) نشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشرة - أيار / مايو 2002 م.
- 4- الإعلام بالكتب المؤلفة في أحاديث الأحكام، لأبي يعلى البيضاوي.
- 5- الإعلام بفوائد عمدة الأحكام، لابن الملقن (ت 804 هـ)، تحقيق: عبد العزيز بن أحمد بن محمد المشيخ، نشر: دار العاصمة للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى 1417 هـ - 1997 م.
- 6- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت 911 هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر: المكتبة العصرية - لبنان.
- 7- تدوين السنة النبوية نشأته وتطوره من القرن الأول إلى نهاية القرن التاسع الهجري، لأبي ياسر محمد بن مطر بن عثمان آل مطر الزهراني (ت 1427 هـ)، نشر: دار الهجرة للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى 1417 هـ - 1996 م.
- 8- جهود العلماء في بلوغ المرام من أدلة الأحكام، إعداد: د. علي محمد افريو، نشر: مجلة العلوم الشرعية مسلاتة، العدد الرابع، سنة 2017 م.
- 9- خزانة التراث - فهرس مخطوطات-، قام بإصداره مركز الملك فيصل.
- 10- الدليل إلى المتون العلمية، لعبد العزيز بن إبراهيم بن قاسم، نشر: دار الصميعي للنشر والتوزيع، الرياض - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى 1420 هـ - 2000 م.

- 11- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، لإبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، برهان الدين اليعمرى (ت 799هـ)، تحقيق وتعليق: الدكتور محمد الأحمدى أبو النور، نشر: دار التراث للطبع والنشر القاهرة.
- 12- نيل طبقات الحنابلة، لابن رجب الحنبلي (ت: 795هـ)، تحقيق: د. عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، نشر: مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة: الأولى 1425 هـ-2005 م.
- 13- الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة، لأبي عبد الله محمد بن جعفر الكتاني الإدريسي المغربي (ت 1345هـ)، تحقيق: محمد المنتصر بن محمد الزمزمي، نشر: دار البشائر الإسلامية، الطبعة: السادسة 1421هـ-2000م
- 14- رياض الأفهام في شرح عمدة الأحكام، لعمر بن علي الفاكهاني (ت 734هـ)، تحقيق ودراسة: نور الدين طالب بالتعاون مع لجنة مختصة من المحققين، نشر: دار النوادر دمشق- سوريا، الطبعة: الأولى 1431هـ - 2010م.
- 15- سير أعلام النبلاء، لشمس الدين أبي عبد الله محمد الذهبي (ت 748هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، نشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة 1405هـ-1985م.
- 16- الشبكة العنكبوتية (الانترنت)، مواقع متعددة تم الدخول عليها سنة 2018م.
- 17- شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، لمحمد بن محمد بن عمر بن علي مخلوف (ت 1360هـ)، علق عليه: عبد المجيد خيالي، نشر: دار الكتب العلمية- لبنان، الطبعة: الأولى 1424هـ- 2003م.
- 18- الصحاح؛ تاج اللغة وصحاح العربية، إسماعيل بن حماد الجوهري (ت 393هـ)، نشر: دار العلم للملايين- بيروت، الطبعة: الرابعة- يناير 1990م.
- 19- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، لشمس الدين أبي الخير محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي (ت 902هـ)، نشر: منشورات دار مكتبة الحياة بيروت.

- 20- طبقات الشافعية، لأبي بكر بن أحمد بن محمد بن عمر الأسدي ابن قاضي شهبة (ت 851هـ)، تحقيق: د. الحافظ عبد العليم خان، دار النشر: عالم الكتب، بيروت، الطبعة: الأولى 1407هـ.
- 21- عمدة الأحكام من كلام خير الأنام صلى الله عليه وسلم، عبد الغني المقدسي (ت 600هـ)، دراسة وتحقيق: محمود الأرنؤوط، مراجعة وتقديم: عبد القادر الأرنؤوط، نشر: دار الثقافة العربية، دمشق - بيروت، مؤسسة قرطبة، مدينة الأندلس، الطبعة: الثانية 1408هـ - 1988م.
- 22- فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشیخات والمسلسلات، لعبد الحي عبد الكبير الكتاني، باعتناء: د إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي بيروت، الطبعة: الثانية 1402هـ - 1982م.
- 23- كتب أحاديث الأحكام جمع ودراسة بلوغ المرام نموذجاً، لعبد الله بن سفر عباده العبدلي الغامدي.
- 24- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، لمصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة (ت 1067هـ)، نشر: مكتبة المثنى - بغداد، تاريخ النشر: 1941م.
- 25- كشف اللثام شرح عمدة الأحكام، شمس الدين أبو العون السفاريني (ت 1188 هـ)، تحقيق: نور الدين طالب، نشر: دار النوادر - سوريا، الطبعة: الأولى 1428 هـ - 2007م.
- 26- لمحات في المكتبة والبحث والمصادر، لمحمد عجاج بن محمد تميم بن صالح بن عبد الله الخطيب، نشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: التاسعة عشرة 1422 هـ - 2001م.
- 27- المصباح المنير، لأحمد بن محمد بن علي الفيومي المقرئ، نشر: المكتبة العصرية.

- 28- مُعْجَمُ أعلام الجزائر من صدر الإسلام حتّى العصر الحاضر، لعادل نويهض، نشر مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر بيروت- لبنان، الطبعة: الثانية 1400 هـ - 1980م.
- 29- معجم البلدان، لشهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت 626هـ)، نشر: دار صادر بيروت، الطبعة: الثانية 1995م.
- 30- معجم لسان المحدثين، محمد خلف السلامة، نشر ملنقى أهل الحديث.
- 31- معجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة (ت 1408هـ)، نشر: مكتبة المثنى - بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت.
- 32- موطأ الإمام مالك، لمالك بن أنس الأصبحي (ت 179هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، نشر: دار إحياء التراث العربي - مصر.
- 33- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ابن تغري بردى (ت 874هـ)، نشر: وزارة الثقافة والإرشاد القومي - مصر.
- 34- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، لإسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي (ت 1399هـ)، نشر: دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان.
- 35- الوافي بالوفيات، لصلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت 764هـ)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، نشر: دار إحياء التراث - بيروت، تاريخ النشر: 1420هـ - 2000م.

الجنود التاريخية للمذهب المالكي في ليبيا

د. محمد مصطفى المنتصر

المقدمة:

دخل المذهب المالكي المغرب الإسلامي وتجنز في فيه حتى أصبح المذهب الرسمي لأهل المغرب بأقسامه الأدنى والأوسط والأقصى وانتقل منه إلى الأندلس بحيث شمل منطقة الغرب الإسلامي ككل، وما يُعنى به الباحث هنا هو جزء من المنطقة المذكورة المعروفة في الفترة قيد البحث باسم (إفريقية) أو المغرب الأدنى (ليبيا وتونس) اللذان يعتبران وحدة واحدة في العصر الإسلامي، فقد كانت (طرابلس) ولاية تابعة للقيروان في أغلب العهود التي مرت بها المنطقة في عصرها الإسلامي.

ومن هذا المنطلق يرى الباحث دراسة دخول المذهب المالكي لليبيا وأهم العوامل التي ساعدت على انتشاره وترسيخه كمذهب رسمي لقرون طويلة والتطرق لأبرز علماء المالكية بالمنطقة ونتائجهم العلمي ومجهوداتهم في إرساء دعائم المدرسة المالكية، من خلال طرح الإشكالية التالية: ما هي عوامل دخول وانتشار ورسوخ المذهب المالكي في ليبيا وباقي دول الغرب الإسلامي؟

س1: هل كان للرحلة دور في دخول المذهب المالكي للمغرب وانتشاره؟ أ-رحلة طلب العلم ب-رحلة الحج؟

س2: ما أثر ميول مجتمع المغرب الإسلامي لمدينة الرسول ﷺ وفقهاها؟ وتوافق طبيعة المالكية معهم؟ يحاول الباحث مناقشة هذه التساؤلات والإجابة عنها في متن البحث والخروج بنتائج من خلال الطرح التالي وفق المباحث التالية:

- مقدمة ويليها: 1- جغرافية ليبيا في العصر الإسلامي والظروف التي عاشتها المنطقة والمجتمع.

2- التعريف بالإمام مالك ومدرسته في المدينة المنورة من الناحية التاريخية.

3- عوامل دخول وانتشار المذهب المالكي لليبيا وانتشاره ورسوخه في المنطقة.

4- أبرز علماء المالكية في إفريقية (ليبيا- تونس) ونتائجهم العلمي.

- خاتمة وبها النتائج.

أولاً: جغرافية ليبيا في العصر الإسلامي وبعض الظروف التي عاشتها المنطقة وأثرها على المجتمع:

بما أن ليبيا من ضمن دول المغرب العربي، وأن طرابلس تابعة لولاية القيروان في العهد الإسلامي، لا بد من معرفة بعض التفاصيل على جغرافية المنطقة في العهد الإسلامي، فالمغرب كما يلي: من مصر الغربية حتى المحيط الأطلسي، وقد قسم إلى ثلاث أقاليم حسب قربها وبعدها عن دار الخلافة في المشرق الإسلامي: منطقة المغرب الأدنى وتشمل (ليبيا وتونس) وتعارف على تسميتها بإفريقية، وحدودها الجغرافية آنذاك من مدينة سرت حتى مدينة تاهرت بالجزائر الحالية، وتشمل مدينة طرابلس⁽¹⁾، وقاعدتها القروان التي كانت مركزاً لولاية إفريقية، أما الشطر الثاني من ليبيا فهو إقليم برقة ويشمل المنطقة الشرقية من ليبيا الحالية، ويتبع لولاية مصر في أغلب عهوده الإسلامية.

ويلى المغرب الأدنى من ناحية المغرب الأوسط الذي يمتد من مدينة تاهرت حتى وادي ملوية وقاعدته تلمسان، أما المغرب الأقصى فحدوده من مدينة ملوية وحتى سواحل المحيط الأطلسي⁽²⁾.

أما عن سكان ليبيا في العهد الإسلامي فهم كالتالي:

1) الأهالي أو السكان الأصليين:

(1) طرابلس: وتسمى أنطابلس وتعنى المدن الثلاث: طرابلس ولبدة وصبراتة، وقد عرفت في

مصادر التاريخ الإسلامي باسم اطرابلس، أبي عبد الله البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، مكتبة المثني، بغداد، دون تاريخ، ص7.

(2) السيد عب العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة،

الإسكندرية، 1982م، ص39.

وهم البربر، فهم سكان المغرب منذ أقدم العصور، وينقسم البربر إلى قسمين:
 أ/ البتر: وهم البدو الذين يعتمدون على الرعي والتنقل والترحال، ومنهم قبائل لواته وهوارة
 ومدبونة ومكناسة وزناته.

ب/ البرانس: وهم الحضرة، وهم مستقرون ويمتهنون الزراعة، وتركزهم في المناطق
 الساحلية، ومنهم قبائل أوريفة وكثامة وصنهاجة ومصمودة وأوربية وازداجة.
 وقد تصور مؤرخو المسلمين قبائل البربر حسب ما رأوهم منتشرين بعد الفتح
 الإسلامي، فابن عبد الحكم يرى أنهم أتوا من المشرق في زمن قديم وانتشروا في المغرب
 قائلاً: "خرج البربر متوجهين إلى المغرب حتى انتهوا إلى لوبية ومراقية وهما كورتان من
 كور مصر الغربية، ففرقوا هناك، فتقدمت زناتة ومغيلة إلى المغرب، وسكنوا الجبال،
 وتقدمت لواتة فسكنت أرض انطابلس، وتفرقت في بلاد المغرب وانتشر فيه حتى بلغوا
 السوس، ونزلت هوارة مدينة لبدة ونزلت نفوسة مدينة سيرت"⁽¹⁾.

وعند اليعقوبي في كتابه البلدان⁽²⁾ زيادة تفصيلية إذ يقول: "ملك مزاته في أرض
 يقال لها ودان، وسار قوم إلى طرابلس يقال لهم المصاليين وجاز قوم إلى غرب طرابلس
 يقال لهم وهيلة".

2) الرومان: أطلق العرب أثناء الفتوحات الإسلامية اسم الرومان على مجموعات
 الوندال والروم واليونانيين الذين استوطنوا ليبيا منذ القديم⁽³⁾.

-
- (1) اليعقوبي، أحمد بن إسحاق، البلدان، مدينة ليدن، 1906م، ص55.
 (2) ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، تح: عبد المنعم عامر، شركة الأمل للطباعة والنشر،
 القاهرة، دون تاريخ، ص70.
 (3) الطاهر الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، الدار العربية للكتاب، بيروت، لبنان، 1978م،
 ص28.

(3) الأفاقة: وهم طبقة مستقرة من الناس أخلاط مجتمعين من أمم شتى فيهم بقايا الأمم القوية وعناصر بربرية وفرنجية تجمعهم صفة الخدمة في المزارع والحرف، فهم يثملون الطبقات العاملة في مختلف المرافق⁽¹⁾.

(4) العرب: في القرون الهجرية الأولى وفد على ليبيا وبلاد المغرب ككل مجموعات كبيرة من العرب المشاركة إما فاتحين أو عن طريق الهجرات التي جاءت من وراء دوافع سياسية ومذهبية، تركت هذه المجموعات أثراً اجتماعية من خلال انتساب العديد من القبائل بالمنطقة إليها⁽²⁾.

وعلى مر السنين اختلط العرب بالسكان الأصليين بليبيا وأصبح غالبية السكان يدينون بالإسلام ويتكلمون العربية ويتبعون المذهب المالكي، واحتفظ البربر إلى جانب معرفتهم بالعربية بلهجتهم واتبع بعضهم المذهب الأباضي وخاصةً في جبل نافوسة (الجبل الغربي) ومروراً بمراحل الفتح الإسلامي لليبيا والمغرب ككل، والتي لا يتسع المجال لسرد حوادثه كانت ليبيا ولا زالت جسر اتصال بين المشرق والمغرب وبوابة لأفريقيا، فيها تقاطعت خطوط التجارة من بورنو وتشاد ووادي تيبستي ودارفور وجميع بلاد ما وراء الصحراء أو ما عرف باسم السودان الأوسط في العصر الإسلامي، وقدموها إلى موانئ ليبيا على البحر المتوسط⁽³⁾.

(1) إحسان عباس، تاريخ ليبيا، دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازي، 1967م، ص10.

(2) محمد مصطفى بازاما، ليبيا في عهد الخلفاء الراشدين، طرابلس، ليبيا، دار الفكر العربي، 1998م، ص52.

(3) احمد صدقي الجاني، ليبيا قبيل الاحتلال الإيطالي، المطبعة الفنية الحديثة، 1971م، ص24.

أما عن أحوال المجتمع الليبي من النواحي الاقتصادية والفكرية ومدى أثر كلاهما على الآخر في ظل الحكم الإسلامي والوضع السياسي الذي ينعكس عليها مباشرة، ففي بلاد أفريقية وبالتحديد منذ الفتح وحتى النصف الأول من القرن الثاني الهجري، أصيب الاقتصاد بتذبذب وضعف وذلك بسبب الفتن والثورات المتواصلة على حكام المدن ومنها مدينة طرابلس، فلم تكن التجارة والزراعة تعرف الأمن الضروري لازدهارها⁽¹⁾.

وبقي الحال كما هو عليه إلى قامت دولة الأغلبية وأصبحت مدينة طرابلس تابعة لها والتي شهدت نهضة اقتصادية ممتازة في العهد الأغلبي (184 - 296هـ/ 800 - 909م) وهي الفترة التي دخل فيها المذهب المالكي لليبيا وباقي دول المغرب، فقد اهتمت الدولة بالمناطق الساحلية وخاصةً ببناء الحصون في كل من وادي فحيل وبرقة التي كان بها سور منيع، كما زودت برقة ببرك واسعة من المياه، كذلك حصون إجدابية ولبدة وسور طرابلس الذي جدد بنائه عبد الرحمن بن حبيب من جهة البر وهزيمة بن أعين من جهة البحر، ومنذ أيام بنى الأغلب أصبحت هذه الحصون متقاربة على طول الساحل الليبي⁽²⁾، وبالاهتمام بمصادر المياه واستصلاح الأراضي واستقرار البلاد، كل ذلك جعل من ليبيا مزدهرة اقتصادياً لاسيما المناطق الساحلية التي كان لها الحظ الأوفر بوقوعها في خط التجارة ووفرة مياهها، وهي المنطقة السهلية التي بنا الموانئ وتميرها القوافل سواء في شرق أو غرب ليبيا، حيث تعتبر برقة من أهم المراكز التجارية في العصر الوسيط، فيصفها بن حوقل بقوله: (لهاكور عامرة وغامرة ... وبها من التجار وكثيرة

(1) السيد عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص 21.

(2) التيجاني، محمد عبد الله بن محمد، رحلة التجاني، الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1981م،

الغرباء ما لا ينقطع عابرين عليها مغربيين ومشرقيين) ولها أسواق يباع فيها الصوف والفلفل والشمع والعسل والزيت وخروب التجارة من الشرق والغرب⁽¹⁾، وسائر المدن الساحلية بأجدابية مثلاً والتي امتازت بتجارة الأكسية والصرف والتجارة الواردة إليها من بلاد السودان⁽²⁾، وباتجاه الغرب مروراً بسرت أو صرت كما ذكرت عند الرحالة المسلمين والتي اشتهرت بتجارة المواشي وبعض المحاصيل الزراعية، وقد زاد دخلها بسبب فرض ضرائب على هذه السلع الصادرة والواردة⁽³⁾.

وبالحديث عن التجارة نذكر طرابلس والتي كانت مركز تجاري هام في بلاد المغرب سواء البحرية منها أو البرية، حيث كانت تتفوق عن سائر المناطق في تجارتها، ناهيك عن الزراعة والأراضي الزراعية التي يفرض عليها الخراج مما زاد في دخلها الاقتصادي، كذلك بضاعة الاقمشة والأكسية والأدوات المختلفة حسب ما ذكره المؤرخون في كتاباتهم⁽⁴⁾.

أثرت هذه المعاملات في المجتمع الطرابلسي فكانوا يعاملون الغريب بلطف ويكرمونه⁽⁵⁾.

وتجدر الإشارة هنا إلى المناطق الداخلية التي اشتهرت بالثوم وزراعة الحبوب كالقمح والشعير وهي أساسية في غذاء الليبيين⁽⁶⁾.

(1) ابن حوقل، صورة الأرض، مكتبة دار الحياة، بيروت، دون تاريخ، ص54.

(2) إحسان عباس، المرجع السابق، ص97.

(3) المرجع نفسه والصفحة.

(4) ينظر: بن حوقل، صورة الأرض، التيجاني، رحلة التيجاني، العبدلي رحلة العبدلي.

(5) إحسان عباس، المرجع السابق، ص98.

(6) سامية مصطفى سعد، العلاقات بين المغرب والأندلس، مطبعة المهر، مصر، 2000م،

ومن خلال ما تم بيانه عن ليبيا من الناحية الاقتصادية، فتعتبر مستقرة اقتصادياً في الفترة المذكورة والتي هيأة المنطقة فكراً لتلقي أفكار ومعتقدات مذهبية مختلفة سنتناولها لاحقاً، مبررين أسباب انتشارها وتغلب بعضها على الآخر، وهذا ما يقودنا للحديث ولو باختصار عن الحياة الثقافية والفكرية في ليبيا الإسلامية.

كانت للثقافة الإسلامية مراكز هامة بالمغرب ومصر، كفاس ومراكش وأفريقية (القيروان) والقاهرة بمصر وبعضها بطرابلس، فموقع طرابلس الاستراتيجي ومقوماتها جعلت منها حلقة وصل بين المشرف والمغرب، فمن الناحية الشرقية كانت مصر وعلمائها وثقافتها التي استقر فيها الحال للمسلمين منذ مطلع القرن الأول الهجري، ومن ناحية الغرب تأتي القيروان وبها نهضة ثقافية مبكرة، حيث تم بنائها كمدينة إسلامية سنة 50 هجري، وأصبحت تنشر اللغة العربية وعلومها والثقافة الإسلامية المتمثلة في القرآن وعلومه والحديث والتفسير وتعاليم الدين وبما أن طرابلس تتوسط هذه المراكز المذكورة فهي محط العلماء في رحلتهم العلمية سواء في ذهابهم أو في طريق عودتهم⁽¹⁾.

فعبر أراضيها ارتحل مئات من علماء المغرب والأندلس نحو المشرق، كذلك دخلها علماء مشاركة اتجهوا نحو المغرب، وكانت جموع هؤلاء العلماء ومحط رجالها بطرابلس لترتاح من السفر، ويحدث التفاعل الثقافي حيث يلتف طلاب العلم حول هؤلاء الوافدين فيصبحون حلقة درس في علم معين⁽²⁾.

(1) امحمد مختار عمر، النشاط الثقافي في ليبيا، من الفتح الإسلامي وحتى العهد التركي، الجامعة الليبية، طرابلس، 1971م، ص 285.

(2) يوسف أحمد حوالة، الحياة العلمية في إفريقية (المغرب الأدنى) جامعة أم القرى، مكة 2000م، ص 192.

كذلك كان الحال في رحلة الحج التي يحط حجاجها في طرابلس، استفاد طلاب العلم من اولئك الأدباء والعلماء الذين يدخلون المدينة⁽¹⁾.

كذلك كثرة المساجد بالمدينة والتي تؤدي دورها الثقافي إلى جانب العبادة ومنها مسجد الشعاب ومسجد خطاب ومسجد الجدة وجامع طرابلس الأعظم والذي بناه بنو عبيد سنة 300هـ وهو غير موجود الآن، كذلك المكتبات التي كانت في البيوت والمساجد وحتى العامة⁽²⁾ منها كلها لعبت دوراً في نشر الثقافة الإسلامية وكان لها دور في قيام نهضة فكرية، كما لا يمكن إغفال دور المدارس في الحياة الثقافية والعلمية بصفة عامة، ناهيك عن الزوايا والكتاتيب والرحلة العلمية لطلبة العلم لأخذ العلوم من مصادرها لاسيما الدينية منها في المشرق.

أما عن العلوم فقد تنوعت وتعددت في شتى العلوم من بينها العلم الشرعي: والمتمثل في الفقه المالكي والذي كان لقاضي طرابلس علي بن زياد الطرابلسي التونسي المتوفى 1831هـ سبق في إدخال مذهب مالك لليبيا وتونس (أفريقية) فهو من أوائل من رحلوا للمشرق وأخذوا عن الإمام مالك في حياته، وسيأتي الحديث مفصلاً عنه لاحقاً عند دراسة علماء المالكية ونتائجهم العلمي.

ثانياً/ التعريف بالإمام مالك ومدرسته من الناحية التاريخية:

الإمام مالك ابن أنس بن مالك بن عمر بن الحارث الحميري المدني⁽³⁾، جده أبو مالك أبي عامر صحابي جليل شهد أغلب المغازي مع الرسول صلى الله عليه وسلم

(1) عثمان عكعك، مراكز الثقافة في المغرب، الدراسات العربية، القاهرة، 1958م، ص115.

(2) يوسف حوالة، المرجع السابق، ص255.

(3) بن فرحون المالكي، الذبيح المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تح: أحمد عبد الرحمن

دار التراث، القاهرة، ج1، ص56.

وأحد الذين دافعوا عن الخليفة عثمان رضي الله عنه⁽¹⁾، ولد الإمام مالك سنة (93هـ/711م) على مقربة من المدينة المنورة في (نو المروة) أما عن حياته العلمية فقد طلب العلم منذ نعومة أظفاره، حفظ القرآن في سن العاشرة من عمره، كذلك درس الحديث واللغة وآدابها، وقد نشأ مالك في بيئة علمية عريقة هيئة لهو جواً للتلقي والحفظ والمناقشة مع شيوخ المدينة المنورة وهو ما جعله يبدع في الفقه وينفرد بفكر خاص عرف باسمه، وقد أخذ العلم عن شيوخ أجلاء عدهم البعض بالمئات⁽²⁾.

بعض المشائخ الذين أخذ عنهم مالكا:

أ (ربيعة الرأي: ابن عبد الرحمن فروح المدني، متوفي 136هـ/753م، وقد سمي بالرأي لرجاحة عقله، وهو من أول أساتذته مالك في صغره، وكان لمالك مكانة

كبيرة لشيخه، وقد روى عنه في الموطأ اثني عشر حديثاً⁽³⁾.

ب) ابن هرمز: هو أبوبكر بن عبد الله بن يزيد متوفى سنة 148هـ/765م لازمه مالك مدة طويلة حتى أن الروايات اختلفت حول عدد السنين التي لازم مالك هرمز فمنها منم ذكر أنه لازمه سبعة سنين أو عشرة، وقيل ثلاثين سنة⁽⁴⁾.

(1) مالك بن أنس، موطأ مالك، تح: عبد الوهاب عبد اللطيف، المكتبة العلمية، 1997م، ص10.

(2) الليثي، بن يحيى، موطأ الإمام مالك، إعداد: أحمد عرموش، دار النفائس، لبنان، 1987م، ص84.

(3) أمين الخولي، مالك بن أنس، دار الكتب العلمية، بيروت، 1989م، ص71 - 79.

(4) الليثي، المصدر السابق، ص86.

(ج) ابن شهاب الزهري: واسمه محمد وكنيته أبوبكر بن سالم المدني، متوفي سنة 124هـ/741م وهو عالم محدث، لقب بأعلم الحفاظ، وكان يزدحم عليه الطلبة ومنهم مالك، وقد حفظ مالك عنه الكثير وهو القائل ما استودعت قلبي شيئاً فنسيته⁽¹⁾، ومن العلماء الآخرين الذين روى عنهم الإمام مالك بن نافع مولى عمر، أبوالزناد عبد الرحمن بن القاسم، أيوب السخيتاني، يحيى بن سعيد الأنصاري، زيد بن اسلم هشام بن عروة وغيرهم⁽²⁾.

علمه وفضله: أصاب مالك علماً كبيراً وأقر شيوخه بفضلته، فجلس لتدريس العلم وهو ابن السابعة عشر سنة، وأصبح أستاذاً لكبار من عاصره من الأئمة كالأوزاعي والشافعي، وجلس لعلمه حتى بعض مشائخه وازدادت ثقة الناس فيه لتواضعه ومخافته الله وعدم تجرئه على الفتاوى المشبوهة، وأنه لم يفتي حتى شهد له سبعون من الثقات أنه أهلاً لها⁽³⁾. ومع ذلك فحرصه على الفتوى كبير مخافة الله تعالى من الوقوع في الحرام وهو القائل: (ينبغي أن يورث العالم جلساؤه قول لا أدري حتى يكون ذلك أصلاً في يدهم فيزعون إليه فإذا سئل أحدكم عما لا يدري قال لا أدري)⁽⁴⁾.

(1) أمين الخولي، المرجع السابق، ص78.

(2) الليثي، المصدر السابق، ص19.

(3) السيوطي، جلال الدين، تنوير الحوالك، شرح علي موطأ الإمام مالك، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج1، ص167.

(4) القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعيان مذهب مالك، تقديم محمد بن كاويت الطنجي، وزارة الأوقاف، الرباط، ص180.

ومن خلال ما تم بيانه نلاحظ المكانة الكبيرة التي أولاها الإمام مالك للفتوى ومدى حرصه، وهذا يدل على تواضعه مما زاده احتراماً بين من عرفه أو سمع عنه من أهم من روى عن الإمام مالك.

لقد روي الكثير عن الإمام مالك من خلال رواة الحديث، وقد ذُكروا في (ترتيب المدارك)⁽¹⁾ ومنهم:

- 1- يحيى بن سعيد الأنصاري، قاضي المدينة، متوفي سنة 148هـ/765م.
- 2- أبو الأسود بن نوفل القرشي، وهو من أجل شيوخ مالك.
- 3- محمد بن عجلان القرشي المدني، متوفي سنة 178هـ/765م.
- 4- عبد الله بن جعفر المدني، متوفي 178هـ/794م.
- 5- عبد العزيز بن الماجشون التميمي، متوفي سنة 166هـ/782م.
- 6- سفيان بن سعد الثوري، متوفي سنة 161هـ/777م.

وغير هؤلاء كثير سنأتي على ذكر بعضهم تفصيلاً عند حديثنا عن أبرز علماء المالكية في أفريقية ونتاجهم العلمي، كما أن وكيع وشعبة والأوزاعي وغيرهم روى عن مالك، فمنهم من عاصره وأخذ عنه مباشرة ومنهم من أخذ من مصنفاته وعلمه المكتوب من خلال الموطأ⁽²⁾.

بعض من سير الإمام مالك:

كان للإمام مالك صفات وميزات جعلت منه بارزاً في عصره علمياً وأدبياً، حيث كان كثير الصمت قليل الكلام، لا يتكلم في أعراض الناس وكان شديد الكراهية للغيبة،

(1) تقديم محمد بن كاويت الطنجي، وزارة الأوقاف، الرباط، ص180.

(2) القاضي عياض، المصدر السابق، ص175 وما بعدها.

وكان إذا أصبح لبس ثيابه وتعمم ولا يراه أحد من الناس إلا كذلك كما يقال عنه أنه لم يأكل ويشرب حيث يراه الناس، وكان حسن الخلق طيب السيرة وكان يعود المرضى ويقضي الحقوق وكان مجلسه مجلس وقار وعلم⁽¹⁾ قال عنه الذهبي: (وقد اتفق في مالك مناقب ما علمتها اجتمعت لغيره ... الذهن الثاقب والفهم وسعة العلم ... اتفاق الأئمة على أنها حجة صحيحة الرواية ... تجمعهم على دينه وعدالته واتباعه السنن ... تقدمه في الفقه والفتوى وصحة قواعده)⁽²⁾.

كتاب الموطأ منهج المالكية: سمي بالموطأ لسهولة وتبسيطه بمعنى الممهد المنقح⁽³⁾ وقد سمي بالموطأ أيضاً لوطنه الناس إياه حتى قيل موطأ مالك، وهناك رواية روي الرسول صلى الله عليه وسلم يطلب من الإمام مالك تأليف الموطأ وقد استغرق في تأليفه أربعين سنة، وقد التزم الإمام مالك في تأليفه للموطأ ذكر التقاة من الرجال كما التزم بذكر الأحاديث الصحيحة⁽⁴⁾، فقد أورد (1720) حديثاً كما احتوى الموطأ على اجتهادات مالك بن أنس الفقهية في أحكام بعض المسائل، وقد روت كتب الأحاديث الصحيحة التي ألفت فيما بعد، كل أحاديث الموطأ⁽⁵⁾ وقد كان للموطأ مكانة مرموقة بين كتب الحديث والفقه عند أهل السنة، فقد روي عن الشافعي أنه قال: (أصح الكتب بعد كتاب الله موطأ الإمام

(1) المصدر نفسه، ص124.

(2) الذهبي، شمس الدين، سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1986م، ص72 - 82.

(3) الرزقاني، شرح الرزقاني على موطأ الإمام مالك، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1990م، ص12.

(4) رمضان الشريجاتي، المدخل لدراسة الفقه الإسلامي، دار الجامعة الحديثة، 2003م، ص

(5) مصطفى الشكعة، إسلام بلا مذاهب، الدار المصرية اللبنانية، 1997م، ص337.

مالك)، وكما تم الإشارة إلى المكانة العلمية المرموقة لصاحب الكتاب فقد، كان للموطأ نفس المكانة، فهو يعكس عمل صاحبه، حيث تهافت أئمة العلم وفحوله على كتاب الموطأ بالدرس والشرح والتحليل، فمنذ بداية القرن الثاني الهجري والهمم متجه إليه بالتلقي والرواية والدراسة في أغلب حواضر العالم الإسلامي، ومنها المغرب الذي أصبح الموطأ منهجاً لمدرسة مالكية عريقة دامت ولازالت فيه⁽¹⁾.

ومن أسباب انتشاره وترسخه في الكثير من المناطق ميزته إذ أنه مشتق من القرآن والسنة، كذلك الإجماع والقياس بحيث أحاط بكل المسائل الفقهية سواء منها المعروفة أو الطارئة في تاريخ الدولة الإسلامية، وقد جمع المذهب المالكي بين مجموعة قواعد منها ما هو معمول به من قبل ومنها ما انفرد به عن غيره متفقاً مع المذاهب السنية في أغلب الأمور مختلفاً في بعضها، فكانت له مميزاته وخصائصه.

ثالثاً/ عوامل دخول وانتشار المذهب المالكي في ليبيا ورسوخه في المنطقة:

لقد كان للرحلة دور مباشر في دخول وانتشار المذهب المالكي لليبيا وتونس (أفريقية) وباقي دول المغرب الإسلامي، وقد تنوعت هذه الرحلات على اختلاف مشاربها منها:

أ) رحلة طلب العلم: تعد الرحلة العلمية من أهم عوامل انتشار المذهب المالكي في القرن الإسلامي بصفة عامة، حيث رأى أهل المغرب أن منبع الدين وأصله نابع من

(1) محمد علي السياس، تاريخ الفقه الإسلامي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1990م،

مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم، وهذا ما أورده ابن خلدون قائلاً: (فاقتصر على الأخذ من علماء المدينة وشيخهم يومئذ وإمامهم مالك)⁽¹⁾.

وقد كانت الرحلة لطلب العلم والالتقاء بالعلماء والفقهاء في العلوم المختلفة عادةً جرت عليها مجتمعات الغرب الإسلامي خصوصاً في القرون الهجرية الأولى، وكانت الكثير من هذه الرحلات وجهتها المدينة خاصة وإذا علمنا بأن هذه الرحلات كانت أحياناً مقرونة بأداء فريضة الحج والتي سنتطرق لها أيضاً مبرزين دورها الثقافي والعلمي.

ويبدو أن الرحلة العلمية نجم عنها تكوين مدرسة فقهية مالكية في المغرب الإسلامي على يد طلاب العلم الذين رحلوا للمدينة ونهلوا من علمها وتعلموا على يد الإمام مالك، ويتضح دور تلاميذ الإمام مالك في جانبيين: الأول نشاطهم في خدمة المذهب من حيث التوضيح من خلال التأليف والدعوة لمذهب مالك، كذلك سلوكهم الحسن وسيرتهم العطرة، حيث حرصوا على أن يكونوا تقاة منزهين عن كل سوء مما جعلهم يحظون بمكانة رفيعة في مجتمعاتهم، فأصبحوا موجهين للمجتمع يفضل ما امتلكوه من علم⁽²⁾، وقد كان لأسلوب الإمام مالك في تعامله مع الطلبة لاسيما الوافدين منهم، الأثر الواضح في نفوسهم، فقد بدل واسع جهده مع طلبته لنشر مذهبه وحثهم على ذلك، قائلاً: (اتقوا الله في هذا العلم ولا تنزلوا به داراً مضيعة وبثوه ولا تكتموه)⁽³⁾.

(1) ابن خلدون، عبد الرحمن، المقدمة، تح: حامد أحمد طاهر، دار الفجر للتراث، القاهرة، 2004م، ص541.

(2) حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م، ص86.

(3) القاضي عياض، المصدر السابق، ص15.

ولم تقتصر علاقته بهم خلال فترة مكوثهم بل تعدت حتى بعد رجوعهم إلى بلادهم فكان دائم التواصل معهم عبر الكتب وهي المراسلات حول مختلف الوسائل مما أدى إلى ارتباطهم بمعلمهم والتمسك بأرائهم والدفاع عنها ونشرها⁽¹⁾.

(ب) رحلة الحج: كذلك كانت لرحلة الحج دور مباشر في دخول وانتشار المذهب المالكي الأفريقية (ليبيا وتونس) وبأقي دول المغرب الإسلامي باعتبار الحجاز أرض الرسالة ومهبط الوحي، فقد ارتبطت إفريقية بالحجاز عن طريق مواسم الحج السنوية، فقد كان الحجاج ينزلون مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ويتلقون مالكا في المسجد فيأخذونه عنه الأحاديث والمسائل خاصة إذا عرفنا أن مالكا عاش زهاء تسعين عاماً، حيث أحصى له الذهبي ما يزيد عن ألف وأربع مائة طالب⁽²⁾، وهذا دليل على كثرة أعداد المتلقين عن الإمام ونشرهم لهذا العلم في الأفاق عن طريق من يلقونهم فيما يمرون به من البلدان التي يمرون بها فيتدارسون المعلومات ويتبادلون الأفكار، ومنهم من كان يطول به المقام بالمدينة أو يكرر ذهابه لها أكثر من مرة، كذلك كان لسعة أصول المذهب المالكي وقواعده دور في قبوله وانتشاره في الغرب الإسلامي ناهيك عن التشابه في البيئة والطبيعة البدوية الاجتماعية بين أهل المدينة وأهل المغرب الإسلامي⁽³⁾.

(ج) العامل الاجتماعي: وهو ملائمة المالكية للمجتمع في إفريقية (ليبيا وتونس) وبأقي دول المغرب، حيث تميز المذهب المالكي بمراعاته للعرف، أي أنه يعتمد على الواقع ويأخذ بأعراف الناس وعاداتهم، فهو بذلك مذهب عملي أكثر منه نظري، وهذه الميزة

(1) محمد الطالبي، تراجم أغلبية مستخرجة من كتاب المدارك، تونس، 1968م، ص48 وما بعدها.

(2) الذهبي، المصدر السابق، ص158.

(3) نجم الدين الهنتاتي، المذهب المالكي بالغرب الإسلامي، دار تبر، تونس، 2004م، ص64.

ناسبت أهل المغرب الإسلامي في المجتمع الواضح البسيط البعيد عن التعقيد في معاملته وسلوكه⁽¹⁾.

كذلك التشابه الكبير بين مجتمع المدينة (الحجاز) وبلاد المغرب الذي طرحه بن خلدون⁽²⁾، والذي ربما جاء من خلال عدم قبولهم للعادات الدخيلة وتمسكهم بالدين الإسلامي وتعاليمه الأصيلة الخارجة من المدينة، كذلك عن طريق طلبية المذهب المالكي والذين رسموا صورة جميلة من خلال سلوكهم وتصرفاتهم في داخل مجتمعاتهم مما جعل الإقبال على هؤلاء الطلبة والافتداء بهم ويعلمهم معتقدتهم الذي صار متواتراً في المجتمع جيل بعد جيل⁽³⁾، مع العلم أن لبعض المذهب كالخوارج والشيعنة أتباع في المغرب الإسلامي، ولكن المذهب المالكي تغلب على هذه المذاهب وأثبت وجوده بالمنطقة نظراً لعدة أسباب مجتمعة جعلت منه المذهب الرسمي في المنطقة عبر قرون طويلة.

د (العامل الجغرافي: موقع ليبيا وتونس (إفريقية) بالدرجة الأولى في طريق قوافل الحجيج وفي طريق التجار وطلبة العلم، وبعد المنطقة من العراق ومدرسته الفقهية جعل من منطقة المغرب الإسلامي ككل تنفرد بمعظم فقهاء المدينة سواء الإمام مالك أو من رروا عنه وتعلموا منه، وتسنى لأهل المغرب ذلك من خلال ما تمت دراسته من المرحلة بمختلف مشاربها أو الطبيعة المتقاربة بين المجتمعات وبعض العوامل الاجتماعية التي تجسدت في شخصيات طلبة مالك من أهل المغرب، مما جعل علماء المالكية يتقلدون مناصب القضاء والفتيا في دول المغرب، حيث ألزمت السلطة في دول المغرب بتحكيم المذهب المالكي في القضايا المختلفة، وعندما حاول الفاطميين نشر مذهبهم الشيعي

(1) عمر الجيدي، مباحث في المذهب المالكي بالمغرب، المغرب، 1993م، ص36.

(2) ابن خلدون، المصدر السابق، ص542.

(3) محمد الجيدي، المرجع السابق، ص6.

ناصره المجتمع والدولة العدا، ولم يلقى قبولاً عندهم بعكس ما كان عليه مذهب مالك الذي تطور عن طريق علمائه في المغرب الإسلامي، وألفت فيه المؤلفات والشروح، وأصبح رمزاً للفقه وعلومه في المنطقة، وهذا ما سيتضح في المبحث القادم عند الحديث عن علماء المالكية في إفريقية ونتائجهم العلمي.

رابعاً/ أبرز علماء المالكية في إفريقية (ليبيا وتونس) ونتائجهم العلمي:

لقد رحل إلى الإمام مالك عدد من طلاب العلم ليس بالقليل من منطقة المغرب الإسلامي بأقسامه الأدنى والأوسط والأقصى، كما تم بيانه، وبعد تلقيهم العلوم الدينية بالمدينة المنورة عادوا إلى أوطانهم وصاروا أساتذة يعلمون الناس الفقه المالكي في منظومة علمية متكاملة عرفت بالمدرسة المالكية، لاسيما بعد جلب الموطأ وهو منهج هذه المدرسة، وهو كتاب حديث وفقه معاً، وهو أصل المذهب المالكي الذي بني عليه علماء المالكية مؤلفاتهم من شروح له وتفسير لأحكامه وتعليم لفقهه على مختلف العصور، ومن هؤلاء العلماء ما يلي:

1- أبو الحسن علي بن زياد الطرابلسي، وسكن تونس حتى لقب بالتونسي، وهو من الطبقة الأولى من علماء المالكية في المغرب الإسلامي، فقد تلقى العلوم عن مالك نفسه مباشرة في المدينة، قيل عنه أنه كان ((الثقة مأموناً فقيهاً خيراً متعبداً بارعاً في الفقه، سمع من مالك وغيره، لم يكن في عصره بإفريقية مثله، سمع منه سحنون وأسد بن الفرات))⁽¹⁾.

(1) أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم القيرواني، طبقات علماء إفريقية، تح: علي الشابي، يعيم

حسن، الدار التونسية للنشر، 1968م، ص220.

ذكر القاضي عياض في ترجمته لعلي بن زياد أنه ألف كتاباً في البيع سماه (كتاب خير من زنته) ويرى البعض أنه أول من ألف في الفقه المالكي في الغرب الإسلامي، وكانت وفاته بتونس، وقبره معروف⁽¹⁾.

وقد قام بإدخال الفقه المالكي سنة 150هـ الذي انتشر على يد علماء المالكية من بعده.

2- سحنون: أبوسعيد بن حبيب بن حسان بن هلال بن بكار بن ربيعة التوخي، واسمه عبد السلام، وعرف بسحنون وأصله من حمص⁽²⁾، قدم والده مهاجراً من المشرق⁽³⁾، وكان سحنون ذا علم وورع وصدق وصارم في الحق وزاهد في الدنيا، وقد توجه لطلب العلم وهو صغير، فتلقى العلم على أغلب علماء القيروان، فقد سمع من بهلول بن زياد الطرابسي وابن الأشرس وغيرهم كثير، رحل لطلب العلم سنة 188هـ، فسمع بمصر والحجاز⁽⁴⁾، وفي سنة 191هـ رجع للقيروان وهو ابن ثلاثون سنة، فسمع منه أهل إجدابية، فكان يمشي بالنهار يلقي المسائل فإذا جاء الليل قام للصلاة⁽⁵⁾.

-
- (1) عمر الجبدي، المرجع السابق، ص15، للمزيد ينظر: ترتيب المدارك ج1، ص112، كذلك: الديباج المذهب ج1، ص11 كذلك: شجرة النور الزكية ج1، ص60.
- (2) نجم الدين الهنتاتي، المرجع السابق، ص225.
- (3) بن قرجون، المصدر السابق، ج1، ص363.
- (4) القاضي عياض، المصدر السابق، ج1، ص340.
- (5) محمد الطالب، المرجع السابق، ص88.

وحطت به الرحال في جامع القيروان يفتي ويفقه الناس على مذهب مالك، فكان إمام عصره ومركزه الاجتماعي جعله يقترب من أمراء الدولة⁽¹⁾.

أما عن نتاجه العلمي فزغم عمره الطويل فلم يكن مشتغلاً بالتأليف بل اكتفى بما قدمه في المدونة الكبرى والتي تعتبر من المراجع الرئيسية في الفقه المالكي، وبالإضافة إلى التعليم والفتيا فقد تولى سحنون منصب قضاء القيروان سنة 234هـ، حيث كان عمره 74 سنة⁽²⁾، وبقي قاضياً حتى وفاته سنة 240هـ، ولقد اشتهر بالعدل والإنصاف وإحقاق الحق، دفن بالقيروان وقبره معروف.

3- بن أبي زيد القيرواني: أبو محمد عبد الله القيرواني ولد بالقيروان وفيها عاش وحفظ القرآن الكريم، وتلقى العلوم وأظهر ميلاً للفقه، درس كتب الفقه المالكي، فكان أحد علماء عصره بالفقه المالكي، أخذ العلم عن شيوخ بلده ومنهم أبوبكر بن اللباد وأبو الفضل الميسي، وأبو الحسن الخولاني⁽³⁾.

كما كانت له رحلة إلى المشرق تحصل فيها على إجازات من بعض العلماء وهو رجل تقي قال فيه شيخه القابسي: (إمام موثوق في ديانته ورايته)⁽⁴⁾. له العديد من المؤلفات، منها النوادر والزيادات على المدونة وكتاب مختصر المدونة وكتاب الرسالة، وتعتبر مؤلفاته من أمهات الكتب في الفقه المالكي التي درسها العلماء بعده، المتوفى في 386هـ ودفن بداره بالقيروان⁽¹⁾.

(1) عزب محمد زنيهم، الإمام سحنون، تقديم، حسين مؤنس، دار الفرجاني، القاهرة، 1992م، ص12.

(2) القاضي عياض، المصدر السابق، ج1، ص345.

(3) بن فرحون، المصدر السابق، ج1، ص328.

(4) المصدر نفسه، ج1، ص427.

وبتخصيص الحديث عن ليبيا وعلماؤها المالكية دون غيرهم، فقد وردت في كتب التراجم والطبقات الكثير من الأسماء والألقاب التي تدل على مناطق ليبية معروفة مثل: الطرابلسي - البرقي - الإجدابي - الزليطني - الغرياني - السرتي وغيرهم، وأكثر من أسهب في ذلك صاحب كتاب الجواهر الإكليلية في أعيان علماء ليبيا من المالكية⁽²⁾ ومن أمثلة ذلك:

- 1- عبد الكريم بن أبي يونس البرقي، متوفي 230هـ.
- 2- إبراهيم بن محمد الغافقي الأطرلسي، متوفي 253هـ قاضي طرابلس.
- 3- عبد الجبار بن خالد السرتي، متوفي 281هـ، ذكر في أغلب كتب طبقات المالكية، وكان رجلاً ورعاً، قال عنه صاحب الرياض (كان من عقلاء إفريقية، سمع من سحنون وعليه اعتماده).
- 4- أبو الحسن علي بن محمد بن المنتصر الطرابلسي، من أهل طرابلس، الفقيه النبيه العالم العامل، أخذ عن أبي زيد القيرواني، ورحل لمكة وأخذ العلم من هناك ورجع لبلده وأحياء السنة وأزال البدع، ألف الكافي في الفرائض مولده بطرابلس 348هـ، وتوفي بقرية من قرى مسلاته سنة 432هـ/1040م⁽³⁾.
- 5- أحمد أبو جعفر بن نصر الداودي الأسدي الطرابلسي، الإمام الفاضل المتقن الفقيه، له حظ من اللسان والحديث، له شرح على الموطأ وله الواعي في الفقه والنصيحة في

(1) ناصر الدين محمد الشريف، الجواهر الإكليلية في أعيان علماء ليبيا من المالكية، دار البيارق للطباعة، عمان، 1991م.

(2) رياض النفوس، ج1، ص463.

(3) ينظر ترجمته: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ج1، ص164.

شروح البخاري والإيضاح في الرد على القدرية وأصل كتابة شرح الموطأ، ولد بطرابلس، وتوفي بتلسمان سنة 440هـ، 1048م⁽¹⁾.

ومن علماء المالكية الليبيين المتأخرين نسبياً.

6- أحمد بن مفتاح المحجوب الزليطني: ولد بزليتن سنة 1297هـ بقرية الفواتير وبها حفظ القرآن، رحل لتلقي العلم بالأزهر الشريف، واشتغل بالتدريس، توالى القضاء الشرعي بمسلاته زمن رمضان السويحلي، فكان مثلاً للعدل وإحقاق الحق.

7- المختار بن حسين: من علماء الزاوية، ولد في أوائل القرن الرابع عشر الهجري، حفظ القرآن الكريم، وكانت له رحلة إلى الأزهر، تولى القضاء بعد عودته، وكان مثلاً للعدل والإنصاف، توفي في سنة 1367هـ/1948م⁽²⁾.

هذه نماذج مختلفة ومن مناطق متفرقة من ليبيا، حاول فيها الباحث تتبع التسلسل التاريخي، لاسيما في الفترة المبكرة من دخول المذهب المالكي ونشأة المدرسة المالكية بالغرب الإسلامي، وبالأخص في إفريقية (ليبيا وتونس) في الفترة قيد البحث وهي القرون الهجرية الأولى التي دخل فيها مذهب مالك وانتشر وترسخ في المغرب الإسلامي. وأرجو أن تكون هذه محاولة بسيطة وجادة لدراسة هذا الموضوع من هذا المنظور، والذي يفتح المجال أمام دراسات واسعة ومعقدة عن الجانب التاريخي للمذهب المالكي في ليبيا والمغرب الإسلامي، إن كنت أصبت فبتوفيق من الله، وإن أخطأت فمن طبيعة البشر، والكمال له وحد

الخاتمة

(1) المصدر نفسه، ج1، ص165.

(2) ناصر الدين الشريف، المرجع السابق، ص379.

من خلال ما تم دراسته توصل الباحث إلى عدة نقاط وهي نتائج البحث:

- 1- إن إفريقية (ليبيا وتونس) منطقة واحدة لا يمكن فصلها في فترة دخول المذهب المالكي ونشوء المدرسة المالكية.
- 2- كان لمجتمع المغرب الإسلامي ميزات التي قربته لتقليد مذهب مالك من خلال الطبيعة الاجتماعية والميول لمدينة الرسول وفقهاها، كذلك وقوع المنطقة في طريق عبور قوافل الحجيج وسير طلبة العلم.
- 3- دخول وانتشار المذهب المالكي عن طريق طلبة العلم الذين رحلوا وتلقوا العلم عن الإمام مالك نفسه في المدينة النورة، وقلدهم في ذلك من جاء بعدهم حتى أصبحت رحلة العلم تقليد سائد.
- 4- اجتمع عدة عوامل منها فكرية ودينية واجتماعية وسياسية وسلوكية في دخول وترسيخ المذهب المالكي في إفريقية وباقي دول المغرب.
- 5- ظهور عدد كبير من علماء المالكية في إفريقية وكان السبق فيهم لعلي بن زياد الطرابلسي الذي أدخل الموطأ ودرّسه كمنهج لنشوء مدرسة مالكية في المغرب الإسلامي.
- 6- في ليبيا بالتحديد وعبر فترات تاريخية مختلفة ومتعاقبة، وفي مناطق ليبية مختلفة ظهرت الكثير من الشخصيات المالكية التي خدمت المذهب من خلال تدريسها للطلاب وتأليفها في الفقه المالكي حسبما تطرق له الباحث بشكل عابر، إذ لا يتسع المقام للتفصيل فيه.

7- تغلب المذهب المالكي على كل منافسيه في المنطقة لما اكتسبه من شعبية كبيرة وتماشيه مع أغلب الناس والسلطات الحاكمة.

قائمة المصادر والمراجع

- 1: السيد عب العزيز سالم، تاريخ المغرب في العصر الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 1982م،
- 2: اليقوي، أحمد بن إسحاق، البلدان، مدينة ليدن، 1906م،
- 3: ابن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، تح: عبد المنعم عامر، شركة الأمل للطباعة والنشر، القاهرة، دون تاريخ،
- 4: الطاهر الزاوي، تاريخ الفتح العربي في ليبيا، دار العربية للكتاب، بيروت، لبنان، 1978م،
- 5: إحسان عباس، تاريخ ليبيا، دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازي، 1967م، ص. 10.
- 6: محمد مصطفى بازاما، ليبيا في عهد الخلفاء الراشدين، طرابلس، ليبيا، دار الفكر العربي، 1998م،
- 7: محمد صدقي الجاني، ليبيا قبيل الاحتلال الإيطالي، المطبعة الفنية الحديثة، 1971م،
- 8: التيجاني، محمد عبد الله بن محمد، رحلة التيجاني، دار العربية للكتاب، ليبيا، 1981م،
- 9: ابن حوقل، صورة الأرض، مكتبة دار الحياة، بيروت، دون تاريخ،
- بن حوقل، صورة الأرض، التيجاني، رحلة التيجاني، العبدلي رحلة العبدلي.
- 10: سامية مصطفى سعد، العلاقات بين المغرب والأندلس، مطبعة المهر، مصر، 2000م، .

- 11: امحمد مختار عمر، النشاط الثقافي في ليبيا، من الفتح الإسلامي وحتى العهد التركي، الجامعة الليبية، طرابلس، 1971م،
- 12: يوسف أحمد حوالة، الحياة العلمية في إفريقية (المغرب الأدنى) جامعة أم القرى، مكة 2000م،
- 13: عثمان كعكع، مراكز الثقافة في المغرب، الدراسات العربية، القاهرة، 1958م، ص. 115
- 14: ابن فرحون المالكي، الذبيح المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، تح: أحمد عبد الرحمن دار التراث، القاهرة، ج1،
- 15: مالك بن أنس، موطأ مالك، تح: عبد الوهاب عبد اللطيف، المكتبة العلمية، 1997م،
- 16: الليثي، بن يحيى، موطأ الإمام مالك، إعداد: أحمد عرموش، دار النفائس، لبنان، 1987م،
- 17: أمين الخولي، مالك بن أنس، دار الكتب العلمية، بيروت، 1989م، .
- 18: السيوطي، جلال الدين، تنوير الحوالك، شرح علي موطأ الإمام مالك، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج1.
- 19: القاضي عياض، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعيان مذهب مالك، تقديم محمد بن كاويت الطنجي، وزارة الأوقاف، الرباط، .
- تقديم محمد بن كاويت الطنجي، وزارة الأوقاف، الرباط، .
- 20: الذهبي، شمس الدين، سير أعلام النبلاء، تح: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1986م، .
- 21: الرزقاني، شرح الرزقاني على موطأ الإمام مالك، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1990م، .
- 21: رمضان الشربتاجي، المدخل لدراسة الفقه الإسلامي، دار الجامعة الحديثة، 2003م،

- 22: مصطفى الشكعة، إسلام بلا مذاهب، الدار المصرية اللبنانية، 1997م،
- 23: محمد علي السياس، تاريخ الفقه الإسلامي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1990م،
- 24: ابن خلدون، عبد الرحمن، المقدمة، تح: حامد أحمد طاهر، دار الفجر للتراث، القاهرة، 2004م،
- 25: حسين مؤنس، معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م،
- 26: محمد الطالبي، تراجم أغلبية مستخرجة من كتاب المدارك، تونس، 1968م .
- 27: نجم الدين الهنتاتي، المذهب المالكي بالغرب الإسلامي، دار تير، تونس، 2004م.
- 28: عمر الجيدي، مباحث في المذهب المالكي بالمغرب، المغرب، 1993م،
- 29: أبوالعرب محمد بن أحمد بن تميم القيرواني، طبقات علماء أفريقية، تح: علي الشابي، يعيم حسن، الدار التونسية للنشر، 1968م .
- 30: عزب محمد زنيهم، الإمام سحنون، تقديم، حسين مؤنس، دار الفرجاني، القاهرة، 1992م .
- 31: ناصر الدين محمد الشريف، الجواهر الإكليلية في أعيان علماء ليبيا من المالكية، دار البيارق للطباعة، عمان، 1991م ينظر ترجمته: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، ج1، .

ظاهرة مضايقة المرأة في الفضاء العام: دراسة امبيريقية

إعداد د. عثمان علي أميمن

مقدمة:

عرفت المرأة كافة أشكال الاضطهاد والقمع في مجتمعات كثيرة منذ حقب موعلة في القدم، ويرجع السبب في ذلك إلى تلك النظرة الدونية التي ينظر بها بعض الثقافات للمرأة، حيث تنظر إليها على أنها رمز العيب والدونية والقصور والفجور والفساد، وأنها مصدر جميع الشرور والآثام، وأنها غير جديرة بالثقة والاحترام. وتتسم الثقافة في كثير من المجتمعات وخاصة الشرقية منها بأنها ثقافة ذكورية تعلى من شأن الذكر وتقلل من شأن الأنثى. ولذا غدا الموروث الثقافي الذي يحابي الذكر يشكل عنفاً فظيماً على الأنثى، كما تقول (أمل سالم العوادة)، والذي يتجلى في شكل مقابلتها بالحرز وخيبة الأمل عند ولادتها، وذلك بعكس ولادة الذكر التي تبعت على الفرح والأمل للأسرة، لأن في ولادته تعزيزاً لمكانة الأم ورفعاً لشأنها. تعزز الثقافة إنجاب الزوجات للأبناء وتدعو لتطبيق العاقر، كما تعد ولادة الذكر قوة وسند للعائلة... وعندما تبدأ عملية التنشئة الاجتماعية، فإن التمييز فيها يبدو واضحاً للذكر وذلك بإعطائه حرية اللعب والعمل والتعليم والخروج لتنمية هواياته، في حين تحرم الفتاة من الخروج واللعب والتعليم والعمل، بيد أن هذا التمييز وكما يقول "هشام شرابي" جاء لصالح الأنثى لأنه يتيح لها شيئاً من الحرية يجعلها قادرة على تطوير قواها الذاتية في استقلال وسرعة لا نجدها عند الذكر (العوادة، 2002: 39).

عرفت المرأة كافة أنواع الاضطهاد والتمييز بينها وبين أخيها الذكر حتى في أسرتها؛ فبعض الآباء يتحيزون للابن الذكر بالحب والدعم والتجاوز عن أخطائه، ومنحه حق التحكم في أخته والسيطرة عليها ولجم عواطفها وقمعها إن أظهرت أي نوع من التمرد أو الشجب أو عدم الرضا، لا بل ويلاحظ أن بعض الآباء يورث أبنائهم الذكور دون الإناث؛ حيث يحرموهن من الإرث على الرغم من أن الدين أعطي للأخت الحق في أن ترث

نصف ما يرثه أخيها الذكر. ولذلك وبتتالي السنين أدركت الأنتى أن سلامتها تكمن في الامتثال لأوامر الذكر ونواهيه، وأن مجابته تعرضها للإذلال والتعرض لكافة صنوف العذاب والقهر، كما اقتنعت بدورها الثانوي في الحياة وبضعفها وقلة حيلتها، وبأنها مخلوق من درجة ثانية. ولكن وبقدر امتثال المرأة للرجل وبقدر استجابتها لنواهيه وإخلاصها في خدمته وإظهارها الطاعة له، بقدر ما أمعن في طلب المزيد من انصياعها له. وعندما تتصاع المرأة للرجل وتُعزز على هذا الانصياع، فإنها ستقتنع إرادياً بدورها الثانوي في الحياة وستعطي الذكر الحق في ممارسة أي اضطهاد عليها. على هذا النحو صارت المرأة تقبل بدونيتها وتقتنع بأن الرجل يفوقها مرتبة ومكانة وهو ما أدى في كثير من الأحيان إلى تقبلها اعتدائه عليها لفظياً وجسدياً، بل ويلاحظ أن بعض النساء يمارسن سلوكيات من شأنها استثارة غضب الرجل ومن ثم اضطهاده لها، حيث صار مثل هؤلاء النساء يسعدن بعقاب الرجال لهن، ولكن ويتطور المجتمعات ويانتشار مظاهر التحديث الاجتماعي وبإدراك دور المرأة في التنمية الاجتماعية، ويانتشار تلك الدعوات والحملات التي طالبت بحق المرأة في المساواة بالرجل في العقود الأخيرة من القرن الماضي، نالت المرأة حقوقاً كثيرة، حيث خاضت غمار العمل والتعليم، وتقلدت كافة المناصب التي كانت في يوم ما حكراً على الرجل. ولقد نالت المرأة الغربية بالذات حقوقاً كثيرة مساوية تقريباً لحقوق الرجل في عدة ميادين. كما أن القانون الغربي الذي اعترف بحقوق المرأة ومنحها إياها، قدم لها الدعم والحماية في حالة تعرضها لأي غبن أو ظلم. حقاً إن المرأة نالت أيضاً حقوقاً كثيرة في المجتمعات الشرقية تقليداً لما حظيت به المرأة الغربية، ولكن بدرجة أقل.

لقد أعطت الثقافة الغربية المرأة حقوقاً كثيرة في ميادين التعليم والتمريض والاقتصاد، والعمل والحقوق المدنية، والتنشئة الاجتماعية، وحرية التصرف والقبول والرفض ونحوها، ولقد ترتب على ذلك أن صارت المرأة الغربية تعمل إلى جانب الرجل في كافة المجالات، وأن تتمتع بنفس حقوقه، وتؤدي نفس واجباته. ولكن ومع هذا التقدم الذي أحرزته المرأة

الغربية، فإنها لم تصل بعد إلى المساواة الكاملة بالرجل الغربي، والدليل على ذلك حكر بعض المناصب على الرجل، وتعرضها لاضطهاده ومضايقته، وتعرضها لاغتصابه وتحرشه بها جنسياً أيضاً.

أتاحت برامج التحديث الاجتماعي للمرأة فرص التعليم والتوظيف والخروج من البيت للعمل أسوة بالرجل، كما بصرت وسائل الأعلام المختلفة بدور المرأة وبإمكاناتها الهائلة، وبدرجة أسهامها في التنمية والتغيير الاجتماعي فتراجعت إلى حد ما تلك السيادة الذكورية عليها، وصار الاعتراف بحقوقها وبأدमितها حقيقة واقعة. وبالفعل تمكن بعض النساء من تأكيد دواتهن في مجالات التعليم، والعمل، والبحث العلمي.

بيد أن لخروج المرأة للعمل ومنحها حقوق مساوية للرجل مثالب كثيرة، ومن بين هذه المثالب: تفكك الأسرة، وضعف الرعاية النفسية والعاطفية للأبناء، وتناقص فرص العمل أمام طالبه من الذكور، وتحقيق إمكانية استقلال المرأة عن الرجل اقتصادياً. ولقد ترتب على هذا أيضاً تمتع المرأة بحقوق أوصلتها إلى درجة التبرج وممارسة سلوكيات خادشة للحياء. ويعتبر التحرش الجنسي الذي يمارسه بعض الرجال على النساء ثمرة من ثمار الحقوق التي نالتها المرأة والتي في مقدمتها التواجد في العمل، والدراسة في نفس الأماكن التي يتواجد بها الرجل. كما ساعدت وسائل الأعلام المختلفة على إبراز دور المرأة، وإبراز مفاتنها ومصادر قوتها. وقد استغلت وسائل الأعلام المرأة في عرض دعايات نسائية تتعلق بتسويق سلع الميك أب، وأدوات الرياضة، والطهي والموضة ونحوها. أي أن وسائل الأعلام استغلت جسد المرأة في عرض دعايات مغرية تروج لسلعة ما، وهو ما تسبب بطريقة غير مباشرة في تسطيحها وتهميشها، وجعلها سلعة تُباع وتشتري. فالمرأة في صورة الأعلام اليوم جسد وشهوة ومكياج وفتنة، فُجُردت بذلك من إمكاناتها العقلية الفذة.

تظهر وسائل الإعلام المرأة أيضاً على أنها وسيلة إنجاب، ووسيلة إشباع وأنها مجرد جسد أنثوي ومادة مرغوبة للرجل وجذب انتباهه، أو أنها كائن مسلوب الإرادة، ويتسم

بالتبعية وإلغاء الذات والصبر على المكاراة (أميمن، 2005: 278-279). ولقد ترتب على ذلك أن استغلت المرأة العروض الإعلامية لنيل الشهرة والمال، فصارت المرأة الغاوية، أو الراقصة، أو المطربة في الأعلام أكثر شهرة من عالم ما في معمله يعمل ليلاً ونهاراً لكشف مصل أو عقار مضاد لداء عضال كالسرطان مثلاً، وصارت أكثر منه ثراءً وجاهاً.

استغلت وسائل الأعلام المرأة في صناعة السينما وفي المسلسلات العاطفية، فأظهرتها بطريقة مغرية وجذابة، وكشفت عن مفاتها، وقد وصل الأمر بها في بعض الأحيان إلى عرض مفاتها بطريقة فاضحة. بيد أن لهذه العروض الفاضحة مثالب كثيرة، ومن بين هذه المثالب: ارتداء المرأة الثياب الكاشفة والواصفة لجسدها، والمشي على نمط عارضات الأزياء، واستعمال المكياج المغربي، وكل ما يغوي الرجل ويدفعه للتحرش بها في أي مكان يقابلها فيه. ويلاحظ من الواقع المعيش أن الشباب في المجتمع العربي كغيره من المجتمعات الأخرى، صار يتأثر بما يحدث في المجتمعات الأخرى التي أعطت المرأة حقوق تأكيد الذات، والعمل وارتداء كل ما يحلو لها، وإظهار مفاتها والتصرف وفق ما تتطلع إليه. ومن الأمثلة على ذلك تأثر الشباب بما يحدث في المسلسلات المدبلجة التركية والمكسيكية التي تنشر ثقافة الحب والعلاقات غير المشروعة، وتعرض المرأة بطريقة سافرة ومغرية. ولقد جعل مضمون مثل هذه المسلسلات التعلق بفتاة ما ومغازلتها وحبها والتحرش بها حقيقة واقعة، أو أمراً مقبولاً وعادياً لا بل ومطلوباً في بعض الأحيان، وهذا ما نلحظه اليوم على أرض الواقع؛ فكثير من الشباب من الجنسين يقلد أبطال المسلسلات المدبلجة في الحب والحديث ونوع العلاقات ونحوها.

حقاً إن هناك بعض النساء محتشمت وخلوقات، ويتضايقن من تحرش الذكور بهن، ولكن وبالمقابل هناك أيضاً إناث يحرصن على فعل كل ما يفتح شهية الذكر لمعاكستهن والتحرش بهن في كافة الأماكن التي يمكن لهن الاحتكاك به مثل الكليات الجامعية،

وشواطئ البحر، والعمل، والأسواق، والحدائق، والمنتزهات العامة ونحوها. وعليه وبناءً على ما سبق ذكره سنسلط في هذا البحث الضوء على بعض العوامل النفسية والاجتماعية التي تقود لظاهرة مضايقة المرأة أو معاكستها في الفضاءات العامة من وجهة نظر بعض المبحوثين من الجنسين بهدف الإسهام في تطوير نظرية تفسر هذه الظاهرة، ومن هذا كله تبلورت مشكلة البحث.

تحديد مشكلة البحث:

تشكل المرأة في أي مجتمع نصف سكانه تقريباً، وهي تقوم بعملين: عمل داخل المنزل، ويتمثل في رعاية وتربية الأبناء وأداء الأعمال المنزلية، وعمل خارجه ويتمثل في العمل كمعلمة أو موظفة أو ممرضة وما إلى ذلك. ويُفترض أن تحظى المرأة بالتقدير والرعاية، وأن تتمتع بالأمن النفسي والجسدي في مقر عملها وأثناء ذهابها إلى العمل، أو عند رجوعها منه، ولكن يلحظ اليوم كثرة تعرض المرأة للمضايقة وكافة أنواع التحرش الجنسي عندما تكون خارج بيتها، وهي مضايقات تصدر في العادة من الشباب الذين يتسكعون في الشوارع، أو يتواجدون بنواصيها، أو يتواجدون في المحال التجارية كباعة، أو مشتريين، أو متفرجين بسبب كثرة وقت الفراغ لديهم، أو بطالتهم، كما تتعرض المرأة لمضايقات من الرؤساء أو الزملاء في العمل، أو في الجامعة، أو في المدرسة، أو في الأسواق العامة وأماكن التنزه ونحوها. وكل مظاهر المضايقة اللفظية والجسدية التي تتعرض لها المرأة لا بد وأن تشعرها بآلام نفسية وجسدية، وتنال من روحها المعنوية، وتشعرها بالدونية، وهو ما يؤثر سلباً على دورها الاجتماعي داخل البيت وخارجه. كما تنال المضايقات التي تتعرض لها المرأة من سمعة أسرتها وأولادها وزوجها إن كانت متروجة، وعلى الرغم من أن المرأة تؤدي دوراً كبيراً في تنمية وتطوير المجتمع من خلال عملها داخل البيت وخارجه في شكل عمل ما، إلا أنها وبشكل عام لم تحظ بالتقدير اللازم مثل ما يحظى به الرجل؛ ففي الأسرة مثلاً يتعرض كثير من الإناث لصنوف الإذلال

والقهر والقمع، ويرغم على الخضوع لإخوتهن الذكور، وينلن حقوقاً أقل من حقوقهم، ويتضايق بعض الآباء من قدوم البنت، ولكنهم يهللون لقدوم الذكر، كما تُرغم الأنثى في كثير من الأحيان على أداء أدوار أو أعمال ضد رغبتها، وقد يتم تزويجها في سن مبكرة إن تقدم أحد الرجال لطلب الزواج منها للتخلص منها وما إلى ذلك. تشعر الأنثى التي تُعامل بقسوة، ويفضل أخوتها الذكور عليها بالدونية وقلة القيمة والغبن والظلم، وفقدان الحب والتقدير ما يدفعها للبحث عن حبها الضائع خارج أسرتها، كأن تستجيب مثلاً لمضايقة ذكر ما لها في الأماكن العامة، وقد ترتبط معه بعلاقة عاطفية، أو تدخل مع في مغامرات عاطفية مع عدة ذكور تجد من خلال كلماتهم الرقيقة ذاتها، وتجد تقديرها، وهي بالطبع أفعال ملتوية وغير مشروعة.

تستغل وسائل الإعلام المرأة في الدعايات لأنواع الميك أب والملابس والأدوات الرياضية، وبشكل ينال من احترامها وكرامتها، وتُستغل في تمثيل أدوار تبرزها كغاوية ومنحلة أخلاقياً، وباحثة عن إشباع غرائز الجسد، أو تُستغل في مشاهد أغاني الفيديو كليب بدافع إثارة الغريزة لدى المشاهد، وتستغل في صناعة الأشرطة والصور الجنسية ونحوها، ولقد أدى هذا كله إلى تعرضها لكافة أنواع المضايقة وألوان التحرش الجنسي في أي مكان تحل به، كما أدخل في خلد كثير من الذكور أن المرأة كائن يجب الاستمتاع به، وغير جدير بالتقدير والاحترام، ورمز الفتنة والغواية والقصور.

لكن مع هذا للمرأة أيضاً دور في دفع بعض الذكور لمضايقتها بالمعاكسة. فالمرأة التي ترتدي الثياب الضيقة أو اللاصقة، وتتصنع في مشيتها، وتتنظر برغبة في عيون الرجال، وتختلط بهم، وتحجب على المكالمات غير المعروفة لديها، وتمشي لوحدها، وتبتسم لمن يتحرش بها لفظياً أو جسدياً، وتكثر من التجول خارج البيت بلا هدف، وتستعمل الميك أب الصارخ الخ... لا بد وأن تكون عاملاً في دفع الذكور لمعاكستها.

وقد يخطر بعض الشباب في المعاكسة لضعف وازعهم الديني، وبسبب ما يعانیه المجتمع من تفكك وانحلال اجتماعي، وضعف رقابة على أبنائه.

تفرض قيود صارمة على سلوك الأنثى في المجتمعات ذات الثقافة الذكورية خارج أوقات الدراسة أو العمل. ولذلك يعد الخروج من البيت الوسيلة الوحيدة للتفاعل مع العالم الخارجي وخاصة مع الذكور. ويعتبر الخروج بحجة التسوق أو العلاج، أو التنزه، أو زيارة الآخرين وسيلة مناسبة للاختلاط بعالم يحكمه الذكور. حيث يتسنى للأنثى الاحتكاك بالذكر في كثير من المرافق والميادين العامة. وعندما ترتبط الأنثى بعلاقة عاطفية تحقق حاجتها للحب، أو تشبع دافعها الجنسي، أو تجد من خلالها ذاتها، أو تتذوق طعم العلاقات العاطفية، فإنها ستميل باستمرار للخروج من البيت. على هذا النحو تتعدد العوامل المسؤولة عن مضايقة أو معاكسة الأنثى في الفضاءات العامة، وبناءً على ما سبق فقد تحددت مشكلة البحث الحالي في السؤال الرئيس التالي: ما نوع العلاقة بين بعض العوامل النفسية والاجتماعية وبين انتشار ظاهرة مضايقة الإناث في الفضاءات العامة بمدينة الخمس وضواحيها؟

أهداف البحث يستهدف البحث الحالي تحقيق الأهداف الآتية:

(1) التعرف على ما إذا كانت هناك علاقة ذات دلالة إحصائية عند مستوى 0.05 بين المعاكسة وكل من: دور المرأة في المعاكسة، أماكن الاحتكاك بالمرأة، دور الذكر في المعاكسة، وقت المعاكسة، نوع المرأة المعاكسة، آليات العولمة، بحث المرأة عن الحب، المشكلات الاجتماعية.

(2) التعرف على ما إذا كان لكل بعد من أبعاد المعاكسة كمتغيرات مستقلة وهي: دور المرأة في المعاكسة، أماكن الاحتكاك بالمرأة، دور الذكر في المعاكسة، وقت المعاكسة، نوع المرأة المعاكسة، آليات العولمة، بحث المرأة عن الحب، المشكلات الاجتماعية إسهام جوهري في حدوث المعاكسة.

أسئلة البحث: يستهدف هذا البحث الإجابة الأسئلة عن الآتية:

- 1) هل توجد علاقة ذات دلالة إحصائية عند مستوى 0.05 بين المعاكسة وكل من: دور المرأة في المعاكسة، أماكن الاحتكاك بالمرأة، دور الذكر في المعاكسة، وقت المعاكسة، نوع المرأة المعاكسة، آليات العولمة، بحث المرأة عن الحب، المشكلات الاجتماعية؟
 - 2) هل لكل بعد من أبعاد المعاكسة كمتغيرات مستقلة وهي: دور المرأة في المعاكسة، أماكن الاحتكاك بالمرأة، دور الذكر في المعاكسة، وقت المعاكسة، نوع المرأة المعاكسة، آليات العولمة، بحث المرأة عن الحب، المشكلات الاجتماعية إسهام جوهري في حدوث المعاكسة؟
- أهمية الدراسة: تتبع أهمية هذا البحث من الآتي:

- 1) إعادة اختبار تلك النظريات التي تفسر دوافع السلوك الاجتماعي أو الشخصي، وتوظيف مقولاتها في تفسير ظاهرة مضايقة أو معاكسة الأنثى في الفضاءات العامة، ومن ثم الخروج بتفسير نظري يفسر هذه الظاهرة في ضوء البيانات الإمبريقية المتحصل عليها.
- 2) الوقوف على أشكال ودوافع المضايقات التي تتعرض لها المرأة والوقوف على حجم هذه المضايقات بهدف تسليط الضوء على هذه الظاهرة الخطيرة التي باتت تهدد فئة اجتماعية كبيرة ألا وهي فئة النساء، ومحاولة معرفة دور المرأة نفسها، ودور الثقافة الذكورية في انتشار مظاهر مضايقتها ومعاكستها، ومن ثم الاستئناس بها في وضع حلول تحد من تفاقم هذه الظاهرة المرضية الخطيرة.
- 3) مساعدة أفراد المجتمع على التعرف على حجم ظاهرة التحرش بالأنثى وعلى العوامل المسؤولة عن ذلك حتى يتمكنون من اتخاذ الإجراءات اللازمة للحيلولة دون تعرض بناتهم وأخواتهم وزوجاتهم لكل ما ينال من سمعتهم خارج البيت.
- 4) إشعار الإناث بقيمتهم وبأنهن يمثلن نصف المجتمع، وأنهن محل اهتمام البحث العلمي وذلك بدراسة أشكال الإساءة التي يتعرضن لها خارج البيت ومعرفة العوامل الكامنة وراء ذلك.

5) محاولة الإسهام في تطوير النظرية الاجتماعية وتطوير وسائل البحث الاجتماعي التي تتعلق بتفسير أشكال الإساءة والتحرش التي تتعرض له المرأة خارج البيت.

مفاهيم البحث: وردت في هذه البحث عدة مفاهيم يتوجب تعريفها، وهذه المفاهيم هي:

1) الإساءة للمرأة: ويقصد بها إلحاق الأذى أو الضرر بالمرأة بدينياً، أو لفظياً، أو نفسياً، أو بيولوجياً، أو جنسياً، أو اجتماعياً.

2) التحرش الجنسي: هو كل سلوك ظاهر للعيان أو مضمّر وهدفه جنسي يقوم به الذكر مثل لمس أي جزء من جسد المرأة بطريقة غير عفوية، أو إطالة النظر إليها بعيون تشتهيها، أو ممارسة حركات ذات مضمون جنسي مثل لمس أعضائه التناسلية أمامها، أو جذبها نحوه لتقبيلها، أو الاحتكاك بها، أو تعبير الأنثى عن جاذبيتها أو طلعتها بطريقة جنسية مثل الثياب الضيقة والميك أب الفاضح، والتصنع في المشي، والابتسام وكثرة الضحك، والاحتكاك بالذكور، وهو إسماع الأنثى كلمات جنسية وخادشة للحياء أو مدحها بكلمات ذات مغزى جنسي من قبل الذكر.

3) المعاكسة: تعني ذلك السلوك الذي يستلطف به الذكر الأنثى مثل أظهار الإعجاب بأنافتها أو الإشارة إليها باليد أو إهدائها القبلات عبر الأثير أو الظهور أمامها باستمرار أو إسماعها كلمات تشيد بجمالها وماكياجها وأناقته، أو الحديث بالمعنى أمامها، أو التودد إليها بمختلف الطرق للتقرب منها أو نعتها بكلمات تصف جسدها وجاذبيتها أو مناداتها بألفاظ تعبر عن الحب والهيام بها أو المشي بجوارها ومحاولة لفت انتباهها وإسماعها كلمات معينة.

4) الثقافة الذكرية:

هي تلك الثقافة التي تتضمن القيم والمعايير والاتجاهات التي تبجل الذكر وترفع من مكانته، وتتغاضى عن هفواته، وتمنحه الشعور بالفخر وتنحاز له وتتقبله كما هو، وتمنحه امتيازات استثنائية، وتبيح له اتخاذ القرارات وتنفيذها، وتهلل بقدمه عند ولادته أو ختانه، وترعاه صحياً، وتفرح لأفراحه وتحزن لأحزانه، وتمنحه حق السيطرة والإرث واسم الأسرة،

وتشعره بالقيمة، وتتنعه بالذكاء، وتشيد برجولته وقوته وعنفوانه وكرمه، في مقابل إخماد تلك الثقافة لصوت الأنثى، ونعتها بالقصور والدونية، وقلة الحيلة والذكاء والعيب، وتربيتها على الخضوع والامتثال للذكر، وحرمانها من حق الاختيار والتصرف بدون إذن، والشك في نواياها، وعدم الثقة بها، ومطالبتها بعدم الاحتجاج على من يظلمها، واعتبار أن ولاءها لزوجها، وإظهار التبرم أو الاستياء منها عند ولادتها، والنظر إليها على أنها عورة وعالة على ذوبها، وعار عليهم حتى الممات إن زلت، وأن كل ما ينفق عليها هدر لمال الأسرة، وضرورة تزويجها لأي رجل للتخلص منها وما إلى ذلك. وبمعنى آخر فإن الثقافة الذكورية هي ثقافة تعلى من شأن الذكر على كافة الصعد وتبخس حقوق ومكانة الأنثى وتضعها في أسفل السلم الاجتماعي.

(5) الأنثى: هي لفظ يقصد به كل امرأة سواء أكانت متزوجة أم أنسة أم مطلقة أم أرملة وسواء أكانت كبيرة أم صغيرة السن، جميلة أم قبيحة، متعلمة أم أمية، موظفة أم عاطلة.

(6) العوامل النفسية: ويقصد بها تلك العوامل التي تدفع بالذكر للمعاكسة أو تدفع الأنثى لفعل ما يجعلها موضوعاً للمعاكسة، مثل افتقاد الحب بالبيت أو الشعور بالدونية، أو الرغبة في تجريب الحب، أو ضعف الوازع الديني، أو الشعور بالفراغ، أو لفت الانتباه بنوع الزى أو المشي أو الرد على المثيرات البيئية، والشعور بالكبت والضغط الجنسي والعاطفي الخ...

(7) العوامل الاجتماعية: ويقصد بها تلك العوامل التي تدفع الجنسين للمعاكسة مثل كثرة وقت الفراغ، والبطالة، وانهايار القيم والمعايير الاجتماعية المنظمة للسلوك، وسيادة الثقافة الذكورية، وانتشار الأماكن التي تسمح بحدوث المعاكسة كالأسواق والميادين العامة وكافة الأماكن التي تسمح بالاختلاط بين الجنسين وما إلى ذلك.

(8) المضايقة: Harassment وتعني كافة مظاهر الإساءة للمرأة مثل: إشعار المرأة بعدم الارتياح وعدم تركها في حالها، وذلك بالتحرش بها في شكل إسماعها كلمات جارحة

تصف جسدها أو هيئتها، أو ثيابها أو بشرتها، أو إسماعها كلمات تمدح خصالها الجميلة في الفضاءات العامة ما يشعرها بالتضايق أو الارتباك أو القلق أو الخجل، أو الدونية الخ... ويجدر بالذكر أننا استعملنا لفظي المعاكسة أو المضايقة بمعنى واحد في بعض الأحيان على اعتبار أن هذين المفهومين قد يعبرا عن قضايا مشتركة قد تحبها المرأة أو تكرها؛ فإسماعها كلمات تحبها مثلاً قد يريحها، وقد يضايقها لاعتقادها بأنه اعتداء على حرمتها وكرامتها وأنها غير مهتمة بما تسمعه من كلمات غزلية.

(9) الفضاء العام: ويعني كافة الأماكن التي تتواجد بها المرأة مثل الأسواق والميادين العامة والمنتزهات والمدارس والجامعات، والمحال التجارية، وشواطئ البحر، والمجمعات والمصحات الطبية، وأماكن العمل ونحوها.

الإطار النظري للدراسة: نستعرض في المناقشات التالية تفسير ظاهرة مضايقة المرأة في الفضاءات العامة، وذلك على النحو التالي:

التفسير النظري للتحرش الجنسي في ضوء نظرية الانتشار الثقافي:

تفترض هذه النظرية أن كثيراً من مظاهر التغيير الاجتماعي في مجتمع ما تكون على علاقة بتأثير مجتمع آخر فيه. وقد تحقق هذا الافتراض أكثر من أي وقت مضى في الوقت الحاضر بفضل تقدم وسائل الاتصال والمواصلات. فقد أزال تقدم وسائل الاتصال المذهل معوقات الاتصال السابقة من صحاري وجبال وبحار ومحيطات، حيث صار العالم اليوم بالفعل بمثابة القرية الواحدة. ولقد تحقق الغزو أو الاختراق الثقافي اليوم بسبب براعة الوثوب إلى الفضاء من خلال الأقمار الصناعية والذي كان ثمرة ابتكارات واختراعات متلاحقة ومتصلة ببعضها بدقة. والوثوب للفضاء يعني إمكانية اختراق ثقافة الغالب للمغلوب بحرية وبدون قيود؛ إذ لا توجد بوابة فضائية. كما أن الثقافة الغربية وهي تغذي الفردية والإباحية في الفكر والسلوك، إنما تدرك جيداً تقنيات السيطرة على الإنسان في العالم النامي الذي يعاني كافة صنوف القهر والقمع والبؤس والفقر في بلاده، ما

يجعله ينكب على مشاهدة برامج تشبع فيه على الأقل ولو مؤقتاً غرائز حُرْم من إشباعها لاعتبارات عدة في بلده. ثم إن نغمته المستنرة على مجتمعه تجعله يتقبل بلغة الإيحاء ما يعرض أمامه وبقناعة تامة، وهذا التقبل لا بد وأن يتجسد في لحظة ما بالسلوك الفعلي، على هذا النحو تتحقق التبعية الإرادية لثقافة الآخر؛ ثقافة الفكر العلمي (فنته، 2008: 84).

وتكمن خطورة الغزو الثقافي في أن الخسائر التي تترتب عليه أعمق بكثير من الغزو العسكري أو نحوه والذي عادة ما تكون أهدافه ظاهرة للعيان ومحددة ومن ثم يمكن مقاومته. ومن هنا فإن " الغزو الثقافي يتمتع بقوة استلاب حقيقية للجبهة الثقافية المقاومة بحجة غيابه عن الواقع بصفته عدواً غير مادي ولا مباشر " (الحسناوي، 2009: 30).

يدل التأثر بثقافة الآخر عبر آليات محددة ومبرمجة بدقة على الاستجابة لأهداف الغزو الثقافي ومن ثم تحقيقاً للتبعية الفكرية والاقتصادية والاجتماعية بدون إراقة دماء أو حرب علنية. وبشكل عام تستهدف التبعية بكافة صورها كسب ود وولاء الدول المستقبلية لثقافة الغرب وتغيير الثقافة القومية بلغة الإيحاء وباسم الحرية الفكرية وإظهار حسن النية؛ ذلك لأن الغرب صار يدرك جيداً أن القوة العسكرية قد تحتل الأرض ولكنها لن تستطيع احتلال العقل، ذلك لأن الاحتلال بالقوة كما يقول (عزيز جاسم) يؤدي إلى كسب الأرض لا إلى كسب العقل البشري، وباستطاعة المغلوب استرداد الأرض ما دام قادراً على أن يحافظ على حيويته ودوره. بهذا المعنى إن كسب النتائج بواسطة القوة العسكرية والاحتلال هو انتصار في معركة وليس في الحرب على المدى الطويل. لأن القوة الاجتماعية الواعية في البلدان المغزوة عسكرياً قادرة على مواصلة القتال والكفاح بكل أساليبه من أجل تحرير الأوطان، لكن في حالة الغزو الفكري تتهدم أعمدة الصمود باحتلال العقل من قبل الغزاة. إن احتلال العقل يخمد الكفاح ويقصي عناصر القوة القومية عن ميدان العمل الوطني التحرري (جاسم، 1987: 56).

ويلحظ اليوم غزو الثقافة الغربية للثقافات الأخرى عبر وسائلها الإعلامية المختلفة، ومن أبرز مظاهرها: انتشار البث التلفزيوني عبر الأقمار الصناعية والذي بموجبه صار بإمكان بلدان العالم الأخرى استقبال البث المرئي الغربي بأوضح صورة وأتقى كلمة. لقد صار بإمكان أي فرد في العالم أن يستقبل الثقافة الغربية ويتأثر بها عبر وسائل الإعلام المختلفة من تلفزيون، وانترنت، وهاتف نقال، وفاكس، وبريد إلكتروني، وهي ثقافة تسوق لثقافة الاستهلاك والحب والعنف والجريمة والفردية وتحت مسميات مثل: الحرية الشخصية، والديمقراطية، والخصوصية. ويلاحظ أن للثقافة الغربية وصناعاتها أهدافاً مبيتة، ومن بين هذه الأهداف: القضاء على لغات وثقافة الآخر، والترويج للقيم والمعايير الغربية بهدف السيطرة والهيمنة الفكرية، وإقصاء الآخر من المواجهة وسلب ذاته وتفريغها من مضمونها الثقافي، ذلك لأن الغزو الفكري يسهل إلى حد كبير الاحتواء المادي فيما بعد. فالسيطرة على الفكر تعني ضمناً السيطرة على الجسد.

لقد حققت أهداف العولمة الثقافية تبعية دول الأطراف لدول المركز على المستويين الفكري والسلوكي، وتوجد أدلة أمبيريقية تؤيد ذلك؛ فقد وجد الحسنوي (2009) في دراسته أن 93.6% من الذكور و 94.1% من الإناث يوافقون على أن الشباب يرتدون ثياباً عليها صور أو عبارات أجنبية، ووافق 89.8% من الذكور و 85.4% من الإناث على أن الشباب يسرحون شعرهم تقليداً للمشاهير، ووافق 88.5% من الذكور و 94.6% من الإناث على أن الشباب يفضلون تناول المأكولات الغربية، وبين 94.5% من الذكور و 93.1% من الإناث أن الشباب يرددون بعض الأغاني الغربية، وأفاد 82.4% من الذكور و 83.9% من الإناث أن الشباب يقيمون علاقات عاطفية مع الإناث على نمط الأسلوب الغربي، ووافق 94.8% و 94.6% من الإناث على أن الإناث يرتدين ملابس ضيقة وكاشفة، وبين 94.9% من الذكور و 97% من الإناث أن بعض الشباب يضايقون البنات بالمعاكسات، ووافق 85.3% من الذكور و 90.2% من الإناث على أن بعض

الشباب يرسلون الصور الخليعة عن طريق الهاتف المحمول، وأفاد 96.5% من الذكور و93.7% من الإناث بأن البنات يستخدمن المكياج لإظهار جمالهن (الحسناوي، 2009: 94).

على الرغم من محاسن العولمة الثقافية، إلا أن لها مثالب عديدة أهمها: إن معظم شباب العالم الثالث صار يأخذ من مزايا الثقافة المعولمة جوانبها المسلية وفي هذا بلا شك هدر لطاقته البناءة، ولتتبع ما قاله (مصطفى حجازي) في تفسير هذه الفرضية بشكل موسع حيث يقول... "ول" نعود إلى هدر وعي الشباب بواسطة رضاة التسلية من خلال نموذجين أساسين في الإعلام الفضائي هما مباريات كرة القدم التي تحولت إلى دين جديد للشباب، ومختلف برامج التلفزيون التي تتنافس فيها بعض القنوات الفضائية والمخصصة لصناعة " النجومية السريعة" بين جيل الشباب. ويضاف إليها بالتزام والتبادل كل برامج الإثارة الحسية الآنية، وموجات الموضة المتجددة التي تعرفها. في كل هذه الحالات يدفع الشباب إلى البقاء على مستوى الرغبة والمتعة والإثارة، وتقوم محاولة إبعاده عن عالم الأفكار والتساؤل والتشكيك في مشروعية ممارسات الهدر الذي يطاله. يطمس التفكير حول الكينونة وأخطر منه حول الصيرورة لصالح العيش في المتع الآنية، والانحسار إلى مستوى المعيشة الحسية للوجود بعيداً عن التساؤل والتأمل الذي هو الخطوة الأولى نحو التغيير والتجاوز وتجديد الحياة من خلال بنائها" (حجازي، 2006: 232)

ولا ينكر (حجازي) دور الترويح عن النفس، ولا يقصد أن يتحول الشباب إلى عقلية العجزة وحكمة الشيخوخ، ولكنه يرى أن إغراق الشباب في الدين الكروي الجديد، وصناعة النجومية بكل أحلامها قد يتحول إلى عملية تهميش لهذا الشباب وإقصائه عن دوره النشط في قيادة أمور الحياة. إن "ما يجري راهناً، في الكثير من الأحيان، وخصوصاً عند شرائح شباب الظل المحرومين حتى من متع الحياة المستحقة وبالطبع من إنجازاتها، وكذلك الشباب الذي يزوي في البطالة بعد طول عناء في الدراسة، مع الوصول إلى طريق

مسدود في بناء مشروع حياة منتجة منجزة ذات قيمة واعتبار، هو الإلهاء والتخدير واستبدال اللحم عزيز المنال فعلياً بالواقع المرير وتغييره" (حجازي، 2006: 233)

ولقد ترتب على ذلك انتشار ثقافة الحب والغزل والتحرش بالأنثى في مجتمعات كثيرة كانت مجتمعات محافظة ذات يوم. ولذلك نلحظ ونسمع قصصاً وحكايات بين الشباب الشرقي تتسج على المنوال الغربي، ونلاحظ ابتذال الذكر للأنثى وتحرشه بها وإرغامها ولو بالقوة على الانصياع الجسدي والنفسي والعاطفي له. كما نلحظ أن الشباب العاطل عن العمل هو من أكثر الفئات تحرشاً بالأنثى، وأكثر ممارسة لأحلام اليقظة، وأكثر اتقاناً لمهارات المعاكسة تقليدياً لما يشاهده على القنوات الفضائية التي تسوق لثقافة الجنس.

لقد تأثرت المرأة الشرقية -وحتى في البلاد العربية- بأساليب زميلتها في الغرب؛ حيث صارت ترتدي الملابس التي تصف وتشف، وتضع المكياج الفاقع اللافت للرجل والمؤجج لغريزته الجنسية، وصارت تغير من طريقة مشيتها وحديثها، وتتجرأ على الحديث معه والالتقاء معه في أماكن بعيدة مشبوهة أو بعيدة عن الأنظار. وهذا ما أكده معظم المبحوثات اللاتي أفدن بأن اللباس الغربي واللاصق والعصري في تصميمه، والميك أب الفاضح، وطريقة النظر والحديث غدت كلها وسائل تغري الذكر بالتحرش بالأنثى وإسماعها كلمات خادشة للحياة، وتنال من احترامها وتقديرها لنفسها. لقد تعلم بعض النساء في الشرق سبل الإغواء والإغراء وإظهار الفتنة، والإيقاع بالرجل من تلك القنوات الغربية التي تسوق للفجور والإلحاد والانحلال، وتظهر المرأة في دور مبتذل، وككائن باحث عن الشهوة والحب فقط، ويعرض جسده بطريقة تبصر الذكر بمواطن الشهوة وإثارة الغريزة فيه، وعلى هذا النحو صار لوسائل الإعلام الحديثة دور في تحرش الذكر بالأنثى وصار هدف بعض النساء هو إثارة الرجل وتحريضه على مغازلتهم بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

تظهر البرامج الإعلامية أن الأمومة والزواج هما الهدفان الأخيران لأي فتاة في الحياة، كما يستغل بعض هذه البرامج المرأة كوسيلة للريح المادي؛ حيث تستغلها بعض

وسائل الدعاية والأشرطة والمسلسلات المرئية، وأغاني الفيديو كليب المصورة كوسيلة للإغراء وإظهار المفاتن ما أدى إلى التشويه والتسطيح المتعمد لصورة المرأة سعياً وراء تحقيق الأرباح الخيالية في غيبة الانتقاء الجيد والرقابة على الإنتاج. فوسائل الإعلام التلفزيونية كما تقول "ناهد رمزي" تقدم المرأة على أنها كائن قابل للتأرجح به في مجال الترويج للسلع الاستهلاكية، وفي شكل أساليب تعتمد على عناصر التشويق والجاذبية وكأنها كائن جميل أو جسد مطلوب إظهار محاسنه ومفاته، وهو ما يعرض بها المرأة لمختلف أشكال الامتهان والسوقية، ويجعلها في حالة من الاغتراب المتواصل عن أدوارها الجادة المتعددة والمطلوبة منها كمواطن منتج وكائن بشري، بل وكأنسان له حقوقه ومنطلباته " (ناهد رمزي، 2001: 176)

تفسير التحرش الجنسي بالمرأة في ضوء المنظور السلوكي:

يذهب السلوكيون إلى أن المرء يستجيب لمثير ما إذا ما تم تعزيزه أو تدعيمه؛ فالفرد الذي يتعلم إشباع دافع الجوع في مكان ما مثلاً يتوق عادةً للذهاب لذلك المكان لإشباع ذلك الدافع. ومن هنا نرى أن الفرد يكرر السلوك الذي يُثاب عليه ويتقوى السلوك الذي يُعاقب عليه. ويتطبيق هذا المبدأ السلوكي على موضوع التحرش بالمرأة نلاحظ من الواقع المعيش أن الفتاة التي تعتاد سماع كلمات الحب في مكان ما وتسعد بسماعها نراها تتردد على تلك الأماكن.

ونلاحظ بالمثل أن الشاب الذي يلحظ استجابة الفتاة له بالابتسام والغنج والدلال إن لاطفها أو تمكن من إشباع دافعه الجنسي من خلالها، سيميل إلى تكرار ذلك مع أية فتاة أخرى إن تعرض لضغط دافعه الجنسي. ومن هذا المنطلق نلاحظ أن كثيراً من الشباب الذكور يتواجدون أمام المدارس والجامعات، وأماكن عمل النساء وفي الأماكن العامة كالأسواق والمنتزهات وشواطئ البحر بهدف معاكسة الإناث والتحرش بهن والتغني

بجمالهن وأنوثتهن. وبقدر انصياح بعض الإناث لنداء معاكسة الذكور واستجابتهن لمطالبهم، بقدر ما يمعن بعضهم في التحرش بهن ومعاكستهن.

إن الفتاة التي ترتدي الملابس الكاشفة والواصفة وترسل الابتسامات الحميمة، وتتحدث للذكر وتتردد على أماكن مشبوهة وفي أوقات غير آمنة مثل فترة الظهر أو الليل أو تحفل بالذكور، عادة ما تشجع الذكر على معاكستها والتحرش بها سواءً أقبلت بذلك أم لم تقبل. ويلاحظ أن بعض الإناث يظهرن تعنتاً ورفضاً لغزل الرجال في بداية الأمر، ولكن ويتكرر معاكستهم لهن يستجبن للمعاكسة ويستسلمن في النهاية، ذلك لأن سماع بعض الإناث كلمات الحب من قبل الرجل هو بمثابة ضخ الدم في أجسادهن، كما أن المرأة مخلوق تحكمه العاطفة، ويحب الإطراء ويعشق الملاطفة بالفطرة. وبالفعل يؤكد الواقع المعيش أن المرأة التي ترد على معاكسة الرجل بكلمات جارحة أو حتى تضربه هي الأسهل للوقوع في شراكه في النهاية.

تدرك المرأة أن الرجل تبهره المظاهر ويعشق الجمال والأناقة، ولذلك تراها تذهب للعمل أو الدراسة بكامل زينتها وتضع المساحيق المختلفة، وقد ترتدي ثياباً تواكب أحدث أنواع الموضة، كما أن برامج التلفزيون الرومانسية علمتها ثقافة الحب وثقافة التعبير عن الحب والإعجاب بالرجل. وبقدر استجابة الرجل لنداءاتها العاطفية بقدر ما تمعن في إغرائه وإغوائه. وعندما تتمكن هذه المرأة من إشباع دافعها العاطفي بهذه الوسائل، فإنها تميل إرادياً أو قسرياً إلى تكرار مثل هذه الوسائل لجذب الرجل وإغرائه. والشيء نفسه يقال على الرجل؛ فالرجل الذي يقضى وطره العاطفي من امرأة عصرية في زيها ومتبرجة وصغيرة وجذابة، يتعلم أن يعمم هدفه هذا على أية امرأة يراها في الشارع وعصرية في زيها ومتبرجة.

يلحظ الراصد لظاهرة المعاكسة أن الرجل لا يغازل أية امرأة؛ فهو يغازل بالدرجة الأولى تلك التي ترتدي الملابس اللاصقة والواصفة للجسد والشفافة، والتي تضع مكياجاً

جذاباً، وتغير في مشيتها وصوتها، وتتنظر بعيون حميمة في عيونه، وتهديه الابتسامات الدافئة، وتميل للتحدث إليه، وترضخ لكلماته، وتصمت عند سماعها كلماته الغزلية أو تنتظر إليه بدفء وحنان، أو تمشي باتجاهه، أو تعطيه رقم هاتفها النقال إن طلبه، أو تحاوره وتجيب عن أسئلته، وتظهر له الارتياح وتستجيب لمطالبه الخ... فهذه كلها سلوكيات تشجع بعض الذكور على معاكسة الإناث والتحرش بهن. ولذلك يلحظ أن بعض الذكور صار مقتنعاً بأن المرأة كائن خُلق للحب والمعاكسة فقط، وأنه لا عقل ولا تفكير لديه ولا يفكر إلا في زينته، ومن ثم فإن من حقه كذكر أن يغازلها ويلاطفها شاءت أم أبى. وعلى هذا النحو تم تهميش أو تسطيح المرأة وتمت الإساءة إليها، وتم اختزالها فقط في شكل كائن شهواني يطلب المتعة وإشباع النزوة. تقول (زينب الدوكالي) في هذا الصدد: إن بعض الثقافات ما يزال يرى أن المرأة أدنى من الرجل، وأنها رمز الغواية والفتنة، وأقل ذكاء منه، ولا تصلح لأعمال كثيرة، ولا تستطيع قيادة الرجال، وتغلب عليها العاطفة، ولا تحكم عقلها في أمور كثيرة، وتتشغل بتوافه الأمور، وأنها لا تستطيع أن تتقن شيئاً، وأنها مصدر الشرور والآثام، وأنها كائن لا يعتمد عليه (الدوكالي، 2009: 3).

عندما توجد مناطق سيئة السمعة وتدخل بها أنثى ويكتشف بعض الذكور أنها تبحث عن إشباع دافع عاطفي، فإن بعضهم سوف يعاكس أو يغازل أو يتحرش بأي امرأة تدخل تلك المناطق وحتى وإن كانت جاهلة بتلك المناطق ولا تعرف أنها مناطق تحتدم فيها شدة معاكسة الإناث، لا تحدث مغازلة الذكر للأنثى فجأة وبدون سابق إنذار؛ إذ يلاحظ في كثير من الأحيان أن بعض الذكور يستخدم مدخلاً لمغازلة الأنثى كأن يسألها عن الوقت أو عن اسم إحدى صديقاتها، أو يسألها عن مدى إمكانية التعرف عليها، أو يطلب رقم هاتفها، أو يسألها عن أسرتها، أو ما إذا كانت مخطوبة وما إلى ذلك، وبناءً على ردة فعلها يقرر الذكر نوعية التفاعلات التالية معها: فإن إجابته بغنج ودلال وبابتسامه، ونظرت في عيونه بحرارة، وشعر بارتياحها له استمر في طرح الأسئلة عليها، وهي أسئلة

توضح أهدافه من وراء حديثه معها، وعادةً ما تكون بريئة في البداية، ولكن ويتكرر لقاءاتهما ينكسر الحاجز الجليدي بينهما ويفصح الذكر عن رغبته في الارتباط بها، وبأنه صار يحبها ويتعلق بها، ويمنحها كلاماً معسولاً يصعب عليها الصمود أمامه، ويصعب عليها عدم مجاراته بكلام عاطفي مماثل وخاصة إذا كانت هذه الأنثى فاقدة للحنان والحب في أسرتها، وكانت تُعامل بقسوة، وكانت صغيرة السن، ولم تدخل في مغامرات عاطفية من قبل، وتعرف أن لبعض صديقاتها علاقات عاطفية مماثلة مع ذكور.

يتمتع بعض الذكور الذين يحترفون فن معاكسة الإناث بذكاءٍ خارق؛ فمن طريقة نظر الأنثى وضحكتها ومشيتها وردة فعلها ولباسها ومكياجها ونبرة صوتها، يعرفون جيداً ما ستؤول إليه الأمور عند تفاعلهم معها مستقبلاً، وهي معرفة جاءت نتاج الخبرة والتجارب السابقة. ويقدر استجابة الأنثى لإرادة الذكر ودخولها معه في تفاعل، بقدر ما ستسقط عاطفياً أمامه في النهاية.

يلحظ تسلط بعض الذكور على معاكسة الإناث ومضايقتهن بالكلام العذب في بعض الأحيان، والخادش للحياء في أحيان أخرى. فالأنثى التي تستمع لغزل الذكر وتستجيب له، ويلحظ تأثرها به ستجعله يستمر في مغازلتها حتى تسقط أمامه في النهاية في شكل ركوبها معه في سيارته والسماح له بالاختلاء بها ومن ثم قضاء وطره منها في شكل تقبيلها واحتضانها وممارسة الجنس معها، أو معانقتها في مكان العمل أو الدراسة، أو ممارسة الحديث الجنسي معها عبر الهاتف وما إلى ذلك.

يستخدم بعض الذكور كلمات معسولة لاخترق صمود الأنثى ومقاومتها، كأن يقولوا لها كلمات مثل: يا عسولة، يا قمر، يا زلابية، يا كرنبة، يا وردة، يا أمورة، يا عمري، يا حبيبتي، يا حياتي، يا فلة وما إلى ذلك. فهذه الكلمات تؤثر في الإناث وخاصة المراهقات وصغيرات السن وتجعلهن يحلمن بالحب ويأنوثتهن، وبأنهن جذابات، ويلحظ أن بعض الذكور يسمعون بعض الإناث مثل هذه الكلمات وحتى ولو كن قبيحات، ذلك لأن هدف

مثل هؤلاء الذكور هو جنسي محض، ولا رغبة لهم في الزواج منهم في واقع الأمر. ولذلك فإن لفظ الحب أو الزواج أكذوبة كبرى يتلفظ بها بعض الذكور لإشعار الإناث بالأمان وكمدخل للدخول معهن في تفاعلات لاحقة تحقق أهدافهم العاطفية والجنسية في النهاية. هناك أدلة على أن بعض الإناث وقعن ضحية ملاطفة ومغازلة الذكور لهن وإسماعهن كلمات رقيقة تصف جمالهن وأنوثتهن رغم قبهن، وأن هذه الكلمات أدت إلى لقاءات كان بعضها حميمياً وفي شكل تبادل للقلبات، وأن بعض الذكور تحايل على بعض الإناث بحيلة الزواج، ولكنهم وما أن قضاوا وطهرهم منهم حتى صاروا يعزفون عن اللقاء بهن، وصاروا يحترفون قول الوعود الكاذبة، ويختلقون الأعذار الخبيثة لتمضية الوقت معهن، والاستمرار في الحصول على ما يرغبونه منهن.

فكم من شاب يقول لفتاة ما أنه سيخطبها من أهلها وأن قصده شريف، وهو كاذب في واقع الأمر. فسماع الفتاة لهذه الكلمات يشجعها على الالتقاء به ومطارحته الغرام والهيام به حتى تصل إلى درجة الإدمان، وعدم تحمل هجره، بل وقد تصل لدرجة الاستسلام الكامل له. وعندما تستسلم له ويشبع رغباته منها يبدأ في التهرب منها والكذب عليها، وعندما تذكره بوعوده يقول لها مثلاً: إن ظروفه المادية أو الاجتماعية لا تسمح له بخطبتها الآن، أو لا تسمح له بالزواج، أو أنه لا يملك بيتاً مستقلاً، بل وقد ينعتها بكلمات خادشة للحياء، أو يذكرها بأن الأنثى التي تستسلم لذكر ما غير جديرة بالثقة، أو أنها إذا ما استمرت في مضايقته، فإنه سيكشف أمرها للآخرين وهو ما يعرض سمعتها وسمعة أهلها للخطر، وعلى هذا النحو يبتلع مثل هؤلاء الإناث مصائبهن وخيبة أمهلن. وهكذا يصبح بعض الإناث باحثاً عن الحب ومضحياً بكل شيء من أجله، ولكن وبمجرد قضاء ذكر ما وطره منهن، فإنه يتخلى عن وعوده لهن والتي كانت تقطر حباً ذات يوم. وهنا يُصاب مثل هؤلاء الإناث بإحباط مزدوج يصعب تمريره أو تحمله؛ إحباط يتمثل في العجز عن الاحتفاظ بالكرامة وتقدير الذات، وإحباط آخر يتمثل في العجز عن الحصول على الحب المنشود.

يضلل بعض الذكور الإناث بطرق غاية في المكر والدهاء؛ فبعض الذكور قد يكتشف أن أنثى ما لا تستجيب لندائه إلا إذا كان هدفه الزواج منها، ولذلك ونظراً لرغبتهم الشديدة في الظفر بمثل هذا اللون من الإناث كأن يكن جميلات مثلاً، فإنه يقول لإحداهن مثلاً أنه سيخطبها قريباً من أمها مثلاً، وبالفعل قد يقوم هذا الشاب بشراء هدية بسيطة في شكل علبة من الحلويات أو الشوكولاتة ويرسلها مع امرأة ما - لا تكون أمه في حقيقة الأمر - وتصدق تلك الأنثى المسكينة في هذه اللحظة أن أمه قد قامت بالفعل بخطبتها له، وهنا تستسلم له كخطيب، فيقضي وطره منها، ثم تكتشف في النهاية كذبه ومراوغته، وعندما تعاتبه على فعله وتطالبه بما اتفق عليه معها، فإنه قد يهددها بنشر نوع علاقته معها، وقد يهددها بنشر صورة حميمة تجمعها بها، وعلى هذا النحو يفقد مثل هؤلاء الإناث الكرامة والحب والكبرياء، ويظل بعضهن عانسات، وذلك لتاريخهن العاطفي السابق وغير المقبول اجتماعياً.

تفسير التحرش الجنسي والمعاكسة في ضوء النظرية المعرفية:

يرى أصحاب هذا المنظور أن الطريقة التي ندرك بها الأشياء والأحداث ونفكر فيها ونتذكرها ونختليها، هي التي تؤثر على الفرد، وهم في ذلك يستشهدون بالفكرة التي طرحها (أبيكتاتس) في القرن الأول الميلادي عندما قال "إن الناس قد لا يضطربون بسبب الأحداث، ولكن بسبب وجهات نظرهم التي يتخذونها بصدد هذه الأحداث"، وأعاد شكسبير مقالة (أبيكتاتس) عن دور التفكير في الانفعال في مسرحية (هاملت) عندما أشار إلى أنه "ليس هناك شيء طيب أو شيء سيئ، بل التفكير هو ما يجعله كذلك". وذهب (أدلر) إلى أن سلوك الفرد وانفعالاته يتوقفان بصفة أساسية على كيفية تقييم الفرد وتفسيره وتقديره لما يمر به من خبرات، وما يضيفه على هذه الخبرات من دلالات ومعان، كما أن أفكار الفرد ومعتقداته لا تحددان انفعاله وسلوكه فقط، بل تحددان اتجاهاته نحو ذاته ومشكلاته وبيئته وحياته، بل واتجاهاته نحو العالم ككل (حسن، 2003: 45)

وقياساً على ذلك فإن الأنثى التي تتعرض للتحقير والمعاملة القاسية والتهميش، وتتعت بالدونية وقلة القيمة والعيب تكون مفهوماً سلبياً عن ذاتها وتقتنع ذاتياً بأنها فعلاً كذلك، ومن ثم تتقبل المعاكسة وكافة أنواع التحرش الذكري انطلاقاً من أن لا جديد في كيفية تعامل الآخرين معها. فالشعور السابق بالظلم أو الغبن والاختناق به، أو الاستسلام له يجعل المرء مستسلماً أو ممتثالاً طوعياً لأي ظلم لاحق. ولهذا وفي المجتمع الذكري تدرك الأنثى جيداً أنها مهمشة ولا صوت لها، وأنها دائماً محقّرة، وقد تقبلت ذلك وفق تشريط ثقافي طويل، فصار جزءاً من ثقافتها حول نفسها وصار من ثم تغاضيها أو تجاوزها عن امتهان الذكر لها بالمعاكسة والإساءة أمراً عادياً ومتوقّعاً.

لا شك أن ذات المرء تتكون بناءً على صورته على ذاته، ومن تصور أو تقدير الآخرين لهذه الذات. ولذلك فإن الفرد الذي يرى نفسه جديراً بالتقدير سوف يتصرف على نحو يجعله ينال تقدير الآخرين أو يتوقعه منهم، كما أن الفرد الذي يشعر بتقدير الآخرين له لا بد وأن يسلك المسلك الذي يتوقعونه منه.

وقياساً على ذلك، فإن بعض الإناث يتبرج في زيّه ويسرف في الاهتمام بأناقته عندما يكتشف أن الأنثى الأنيقة والجذابة هي التي تتال تقدير الشباب الذكور وإعجابهم، كما يعتقد بعض الإناث أن الأناقة والظهور بالمظهر المغربي والجذاب عاملان مكملان لشخصية الفرد. ونفس الشيء يُقال على الشاب؛ فالشاب الذي يكتشف أن أناقته ووسامته هما مصدراً إعجاب الجنس الآخر به، سيحرص على أن يكون أنيقاً وجذاباً، ويقدر إعجاب الجنس الآخر به بقدر ما يفتنح بأن المظهر الأنيق مكمل لشخصيته أيضاً.

ووفقاً للمنظور المعرفي يرى بعض الشباب من الذكور والإناث أن المرء يقدر في ضوء وجود علاقة عاطفية له مع أحد من أفراد الجنس الآخر. ولذلك يلاحظ أن بعض الفتيات يتفاخرن بأن لديهن علاقات عاطفية مع الجنس الآخر، وأنهن محل إعجابهم وتقديره. ونفس الشيء يقال على الذكور؛ حيث يلاحظ أن بعضهم يتفاخر أمام أقرانه

بمغامراته العاطفية وبعده الإناث اللاتي وقعن في شباك حبه. ومن هنا يلاحظ أن الفتاة التي لا تملك حبيباً أو صديقاً حميماً من الجنس الآخر، عادةً ما تُرمى بالقبح والتخلف الفكري والاجتماعي، ويلاحظ من الواقع المعيش أن الفتاة التي لم تقع في الحب تهمل أناقته ومظهرها وتعمرها الكآبة والأسى، وتفقد إشراقه الوجه والعينين، وتفقد الثقة بنفسها وتشعر بالدونية، وتكابد الاغتراب العاطفي في أوضح صورته.

تفترض النظرية المعرفية أن أحكامنا الإيجابية أو السلبية على موضوع ما تتأثر بطريقة إدراكنا لهذا الموضوع. وينطبق هذا الافتراض على موقفنا من ظاهرة معاكسة الإناث في الفضاءات العامة. فقد ينظر البعض إلى معاكسة الإناث على أنها ظاهرة مرضية، وتدل على التفكك الاجتماعي، وضعف القيم والمعايير الاجتماعية، وأنها استجابة لثقافات مستوردة منحلة، ولذا يجب التصدي لها بقوة، وبناءً على ذلك يتضايق بعض الإناث من معاكسة الذكور لهم، ويعتبرونها مساساً بكرامتهن. لكن بالمقابل يعتبر البعض ظاهرة المعاكسة ظاهرة عادية في أي مجتمع، وأنها شكل من أشكال التفاعل الاجتماعي بين الجنسين، وأنها مرتبطة بمرحلة عمرية معينة، ووسيلة للتعرف على الجنس الآخر وربما خطوة على طريق اختيار الشريك. يعتقد البعض أن المعاكسة سلوك عادي وغير منحرف؛ فالفتاة التي تعاكس مثلاً تشعر بقيمتها، وبأنها جذابة وجميلة، وتشعر بأن المعاكسة تشبع فيها أشياء نفسية وعاطفية كثيرة، ما يجعلها لا تشجب هذه الظاهرة، بل وتعتبرها ظاهرة صحية وتقود لنتائج في صالحها. ولذلك يلاحظ أن الأنثى التي لا تعاكس تشعر بالضيق والغيرة إن عوكت زميلتها ولم تعاكس، كما يلاحظ ارتياح بعض الإناث للمعاكسة المهذبة التي تصف جمالهن وأنوثتهن، كما يلاحظ أن الأنثى لا تشبع من إسماعها كلمات الحب والإعجاب، وإلا ما تفسيرنا لانتشار ظاهرة معاكسة الإناث للذكور أيضاً؟ وما تفسيرنا لخروج بعض النساء بكامل أناقتهن وزينتهن؟ وما تفسيرنا لخنج

ودلال بعض النساء الزائدين في الأماكن العامة؟ وما تفسيرنا لخروج بعض النساء من البيت بلا هدف، وانخراط بعضهن في إقامة علاقات عاطفية مع الذكور خارج الحياة الزوجية؟

تفسير التحرش بالمرأة في ضوء نظرية التطهير الانفعالي:

يحرص المرء على إشباع حاجاته النفسية والبيولوجية المختلفة لكي يشعر بالارتياح ويستعيد توازنه الذي اختل، ولذلك تراه يفعل كل ما يوسع لإشباع دافع أو حاجة ما. لكن ليس كل ما يتمناه المرء يدركه؛ ففي كثير من الأحيان يخفق المرء في تحقيق هدف أو إشباع حاجة أو دافع ما، وهنا لا بد وأن يشعر بالإحباط الذي يسبب له نوعاً من التوتر والشعور بالضيق، ولكن ونظراً لأنه لا يستطيع تحمل إحباطه هذا، فإنه قد يسعى إلى تفرغه بأية وسيلة، وقد تكون هذه الوسيلة في شكل التحرش بالمرأة والإساءة إليها جنسياً أو لفظياً. فعندما يتلفظ الذكر مثلاً بألفاظ نابية تنال من الأنثى التي يعاكسها أو يغازلها ويلطفها، يشعر بنوع من الارتياح، ويتحرر من شعوره بالضيق الناجم عن إحباطه. يقول "مصطفى حجازي" في هذا الصدد: "... وعلى المستوى اللاواعي تتحول المرأة الحقيقية من لحم ودم وإحساس إلى مجرد سند هوامي لكل العقد والمآزم والتصورات والمخاوف والرغبات والإحباطات المكبوتة، وفوق ذلك فالمرأة وسيلة يسقط الرجل عليها عيوبه، فقهر المرأة وسيلة للتفيس عن إحباط الرجل، بيد أن هذا القهر يقضي على إمكانيات المرأة الذهنية والإبداعية والاستقلالية والمادية. يسقط الرجل عيوبه، ونقاط ضعفه على المرأة، فنتهم بالجهل والقصور والنزوات" (حجازي، 1989: 211)

ونظراً لشعور الذكر المحبط بالارتياح عند مغازلة الأنثى أو معاكستها عند مروره بخبرة إحباطية، فإنه يميل لاشعورياً إلى معاكستها بطريقة مهذبة أو فجة كلما شعر بالإحباط وخيبة الأمل. وبالفعل يلاحظ أن الشباب الذكور الذين يتواجدون على نواصي الشوارع وفي شوارع مدارس البنات والجامعات والأسواق العامة، عادة ما يكونون من العاطلين عن العمل أو يعانون من مشكلة وقت الفراغ، أو ترك دراستهم وما إلى ذلك.

فمثل هؤلاء الشباب يكابدون الفشل والعجز والإحباط، ولذا تراهم يحولون مسار طاقاتهم الانفعالية المحببة إلى مسار آخر في شكل التحرش بالأنثى ومعاكستها لكي يفرغوا هذه الطاقة المحببة والمحتقنة بدافع التنفيس والتطهير الانفعالي، واستعادة الاستقرار النفسي. هذا من ناحية ومن ناحية أخرى، فإننا نلاحظ أن التحرش بالأنثى ظاهرة منتشرة حتى بين أولئك الشباب الذين يعملون بالمحال العامة أو يدرسون بالجامعة، أو يمارسون مهنة ما، وإلا ما تفسيرنا لمضايقة المرأة حتى في مكان العمل، والدراسة، والمحال التجارية؟ إن مضايقة المرأة أو معاكستها يبدو أنه غدا مشكلة اجتماعية وأخلاقية بالدرجة الأولى. فالشباب الذين يشاهدون أغاني الفيديو كليب والمسلسلات الرومانسية المدبلجة، ويشاهدون الأشرطة السينمائية والجنسية يبدو أنهم يتأثرون بها ويحرصون على تقليدها، كما أن نجاح بعضهم في استمالة الأنثى له بالكلام المعسول يجعله يحرص من ثم على معاكسة أية أنثى بدافع إشباع دافعه العاطفي أو الجنسي منها. ولقد ساعدت آليات العولمة من انترنت، وهاتف محمول، وفضائيات وتلفزيون على استيعاب آليات التفاعل بين الجنسين وتقليدها. وهذا ما أدخل في خلد أي ذكر أن أي أنثى قابلة للمعاكسة، وأنه يمكن من ثم الدخول معها في أية علاقة.

ساعدت ظاهرة تأخر سن الزواج والعزوبية على تفاقم ظاهرة المعاكسة؛ فكثير من الشباب الذكور صار يؤجل زواجه لأسباب نفسية واجتماعية واقتصادية، وهو ما أدى إلى انتشار العنوسة بين النساء. ذلك لأن الذكر في مجتمعنا العربي هو المخول فقط بخطبة الأنثى، وهو من يقرر المبادرة بالزواج، وهو من يستطيع الزواج بالفتاة التي يريدها ولو كانت تصغره بعشرات السنين، وفي وقت لا تستطيع فيه الأنثى أن تتمتع بمثل هذه الامتيازات؛ فلا يحق للأنثى في مجتمعنا اللببي مثلا أن تطلب من أبيها تزويجها، أو أن تخطب شاباً ما، ولذا تظل منتظرة مبادرة ذكر ما لكي تتزوج. ولكن ونظراً لعزوف بعض

الشباب عن الزواج لأسباب كثيرة، فقد انتشرت ظاهرة العنوسة بين النساء بشكل صار ينذر بكارثة خطيرة.

تؤكد أدلة امبيريقية كثيرة على كثرة انتشار ظاهرة العنوسة بين الجنسين وخاصة الإناث، وأن البطالة وتعاطي المخدرات والدعارة والجريمة كلها غدت ظواهر مرضية ترتبط بالعنوسة أو بالعزوبية تحديداً. لا شك أن للإنسان دوافع بيولوجية تحتاج للإشباع، وتعد الرغبة في إشباع الدافع الجنسي أقوى هذه الدوافع على الإطلاق، فعندما تتسلط الرغبة في إشباع هذا الدافع، فإن المرء قد يفقد الشهية للأكل والنوم، وقد ترتفع درجة عصبيته، وتكثر أخطاؤه، ويشعر بالتوتر والضيق، ولذا تراه لا يستطيع استعادة استقراره النفسي إلا بعد إشباع هذا الدافع البيولوجي الشرس. وعلى هذا النحو فإن كثيراً من الشباب العاجز عن الزواج من الجنسين، لا بد وأن ينخرط في شكل علاقات عاطفية لإشباع هذا الدافع، وتعد المعاكسة إحدى أنواع هذه العلاقات. فمعاكسة الذكر للأُنثى تصبح من بين إحدى الوسائل الممكنة والسهلة لإشباع حاجته الجنسية والعاطفية، وتفرغ طاقاته العاطفية المكبوتة، ونفس الشيء يقال على معاكسة الأُنثى للذكر.

تفسير معاكسة الأُنثى في ضوء نظرية التعلم الاجتماعي:

يرى (ألبرت باندورا) أن معظم أنواع السلوك يتم اكتسابه من خلال ملاحظة سلوك الآخرين ومطابقة الفرد لسلوكه بسلوك الآخرين (أمين، 2007: 489). وتطبيق هذه النظرية على انتشار ظاهرة المعاكسة بين الجنسين نلاحظ أن الذكر الذي يرى ذكراً آخر يتحرش بفتاة ما أو يعاكسها ويدرك استجابتها له، يتعلم أن يعاكس فتاة أخرى إن أراد ذلك، ما يعني أن سلوك المعاكسة يكتسبه الفرد من خلال ملاحظة معاكسة الآخرين. كما أن الفتاة التي تلاحظ أن الشباب تغويهم الفتاة العصرية في لباسها، وأنهم يعاكسونها قد ترتدي ثياباً عصرية أيضاً إن أرادت المعاكسة. والذكر الذي يكتشف أن الأُنثى التي

ترتدي الثياب العصرية اللاصقة والواصفة لجسدها، وتستجيب لمعاكسته سينزع إلى معاكسة أي فتاة أخرى ترتدي زياً عصرياً جذاباً.

لا شك أن المعاكسة ثقافة، ولذلك فإن كثيراً من الشباب من الجنسين يتعلمون المعاكسة بالتقليد والمحاكاة؛ فالشباب مثلاً يقلد زميله الذي يعاكس فتاة ما وتستجيب له. ونفس الشيء يقال على الفتاة. فالفتاة التي تكتشف أن زميلتها مثلاً تعاكس لأنها ترتدي ثياباً عصرية، وجذابة وكاشفة ستميل هي أيضاً إلى ارتداء ملابس عصرية مشابهة لها أو مثلها تماماً. ونحن نلاحظ من الواقع المعيش أن بعض الصديقات يرتدين نفس الملابس، وبفس الألوان، كما نلاحظ تشابهاً في مكياجهن، وتطابقاً في لون طلاء أظافرهن وحقائبهن وأحذيتن الخ....

تتم معاكسة بعض الذكور للإناث من خلال التعلم بالملاحظة والتقليد؛ فالشباب يتأثر بجنس المعاكس، وقوته، وسيطرته، ومشاعره الرومانسية. فلو لاحظ شاب ما مثلاً شاباً آخر وسيماً وكان محل إعجاب الإناث وتقديرهن، فإنه سينزع إلى تقليد هندامه وأسلوبه عند التعامل مع الأنثى. ونفس الشيء يقال على الأنثى؛ فالأنثى التي تلاحظ أنثى أخرى ترتدي زياً عصرياً جذاباً، وتتلفظ بألفاظ رومانسية معينة وتنال إعجاب الرجال، فإنها ستنزع لاشعورياً إلى تقليدها وممارسة نفس سلوكاتها العاطفية.

تفسير ظاهرة المعاكسة في ضوء نظرية الصراع:

يرتكز النموذج الجدلي على القضية والنقيض ومركب النقيض، وبناءً على هذا النموذج، فإن الظاهرة الاجتماعية سوف يتولد عنها بالضرورة ظاهرة اجتماعية أخرى مناقضة. فالظواهر وفق المنظور الصراعى تتكون من تناقض مكوناتها. وقياساً على ذلك فإن ظاهرة المعاكسة أو التحرش بالأنثى تتكون من ذكر ومن أنثى ولكل منهما مكوناته البيولوجية والنفسية المختلفة، وهذا الاختلاف في المكونات لا بد وأن يترتب عليه اختلاف

في الدور الاجتماعي، ومن هنا فإن الذكر مثلاً يناضل من أجل تأكيد ذاته، ونفس الشيء يقال على الأنثى.

لقد صارت المرأة في المجتمع الحديث نداءً للرجل تتعلم مثل تعليمه، وتتقلد المناصب التي كانت ذات يوم حكراً عليه، وصارت تحتك به في الأماكن العامة والدراسة ونحوها، لا بل ويلاحظ تفوق بعض النساء في العمل والدراسة، كما أصبح بعض الرجال عاطلين عن العمل بسبب ممارسة النساء للوظائف أيضاً. وقد أدى هذا إلى تضايق بعض الرجال من هذه الظاهرة الخطيرة، ظاهرة تفوق المرأة في مجالات كثيرة، فصار بعضهم يتحرش بالأنثى في الشارع والجامعة والمدرسة وأماكن العمل والأماكن العامة من خلال نعتها بكلمات الغزل أو بألفاظ نابية. ولذلك يلاحظ أن ظاهرة المعاكسة تنتشر في الأماكن التي يكثر فيها تواجد النساء. كما يرجع جزء من انتشار ظاهرة المعاكسة نفسها إلى رغبة المرأة نفسها في المعاكسة لتحقيق مآربها. فكم من أنثى تدرك أن الأناقة والثياب الجذابة والمكياج الفاقع، والمشى على نمط مسير عارضات الأزياء، وإظهار الغنج والدلال، سلوكيات مطلوبة لقهر الذكر ونيل قلبه وماله وتحقيق أي هدف أو مطلب عنده. فالأناقة والابتسام في اعتقاد بعض النساء أنهما مفتاح الدخول إلى قلب الرجل، وتحقيق المآرب والنوايا منه.

يتطلب حسم الصراع بين الجنسين أن يستوعب الذكر الأنثى بكلماته الرقيقة وتقربها منه، ووعداها بالزواج منها أو بالزواج منها بالفعل لإشباع حاجاته البيولوجية، وإنجاب الأبناء والحصول على خدماتها وتقادي مجابته، ونفس الشيء يقال على الأنثى.

يرجع جزء من انتشار ظاهرة المعاكسة إلى رغبة الأنثى في تأكيد ذاتها وتحقيق أهدافها؛ فكثير من النساء يفلح في تحقيق الزواج في المجتمع الذكوري المحافظ عبر ارتداء الملابس الجذابة، وإظهار الغنج والدلال، وفعل كل ما ينال قلب الرجل وانتباهه وإدراكه، ذلك لأن الرجل لا تجذبه إلا المرأة الفاتنة والجميلة. فمسلك الأنثى هذا لا ينم في

الواقع إلا عن صراع قيمي ينبغي حسمه ولصالحها في ضوء مجتمع تناصر ثقافته الذكر وتبجله إلى درجة التقديس.

إن حسم الصراع مع الرجل من وجهة نظر بعض الإناث لا يتم إلا بإشباع ما ينقصه بيولوجياً ونفسياً؛ فالرجل يتوق للحب والحنان والدفء والرعاية والمساندة النفسية والاجتماعية، ولذلك فهي تحرص على إشباع هذه الحاجات فيه، وهي إذ تفعل ذلك من أجله، فإنها أيضاً تشبع حاجاتها هذه، وتتمكن من ثم من مهاندته والعيش معه وتحقيق أهدافها. وهكذا ووفقاً للمنظور أصراعي، فإن الظواهر الاجتماعية تتكون من أضدادها ومن مظاهر النقص فيها، فالرجل مثلاً يتكامل مع المرأة لأنه يتسم بالقوة والعزيمة والغضب، والمرأة تتكامل مع الرجل لأنها تتسم بالحب والرقّة والحنان، فهذا التناقض هو سر تعلق كل واحد منهما بالآخر، وإلا ما تفسيرنا لانتشار المعاكسة بين الذكور والإناث وعدم انتشارها بين شخصين من نفس الجنس إلا في حالات الشذوذ؟

تفسير معاكسة المرأة في ضوء نظرية التحليل النفسي:

يذهب أصحاب مدرسة التحليل النفسي إلى أن هناك غريزتين تحكمان السلوك الإنساني وهما غريزة الحياة وغريزة الموت. وتستهدف غريزة الحياة حفظ الذات وحفظ النوع، وهي بشكل عام تتضمن كافة أشكال الحب، وأما غريزة الموت فهي تستهدف القضاء على الوحدات وتدمير ارتباطها، وهي تستهدف في النهاية العودة إلى الصفر أي رد الحي إلى الحالة اللاعضوية التي كان عليها قبل أن يولد أي إلى الموت، وعندما تتحول إلى الخارج، فإنها تستهدف حفظ الفرد.

هذا ومن مظاهر غريزة الموت توجيه العدوان إلى الآخر، ومن مظاهر غريزة الحب حب المواضيع المختلفة بما فيها الموضوع الجنسي. وبالتأمل في فروض نظرية التحليل النفسي يتضح أن جزءاً من معاكسة المرأة يستهدف إشباع الدافع الجنسي لدى الذكر الذي يسلك المعاكسة؛ فكلمات الحب التي يرضي بها أنثاه مثل: حبيبتي، حياتي، يا وردة، يا

فلة، يا زلايية، يا عسولة، يا عمري... كلها كلمات لها مدلول جنسي، وهي تشبع فيه دافع الحب والتعلق بالجنس الآخر.

كما يسلك الذكر أحياناً المسلك العدواني عن طريق المعاكسة عندما ينعت فتاة ما بكلمات نابية مثل: يا فاسقة، يا حقيرة، يا سمينية الخ... فهذه الألفاظ تشبع الدافع العدواني لديه وقد تفرج عن مكبوتاته المخترنة وعن إحباطاته في الحياة. فكثيراً ما يصب الذكر المعاكس جام غضبه على فتاة ما من خلال نعتها بألفاظ نابية بدافع التعبير عن عدوانيته المكبوتة، وإحباطاته، وعجزه عن دفع الإساءة إلى من أساء إليه.

ولقد ذهب (فرويد) إلى أن الجهاز النفسي ينقسم إلى ثلاثة أقسام هي: الهو، والأنا، والأنا الأعلى. فالهو مثلاً يتضمن كل ما هو موروث وما يظهر عند الميلاد، وكل ما هو مثبت في الجبلّة، أي أنه يتألف من الميول الغريزية الفطرية. يمثل الهو الجانب البدائي في الشخصية، وهو مجال الحوافز، وفي رأي "فرويد" فإن الهو يمثل حالة من الفوضى والوعاء الذي يتضمن الإثارات الهائجة، وهو لا يتضمن أي تنظيم منطقي، والهو يحكمه مبدأ اللذة، وهو لا يعرف شيئاً عن الأخلاق والمعايير، وهو يسعى للإشباع الفوري والمباشر للدوافع.

ويتمثل القسم الثاني للجهاز النفسي في الأنا، وهو يعمل وفق مبدأ اللذة أيضاً ويتجنب الألم، ولكن بأساليب عقلانية يقرها المجتمع، فهو يشبع مثلاً مطالب الهو بطريقة مقبولة اجتماعياً، وهو يستهدف حل مشكلات الفرد، وهدفه دائماً ضبط نوازع الهو وتشكيلها بما يناسب ثقافة المجتمع، وهو يقوم بتأجيل مطالب الهو وإشباع حاجاته حتى الوقت المناسب، وهدفه حماية الفرد من طائلة القانون، وتحمل قدر من الإحباط حتى توافر الوقت المناسب لإشباع الدوافع الغريزية. وبشكل عام فإن هدف الأنا هو التوفيق بين مطالب الهو والأنا الأعلى والعالم الخارجي، والأنا منطقي وواقعي ومضبوط،

ويستهدف الإشباع الحقيقي لا الإشباع الوهمي، وهو يستهدف حفظ الذات ويسعى للتوفيق بين المطالب الداخلية والخارجية.

وأما القسم الأخير من الجهاز النفسي فيمثله الأنا الأعلى وهو يتكون من القيم والمعايير الاجتماعية التي اكتسبها الفرد عبر أساليب التنشئة الاجتماعية، إنه يتضمن كل ما هو أخلاقي وعقلاني وقانوني، وهو يمثل الضمير ويحرص على تحقيق كل ما هو مثالي، وهو من يأمر الأنا بقمع حاجات ودوافع الهو، ويختار الأنا العليا موضوعاته وميوله وفق قيمها الخلقية أكثر من قيمها الواقعية، والفضيلة عنده أهم من الحقيقة، وهو أكثر نزوعاً للتفرقة بين الحسن والرديء من النزوع للتمييز بين الحقيقي والزائف.

ووفقاً للمنظور التحليلي، فإن ظاهرة المعاكسة والتحرش بالمرأة من قبل بعض الرجال قد تكون على علاقة بسيطرة نوازع ودوافع الهو عليهم. فالذكر الذي يود إشباع دافعه الجنسي والعاطفي ولا يجد وسيلة مشروعة لإشباعه وخاصة في سن الشباب بسبب تأخر سن الزواج، وكثرة الظروف التي تحول دونه، قد يجد في المعاكسة وسيلته الوحيدة والممكنة لإشباع ذلك الدافع، ونفس الشيء يقال على الأنثى. فالأنثى التي لا تستطيع إشباع دافعها العاطفي والجنسي، قد تغري الشباب بثيابها التي تصف جسدها وتشفه، وبالتواجد بأماكن الذكور الذين يتحرشون بها كما هو الحال في الأسواق والأماكن العامة، حيث تتمكن من إشباع هذا الدافع.

كذلك يفرغ بعض الشباب مكبوتاته الغريزية كالعدوان مثلاً بسبب إحباطه وفشله في تكوين أسرة أو ممارسة عمل ما يعيش من وراء دخله، أو بسبب فشله في دراسته، وكثرة وقت فراغه، وذلك من خلال نعت الإناث اللاتي يجدهن في الأماكن العامة أو المؤسسات التعليمية بألفاظ نابية وسوقية.

يتورط بعض الشباب وفق المنظور التحليلي في معاكسة الإناث بسبب ضعف وزعهم الأخلاقي والديني وانحلالهم، وقلة امتثالهم للقيم والمعايير الاجتماعية التي تنظم

العلاقات الاجتماعية بين الأفراد. ويحدث هذا بشكل أوضح عند انهيار القيم والمعايير الاجتماعية؛ فعندما تسود اللامعيارية في مجتمع ما تختل القيم والمعايير المنظمة للسلوك، ويضعف إطار التوقعات، ويعجز الفرد عن التنبؤ بسلوك الآخرين، ويقبل شعوره بالأمن والأمان، ويعجز عن تحقيق أهدافه بالسبل المعيارية، ويشعر باللبس والغموض، ويعجز عن التمييز بين المشروع والممنوع، ويتفوق حول ذاته، ويضعف ارتباطه بمجتمعه وما إلى ذلك. ولذلك وفي مثل هذا المجتمع اللامعاري، لا بدّ وأن يصبح مثل هذا الفرد مهتماً بحاله فقط، أو لا يعطي أي اهتمام لمجتمعه، ويتحلل من قيمه ومعاييره، ويفعل كل ما يحلو له دون أي شعور بوخز الضمير، ويتجلى ذلك بوضوح في التحرش بالأثني وفي معاكستها ومضايفتها في أي مكان تحل به.

الإجراءات المنهجية للبحث:

استهدفت هذا البحث التعرف على بعض العوامل التي تدفع بعض الذكور لمضايقة النساء في الفضاءات العامة، وفيما يلي عرض لتلك الخطوات التي اتبعت لتحقيق أهدافه:

أولاً) منهج البحث:

اتبعت خطوات البحث الإمبريقي الذي يستهدف الحصول على المعرفة عن طريق الملاحظة والتجربة أو الخبرة، واختبار بعض النظريات التي تفسر أشكال العلاقة بين الجنسين في الفضاءات العامة.

ثانياً) مجتمع البحث:

أجري هذا البحث على عينة من طلبة وطالبات الجامعات وعلى بعض الأفراد المترددين على الأسواق والميادين العامة والمحال التجارية، وشواطئ البحر، والمؤسسات التعليمية، والمستشفيات والمصحات الخاصة داخل مدينة الخمس وضواحيها.

ثالثاً) عينة البحث:

تم اختيار عينة البحث الحالي بالأسلوب العشوائي غير الاحتمالي، حيث اختيرت هذه العينة بأسلوب العينة الصدفية أو العرضية، حيث تم بموجبها اختيار كل من تمت مقابلته صدفة بمواقع مجتمع البحث لملء بيانات البحث، أو كان موجوداً بعمله أو كليته، أو بسوق أو محل عام، أو فضاء عام أثناء تواجد الباحث. حقاً أن العينة الصدفية عينة غير احتمالية، ولا تتيح للباحث إمكانية تعميم النتائج المترتبة عليها عدا الأعضاء المطبق عليهم الدراسة، بيد أنها عينة تفيد في اختبار فروض البحث أو الإجابة عن تساؤلاته، كما يمكن أن توظف النتائج المتحصل عليها بواسطتها في تطوير فروض يمكن اختبارها إمبريقياً في المستقبل. هذا وقد تقرر أن يجرى البحث على (300) فرداً بواقع (150) من الإناث، و(150) من الذكور.

رابعاً) محددات البحث:

أ) المحددات البشرية: وتمثلت في الطالب أو الطالبة، أو في المتردد على مستشفى أو مصحة، أو سوق عام أو محل تجاري، أو يتجول في الساحات والميادين العامة.
 ب) المحددات المكانية: وتمثلت في الأسواق العامة والمحال التجارية، والجامعات والمصحات والمستشفيات، والمنزهات العامة وشواطئ البحر وغيرها من الأماكن التي يتردد عليها المعنيين بالبحث.
 ج) المحددات الزمانية: أجريت هذه الدراسة خلال العام الدراسي 2010/2011م.

خامساً) متغيرات البحث:

أ) المتغيرات المستقلة وتمثلت في: أماكن الاحتكاك بالأنثى، ونوع المرأة المعاكسة، ودور المرأة في العاكسة، ودور الرجال في المعاكسة، والمشكلات الاجتماعية، وآليات العولمة الثقافية، وأوقات المعاكسة، وبحث المرأة المعاكسة عن الحب، وقد صيغت هذه المتغيرات في شكل أبعاد تكون مجتمعة مقياس المعاكسة أو المضايقة.

ب) المتغير التابع: وتمثل في مقياس المعاكسة أو المضايقة الذي يتضمن كافة الأبعاد السالفة الذكر مجتمعة. ويجدر بالذكر أننا نستخدم معنى المضايقة أو المعاكسة بمعنى واحد في هذا البحث

سادساً) التعريف الإجرائي لمفهوم المعاكسة:

يعرف مفهوم المضايقة أو المعاكسة إجرائياً في هذا البحث بالدرجة التي يتحصل عليها المبحوث على مقياس المعاكسة المكون من (72) عبارة.

سابعاً) وسيلة جمع البيانات:

استخدم الاستبيان المغلق كوسيلة لجمع بيانات هذه الدراسة، وهو من إعداد الباحث، وقد تكون هذا الاستبيان من المجالات التالية:

المجال الأول: وتضمن بعض البيانات المتعلقة بالخلفية الاجتماعية والثقافية للمبحوثين، مثل الجنس، العمر، الحالة الاجتماعية، المستوى التعليمي، نوع المهنة، وقت الفراغ الخ... وقد بلغ عدد متغيرات هذا المجال (14) متغيراً.

المجال الثاني:

وتضمن بنوداً تقيس عوامل ومظاهر معاكسة الإناث في الفضاءات العامة، وقد بلغ عدد بنوده (72) بنوداً. وقد وزعت بنود هذا المقياس على سبعة أبعاد هي:

(1) البعد الأول: وتتضمن (4) عبارات تقيس دور متغيرات العولمة الثقافية في المعاكسة.
 (2) البعد الثاني: وتتضمن (12) عبارة تقيس مظاهر انتهاك الذكور بالإناث في الفضاءات العامة، مثل الأسواق والبياديين العامة، والمؤسسات التعليمية وأماكن الترويح الخ...
 (3) البعد الثالث: وتتضمن (9) عبارات تقيس مظاهر بحث الأنثى التي تعاكس عن الحب والزواج، أو تحتاج للحب والحنان الخ...

(4) البعد الرابع: وتضمن (7) عبارات تقيس بعض المشكلات القيمية والاجتماعية ذات العلاقة بظاهرة مضايقة الأنثى في الفضاءات العامة.

(5) البعد الخامس: وتضمن (20) عبارة تقيس سمات المرأة التي تتعرض لمعاكسة أو مضايقة الرجال في الفضاءات العامة أو ببعض المؤسسات التعليمية والخدمية.

(6) البعد السادس: وتضمن (11) عبارة تقيس نوع المرأة التي تتعرض للمضايقة أو المعاكسة.

(7) البعد السابع: وتضمن (4) عبارات تقيس نوع الذكور الذين يضايقون الأنثى في الفضاءات العامة أو في المؤسسات الاجتماعية بالمعاكسة.

(8) البعد الثامن: وتضمن (5) عبارات تقيس أوقات المعاكسة أو المضايقة.

هذا وقد تكون سلم مقياس المعاكسة أو المضايقة من الخيارات (نعم، إلى حد ما، لا).

ويجدر بالذكر أنه طلب من المبحوث في نهاية الاستبيان بإضافة ما يود إضافته فيما يتعلق بظاهرة مضايقة أو معاكسة المرأة في الفضاءات العامة.

ثامناً) حساب صدق وثبات وسيلة جمع البيانات:

أ) صدق المحتوى:

يعني الصدق أن يقيس الاختبار ما وضع لقياسه. وللتحقق من مدى صدق استبيان البحث الحالي تم رصد السلوكات والمظاهر التي تأخذها ظاهرة المعاكسة، وعرض سمات المرأة المعاكسة ونوع الذكر الذي يعاكس، والدوافع التي تدفع الجنسين للمعاكسة مثلاً، وتمت صياغة فقرات لقياسها.

ب) الصدق الظاهري:

للتحقق من مدى تمتع استبيان البحث الحالي من الصدق الظاهري، تمت صياغة فقرات هذا الاستبيان بشكل يعكس أسباب المعاكسة ومظاهرها. ذلك لأن المتمتعة بالصدق الظاهري هي التي تكون جميع فقراتها على علاقة بالموضوع المراد قياسه.

(ج) الصدق العيني:

يركز الصدق العيني على عدد الأسئلة. بينما يركز الصدق الظاهري على محتوى الأسئلة بغض النظر عن عددها أو مدى تغطيتها للمادة الدراسية أو السمة التي تقيسها (عودة، 1993: 371). وللتحقق من تمتع وسيلة جمع البيانات الحالية بالصدق العيني حرص الباحث على ضرورة أن تعد عبارات تقيس متغيرات الدراسة بالحجم الذي يقابل أهمية كل متغير؛ فالمتغير الأكثر أهمية تمت صياغة متغيرات أكثر لقياسه مقارنة بالمتغير الأقل أهمية والذي صيغت له عبارات أقل.

(د) حساب ثبات وسيلة جمع بيانات البحث:

يعني الثبات أن يعطي الاختبار نفس النتائج إذا ما طبق على نفس العينة من الأفراد، وفي ظروف متشابهة أو يعطي نتائج متقاربة بدرجة مقبولة إحصائياً، وحسب ثبات مقياس المعاكسة بطريقة التجزئة النصفية مصححة بمعادلة سبيرمان-براون، كما استخدمت طريقة الفا كرونباخ. وقد بلغ معامل ثبات المقياس بطريقة الفا كرونباخ (0.833)، وبلغ معامل ثباته بطريقة التجزئة النصفية قبل التصحيح (0.669)، وبلغ معامل ثباته بعد التصحيح بمعادلة سبيرمان-براون (0.802)، وهي درجة معامل ثبات مرتفعة وتدل على اتساق استجابات المبحوثين عند إجابتهم عن بيانات البحث الحالي. ويجدر بالذكر أن معاملات الثبات التي تبلغ (0.70) فأكثر تعد مقبولة في ميدان الشخصية ما يعني أن معاملات ثبات مقياسي هذه الدراسة تتمتع بثبات مقبول (أميمن، والسامرائي، 2000: 64).

تاسعاً) إجراء الدراسة النهائية:

بعد إعداد وسيلة جمع بيانات الدراسة الحالية وصياغة عباراتها بلغة واضحة وسهلة الفهم، والتأكد من تمتعها بالصدق الظاهري وصدق المحتوى، تمت طباعة وإخراج الاستمارة في شكلها النهائي بشكل مقبول وواضح، وتم توزيع الاستمارات على العدد

المحدد، وقد روعي أن تتم عملية توزيع الاستثمارات بطريقة مقننة وموحدة، حيث توزع الاستثمارات على المبحوثين الذي تتم مقابلتهم بالصدفة في مواقع مجتمع البحث، ويعطى لهم الوقت المناسب للإجابة عن بياناتها، ثم يتم استرداد الاستثمارات الموزعة بعد تعبئتها من قبل مبحثيها. وقد أبلغ كل مبحث بألا يترك أي عبارة دون الإجابة أمامها بالاختيار المناسب. عرض وتحليل وتفسير نتائج البحث:

أولاً) الإجابة عن السؤال الأول للبحث الذي مؤداه:

هل توجد علاقة ذات دلالة إحصائية عند مستوى 0.05 بين المعاكسة وكل من: دور المرأة في المعاكسة، أماكن الاحتكاك بالمرأة، دور الذكر في المعاكسة، وقت المعاكسة، نوع المرأة المعاكسة، آليات العولمة، بحث المرأة عن الحب، المشكلات الاجتماعية؟ (2) هل لكل بعد من أبعاد المعاكسة كمتغيرات مستقلة وهي: دور المرأة في المعاكسة، أماكن الاحتكاك بالمرأة، دور الذكر في المعاكسة، وقت المعاكسة، نوع المرأة المعاكسة، آليات العولمة، بحث المرأة عن الحب، المشكلات الاجتماعية إسهام جوهري في حدوث المعاكسة؟ وللإجابة عن هذا السؤال حسبت معاملات الارتباط بين أبعاد مقياس المعاكسة والمعاكسة، وبيانات الجدول التالي توضح نوع هذه العلاقة.

الجدول رقم (1) يوضح مصفوفة الارتباطات بين أبعاد مقياس المعاكسة والمعاكسة

الأبعاد	دور المرأة في المعاكسة	أماكن الاحتكاك بالمرأة	دور الرجال في المعاكسة	وقت المعاكسة	نوع المرأة المعاكسة	آليات العولمة	بحث المرأة عن الحب	المشكلات الاجتماعية	المعاكسة
دور المرأة في المعاكسة		**0.282	*0.140	**0.233	**0.212	**0.150	**0.335	**0.418	*0.675
أماكن الاحتكاك بالمرأة	**0.282		*0.149	*0.131	**0.260	**0.177	**0.181	**0.152	*0.561
دور الرجال في المعاكسة	*0.140	*0.149		**0.314	**0.227	**0.168	*0.140	*0.131	*0.452
وقت المعاكسة	**0.233	*0.131	**0.314		0.111	*0.140	*0.121	**0.200	*0.442

*0.490	**0.162	*0.119	0.071		0.111	**0.227	**0.260	**0.212	نوع المرأة المعاكسة
*0.335	**0.255	*0.146		0.071	*0.140	**0.168	**0.177	**0.150	آليات العولمة
*0.499	**0.365		*0.146	*0.119	*0.121	*0.140	**0.181	**0.335	ث المرأة عن الحب
*0.544		**0.365	**0.255	**0.162	**0.200	*0.131	**0.152	**0.418	مشكلات الاجتماعية
	**0.544	**0.499	**0.335	**0.490	**0.442	**0.452	**0.561	**0.675	معاكسة

(** = الارتباط دال معنوياً عند مستوى 0.01 لاختبار ذي ذيلين) (* = الارتباط دال

معنوياً عند مستوى 0.05 لاختبار ذي ذيلين)

وبالتأمل في بيانات الجدول رقم (1) يلحظ أن بعد وقت المعاكسة لا يرتبط بنوع المرأة المعاكسة، كما لا يرتبط بعد نوع المرأة المعاكسة بآليات العولمة، أما بقية الأبعاد فإنها ترتبط جميعاً ببعضها البعض، كما يلحظ أن جميع الأبعاد ترتبط بمقياس المعاكسة ككل، وأن هذه الارتباطات دالة عند مستوى 0.05، أو 0.01، ما يعني أن هناك عاملاً عاماً يربط بينها.

ثانياً) الإجابة عن السؤال الثاني للبحث الذي مؤداه:

هل لكل بعد من أبعاد المعاكسة كمتغيرات مستقلة وهي: دور المرأة في المعاكسة، أماكن الاحتكاك بالمرأة، دور الذكر في المعاكسة، وقت المعاكسة، نوع المرأة المعاكسة، آليات العولمة، بحث المرأة عن الحب، المشكلات الاجتماعية إسهام جوهري في حدوث المعاكسة؟ ولإجابة عن هذا السؤال استخدم الانحدار الخطي، وبيانات الجدول الآتي توضح مدى إسهام مقياس المعاكسة في مضايقة المرأة في الفضاءات العامة.

الجدول رقم (2) يوضح إسهام كل بعد أو عامل من العوامل الثمانية في المعاكسة بشكل

مستقل، أي بعد تحييد أو ضبط العوامل الأخرى.

النموذج	المعلمة	قيمة (ت) دالة عند (0.001)	قيمة (ف) دالة عند (0.001)	القوة التفسيرية	القوة التنبؤية	الارتباط المتعدد
دور المرأة في المعاكسة	0.675	15.806	249.821	0.456	0.454	0.675
أماكن الاحتكاك بالمرأة	0.561	11.702	136.930	0.315	0.313	0.561
دور الرجال في المعاكسة	0.452	8.749	76.545	0.204	0.202	0.452
وقت المعاكسة	0.442	8.506	72.353	0.195	0.193	0.442
نوع المرأة المعاكسة	0.496	9.855	97.130	0.246	0.243	0.496
آليات العولمة	0.335	6.128	37.554	0.112	0.109	0.353
بحث المرأة عن الحب	0.499	9.944	98.875	0.249	0.247	0.499
المشكلات الاجتماعية	0.544	11.190	125.218	0.296	0.294	0.544

وبالتأمل في بيانات الجدول رقم (2) يلحظ أن كل عامل يسهم في حدوث المعاكسة بعد ضبط بقية العوامل الأخرى، وأن كل إسهام دال عند مستوى 0.001، وذلك بالنظر إلى قيم (ت) المقابلة لمعاملات كل عامل. هذا وقد اختلفت إسهامات كل عامل عن غيره في حدوث المعاكسة، ويعد دور المرأة في المعاكسة أقوى العوامل إسهاماً في حدوث المعاكسة، يليه عامل أماكن الاحتكاك بالمرأة، ثم عامل المشكلات الاجتماعية ثالثاً، ويبحث المرأة عن الحب رابعاً، ونوع المرأة المعاكسة خامساً، ودور الرجل في المعاكسة

سادساً، ووقت المعاكسة سابقاً، وأخيراً يأتي دور إسهام آليات العولمة وذلك بالنظر إلى قيم (ف) و(ت) المبينة بالجدول.

ووفقاً لهذه النتائج يتضح أن المرأة هي المسؤولة عن ما تتعرض له من مضايقة أو معاكسة ذكورية في الفضاءات العامة إلى حد كبير بسبب طريقة مشيتها ونظرتها وحديثها، ونوع ثيابها، وجمالها وقوامها. فمعظم الذكور مثلاً يعاكسون الأنثى التي ترتدي الثياب العصرية الضيقة والشفافة، والتي تظهر الارتياح لرؤية الذكور، وتحبذ الاختلاط بهم، والنظر في عيونهم، وتتصنع في مشيتها حيث تمشي كعارضة الأزياء، ولها تاريخ عاطفي مع الرجال ومستهتر في أخلاقها، وتتواجد خارج البيت بلا هدف، وتتردد على أماكن مشبوهة، وتداول الذكور، وترد على هواتفهم، وتبرز مفاتها من خلال المكياج الفاضح، وتتوحد وتبتسم للرجال، وتتجول في بعض الأماكن العامة لوحدها.

كما يتضح أن لأماكن الاحتكاك بالأنثى علاقة بمعاكستها؛ فحتى تتم المعاكسة لا بد أن تتواجد هذه الأنثى في مكان ما، وتعتبر الجامعات والشوارع المؤدية للمدارس، وأماكن عمل المرأة، والأسواق والمحال التجارية العامة والمنزهات وشواطئ البحر أماكن تيسر اختلاط الذكور بالإناث ومن ثم حدوث المعاكسة. ترتبط المعاكسة بمشكلات اجتماعية مثل توافر وقت الفراغ للشباب بسبب البطالة وبسبب ضعف تأثير القيم والمعايير الاجتماعية المنظمة للسلوك، وضعف الوازع الديني لكثير من الفتيان والفتيات، ما يعني أن ظاهرة المعاكسة مشكلة أخلاقية ومجتمعية. كما ترتبط المعاكسة بحاجة المرأة المعاكسة للحب؛ فالقسوة بالبيت على الأنثى، وتجاهلها والتحيز لأخوتها الذكور ضدها، وعدم الأخذ برأيها، كلها عوامل قد تدفعها للبحث عن الحب خارج البيت في شكل تكوين علاقات عاطفية مع ذكر يشيد بجمالها، وبقيمنتها، فيمنحها الشعور بالقيمة، وقد تضطر للارتباط بذكر ما عبر تفاعلها العاطفي معه لكي تتزوج وتهرب من جحيم أسرتها الذي لا يطاق. كما أن الإنسان بحاجة للحب في مرحلة المراهقة مثلاً، حتى يؤكد ذاته، ويتوق

لمعرفة الجنس الآخر، فضلاً على أن الحاجة للحب تلبى وتتبع حاجات الإنسان الجنسية والعاطفية.

كشفت نتائج البحث أن لنوع المرأة المعاكسة علاقة بشدة المعاكسة؛ فالشباب عادة ما يعاكسون الأنثى الصغيرة السن والجميلة والشقراء والآنسة، بالدرجة الأولى، ولكن وبشكل عام يعاكس الذكور تقريباً جميع أنواع النساء: النحيفات والبدينات والسمروات، والشقرووات، والمدامات والمرأة التي تتحرش بهم أو التي في حالها وكبيرة السن، والمتحجبة والمتحررة في زيها، والأنثى الوحيدة أو التي مع أخريات، والتي فاتها قطار الزواج ولكن وينسب مختلفة بالطبع، ما يعني أن ظاهرة المعاكسة غدت بمثابة مشكلة اجتماعية، ونمطاً من أنماط التفاعل الاجتماعي، وسمة من سمات العصر الحالي بحكم كثرة عوامل ومجالات احتكاك الذكر بالأنثى، وانتشار ثقافة العولمة التي تروج للفسوق والفجور.

مناقشة ختامية واستنتاجات:

افتراض أن للمرأة دوراً في دفع بعض الرجال إلى معاكستها، وللتحقق من ذلك اشتملت استمارات جمع البيانات عبارات تستفتي رأي المبحوثين في دور المرأة نفسها في دفع بعض الرجال لمعاكستها. وقد كشفت نتائج البحث - ينظر ملحق البحث- أن أكثر من أربعة أخماس المبحوثين يوافقون على أن المرأة التي تتصنع في مشيتها وتمشي كعارضات الأزياء تعرض بعض الرجال على معاكستها. وهكذا فإن الأنثى التي تمشي بطريقة بها دلال وغنج، وترتدي ثياباً مغرية شفافة وواصفة تشجع بعض الرجال على معاكستها، كما يعاكس بعض الرجال المرأة التي تدخل في أماكن بعيدة عن أنظار الناس، أو تعرف بأنها أماكن يتم فيها عقد صفقات جنسية بين الجنسين، أو تدخل في أماكن تعرف بأنها أماكن لنقل بعض النساء الباحثات عن الجنس بالسيارات مثل الشوارع الفرعية والمصحات العامة ونحوها. أكدت نسبة عالية جداً من المبحوثين أن المرأة المستهترّة في أخلاقها كالتّي ترتدي ملابس لاصقة أو ناعمة مثلاً أو تنظر بشهوة في عيون الرجال، أو

تمشي باتجاههم، أو ترد على كلامهم، أو تفعل أي شيء يوحي بأنها تبحث عن الاختلاط بهم- هي التي تتم معاكستها من قبل الرجال، ما يعني أن معظم الرجال لا يعاكسون أي امرأة، وإنما يعاكسون بالدرجة الأولى المرأة غير المحترمة لنفسها أو التي تقوم بحركات معينة يفهمها بعض الرجال على أنها دعوة للمعاكسة.

نحن نتوقع أن المرأة لا تخرج بكامل زينتها للأماكن العامة حتى لا تدعو بعض الرجال بطريقة غير مباشرة لمعاكستها، لذلك افترضنا أن المرأة التي تضع مكياجاً مبالغاً فيه تريد في الواقع إظهار فتنتها، ومن ثم دعوة الذكور لإسماعها كلمات الحب والغنج، وبالفعل وافقت نسبة كبيرة من المبحوثين على أن المرأة التي تضع مكياجاً فاقعاً تفقد احترام نفسها، وتعرض بطريقة معينة الرجال على معاكستها؛ ففي اعتقاد بعض الرجال أن استعمال الأنثى للميكاج الفاضح يدل على ضعف سيطرة ذويها عليها، فتشجع من ثم بعضهم على معاكستها. كما يعاكس الرجال حتى المرأة التي لا تظهر زينة زائدة، وتكون في حالها كما يُقال. يدور في العادة حديث بين الشباب حول بعض الفتيات أو النساء اللواتي لهن مغامرات عاطفية، ولذلك فإنه وبمجرد ظهور إحداهن في الأماكن العامة يتم التعامل معها على أنها موضوع جنسي، وأنها هدف للمعاكسة، وبالفعل أفادت نسبة عالية من المبحوثين بأن المرأة التي لها مغامرات عاطفية سابقة تسهل عملية معاكستها، ولا يجد بعض الرجال حرجاً في إسماعها كلمات الحب والمضايقة والدعوة للدخول معها في مشروعات عاطفية أو جنسية.

يفترض أن تكون المرأة في الفضاء العام في حالها، وأن لا ترد على معاكسة من يعاكسها، لكن هناك أدلة أمبيريقية تؤكد أن المرأة التي تعاكس الرجال أو ترد على معاكستهم يمعن بعض الرجال في التسلط عليها بالمعاكسة، وللتحقق من ذلك سنل المبحوثون حول دور المرأة في المعاكسة من خلال ردها على معاكسة الآخرين، وبالفعل تأكد أن المرأة التي ترد على معاكسة الرجال تتعرض أيضاً لكثير للمعاكسة، وهو ما يعني

أن صمت المرأة وعدم ردها للمعاكسة، يجعل الرجال لا يعاكسونها. يعطي بعض الشباب الذكور أرقام هواتفهم لبعض النساء لأجل مكالمتهن، وهناك بعض النساء بالمثل يعطين أرقام هواتفهن للشباب إن طلبها شاب ما. وحصول ذكر ما على رقم هاتف أنثى ما يسهل عليه مهمة معاكستها والدخول معها في حوار حميمي، وعقد صفقات الحب واللقاءات معها، كما يوفر الاتصال بالهاتف السرية لهما، وقد أكدت نسبة عالية من المبحوثين أن الرجال يعاكسون الفتاة أو المرأة التي تعطي رقم هاتفها للذكور.

هناك أوقات تكون مقبولة إن تواجدت فيها المرأة خارج البيت، مثل أوقات العمل والدراسة، لكن هناك أوقات عادة لا تخرج فيها المرأة خارج البيت مثل أوقات الليل، والمساء، والظهيرة، ولذلك يفترض بعض الذكور أن المرأة التي تخرج من البيت في أوقات غير معتادة تدعو بعضهم بطريقة غير مباشرة لمعاكستها، وبالفعل وافقت نسبة كبيرة من المبحوثين على أن خروج المرأة في أوقات غير مألوفة يشجع بعض الذكور على معاكستها.

يفترض ألا تنتظر الأنثى في عيون الرجال في الأماكن العامة؛ ذلك لأن العيون ترسل رسائل كثيرة قد يتم تأويلها وتفسيرها بتفسيرات جنسية؛ ففي اعتقاد بعض الرجال أن المرأة يجب ألا تكون جريئة وناظرة في عيونهم، ولذلك فقد وافقت نسبة كبيرة من المبحوثين على أن الرجال يعاكسون المرأة التي تنتظر في عيونهم، إذ يبدو أن نظر المرأة في العيون يمثل نوعاً من التفاعل الاجتماعي والجسدي والنفسي، وأن العيون مرآة تكشف ما تخفيه النفوس، فالنظر وسيلة أساسية من وسائل الاتصال الإنساني الرمزي، كما تعد الابتسامة وسيلة من وسائل الاتصال الرمزي، وهي دليل التقبل والرضا، ولذلك فإن المرأة التي تبتسم عند سماعها كلمات المعاكسة والإطراء تعطي إنذاراً بمعاكستها، وبالفعل أكدت نسبة عالية من المبحوثين أن المرأة التي تستقبل معاكسة الرجال بالابتسامة تشجع بعضهم على معاكستها وإسماعها كلمات الإطراء والمديح، والشيء نفسه يُقال عن المرأة التي

ترتدي الملابس العصرية الشفافة والضيقة. ففي اعتقاد بعض الرجال أن المرأة التي ترتدي الملابس الشفافة والعصرية والتي تظهر مفاتها وزينتها تريد لا شعورياً المعاكسة، وتريد إشباع دافعها الجنسي، وقد اختبرت هذه الفرضية إمبيريقياً، وتبين بالفعل أن نسبة عالية من المبحوثين توافق على أن المرأة التي ترتدي الملابس الحديثة الماكبة للموضة والضيقة تلهب رغبة الشباب في المعاكسة وتحرضهم على التحرش بها لاعتقادهم أنها هي من أوجت لهم بذلك، وعليها من ثم أن تتحمل تبعات ما تقوم به.

افترضنا أن المرأة التي تمشي في مكان ما لوحدها تبحث عن الخصوصية وتدعو للمعاكسة، ولذلك فقد أكدت نسبة عالية من المبحوثين على أن الرجال يعاكسون المرأة التي تمشي لوحدها في شارع ما، وخاصة إذا كانت تتبختر في مشيتها، وتهز جسدها، وتمشي بغنج ودلال، ويسهل إيقاع المرأة الوحيدة في شارع عام في فخ المعاكسة؛ لأنها تكون الوحيدة المعنية بالمعاكسة، وهي أكثر قابلية للإيحاء، وأقل حيلة في الدفاع عن نفسها. وهكذا يفترض بعض الذكور أن المرأة الوحيدة في الشارع العام تدعو بطريقة ما الرجال إلى معاكستها؛ لأنها هي من أراد ذلك، ولذلك لا غروا أن تتعرض النساء الوحيديات لخطر المعاكسة بشكل أكثر لأنهن يفقدن الجماعة النسائية أو البشرية التي تشعرها بالأمن والأمان وتحميها من خطر ذكر ما.

هناك عوامل كثيرة ساعدت على تفاقم ظاهرة مضايقة الإناث في الفضاء العام، ومن بين هذه العوامل: انتشار الهواتف النقالة، فكثير من الشباب يستخدمون الهواتف النقالة لمعاكسة فتاة ما في أي وقت ومكان يشاءون، وهم قد لا يجدون حرجاً في قول الكلمات الخادشة للحياة عبر الهاتف النقال؛ لأنهم لا يلاحظون تعبيرات وجه من يعاكسونها، وبالفعل أكدت البيانات التي بين أيدينا على أن أكثر من أربعة أخماس المبحوثين يوافقون على أن الهاتف النقال يسهل المعاكسة، ويعاكس بعض الشباب الإناث بكلمات تشبه تلك تقال في المسلسلات المدبلجة، ما يعني أن قصص الحب في المسلسلات المدبلجة فتحت

آفاق الشباب على ثقافة الحب وأطلعتهم على سبل العلاقات الجنسية غير المشروعة، فدفعت ببعضهم إلى السير على نهجها، وهذا ما أكدت عليه بيانات الدراسة الحالية، حيث وافق أكثر من ثلاثة أرباع المبحوثين على أن المسلسلات الرومانسية المدبلجة هي المسؤولة عن معاكسة الذكور للإناث، ونفس الشيء يقال على صور البلوتوت التي سهلت المعاكسة، وكذلك أغاني الفيديو كليب، وهكذا يبدو أن تقنيات العولمة للثقافة كسرت حاجز الخوف والجمود بين الذكور والإناث، وجعلت الحب سلعة يتم تبادلها بلا حياء مثل أي سلعة أخرى، كما ساعدت على غرس ثقافة الحب في الشباب وعرفتهم على الغريزة الجنسية، فتحولت من ثم العلاقات التي يمكن أن تكون بريئة إلى علاقات جنسية صرفة وخادشة للحياء ومنتهكة لقيم ومعايير المجتمع الأصلية.

افترض الباحث أن معاكسة الإناث تتم في أماكن معينة دون غيرها، وقد أوضحت البيانات المتحصل عليها أن معاكسة الإناث تتم في الأماكن التي تسمح باختلاطهن بالذكور، وتعتبر الجامعة أكثر الأماكن التي تساعد على المعاكسة، حيث تتاح فيها فرص الاختلاط بين الجنسين، كما تعاكس النساء في الشوارع والأسواق العامة لعدم وجود رقابة فيها، ولأنها تسمح بالاختلاط بين الجنسين أيضاً، وتتم معاكسة النساء في المحلات التجارية كذلك؛ لأنها توفر الخصوصية وتسمح للشباب بالدخول في حوار مع الفتاة مثلاً، كما يحدث نوع من الارتياح المتبادل، وقد يتم تبادل أرقام الهواتف، وتقرأ حقيقة النظرات التي تكون في العادة غير بريئة. تعاكس النساء أيضاً في المدارس وشواطئ البحر لأنها أماكن تسمح بالاختلاط بين الجنسين. وهكذا يتضح أن الشباب يتحايلون على القيم والمعايير الاجتماعية التي تمنع الاختلاط بين الجنسين بالحديث مع بعضهم البعض في أماكن عامة كالأسواق والدراسة والترفيه. ويبدو أن المنع القسري للاختلاط بين الجنسين يدفع بطريقة لا واعية إلى حب الاختلاط بينهما تصديقاً لمقولة (كل ممنوع مرغوب)، ولا يعني هذا أنه يتوجب علينا أن نسمح بالاختلاط بين الجنسين حتى لا تكون هناك

معاكسة، ولكن ما نود قوله هو إن هناك رغبة بيولوجية لكل إنسان في الاختلاط بالجنس الآخر، وإن هناك قيوداً تمنع إشباع هذا الدافع البيولوجي ما يجعل المعاكسة وسيلة لإشباع هذا الدافع الجنسي والعاطفي بطرق ملتوية.

افترض الباحث أن العلاقة بين الجنسين غير بريئة؛ فالشباب يستهدفون بالدرجة الأولى إشباع دافعي الجنس والحب لديهم تقليداً لما يشاهدونه على القنوات الفضائية، وتؤكد البيانات التي بين أيدينا فعلاً هذه الحقيقة؛ فقد وافق حوالي أربعة أخماس أفراد العينة على أن الشاب الذي يأخذ حاجته من فتاة ما مثل تقبيلها أو احتضانها أو ممارسة الجنس معها بطريقة ما لا يتزوجها في العادة؛ ذلك لأن هدفه من العلاقة معها عدم الزواج منها؛ فهدفه جنسي محض، كما يفترض كثير من الذكور أن الفتاة التي تعطي جسدها لا يمكن أن تكون زوجة يؤتمن لها مستقبلاً، لأنها قد تعطي جسدها وعواطفها لكل من يطلبها. افترض أيضاً أن الذكر يدخل لمعاكسة الفتاة عبر إظهار الرغبة في الزواج منها، حيث يجعلها تتعلق به، وتعطيه ما يريد. يتعلق كثير من الفتيات بالشباب الذكور ليس لأجل ممارسة الحب، ولكن لطمعهن في الزواج منهم، وقد أكدت الأدلة الإمبريقية التي بين أيدينا هذه الحقيقة.

هناك دافع قوي يدفع الفتيات للتعلق بالذكور، وهو الرغبة في إشباع دافع الحب؛ فالفتاة تتوق أيضاً لإشباع دافع الحب فطرياً وتقليداً لما تشاهده في المسلسلات المدبلجة، وهنا تلنقي رغبتها برغبات الذكر، ويؤكد هذا ما نلاحظه من علاقات بين الجنسين في أماكن الدراسة، وأماكن العمل، والميادين العامة، وقد أكدت ذلك نسبة عالية من المبحوثين في هذه الدراسة.

افترض الباحث أن ظاهرة معاكسة الإناث ترتبط بعوامل اجتماعية مثل مشكلات وقت الفراغ والبطالة، وضعف الوازع الديني، والحاجة للمال، وضعف حيلة المرأة التي تتعرض للمعاكسة، وبالفعل أكدت البيانات الأمبريقية أن وقت فراغ الشباب الذكور عامل

مسئول عن مضايقة المرأة في الفضاء العام، ونفس الشيء يقال على ضعف الوازع الديني؛ فالشباب التي ينتهك حرمة فتاة ما بالمعاكسة تقليدًا لثقافة العولمة والأشرطة المرئية العاطفية، ولا يشعر بأي حرج أخلاقي هو بلا شك يعاني من ضعف في وازعه الديني. ويبدو أن استسهال العلاقات العاطفية بين الجنسين واستسهال الحديث مع أي فتاة، وعرض المرأة في صور الإعلام بطريقة مبتذلة مسئول إلى حد كبير على إضعاف الوازع الديني، كما يبدو أن هناك فصلاً تاماً بين الدين كعبادة وبين الدين كسلوك. تعد البطالة أيضاً عاملاً مهماً يدفع بعض الذكور لتمضية وقتهم في معاكسة الإناث في الشوارع والميادين العامة. فالشباب الذي لا يجد عملاً يسد وقت فراغه، ويظهر من خلاله إبداعاته، يتعلم ممارسة السلوكيات الجانحة كالمعاكسة والتدخين والتسكع في الشوارع والعيش بلا هدف. كما يمعن الشباب في معاكسة الفتاة المغلوبة على أمرها، والتي لا يوجد من يدافع عنها كوجود أخوة أشداء لا يرضون الاعتداء على شرفهم.

لا تعاكس جميع النساء بكيفية واحدة؛ فوفقاً للبيانات التي بين أيدينا تبين أن الرجال يعاكسون المرأة الجميلة أولاً والمرأة الصغيرة السن ثانياً والفتاة غير المتزوجة ثالثاً، ولكن لماذا جاء هذا الترتيب على هذا النحو؟ يعاكس الشباب الفتيات الجميلات لعدة اعتبارات منها: أن الفتاة الجميلة عادة ما تميل إلى من يسمعها كلمات الإطراء، وهي إن وقعت في حب من يغازلها ربما يتزوج بها. كذلك تعاكس الفتاة صغيرة السن؛ لأنها قد لا تضبط مشاعرها عند المعاكسة، ويسهل من ثم إغواؤها، وهي لا تملك الذكاء الذي يمكنها من صد من يعاكسها بالطرق المناسبة، كما تعاكس الفتاة غير المتزوجة؛ لأنها لا تشعر بارتباط آخر، وقد تطمح للزواج، إضافة إلى ذلك أن الشباب لا يعاكسون الأنثى المرتبطة احتراماً لزوجها إن كانت محترمة لنفسها بالطبع، ولكن ومع ذلك وافقت نسبة من المبحوثين على أن المدامات يتعرضن للمعاكسة أيضاً، كما يمعن الشباب في معاكسة

الفتاة التي فاتها قطار الزواج والذين يعتقدون أنها قد تتوق لإشباع دافع الحب بالطرق الملتوية.

كشفت نتائج الدراسة أن هناك مشكلة عامة، وتتمثل في أن سائر النساء تقريباً يتعرضن للمعاكسة؛ فقد وافقت نسبة كبيرة من أفراد العينة على أن الرجال يعاكسون حتى المرأة المتزوجة، ولكن أي امرأة متزوجة تتم معاكستها؟ يبدو أن الرجال يعاكسون المتزوجة التي ترتدي الملابس الواصفة والكاشفة والتي تنظر بلهفة في عيونهم، وتتبختر في مشيتها وتبتسم، والتي ربما لها تاريخ عاطفي في الحب والاختلاط بالذكور. وبعبارة أخرى يبدو أن الرجال يعاكسون أي أنثى لا تحتج على معاكستهم ويفهمون أنها تميل إليهم.

وبصدد الفئات الذكورية التي تمارس المعاكسة تبين أن الشباب أكثر الفئات معاكسة تليها فئة الراشدين، ثم فئة صغار السن وأخيراً فئة كبار السن، وهذا ترتيب منطقي حسب النتائج التي بين أيدينا؛ فالشباب أقرب للإناث صغيرات السن بالعمر وبمستوى الإدراك والتطلعات، وأكثر اندفاعاً أو تحراً من القيم والمعايير الاجتماعية مقارنة بكبار السن. ولكن بشكل عام يلاحظ أن أي أنثى تتعرض لمضايقة الذكور الذين ينتمون لفئات عمرية مختلفة.

تبين أن أكثر أوقات المعاكسة هي الظهيرة، وعند المغرب أو الغروب، وعند العصر، وفي الصباح وأخيراً بالليل على التوالي، وهو ترتيب منطقي أيضاً، فالرجال عادة يعاكسون الإناث في فترة الظهيرة عند خروجهن من المدارس والجامعات والعمل، وفي فترتي العصر والمغرب، ولكن وبشكل عام تعاكس الأنثى تقريباً في سائر الأوقات إن وجدت ولكن بنسب مختلفة.

وبصدد الإضافات التي تتعلق بظاهرة المعاكسة أفاد بعض المبحوثين أن هناك كلمات تقال للمرأة أثناء المعاكسة في الفضاءات العامة، وهي كلمات تصف جسدها ولون عينيها وقوامها، أو تلاطفها وتعبر عن الإعجاب بها، وقد تم عرض بعض هذه الكلمات

في الإطار النظري للبحث. كما ألقى بعض المبحوثين اللوم على المرأة فيما يتعلق بظاهرة معاكستها، واعتبروها مسؤولة إلى حد كبير عن ما تعانيه من مضايقة في الفضاءات العامة. ففي اعتقاد البعض أن المرأة التي تظهر الارتياح لمن يتحرش بها باللمس أو بالكلمات الغزلية، وتكثر من الضحك والابتسام والغنج، تدفع من يعاكسها إلى الإمعان في معاكسته، ومن ثم عليها أن تتحمل تبعات هذه المعاكسة. أفاد بعض المبحوثين أن الرجل لا يعاكس المرأة التي تحترم نفسها، ولا تظهر أو تتصرف بطريقة توحى برغبتها في المعاكسة. حقاً أن بعض الذكور يعاكسون في البداية أي أنثى، لكنهم بعد ردة فعل الأنثى المعاكسة يقررون ما إذا كانت محترمة ويجب عدم معاكستها، أو يستمرون في معاكستها. وقد أكدت البيانات الإمبريقية المتحصل عليها في هذه الدراسة رأي هؤلاء المبحوثين؛ حيث تبين أن المعاكسة ترتبط بنوع المرأة المعاكسة وأن لدور المرأة نفسها علاقة قوية بمعاكستها. وبكلام آخر فإن الرجال لا يعاكسون أو يتحرشون بأي أنثى، فهم يتحرشون فقط بتلك الأنثى التي تظهر الارتياح للمعاكسة وتختلط بهم، وترتدي الثياب العصرية والضيقة وتتصنع في مشيتها وتظهر بكامل زينتها وما إلى ذلك. بين بعض المبحوثين من الجنسين أن ظاهرة المعاكسة ظاهرة شبابية وصحية، ووسيلة للتعارف بين الجنسين وقد تقود للزواج، وأنها شر لا بد منه في مرحلة الشباب أو المراهقة، وأن بعض الإناث لا يرين فيها ظاهرة معتلة، فالمعاكسة بمثابة البهارات التي تحسهن أحياناً بقيمتهن.

المصادر و المراجع:

- 1) أبو زينة، فريد كامل وآخرون، مناهج البحث العلمي - طرق البحث النوعي، عمان: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، 2007.
- 2) أميمن، عثمان علي، في نظريات الشخصية، الخمس: مطابع عصر الجماهير، 2000.

- (3) أميمن، عثمان علي وبدرية علي السامرائي، الاختبار النفسي أسسه ومعالجته الإحصائية، الخمس: مطابع عصر الجماهير، 2001.
- (4) أميمن، عثمان علي ، مقدمة في علم النفس الإجرامي، الخمس: دار الخمس للطباعة، 2005.
- (5) أميمن، عثمان علي ، المرجع في علم النفس الاجتماعي، الخمس: دار الخمس للطباعة، 2007.
- (6) أنجرس، موريس، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية: تدريبات عملية، ترجمة: أبو زيد صحراوي، كمال بوشرف، سعيد سبعون وإشراف مصطفى ماضي، الجزائر: دار القصة للنشر 2006.
- (7) جاسم، عزيز السيد، تأملات في الحضارة والاعتراب، بيروت: دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، 1987.
- (8) الجراي، أحلام محمد، الاعتراب العاطفي وعلاقته بكبت المشاعر العاطفية- دراسة أمبيريقية على عينة من النساء بمدينة الخمس، (رسالة ماجستير غير منشورة)، الخمس: جامعة المرقب، كلية الآداب والعلوم، 2009.
- (9) حجازي، مصطفى، التخلف الاجتماعي- سيكولوجية الإنسان المقهور، الدراسات الإنسانية ط5 بيروت: معهد الإنماء العربي، 1989.
- (10) حجازي، مصطفى،، الإنسان المهودور - دراسة تحليلية نفسية اجتماعية، ط2، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2006.
- (11) حسن، هبة محمد علي، الإساءة إلى المرأة، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، 2003.
- (12) الحسنوي، حاتم موسى أحمد درهوب، السلوك الاجتماعي لدى طلبة الفاتح وعلاقته ببعض ملامح الغزو الثقافي في عصر العولمة، دراسة ميدانية على طالبة جامعة الفاتح

- بمدينة طرابلس (رسالة ماجستير غير منشورة)، طرابلس: أكاديمية الدراسات العليا، 2009.
- 13) الخطيب، جمال، تعديل السلوك- القوانين والإجراءات، عمان: جمعية عمال المطابع التعاونية، 1987.
- 14) الدوكالي، زينب على محمد، الدور الاجتماعي للجنسين وعلاقته بالتنشئة الاجتماعية- دراسة امبيريقية بشعبية النقاط الخمس (رسالة ماجستير غير منشورة) طرابلس: أكاديمية الدراسات العليا، 2009.
- 15) رمزي، ناهد، المرأة والإعلام في عالم متغير، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية، 2000.
- 16) سعداوي، نوال، دراسات عن المرأة والرجل في المجتمع العربي، ط2، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 1990.
- 17) الشايقي، أحلام أحمد على، بعض مظاهر العصابية لدى المرأة وعلاقتها بالإساءة إليها- دراسة امبيريقية على عينة من الذكور والإناث في مدينة الخمس، (رسالة ماجستير غير منشورة)، الخمس: جامعة المرقب، كلية الآداب والعلوم، 2009.
- 18) العواودة، أمل سالم، العنف ضد الزوجة في المجتمع الأردني- دراسة اجتماعية لعينة من الأسر في محافظة عمان، أريد: مكتبة الفجر، 2002.
- 19) عودة، أحمد القياس والتقويم في العملية التدريسية، عمان: دار الأمل للنشر والتوزيع، 1993.
- 20) فنته، ميلاد عبد القادر، ظاهرة الاغتراب الثقافي وعلاقتها بالعولمة الثقافية من وجهة نظر طلبة جامعة المرقب - دراسة امبيريقية، (رسالة ماجستير غير منشورة)، الخمس: جامعة المرقب، كلية الآداب والعلوم، 2008.

ملحق الدراسة

جامعة المرقب/ كلية الآداب والعلوم/ قسم التربية وعلم النفس

استبيان حول: ظاهرة مضايقة المرأة في الفضاءات العامة

دراسة امبيريقية إعداد: د. عثمان على أميمن 2011م

أخي الطالبأختي الطالبة....

نأمل منكم التكرم بالإجابة عن بيانات هذا الاستبيان بكل صدق وموضوعية وذلك بوضع إشارة (√) أو كتابة الإجابة المناسبة، علماً بأن إجاباتكم ستحظى بالسرية التامة، وأن هذه الإجابات ستظهر فقط في شكل نسب مئوية لغرض البحث العلمي وبدون أية إشارة لأصحابها، كما نطلب منكم عدم كتابة اسمكم على الاستبيان وألا تتركوا عبارة دون التأشير أمامها ولكم تقديرنا مقدماً،

أولاً) البيانات الأولية:

- 1) الجنس (أ) ذكر () (ب) أنثى () ()
- 2) العمر () ()
- 3) الحالة الاجتماعية (أ) أعزب () (ب) متزوج () (ج) مطلق () (د) أرمل ()
- 4) المستوى التعليمي... (أ) أمي () (ب) يقرأ ويكتب () (ج) ابتدائي () (د) إعدادي () (هـ) ثانوي () (و) جامعي () (ز) فوق الجامعي ()
- 5) نوع المهنة... (أ) موظف () (ب) طالب () (ج) عمل حر () (د) شرطي أو عسكري () (هـ) مدرس () (و) ممرض () (ز) محامي () (ح) طبيب () (ط) عاطل عن العمل ()
- 6) هل لديك وقت فراغ؟ (أ) نعم () (ب) لا ()
- 7) هل تمارس عملاً إلى جانب عملك الحالي؟ (أ) نعم () (ب) لا ()
- 8) هل تقضي وقتاً طويلاً مع أصدقاءك؟ (أ) نعم () (ب) لا ()
- 9) هل لديك أصدقاء عاطلون عن العمل؟ (أ) نعم () (ب) لا ()
- 10) هل تحب التجول في الأماكن العامة؟ (أ) نعم () (ب) لا ()
- 11) هل لاحظت مضايقة الرجال للنساء؟ (أ) نعم () (ب) لا ()

- (12) هل درجة المضايقة عالية؟ (أ) نعم () لا ()
- (13) هل للنساء دور في دفع الرجال لمضايقتهم؟ (أ) نعم () لا ()
- (14) هل لاحظت مضايقة الرجال للنساء في الأماكن العامة؟ (أ) نعم () لا ()
- ثانياً) الجزء الثاني من الاستبيان (فقرات مقياس المضايقة مرتبة حسب شدة تكرارها):

ر.م	العبارة	نعم %	لا %
50	يعاكس الرجال المرأة التي ترتدي الملابس العصرية الشفافة.	93.74	62.5
51	يعاكس الرجال المرأة التي ترتدي الملابس العصرية الضيقة.	91.5	8.5
37	يعاكس الرجال المرأة التي تتصنع في مشيتها وتمشي كعارضات الأزياء	90.3	9.7
38	يعاكس الرجال المرأة التي تعطي أرقام هاتفها للرجال.	90	10
49	يعاكس الرجال المرأة التي ترد على معاكستهم بالابتسام.	89.1	10.9
3	انتشار الهواتف النقالة تسهل المعاكسة.	88.35	11.65
13	تعاكس النساء في الجامعات.	87.3	12.7
40	يعاكس الرجال المرأة التي تدخل في أماكن مشبوهة.	87.3	12.7
57	يعاكس الرجال المرأة الجميلة.	87.3	12.7
46	يعاكس الرجال المرأة التي المستهزئة في أخلاقها.	86.45	13.55
47	يعاكس الرجال المرأة التي تضع مكياجاً فاضحاً.	85.65	14.35
28	ضعف الوازع الديني للشباب هو المسئول عن معاكسة الذكور للإناث	84.95	15.05
29	ضعف الوازع الديني للإناث هو المسئول عن معاكسة الذكور للإناث	83.5	16.5
56	يعاكس الرجال المرأة صغيرة السن.	83.15	16.85
26	وقت فراغ الشباب الذكور هو المسئول عن معاكستهم للإناث.	82.6	17.4
15	تعاكس النساء في الشوارع العامة.	81.8	18.2
60	يعاكس الرجال الأنسة أي غير المتزوجة.	81.8	18.2

19.2	80.8	بطالة الشباب الذكور هي المسؤولة عن معاكسة الذكور للإناث.	27
19.85	80.15	يعاكس الرجال المرأة التي تعاكسهم.	45
20	80	الشباب الذي يأخذ حاجته من الفتاة لا يتزوجها.	21
20.55	79.45	يعاكس الرجال المرأة التي لها مغامرات عاطفية مع الرجال.	48
20.7	79.3	يعاكس الرجال المرأة التي لا يوجد من يضبط سلوكها.	31
21.5	78.5	يعاكس الرجال المرأة التي ترد على مكالماتهم الهاتفية.	44
21.85	78.15	تقبل الفتاة بحب الشباب لرغبتها في الزواج منه.	22
22.15	77.85	يعاكس الرجال المرأة التي لها تاريخ عاطفي مع الرجال.	39
22.5	77.5	المسلسلات الرومانسية المدبلجة هي المسؤولة عن معاكسة الذكور للإناث	2
22.5	77.5	تعاكس النساء بشكل أكثر في الأسواق العامة.	10
23.35	76.65	يعاكس الرجال المرأة التي تذهب خارج البيت بلا هدف.	42
25.15	74.85	الرغبة في ممارسة الحب هي المسؤولة عن معاكسة الإناث.	18
25.35	74.65	تعاكس النساء في المحلات التجارية.	11
25.5	74.5	يعاكس الرجال المرأة التي تمر لوحدها في الشارع.	52
25.65	74.35	يعاكس الرجال المرأة التي تنظر في عيونهم.	33
28.3	71.7	صور البلوتوت تسهل المعاكسة.	4
29	71	اعتبار الحب موضة العصر هو المسئول عن الذكور للإناث.	19
29.25	70.75	تعاكس النساء في المدارس.	12
30.5	69.5	يعاكس الرجال المرأة ولو كانت مع أخريات.	58
30.5	69.5	يعاكس الشباب النساء.	65
31.65	68.35	يعاكس الرجال المرأة التي تحتاج للحنان.	25
31.9	68.1	قبول الفتاة لمعاكسة الشباب لرغبتها في الزواج منه.	20
33	67	الفتاة التي تعامل بقسوة في البيت تستجيب للمعاكسة.	24

33.55	66.45	يعاكس الرجال المرأة التي تحب الاختلاط بهم.	34
33.55	66.45	يعاكس الرجال المرأة التي لا تحتج على معاكستهم.	36
34.2	65.8	يعاكس الرجال المرأة التي لها أصدقاء رجال.	35
34.55	65.45	تعاكس النساء في أي مكان تكون به.	16
34.7	65.3	أغاني الفيديو كليب هي المسئولة عن معاكسة الذكور للإناث.	1
35.85	64.15	يعاكس الرجال المدام المتزوجة.	61
36.15	63.85	تعاكس النساء على شواطئ البحر.	9
36.15	63.85	رغبة الفتيات في الزواج هو المسئول عن معاكسة الذكور للإناث	17
37.2	62.8	يعاكس الرجال المرأة التي تدخل في حوار وحديث معهم.	41
37.55	62.45	يعاكس الرجال المرأة النحيفة.	54
38.9	61.1	تعاكس النساء في أماكن العمل.	14
39.35	60.65	تعاكس النساء بشكل أكثر في فترة الليل.	71
40.35	59.65	يعاكس الرجال المرأة التي لا يوجد من يدافع عنها في أسرتها.	32
40.7	59.3	يعاكس الرجال المرأة حتى التي في حالها.	63
42.4	57.6	قمع الحب بسبب التقاليد الاجتماعية هو المسئول عن المعاكسة.	23
42.5	57.5	يعاكس الرجال المرأة المتحجبة.	59
43	57	يعاكس الرجال المرأة التي لها أخوات لهن علاقات مع الشباب.	43
43.25	56.75	احتكاك الشباب بالإناث في الدراسة هو المسئول عن معاكستهم لهن.	6
43.55	56.45	يعاكس الرجال المرأة التي تحتاج إلى المال.	30
44	56	خروج النساء للأسواق العامة هو المسئول عن معاكسة الذكور للإناث.	8
45.85	54.15	يعاكس الرجال الراشدون النساء.	66
46.35	53.65	يعاكس الصغار النساء.	64
47.85	52.15	يعاكس الرجال المرأة التي فاتها قطار الزواج.	53

47.9	52.1	تعاكس النساء بشكل أكثر في فترة الظهيرة.	69
49.95	50.05	خروج النساء للأماكن العامة هو المسئول عن معاكسة الذكور للإناث.	7
50.6	49.4	يعاكس كبار السن النساء.	67
51.55	48.45	يعاكس الرجال المرأة السمينية.	55
52.35	47.65	تعاكس النساء بشكل أكثر في الصباح.	68
57.35	42.65	تعاكس النساء بشكل أكثر في فترة العصر.	71
58.35	41.65	تعاكس النساء بشكل أكثر في فترة المغرب.	72
63.15	36.85	عمل المرأة خارج البيت هو المسئول عن معاكسة الذكور للإناث.	5
69.35	30.65	يعاكس الرجال المرأة كبيرة السن.	62

المعتقلات والسجون في صدر الإسلام (1- 40هـ/ 622- 660م) (النشأة والتطور

د- حمزة محمد البكوش د- مفتاح جمعة اشكيك

د-علي عبد السلام كعوان د- أحمد حسين الشريف

مقدمة:

يتعامل هذا البحث مع نصوص تاريخية وفقهية في موضوع المعتقلات والسجون في العصر النبوي والراشدي، إذ يتناول تاريخ المعتقلات ونشأة السجون في الدولة الإسلامية بداية نشأتها، وقد اقتضى منهجه جمع أكبر قدر ممكن من النصوص المتعلقة بالمعتقلات والسجون خلال الفترة الأولى من عمر الدولة الإسلامية، لنعطي فكرة واضحة عن أماكن الاعتقال وحبس السجين، ومعاملته في هذا العصر، وقد أعانني في دراستي مجموعة من مصادر التراث الإسلامي الأدبية والتاريخية، فضلا عن المصادر الفقهية.

تكمن أهمية الموضوع في أن هذه المصادر ورغم قيمتها العلمية لم تتعرض لموضوع السجن بطريقة صريحة أو تبويب واضح، بل تناثرت المعلومات والنصوص المتعلقة بالمعتقلات والسجون في ثناياها وبين سطورها وبذلك حُرِمَ الباحثون من المادة التي تساعدهم على تقييمه بشكل موضوعي، وكان جُلَّ تركيزها على الجانب الفقهي، لذا اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي لمعالجة موضوع البحث.

تمهيد: الاعتقال في اللُّغة الحبس. ويراد بالشخص المعتقل الموقوف قبل المحاكمة، لأن الاعتقال هو التوقيف، وقيل هو حبس المتهم عن مباشرة أمره حتى يحاكم¹، أما السجن

¹ - أحمد بن علي الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، ط6، القاهرة،

1925م، مادة عقل.

فهو مكان الحبس والجمع سجون؛ ويطلق لفظ الحبس على الموضوع، كما يطلق على المصدر، وجمعه حبوس¹.

والسجن اصطلاحاً: هو المكان الذي تُنفذ فيه الأحكام على الأشخاص المذنبين القاضية بحبسهم، وقد يكون السجن لغير ذنب، كما لو كان لدين أو تهمة²، وشرعاً عرفه ابن تيمية بأنه "تعويق الشخص ومنعه من التصرف بنفسه"³. وقال الكسائي: "هو منع الشخص من الخروج إلى أشغاله ومهامه الدينية والاجتماعية"⁴.

ذكر الفقهاء أن الحبس ليس مقصوداً لذاته، بل يتوصل به إلى غيره⁵، كأداء الحق الذي لا يعطيه مانعه إلا بالتضييق عليه، وعزل صاحب الشر في السجن دفعاً لشره عن الناس المتأذين منه حتى يتوب، أو الكشف عن حال المتهم في الحبس القصير للتأكد أن كان من أهل الجرائم والريب⁶ وليس من لوازمه الجعل في بنيان خاص مُعد لذلك، فقد قيل "الحبس عقوبة، والعقوبة إنما تسوغ بعد تحقق سببها، وهي من جنس الحدود فلا يجوز إيقاعها بالشبهة، ... وإنما الحبس الشرعي ليس هو الحبس في مكان ضيق، وإنما

¹ - جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، لسان العرب، بيروت، دار صادر، 1992م. مادة سجن.

² - أحمد الحصري، السياسة الجزائرية في فقه العقوبات الإسلامي المقارن، بيروت، دار الجيل، 1993م، ص 388-389.

³ - ابن تيمية، مجموع فتاوي ابن تيمية، جمع: عبدالرحمن بن قاسم العاصمي وولده محمد، الرياض، 1392هـ، ج35، ص398.

⁴ - علاء الدين بن مسعود الكاساني، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، المطبعة الجمالية، 1910م، ج7، ص174.

⁵ - عبدالله بن محمود الموصللي، الاختيار لتعليل المختار، ط2، القاهرة، د. ت، ج2، ص89.

⁶ - أبو يعلى محمد بن الحسين الفراء، الأحكام السلطانية، صححه وعلق عليه: محمد حامد الفقي، بيروت، دار الكتب العلمية، 1983م، ص258.

هو تعويق الشخص، ومنعه من التصرف بنفسه سواء كان في بيت أو في مسجد... ولهذا سماه النبي اسيراً¹.

ورد لفظ سجن في القرآن الكريم في عدد من الآيات وهذا دليل على أن السجون كانت موجودة منذ القدم يقول الله تعالى: ﴿ قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ هَآءَا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴾²، وقال تعالى: ﴿ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا أَمَرُهُ لَيَسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴾³. وقوله جل في علاه ﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾⁴. وقوله أيضا: ﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٌ قَالَ أَحَدُهُمَا أَنِي أَرَأَيْتَ إِذَا عَصِرَ خَمْرًا ﴾⁵.

المبحث الأول: المعتقلات في العصر النبوي:

تدل أغلب الروايات والنصوص على أنه لم يكن لرسول الله ﷺ سجن يسجن فيه، وإنما كان يحتفظ بالأسرى واصحاب الجرائم والمخالفين للشريعة من خلال احتجازهم في الخيام أو المسجد أو البيوت؛ وذلك لأن العقوبات تنفذ عند ثبوت الإدانة، وغالبا ما تكون فورية؛ لذا كانت الحاجة إلى المعتقل قليلة جداً، واللجوء إليه ضرورة حتى يستبان أمر المتهم. وكذلك الأمر في خلافة الصديق.

¹ - شمس الدين أبي عبدالله بن قيم الجوزية، الطرق الحُكْمِيَّة في السياسة الشرعية، تحقيق: محمد حامد الفقي، بيروت، دار الكتب العلمية، د. ت، ص 102.

² - سورة الشعراء، الآية: 29.

³ - سورة يوسف، الآية: 32.

⁴ - سورة يوسف، من الآية: 33.

⁵ - سورة يوسف، من الآية: 36.

ومما جاء في المصادر عن الحبس في زمن النبي ﷺ ما ذكره ابن شعبان أن رسول الله ﷺ حكم بالضرب والسجن¹، كما ورد عنه ﷺ أنه حبس في المدينة في تهمة دم²، وجاء عنه ﷺ في الذي أمسك رجل لآخر حتى يقتله أنه قال: " اقتلوا القاتل واصبروا الصابر"، قال أبو عبيد اصبروا الصابر يعني احبسوا الذي حبسه³. ويعرف هذا بالقتل صبراً أي الحبس حتى الموت- أي حتى إقامة الحد -⁴، وأمر ﷺ بحبس ساحر أتى به إليه⁵، وروى أن النبي ﷺ حبس في التهمة حبساً يسراً حتى استبرأ⁶، كما ورد عن النبي ﷺ أنه حبس ناساً في تهمة⁷، وحبس رجلاً ساعة في تهمة ثم خلاه⁸، وفي ذلك استند الفقهاء إلى جواز حبس القاضي أو الوالي للمتهم⁹. وقيل أن ماعزاً جاء ثلاث مرات

¹ - محمد بن فرج بن طلاع، أفضية الرسول، تحقيق: محمد عبد الشكور، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، 1983م، ص8.

² - ابن طلاع، أفضية الرسول، ص6 - 7.

³ - أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، السنن الكبرى، حيدر آباد الدكن، الهند، مجلس دائرة المعارف العمانية، 1352: 1355هـ، ج8، ص51. (ح: 16132).

⁴ - ابن القيم، الطرق الحكيمة، ص51.

⁵ - ابن طلاع، أفضية الرسول، ص66.

⁶ - أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار، تحقيق: يوسف علي الطويل، بيروت، دار الكتب العلمية، د. ت، ج1، ص140.

⁷ - أحمد بن محمد بن حنبل، المسند، الناشر: جمعية المكنز الإسلامي، دار المنهاج، 1431هـ - 2010م، ج9، ص4617. (ح: 20338).

⁸ - عبد الرزاق بن همام الصنعاني، مصنف عبد الرزاق، ط2، المكتب الإسلامي، بيروت، 1970: 1983م، ج8، ص306. (ح: 15313).

⁹ - عبد الحي الكتاني، نظام الحكومة النبوية - المسمى التراتب الإدارية، بيروت، طبعة دار الكتاب اللبناني، د. ت، ج1، ص295.

للنبي ﷺ حين أقر بالزنى ثم حبسه الرابعة وسأل عنهم ثم رجمه¹. وهذا دليل على أن النبي ﷺ سجنه لكي يتأكد من فعلته قبل إقامة الحد.

وأجاز النبي ﷺ للدائن بلزِم المدين؛ فقد روى أبو داود عن هرماس بن حبيب قال: " أتيت النبي ﷺ بغريم لي فقال : الزمه. ثم قال: يا أبا بني تميم ما تريد أن تفعل بأسيرك². كما لزم أبي بن كعب غريماً له عند سارية من سواري المسجد، فلم ينكر عليه الرسول ﷺ ذلك³. وذكر ابن فرج في الأفضية أن رجلاً قتل عبده متعمداً فجلده النبي ﷺ وسجنه وأمره بعق رقبة⁴.

وجاء في الأثر أن رسول الله ﷺ قد وَّزَع أسرى بدر (2هـ / 623م) على أصحابه لسجنهم في دورهم وأوصى بهم قائلاً: " استوصوا بالأسارى خيرا⁵، واعتقل سهيل بن عمرو، وجعله في حجرة من حجرات بيت حفصة زوج النبي ﷺ⁶، وقتل ﷺ ثلاثة منهم صبوا وهم " طُعيمه بن عدي، والنضر بن الحارث، عقبة بن أبي معيط " والصبر الحبس حتى إقامة الحد⁷، فهؤلاء من أئمة الكفر ومجرمي حرب.

¹ - علاء الدين المتقي الهندي، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، ط2، الهند، د. ت، ج5، ص226.

² - ابن طلاع، أفضية الرسول، ص11.

³ - حسام الدين عمر بن عبدالعزيز الشهيد الصدر، شرح أدب القاضي للخصاف، تحقيق: محيي هلال السرحان، مطبعة الإرشاد، 1977م، ج2، ص358.

⁴ - ابن طلاع، أفضية الرسول، ص11.

⁵ - سليمان بن أحمد الطبراني، المعجم الكبير، تحقيق فريق من الباحثين بإشراف: سعد بن عبد الله الحميد، وخالد بن عبد الرحمن الجريسي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ج22، ص393.

⁶ - عبد الملك بن هشام، السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، ط3، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1971م، ج2، ص299.

⁷ - محمد بن اسماعيل الصنعاني، سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام لابن حجر، ط4، مصر، 1960م، ج4، ص55.

وحبس ﷺ أسارى المريسيع (5هـ / 626م) واستعمل عليهم بريدة بن الحصيبي، وجعل على الذرية مولاه شقرا¹. وفي غزوة بني قريظة (5هـ / 626م) حبس الرسول ﷺ يهود لبيني قريظة في دار نسيبة بنت الحارث الأنصارية وكان عددهم أكثر من ستمائة سجين²، وهذا دليل على سعة الدار.

في غزوة حنين حبس ﷺ سبايا هوازن (8هـ / 629م) في حظائر في الجعرانة³ وقيل في مجنة؛ لحين عودته من حصار الطائف⁴، وسجن ﷺ سبايا طيئ (9هـ / 630م) فجعلت أخت عدي بن حاتم في حظيرة⁵ باب المسجد كانت النساء يحبسن فيها⁶. مما تقدم يتضح أن رسول الله ﷺ قام بافراد محبس خاص للنساء، لمنع الاختلاط بينهن وبين الرجال؛ وذلك لسترهن واتقاء الفتنة، وصار ذلك منهجاً سار عليه الخلفاء والولاة في الدولة فيما بعد.

وروي أن رسول الله ﷺ كان يحبس الأسرى بالخيام أثناء غزواته، وذلك قبل رجوعه للمدينة، وقد يستغرق الحبس بضعة أيام حتى يتم الفصل في أمرهم، كما حصل

¹ - محمد بن سعد بن منيع الزهري، الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، 2009م، ج2، ص64.

² - ابن هشام، السيرة النبوية، ج3، ص251-252.

³ - أبو علي المحسن بن التتوخي، الفرج بعد الشدة، تحقيق: عبود الشالحي، بيروت، دار صادر، 1978م، ج2، ص8.

⁴ - محمد بن جرير الطبري، الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل، ط2، القاهرة، دار المعارف، 1967م، ج3، ص94.

⁵ - والحضيرة : شبيهة بالزرب الذي يصنع للإبل والغنم ليكفها. ابن هشام، السيرة النبوية، ج4، ص225. هامش رقم: 5.

⁶ - ابن هشام، السيرة النبوية، ج4، ص225.

في غزوة بدر الكبرى، حيث حبسهم بالخيام ثلاثة أيام ثم اتجه بهم صوب المدينة المنورة¹، ووقع نحو ذلك بأسارى المُريسيع، وأسرى الجعرانة².

وحبس ﷺ ابن شِفاف الحنفي وابن النواحة مبعوثي مسيلمة الكذاب إلى النبي وكانا قد ارتدّا عن الإسلام ثم أطلقهما لأنهم رسل³.

لعلنا لا نحيد عن الصواب إذا قلنا أن النبي ﷺ لم يتخذ بنيانا خاصًا للسجن، ولم يكن هناك مكان دائم ومجهز لهذا الغرض؛ وإنما كان السجن يوضع في المسجد النبوي أو البيوت أو الخيام، وفي ذلك حماية لهم من تقلبات الطقس، فضلا عما توفره لهم هذه الأماكن من ضوءٍ وتهويةٍ جيدة و رؤيتهم للناس، حتى يتم الفصل في شأنهم بالعفو أو إقامة الحد.

المبحث الثاني: المعتقلات ونشأة السجون في العصر الراشدي.

كانت خلافة الصديق (11- 13هـ / 632- 634م) ﷺ امتدادا للعصر السابق لها، فقد كان ﷺ يحبس في المسجد أو البيوت، أو يلزم الخصم وكيله، ولم يكن هناك حبس معد⁴. لأن خلافة الصديق ﷺ كانت أقرب عهدا لعصر الرسالة؛ فقد كان الناس لا يزالون على صلاحهم وأيمانهم، فضلا عن قصر مدة خلافته وانشغاله ﷺ بحروب الردة والفتوحات.

لم تأت المصادر بإشارات واضحة تتناول الحبس في خلافته ﷺ باستثناء ما ذكره عبد الرزاق من أن أبا بكر وعمر - رضي الله عنهما- كانا يسجنان قاتل العبد سنة

¹ - الكتاني، نظام الحكومة النبوية، طبعة دار إحياء التراث العربي، ج1، ص312.

² - الكتاني، نظام الحكومة النبوية، طبعة دار إحياء التراث العربي، ج1، ص312- 313.

³ - محمد بن علي الشوكاني، نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار، بيروت، دار الجيل، 1973م، ج8، ص32.

⁴ - عبد الحي الكتاني، التراتيب الإدارية، طبعة دار الكتاب اللبناني، ج1، ص295- 297.

ويحرمانه من سهمه مع المسلمين سنة ويضربانه مائة¹. أو ما ذكره ابن أعثم²: حين وصل إليه أسرى المرتدين من دُبا الحصن بعُمان (11هـ / 632م) وقد بلغ تعدادهم ثلاثمائة من المقاتلة وأربعمائة من النساء والذرية؛ فأراد الخليفة انفاذ حكم المرتد فيهم في بادئ الأمر، ثم قرر سجنهم في دار رملة بنت الحارث بناءً على مشورة عمر بن الخطاب والصحابة _ رضي الله عنهم _ وظلوا محبوسين فيها إلى أن توفي الخليفة، وصار الأمر لعمر رضي الله عنه فاطلق سراحهم بعد أن صحت توبتهم.

استمر الفاروق رضي الله عنه (13- 23هـ / 634- 643م) في أول خلافته بنهج الرسول صلى الله عليه وسلم في حبس المتهمين بالمساجد والبيوت، ولما فتحت الشام والعراق وغيرهما وزادت أعداد الرعية، وظل بعضهم على ضلالهم وانحرافهم وشهواتهم، وكثر أهل الفساد والمنكرات فكان لزاماً من اتخاذ السجون. فأفرد الخلفاء أبنية خاصة للسجن وعدوا ذلك من المصالح العامة.

لقد قيل: " إن الحبس في البيوت كان في صدر الإسلام قبل أن يكثر الجناة، فلما كثروا وخشي قوتهم اتخذوا لهم سجناً"³؛ لذا فهي وسيلة من وسائل معاقبة الجناة وتأديبهم، وكفّ أذاهم عن الرعية.

ولا نستغرب أن عمر رضي الله عنه اتخذ داراً أعدها لتكون سجناً دائماً، اشتراها له نافع بن عبد الحارث الخزامي عامله على مكة بأربعة آلاف درهم من صفوان بن أمية وهي تقع

¹ - عبد الرزاق، مصنف عبد الرزاق، ج9، ص491. (ح: 18139).

² - ابن أعثم، أبو محمد بن أحمد، الفتوح، بيروت، دار الكتب العلمية، 1986م، مج1، ص60- 61.

³ - أبو عبدالله محمد بن أحمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ط2، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم اطفيش،

القاهرة، دار الكتب المصرية، 1964م، ج5، ص84.

خلف دار الندوة¹، وهذه تعد سابقة في تاريخ الدولة الإسلامية تجيز لولاة الأمر والقضاة اتخاذ السجون وتبيح عقوبة الحبس فيها وتعويق الحرية، بما يتفق مع الشرع الإسلامي. اتخذ عتبة بن غزوان سجنًا من قصب في البصرة ثم بناه من اللبن والطين²، وقيل إن المغيرة بن بن شعبة قد سجن معن بن زائدة في سجن من قصب بالكوفة بأمر الخليفة لتزويره خاتم الخلافة واختلاسه مالا من خراج الكوفة، إلا أنه هرب من سجنه إلى الخليفة بالمدينة طالبا الصفح، فضربه الخليفة مائة سوط وسجنه، فكلم فيه فضربة مائة ورده إلى السجن، فكلم فيه ثلاثة فضربه مائة ثم خلى سبيله³، وقيل أنه حبس الحطيئة الشاعر في بئر⁴.

والجديد في هذا العصر أن بعض السجون في بداية الأمر كانت من القصب، ثم بُنيت من اللبن والطين لمناعتها وقوتها. وهذا دليل على أنه تم تخصيص مكانا للسجن في خلافة الفاروق رضي الله عنه. أما بالنسبة للآبار فلم تنقل المصادر غير الحادثة السابقة مع الحطيئة، رغم حصانتها وفسحتها.

¹ - تقي الدين محمد الفاسي، شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري، بيروت، دار الكتاب العربي، 1985م، ج1، ص50.

² - أحمد بن يحيى البلاذري، البلدان وفتوحها واحكامها، تحقيق: سهيل زكار، بيروت، دار الفكر، 1992م، ص394.

³ - قدامة بن جعفر، الخراج، شرح وتحقيق: محمد حسين الزبيدي، العراق، دار الرشيد للنشر، 1981م، ص 56 - 57.

⁴ - الطبري، الرسل والملوك، ج2، ص124. والمقصود بالآبار: السراييب والمطامير المتخذة غرقا تحت الأرض، وهي من الاتساع بحيث تحمل المئتين من الناس وسميت بالآبار لأنها تحت الأرض. الكتاني، نظام الحكومة النبوية، ج1، ص299.

وحُبس أبو محجن الثقفي في غرفة بقصر العذيب في القادسية، حبسه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه لشربه الخمر¹، وحبس عمر رضي الله عنه ضبيعا التميمي على سؤاله عن الذاريات والمرسلات والنازعات ثم نفاه إلى العراق²، كما أمر بمن تكررت سرقته بعد قطع يده ورجله من خلاف أن يستودع السجن³، وقيل: إنه حبس أقارب صبي؛ لعدم نفقتهم عليه⁴، وأمر بحبس شاهد زور فقد روى عنه أنه قال: " شاهد الزور يجلد أربعين، و يسخم وجهه، ويपाल حبسه"⁵. وقيل: إنه حلق رأس شاهد زور وطاف به في الأسواق يحذر الناس منه ثم حبسه⁶؛ وذلك يدل على جواز الحبس مع عقوبات التعزير الأخرى كالضرب وحلق الرأس وغيرهما.

وحبس رجلا من أهل الذمة من أنباط الشام نخس دابة امرأة مسلمة في سوق ثم صلبه⁷. وأمر رضي الله عنه بحبس امرأة قتلت زوجها⁸.

مما سبق يتضح أن الخليفة عمر اتخذ أحكاما بالسجن وأدخل للمعتقلات و السجون العديد من المجرمين. وفي ذلك بيان للقضاة والمشرعين والولاة بحبس من يستحق السجن.

و يروى أن أبا موسى الأشعري بعث أنس بن مالك إلى الخليفة عمر رضي الله عنه يخبره بفتح تُستر، فسأله الخليفة عن قوم من بني بكر بن وائل فقال أنس أنهم ارتدوا عن

¹ - أبو يوسف، الخراج، ص 34.

² - ابن طلاع، أفضية الرسول، ص 8-9.

³ - أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم، الخراج، تونس، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، ص 173-175.

⁴ - أبو عبيد القاسم بن سلام، الأموال، تحقيق: محمد خليل هراس، 1987م، ص 271.

⁵ - أبو يعلى الفراء، الأحكام السلطانية، ص 283.

⁶ - أبو يعلى الفراء، الأحكام السلطانية، ص 283.

⁷ - أبو يوسف، الخراج، ص 179.

⁸ - عمر بن شبة، تاريخ المدينة المنورة، تحقيق: محمد وندل، بيروت، 1948م، ج2، ص 769.

الإسلام ولحقوا بالمشركين، ما سبيلهم إلا القتل؛ فقال الخليفة: "لأن أخذهم سلماً أحب عليّ ممّا طلعت عليه الشمس، فقال أنس وما تصنع بهم؟ قال عمر: أعرض عليهم أن يرجعوا إلى الإسلام فإن فعلوا وإلا استودعهم السجن"¹. وهذا يدل على تمهل الخليفة في أمر المرتدين واستحباب السجن على القتل لمنحهم فرصة الرجوع للإسلام. فكانت نهاية مدة الحبس تتوقف على صلاح السجين وتوبته.

ذكر الطبري أن الخليفة عثمان رضي الله عنه (23 - 35هـ / 643 - 755م) كان يحبس المخالفين بعد تعزيرهم، وخاصة في النصف الثاني من خلافته؛ بسبب الفتن والاضطرابات التي أدت في النهاية إلى مقتله²، فقد سجن جماعة ضجوا عليه بعد أن رفضوا بيع منازلهم لتوسيع المسجد الحرام فأمر بهم إلى السجن³، كما حبس عبد الرحمن بن حنبل الجمحي - كان شاعرًا هجاءً - في حصن مقام على جبل القموص بخيبر، ثم أطلق سراحه بعد أن كلمه فيه علي بن أبي طالب رضي الله عنه⁴، وسجن واليه على الكوفة الوليد بن عقبة؛ لشربه الخمر⁵، كما سجن ضابئ بن الحارث البرجمي لقطعه الطريق على الناس حتى مات في سجنه بسبب عناده وإصراره على الجرائم رغم استعطافه الخليفة في شعره⁶، وحكم رضي الله عنه على أحد اللصوص الهجائيين بالحبس والضرب⁷.

¹ - عبدالرزاق، مصنف عبد الرزاق، ج10، ص165. (ح: 18696)

² - الطبري، الرسل والملوك، ج4، ص402.

³ - الطبري، الرسل والملوك، ج4، ص25..

⁴ - ابن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1328هـ، ج2، ص395.

⁵ - حمزة بن الحسن الأصفهاني، الأغاني، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر، ج4، ص179.

⁶ - ابن طلاع، أقضية الرسول، ص12.

⁷ - ابن شبة، تاريخ المدينة، ج3، ص1024.

و قيل إن عمّال الخليفة في الأمصار يسجنون أيضاً، فقد سجن الوليد بن عقبة والي عثمان على الكوفة عمال سعد بن أبي وقاص بعد أن استعمله عثمان على الكوفة وضيق عليهم¹، كما سجن الوليد جندب بن كعب لقتله رجلاً ساحراً؛ فحبسه الوليد في سجن خارج الكوفة².

و فيما يتعلق بأحداث الفتنة آخر خلافة عثمان فقد سُجن محمد بن أبي حذيفة من قبل واليه عبدالله بن سعد والي مصر؛ بسبب خلعه للخليفة، كما تم حبس رجال من أهل مصر في دورهم³. و ربما هذا ما يعرف بالإقامة الجبرية في العصر الحديث. في خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام (35 - 40هـ / 655 - 660م) كانت الحاجة ماسّة وملحة بشكل أكبر للسجون؛ فقد كانت الأوضاع مضطربة جداً؛ بسبب الحروب والفتن الداخلية، وظهور الأحزاب السياسية المعارضة، تشير الروايات أن أمير المؤمنين علي عليه السلام هو أول من بنى بناءً خاصاً ليكون سجناً⁴ وسماه نافعا، إلا أنه لم يكن حصينا فقد كان بناؤه من قصب؛ الأمر الذي ساعد في فرار السجناء منه؛ فبنى سجناً آخر من الحجارة، وسماه مخيساً⁵، وفي ذلك قيل⁶:

¹ - الأصفهاني، الأغاني، ج4، ص175-176.

² - الأصفهاني، الأغاني، ج4، ص184.

³ - محمد بن يوسف الكندي، الولاة والقضاة، تحقيق: رفن كسن، بيروت، مطبعة الآباء اليسوعيين، 1908م، ص14 - 18.

⁴ - جلال الدين السيوطي، كتاب الوسائل إلى معرفة الأوائل، تقديم وتعليق: محمد زينهم محمد عزب، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2003م، ص128.

⁵ - مخيسا : المخيس السجن لأنه يخيس المحبوسين ويذلهم ويعذبهم. ابن منظور، لسان العرب، ج6، ص74.

⁶ - الشهيد الصدر، شرح أدب القاضي، ج2، ص345-346؛ الكتاني، نظام الحكومة، طبعة دار الكتاب اللبناني، ج1، ص297؛ ابن طلاع، أفضية الرسول، ص10.

بنيث بعد نافع مخيسا

أما تراني كيسا¹ مكيسا

بابا سديدا وأميرا كيسا

حصنا حصينا وأمينا كيسا

ذكر أبو يوسف أن السارق في خلافة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يستودع السجن بعد قطعه من خلاف²؛ أي بعد السرقة في الثالثة يحبس مخلدا في السجن، أما المدين فقد رفض حبسه لأنه وجد أن حبسه ظلمً وتعويق له³، كما قضى بحبس من أمسك رجلا ليقته آخر بأن يسجن حتى الموت⁴. وحبس امرأة من همدان حبلى من الزنى حتى وضعت ثم رجمها⁵.

وقيل إن أمير المؤمنين عليا عليه السلام كان يقيد الدعار في سجونهم بقيود لها أقفال⁶. وإذا كان في القبيلة أو القوم الرجل الداعر حبسه، فإن كان له مال أنفق عليه من ماله، وإن لم يكن له مال أنفق عليه من بيت مال المسلمين، وقال: " يُحبس عنهم شره، وينفق عليه من بيت مالهم"⁷، يتوالى حضور السجن في فترة صدر الإسلام ضمن توقعات تنتمي إلى سمات فيها التباين واقعًا، وهذا يأتي ضمن سياق الوقائع التي طرحت هذا التباين، فالجرائم بمختلف أنواعها والشُرور التي أفضت إلى ذلك جعلت من السجن المكان المتغير ماديًا - بناؤه وما يتعلق به من تبعات -، واهتمامًا من قبل الخلفاء حين صار مكانًا للردع والتأديب لحالة أو ربما حالات أصبحت تتكرر في واقع الحياة. إلا أن هناك افتراقًا

¹ - كيسا: عاقلا. ابن منظور، لسان العرب، ج6، ص200.

² - أبو يوسف، الخراج، ص175.

³ - الزبير بن بكار، الأخبار الموقفيات، تحقيق: سامي مكي العاني، بغداد، مكتبو العاني، 1972م، ص 111-112.

⁴ - عبد الرزاق، مصنف عبد الرزاق، ج9، ص480. (ح: 18091).

⁵ - عبد الرزاق، مصنف عبد الرزاق، ج7، ص326. (ح: 13350).

⁶ - ناصر بن عبد السيد المطرزي، المغرب في ترتيب المغرب، بيروت، دار الكتاب العربي، د. ت، ص219.

⁷ - أبو يوسف، الخراج، ص150.

في بعض الوقائع التي صارت محل اجتهاد أنى ينتمي إلى طبيعتها كون السجن لا يحقق التقابل المرتقب مما ارتكب، كالدين مثلا الذي خرج في كثير من الأحيان إلى ساحة الحياة كي ينتهي في الوفاء به، ولا يتحقق ذلك في السجن.

وجاء ذكر سجن فلسطين في ولاية معاوية لعثمان¹. وسجن بعلبك الذي سجن فيه بعض قتلة الخليفة عثمان رضي الله عنه بأمر والي الشام معاوية بن أبي سفيان وذلك عقب فرارهم من سجنهم في مصر². وسجن دمشق الذي سُجن فيه البعض الآخر من قتلة عثمان³، كما سُجن فيه عبدالله بن هاشم المرقال، أحد أبطال وشعراء صفين⁴.

إن من أهم ما يلحظه الباحث في هذا الموضوع أن اتساع الدولة الإسلامية، وتفاقم الوضع السياسي الداخلي، وما ترتب عنه من فتن وصراعات، وازدياد الطموح الشخصي في هذه الفترة، كان السبب في تخصيص أماكن للخارجين والمناوئين للدولة. ولم تقتصر السجون على الدعار واللصوص والمناوئين للسلطة السياسية فقط، بل كان للأسرى العدو نصيب منها، فقد حبس معاوية بسجن قلعة دمشق رهائن الروم حين عقد معاهدة مع الإمبراطور البيزنطي سنة 37هـ⁵.

مما سبق يتبين أن عددًا من هذه السجون ورثها المسلمون عن الروم بعد فتحهم للبلاد التي كانت خاضعة لهم، وهذا يشير إلى وجود استدراقات من قبل الخلفاء والولاة مرجعها إلى أمرين، الأول الحاجة الماسة والسريعة للسجون بسبب الأحداث المتعددة

¹ - طارق محمد العزام، النفقات المالية في عهد عثمان بن عفان وأثرها في الأحداث السياسية (34 - 35هـ/ 644 - 655م)، الأردن، دار اليازوري، 2011م، ص156.

² - شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، سِير أعلام النبلاء، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، ومأمون صاغري، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1984م، ج3، ص481.

³ - الذهبي، سِير أعلام النبلاء، ج3، ص481.

⁴ - عبدالعزيز الحففي، أدباء السجون، بيروت، دار الكتاب العربي، د. ت، ص50، 57.

⁵ - نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، بيروت، دار الكتاب العربي، ج6، ص242.

والمتنوعة التي أفضت إلى هذا الكم الهائل من الجرائم والمخالفات مقارنة بما سبق، والآخر هو العمران القديم للمدن ففيه سمة المنعة والقوة الذي يمكن توظيفها بحسب الحاجة المطلوبة.

المبحث الثالث: حراسة السجون و الأنفاق عليها ومعاملة السجناء:

لم يكن في زمن النبي ﷺ حراسا مخصصين لحراسة ومراقبة السجون، بل كان ﷺ يكلف أصحابه ليقوموا بالحراسة وحفظ الأمن في المعتقل، سواء كان في البيت أو المسجد أو غيرهما. فقد أسند ﷺ إلى أصحابه حراسة أسارى بدر، ومنهم مولاة شقروان، ومولاة رياح الأسود، وأنس بن مالك، وسعد بن أبي وقاص وغيرهم¹. واستعمل بريدة بن الحصيب على أسرى المريسيع². وقيل إنه استعمل حراسا من أصحابه على النساء، فقد أسند حراسة السبايا بالجعرانة يوم حنين إلى مسعود بن عمرو القاري، وورقة بن بديل الخزاعي³، واستعمل مولاة شقروان على سبايا المريسيع⁴.

وخلاصة ما سبق أن النبي ﷺ استعمل حراسا من أصحابه على الأسرى والموقوفين، ولم يرتبط هؤلاء الحراس بنظام خاص، لأن الحراسة لم تكن مهنتهم الدائمة، ولأنه ﷺ لم يتخذ سجناً دائماً، بل كان يكلف بعض أصحابه عند الضرورة؛ ليحفظوا الأمن والنظام في أماكن الاعتقال التي هي عبارة عن دور سكنية. كذلك ينطبق الحال على خلافة الصديق.

أما في العهد الراشدي فيبدو أن الأمر اختلف بعض الشيء وخاصة أن الخليفة عمر أمر وإليه على مكة أن يشتري داراً ليتخذها سجناً - كما مرّ ذكره سابقاً- وهذا

¹ - الكتاني، التراتيب الإدارية، طبعة دار إحياء التراث، ج1، ص21، 22، 292، 356.

² - الكتاني، التراتيب الإدارية، طبعة دار إحياء التراث، ج1، ص312.

³ - الكتاني، التراتيب الإدارية، طبعة دار إحياء التراث، ج1، ص312، 412.

⁴ - الكتاني، التراتيب الإدارية، طبعة دار إحياء التراث، ج1، ص312.

يعني أنه اتخذ مكانا للحبس. وربما اتخذ سجونا أخرى في بعض المدن، ويبدو لنا أن هذا الأمر يستلزم توظيف حراس لهذه السجون يكلفون بها، والأمر ليس بعسير خاصة وأن عمر رضي الله عنه كان أول من دون الدواوين، ونظم إدارة الدولة، كما أنه اتخذ العسس وهي الشرطة آنذاك، وإن لم تظهر هذه الوظيفة بشكل واضح ورسمي إلا في العصور اللاحقة، إلا أنها تعد نواة للشرطة و قيل إن عثمان اتخذ صاحب سجن في الكوفة وهو دينار بن سنان، ثم سيان الكوفي¹. كذلك فعل علي بن أبي طالب إذ اتخذ حراسا من السباجة² لسجنه على البصرة وقد عرفوا بالكفاءة والمهارة في حراسة السجون والاهتمام بالسجناء³، وكان مولاه قنبرا من حراس سجنه⁴، أما بالنسبة للإنفاق على السجناء من مأكّل وملبس والاهتمام بصحتهم وغيرها، فعلى الأرجح من بيت مال المسلمين؛ لأن ذلك فيه مصلحة للمجتمع الإسلامي.

والإشارات في ذلك قليلة جدا منها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر باطعام أسير من ثقيف⁵، كما أوصى صلى الله عليه وسلم بأسير يقال له أبو عزيز -أخو مصعب بن عمير -، فكانوا إذا جاء وقت الغداء قدموا له الطعام حتى استحيا الأسير من كثرة ما قدموه له⁶ وذكرت

¹ - طارق محمد العزام، النفقات المالية في عهد عثمان، الأردن، دار اليازوري، ص 155 - 156.

² - السباجة: هم قوم من السند استوطنوا البصرة. محمد الشريف الرحموني، نظام الشرطة في الإسلام إلى أواخر القرن الرابع الهجري، طرابلس - تونس، الدار العربية للكتاب، 1983م، ص 184.

³ - محمد الشريف الرحموني، نظام الشرطة، ص 184.

⁴ - محمد الشريف الرحموني، نظام الشرطة، ص 61.

⁵ - أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، صحيح مسلم، بيروت، دار الجيل، د. ت، ج 5، ص 78. ()

ح: (1641).

⁶ - ابن هشام، السيرة النبوية، ج 2، ص 299 - 300.

بعض المصادر أن رسول الله ﷺ أوصى بيهود بني قريظة وقد أسروا يوم الخندق وكان الجو حارًا، بعدم التضيق عليهم¹.

وروي أن رسول الله ﷺ كسا أسيرا بردين²، وقيل إنه أمر أصحابه بالإحسان إلى ثمامة والعناية به في حبسه وكان مريضًا³، وأوصى ﷺ ولي الجهنية التي زنت أن يحسن إليها حتى تضع حملها ففعل⁴. وبنحو ذلك قضى النبي ﷺ في المرأة التي من غامد⁵، ومما سبق يتبين مدى حسن معاملة الأسير والسجين في الإسلام وإيثارهم بأحسن ما عند أسره. مما لا نجد له مثيلا في كل التشريعات والقوانين، كذلك مدى اهتمام النبي ﷺ بصحة المرضى بما فيهم النساء الحوامل، فقام على حفظهن ورعايتهن وتوفير أسباب السلامة المعتاد عليها في البيوت من أكل وشرب وعلاج، مما يحفظ صحتهن الجسمية والنفسية، فحالهن حال المريض، ونهج الخلفاء الراشدين نهج رسول الله ﷺ؛ فقد أوصى عمر بن الخطاب ﷺ أن يحبس المرتد ثلاثة أيام ويطعم ويسقى فإن لم يتب يقتل، أما النساء فيحبسن ويدعين للإسلام حتى يرجعن إليه⁶. ونهى عن السجن إلا بالحق، فقد روي عنه: " والله لا يُؤسر رجل في الإسلام بغير العدول⁷ "، والمقصود بالأسر هنا الحبس، وكان علي بن أبي طالب ﷺ يراقب السجون ويتفقد السجناء ويلبي حاجاتهم وكان يكسوهم مرتين في كل عام؛ مرة في الشتاء وأخرى في الصيف، فقد جاء في كتاب الخراج لأبي يوسف مخاطبا الخليفة الرشيد: " ولم تزل الخلفاء يا أمير المؤمنين تجري على أهل

¹ - الكاساني، بدائع الصنائع، ج7، ص120.

² - الطبراني، المعجم الكبير، ج2، ص268. (ح: 2129).

³ - ابن شبة، تاريخ المدينة، ج2، ص436.

⁴ - أبو جعفر الطحاوي، شرح مشكل الآثار، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1994م، ج1، ص376. (ح: 478).

⁵ - مسلم، صحيح مسلم، ج5، ص118. (ح: 1695).

⁶ - أبو يوسف، الخراج، ص195.

⁷ - مالك بن أنس، الموطأ، تحقيق: محمد الأعظمي، أبو ظبي، مؤسسة زايد، 2004م، ج2، ص720.

السجون ما يقوتهم في طعامهم وإدمهم وكسوتهم في الشتاء والصيف، وأول من فعل ذلك علي بن أبي طالب بالعراق...¹، ومن عاداته أيضا تفقد أحوال السجون ومحادثة السجناء وسؤالهم عن أحوالهم². قال ﷺ في ابن ملجم بعدما طعنه: "أطعموه واسقوه وأحسنوا إيساره، فإن عشت فأنا ولي دمي"³.

وخلاصة القول إن خلفاء الدولة الإسلامية ومنذ تأسيسها اهتموا بتفتيش السجون، ورعاية المعتقلين، وتفحص السجناء، والسؤال عن أحوالهم، والعناية بصحتهم وضمان سلامتهم، وقد سبقوا بذلك كل التشريعات والقوانين والمنظمات الإنسانية والنظم المعاصرة التي تدعو إلى حسن معاملة السجناء، فكان التشريع الإسلامي، وممارسات المسلمين؛ أقدم من كل القوانين والمواثيق الحديثة.

الخاتمة:

استنادًا إلى ما تقدم بحثه حول "المعتقات والسجون في صدر الإسلام (1-40هـ/ 622-660م) (النشأة والتطور" خلص الباحث إلى النتائج الآتية: أثبتت الدراسة أن حالات الاعتقال في عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر الصديق ﷺ كانت قليلة جدا، شبه معدومة، وكان الهدف منها مجرد التعويق فقط، إلا أنها زادت في العهود اللاحقة وأن كان ازديادها تدريجيًا، وأصبحت فترة العقوبة تطول إلى حد ما مقارنة بما سبقها، ومرجع ذلك تمهّل الخلفاء في النظر في العفو أو العقوبة وخاصة في زمن الفتن والاضطرابات.

أوضحت الدراسة أن هناك فرقًا بين المعتقات والسجون، فالمعتقات لا تتسم بالثبات عكس السجون التي نرى فيها الثبات؛ لا سيما في المكان وما يتعلق بها، أما

¹ - أبو يوسف، الخراج، ص151.

² - المطرزي، المعرب، ص219.

³ - البيهقي، السنن، ج8، ص183. (ح: 16859).

المعتقلات فهي وليدة الظرف الذي بسببه تقام، فيكون انتهاؤها حالما ينتهي الظرف الذي كان السبب في وجودها كما في الحروب، أما في بداية صدر الإسلام فكان المعتقل بحسب الحاجة والموقف فيكون في البيوت أو المسجد أو الخيام.

بينت الدراسة أن الخليفة عمر رضي الله عنه أول من اتخذ داراً معدة للسكن فجعلها سجناً، وأن علياً رضي الله عنه أول من بنى مكاناً ليحمله سجناً، علماً بأن هذه السجون لم تكن بالمعنى الواسع والتنظيمي للسجن كما في العصور اللاحقة.

خلصت الدراسة إلى أن الحبس في صدر الإسلام كان لأسباب أبرزها: التأديب والإصلاح والردع، أو للاستظهار والاحتراز، أو استيفاء الحدود، فضلاً عن حبس أسرى العدو.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

أولاً: المصادر:

* الأصفهاني، أبو الفرج (ت: 356هـ/986م) الأغاني، بيروت، دار الفكر للطباعة والنشر، د. ت.

* ابن أعثم، أبو محمد بن أحمد (ت: 314هـ/926م) الفتوح، بيروت، دار الكتب العلمية، 1986م.

* البلاذري، أحمد بن يحيى (ت: 279هـ/892م) البلدان وفتوحها وأحكامها، تحقيق: سهيل زكار، بيروت، دار الفكر، 1992م.

* البيهقي، أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي (458هـ/1065م).

- السنن الكبرى، حيدر آباد الدكن، الهند، مجلس دائرة المعارف العمانية، 1352: 1355هـ.

* التتوخي، أبو علي المحسن (ت: 384هـ/994م) الفرج بعد الشدة، تحقيق: عبود الشالجي، بيروت، دار صادر، 1978م.

- * ابن تيمية، تقي الدين (ت: 728هـ / 1327م) مجموع فتاوى ابن تيمية، جمع: عبدالرحمن بن قاسم العاصمي وولده محمد، الرياض، 1392هـ.
- * ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد (ت: 852هـ / 1448م) الإصابة في تمييز الصحابة، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1328هـ.
- * بن حنبل، أحمد بن محمد (ت: 241هـ / 855م) المسند، الناشر: جمعية الكنز الإسلامي، دار المنهاج، 1431هـ - 2010م.
- * الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت: 748هـ / 1374م) سير أعلام النبلاء، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، ومأمون صاغرجي، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1984م.
- * عبدالرزاق بن همام الصنعاني، أبوبكر (ت: 211هـ / 826م) مصنف عبد الرزاق، ط2، المكتب الإسلامي، بيروت، 1970: 1983م.
- * الزبير بن بكار (ت: 256هـ / 869م) الأخبار الموفقيات، تحقيق: سامي مكي العاني، بغداد، مكتبة العاني، 1972م.
- * ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع أبو عبدالله البصري الزهري (ت: 230هـ / 844م) الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، 2009م.
- * بن سلام، أبو عبيد القاسم الهروي (ت: 224هـ / 838م) كتاب الأموال، تحقيق: محمد خليل هراس، 1987م.
- * السيوطي، جلال الدين (ت: 911هـ / 1505م) كتاب الوسائل إلى معرفة الأوائل، تقديم وتعليق: محمد زينهم محمد عزب، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2003م.
- * بن شبه، عمر (ت: 262هـ / 875م) تاريخ المدينة المنورة، تحقيق: محمد وندل، بيروت، 1996م.
- * الشهيد الصدر، حسام الدين عمر بن عبد العزيز (ت: 536هـ / 1141م) شرح أدب القاضي للخصاف، تحقيق: محيي هلال السرحان، مطبعة الإرشاد، 1977م.

- * الشوكاني، محمد بن علي (ت: 1255هـ / 1839م) نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار، بيروت، دار الجيل، 1973م.
- * الصنعاني، محمد بن إسماعيل (ت: 1182هـ / 1768م) سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام لابن حجر، ط4، مصر، 1379هـ.
- * الطبراني، سليمان بن أحمد (ت: 360هـ / 918م) المعجم الكبير، تحقيق فريق من الباحثين بإشراف: سعد بن عبد الله الحميد، وخالد بن عبد الرحمن الجريسي، القاهرة، مكتبة ابن تيمية، د. ت.
- * الطبري، محمد بن جرير (ت: 310هـ / 922م) الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل، ط2، القاهرة، دار المعارف، 1967م.
- * الطحاوي، أبو جعفر (ت: 321هـ / 399م) شرح مشكل الآثار، بيروت، مؤسسة الرسالة، 1994م.
- * ابن طلاع، محمد بن فرج (ت: 497هـ / 1103م) أقضية الرسول، تحقيق: محمد عبد الشكور، دائرة المعارف العثمانية، حيدر اباد، 1983م.
- * الفاسي، تقي الدين محمد (ت: 832هـ / 1428م) شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، بيروت، دار الكتاب العربي، 1985م.
- * الفيومي، أحمد بن علي (ت: 770هـ / 1368م) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، ط6، القاهرة، 1925م.
- * بن قتيبة الدينوري، أبو محمد عبدالله بن مسلم (ت: 276هـ / 889م) عيون الأخبار، تحقيق: يوسف علي الطويل، بيروت، دار الكتب العلمية، د. ت.
- * قدامة بن جعفر (ت: 329هـ / 940م) الخراج، شرح وتحقيق: محمد حسين الزبيدي، العراق، دار الرشيد للنشر، 1981م.

- * القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد (ت: 671هـ / 1273م) الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم اطفيش، ط2، القاهرة، دار الكتب المصرية، 1964م.
- * ابن قيم الجوزية، شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر (ت: 751هـ / 1350م) الطرق الحُكْمِيَّة في السياسة الشرعية، تحقيق: محمد حامد الفقي، بيروت، دار الكتب العلمية، د. ت.
- * الكاساني، علاء الدين بن مسعود (ت: 587هـ / 1191م) بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، المطبعة الجمالية، 1910م.
- * الكندي، محمد بن يوسف (ت: 350هـ / 961م) الولاة والقضاة، تحقيق: رفن كسن، بيروت، مطبعة الآباء اليسوعيين، 1908م.
- * مالك، مالك بن أنس (ت: 179هـ / 795م) الموطأ، تحقيق: محمد الأعظمي، أبوظبي، مؤسسة زايد، 2004م.
- * المنقي الهندي، علاء الدين (ت: 975هـ / 1567م) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، ط2، الهند، د. ت.
- * مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت: 261هـ / 874م) صحيح مسلم، بيروت، دار الجيل، د. ت.
- * المطرزي، ناصر بن عبد السيد (ت: 616هـ / 1215م) المغرب في ترتيب المُعرب، بيروت، دار الكتاب العربي، د. ت.
- * بن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (ت: 711هـ / 1287م) لسان العرب، بيروت، دار صادر، 1992م.
- * الموصلِي، عبدالله بن محمود (ت: 683هـ / 1284م) الاختيار لتعليل المختار، ط2، القاهرة، د. ت.

- * بن هشام، عبدالملك (ت: 213هـ / 828م) السيرة النبوية، تحقيق: مصطفى السقا وآخرون، ط3، بيروت، دار إحياء التراث العربي، 1971م.
- * الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر (ت: 807هـ / 1404م) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، بيروت، دار الكتاب العربي، د. ت.
- * أبو يُعلى الفراء، محمد بن الحسن (ت: 458هـ / 1065م) الأحكام السلطانية، صححه وعلق عليه: محمد حامد الفقي، بيروت، دار الكتب العلمية، 1983م.
- * أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم (ت: 182هـ / 798م) الخراج، تونس، دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع، د. ت.
- ثانيا/ المراجع:
- * أحمد الحصري، السياسة الجزائرية في فقه العقوبات الإسلامي المقارن، بيروت، دار الجيل، 1993م.
- * عبدالحى الكتاني، التراتيب الإدارية أو نظام الحكومة النبوية، بيروت، دار إحياء التراث العربي، د. ت. وطبعة دار الكتاب اللبناني، بيروت، د. ت.
- * طارق محمد العزام، النفقات المالية في عهد عثمان بن عفان وأثرها في الأحداث السياسية (34 - 35هـ / 644 - 655م)، الأردن، دار اليازوري، 2011م.
- * عبدالعزيز الحلفي أدباء السجون، بيروت، دار الكتاب العربي، د. ت.
- * محمد الشريف الرحموني، نظام الشرطة في الإسلام إلى أواخر القرن الرابع الهجري، طرابلس_ تونس، الدار العربية للكتاب، 1983م.

التحول الديمقراطي (دراسة في الآليات والتحديات)

د. رجب عمر العاتي - د. خالد ابراهيم أبو رقيقة

مقدمة:.

عنيت الاتجاهات الحديثة لدراسة النظم السياسية المعاصرة بعمليات التحول الديمقراطي وخاصة في بلدان العالم النامي، حيث ينشغل المجال الرسمي وغير الرسمي في أي نظام سياسي على حد سواء، ويتعاضد هذا الاهتمام عندما يرتبط هذا الحديث بدول العالم النامي والذي يمكن تفسيره أي هذا الحدث المتزايد عن التحول في أحد نواحيه في ضوء المطالبات الخارجية والضغط الدولية سواء من جانب بعض الدول أو من جانب فاعلين دوليين آخرين كالمنظمات الدولية الحكومية وغير الحكومية.

كما شغلت هذه المسألة المفكرين مند بدايات وأصول الفكر السياسي، وخصص لها العديد من المؤلفات والدراسات وقد سمي عالم السياسة الامريكى (صمويل هنتغتون) بالموجة الثالثة للديمقراطية والتي اجتاحت العالم مع نهاية الحرب العالمية الثانية حيث امتد النظام الديمقراطي ليشمل دول أوروبا واستمر هذا التمدد في الازدياد مع انهيار الاتحاد السوفيتي، إلا أن هناك تعتر في الكثير من الدول في التحول الديمقراطي وخاصة في دول العالم الثالث، ولذلك أكدت الادبيات السياسية على أن عملية التحول الديمقراطي تحتاج إلى مجموعة من الآليات والأدوات والمرتكزات لابد من توافرها لإنجاح عمليات التحول، وأن هناك العديد من التحديات التي تواجهه عمليات التحول الديمقراطي في الكثير من دول العالم وخاصة دول العالم النامي.

مشكلة الدراسة: تدور مشكلة البحثية الرئيسية حول تساؤل رئيس هو (ما هي طبيعة عملية التحول الديمقراطي) ويمكن تفصيل التساؤل الرئيسي للدراسة إلى عدد من التساؤلات الفرعية لإمكانية التحليل والدراسة وهذه التساؤلات الفرعية هي:.

1. ما هي آليات عمليات التحول الديمقراطي؟

2. ما هي التحديات التي تواجه عملية التحول الديمقراطي؟

3. ماهي أنماط التحول الديمقراطي؟

4. ماهي نظريات التحول الديمقراطي؟

الأهمية الدراسة: تكمن أهمية الدراسة في تناول موضوع يكاد محل اهتمام الجميع وهو عملية التحول الديمقراطي، وبناء دولة القانون والمؤسسات واحترام حقوق المواطن وتحقيق الرفاهية.

أهداف الدراسة: تهدف الدراسة إلى :

1. تحديد طبيعة عملية التحول الديمقراطي.

2. تحديد آليات عملية التحول الديمقراطي.

3. تحديد التحديات التي تواجه عملية التحول الديمقراطي.

4. تحديد أنماط التحول الديمقراطي؟

5. تحديد نظريات التحول الديمقراطي؟

منهجية الدراسة: بالنظر في مناهج البحث في العلوم السياسية وفي ضوء ما يتناسب مع هذه الدراسة فإنه سوف يتم استخدام المنهج التحليلي الوصفي والتاريخي ومنهج النظم. تقسيمات الدراسة: أولاً: طبيعة ومفهوم عملية التحول الديمقراطي.

ثانياً: أنماط التحول الديمقراطي

ثالثاً: نظريات التحول الديمقراطي

رابعاً: آليات عملية التحول الديمقراطي.

خامساً: : تحديات عملية التحول الديمقراطي.

أولاً: الإطار النظري: يتسم التعرض للمفاهيم والتعريفات الرئيسية التي تدور

حولها الدراسة على رأسها مفهوم الديمقراطية والتحول الديمقراطي، وهذا التأصيل النظري يجد مبرره في كون البحث العلمي المتمسك بالرصانة يتطلب ضبط لمفاهيمه لتبني الدراسة

على قواعد وأصول نظرية مستقرة تمكن الباحث في النهاية في استخلاص نتائج وتوصيات مجدية.

مفهوم التحول الديمقراطي: يعتبر مفهوم التحول الديمقراطي أحد المفاهيم الحديثة المطروحة على الساحة الفكرية، يختلف عن مفهوم الديمقراطية التقليدية، التي ارتبطت سابقاً بعمليات تحديث وتنمية المجتمعات المختلفة كشرط لإرساء نظام ديمقراطي فيها، حيث تؤكد الأدبيات المعاصرة أن عملية التحول الديمقراطي تتضمن تتابعا زمنيا للمراحل تبدأ بالقضاء على النظام السلطوي أولاً ثم اجتياز المرحلة الانتقالية، فالوصول إلى مرحلة الرسوخ.

ورغم صعوبة إيجاد تعريف محدد ونهائي لهذا المفهوم، يحظى بإجماع الدارسين والمهتمين بالديمقراطية جميعهم، يمكن إيراد بعض أهم التعاريف فنجد "صموئيل هنتغتون" يعرف موجة التحول الديمقراطي بأنها "مجموعة من حركات الانتقال من النظام غير الديمقراطي إلى النظام الديمقراطي تحدث في فترة زمنية محددة وتقوم في عدد حركاتها الانتقال في الاتجاه المضاد خلال المدة الزمنية"

كما أشار في تحليلاته أيضاً إلى أهمية الرابطة بين الشرعية وموجات التحول الديمقراطي، مؤكداً أن كافة النظم السياسية تهتم بقضية التوعية منذ أن أكد "جون جاك روسو" أن صاحب القوة لا يمكن أن يظل قوياً، إلا إذا حول هذه القوة إلى حق في أن يتولى الحكم وواجب على الشعب أن يطيعه، والأكيد هنا أن الشرعية التي حرص عليها، "هنتغتون" هي شرعية قائمة على المنطلق الديمقراطي وشعارات الديمقراطية، وأقرب لان تكون شرعية دستورية، فهي تعني في المقام الأول أن النظام السياسي هو نظام شرعي مادام يعتمد الديمقراطية والمشاركة في الحكم وتؤدي فيه المؤسسات دوراً قوياً وفعالاً ومؤثراً في العملية السياسية، ويشعر مواطنوه أنه نظاماً صالحاً ويستحق التأييد والطاعة، ويضمن لهم في المقابل مزيداً من الحقوق السياسية والاجتماعية. (1)

أما "برهان غليون" فيرى أن المقصود بالتحول الديمقراطي هو "ضرورة العمل على امتصاص التناقضات الكبرى والعنيفة وتخفيف درجة التوتر العالي الذي لا يمكن احتمالته ويهدد المسيرة الديمقراطية قبل أن تبدأ". (2)

ويرى "محمد الرضواني" أن التحول الديمقراطي هو السعي إلى الانتقال من نموذج سياسي غير ديمقراطي في عمومته إلى نموذج سياسي أو ديمقراطي في مؤسساته وممارساته، لا يتوقف عن إثارة القواعد الديمقراطية وضوابطها في مختلف الممارسات وسلوكيات الفاعلين، وترسيخها وتدعيمها وهو الأمر الذي يتطلب تبني القواعد الحديثة على مستوى تكوين المؤسسات السياسية والعلاقة بينهما وعلى مستوى الممارسة السياسية الرسمية وغير الرسمية، أي تلك المتعلقة بصناعة السياسات العمومية وتنفيذها، وتلك المتعلقة بالفاعلين غير الرسميين في مجال التعبير عن المطالب والمشاركة السياسية داخل المؤسسات وخارجها. (3)

وعرف "مهند صلاحات" التحول الديمقراطي بأنه "إمكانية تحول مجتمع ما من حالة انغلاق تام إلى تحول ديمقراطي نحو مجتمع مدني، مؤكدا على عدم إمكانية إسقاط هذا التحول على المجتمعات بشكل طارئ وإنما يمكن ذلك من خلال خطوات استباقية تؤسس بمراحل سابقة تتمثل نواتها في وجود مجتمع مدني حقيقي "مجتمع مؤسسات" لكي تأتي الديمقراطية بعدها بشكل تلقائي" (4).

أما "محمد عابد الجابري" يرى أن مفهوم التحول الديمقراطي يحمل مفهوماً مركزياً وهو "التحول" ومن البين بنفسه أن التحول أي كان يطرح ثلاثة أسئلة جوهرية هي: من أين؟ وإلى أين؟ وكيف؟ أما السؤال "إلى أين" فالعنوان يجيب عنه "التحول إلى الديمقراطية" ولكن يبقى أن يحدد مضمون هذه الديمقراطية التي نريد التحول إليها، وأما "من أين" فهذا هو المسكوت عنه غالباً باعتبار أن الانتقال يكون من الوضعية التي نحن فيها، والتي من المفروض أنها معروفة غير أن هذا السكوت يصبح غير محتمل بل غير ممكن عندما

يطرح السؤال الثالث نفسه "كيف" إذ كيف ممكن تحديد كيفية التحول بدون معرفة صحيحة للوضع الذي يكون منه هذا التحول وتزداد المسألة تعقيداً عندما تكون المسافة بين الوضع الذي يراد التحول إليه، والوضع الذي يراد التحول منه تفتقد إلى عناصر الاتصال التي تقيم جسوراً بين الوضعين مما يجعل من التحول إشكالية نظرية وعملية(5).

ويرى "ليث زيدان" التحول الديمقراطي بأنه "تغيير بنية النظام السياسي غير الديمقراطي بنظام آخر ديمقراطي من خلال عملية انتخابية حرة ونزيهة وعلنية ودورية تقوم على أساس المشاركة والتنافس مع توفير الحريات المدنية والسياسية ودعم هذا النظام لضمان استمرارية واستدامة عملية التحول الديمقراطي من خلال إقرار دستور ديمقراطي، دعم الاقتصاد وتوفير الاستقرار ودعم شرعية النظام بتعزيز دور الاصلاحين الديمقراطيين وتعزيز دور المجتمع المدني"(6).

بينما اعتبر "عبدالعزیز النويضي" التحول الديمقراطي بأنه "مسلسل يتم فيه المرور في نظام سياسي مغلق لا يسمح بالمشاركة السياسية، أو تكون فيه الحقوق المرتبطة بالمشاركة السياسية مقيدة تعقيداً شديداً إلى نظام سياسي مفتوح يتيح مشاركة المواطنين ويسمح بتداول السلطة ولا سيما عبر الاعتراف بمجموعة من الحقوق المرتبطة بوثوق المشاركة السياسية، وإمكانية ممارستها بصفة فعلية، وتحدد هذه الحقوق في "الحق في انتخابات عامة حرة ونزيهة والحق في تأسيس الجمعيات والأحزاب والنقابات".

. الحق في حرية الرأي والتعبير .

. الحق في المحاكمة العادلة(7).

وبصفة عامة يعني التحول الديمقراطي الانتقال بالمجتمع من وضع إلى آخر بشرط أن يكون أحسن من سابقته بتميز مبدأ التداول على السلطة السياسية من خلال الاغلبية التي يفرزها التغيير الديمقراطي الحر والتنافس الحزبي التعددي في إطار احترام حقوق

الانسان وحرياته وشخصيته الحضارية في مستوى أول ويفترض أن يتجسد هذا التحول داخل المنظومة الاجتماعية والثقافية والسياسية(8).

ثانياً:- أنماط وأشكال التحول الديمقراطي:

صنف "صموئيل هنتغتون" أنماط وأشكال التحول الديمقراطي إلى أربعة أنماط في

النظم التسلطية وهي كالاتي:

1. التحول:- في هذا النمط من أنماط التحول الديمقراطي تتم عملية التحول الديمقراطي بمبادرات تتبع من داخل النظام التسلطي ذاته وبدون أي تدخل من جهات أخرى، كقوى المعارضة أو من المجتمع ككل، ويرى "هنتغتون" أن هذا الشكل من التحول الديمقراطي عادة ما يتخذ شكل ديمقراطية محدودة تكون الهيمنة فيها لصالح عدد محدود من النخب التي تستمر في احتكار السلطة والقوة، وتأخذ المصالح الشخصية البعد الأهم في عمليات اتخاذ القرار السياسي، ولقد كان هذا النمط الغالب لعمليات الانتقال في العديد من بلدان أمريكا اللاتينية والاسيوية(9).

2. التحول الإحلالي:- تتم عملية التحول الديمقراطي في هذا النمط أساساً على طريق مبادرات مشتركة بين النخب الحاكمة والنخب المعارضة، عندما تدرك هذه النخب أن لها مصلحة مشتركة في التحرك في مسار يؤدي إلى ديمقراطية محدودة ضمن نمط التحول الإحلالي، وعادة ما يكون الهدف من هذا التحرك حل خلافات النخب وتدعيم نفوذها وتوجيه الفعل السياسي بما يلائم مصالحها لضمان الاستقرار بعد المرحلة الانتقالية، ودمج النخب ضمن إطار مستقر من المؤسسات الديمقراطية الفعالة التي لا تهدد مصالح هذه النخب، لأنه إذا لم تشعر النخب بأن النظام الجديد يضمن مصالحها، فإنها لن تقبل شرعيته وسوف تبدل ما في وسعها لتفويضه(10).

3. الإحلال:- تنتج عملية التحول الديمقراطي في النمط الإحلالي في الغالب، عن عجز النظام التسلطي حيال أزمة وطنية خطيرة، مما يعرض النظام لضغوط كبيرة من

المعارضة الشعبية، أما النخب فإنها تزعم على الخضوع للإرادة الشعبية الغاضبة، وفقاً "لهنتغتون" فمن غير المحتمل أن يستقر النظام الديمقراطي وفقاً لهذا النمط الاحلالي، في إمكانية عودة نظم تسلطية بأشكال جديدة تظل قائمة(11).

4. التدخل الاجنبي:- يحدث هذا النمط من عملية الانتقال نتيجة لتدخل قوى أجنبية، إضافة إلى التدخل العسكري المباشر، فإن نفود البلدان والمؤسسات الدولية، المانحة للإعانات الاقتصادية قوياً ومؤثراً في قرارات التحول الديمقراطي في بعض النظم التسلطية الفقيرة، حيث أنه خلال فترة الثمانينات والتسعينات من القرن الماضي فشلت البلدان الفقيرة في القيام أو تفعيل برامج وسياسات محفزة للتنمية الاقتصادية، واصبح الكثير منها يعتمد بصورة متزايدة على إعانات وقروض البلدان الغربية والمؤسسات الدولية المانحة التي طالبت البلدان الفقيرة بالشروع في عملية الاصلاح الديمقراطي كجزء من برنامج متكامل للحكم الصالح الرشيد، وربطت استمرارية الاعانات الخارجية بموافقة النظم التسلطية على البدء في عمليات الديمقراطية والاصلاح السياسي.

وتجدر الاشارة هنا إلى أنه مهما كانت درجة القوة العسكرية والاقتصادية والسياسية للبلدان الغربية والمؤسسات الدولية، فإنهم لا يستطيعون القيام بفرض خياراتهم السياسية على بلدان لا ترحب كثيراً بتلك الخيارات، قد يؤدي التدخل الاجنبي إلى إقامة ديمقراطية في تلك البلدان ولكنها ديمقراطية غير مضمونة البقاء والاستمرار، إلا إذا توافرت الرغبة الداخلية والقبول من تلك البلدان في بقاء واستمرارية الديمقراطية، وترسخ الديمقراطية يعتمد على الاتفاق العام والإجماع الداخلي على الديمقراطية كنظام مفضل على أية ترتيبات سياسية أخرى ويشترط "هنتغتون" لبقاء الديمقراطية، غياب أية انقسامات أثنيه أو دينية أو طبقية خطيرة في المجتمع المعني بعملية التحول الديمقراطي(12).

ثالثاً: نظريات التحول الديمقراطي

تشير الأدبيات العامة حول عملية التحول الديمقراطي أن هناك ثلاث نظريات رئيسية تفسر عمليات التحول الديمقراطي وأمناطها والعوامل والمتغيرات المؤثرة فيها وهي:-

1. نظرية الحداثة:- تقوم هذه النظرية على قاعدة مفادها أن للتنمية الاقتصادية دوراً رئيسياً ومهما في إحداث التحول الديمقراطي، هذا إن لم تكن هي التي أدت إلى الديمقراطية، لقد قام عالم الاجتماع السياسي الأمريكي الجنسية "سيمور مارتن ليبست" باختبار تلك النظرية من خلال أطروحته التي جاءت بعنوان "بعض الاشتراطات الاجتماعية للديمقراطية التنموية الاقتصادية والشرعية السياسية" وذلك من خلال عمل مقارنة بين البلدان الأوروبية والبلدان الناطقة بالإنجليزية، وبلدان أمريكا اللاتينية، مضافاً إليها لديمقراطيات مستقرة وديمقراطيات غير مستقرة وديكتاتوريات، وفقاً لمعايير ومؤشرات تتعلق بالتنمية الاقتصادية والاجتماعية مثل: الثروة، ودرجة التصنيع، والحضرية، ومستوى التعليم، وخلص إلى وجود تطابق بين التنمية الاقتصادية وبين النظام الديمقراطي الناتج عن عدة متغيرات اجتماعية.

وقد تعرضت تلك النظرية لعدة انتقادات كان أبرزها أن النحو الاقتصادي وحده غير كاف لإنتاج الديمقراطية، فهناك عوامل أخرى تؤثر في عملية التحول الديمقراطي مثل الخصوصية القومية، أو الثقافية، أو التبعية الاقتصادية، أو تجربة التحرر القومية بالإضافة إلى ضعف العلاقة السببية التي تربط بين النمو الاقتصادي والتحول الديمقراطي، والعلاقة في الحالة احتمالية وليست سببية، فالاستنتاج الذي يقول إن مستوى عالياً من النمو الاقتصادي ليس من شأنه أن يقود بالضرورة إلى عملية تحول ديمقراطي(13).

2. النظرية البنوية: تفترض هذه النظرية بأن المسار التاريخي لأي بلد نحو الديمقراطية أو نحو أي شكل سياسي آخر يتشكل ويتحدد أساساً بالبنية المتغيرة للطبقة

والدولة والقوى الدولية وعبر القومية والمثأثرة بنمط التنمية، وليست عن طريق مبادرات وخيارات النخب، فعلى الرغم من أن النخب السياسية تقوم بمبادرات وخيارات معينة إلا أن هذه المبادرات والخيارات لا يمكن تفسيرها دون الخضوع للظروف البنوية، وبهذا تختلف تفسيرات النظرية البنوية على بقية النظريات لعمليات التحول الديمقراطي. التي تعود لفكرة ومفهوم "بنى القوة والسلطة المتغيرة" وليس للنخب السياسية، مما يستلزم عمليات تحول ديمقراطي طويلة المدى، هذه البنى تتحكم بشكل أو بآخر في سلوك الأفراد والنخب في المجتمع، وتقوم بتشكيل تفكيرهم وصياغة رؤاهم، عادة ما تكون هذه البنى هي نتاج تفاعل الماضي والحاضر معاً، ويساهم قبول الأفراد والجماعات في بقائها أو استمراريتها.

فالتفاعلات المتغيرة لبنى السلطة والقوة "الاقتصادية والاجتماعية والسياسية" قد تدفع نحو أحد اتجاهين، فهي إما أن تقوم إلى الديمقراطية او إلى مسارات سياسية أخرى ومن شأن هذه التفاعلات أن تأخذ مدى طويلاً لتحقيق عملية التحول الديمقراطي.

ولقد قام "بارنجتون مور" بفحص النظرية البنوية وذلك بتتبع مختلف المسارات السياسية من مسار انجلترا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية "مسار الديمقراطية الليبرالية" مروراً بالمسار الذي اتبعته اليابان وألمانيا "مسار الفاشية" وصولاً للمسار الذي اتجهت إليه روسيا والصين "مسار الثورة الشيوعية"، وتجاهل "مور" جهود النخب وركز خلال تلك المقارنة على إطار العلاقات المتفاعلة لأربع بنى متغيرة للقوة والسلطة، تركزت ثلاث منها في طبقات اجتماعية "الفلاحون وطبقة ملاك الأرض الأرستقراطية والبرجوازية الحضرية" أما البنى الرابعة فهي الدولة، وتوصل "مور" من خلال مقارنته السابقة إلى أن الديمقراطية الليبرالية كانت نتاجاً لنمط مشترك من العلاقات المتغيرة بين البنى الأربعة، مما نجد نمط الفاشية كنتيجة لضعف البرجوازية الحضرية واعتمادها على الطبقات الأرستقراطية المهيمنة على الدولة، وكذلك الثورات الشيوعية استمدت وجودها من ضعف البرجوازية الحضرية وخضوعها لهيمنة الدولة(14)، وقد تعرضت النظرية للانتقاد بسبب إغفالها

بدرجة كبيرة لدور العلاقات والتفاعلات الدولية وعبر القومية، بما فيها الحرب، في تحديد المسار الذي تتخذه البلدان المختلفة، فضلاً عن إبرازها لعمل ماركسي ظهر خلال محاولة تعليل "مور" للبنى والصراعات السياسية بوساطة البنى والصراعات الطبقة، وهذا يتفق مع رؤية علم الاجتماع الماركسي في كون صراع الطبقات يعد جوهرًا أساساً للسياسة، وهو يستند في تفسيره لمفهوم الطبقة الاجتماعية، على أنه نتاج مجموعة من العلاقات الاقتصادية ذات خصوصيه تاريخية(15).

3. النظرية الانتقالية "الديناميكية: لم يول الباحث السياسي "دانكورت روستو" ذات الأهمية التي أولها أنصار النظرية التحديثية للتنمية الاجتماعية والاقتصادية كشرط أساسي لتحقيق الديمقراطية، فالتنمية الاجتماعية وإن كانت تساهم في الحفاظ على استمرارية الديمقراطية وازدهارها، ولكن الأهم من البحث في كيفية تحقيق الديمقراطية أولاً يضع "روستو" في أطروحته وصفة تتكون من أربع مراحل أساسية لتحقيق التحول الديمقراطي وهي:- المرحلة الأولى:-

مرحلة تعبئة وتحقيق الوحدة الوطنية، ولا يشترط لذلك توافر الاجماع بل يكفي البدء بتشكيل هوية سياسية تشترك فيها الغالبية العظمى من المواطنين.

المرحلة الثانية:- هي مرحلة إعدادية مهمة جداً، وتتميز بالصراع العنيف بين النخب الجديدة التي ترى أنه بات من حقها أخذ مواقع متقدمة ومؤثرة في المجتمع السياسي، وبين النخب التقليدية المسيطرة والمعنية بالمحافظة على الوضع القائم وعنف الصراع في هذه المرحلة قد يؤدي إلى إجهاد الديمقراطية قبل أن تولد بل وقد تحطم استقرار المرحلة وتمزق الوحدة الوطنية، والاحتمال الثالث هو أن يحسم الصراع لصالح إحدى الجماعات المتصارعة مقابل القضاء على قوى المعارضة وسدا الطريق أمام التحول الديمقراطي(16).

المرحلة الثالثة:- وهي مرحلة القرار وهي تعد بداية مرحلة الانتقال، والتحول المبدئي وهي عبارة عن لحظة تاريخية تقرر فيها الاطراف المتنازعة التوصل إلى تسويات، وتبني قواعد ديمقراطية تمنح الجميع حق المشاركة في المجتمع من المجتمع السياسي.

المرحلة الرابعة:- وهي تعد مرحلة التعود وفيها تصبح الأجيال الجديدة من النخب السياسية أكثر تعوداً وقناعة وإيماناً بالقواعد الديمقراطية، ويمكن القول فيها إن الديمقراطية قد ترسخت في المجتمع السياسي على فرض أن أطراف الصراع لم يكن قرارهم ناتجاً عن قناعة ورغبة في تبني القواعد الديمقراطية في مرحلة القرار، فهذه النظرية تؤمن بأن المسار التاريخي للديمقراطية يتحدد من خلال مبادرات وأفعال النخب، وليس عن طريق بني القوة المتغيرة.

وقد تعرضت النظرية كغيرها للنقد من جانبين:-

الاول:- يتعلق بالجانب النخبوي لعملية التحول، بمعنى أنها عملية من أعلى، فهي تركز على النخب وتهميش الجانب المجتمعي في عملية التحول الديمقراطي.

الثاني:- يتعلق بالتوجه الإرادي بمعنى أن عملية التحول هي نتاج اختيار للاعبين الاساسيين مع تهميش للبنى والقيود التي تفرضها على اللاعبين(17).

رابعا :-أليات التحول الديمقراطي: لاشك أن أي عملية تغييرية تحويلية واعية بغض النظر عما ترتبط به تتطلب إعداداً مسبقاً، يستدعى شروط ووسائط واليات وقيم، وبهذا فقد بات أي تحول ديمقراطي مرهون بوجود شروط مدعمة له اعتبرت أساسية لأي مشروع تغييرى، هذه المؤسسات أو الاليات والشروط تختلف في أهميتها حسب الظروف المتاحة لكل بلد ومن هذه الاليات والمؤسسات والشروط ما يلي:-

1. الأحزاب السياسية:- بالإضافة إلى دورها الرئيسي في التنشئة السياسية وعمليات التنقيف والتتوير السياسي، تهدف الأحزاب إلى تنشئة الكوادر السياسية والتجنيد السياسي وإحداث حراك سياسي، يساهم في التحول الديمقراطي حيث أضحت تشكل الاحزاب

عنصر جوهرياً في النظم السياسية المعاصرة، وتتعاظم فرص التحول الديمقراطي الصاعد في الأنظمة التي تلعب فيها الأحزاب السياسية دوراً حيوياً ومسيطرأ، حيث يعد الحزب معملاً لتخليق النخب الواعية سياسياً والصالحة إدارياً لممارسة السياسية.

فالحزب تعبير عن جماعة ذات استقلال ذاتي تقوم بدفع مرشحيها للمعترك الانتخابي من أجل السعي للحصول على المناصب الحكومية والتأثير على الخطط الحكومية، ويرى "الابالو مبار" و "وينز" أنه "تنظيم دائم يشتمل على المستويين القومي والمحلي يسعى للحصول على التأييد والمساندة الشعبية، بغرض الوصول إلى السلطة وممارستها والقيام بعملية وصنع القرار"، وتتسم الأحزاب بالاستمرارية والديمومة في نشاطها الانتخابي بخلاف جماعات المصالح والتي وإن كان لها نشاط انتخابي وتقدم مرشحين للمنافسة الانتخابية.

ويستند الحزب السياسي في إحداث الحراك السياسي والتحول الديمقراطي إلى أليات عديدة تتمثل في القيام بعمليات التجنيد السياسي والتعليم السياسي والتنشئة السياسية، ويقصد بالتجنيد السياسي عملية إسناد الأدوار السياسية إلى الأفراد سواء سعوا إلى ذلك بأنفسهم أو وجههم آخرون إلى نقلد مناصب وتتمثل فوائد الحزب السياسي وتداعياته على الحياة السياسية في الحد من الاحتكاك السياسي، حيث إن انفتاح البناء السياسي وإمكانية المنافسة على السلطة وتداول المناصب السياسية والتجديد فيها من أبرز سمات النظم السياسية المعاصرة(18).

2. المجتمع المدني:- لقي المجتمع المدني روجاً كبير بوصفه عاملاً مهماً له علاقة بالتحول الديمقراطي، ومن النظريات التي راجت مند مطلع السبعينات تلك التي تطرح أن الديمقراطية تزدهر في الدول التي تتمتع بمجتمع مدني فاعل، الا أن هناك إشكالية تواجه هذه المسألة وهي ذات شقين "الاول دو طبيعة تعريفية" بمعنى أن الديمقراطية تعرف

بوجود مجتمع مدني فاعل، أو أن المجتمع المدني يعرف بكونه جزءاً من الديمقراطية، "الثاني البعد الايديولوجي" الذي بات يصبغ مصطلح "المجتمع المدني".

فالمجتمع المدني هو أداة مهمة لحدوث التحول الديمقراطي، فهو الذي يدفع الدولة نحو الديمقراطية، ومن أهم وظائف المجتمع المدني كأداة لتحقيق الديمقراطية مراقبة السلطة، وتشجيع المشاركة السياسية والعمل على تنمية المزايا الديمقراطية، كالتسامح والاعتدال واحترام وجهات النظر المخالفة، إلى جانب خلق قنوات غير رسمية للمجاهرة بالمصالح وتمثيلها، أضف إلى ذلك أن المجتمع المدني يعمل على توليد سلسلة من المصالح التي تتقاطع مع النزاع السياسي، وبالتالي تعمل على التخفيف من وطأته، ومن جهة أخرى فإن المجتمع المدني يعمل على إعداد القادة السياسيين، ويراقب عملية الديمقراطية كما أنه يسهم في نشر المعلومات والأفكار الجديدة التي من الممكن أن تعمل على التنمية الاقتصادية والعمل على احترام المواطن ويتضح مما سبق إن عملية التحول الديمقراطي وتوفير شروط نجاحها واستمرار عملها هو نابع من طبيعة المجتمع المدني، وبهذا يصبح المجتمع المدني هو أساس البنية التحتية لتحقيق الديمقراطية، وعلى ذلك لا يمكن تحقيق الديمقراطية بدون وجود مؤسسات المجتمع المدني، وتكمن أهمية المجتمع المدني من خلال تعزيز مبدأ المشاركة الطوعية، وتعزيز مبدأ المشاركة الجماعية، والقدرة على التعبير عن الراي والراي الاخر، والمشاركة السياسية في اتخاذ القرارات والدورية في الانتخابات وتحقيق نزاهتها، كما ويجسد المجتمع المدني دوراً في بناء الديمقراطية على المستوى الثقافي والتعبيري(19).

3- المؤسسات التعليمية :- حيث تعد مؤسسات التعليم وخصوصاً التعليم الجامعي والنخبة الفكرية الموجودة في هذه المؤسسات المحرك الرئيسي لأي عملية سياسية في أي مجتمع وذلك مما تقدمه من إسهامات وتطورات حول مشكلات المجتمع وإدارته وهي تقدم قناة للحراك السياسي والتحول الديمقراطي من خلال إعادة تشكيل المؤسسات السياسية،

لما تحمله من مسئولية تطوير المجتمع وتثويره وزيادة نسبة الوعي في المجتمع والتشجيع على المشاركة السياسية الحقيقية الواعية والتي تهدف إلى تطوير المجتمع(20).

4. الانتخابات:- تعد الانتخابات وحرية المشاركة فيها ترشيحاً وتصويتاً هي إحدى الحقوق الأساسية والسياسية المكفولة دستورياً لجميع المواطنين في أي دولة ديمقراطية وهي أولى ركائز النظام الديمقراطي وأهمها وهي كذلك من أهم أليات التحول الديمقراطي حيث تقوم على تطبيق نظام تداول السلطة من ناحية، ونظام التعددية من ناحية أخرى، لذلك فكل سلطة يجب أن تركز على الانتخابات، ويجب أن تتجدد الانتخابات بفوارق زمنية منتظمة ومقاربة، كي لا يشعر الحكام بأنهم مستقلون عن المحكومين وكي يبقى تمثيلهم لهم مستمر، وتعمل على إصباح الشرعية على الحكام ولمحاسبتهم شعبياً إذا قصرُوا أو ارتكبوا الأخطاء أثناء توليهم الحكم والانتخابات كآلية للتحول الديمقراطي تتمثل في عنصرين هما:-

أ- فرز ممثلي الشعب وإعطائهم الشرعية للحكم.

ب- محاسبة المقصرين منهم عن فترة حكم سابقة.

ولضمان النهج الديمقراطي تجري الانتخابات ضمن التعددية وبخاصة التعددية السياسية (21).

5. الآليات الدستورية:-

وهي تعني الترتيبات الدستورية؛ لتحقيق عملية التحول الديمقراطي وضمان الحريات والفصل بين السلطات الثلاث التي تشكل النظام السياسي كله وهي السلطة التنفيذية والسلطة التشريعية والسلطة القضائية وللد من هيمنة أي سلطة على أخرى يتم الفصل بين السلطات في نصوص دستورية واضحة وذلك لضمان استمرارية الديمقراطية، حيث أن كل سلطة تحد من تفرد السلطة الأخرى، فمن شأن مبدأ الفصل بين السلطات رقابة كل جهاز حكومي من قبل الجهاز الأخر، بحيث أن السلطة تحد من السلطة(22).

6. آليات الثقافة السياسية: يعرف "لوسيان باي" الثقافة السياسية على أنها "مجموع القيم الأصلية والمشاعر والمعرفة التي تعطي شكل وجوه العملية السياسية" فمجموع الافكار والآراء والمعتقدات والمشاعر للأفراد هي مكونات ثقافتهم السياسية، وقد ميز "الموند، وفيربا" بين ثلاثة أنواع من الثقافة السياسية وهي:-

الثقافة المحدودة تكون الحكومة مركزية وأفراد الشعب لا يعينهم ما تتخذه من سياسات، وثقافة تابعة يشعر الافراد أنهم رعايا وتابعون للحكومة وثقافة مشاركة، يؤثر من خلالها المواطنون في سياسات الحكومة ويتأثرون بها، تزدهر هذه الثقافة في ظل الأنظمة الديمقراطية وتفترض استراتيجية التحول الديمقراطي ثقافة سياسية تنظر لعملية الصراع السياسي بوصفها "منافسة اجتماعية سلمية" وقاعدتها التوافق والتراضي، من هذا المنطلق فإن الثقافة السياسية تعيد تعريف السياسية بعيداً عن المماهة بينها وبين الحرب ويعيدا كذلك عن التفرد والاحتكار، فإمكانية حدوث تحول ديمقراطي تستدعي وجود ثقافة سياسية "تحل النزعة النسبية في وعي السياسية والمجال السياسي محل النزعة الشمولية التوتاليتارية" ويحل التوافق والتراضي والتعاقد والتنازل المتبادل محل قواعد التسلط والاحتكار والالغاء فتفتح المجال السياسي بذلك أمام المجمع وتفتح معه السلطة أمام إرادة التداول السلمي عليها(23).

7. المشاركة السياسية:- تعني حق المواطن في أن يؤدي دوراً معيناً في عملية صنع القرارات السياسية وفي أضيق معانيها تعني حق ذلك المواطن في أن يراقب هذه القرارات بالتقويم والضبط عقب صدورها من جانب الحاكم، والمشاركة تتم من خلال الانتخابات التي تتيح الفرصة لمثل هذا التداول، فالانتخابات هي وسيلة لتحقيق تداول السلطة كنظام فرعي من النظم المكونة للديمقراطية، وهذه الانتخابات هي التي تفرز حكم الشعب للمشاركة السياسية الفاعلة "إن حكم الشعب يتم في مستوياته المختلفة أساساً على النيابة، أي اختيار المواطنون لممثلين ينوبون عنهم لفترة زمنية محددة في الادارة والحكم والاختيار

في هذا المقام السياسي بطبيعته يفترض تعدد الفرص أمام من يمارس الاختيار أي تعدد الاتجاهات السياسية التي يختار منها" (24).

والمشاركة السياسية تفترض وجود أحزاب سياسية تخوض التجربة الديمقراطية التنافسية لاستلام الحكم، أو أن تكون المعارضة إذا لم تكن ضمن قوى الاغلبية التي تستلم زمام الحكم، فالديمقراطية أولاً وقبل كل شيء تعني إمكان تداول السلطة شرعياً وسلمياً، ولا معنى للتعددية من دون توافر آليات تسيير شؤون المجتمع، بحيث يحظى الاتجاه الذي يحوز الاغلبية بالسلطة لتنفيذ برنامج اكتساب التأييد والمواقف العامة وبالتالي توفير آليات التداول السلمي للسلطة بلا انقلابات أو تصفيات (25).

8. الآليات الاقتصادية والاجتماعية:-

إن قضية العلاقة بين التنمية الاقتصادية والتحول الديمقراطي من أهم القضايا والاشكالات المطروحة، فقد أدى اختلاف المنظرين وتضارب طروحاتهم الفكرية وتفاوتها حول شكل وماهية هذه العلاقة إلى حدوث شرخ كان وراء بروز تيارات فكرية عدة كل منها يدفع بأسبقية متغير عن آخر، لكن وبعيداً عن هذا الجدل المرتبط بالأسبقية والذي سيؤدي بنا إن غصنا في أبعاده وتعمقنا في جوانبه لا محالة إلى التغلغل في مآهات يستعصي معها الخروج بخلاصة مجدية وربما نفتقد معها حتى تقديم الملائم، ويعتبر البعض أن السبيل للديمقراطية مرتبط بقوة دفع هائلة تجد أساسها في النمو الاقتصادي، مستندين إلى أن البلدان الأكثر تقدماً في العالم هي بلدان ديمقراطية، فما هو "سيمون مارتن ليبست" ينطلق من هذا المضمار معتبراً أن الطريق إلى الديمقراطية يمر عبر التنمية الاقتصادية وفي صدد إثباته لتصوره هذا قام بتصنيف الانظمة من بين ديمقراطيات مستقرة، وديمقراطيات غير مستقرة واستبداديات مستقرة واستبداديات غير مستقرة وكانت النتيجة دائماً لصالح البلدان الديمقراطية التي تتمتع بأعلى درجة من التصنيع والتعليم وهي مؤشرات مهمة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية في أي مجتمع ويرى

أنه من شأن التنمية الاقتصادية أن تخفف من حدة التفاعلات السياسية، مما يساهم في خلق جو من الاستقرار السياسي والمشاركة وتوفير مجال خصب لازدهار ونمو فاعلية المجتمع، الأمر الذي يدفع بعجلة الانتقال قدما نحو الديمقراطية ولأجل ذلك دعا إلى ضرورة الاستعداد الاقتصادي للتحول الديمقراطي.

كما أكد "هنتغتون" على العلاقة بين النمو الاقتصادي والتحول الديمقراطي وتوصل إلى نتيجة في عموميتها أن النقلة الديمقراطية حسب هذا التطور توحى بنوع من العلاقة التلازمية بين ما هو اقتصادي "كمتغير مستقل" وبين ما هو ديمقراطي "كمتغير تابع" ويبقى من غير الممكن تصور تحول ديمقراطي في الدول الفقيرة المتخلفة والتي تعرف هشاشة بنيتها الاقتصادية(26).

أما الآليات الاجتماعية فهي كذلك آلية مهمة لعملية التحول الديمقراطي حيث أن التحول يحدث في ظل المجتمعات التي تؤمن بالتوفيق بين المصالح الاجتماعية وتحقيق التوزيع العادل للثروة ففي ظل المجتمعات التي يكتسح فيها الفقر فئات عريضة من الشعب، لاشك أنه سيحول دون رحابة هامش التفكير في قضايا الحرية، ومن هنا يبدو أنه كلما تحسنت البيئة الاجتماعية وتخلصت من مختلف الاختلالات والتناقضات كلما كانت أكثر فاعلية واهتماما بالشأن السياسي وكانت معها أكثر دفعا وتسريعا لوثيرة الانتقال والتحول وكذلك ضرورة التوافق الاجتماعي حتى تصير عملية التحول ممكنة(27).

خامسا :- تحديات التحول الديمقراطي

1. تحدي البناء المؤسسي: يدرك الكثير من المفكرين أن الضعف في البناء المؤسسي هو الذي يحول دون استمرار الدولة حيث يؤدي إلى الانفجار من الداخل وأن سبب هذا الخلل البنيوي يعود إلى ثلاث تفسيرات وهي كالآتي:-

أ- التفسير الاول هو المدخل النفسي السيكلوجي حيث يتصل بالنظرة إلى أن إخفاق العمل الجماعي إنما يستند إلى بعض الاشخاص الذين يعانون فقراً في الاحساس بالأمان الذاتي والرغبة الشديدة من في الزعامة والسيطرة ومن ثم يعتبروا تبؤهم مواقع السلطة وإحكام قبضتهم على مفاتيح تلك التنظيمات إنما يشبع غريزة تحقيق الدات لديهم.

ب- أما المدخل الثاني فهو مدخل اجتماعي سوسيلوجي والذي يدفع بأن تفكك تنظيماتنا الاجتماعية والسياسية والمرتبب بظاهرة التفكك الاجتماعي وقد ذهب "إميل دور كايم" إلى القول بوجود نوعين من التماسك بين البشر في المجتمع أو الجماعة هما التماسك التلقائي القائم على علاقات غير اختبارية مثل تماسك القبيلة وتسود في المجتمعات الأقل تطوراً، والثاني هو التماسك المؤسسي المستند إلى المصلحة المشتركة وهو ناتج عن تطور المجتمع مثل الاحزاب.

ج- أما المدخل الثالث فهو المدخل الايديولوجي والذي يعني غياب الأطر المؤسسية لتحديد من يحصل على ماذا ومتي وكيف ولماذا مما ينتهي بالأمر إلى مغالبة ميكافيلية بلا ضوابط مسبقة وإنما اقتلاع شخص لآخر أو شلة لأخرى لعدم الاستناد إلى قواعد مؤسسية حاكمة للمجتمع تضبط الاختلاف والتعارض في إطار من القانون والبحث عن الحلول الوسط حتي لا تتفجر التنظيمات(28).

2. التحديات الاجتماعية:- لاشك أن عملية الاخضاع للاستبداد تستلزم بنى اجتماعية قابلة للخضوع قبل أي شيء آخر فالديمقراطية لم تعد حكراً على أمة أو ثقافة أو مجتمع بعينه ولكنها الصيغة الوحيدة القادرة على أن تضع الإنسان في رتبة المواطن وتحوله إلى إنسان سياسي أي مواطن حر ومسئول يحمل هوية سياسية تجمعهم مع غيره من المواطنين، وحينما فقدت أو غابت الديمقراطية غاب شعور الانسان بإنسانيته السياسية ولم يجد أمامه سبيلا سوى العودة إلى قيم التعصب الديني أو الطائفي أو القبلي أو العائلي بحيث تتحول هذه القيم إلى أساس وسبب النزاع والصراع، وإن هذه القوى البشرية لا تجد

لها متسعاً لتحقيق دواتها مما يحولها لفريسة سهلة أم حمى الاستهلاك دون الانتاج ولاستغلال النخب الحاكمة للمساهمة في ترشيح الاستبداد وقد تجد بعض حركات التمرد في هذه القوة الضخمة ضالتها بحجة تخليصها من حالة الضياع والخواء النفسي والقيمي الذي تعانيه، تتطلب عملية التغيير أي تغيير قوى تتصف بالإدراك قبل الفعل، ولا تناط مهمة التحول بالنخب فقط دون العامة أو يساق العامة سوقاً دون إدراك للمهمة التي يضطلعون لها، وبعد عهود من الاستبداد لا بد أن تفقد الأجيال الجديدة لعملية الإدراك اللازمة لعملية التحول الديمقراطي مما يشكل عائقاً أم يشكل بني فاعلية تكون قادرة على إحداث عملية التحول الديمقراطي(29).

3. تحدي الاندماج الوطني: تعد إشكالية التميز السلبي بمختلف تجلياتها الفئوية والعريقة والثقافية والاجتماعية أحد أهم مهددات بناء نموذج مجتمعي ليس فقط قادر على إحداث التحول، وإنما المحافظة عليه أيضاً، ومن ثم تستمر هذه الإشكالية كعائق أمام أية محاولة للتحول نحو الديمقراطية.

4. تحدي الثقافة السياسية:- وهي المعيار الأهم في إحداث أي تغيير قد يقضي إلى تحول ديمقراطي فالثقافة السائدة بين أفراد أي مجتمع تؤسس على مجموعة من القيم والمفاهيم والمعارف التي أكتسبها مواطنوه عبر ميراث تاريخي وجغرافي وتركيب اجتماعي متمايز ومن ثم نتصف تلك الثقافة بالخصوصية اللازمة لإخفاء طابعها القيمي على المجتمع، ولما كانت الثقافة السياسية في هذا الصدد فرع من أصل فإنها تبنى على مجموعة المعارف والقيم والآراء والتطورات والتوجهات السائدة والمشكلة لوعي المواطن نحو شؤون السياسة والحكم والدولة والقيم المحيطة بها من مواطنه، وولاء وشرعية ومشاركة ويعد مدخل الإحساس بالهوية أحد مكونات منظومة الثقافة السياسية حيث أن شعور الأفراد بالانتماء للنظام السياسي يفضي مزيد من الشرعية على استمراريته، فضلاً عما يوفره من مناخ ملائم لمساندة المواطن له "النظام السياسي" في أزماته وكذا تقبله

للتزامات الملقاة على عاتقه جراء الانتظام تحت لوائه ومن ثم تتنامى إشكالية الهوية والانتماء كمدخل رئيس للثقافة السياسية ليس عبر تعدد الولاءات التحتية في الدولة كالقبيلة والعائلة والجهة والفئة والعرق وغيرها وإنما في عدم استيعاب الثقافة منظومة الثقافة السياسية التي إن استندت إلى التعدد في مراكز الولاء، فإنه لا يخل بأولوية الولاء الرضى على ما دونه ومن ثم تعاني بعض الدول من تلك الاشكالية في بناء نموذج إصلاحي لعدم القدرة على استيعاب ولاء المواطن(30).

5. التحدي الاقتصادي:- إن الدول التي استطاعت اجتياز مرحلة الاستقرار الاقتصادي التي تمكنت من بناء أليات ومؤسسات تتيح أكبر قدر ممكن من الحراك السياسي والاجتماعي وتداول القوة الاقتصادية والسياسية بين أفراد المجتمع والاعتماد على اقتصاد ضعيف محدود الموارد غالباً ما ينتج عنه تضخم القطاع العام الذي لا ينتج مما يزيد التنافس على الموارد مما يؤثر في تصدع البنيان الاجتماعي والسياسي ولا يمكن لمثل هذه البيئة أن تفرز نظاماً ديمقراطياً، لأن حدوث تفاوت اقتصادي كبير بين أفراد المجتمع، وأن هذا التفاوت أثر على عملية التحول الديمقراطي، بسبب وجود تفاوت اقتصادي أدى لانشغال المواطن في البحث عن متطلبات الحياة وإهمال المشاركة السياسية من أجل تنمية المجتمع(31).

الخاتمة

توصل البحث إلى أن عملية التحول الديمقراطي عملية معقدة وطويلة وبحاجة إلى فتره زمنية طويلة لكي يحدث، ومرد ذلك أن عملية التحول الديمقراطي بحاجة إلى جدر وأرضية خصبة للنهوض فهناك استحقاقات لا بد من دفعها، ومن هنا نكون قد اقتربنا من الحديث عن وجود تنشئة ديمقراطية تدفع لحدوث ثقافة ديمقراطية تصب في النهاية لإحداث تحول ديمقراطي، وإن الغاية الكبرى التي ترجي من عملية التحول الديمقراطي

هي الوصول إلى ترسيخ ذلك التحول والعمل على تنشئته و إن لم يحدث ذلك فلا نكون بصدد الحديث عن ديمقراطية ولا تحول ديمقراطي..

إلا أن التقدم التكنولوجي الهائل وخصوصا في مجال الاتصالات وهو ما يعني بأن العالم قرية صغيرة ، وهذا هو الجانب الايجابي الذي يدعو الي النقل بقرب التغيير وامكانيته ، ومهما بدلت بعض الحكومات الاستبدادية فلن تستطيع عزل شعوبها عما يجري في الخارج الذي يشهد تغيرات كبيرة .

فالوعي هنا يساعد علي عملية التغيير والنهضة الحضارية من خلال معرفة الافراد بالظروف والتطورات ودور التكنولوجيا الحديثة في مجال التزويد بالمعلومات ، كل هذا يكون بمثابة سبيل الي الوعي السياسي والتنشئة السياسية السليمة ، بإتجاه تطور المجتمع ونهضته وتحوله ديمقراطيا ، كما يعمل الوعي علي تحليل الاحداث بصورة موضوعية وعلمية بعيدة عن العواطف وتأثيرات البيئة والمبالغة في رصد عوامل التخلف ، وكذلك رصد الإيجابيات ، حيث يساعد الوعي السياسي للمحيط الذي يعيش فيه الإنسان علي تحليل الأمور السياسية من زوايا متعددة .

التوصيات

- 1- ضرورة ترسيخ ثقافة المشاركة السياسية و التطوع والعمل المدني ضمن المؤسسات المنظمات المدنية وقيم المشاركة والتنظيم
- 2:توسيع قاعدة المهتمين بالمصلحة العامة والحد من النزعة الفردية وتحقيق الإدماج المجتمعي
- 3-إزالة العقبات التي تعترض المسار الطبيعي لتطور ونمو مؤسسات المجتمع المدني والاحزاب السياسية واحترام الحق في حرية تكوين الجمعيات والمنظمات المدنية
- 4.-ضرورة الاهتمام بعملية التنمية بمختلف مجالاتها للوصول لعميلة تحول ديمقراطي مستقرة .

5- الاهتمام بعملية التنشئة السياسية التي تهدف الي تحول ديمقراطي حقيقي ودعم المؤسسات التي تقوم بهذه العملية.

6- العمل علي بناء مؤسسات سياسية تتميز بالشفافية والنزاهة والكفاءة والفاعلية والتعددية السياسية وعدم الاقصاء .

8- نشر قيم المواطنة وعدم التمييز بين المواطنين علي اسس عرقية او دينية او طائفية او غيرها والعمل علي تحقيق الاندماج الوطني.

المصادر والمراجع

1. نفيسة زريق، عملية الترسخ الديمقراطي في الجزائر وإشكالية النظام الدولاتي المشاكل والافاق رسالة ماجستير في العلوم السياسية غير منشورة، جامعة الحاج لخضر الجزائر 2009، ص18

2. السيد علي السيد، التحول الديمقراطي في موريتانيا، رسالة ماجستير غير منشورة في العلوم السياسية، جامعة القاهرة 2011، ص10

3. أسماء بركيطة وآخرون، نظرية الانتقال الديمقراطي مجلة الدراسات والابحاث السياسية والدستورية العدد1، 2011 pol.co.cc/ar.www.s

4. حافظ علي أبو عياش، دور الصحافة المحلية المطبوعة في التحول الديمقراطي في الضفة العربية (جريدة القدس نموذجا: (2007.2004)، رسالة ماجستير غير منشورة في

العلوم السياسية، جامعة النجاح فلسطين 2008، ص36

5. عزيزة مؤمن، إشكالية التنمية السياسية في الدولة النامية، أطروحة دكتوراه في القانون العام، جامعة الحسن الثاني الدار البيضاء 2002، ص32

6. ليث زيدان، أثر خطة خارطة الطريق على عملية التحول الديمقراطي في فلسطين، موقع الحوار المتمرّن

<http://www.ahewaw.org/debat/show.art.asp?aid=99956>

7. عبدالعزيز النويضي، شروط الانتقال الديمقراطي بالمغرب، مجلة دفاتر الشمال، العدد 2، 1997، ص 33
8. عمر مرزوقي، حرية الرأي والتعبير في الجزائر في ظل التحول الديمقراطي 1989.2004، رسالة ماجستير غير منشورة في العلوم السياسية، جامعة الجزائر 2005، ص 64
9. محمد زاهي المغيربي، الديمقراطية والاصلاح السياسي، <http://www.arabrenewal.com/index.php?rd=AI@AIO=9960>
10. فوز نايف ريحان، العولمة وأثرها على عملية الاصلاح الديمقراطي في الوطن العربي منذ 1990.2006، رسالة ماجستير في العلوم السياسية، جامعة النجاح فلسطين 2007، ص 94
- 11- فؤاد إبراهيم، الاصلاح وجدل الداخل والخارج، مما بغه مبطنة أم رغبة مؤجلة، <http://www.gulfissues.net/gulfarticles/article61.htm>
- 12- محمد زاهي المغيربي، مصدر سابق،
- 13- جوني عاصي، نظريات الانتقال إلى الديمقراطية، ط1، (رام الله المؤسسة الفلسطينية لدراسة الديمقراطية 286)، ص ص 34.
- 14- فوز نايف ريحان، مصدر سابق، ص 87 ص 88
- 15- حافظ علي أبو عياش، مصدر سابق، ص 102
- 16- فوز نايف ريحان، مصدر سابق، ص 85 ص 86
- 17- عاصي جوني، مصدر سابق، ص 57
18. محمد محمود ربيع، إسماعيل ضيري مقلد، موسوعة العلوم السياسية، ط1، (الكويت جامعة الكويت 1994)، ص 470

19. باسل أحمد عامر، أزمة المشاركة السياسية وتأثيرها على عملية التحول الديمقراطي في فلسطين (2013.1993)، رسالة ماجستير في العلوم السياسية جامعة النجاح فلسطين 2014، ص 54.53
20. عثمان حسين هندي، الحراك السياسي مفاهيم وقضايا، ط1، (القاهرة دار قرحة للنشر 2005)، ص 65
- 21- باسل أحمد عامر، مصدر سابق، ص 59 ص 60
- 22- المصدر نفسه، ص 60
- 23- فوز نايف ريجان، مصدر سابق، ص 89 ص 90
24. سعد الدين إبراهيم، أزمة الديمقراطية في الوطن العربي، ط1، (بيروت مركز دراسات الوحدة العربية 1987)، ص 467
25. ثناء عبد الله، أليات التغيير الديمقراطي في الوطن العربي، ط1، (بيروت مركز دراسات الوحدة العربية 1987)، ص 33
- 26- أسماء بركيطه، مصدر سابق، ص
27. عبد الإله للفيشير، في الديمقراطية والمجتمع المدني، ط1، (2001 . المغرب)، ص 136
28. معتز بالله عبدالفتاح، لماذا تنفجر تنظيماتنا من الداخل، جريدة الشروق، 2010/3/26
29. برهان غليون، معوقات الديمقراطية في الوطن العربي، [/http://www.aljazeera.net/exeres](http://www.aljazeera.net/exeres)
- 30- السيد علي أبو قرحة، مصدر سابق، ص 118 ص 119
- 31- باسل أحمد عامر، مصدر سابق، ص 117 ص 118

اضطراب الرواية وأثره على استنباط الأحكام

د. النفاتي موسى سالم الشوشان

المقدمة

الحمد لله الذي أكرم هذه الأمة بشريعة سمحاء، وحفظها من التبديل والتحريف، والصلاة والسلام على الصادق الأمين، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم إلى يوم الدين، أما بعد: فإنه لما كان رواية الأحاديث ليسوا في درجة واحدة فمنهم من تم ضبطه ومنهم من خف، وقد يعتري كل منهما الوهم؛ ترتب على ذلك احتمال وقوع الاضطراب، وهو: خلل يترتب عليه عدم قبول الرواية؛ فتتزل عن مستوى الاحتجاج بها، ولربما عولجت هذه العلة بالترجيح ونحوه مما هو مختلف في اعتباره بين النقاد، فينشأ بذلك سبب من أسباب الخلاف الفقهي؛ ولأهمية هذا الموضوع شرعت مستعينا بالله في كتابة هذا البحث؛ لما له من الأهمية، منها: توجيه الخلاف الفقهي، ومعرفة الراجح من المرجوح، وقد قسمته إلى المباحث الآتية: تعريف الاضطراب.. حكم الحديث المضطرب.. الفرق بين الاضطراب والاختلاط.. ما يشترط في الحكم على الحديث بالاضطراب.. أنواع الاضطراب.

التردد والشك من الراوي في بعض ألفاظ المتن.. الترجيح عند الاضطراب.. الخاتمة.

المبحث الأول تعريف الاضطراب

تعريف الاضطراب:

الاضطراب في اللغة الاختلاف، يقال: اضطرب الحبل بين القوم إذا اختلفت كلمتهم. واضطرب أمره: اختلف⁽¹⁾ واضطرب الشيء أي: صار يضرب بعضه بعضًا ولا يكون

(1) ينظر: لسان العرب مادة: ضرب 544/1 لمحمد بن مكرم بن علي بن منظور المتوفى سنة: 711هـ، صححه: أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت؛ الطبعة الثالثة 1999م..

الإضطراب الإمكروها⁽¹⁾ واصطلاحاً: «هو الذي تَخْتَلَفُ الروايةُ فيه، فَيَرَوِيهِ بَعْضُهُمْ عَلَى وَجْهِ، وَبَعْضُهُمْ عَلَى وَجْهِ آخَرَ مَخَالَفٍ لَهُ»⁽²⁾

ويمكن القول بأنه: هو الحديث الذي اختلفت الرواية في سنده أو منته على وجه لا يمكن فيه الجمع ولا الترجيح،⁽³⁾ وهكذا إن اضطرب فيه راويان فأكثر، فرواه كلُّ واحدٍ على وجهٍ مخالفٍ للآخر.

. المبحث الثاني: حكم الحديث المضطرب: هو من الضعيف؛ لأن اختلاف الرواية تشعر بعدم تمام الضبط،⁽⁴⁾ إلا أنه من الضعف الخفيف الذي يجبر ضعفه، وهو من العلل الخفية التي تدرك بتتبع الطرق وعرض بعضها على بعض.

. المبحث الثالث: الفرق بين الاضطراب والاختلاط:

الاضطراب ما تقدم تعريفه، وهو: ضَعْفٌ في ضبط الراوي في كل مَرَوِيَّاتِهِ أو بعضها، ويُعَبَّرُ عنه بالخلط، أما الاختِلاط فهو: فساد في عقل الراوي، كأن يُصاب بِالْخَرْفِ لِكِبَرِ سِنِّ، أو حُدُوثِ مُصَاب، قال ابن رجب⁽⁵⁾: «والاختلاط آفة عقلية تورث فسادا في الإدراك»⁽¹⁾.

⁽¹⁾ ينظر: الفروق اللغوية للعسكري 147 لأبي هلال العسكري، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت؛ الطبعة الخامسة 1401 هـ. 1981م.

⁽²⁾ التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح 192: زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي المتوفى سنة: 806 هـ، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر العربي

⁽³⁾ شرح التبصرة والتذكرة ألفية العراقي 290/1 لزين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي المتوفى سنة: 806 هـ، تحقيق: عبد اللطيف الهميم وماهر ياسين، دار الكتب العلمية بيروت الطبعة: 2002م، والتقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح 94/1.

⁽⁴⁾ ينظر: الشذا الفياح من علوم ابن الصلاح 212/1 لإبراهيم بن موسى بن أبوب برهان الدين أبو إسحاق الإيناسي المتوفى سنة: 802 هـ، تحقيق: صلاح فتحي هلال، مكتبة الرشد؛ الطبعة الأولى 1418 هـ. 1998م.

⁽⁵⁾ عبد الرحمن بن أحمد بن رجب السلمي البغدادي ثم الدمشقي، أبو الفرج، زين الدينحافظ للحديث، ولد في بغداد ونشأ وتوفي في دمشق. من كتبه: شرح جامع الترمذي، وجامع العلوم والحكم، والقواعد الفقهية، وغيرها من المؤلفات. ينظر: معجم المؤلفين 118 /5 لعمر بن رضا بن محمد كحالة الدمشقي المتوفى سنة: 1408 هـ، مكتبة المثنى، بيروت، والأعلام للزركلي 3 /295 خبير

. ولما كان الخطأ والنسيان لم يسلم منه إنسان لم تكن اختلاف الرواية عند النقاد دائماً تنتج حكم الاضطراب في حق الرجل الواحد وإنما قد تنتج صفة أقبح من ذلك أو أخف، وذلك بحسب الراوي فإما أن يكون متهماً بالكذب فينسب ما خالف فيه إلى الكذب، وإما أن يكون سيء الحفظ، أو من عامة الثقافات فيحكم على قوله بالاضطراب، وإما أن يكون من كبار الحفاظ فيحتمل منه ويحمل كل وجه من وجوه الرواية على أنه من المحفوظ، وإن تعذر قبوله اعتذر له بالوهم، ومنهم: الزهري،⁽²⁾ وشعبة⁽³⁾، ومالك، قال ابن رجب: «وقد كان عكرمة⁽⁴⁾ يتهم في رواية الحديث عن رجل ثم يرويه عن آخر حتى ظهر لهم

الدين بن محمد بن محمد بن فارس الزركلي المشقي المتوفى سنة: 1396هـ، دار العلم للملايين؛ الطبعة الخامسة عشر 2002م.

⁽¹⁾ شرح علل الترمذي 425/1 لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب البغدادي المتوفى سنة: 795هـ، تحقيق: عبد الرحيم سعيد، مكتبة المنار الأردن الطبعة الأولى سنة: 1987م.

⁽²⁾ محمد بن مسلم بن شهاب الزهري يكنى أبا بكر، قيل: ما جمع بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما جمع ابن شهاب، وقال مالك بن أنس: ما أدركت فقيها محدثاً غير واحد، قيل: من هو؟ فقال: ابن شهاب الزهري، ولد الزهري في سنة ثمان وخمسين هـ في آخر خلافة معاوية، وهي السنة التي ماتت فيها عائشة. رضي الله عنها. ومات لسبع عشرة خلت من رمضان سنة أربع وعشرين ومئة هو هو ابن خمس وسبعين سنة. ينظر: صفة الصفوة 136/2 لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن محمد الجوزي المتوفى سنة: 597هـ.، الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة 219/2 شمس الدين أبو عبد الله محمد قايمار الذهبي المتوفى سنة: 748هـ، تحقيق: محمد عوامة أحمد ومحمد نمر الخطيب، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة؛ الطبعة الأولى 1413هـ. 1992م..

⁽³⁾ شعبة بن الحجاج بن الأزدي أبو بسطام الواسطي ثم البصري، ثقة من رجال الصحيح، روى عن: خالد الحذاء، وربيع بن عبد الرحمن، ومالك، وروى عنه: ابن المبارك، ويحيى القطان، والنضر بن شميل، وغيرهم، توفي. رحمه الله. سنة: 160هـ. ينظر: رجال صحيح البخاري 1/ 354 المسمى الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والساد الذين أخرج لهم البخاري في جامعه أبو نصر أحمد بن محمد بن الحسين البخاري الكلاباذي المتوفى سنة: 398هـ، تحقيق: عبد الله الليثي، دار المعرفة، بيروت؛ الطبعة الأولى 1987م، وتهذيب التهذيب 338/4 أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى سنة: 852هـ، دار صادر، حيدر آباد الدكن؛ الطبعة الأولى.

⁽⁴⁾ عكرمة مولى ابن عباس، أحد فقهاء مكة، من التابعين الأعلام، أصله من البربر، وهب لابن عباس فاجتهد في تعليمه، ورحل إلى: مصر، وغيرها، وكانت الأمراء تكرمه، وأذن له مولاه بالفتوى، وقيل لسعيد بن جببر: هل تعلم أحداً أعلم منك؟ فقال: عكرمة، مات سنة: خمس ومئة هـ، احتج أحمد، ويحيى، والبخاري، والجمهور بما روى، وأعرض عنه مالك؛ لمذهبه وما كان يرى. ينظر: طبقات الفقهاء 70 لأبي إسحاق الشيرازي الشافعي المتوفى سنة 476هـ، تحقيق: إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت،

سعة علمه وكثرة حديثه»⁽¹⁾ ولعله السبب الذي من أجله تركه البخاري ثم بعد ذلك روى عنه مسلم.

المبحث الرابع: ما يشترط في الحكم على الحديث بالاضطراب ما يلي:

1 . أن تكون الروايات متساوية في القوة بحيث لا تترجح رواية عن أخرى، فإن ترجحت رواية فالحكم للراجح سواء ما قابله شاذ أم منكر⁽²⁾.

ومثال ما اختلفت فيه الرواية مع إمكان الترجيح حديث عائشة رضي الله عنها . قَالَتْ: اشْتَرَيْتُ بَرِيرَةَ، فَأَشْتَرَطَ أَهْلُهَا وَلِأَهْلِهَا، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ . صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَقَالَ: «أَعْقِبِيهَا، فَإِنَّ الْوَلَاءَ لِمَنْ أَعْطَى الْوَرِقَ»، فَأَعْتَقْتُهَا، فَذَاعَهَا النَّبِيُّ . صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَخَيْرَهَا مِنْ زَوْجِهَا، فَقَالَتْ: لَوْ أَعْطَانِي كَذَا وَكَذَا مَا تَبْتُ عِنْدَهُ، فَاخْتَارَتْ نَفْسَهَا⁽³⁾ ثم طرأ الاختلاف في صفة زوجها مغيث هل هو حر أو عبد؟ وهو أمر يضر بمحل استنباط الحكم ويؤثر عليه: هل التخيير لكل زوجة، أو خاص بمن كان زوجها رقيقاً لعدم الكفاءة؟ ولكن سلم الحديث من صفة الاضطراب بالترجيح بين الصفتين، فعن ابن عباس، قال: «ذَلِكَ مُغِيثٌ عَبْدٌ بَنِي فُلَانٍ - يَعْنِي زَوْجَ بَرِيرَةَ - كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ يَتَّبِعُهَا فِي سِكَكِ الْمَدِينَةِ، يَبْكِي عَلَيْهَا»⁽⁴⁾ وفي رواية: فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ⁽⁵⁾: وَكَانَ زَوْجُهَا حُرًّا، قَالَ شُعْبَةُ:

لبنان؛ الطبعة الثانية 1981م، ، والإيتار في معرفة رواة الآثار 137/1 لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى سنة: 852هـ، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى سنة: 852هـ، بيروت.

⁽¹⁾ شرح علل الترمذي 425/1.

⁽²⁾ يكون من الشاذ إن كان المخالف للمحفوظ ثقة، ويكون منكرًا إن كان المخالف ضعيفًا.

⁽³⁾ رواه البخاري كتابا لعنق باب بيع الولاء وهبته/3 147 الجامع الصحيح : أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري المتوفى سنة: 256هـ ، النسخة السلطانية مكتبة الطبري للنشر والتوزيع، القاهرة؛ الطبعة الأولى 1431 هـ . 2010..

⁽⁴⁾ رواه البخاري كتاب الطلاق باب خيار الأمة تحت العبد 48/7.

⁽⁵⁾ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بن القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق القرشي النخعي، أَبُو مُحَمَّدٍ المدني الفقيه، ولد في حياة عائشة زوج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ينظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال 17/ 347 ليوسف بن عبد الرحمن بن يوسف أبو الحجاج المزي المتوفى سنة: 742هـ، تحقيق: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت؛ الطبعة الأولى 1400 هـ . 1980م، والمعين في

ثُمَّ سَأَلْتُهُ، عَنْ زَوْجِهَا، فَقَالَ: لَا أُدْرِي⁽¹⁾ وَرُوي ذلك عن سعيد بن المسيب قال: «وَكَانَ زَوْجُهَا حُرًّا»⁽²⁾ فترجحت رواية ابن عباس أن زوجها كان عبدا فكان ذلك هو علة التخيير لعدم الكفاءة، وسبب الترجيح: موافقتها لرواية عروة بن الزبير والقاسم بن محمد عن عائشة، وهما روايا عنها بغير حجاب، بخلاف الرواية الأخرى فهي قد رويت عن عائشة من وراء حجاب،⁽³⁾ وكذلك الرواية الراجحة كانت على الجزم بخلاف الثانية.

2 . أن لا يمكن التوفيق بين الروایتين فإن لزم الجمع بين النصوص؛ ليزول الاضطراب، ومثله حديث ابنِ عَمَرَ . رضي الله عنه . : أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي لَمَّا تُوفِّيَ، جَاءَ ابْنُهُ إِلَى النَّبِيِّ . صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَعْطِنِي قَمِيصَكَ أَكْفَنَهُ فِيهِ، وَصَلَّ عَلَيْهِ، وَاسْتَعْوِزَ لَهُ، فَأَعْطَاهُ النَّبِيُّ . صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قَمِيصَهُ»⁽⁴⁾ فقد خالف حديث جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ . رضي الله عنه . قَالَ: أَتَى رَسُولَ اللَّهِ . صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي بَعْدَ مَا أُدْخِلَ حُفْرَتَهُ «فَأَمَرَ بِهِ، فَأُخْرِجَ، فَوَضَعَهُ عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَنَفَثَ عَلَيْهِ مِنْ رِيقِهِ، وَاللَّبَسَهُ قَمِيصَهُ»⁽⁵⁾

حديث جابر صرح: بأن الإِطاء والإلباس بعد الدفن، وحديث ابن عمر يخالفه، وجمع بينهما بوجوه، فقيل: بأن المراد في حديث ابن عمر «فأعطاه إياه» أي: وعده به، فسماها

طبقات المحدثين 66 لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن قايماز الذهبي المتوفى سنة: 748هـ، تحقيق: همام عبد الرحيم سعد، دار الفرقان، عمان.

⁽¹⁾ رواه مسلم كتاب العتق باب إنما الولاء لمن أعتق 1144/2 صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسن النيسابوري المتوفى سنة: 261هـ، تحقيق: محمد فواد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

⁽²⁾ مصنف عبد الرزاق 254/7 المصنف: لأبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني المتوفى سنة: 211هـ، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي، الهند؛ الطبعة الثانية 1403هـ.

⁽³⁾ ينظر: العدة في أصول الفقه 1027/3 للقااضي أبي يعلى محمد بن الحسين بن الفراء المتوفى سنة: 458هـ، تحقيق: أحمد بن علي المباركي الطبعة الثانية سنة: 1990م.

⁽⁴⁾ رواه البخاري كتاب الجنائز باب الكفن في القميص الذي يكف أو لا يكف 76/2.

⁽⁵⁾ رواه البخاري كتاب الجنائز باب هل يخرج الميت من القبر 92/2.

عطية مجازاً؛ لتحقيق وقوعها، وقيل: إن حديث جابر أفاد إخراجها من القبر للنفث والقميص تقدم إعطاؤه، ولكنه أخبر بهما معاً.

وقيل: إنه . صلى الله عليه وسلم أعطاه قميصاً قبل الدفن أخبر عنه ابن عمر، ثم زاده قميصاً ثانياً بعد الدفن فأخبر عنه جابر .

3 . أن يكون الاضطراب في أصل المعنى المقصود في استنباط الحكم بأن لا يكون أجنبياً وهي الألفاظ التي لا أثر لها في الحكم المُسْتَنْبَط، ومنه اختلاف الرواة في ثمن جمل جابر قال: كَانَ يَسِيرُ عَلَى جَمَلٍ لَهُ قَدْ أَغْيَا، فَأَرَادَ أَنْ يُسَيِّبَهُ، قَالَ: فَلَحِقَنِي النَّبِيُّ . صلى الله عليه وسلم . فَدَعَا لِي، وَصَرَّيْهُ، فَسَارَ سَيْرًا لَمْ يَسِرْ مِثْلَهُ، قَالَ: «بِعْنِيهِ بِوَقِيَّةٍ»، قُلْتُ: لَا، ثُمَّ قَالَ: «بِعْنِيهِ»، فَبِعْتُهُ بِوَقِيَّةٍ، وَاسْتَنْتَيْتُ عَلَيْهِ حُمْلَانَهُ إِلَى أَهْلِي، فَلَمَّا بَلَغْتُ أَتَيْتُهُ بِالْجَمَلِ، فَتَقَدَّيْتُ ثَمَنَهُ، ثُمَّ رَجَعْتُ، فَأَرْسَلَ فِي أَثْرِي، فَقَالَ: «أَثْرَانِي مَا كَسْتُكَ لِأَخَذَ جَمَلَكَ، خُذْ جَمَلَكَ، وَدِرَاهِمَكَ فَهُوَ لَكَ»⁽¹⁾

ذكر في الحديث أن ثمنه أقية واحدة، وجاءت روايات أخرى مخالفة في قدر ثمنه، منها: «فَبِعْتُهُ مِنْهُ بِخَمْسٍ» ورواية: «بِوَقِيَّتَيْنِ، وَدِرْهَمٍ أَوْ دِرْهَمَيْنِ» ورواية: «قَدْ أَخَذْتُ جَمَلَكَ بِأَرْبَعَةِ دَنَانِيرٍ»⁽²⁾ الحديث يستدل به على صحة البيع مع الشرط وهو أمر لا علاقة له بالثمن قل أو كثر؛ فلا ضرر .

4 . أن يكون مخرج الحديث واحداً، أما إن قصد الراوي أداء الحديث بوجه عدة وقد تلقاها هكذا عند التحمل فلا يُعَدُّ ذلك اضطراباً، وإنما هي طرق مختلفة يقوي بعضها بعضاً، كما قال ابن حزم: «فَهَذَا قُوَّةٌ لِلْحَدِيثِ وَزِيَادَةٌ فِي دَلَائِلِ صِحَّتِهِ»⁽³⁾

⁽¹⁾ رواه مسلم كتاب المساقاة باب بيع البعير واستثناء ركوبه 1221/3 .

⁽²⁾ رواها مسلم كتاب المساقاة باب بيع البعير واستثناء ركوبه 1223/3 .

⁽³⁾ النكت على مقدمة ابن الصلاح للزركشي 224/2 أبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله، المتوفى سنة: 794هـ ، تحقيق:

زين الدين بن محمد بلا فريج، أضواء السلف الرياض، الطبعة الأولى سنة: 1998م .

. المبحث الخامس: أنواع الاضطراب:

للاضطراب أنواع باعتبار محله، فإما أن يكون في الإسناد وهو الأكثر، وإما أن يكون في المتن، وإما أن يكون فيهما معا، وتفصيله كالاتي:

- الاضطراب في الاسناد:

كما تقدم بأنه الأكثر شيوعا؛ لكثرة صورته، فقد يكون الاضطراب على راي واحد، وقد يكون بين جمع من الرواة، ولكل صور وهي كالاتي:

أحدها: الاختلاف بين الوصل والإرسال.

ثانيها: الاختلاف بين الوقف والرفع.

ثالثها: الاختلاف بين الاتصال والانقطاع.

رابعها: الاختلاف في اسم رجل في الاسناد أحد الاسمين ثقة والآخر ضعيف

خامسها: زيادة رجل في أحد الإسنادين.

سادسها: الاختلاف في اسم الراوي ونسبه إذا كان مترددا بين ثقة وضعيف، بخلاف ما لو كان الاضطراب حول اسم الصحابي الذي روى الحديث؛ لتحقق العدالة في كل أصحاب رسول الله . صلى الله عليه وسلم . وكذلك لا يضر إن كان الاضطراب بين ثقتين من عامة الرواة.

سابعها: أن يكون في الإسناد رجل عرف باضطراب رواياته، وهي على أحوال، فمنهم: من يضطرب في حال روايته عن شيخ معين، ومنهم من يضطرب في روايته عن أهل قطر، ومنهم من يضطرب في سنِّ مَعِينَةٍ دون سائر حياته، وهي أحوال كانت سببا في كثير من الخلاف الفقهي بين من يَرُدُّ على الراوي كل ما رُوي عنه، وبين عالم بحقيقة أحواله؛ فينتقي ما سلم من الروايات، ومنهم من يضطرب في كل أحواله.

ومثال ذلك: ومثاله ما روي عن أبي بكر . رضي الله عنه . قال: يا رسول الله، أراك شبت؟! قال: «شبتني هُوْدٌ وأخوانها»⁽¹⁾ قال الدارقطني: هذا مضطرب؛ فإنه لم يروَ إلا من طريق أبي إسحاق، وقد اختلفَ عليه فيه على نحو عشرة أوجه، فمنهم من رواه عنه مرسلًا، ومنهم من رواه موصولًا، ومنهم من جعله من مسند أبي بكر، ومنهم من جعله من مسند سعد، ومنهم من رواه من مسند عائشة، ورواؤه ثقات، لا يمكن ترجيح بعضهم على بعض، والجمع متعذر.⁽²⁾

ومثله حديث بن خريث،⁽³⁾ عَنْ جَدِّهِ حُرَيْثِ بْنِ سُلَيْمٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ . صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قَالَ: «إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ، فَلْيَجْعَلْ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ شَيْئًا، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ، فَلْيَنْصِبْ عَصًا، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ، فَلْيَخُطِّ خَطًّا، ثُمَّ لَا يَضُرَّهُ مَا مَرَّ بَيْنَ يَدَيْهِ»⁽⁴⁾

اختلف الحفاظ في هذا الحديث: فصحه جماعة منهم أحمد وعلي بن المديني⁽⁵⁾، وضعفه آخرون، وقالوا: لم نجد شيئًا تشد به هذا الحديث، و لم يجئ إلا من هذا الوجه؛ لذلك لم

¹ إرواه الزبار في مسنده 196/1 أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق المتوفى سنة: 292هـ، تحقيق: محفوظ زين الله وعادل بن سعد وصبري الشافعي، مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة، الطبعة الأولى سنة: 2009م.

² ينظر: علل الدار قطني 194/1 أبي الحسن علي بن عمر بن أحمد المتوفى سنة: 385هـ، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله السلفي، دار طبية الرياض، الطبعة الأولى سنة: 1985م، وفتح المغيث شرح ألفية الحديث 294/1 لشمس الدين أبي الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي الشافعي المتوفى سنة: 902هـ، تحقيق: عبد الكريم بن عبد الله الخضير، محمد بن عبد الله فهيد، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض؛ الطبعة الأولى 1426هـ.

خلافًا لمن صححه ولمن جعله موضوعًا، ينظر: الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة 133 لعبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى سنة: 211هـ، تحقيق: محمد لطفي الصباح، عمادة شؤون المكتبات الرياض.

³ أبو عمرو بن محمَّد بن حريث، عن جده حريث، بن سليم وقيل: ابن سُلَيْمَان من بني عذرة. ينظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال (5/ 565)، والكاشف 2/74.

⁴ رواه ابن ماجه في سننه كتاب الصلاة باب ما يستر المصلي 303/1 سنن ابن ماجه: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه المتوفى سنة 275هـ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية.

⁵ علي بن عبد الله بن جعفر بن نجيب أبو الحسن ابن المديني، بصري، ثقة ثبت إمام، أعلم أهل عصره بالحديث وعلمه؛ حتى قال البخاري: ما استصغرت نفسي إلا عند علي بن المديني، وقال فيه شيخه ابن عيينة: كنت أتعلم منه أكثر مما يتعلم مني، وقال النسائي: كان الله خلقه للحديث. ينظر: الكاشف في معرفة من رواه في الكتب الستة 41/2، وتقريب التهذيب 403 لأبي

يأخذ بهذا الحديث بعض الفقهاء منهم مالك، فاعتبروا الخط والعصا الملقاة لا تجزئ في السترة⁽¹⁾ وَأَشَارَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ إِلَى ضَعْفِهِ، وَكَانَ قَدْ احْتَجَّ بِهِ فِي الْقَدِيمِ وَتَوَقَّفَ فِيهِ فِي الْجَدِيدِ؛ لِاخْتِلَافِ الرِّوَاةِ عَلَى إِسْمَاعِيلَ بْنِ أُمَيَّةَ فِي أَبِي مُحَمَّدَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ حُرَيْثٍ، وَقِيلَ: عَنْ أَبِي عَمْرٍو بْنِ مُحَمَّدَ بْنِ حُرَيْثٍ، عَنْ جَدِّهِ، وَقِيلَ: عَنْ أَبِي عَمْرٍو بْنِ حُرَيْثٍ، عَنْ أَبِيهِ، وَقِيلَ: غَيْرَ ذَلِكَ، وَفِيهِ مِنَ الْإِضْطِرَابِ أَكْثَرُ مِنْ هَذَا⁽²⁾ حَتَّى قَالَ ابْنُ الْمَلْفَنِ⁽³⁾: «مَنْ صَحَّحَهُ كَأَنَّهُ لَمْ يَرِ هَذَا الْإِضْطِرَابَ قَادِحًا»⁽⁴⁾.

. الاضطراب في المتن:

قد يقع الاختلاف بين الرواة في ألفاظ الحديث كما يقع في الإسناد، مع أن النقاد يذكرون أن وقوعه في الإسناد أكثر؛ ولعل ذلك لأمرين، الأول: طول الأسانيد، وبعد العهد، والتشابه بين الأسماء، كل ذلك يوقع صاحبه في الوهم، والأمر الثاني: أن أهل النقد هم من

الفضل أحمد بن علي بن محمد بن حجر المتوفى سنة 852هـ، تحقيق: محمد عوامة، دار الرشد، سوريا؛ الطبعة الأولى 1406هـ. 1986م.

⁽¹⁾ ينظر: الاستنكار 281/2 لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر المتوفى سنة: 463هـ، تعليق: سالم محمد عطا ومحمد علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت؛ الطبعة الأولى 1412هـ. 2000م..

⁽²⁾ ينظر: البدر المنير 199/4 وهو: البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير، لابن الملقن سراج الدين أبي حفص عمر بن علي الشافعي المتوفى سنة: 804هـ، تحقيق: مصطفى أبو الغيط وعبد الله بن سليمان وباسر كمال، دار الهجرة للنشر، الرياض؛ الطبعة الأولى 1425هـ. 2004م، وتلخيص الحبير 518/1 وهو: تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، لشهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن حجر المتوفى سنة 852هـ، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، و علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان؛ الطبعة الثانية 1427هـ. 2006م.

⁽³⁾ عمر بن علي بن أحمد الأنصاري الشافعي، سراج الدين، أبو حفص ابن النحوي، المعروف بابن الملقن، من أكابر العلماء بالحديث، والفقهاء، وتاريخ الرجال، أصله من وادي أش بالأندلس، ومولده ووفاته في القاهرة، له نحو ثلاثمئة مصنف، منها: " إكمال تهذيب الكمال في أسماء الرجال و " التنكرة في علوم الحديث مات .رحمه الله .في شوال سنة:870هـ. ينظر: نظم العقيان في أعيان الأعيان 124 لعبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي المتوفى سنة: 911هـ، تحقيق: فيليب حتى، المكتبة العلمية بيروت، والأعلام للزركلي 5/ 57.

⁽⁴⁾ البدر المنير 202/4.

المحدثين الذين اعتنوا بأحوال الرجال كالعادلة والضبط؛ فقلما يحكمون على المتون وما تشتمل عليه من أحكام، وإنما هو من شأن المجتهدين، إلا ما كان الأمر فيه ظاهراً، كالقلب والإدراج.⁽¹⁾

كما أن اختلاف ألفاظ المتون من خلال الاستقراء له أنواع ثلاثة، الأول قد يكون بسبب نقل الرواية بالمعنى فتختلف الألفاظ وتتحد المقاصد والمعاني، وهذا لا يمنع المجتهد من استنباط الحكم؛ لأنه لا تعارض بين النصوص ولا يُسمى اضطراباً، والنوع الثاني: اختلاف في ألفاظٍ من المتن في ظاهرها التعارض، وفيه ما يدل على أن القصة أو الحدث متكررا في عهد النبوة، وكل راو ينقل حدثاً غير ما أخبر به الآخر، وهو أمر لا ضير فيه؛ ويلجأ المجتهد عندها للتوفيق والجمع إن أمكن، أو النسخ إن علم التاريخ، وهو كذلك لا يُسمى اضطراباً، والنوع الثالث: أن تُحدثاً لألفاظ تعارضاً مع اتحاد المخرج، وليس فيه ما يدل على تكرار الحادثة؛ فهو الاضطراب والتعارض الذي يوجب التوقف والحكم باضطراب الرواية ما لم تترجح إحدى الروايات.

مثال النوع الأول من الاختلاف: حديث سهل بن سعد، كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . جُلُوسًا، فَجَاءَتْهُ امْرَأَةٌ تَعْرِضُ نَفْسَهَا عَلَيْهِ، فَحَفَّضَ فِيهَا النَّظَرَ وَرَفَعَهُ، فَلَمْ يَرِدْهَا، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ: رَوَّجْنِيهَا يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «أَعْنَدَكَ مِنْ شَيْءٍ؟» قَالَ: مَا عِنْدِي مِنْ شَيْءٍ، قَالَ: «وَلَا خَاتَمَ مِنْ حَدِيدٍ؟» قَالَ: وَلَا خَاتَمَ مِنْ حَدِيدٍ، وَلَكِنْ أَشَقُّ بُرْدَتِي هَذِهِ فَأَعْطِيهَا النَّيِّفَ، وَأَخْذُ النَّيِّفَ، قَالَ: «لَا، هَلْ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْءٌ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «أَذْهَبَ فَقَدْ رَوَّجْتُكَهَا بِمَا مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ»⁽²⁾ وفي رواية: «قَدْ أَنْكَحْتُكَهَا بِمَا مَعَكَ مِنْ

⁽¹⁾ ينظر: توجيه النظر إلى أصول الأثر/2 583 لظاهر بن صالح السمعوني الدمشقي المتوفى سنة: 1338هـ، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية حلب، الطبعة الأولى سنة: 1995م .

⁽²⁾ رواه البخاري كتاب النكاح باب إذا كان الولي هو الخاطب 17/7 .

الْقُرْآنَ»⁽¹⁾ ورواية: «فَقَدْ رَوَّجْنَاكَهَا» ورواية: «أَمَلَكُنْكَهَا» ورواية: «أَمَلَكْنَاكَهَا» ورواية: «مَلَكْتُكَهَا» ورواية: «أَمَكْنَاكَهَا» ورواية: «أَبَحْنَاكَهَا»⁽²⁾

فهذه كلمات مختلفة في اللفظ قريبة في معناها والحادثة واحدة، وكل لفظة مشكوك فيها أنها من كلام النبئ صلى الله عليه وسلم مع ترجيح بعضهم لفظة: «رَوَّجْنَاكَهَا» لكونها رواية أكثر الرواة، ولموافقتها للفظ السائل وهو قوله: «رَوَّجْنِيهَا» قال ابن حجر نقلا عن العلائي⁽³⁾: «مَنْ الْمَعْلُومِ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ يَقُلْ هَذِهِ الْأَلْفَاظَ كُلَّهَا تِلْكَ السَّاعَةَ فَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَنْ يَكُونَ قَالَ لَفِظَةً مِنْهَا وَعَبَّرَ عَنْهُ بِقِيَّةِ الرُّوَاةِ بِالْمَعْنَى»⁽⁴⁾ وهذا الاختلاف لا يضر بثبوت الحديث ولا باستنباط الحكم، إلا أن الفقهاء اختلفوا هل يختص انعقاد النكاح بلفظ التزويج والإنكاح كما قال الشافعي،⁽⁵⁾ أو يعم كل الألفاظ بمختلف اللغات واللهجات التي تفيد، ما دام قد قصد التزويج؟⁽⁶⁾

¹ رواه مالك في الموطأ 752/3 مالك بن أنس الأصبحي المتوفى سنة: 179هـ ، تحقيق: محمد الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان الخيرية أبو ظبي، الطبعة الأولى سنة: 2004م.

² تنقيح التحقيق في أحاديث التعليق لابن عبد الهادي 338/4، شمس الدين محمد بن أحمد الحنبلي المتوفى سنة: 744هـ، تحقيق: سامي بن محمد وعبد العزيز بن ناصر، أضواء السلف الرياض، الطبعة الأولى سنة: 2007م، وتلخيص الحبير 318/3.

³ صلاح الدين الغلابي خليل بن كيكلي بن عبد الله العلائي الدمشقي، أبو سعيد، محدث، فاضل، باحث. ولد وتعلم في دمشق، ورحل رحلة طويلة. ثم أقام في القدس مدرسا في الصلاحية سنة 731 هـ فتوفي فيها. ينظر: الوافي بالوفيات 13/ 256 لصلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي المتوفى سنة: 764هـ، تحقيق: أحمد الأرنؤوط وتركبي مصطفى، دار إحياء التراث بيروت، سنة: 2000م، والأعلام للزركلي 321/2.

⁴ فتح الباري شرح صحيح البخاري 215/9 لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى سنة: 852هـ، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار الريان للتراث، القاهرة؛ الطبعة الأولى 1407هـ. 1986م.

⁵ ينظر: الحاوي في فقه الإمام الشافعي 152/9 لأبي الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي المتوفى سنة: 450هـ، دار الكتب العلمية.

⁶ ينظر: كتاب بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع 229/2 لعلاء الدين أبو بكر بن مسعود الكاساني الحنفي المتوفى سنة: 587هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، والإشراف على نكت مسائل الخلاف 699/2 لأبي محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر البغدادي المتوفى سنة: 422هـ، تخريج: أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سليمان، دار ابن قتيبة ودار ابن عفان،

مثال النوع الثاني من الاختلاف: كحديث عبد الله بن عمر وحديث جابر بن عبد الله الذي اختلفا فيه في القميص الذي أعطاه النبي . صلى الله عليه وسلم لابن أبي ليكن فيه هل كان العطاء عند التكفين أو كان بعد أن دُفن فأخرج من القبر؟ وتقدم أن من وجوه التوفيق: أن العطاء قد تكرر وكل منهما يخبر عن حادثة.

مثال النوع الثالث: ما رواه ابن عباس . رضي الله عنهما . «أَنَّ النَّبِيَّ . صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . تَزَوَّجَ مَيْمُونَةَ وَهُوَ مُحْرِمٌ»⁽¹⁾

وما روته مَيْمُونَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ . صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . تَزَوَّجَهَا وَهُوَ حَلَالٌ»⁽²⁾

اختلفت الآثار في وقت زواج النبي . صلى الله عليه وسلم . بميمونة، وفي حديث ابن عباس أنه كان . صلى الله عليه وسلم . محرماً، وورد من طرق أخرى أنه كان . صلى الله عليه وسلم . حلالاً؛ وهو اختلاف يؤدي إلى اختلاف الحكم المستنبط، وهو: هل يجوز عقد نكاح المحرم؟

ولما كانت الطرق التي تنص على أن النبي . صلى الله عليه وسلم . لم يكن محرماً قد وصلت إلى حد التواتر كما ذكر ابن عبد البر⁽³⁾ رجح العلماء هذا الوجه على رواية ابن عباس، وذكروا من جملة قرائن الترجيح: أنها رواية ميمونة . 9 . وقولها مقدم؛ لأنها صاحبة الحادثة، وكذلك هي رواية أبي رافع وهو مقدم على ابن عباس في هذه المسألة؛

الرياض؛ الطبعة الأولى 1429هـ . 2008م، وبداية المجتهد ونهاية المقتصد 32/3 لأبي الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد القرطبي المتوفى سنة: 595هـ، دار الحديث، القاهرة، والهداية على مذهب الإمام أحمد 388 لمحمود بن أحمد بن الحسن أبي الخطاب، تحقيق: عبد اللطيف هميم وماهر الفحل، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى سنة: 2004م.

⁽¹⁾ رواه البخاري كتاب جزاء الصيد باب تزويج المحرم 15/3.

⁽²⁾ رواه مسلم كتاب الحج باب تحريم نكاح المحرم 1032/2.

⁽³⁾ ينظر: الاستذكار 117/4.

لكونه مباشر للحدث فهو الذي كلفه النبي . صلى الله عليه وسلم . بالتواصل مع أهل ميمونة.

ويرى بعض العلماء: التوقف عن استنباط الحكم من حديث زواج ميمونة وطلب الاستدلال عن الحكم بدليل آخر،⁽¹⁾ فذكروا حديث عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ . صلى الله عليه وسلم . قَالَ: «لَا يَنْكُحُ الْمُحْرِمُ، وَلَا يُنْكَحُ، وَلَا يَخْطُبُ»⁽²⁾ وَلَا مُعَارِضَ لَهُ، وَمَنْ حَقَّقَ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ مَعَ قَرَبِ عَهْدِهِ بِزَمَنِ النَّبُوَّةِ، فَقَدْ كَتَبَ إِلَى مَيْمُونَةَ بِنِ مَهْرَانَ⁽³⁾: أَنْ يَسْئَلَ يَزِيدَ بْنَ الْأَصَمِّ، كَيْفَ تَرَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ . صلى الله عليه وسلم . مَيْمُونَةَ أَحَلَّالًا أَمْ حَرَامًا؟ فَسَأَلَهُ، فَقَالَ: بَلْ تَرَوَّجَهَا حَلَالًا، وَكَتَبَ بِذَلِكَ إِلَيْهِ؛ قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ: فَهَذَا عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَقْنَعُ فِي ذَلِكَ بِبِزِيدِ بْنِ الْأَصَمِّ؛ لِإِعْلَامِهِ بِاتِّصَالِهِ بِهَا وَهِيَ خَالَتُهُ وَلِثِقَتِهِ بِهِ.⁽⁴⁾

ومنهم من حاول التوفيق بين قول ابن عباس وقول ميمونة: بأن ابن عباس ليس مراده حقيقة الإحرام، وإنما شروع النبي . صلى الله عليه وسلم . في تقليد الهدي، وهو من عمل المحرم قبل أن يتلبس بالإحرام، وقيل: مراده الزمان وهي الأشهر الحرم، وقيل: المكان وهو وجوده في الحرم.⁽⁵⁾

¹ ينظر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد3/153 لأبي عمر يوسف بن عبد البر بن محمد بن عبد البر النمري الأندلسي المتوفى سنة: 463هـ.

² رواه مسلم كتاب النكاح باب تحريم نكاح المحرم 2/1031.

³ ميمون بن مهران الجزري أبو أيوب من فقهاء الجزيرة، قيل: ولد سنة أربعين، ومات سنة ثمان مائة، أعطته امرأة من بتي نصر بن معاوية بالكوفة، فنشأ بها، ثم سكن الرقة، حدث عن: أبي هريرة، وعائشة، وابن عباس، وابن عمر، وغيرهم. ينظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال 29/210، وسير أعلام النبلاء 5/71 لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي 748هـ، تحقيق بإشراف: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت؛ الطبعة الثانية 2008م.

⁴ ينظر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد3/155.

⁵ المنتقى شرح الموطأ 2/238 لأبي الوليد سليمان بن خلف بن سعد الباجي الأندلسي المتوفى سنة: 494هـ، مطبعة العيادة، مصر؛ الطبعة الأولى 1331هـ، ، والقبس في شرح موطأ مالك بن أنس 565 لأبي بكر محمد بن عبد الله بن العربي

حكم المحرم يراجع طليقته:

لما كان ابتداء عقد النكاح محرم عند الجمهور، وهم: المالكية، والشافعية، والحنابلة؛ أخذوا بالرواية الراجحة، اختلفوا فيمن طلق امرأته وأراد مراجعتها وهو محرم، جوز ذلك مالك ومنعه أحمد كما نقله الباجي خلافا لما هو في كتب الحنابلة؛ وسبب الخلاف: هل الرجعة ابتداء عقد، أو إصلاح لعقد سابق وبه قال مالك،⁽¹⁾ ويشهد له عدم حاجة الرجعة للولي والصدق.

. الاضطراب في الإسناد والمتن:

قد يقع اختلاف الرواة في إسناد الحديث من حيث أسماء الرواة أو الاختلاف في الوصل وعدمه أو الرفع والوقف، مع الاختلاف في متن الحديث، ومثله حديث القلتين الذي اضطرب سنده، ومنتنه في لفظه ومعناه، فقد روى عبد الله بن عمر عن أبيه . رضي الله عنهما

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ . صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «إِذَا بَلَغَ الْمَاءُ قُلْتَيْنِ لَمْ يُحْسَبْ شَيْءٌ»⁽²⁾

هذا الحديث اختلف الرواة في سنده، ومنتنه لفظا ومعنى وبيانه كآلآتي:

. الاختلاف في الإسناد: روي مرفوعا إلى النبي . صلى الله عليه وسلم وروي موقوفا على

عمر بن الخطاب . رضي الله عنه . وقال بعض المحققين: هو الصواب.

واختلف الرواة بعد عبد الله بن عمر فيمن روى عنه، فقال الوليد بن كثير⁽³⁾: هو عن عبد الله

بن عبد الله، وقيل: هو عن عبيد الله بن عبد الله⁽¹⁾.

المتوفى سنة: 543هـ، تحقيق: أيمن نصر الأزهرى وعلاء إبراهيم الأزهرى، دار الكتب العلمية، بيروت؛ الطبعة

الأولى 1419هـ . 1998م..

⁽¹⁾ ينظر: المنقى شرح الموطأ 2/239، والإقناع في فقه الأمام أحمد بن حنبل 1/364 لموسى بن أحمد بن سالم الحجواي

المقدسي المتوفى سنة: 968هـ، دار المعرفة، بيروت.

⁽²⁾ رواه ابن ماجه كتاب الطهارة وسننها باب مقدار الماء الذي لا ينجس 1/172.

⁽³⁾ الوليد بن كثير القرشي المخزومي مولاهم أبو محمد المدني، سكن الكوفة، روى عن: إبراهيم بن عبد الله بن حنين ومولى حكيم

بن حزام، وسعيد بن عبد الرحمن بن أبي سعيد الخدري. ينظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال 31/73، وتهذيب التهذيب 11/

ولأجل هذا الاختلاف صححه جماعة منهم: البيهقي⁽²⁾، وابن حبان⁽³⁾، وابن خزيمة⁽⁴⁾، وضعفه آخرون للاضطراب، منهم: ابن عبد البر⁽⁵⁾، وابن العربي⁽⁶⁾، وابن دقيق العيد⁽⁷⁾.

⁽¹⁾ ينظر: تنقيح التحقيق لابن عبد الهادي 19/1، والقبس في شرح موطأ مالك بن أنس 130. ⁽²⁾ أبو بكر البيهقي أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله بن موسى، الفقيه الشافعي الحافظ المشهور، أخذ الفقه عن أبي الفتح ناصر بن محمد العمري المروزي، وغلب عليه الحديث واشتهر به، من مشهور مصنفاته السنن الكبير، السنن الصغير، ودلائل النبوة، والسنن والآثار، وشعب الإيمان. ينظر: وفيات الأعيان 1/75، وتذكرة الحفاظ للذهبي 3/219 لشمس الدين أبو عبد الله محمد قايمز الذهبي المتوفى سنة: 748هـ، دار الكتب العلمية بيروت؛ الطبعة الأولى 1419هـ. 1998م. ⁽³⁾ محمد بن حبان أبو حاتم البستي، حافظ جليل، كثير التصانيف، حدث عن أبي خليفة، وأبي يعلى، وغيرهما، ولد في بست من بلاد سجستان، وانتقل في الأقطار، فرحل إلى خراسان، والشام، ومصر، والعراق، والجزيرة، وتولى قضاء سمرقند مدة، ثم عاد إلى نيسابور، وتوفي. رحمه الله. سنة: 354هـ.

ينظر: الإكمال لابن ماكولا 432/ الإكمال في رفع الالترتيب عن المؤلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب لسعد الملك أبو نصر علي هبة الله بن جعفر بن ماكولا المتوفى سنة: 475هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، والأعلام للزركلي 6/78.

⁽⁴⁾ أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر السلمي النيسابوري، ولد سنة: ثلاث وعشرين ومائتين هـ، وعني بهذا الشأن في الحداثة، وسمع من إسحاق بن راهويه، ومحمد بن حميد، وغيرهما. ينظر: تذكرة الحفاظ للذهبي 2/207، والوفاي بالوفيات 2/138.

⁽⁵⁾ يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عبد البر النمري الأندلسي القرطبي المالكي، صاحب التأليف، من شروح وتراجم وغيرها، ولد سنة 368 هـ ومات سنة 463 هـ، من نظر في مصنفاته بانته له منزلته من سعة العلم، وقوة الفهم، وسيلان الذهن، ولي قضاء الأسيونتين وستين. ينظر: فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات 2/843 لمحمد عبد الحي بن عبد الكبير الحسني الإدريسي عبد الحي الكتاني المتوفى سنة: 1382هـ، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، وشجرة النور الزكية في طبقات المالكية 1/176 لمحمد بن محمد بن عمر بن قاسم مخلوف المتوفى سنة: 1360هـ، تخريج: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت؛ الطبعة الأولى 2003م.

⁽⁶⁾ أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد بن العربي الإشبيلي المالكي، ولد سنة ثمان وستين وأربعمئة، ورحل مع والده إلى الشرق، وصحب الشاشي، والغزالي، ورأى غيرهما من العلماء والأدباء، وتولى القضاء وانتفع به الناس؛ لأنه كانت له رهبة على الخصوم، وسورة على الظلمة، ومن تصانيفه كتاب (عارضة الأحوذ في شرح الترمذي)، و(القبس في شرح الموطأ)، وكتاب في تفسير آيات الأحكام، توفي. رحمه الله. بفاس سنة: 543هـ. ينظر: طبقات الحفاظ 1/96 لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى سنة: 911هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، والوفاي بالوفيات 3/266.

⁽⁷⁾ ينظر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد 1/329، وتنقيح التحقيق للذهبي 1/12 لشمس الدين أبي عبد الله قايمز المتوفى سنة: 748هـ. تحقيق: مصطفى أبو الفيظ، والمحرر في الحديث 83 لشمس الدين محمد بن أحمد الحنبلي المتوفى سنة: 744هـ، تحقيق: يوسف المرعشلي ومحمد سليم وجمال حمدي، دار المعرفة بيروت، الطبعة الثالثة سنة: 2000م.

. الاختلاف في ألفاظ المتن: في رواية: «إِذَا كَانَ الْمَاءُ فُتَّتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثًا، لَمْ يُنَجِّسْهُ شَيْءٌ»
ورواية: «إِذَا كَانَ الْمَاءُ أَرْبَعِينَ قَلَّةً لَمْ يَحْمِلْ حَبْنًا» ورواية: «أَرْبَعِينَ عَرَبًا» وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ:
«أَرْبَعِينَ دَلْوًا»⁽¹⁾

. الاختلاف في معنى المتن: اضطرب المعنفي هذا الحديث حتى أنه تعذر معرفة مقدار القلة؛ للاختلاف في نقل مقدارها لأنه اسم مُشْتَرَك، فقيل: يطلق على الجِرَّة وقيل: على القربة، وقيل: على رأس الجبل، وقيل: هي قلال هجر التي تسع قربتين أو ثلاث.⁽²⁾
ولأجل ذلك اختلف الفقهاء في الماء القليل الذي هو بقدر آنية المغتسل إن وقعت فيه نجاسة ولم تغيره، فقال بنجاسته الشافعي وأحمد عملاً بالحديث،⁽³⁾ ووافقهم في الحكم أبو حنيفة إلا أنه خالفهم في الدليل، فقال: النجاسة من الخبائث وهي يحرم استعمالها؛ لقوله تعالى {وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ}⁽⁴⁾ ولم تفرق الآية بين كونها مختلطة بغيرها أو منفردة، وإذا اجتمع المحرّم والمُبيح قدم المحرم، ولا فرق بين مخالطة قليل النجاسة للماء أو سائر السوائل كاللبن، ولقوله . صلى الله عليه وسلم . : «لَا يَبُولَنَّ أَحَدُكُمْ فِي الْمَاءِ الدَّائِمِ ثُمَّ يَغْتَسِلُ مِنْهُ»⁽⁵⁾ ولم يفرق بين المتغير وغيره.⁽⁶⁾

¹ نصب الراجحة لأحاديث الهداية 1/101 جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف الزيلعي المتوفى سنة: 762هـ، دار الحديث، القاهرة.

² ينظر: تنقيح التحقيق للذهبي 1/13، والجوهر النقي على سنن البيهقي 1/264 لعلاء الدين علي بن عثمان بن التركماني المتوفى سنة: 750هـ، دار الفكر.

³ ينظر: الأم للشافعي 1/18 أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي المتوفى سنة: 204هـ، تعليق: محمود مطرجي، دار الكتب العلمية، بيروت؛ الطبعة الأولى 1413هـ. 1993م، والمغني لابن قدامة 1/19 لعبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي المتوفى سنة: 620هـ، عالم الكتب، بيروت.

⁴ سورة العرف الآية: 157.

⁵ رواه مسلم كتاب الطهارة باب النهي عن البول في الماء الراكد 1/235.

⁶ ينظر: البحر الرائق شرح كنز الدقائق 1/83 لزين الدين بن إبراهيم بن محمد بن نجيم المتوفى سنة: 970هـ، دا البحر الرائق: البحر الرائق شرح كنز الدقائق، زين الدين بن إبراهيم بن محمد بن نجيم المتوفى سنة: 970هـ، دار الكتاب الإسلامي.

أما عند المالكية: فَأَلْذِي رَوَاهُ أَهْلُ الْمَدِينَةِ عَنْ مَالِكٍ أَنَّهُ طَاهِرٌ مُطَهَّرٌ،⁽¹⁾ والدليل ما رواه أبو سعيد الخُدْرِي: «قِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : أَنْتَوَضَأُ مِنْ بِنْرِ بُضَاعَةَ؟ وَهِيَ تُضْرَحُ فِيهَا الْجِيضُ وَلُحُومُ الْكِلَابِ وَالنَّثْنُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : الْمَاءُ طَهُورٌ لَا يُجَسِّسُهُ شَيْءٌ» وذكر القرافي: أن ابن القاسم قال: يتيمم ويتركه، ومن تَوَضَأَ بِهِ وَصَلَى أَعَادَ فِي الْوَقْتِ، وَخْتَلَفَ فِي الْمَرَادِ مِنْ قَوْلِ ابْنِ الْقَاسِمِ، فَحَمَلَهُ أَبُو الْحَسَنِ اللَّخْمِي: عَلَى التَّنْجِيسِ؛ لِإِبَاحَةِ التَّيْمِمِ مَعَ وَجُودِهِ وَإِعَادَةِ فِي الْوَقْتِ مِرَاعَاةَ لِلْخَلْفِ،⁽²⁾ وهذا يؤيده ما نقله ابن بطال عن ابن القاسم عن مالك: أن قليل النجاسة يُفْسِدُ قَلِيلَ الْمَاءِ وَإِنْ لَمْ تَغْيِرْهُ⁽³⁾ وحمله ابن رشد: على الكراهة؛ لتخصيصه الإعادة في الوقت أما ذكره للتيمم فهو مراعاة للخلاف،⁽⁴⁾ وقال حفيده: إن في ذلك جمع بين حديث القلة بحمله على الكراهة، وحديث بئر بضاعة بحمله علنا لإجزاء.⁽⁵⁾

. المبحث السادس: التردد من الراوي في بعض ألفاظ المتن:

من صور الاضطراب الذي قد يؤثر على استنباط الحكمأن يتردد الراوي في بعض ألفاظ الحديث؛ ويكون ذلك احتياطاً من الراوي، فيأتي بين الجملتين أو الكلمتين بحرف العطف

⁽¹⁾ المنتقى شرح الموطأ 56/1.

⁽²⁾ ينظر: التبصرة للحمي 41/1 لأبي الحسن على بن محمد اللخمي المتوفى سنة: 478هـ، تحقيق: أحمد بن عبد الكريم نجيب، مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث؛ الطبعة الثانية 2012م.، والذخيرة للقرافي 173/1 لشهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي المتوفى سنة: 684هـ، تحقيق: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت؛ الطبعة الأولى 1994م.

⁽³⁾ ينظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال 328/1 أبي الحسن علي بن خلف بن عبد الملك المتوفى سنة: 449هـ، تحقيق: أبي تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض؛ الطبعة الثانية 1423هـ. 2003م..

⁽⁴⁾ ينظر: البيان والتحصيل 111/1 البيان و النُحْصِيل والشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المدونة لأبي الوليد بن رشد القرطبي المتوفى سنة: 520هـ، تحقيق: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت؛ الطبعة الثانية 1408هـ. 1988م. ، والمقدمات الممهدة 86/1 لأبي الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي المتوفى سنة: 520هـ، تحقيق: محمد حجي دار الغرب الإسلامي، بيروت؛ الطبعة الأولى 1408هـ. 1988م. ، والذخيرة للقرافي 173..

⁽⁵⁾ ينظر: بداية المجتهد ونهاية المقتصد 31/1.

(أو) فيتخير المجتهد: هل يلجأ للترجيح بين العبارتين، أو يأخذ بالأقل احتياطاً أو بالأكثر ، ومما ورد في ذلك:

ما روي عن أبي هريرة . I . قَالَ: «رَخَّصَ النَّبِيُّ . صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فِي بَيْعِ الْعَرَايَا بِخَرَصِهَا مِنَ النَّمْرِ، فِيمَا دُونَ خَمْسَةِ أُوسُقٍ، أَوْ فِي خَمْسَةِ أُوسُقٍ» شَكَ دَاوُدُ فِي ذَلِكَ⁽¹⁾
 قوله: فِيمَا دُونَ خَمْسَةِ أُوسُقٍ أَوْ فِي خَمْسَةِ أُوسُقٍ، شَكَ مِنَ الرَّوَايِ وَهُوَ دَاوُدُ بْنُ الْحُصَيْنِ الظَّاهِرِي، وَلَمْ يَرَوْ هَذَا الْحَدِيثَ مِنْ طَرِيقٍ صَحِيحٍ أَحَدٌ غَيْرُهُ، وَمَا رَوَاهُ عَنْهُ إِلَّا مَالِكُ بْنُ أَنَسٍ، وَقَدْ عَوَّلَ عَلَيْهِ جَمِيعُ الْفُقَهَاءِ.⁽²⁾

والعرايا جمع عارية، وهي عند ابن عرفة: مَا مُنِحَ مِنْ تَمَرٍ يَبِينُ⁽³⁾
 وعند مالك صورته: أن يُعْرِي الرَّجُلُ - أي: يَهَبُ - ثَمْرَةَ نَخْلَةٍ أَوْ نَخْلَاتٍ ثُمَّ يَتَضَرَّرُ بِمُدَاخَلَةِ الْمَوْهَبِ لَهُ فَيَسْتَرِيهَا مِنْهُ بِخَرَصِهَا تَمْرًا.⁽⁴⁾

حكم بيع العرايا:

يتجلى أثر التردد في استنباط الحكم عند بيان صور بيع العرايا، وله ثلاث صور تختلف بين التحريم، والجواز، والاختلاف فيه، وبيانها كالاتي:

⁽¹⁾ رواه البخاري كتاب المساقاة باب الرجل يكون له ممر أو شرب في حائط أو في نخل 115/3.

⁽²⁾ ينظر: فتح الباري 4 / 388، وسبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام 388/3 للإمام محمد بن إسماعيل اليمني الصنعاني المتوفى سنة 1182هـ، تخريج: محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان؛ الطبعة الأولى 1419 هـ . 1998م.

⁽³⁾ كتاب شرح حدود ابن عرفة 397 لأبي عبد الله محمد الأنصاري الرصاع التونسي المتوفى سنة: 894هـ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة..

⁽⁴⁾ ينظر: الكافي في فقه أهل المدينة 2 / 654 لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر المتوفى سنة: 463هـ، تحقيق: محمد محمد أحمد، مكتبة الرياض الطبعة الثانية سنة: 1980م.

الصورة الأولى: بيع ما زاد على الخمسة أوسقٍ: إن كانت الصَّفَقَةُ تَزِيدُ عَلَى خَمْسَةِ أَوْسُقٍ حَرَمَ بَيْعُهَا؛ لكونها باقيةً على أصلها في المنع بِحَدِيثِ النَّهْيِ عَنِ الْمُزَابَنَةِ، أَوْ عَمَلًا بِمَفْهُومِ الْعَدَدِ، فَالْمَنْطُوقُ تَنَاوُلَ الْعَدَدِ الْمَذْكُورِ وَأَذِنَ فِي بَيْعِهِ، يُفْهَمُ مِنْهُ أَنَّ الْعَدَدَ الْمَسْكُوتَ عَنْهُ مُخَالَفٌ لِلْمَذْكُورِ فِي الْحُكْمِ.

الصُّورَةُ الثَّانِيَّةُ: بَيْعُ مَا هُوَ أَقَلُّ مِنْ خَمْسَةِ أَوْسُقٍ يَرَى جُمْهُورُ الْعُلَمَاءِ مِنَ الْمَالِكِيَّةِ وَالشَّافِعِيَّةِ وَالْحَنَابِلَةِ، وَبَعْضِ الْأَخْنَافِ كَمُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ: جَوَازَ هَذَا الْبَيْعِ، وَهُوَ الْقَدْرُ الْمُرْخَّصُ فِيهِ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الصورة الثالثة: ببيعُ خَمْسَةِ أَوْسُقٍ مِنْ تَمَرِ الْعَارِيَّةِ، وَهُوَ الْقَدْرُ الَّذِي وَقَعَ فِيهِ التَّرَدُّدُ مِنَ الرَّوَايِ بَيْنَ الْجَوَازِ وَالْمَنْعِ تَرْتَبَ عَلَى ذَلِكَ الْاِخْتِلَافِ دَاخِلَ كُلِّ مَذْهَبٍ مِنَ الْمَالِكِيَّةِ وَالشَّافِعِيَّةِ وَالْحَنَابِلَةِ، وَاخْتَلَفُوا فِي الرَّاجِحِ عَلَى فَرِيقَيْنِ؛ وَذَلِكَ بِحَسَبِ الْمَرْجِّحِ عِنْدَ كُلِّ فَرِيقٍ، أَمَّا عُلَمَاءُ الْمَالِكِيَّةِ فَقَالُوا بِالْجَوَازِ وَالْمَنْعِ، وَالرَّاجِحُ عِنْدَهُمْ صِحَّتُهُ وَإِنْ خَالَفَ الْأَحَبَّ، فَإِنْ وَقَعَ فِي خَمْسَةِ أَوْسُقٍ مَضَى، وَلَمْ يُفْسَخِ الْبَيْعُ.⁽¹⁾ وَدَلِيلُهُمْ فِي التَّرْجِيحِ: مَا جَرَى عَلَيْهِ الْعَمَلُ عِنْدَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ،⁽²⁾

وَالشَّافِعِيُّ وَالْحَنَابِلِيُّ كُلُّ مِنْهُمَا قَالَ بِالْجَوَازِ وَالْمَنْعِ، وَالرَّاجِحُ عِنْدَهُمَا عَدَمُ الْجَوَازِ فِي الْخَمْسَةِ أَوْسُقِ، وَهُوَ قَوْلُ أَهْلِ الظَّاهِرِ.⁽³⁾ وَدَلِيلُهُمْ عَلَى ذَلِكَ: أَنَّ الْأَصْلَ التَّحْرِيمُ، وَبَيْعُ الْعَرَايَا رُخْصَةٌ، فَيُؤْخَذُ مِنْهُ بِمَا يُتَحَقَّقُ مِنْهُ الْجَوَازُ، وَيُلْغَى مَا وَقَعَ فِيهِ الشُّكُّ،

¹ ينظر: الكافي في فقه أهل المدينة 2/654.

² ينظر: شرح الزرقاني على موطأ مالك 3/263 محمد الزرقاني، دار الجبل، بيروت.

³ ينظر: الأم 3/54، والحاوي في فقه الشافعي 5/217، والشرح الكبير لابن قدامة 4/152 الشرح الكبير على متن المقنع، لعبد

الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي الجماعلي الحنبلي أبو الفرج المتوفى سنة: 682هـ، دار الكتاب العربي

للنشر والتوزيع.

كذلك فإن الحديث قد ورد من طريق لا تردّد فيها، تُرَجِّحُ القولَ بأن الرخصة في الأقلِّ من الخمسة.

قال أبو كُرَيْبٍ⁽¹⁾: حدثنا زيد بن حُباب،⁽²⁾ عن مالك بن أنس، عن داود بن حُصَيْنٍ، عن أبي سُفْيَانَ مَوْلَى ابْنِ أَبِي أَحْمَدَ،⁽³⁾ عن أبي هُرَيْرَةَ: «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَخَّصَ فِي بَيْعِ الْعَرَايَا فِيمَا دُونَ خَمْسَةِ أَوْسُقٍ».⁽⁴⁾

وروى يَعْقُوبُ: حَدَّثَنَا أَبِي عَنْ ابْنِ إِسْحَاقَ، حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ حَبَّانَ⁽⁵⁾، عَنْ عَمِّهِ وَاسِعِ بْنِ حَبَّانَ⁽¹⁾، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: «سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى

¹ محمد بن العلاء بن كريب الهمداني أبو كريب الكوفي، مشهور بكنتيته، ثقة حافظ، روى عن: يحيى بن زكرياء ابن أبي زائدة، ويونس بن بكير، وابن المبارك، ووكيع، وغيرهم، وروى عنه: النسائي، وأبو حاتم، وأبو زرعة، وآخرون، وهو من رجال مسلم، توفي رحمه الله . سنة: ثمان وأربعين ومئتين هـ.

ينظر: رجال صحيح مسلم 2 / 197 لأحمد بن علي بن محمد بن منجوبه المتوفى سنة: 428هـ، تحقيق: عبد الله الليثي، دار المعرفة، بيروت؛ الطبعة الأولى 1407هـ، وتهذيب التهذيب 9 / 342.

² زيد بن الحباب بن الريان، ويقال: رومان التميمي أبو الحسين العكلي، الكوفي، أصله من خراسان، ورحل في طلب العلم وسكن الكوفة.

روى عن: أسامة بن زيد بن أسلم، وأسامة بن زيد الليثي، ومالك بن أنس، والثوري، وابن أبي ذئب، وعنه روى: أحمد، وأبو كريب، وعلي بن المديني، وهو من رجال مسلم، وقال ابن حجر: صدوق يخطيء في حديث الثوري، توفي . رحمه الله . سنة: ثلاثين ومئتين هـ.

ينظر: رجال صحيح مسلم 1 / 216، وتهذيب الكمال 10 / 40، وتقريب التهذيب 222.

³ أبو سفیان مولى ابن أبي أحمد، ويقال: مولى لبني عبد الأشهل، روى عن أبي هريرة في الصلاة والبيع، وأبي سعيد الخدري في البيوع، وروى عنه: داود بن الحصين، وهو من رجال الصحيح.

ينظر: رجال صحيح مسلم 1 / 288، والجرح والتعديل 9 / 381 لأبي محمد عبد الرحمن بن محمد التميمي بن أبي حاتم الرازي المتوفى سنة: 327هـ، دار إحياء التراث، بيروت؛ الطبعة الأولى 1952م.

⁴ أخرجه الترمذي (1301) كتاب البيوع باب ما جاء في العرايا والرخص في ذلك 571/2. ورجال إسناده ثقات، الجامع الكبير: أبو عيسى محمد بن محمد بن عيسى الترمذي المتوفى سنة: 279هـ، تحقيق: د بشر عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت؛ الطبعة الثانية 1998م.

⁵ مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ حَبَّانَ بْنِ مَنْقَدِ بْنِ عَمْرِو الْأَنْصَارِيِّ، أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْمَازَنِيُّ الْمَدِينِيُّ، ثَقَّةٌ فقيه، سمع أنس بن مالك، وزبيدة، ومالك، وعبيد الله بن عمير، والليث بن سعد، توفيه . رحمه الله . سنة: 121 هـ بالمدينة ابن أربع وسبعين سنة. ينظر: رجال صحيح البخاري 2 / 686، تقريب التهذيب 512.

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ أَدَانَ لِأَصْحَابِ الْعَرَابِ أَنْ يَبِيعُوهَا بِحَرْصِهَا يَقُولُ: الْوَسْقَ، وَالْوَسْقَيْنِ، وَالثَّلَاثَةَ، وَالْأَرْبَعَةَ».(2)

. المبحث السابع: الترجيح عند الاضطراب:

اختلف النقاد في ترجيح ما وقع فيه اضطراب، ومن أبرز القواعد التي أحدثت فرقا في الترجيح: هل نقدم الأحوط؛ فيلزم تقديم أَوْهَى الرويات وأضعفها وأقلها ألفاظا، أو نقدم ما فيها زيادة علم من باب من حفظ حجة على من لم يحفظ؛ فنأخذ الرواية التي أظهرت السلامة والقوة وزيادة الألفاظ. ذكر الزركشي⁽³⁾ عن بعض العلماء قال: «إذا اختلفت الألفاظ من طرق الثقات أخذ بجمعها ما أمكن ذلك، فإن تعذر عليه أخذ بالرأيد في حكمه».(4)

ومن المرجحات على سبيل التفصيل ما يلي:

1. تقدم رواية الأكثر ضبطا وحفظا؛ فبغلبة الظن يكون هو من أصاب في النقل.
2. أن تشتمل الرواية على قصة بين الراوي وشيخه؛ تشهد بثبوت اللقاء ودقة النقل، ولذلك كان الحديث المسلسل مرغبا فيه، قال الخطيب: «وَقَدْ يَرْجَحُ أَحَدُ الْخَبَرَيْنِ بَأَنَّ يَكُونَ

¹ واسع بن حبان بن منقذ بن عمرو الأزني الأنصاري المدني، أخو يحيى بن حبان، سمع عبد الله بن عمر المدني، وجابر بن عبد الله، روى عنه: ابن أخيه محمد بن يحيى بن حبان، وهو من التابعين الثقات، وقيل بصحته. ينظر: رجال صحيح البخاري 2 / 763 ، وتهذيب التهذيب 11 / 90.

² أخرجه أحمد (14868) 155/23 مسند الإمام أحمد: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني المتوفى سنة: 241هـ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرون، مؤسسة الرسالة؛ الطبعة الأولى 1421هـ. 2001م.

وفيه ابن إسحاق مدلس وقد صرح بالسماح، وبقية رجاله ثقات. ينظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد 4/186 لنور الدين علي ابن أبي بكر الهيثمي المتوفى سنة: 807هـ، مؤسسة المعارف، بيروت؛ 1406هـ. 1986م.

³ محمد بن بهادر بن عبد الله الزركشي، أبو عبد الله، بدر الدين: عالم بفقهاء الشافعية والأصول. تركي الأصل، مصري المولد والوفاء. له تصانيف كثيرة في عدة فنون، توفي سنة: 794هـ. ينظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة 5 / 133 لشهاب الدين أبو الفضل بن حجر العسقلاني المتوفى سنة: 852هـ، دائرة المعارف، الهند، والأعلام للزركلي 6 / 60.

⁴ النكت على مقدمة ابن الصلاح للزركشي 2م 228.

مَرُوبًا فِي تَصَاعِيفِ قِصَّةِ مَشْهُورَةٍ مُتَدَاوِلَةٍ مَعْرُوفَةٍ عِنْدَ أَهْلِ النَّقْلِ، لِأَنَّ مَا يَرُوبُهُ الْوَاحِدُ مَعَ غَيْرِهِ أَقْرَبُ فِي النَّفْسِ إِلَى الصِّحَّةِ مِمَّا يَرُوبُهُ الْوَاحِدُ عَارِبًا عَنِ قِصَّةِ مَشْهُورَةٍ»⁽¹⁾

3 . تترجح رواية من لم يختلف عليه تلاميذه على من اختلفوا عليه في الرواية، ومنه: ترجيح حديث عبد الله بن عمر الذي لا يقول بزكاة الوقص في الإبل إن كانت أكثر من عشرين ومائة، على حديث عمرو بن حزم، وفيه: «أَنَّهَا إِذَا بَلَغَتْ تِسْعِينَ، فَفِيهَا حَقَّتَانِ، إِلَى أَنْ تَبْلُغَ عِشْرِينَ وَمِائَةً. فَإِذَا كَانَتْ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ، فَفِي كُلِّ خَمْسِينَ حَقَّةٌ، فَمَا فَضَلَ فَإِنَّهُ يُعَادُ إِلَى أَوَّلِ فَرِيضَةِ الْإِبِلِ... فِي كُلِّ خَمْسِ دَوْدِ شَاةٍ»⁽²⁾ وسبب الترجيح أن عمرو بن حزم اختلف الرواة عنه فوافق بعضهم رواية ابن عمر.⁽³⁾ قال عبد الرحمن بن مهدي: «إِنَّمَا يُسْتَدَلُّ عَلَى حِفْظِ الْمُحَدَّثِ إِذَا لَمْ يَخْتَلَفْ عَلَيْهِ الْخُفَاطُ»⁽⁴⁾

4 . تترجح رواية من صرح بالسماع على رواية من كانت روايته مكاتبة أو وجادة؛ فالمخبر بالسماع ينقل عن الأصل، بخلاف من وجد كتابا يحتمل وقوع التحريف والتصحيف فيه عند النسخ.

5 . تترجح رواية صاحب الحادثة على غيره؛ فهو أعلم بما وقع له ومثله: رِوَايَةُ مَيْمُونَةَ بِنْتِ الْخَارِثِ قَالَتْ: تَرَوَّجَنِي رَسُولُ اللَّهِ . صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَنَحْنُ خَلَالَانِ، فَوَجِبَ تَقْدِيمُ خَبَرِهَا عَلَى خَبَرِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ . صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . تَرَوَّجَهَا وَهُوَ مُحْرَمٌ؛ لِأَنَّهَا أَعْرَفُ بِالْقِصَّةِ.

⁽¹⁾ الكفاية في معرفة أصول علم الرواية 261/2 لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، تحقيق: أبي إسحاق إبراهيم بن مصطفى الدمياطي، مكتبة ابن عباس، مصر؛ 2002م.

⁽²⁾ شرح معاني الآثار 375/4 لأبي جعفر أحمد بن سلامة الطحاوي الحنفي المتوفى سنة: 321هـ، تحقيق: محمد زهري النجار ومحمد جاد الحق، عالم الكتب، بيروت؛ الطبعة الأولى 1414هـ. 1994م.

⁽³⁾ ينظر: مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول 631 لأبي عبد الله محمد بن أحمد الحسيني التلمساني المتوفى سنة: 771هـ، تحقيق: محمد علي فركوس، مؤسسة الريان، بيروت؛ الطبعة الثانية 1424هـ. 2003م.

⁽⁴⁾ الكفاية في معرفة أصول علم الرواية 435.

- 6 . وتترجح الرواية التي وافقها العمل كعمل أهل المدينة؛ لاحتمال أن يكون العمل أصله لصحة الرواية الراجعة من حيث الثبوت واستمرار العمل، ولربما تركت الأخرى إما لعدم ثبوتها، أو لتوقف العمل بها في عهد النبوة، قال الخطيب: «وَيُرَجَّحُ بَأَنَّ يُطَابِقَ أَحَدَ الْمُتَعَارِضِينَ عَمَلِ الْأُمَّةِ بِمُوجِبِهِ؛ لِجَوَازِ أَنْ تَكُونَ عَمَلَتْ بِذَلِكَ لِأَجْلِهِ»⁽¹⁾
- 7 . وتترجح الرواية التي كثر رواتها على الأقل؛ لبعده الأكثر غالبا عن الغلط والسهو .
- 8 . وتترجح رواية الفقهاء على غيرهم عند مساواتهم في الحفظ مع غيرهم؛ لأنهم أكثر عناية بالأحكام، قال وكيع⁽²⁾: حَدِيثُ الْفُقَهَاءِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ حَدِيثِ الْمَشَائِخِ⁽³⁾
- 9 . وتترجح الرواية إن كان صاحبها أكثر صحة للمروي عنه؛ إذ الغالب من حاله التثبت وتكرار التحمل بصوره كالاستماع والعرض.⁽⁴⁾
- 10 . ترجيح رواية من سمع بغير حجاب على من سمع من وراء حجاب، كتقديم رواية عروة بن الزبير والقاسم بن محمد في روايتهما عن عائشة من غير حجاب؛ لكونها محرما لهما على رواية غيرهما من التابعين الذين رووا من وراء حجاب؛ فالمباشرة تستلزم العناية بالمخاطب وتام ضبط كلامه.⁽⁵⁾
- الاحتياط من بعض الرواة:

¹ الكفاية في معرفة أصول علم الرواية 436/1.

² وكيع بن الجراح بن مريح الرواسي بضم الراء وهمزة ثم مهمله . أبو سفيان الكوفي، ثقة، حافظ عابد، روى عن: الأعمش، وجريز بن حازم، والأوزاعي، ومالك، وروى عنه: سفيان الثوري، وعبد الرحمن بن مهدي، وأحمد، وأبو خيثمة، والحميدي، مات . رحمه الله . في أول سنة: سبع وتسعين هـ وله سبعون سنة. ينظر: صفة الصفوة 3/ 170 لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن محمد الجوزي المتوفى سنة: 597هـ. وتقريب التهذيب 581.

³ ينظر: الاعتبار في النسخ والنسخ من الآثار 15/1 لأبي بكر محمد بن موسى الحازمي المتوفى سنة: 584هـ، دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد الدكن، الطبعة الثانية 1359هـ.

⁴ شرح التبصرة والتذكرة لألفية العراقي 291/1.

⁵ ينظر: العدة في أصول الفقه 1027/3.

احتاط بعضُ النقاد ممن اختلف في تمام ضبطه؛ خشية أن تكون روايته معللة بالاضطراب، ومن الاحتياط أن لا يقبل إلا بضوابط معينة منها:

أ. أن لا تقبل روايته إلا أن يكون مقرونا، كشرط البخاري في روايته عن فطر بن خليفة القرشي المخزومي، فلم يروي له إلا مقرونا بغيره.⁽¹⁾

وكذلك مسلم مع بعض الرواة، كشريكين عبد الله النخعي، قاضي الكوفة، وكان كثير الوهم، ولا سيما بعد أن ولي القضاء، خرج له مسلم حديثه مقرونا بغيره⁽²⁾

ب. أن تقبل روايته عن بعض شيوخه دون غيرها، كمحمد بن عجلان وثقه أحمد بن حنبل، فقبل له: إن ابن القطان قد ضعفه، فقال: ثقة، إنما اضطرب عليه حديث المقبري⁽³⁾

ت. أن تقبل روايته في زمن دون غيره، أو عن أهل بلد دون غيرها؛ والزمن أو البلد التي لا تقبل روايته عنهم، إما لصغره عند التحمل، أو شيخوخة، أو لأنه كان عجولاً، أو لاختلاطه، ومنهم: إسماعيل بن عياش الحمصي إن حدث عن غير أهل الشام اضطرب.⁽⁴⁾

ث. ومنهم من لا يقبل كل رواياته إلا ما ارتضاها من خبره وسبر مروياته، كحال عبد الله بن لهيعة بن عقبة قاضي مصر، وهو كثير الاضطراب، وكان يحيى بن سعيد يضعفه ولا يراه شيئاً، وقد اختلف الأئمة في أمره، وروى عن أحمد أنه قال: سماع العبادلة من ابن لهيعة عندي صالح، وهم: عبد الله بن وهب، وعبد الله بن يزيد المقرئ، وعبد الله ابن

⁽¹⁾ ينظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال 312/23.

⁽²⁾ ينظر: شرح علل الترمذي 405/1.

⁽³⁾ ينظر: بحر الدم فيمن تكلم فيه الإمام أحمد بمدح أو ذم 190/1.

⁽⁴⁾ الضعفاء الكبير للعقيلي 88/1 أبي جعفر محمد بن عمر بن موسى العقيلي المتوفى سنة: 322هـ، تحقيق: عبد المعطي قلنجي، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى سنة: 1984م.

المبارك⁽¹⁾. وقد أثر هذا الاحتياط في استنباط الأحكام حيث ترتب عليه الاختلاف في قبول بعض المرويات، ومن الأمثلة على ذلك: حديثرواه مالكٌ عن النَّقَّاءِ عَنده، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدِّه، أنَّ رسول الله . صلى الله عليه وسلم . نَهَى عن بَيْع العُرْيَانِ⁽²⁾

الاختلاف في تصحيح هذا الحديث: قَدْ اُخْتَلَفَ النَّقَّادُ فِي حُجِّيَةِ هَذَا الْحَدِيثِ إِلَى فَرِيقَيْنِ، فَرِيقٌ يَرَى: ضَعْفَ الْحَدِيثِ لِعَلِّ فِيهِ، وَفَرِيقٌ آخَرٌ يَخْتَجُّ بِهِ، وَيَدْفَعُ مَا يَسْتَوْجِبُ الضَّعْفَ، كَمَا يَلِي:
الفريق الأول وحجج الضعف:

منهم أحمدُ بنُ حنبلٍ، يقولُ بِضَعْفِ الْحَدِيثِ، وَعَدَمِ صِلَاحِيَّتِهِ لِإِحْتِجَاجِ بِهِ لِأَتِي:
1. في إسناده عمرو بن شعيب، وقد ضَعَّفَ بعضُ العُلَمَاءِ إسناده عن أبيه عن جدِّه؛ بسببِ أنَّ جدَّه مُحمداً لم يُدركِ النَّبِيَّ . صلى الله عليه وسلم . فَحَدِيثُهُ مُرْسَلٌ، وَالرِّوَايَةُ كَانَتْ مِنْ صَحِيفَةٍ وَجَدَهَا.

2. قولُ مالكٍ: (أَخْبَرَنِي النَّقَّاءُ) أَبَهُمْ مَنْ أَخْبَرَهُ، فَلَمْ يَذْكُرْ اسْمَهُ وَقَدْ وَثَّقَهُ، وَمِنْ الْقَوَاعِدِ: أَنَّ تَوْثِيقَ الْمُبْهَمِ لَا يُقْبَلُ؛ فَلَرُبَّمَا لَوْ ذَكَرَهُ مَا قُبِلَ تَوْثِيقُهُ لَهُ.⁽³⁾

3. تَبَيَّنَ أَنَّ الَّذِي أَخْبَرَهُ هُوَ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ لَهَيْعَةَ، وَهُوَ ضَعِيفٌ؛ لِإِحْتِلَاطِهِ عِنْدَ اخْتِرَاقِ كُتُبِهِ، سَنَةَ: سَبْعِينَ وَمِئَةً هـ؛ فَلَرَبَّمَا وَقَعَ فِي الْحَدِيثِ اضْطِرَابٌ.⁽⁴⁾

⁽¹⁾ ينظر: شرح سنن الترمذي 420/1.

⁽²⁾ أخرجه مالك في الموطأ (1781) كتاب البيوع باب ما جاء في بيع العريون 129/2.

⁽³⁾ ينظر: فتح المغيب بشرح ألفية الحديث 192/2.

⁽⁴⁾ ينظر: الجامع في العلل ومعرفة الرجال 67/2 لأحمد بن محمد بن حنبل المتوفى سنة: 241هـ، رواية: عبد الله وصالح

ابن أحمد بن حنبل، والمرزبي، والميموني، بعناية: محمد حسام بيضون، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت؛ الطبعة

الأولى 1410هـ. 1990م، ، وتهذيب الكمال 498/15.

4. عُرِضَ هذا الحديثُ بما يُوجِبُ الإِبَاحَةَ بما رُوِيَ عن زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ⁽¹⁾: ((أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . أَحَلَّ الْعُرْبَانَ فِي الْبَيْعِ)).⁽²⁾

الفريق الثاني وإجابته عن النقد:

جُمهُورُ الْعُلَمَاءِ، مِنْهُمْ: أَبُو حَنِيفَةَ، وَمَالِكٌ، وَالشَّافِعِيُّ، قَالُوا: بِصِحَّةِ الْحَدِيثِ، وَصَلَابَتِهِ لِلاِخْتِجَاجِ بِهِ، وَجَوَابِهِمْ عَلَى مَا تَقَدَّمَ مِنَ الْجَرَاحِ:

1. إسنَادُ عَمْرُو بْنِ شُعَيْبٍ بْنِ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ.

رَوَى عَنْ: سَالِمٍ مَوْلَى جَدِّهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرُو، وَأَبِيهِ شُعَيْبٍ بْنِ مُحَمَّدٍ، وَجُلِّ رِوَايَتُهُ عَنْهُ.

وَإِنْ اخْتَلَفَ فِي قَبُولِ هَذَا الْإِسْنَادِ، إِلَّا أَنَّ أَكْثَرَ الْعُلَمَاءِ عَلَى قَبُولِهِ وَالاِخْتِجَاجِ بِهِ؛ فَعَمْرُو سَمِعَ مِنْ أَبِيهِ شُعَيْبٍ، وَشُعَيْبٌ مِنْ مُحَمَّدٍ سَمِعَ مِنْ جَدِّهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرُو صَاحِبِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَالضَّمِيرُ فِي (جَدِّهِ) يَعُودُ عَلَى شُعَيْبٍ بْنِ مُحَمَّدٍ.

قال البخاري: ((رَأَيْتُ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ، وَعَلِيَّ ابْنَ الْمَدِينِيِّ⁽¹⁾، وَإِسْحَاقَ بْنَ رَاهَوِيَةَ، وَأَبَا عُبَيْدٍ⁽²⁾، وَعَامَّةَ أَصْحَابِنَا يَحْتَجُونَ بِحَدِيثِ عَمْرُو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، مَا تَرَكَه

⁽¹⁾ زيد بن أسلم القرشي العدوي أبو سلمة، ويقال: أبو عبد الله المدني، الفقيه مولى عمر بن الخطاب، ثقة عالم، روى عن: عائشة، وأنس بن مالك، وآخرين، وعنه روى: ابنه أسامة، ومالك، والزهري.

ينظر: تهذيب الكمال 12/10، وتقريب التهذيب 222.

⁽²⁾ أخرجه ابن أبي شيبة (23656) كتاب البيوع 304/7 الكتاب المصنف في الحديث والآثار لأبي بكر بن أبي شيبة عبد الله بن محمد العباسي المتوفى سنة: 235هـ، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى 1409هـ.

ينظر: تهذيب الكمال 12/10، وتقريب التهذيب 222.

أحد من المسلمين)) وقال مرّة: ((اجتمع عليّ، وابن معين⁽³⁾، وأحمد، وأبو خزيمة⁽⁴⁾، وشيوخ من أهل العلم، يتذكرون حديث عمرو بن شعيب، أثبتوه وذكروا أنه حجة⁽⁵⁾))

2. توثيق المُبهم:

الإبهام في الإسنادِ بِعَدَمِ ذِكْرِ اسْمِ الرَّوِي يُعَدُّ سَبَباً مِنْ أَسْبَابِ انْتِفَاءِ الْعَدَالَةِ؛ حَيْثُ إِنَّهُ لَا يُمَكِّنُ الْوُصُولَ إِلَى ضَبْطِ الرَّوِي وَلَا إِلَى عَدَالَتِهِ، وَإِذَا وَتَّقَّ الْمُبْهَمَ مَن رَوَى عَنْهُ فَإِنَّهُ لَا يُقْبَلُ مِنْهُ؛ خَشْيَةً مِنْ أَنَّهُ لَوْ ذَكَرَهُ لَوُجِدَ مِنَ الضُّعْفَاءِ، لِلاِطِّلَاعِ عَلَى جُرْحِ فِيهِ.

⁽¹⁾ علي بن عبد الله بن جعفر بن نجیح أبو الحسن ابن المدیني، بصري، ثقة ثبت إمام، أعلم أهل عصره بالحديث وعلمه؛ حتى قال البخاري: ما استصغرت نفسي إلا عند علي بن المدیني، وقال فيه شيخه ابن عيينة: كنت أتعلم منه أكثر مما يتعلم مني، وقال النسائي: كان الله خلقه للحديث. ينظر: الكاشف في معرفة من روية في الكتب الستة 41/2، وتقريب التهذيب 403.

⁽²⁾ القاسم بن سلام الهروي الأزدي الخراساني، الخراساني البغدادي، أبو عبيد، ولد وتعلم بهراة، وهو من كبار العلماء بالحديث والأدب والفقه، كان أبوه سلام مملوكاً رومياً لرجل هروزي.

سمّ: إسماعيل بن جعفر، وشريك بن عبد الله، وهشيم، وإسماعيل بن عياش، وسفيان بن عيينة، وعبد الله بن المبارك، وأخذ اللغة عن: أبي عبيدة، وغيره، وصنّف التّصانيف في اللغة والقراءات فسارت بها الرّكبان، توفي. رحمه الله. سنة: 224هـ. ينظر: سیر أعلام النبلاء 490/10، والبلغة في تراجم أئمة النحو واللغة 233 لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي المتوفى سنة: 817هـ، دار سعد الدين للطباعة والنشر؛ الطبعة الأولى 1421هـ. 2000م.

⁽³⁾ يحيى بن معين بن عون العطفاني أبو زكريا البغدادي، ثقة حافظ مشهور، إمام الجرح والتعديل، مات. رحمه الله. سنة: 233هـ بالمدينة النبوية، وله بضع وسبعون سنة. ينظر: الثقات للعجلي 475 تاريخ الثقات، لأبي الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي المتوفى سنة: 261هـ،

ورجال صحيح البخاري 2/799.

⁽⁴⁾ زهير بن حرب بن شداد الحرشي أبو خزيمة النسائي، نزيل بغداد، مولى بني الحريش بن كعب بن عامر بن صعصعة، وكان اسم جده أشتالا، فعرّب شداد، روى عن: أحمد بن إسحاق الحضرمي، وأبي الجواب الأوحص. قال أبو بكر الخطيب: كان ثقة، ثبّتا، حافظا، متقنا من رجال الصحيحين، مات. رحمه الله. سنة: أربع وثلاثين ومائتين هـ. ينظر: رجال صحيح البخاري 1/271، ورجال صحيح مسلم 1/223، تهذيب الكمال 9/402.

⁽⁵⁾ ينظر: التاريخ الكبير 343/6 لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري المتوفى سنة: 256هـ، دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد الدكن، وجامع التحصيل في أحكام المراسيل 196 لصالح الدين أبو سعيد بن خليل العلاني المتوفى سنة: 761هـ، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، عالم الكتب، بيروت؛ الطبعة الثالثة 1417هـ. 1997م، وتهذيب التهذيب 8/44.

والجواب: أن بعض العلماء استنتوا حالين يُقبلُ فيهما توثيقُ المُبهم، وهما:
الأول: لو كان الذي وثَّق المُبهم هو من الأئمة المُجتهدين، كالشافعي، ومالك، فإنه يُقبلُ في حقِّ مَنْ قَدَّده في أحكام الشريعة، فقبولُه الحكم على الراوي من بابِ أولى، وهو المختارُ عندَ المحققين، كما أنَّ مالكا لا يُحدِّثُ إلا عن ثقة⁽¹⁾.
الثاني: لو سُمِّي المُبهم من طريقٍ آخر، فيصيرُ معلوماً لِلتُّقَادِ، فيقبلُ إن تَحَقَّقَتْ فيه العَدَالَةُ والضَّبْطُ.⁽²⁾

وفي حديثِ النَّهْيِ عن بَيْعِ العُرْيَانِ، الذي وثَّق المُبهم هو مالكُ بنِ أنسٍ، وهو مِمَّن يُقبلُ منه ذلك في حقِّ مُقلِّديه.
وكذلك: عَلِمْنَا اسْمَ المُبهم وهو: عبدُ الله بنُ لهيعةَ، وقيل: عبدُ الله بنُ وهبٍ،⁽³⁾ عن ابنِ لهيعة.

⁽¹⁾ ينظر: التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح 143، والمنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي 64 ليدر الدين محمد بن إبراهيم ابن جماعة المتوفى سنة: 733هـ، تحقيق: محيي الدين عبد الرحمن رمضان، دار الفكر، دمشق؛ الطبعة الثانية 1406هـ . 1986م.

⁽²⁾ ينظر: تحرير علوم الحديث 324/1 لعلي بن يوسف الجديع، مؤسسة الريان للنشر والتوزيع بيروت، الطبعة الأولى سنة: 2003م.

⁽³⁾ عبد الله بن وهب بن مسلم القرشي، كان مُسلمَ جدُّه بربرياً، روى عن: مالك، والليث، وابن أبي ذئب، ويونس بن يزيد، والثوري، وابن عيينة، وآخرين، وروى مالك عنه، عن ابن لهيعة، ومن أروى الناس عنه أصبغ بن الفرج، وسحنون، صحب ابنُ وهب مالكاً عشرين سنة، وقال: لولا مالك والليث لضللت في العلم، وكان أصحاب مالك بالمدنية يختلفون في قول مالك بعد موته، فينتظرون قدوم ابن وهب، فيصدرون عن رأيه، وكانت وفاته بمصر سنة: سبع وتسعين ومئة هـ. ينظر: ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك 421/1: للقاضي أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي السبتي المتوفى سنة: 544هـ، تحقيق: أحمد بكير محمود . دار مكتبة الحياة، بيروت، دار مكتبة الفكر، طرابلس ليبيا.. وتهذيب التهذيب 12 / 330.

3. تضعيف ابن لهيعة لاختلاطه.

الجواب: إِنَّ مَنْ اخْتَلَطَ يُقْبَلُ مِنْ حَدِيثِهِ مَا كَانَ قَبْلَ الْاِخْتِلَاطِ، إِنْ كَانَ مُوثِقًا قَبْلَ اِخْتِلَاطِهِ.

وإن عبد الله بن لهيعة كان يُقبلُ حديثه قبل الاختلاط، قال أحمد بن حنبل: ((مَنْ كَانَ مِثْلَ ابْنِ لَهَيْعَةَ بِمِصْرَ؛ فِي كَثْرَةِ حَدِيثِهِ وَضَبْطِهِ وَإِتْقَانِهِ؟!))⁽¹⁾ وقال ابن حجر: صدوقٌ خَلَطَ بَعْدَ اخْتِرَاقِ كُتُبِهِ.

وبعد الاختلاط، صحَّح النَّفَادُ مَا رَوَاهُ عَنْهُ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ.⁽²⁾

4. معارضة الحديث بآخر: المعارضة بما رواه زيد بن أسلم: ((أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَحَلَّ الْعُرْبَانَ فِي الْبَيْعِ)). الجواب: هو حديثٌ مُرْسَلٌ لَا يُحْتَجُّ بِهِ، وَقَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ: ((هَذَا لَا يُعْرَفُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ وَجْهِ صَحِيحٍ))⁽³⁾ وبهذا الحديث لا يُعَارِضُ حَدِيثَ الْمُوطَّأ، قَالَ الزُّرْقَانِيُّ عَنِ حَدِيثِ النَّهْيِ: ((وَمَنْ قَالَ حَدِيثٌ مُنْقَطِعٌ أَوْ ضَعِيفٌ لَا يُنْتَفَتُ إِلَيْهِ))⁽⁴⁾

وفي عَوْنِ الْمَعْبُودِ: ((وَالأُولَى: مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْجُمْهُورُ؛ لِأَنَّ حَدِيثَ عَمْرٍو بْنِ شُعَيْبٍ قَدْ وَرَدَ مِنْ طُرُقٍ يُقَوِّي بَعْضُهَا بَعْضًا، وَلِأَنَّهُ يَنْتَضِمُّ الْحَظْرَ، وَهُوَ أَرْجَحُ مِنَ الْإِبَاحَةِ))⁽⁵⁾.

⁽¹⁾ تنكرة الحفاظ للذهبي 175/1.

⁽²⁾ ينظر: التمهيد لابن عبد البر 178/24، والمختلطين للعلائي 65، وتقريب التهذيب 319.

⁽³⁾ التمهيد لابن عبد البر 179/24.

⁽⁴⁾ شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك 3/250، وهو: محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن علوان الزرقاني المالكي، أبو عبد الله، مولده ووفاته بالقاهرة، ونسبته إلى زرقان بمصر، أخذ العلم عن: والده عبد الباقي الزرقاني، والأجهوري، والخرشي، وغيرهم، توفي. رحمه الله. سنة: 1122 هـ.

ينظر: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية 460/1، والأعلام للزركلي 6/184.

⁽⁵⁾ عون المعبود 291/9.

الخاتمة

الحمد لله الذي بفضلہ تتم الصالحات، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم، أما بعد:

فإن من خلال هذا البحث يتبين لنا أن العناية بدراسة المسائل التي تتعلق بالنصوص واستنباط الحكم منها أمر لا بد منه؛ لمعرفة ما يصلح للاستدلال من الأخبار، ولتكون للترجيح معايير منضبطة، وبه يدرك القارئ مدى عناية العلماء بالنصوص ودقة المنهجية في العلوم الإسلامية، ونسأل الله التوفيق والقبول، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المصادر والمراجع:

. الاستذكار: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البرّ المتوفى سنة: 463هـ، تعليق: سالم محمد عطا ومحمد علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت؛ الطبعة الأولى 1412هـ . 2000م.

. الإشراف على نكت مسائل الخلاف: أبو محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر البغدادي المتوفى سنة: 422هـ، تخريج: أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سليمان، دار ابن قتيبة ودار ابن عفان، الرياض؛ الطبعة الأولى 1429هـ . 2008م.

. الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار 15/1 لأبي بكر محمد بن موسى الحازمي المتوفى سنة: 584هـ، دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد الدكن، الطبعة الثانية 1359هـ. الإقناع في فقه الإمام أحمد بن حنبل: موسى بن أحمد بن سالم الحجوي المقدسي المتوفى سنة: 968هـ، دار المعرفة، بيروت.

. الإكمال في رفع الارياب عن المؤلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب: سعد الملك أبو نصر علي هبة الله بن جعفر بن ماكولا المتوفى سنة: 475هـ، دار الطنّب العلمية، بيروت.

- . الأم: أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي المتوفى سنة: 204هـ، تعليق: محمود مطرجي، دار الكتب العلمية، بيروت؛ الطبعة الأولى 1413هـ. 1993م.
- . الإيثار بمعرفة رواة الآثار: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى سنة: 852هـ، تحقيق: سيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى سنة: 852هـ، بيروت.
- . البحر الرائق: البحر الرائق شرح كنز الدقائق، زين الدين بن إبراهيم بن محمد بن نجيم المتوفى سنة: 970هـ، دار الكتاب الإسلامي.
- . البدر المنير: البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير، ابن الملقن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي الشافعي المتوفى سنة: 804هـ، تحقيق: مصطفى أبو الغيط وعبد الله بن سليمان وياسر كمال، دار الهجرة للنشر، الرياض؛ الطبعة الأولى 1425هـ. 2004م.
- . البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي المتوفى سنة: 817هـ، دار سعد الدين للطباعة والنشر؛ الطبعة الأولى 1421هـ. 2000م.
- . البيان و التَّحْصِيلِ والشرح والتوجيه والتعليل في مسائل المدونة: أبو الوليد بن رشد القرطبي المتوفى سنة: 520هـ، تحقيق: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت؛ الطبعة الثانية 1408هـ. 1988م.
- . التاريخ الكبير: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري المتوفى سنة: 256هـ، دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد الدكن.
- . التبصرة: أبو الحسن علي بن محمد اللخمي المتوفى سنة: 478هـ، تحقيق: أحمد بن عبد الكريم نجيب، مركز نجيبويه للمخطوطات وخدمة التراث؛ الطبعة الثانية 2012م.

- . التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح: زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي المتوفى سنة: 806هـ، تحقيق: عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر العربي.
- . التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد: أبو عمر يوسف بن عبد البر بن محمد بن عبد البر النمري الأندلسي المتوفى سنة: 463هـ.
- . الثقات للعجلي: تاريخ الثقات، أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن صالح العجلي المتوفى سنة: 261هـ.
- . الجامع الصحيح : أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري المتوفى سنة: 256هـ ، النسخة السلطانية مكتبة الطبري للنشر والتوزيع، القاهرة؛ الطبعة الأولى 1431هـ . 2010م.
- . الجامع الكبير: أبو عيسى محمد بن محمد بن عيسى الترمذي المتوفى سنة: 279هـ ، تحقيق: د بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت؛ الطبعة الثانية 1998م.
- . الجامع في العلل ومعرفة الرجال: أحمد بن محمد بن حنبل المتوفى سنة: 241هـ، رواية: عبد الله وصالح ابني أحمد بن حنبل، والمروزي، والميموني، بعناية: محمد حسام بيضون، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت؛ الطبعة الأولى 1410هـ. 1990م
- . الجرح والتعديل: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد التميمي بن أبي حاتم الرازي المتوفى سنة: 327هـ ، دار إحياء التراث، بيروت؛ الطبعة الأولى 1952م.
- . الجواهر النقي على سنن البيهقي: علاء الدين علي بن عثمان بن التركماني المتوفى سنة: 750هـ، دار الفكر.
- . الحاوي في فقه الإمام الشافعي: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي المتوفى سنة: 450هـ، دار الكتب العلمية.

- . الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: شهاب الدين أبو الفضل بن حجر العسقلاني المتوفى سنة: 852هـ، دائرة المعارف، الهند.
- . الدرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى سنة: 211هـ، تحقيق: محمد لطفي الصباغ، عمادة شؤون المكتبات الرياض.
- . الذخيرة للقرافي: شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي المتوفى سنة: 684هـ، تحقيق: محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت؛ الطبعة الأولى 1994م.
- . الشذا الفياح من علوم ابن الصلاح: إبراهيم بن موسى بن أيوب برهان الدين أبو إسحاق الإيناسي المتوفى سنة: 802هـ، تحقيق: صلاح فتحي هلال، مكتبة الرشد؛ الطبعة الأولى 1418هـ. 1998م.
- . الشرح الكبير لابن قدامة: الشرح الكبير على متن المقنع، عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن قدامة المقدسي الجماعلي الحنبلي أبو الفرج المتوفى سنة: 682هـ، دار الكتاب العربي للنشر والتوزيع.
- . الضعفاء الكبير: العقيلي أبو جعفر محمد بن عمر بن موسى العقيلي المتوفى سنة: 322هـ، تحقيق: عبد المعطي قلجعي، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى سنة: 1984م.
- . العدة في أصول الفقه: القاضي أبو يعلى محمد بن الحسين بن الفراء المتوفى سنة: 458هـ، تحقيق: أحمد بن علي المباركي الطبعة الثانية سنة: 1990م.
- . الفروق في اللغة: أبو هلال العسكري، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت؛ الطبعة الخامسة 1401هـ. 1981م.
- . القبس في شرح موطأ ابن أنس: أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي المتوفى سنة: 543هـ، تحقيق: أيمن نصر الأزهري وعلاء إبراهيم الأزهري، دار الكتب العلمية، بيروت؛ الطبعة الأولى 1419هـ. 1998م.

- . الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة/219 شمس الدين أبو عبد الله محمد قايماز الذهبي المتوفى سنة: 748هـ ، تحقيق: محمد عوامة أحمد ومحمد نمر الخطيب، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة؛ الطبعة الأولى 1413هـ . 1992م.
- . الكافي في فقه أهل المدينة: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر المتوفى سنة: 463هـ، تحقيق: محمد محمد أحمد، مكتبة الرياض الطبعة الثانية سنة: 1980م.
- . الكتاب المصنف في الحديث والآثار: أبو بكر بن أبي شيبه عبد الله بن محمد العبسي المتوفى سنة: 235هـ، تحقيق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى 1409هـ.
- . الكفاية في معرفة أصول علم الرواية: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، تحقيق: أبي إسحاق إبراهيم بن مصطفى الدمياطي، مكتبة ابن عباس، مصر؛ 2002م.
- . المحرر في الحديث: شمس الدين محمد بن أحمد الحنبلي المتوفى سنة: 744هـ، تحقيق: يوسف المرعشلي ومحمد سليم وجمال حمدي، دار المعرفة بيروت، الطبعة الثالثة سنة: 2000م.
- . المصنف: أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني المتوفى سنة: 211هـ، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المجلس العلمي، الهند؛ الطبعة الثانية 1403هـ.
- . المعين في طبقات المحدثين: شمس الدين أبو عبد الله محمد بن قايماز الذهبي المتوفى سنة: 748هـ، تحقيق: همام عبد الرحيم سعد، دار الفرقان، عمان.
- . المغني: عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي المتوفى سنة: 620هـ، عالم الكتب، بيروت.
- . المقدمات الممهدة: أبو الوليد محمد بن أحمد بن رشد القرطبي المتوفى سنة: 520هـ، تحقيق: محمد حجي دار الغرب الإسلامي، بيروت؛ الطبعة الأولى 1408هـ . 1988م.

- . المنتقى للباجي: أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد الباجي الأندلسي المتوفى سنة: 494هـ، مطبعة السعادة، مصر؛ الطبعة الأولى 1331هـ.
- . المنهل الروي في مختصر علوم الحديث النبوي: بدر الدين محمد بن إبراهيم ابن جماعة المتوفى سنة: 733هـ، تحقيق: محيي الدين عبد الرحمن رمضان، دار الفكر، دمشق؛ الطبعة الثانية 1406هـ . 1986م.
- . الموطأ: مالك بن أنس الأصبحي المتوفى سنة: 179هـ ، تحقيق: محمد الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان الخيرية أبو ظبي، الطبعة الأولى سنة: 2004م.
- . النكت على مقدمة ابن الصلاح للزركشي أبي عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله، المتوفى سنة: 794هـ ، تحقيق: زين الدين بن محمد بلا فريج، أضواء السلف الرياض، الطبعة الأولى سنة: 1998م.
- . الوافي بالوفيات: صلاح الدين خليل بن أبيك الصفدي المتوفى سنة: 764هـ، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث بيروت، سنة: 2000م.
- . بحر الدم فيمن تكلم فيه الإمام أحمد بمدح أو ذم ليوسف بن حسن بن أحمد بن عبد الهادي الحنبلي المتوفى سنة: 909هـ، تحقيق: روحية عبد الرحمن السويفي، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى سنة: 1992م.
- . بداية المجتهد: بداية المجتهد ونهاية المقتصد أبو الوليد محمد بن احمد بن محمد بن رشد القرطبي المتوفى سنة: 595هـ، دار الحديث، القاهرة.
- . تحرير علوم الحديث 324/1 لعلي بن يوسف الجديع، مؤسسة الريان للنشر والتوزيع بيروت، الطبعة الأولى سنة: 2003م.
- . تذكرة الحفاظ: شمس الدين أبو عبد الله محمد قايماز الذهبي المتوفى سنة: 748هـ، دار الكتب العلمية بيروت؛ الطبعة الأولى 1419هـ . 1998م.

- . ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك: القاضي أبو الفضل عياض
بن موسى اليحصبي السبتي المتوفى سنة: 544هـ، تحقيق: أحمد بكير محمود .
دار مكتبة الحياة، بيروت، دار مكتبة الفكر، طرابلس ليبيا.
- . تقريب التهذيب: أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن حجر المتوفى سنة 852هـ،
تحقيق: محمد عوامة، دار الرشد، سوريا؛ الطبعة الأولى 1406هـ . 1986م.
- . تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير: شهاب الدين أبو الفضل أحمد بن
علي بن محمد بن حجر المتوفى سنة 852هـ، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود،
و علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان؛ الطبعة الثانية 1427هـ
. 2006م.
- . تنقيح التحقيق في أحاديث التعليق: ابن عبد الهادي شمس الدين محمد بن أحمد الحنبلي
المتوفى سنة: 744هـ، تحقيق: سامي بن محمد وعبد العزيز بن ناصر، أضواء
السلف الرياض، الطبعة الأولى سنة: 2007م
- . تنقيح التحقيق في احاديث التعليق: الذهبي شمس الدين أبي عبد الله قايمار المتوفى
سنة: 748هـ ، تحقيق: مصطفى أبو الغيط.
- . تهذيب التهذيب 4/338 أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى سنة:
852هـ ،دار صادر، حيدر آباد الدكن؛ الطبعة الأولى.
- . تهذيب الكمال: تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، يوسف بن عبد الرحمن بن
يوسف أبو الحجاج المزني المتوفى سنة: 742هـ، تحقيق: بشار عواد معروف،
مؤسسة الرسالة، بيروت؛ الطبعة الأولى 1400هـ . 1980م.
- . توجيه النظر إلى أصول الأثر: طاهر بن صالح السمعوني الدمشقي المتوفى
سنة: 1338هـ، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية حلب،
الطبعة الأولى سنة: 1995م .

. جامع التحصيل في أحكام المراسيل: صلاح الدين أبو سعيد بن خليل العلاني المتوفى سنة: 761هـ، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفي، عالم الكتب، بيروت؛ الطبعة الثالثة 1417هـ . 1997م.

. رجال صحيح البخاري 1 / 354 المسمى الهداية والإرشاد في معرفة أهل الثقة والسادات الذين اخرج لهم البخاري في جامعه أبو نصر أحمد بن محمد بن الحسين البخاري الكلاباذي المتوفى سنة: 398هـ، تحقيق: عبد الله الليثي، دار المعرفة، بيروت؛ الطبعة الأولى 1987م.

. رجال صحيح مسلم: أحمد بن علي بن محمد بن منجويه المتوفى سنة: 428هـ، تحقيق: عبد الله الليثي، دار المعرفة، بيروت؛ الطبعة الأولى 1407هـ.

. سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام: الإمام محمد بن إسماعيل اليميني الصنعاني المتوفى سنة 1182هـ، تخريج: محمد عبد القادر أحمد عطا، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان؛ الطبعة الأولى 1419هـ . 1998م.

. سنن ابن ماجه: أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه المتوفى سنة 275هـ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية.

. سير أعلام النبلاء: شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي 748هـ ، تحقيق بإشراف: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت؛ الطبعة الثانية 2008م.

. شجرة النور الزكية في طبقات المالكية: محمد بن محمد بن عمر بن قاسم مخلوف المتوفى سنة: 1360هـ، تخريج: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية،

بيروت؛ الطبعة الأولى 2003م

. شرح التبصرة والتذكرة ألفية العراقي 1/290: زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي المتوفى سنة: 806هـ، تحقيق: عبد اللطيف الهميم وماهر ياسين، دار الكتب

العلمية بيروت الطبعة: 2002م

- . شرح الزرقاني على موطأ مالك: محمد الزرقاني، دار الجيل، بيروت.
- . شرح صحيح البخاري لابن بطلال: ابن بطلال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك المتوفى سنة: 449هـ، تحقيق: أبي تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض؛ الطبعة الثانية 1423هـ . 2003م.
- . شرح علل الترمذي 425/1 لزين الدين عبد الرحمن بن أحمد بن رجب البغدادي المتوفى سنة: 795هـ ، تحقيق: عبد الرحيم سعيد، مكتبة المنار الأردن الطبعة الأولى سنة: 1987م.
- . شرح معاني الآثار : أبو جعفر أحمد بن سلامة الطحاوي الحنفي المتوفى سنة: 321هـ، تحقيق: محمد زهري النجار ومحمد جاد الحق، عالم الكتب، بيروت؛ الطبعة الأولى 1414هـ . 1994م.
- . صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج أبو الحسن النيسابوري المتوفى سنة: 261هـ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- . صفة الصفوة 136/2 لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن محمد الجوزي المتوفى سنة: 597هـ.
- . طبقات الحفاظ: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي المتوفى سنة: 911هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
- . طبقات الفقهاء: أبو إسحاق الشيرازي الشافعي المتوفى سنة 476هـ، تحقيق: إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان؛ الطبعة الثانية 1981م.
- . علل الدار قطني أبي الحسن علي بن عمر بن أحمد المتوفى سنة: 385هـ، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله السلفي، دار طيبة الرياض، الطبعة الأولى سنة: 1985م.

- . فتح الباري بشرح صحيح البخاري: أحمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى سنة: 852هـ، تحقيق: محب الدين الخطيب، دار الريان للتراث، القاهرة؛ الطبعة الأولى 1407هـ. 1986م.
- . فتح المغيث بشرح ألفية الحديث: شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي الشافعي المتوفى سنة: 902هـ، تحقيق: عبد الكريم بن عبد الله الخضير، محمد بن عبد الله فهيد، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، الرياض؛ الطبعة الأولى 1426هـ.
- . فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشیخات والمسلسلات: محمد عبد الحي بن عبد الكبير الحسني الإدريسي عبد الحي الكتاني المتوفى سنة: 1382هـ، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت.
- . كتاب بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع: علاء الدين أبو بكر بن مسعود الكاساني الحنفي المتوفى سنة: 587هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
- . كتاب شرح حدود ابن عرفة: أبو عبد الله محمد الأنصاري الرصاع التونسي المتوفى سنة: 894هـ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.
- . لسان العرب: محمد بن مكرم بن علي بن منظور النصارى المتوفى سنة: 711هـ، صححه: أمين محمد عبد الوهاب ومحمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت؛ الطبعة الثالثة 1999م.
- . مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: نور الدين علي ابن أبي بكر الهيثمي المتوفى سنة: 807هـ، مؤسسة المعارف، بيروت؛ 1406هـ. 1986م.
- . مسند الإمام أحمد: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني المتوفى سنة: 241هـ، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرون، مؤسسة الرسالة؛ الطبعة الأولى 1421هـ. 2001م.

. مسند البزار: أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق المتوفى سنة: 292هـ، تحقيق: محفوظ زين الله وعادل بن سعد وصبري الشافعي، مكتبة العلوم والحكم المدينة المنورة، الطبعة الأولى سنة: 2009م.

. معجم المؤلفين: عمر بن رضا بن محمد كحالة الدمشقي المتوفى سنة: 1408هـ، مكتبة المثنى، بيروت.

. مفتاح الوصول إلى بناء الفروع على الأصول: أبو عبد الله محمد بن أحمد الحسيني التلمساني المتوفى سنة: 771هـ، تحقيق: محمد علي فركوس، مؤسسة الريان، بيروت؛ الطبعة الثانية 1424هـ . 2003م.

. نصب الرأية لأحاديث الهداية: جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف الزيلعي المتوفى سنة: 762هـ، دار الحديث، القاهرة

. نظم العقيان في أعيان الأعيان: عبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي المتوفى سنة: 911هـ، تحقيق: فيليب حتى، المكتبة العلمية بيروت.

منهج تصنيف العلوم في الفكر الإسلامي (الفارابي وابن سينا أنموذجًا)

د. فوزية محمد مراد

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد، مما لا شك فيه أن الفلاسفة المسلمين كانت لهم إسهامات فعّالة في مجال تصنيف العلوم، فقد قدموا للحضارة الإسلامية آراء وأفكار واضحة، وتركوا بصمات بارزة؛ فتصنيفات الكندي، والفارابي، وابن سينا، و التهانوي، وطاش كبرى زاده، إنما تدلنا على الثقافة الواسعة وغزارة الاطلاع سواء على الثقافات الدينية الإسلامية أو الثقافات الأجنبية، وهذا إن دل على شيء إنما يدل على عقلياتهم العلمية الدقيقة في هذا المجال، موضحين لنا أن الحضارة الإسلامية إنما تعتمد في جوانبها على العلوم بمختلف فروعها. ويظهر هذا الاهتمام واضحاً في بيان كل علم من العلوم على حدا وبيان منفعتة سواء كان علماً نظرياً أو علماً عملياً.

وسنشير في هذا البحث لشخصيتين في المشرق الإسلامي كانتا لهما دوراً بارزاً في مجال تصنيف العلوم هما (الفارابي، وابن سينا) و عرض أهم مؤلفاتهم التي كانوا من خلالها حريصين على المشاركة في هذا المجال من جانبهم.

وهنا يبرز السؤال الإشكالي: ما الرصيد أو القيمة المعرفية التي أضافها الفارابي

وابن سينا للفكر الإسلامي في مجال تصنيف العلوم ؟

أهمية الدراسة: تكمن أهمية الدراسة في الدور الذي لعبه الفلاسفة المسلمون، وعلى وجه التحديد (الفارابي وابن سينا) في الحفاظ على التراث الإنساني وذلك بإظهار جوانب الأصالة والابتكار للعقلية الإسلامية في مجال تصنيف العلوم.

هدف الدراسة: نهدف من خلال دراستنا لهذه المشكلة البحثية التي ابرزنا ملامحها في المقدمة بأن نوضح القيمة المعرفية التي قدمها الفارابي و ابن سينا للفكر الإسلامي في مجال تصنيف العلوم.

منهج الدراسة: بما أن طبيعة الموضوع تستلزم تناول التاريخي لما قدمه أهم الفلاسفة المسلمين في مجال تصنيف العلوم، و وصف آرائهم وتحليلها، وبيان الأفكار التي تحتويها، والمقارنة بينها للتعرف على مواطن التأثير والتأثر، ومواطن الاتفاق والاختلاف، فقد اعتمد البحث على المنهج التاريخي لتتبع نشأة هذه الأفكار والآراء.. وهذا لا يعنى عدم الاستعانة بمناهج (التحليل والمقارنة والاستقراء...الخ) كلما فرض الموضوع ذلك، وقد قُسم البحث بعد المقدمة إلى ثلاث مباحث بعد وخاتمة تضمنت ما توصل إليه البحث من أفكار ونتائج تخدم موضوع البحث. كانت على النحو التالي:

المبحث الأول: تعريف منهج التصنيف : أولاً- معنى التصنيف في اللغة

التصنيف في اللغة هو « تمييز الأشياء بعضها من بعض. وصنّف الشيء: ميّز

بعضه من بعض»⁽¹⁾ أو هو «صَنَّفَ الأشياءَ: جَعَلَهَا أَصْنَافًا وَالْكِتَابَ: أَلْفَهُ. (تَصَنَّفَتِ) الْأَشْيَاءُ: صَارَتْ أَصْنَافًا»⁽²⁾ ولابد من الإشارة هنا إلى أنه إذا وُجد فرق بين التأليف والتصنيف من الناحية اللغوية إلا إنهما من الناحية الفنية وجهين لعملة واحدة؛ ولهذا فالتصنيف أو التأليف هو «الذي يقوم على منهج محدد تدعمه أسس نظرية تصنيفية، ويتناول بالتصنيف موضوعًا علميًا محددًا»⁽³⁾.

ثانيًا - معنى التصنيف في الاصطلاح: يعرفه (جميل صليبا) قائلاً التصنيف هو «جعل الأشياء أصنافاً وضروباً على أساس يسهل معه تمييزها بعضها من بعض، أو تُرتب المعاني بحسب العلاقات التي تربطها بعضها ببعض»⁽⁴⁾ ويقصد بالتصنيف في علم المنطق «ترتيب التصورات بحسب مصادقاتها في سلم صاعد من الأفراد إلى الأنواع إلى الأجناس، فأجناس الأجناس حتى نصل إلى جنس أعلى هو جنس الأجناس، والتعريف يقتضي التصنيف ويشترط في التصنيف ثلاثة شروط لكي يكون صحيحاً فيجب أولاً أن يستنفذ كل التصورات الكلية التي يشتمل عليها التصور وأن يكون التشابه بين الأنواع الموجودة في مرتبة أكبر منه بين الأنواع الموجودة في مراتب مختلفة، وأن يكون أساس التصنيف واحداً طوال عملية

¹ - ابن منظور، لسان العرب، المجلد: الخامس، دار الحديث، القاهرة، ط: الأولى، 2003، ص 412.

² - مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، مطبعة وزارة التربية والتعليم، مصر، ط: بدون، 2004، ص 372.

³ - عصام الدين الزقناوي، مناهج التصنيف في الفلسفة الإسلامية، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، كلية دار العلوم، قسم الفلسفة الإسلامية، 2009، ص 83.

⁴ - جميل صليبا، المعجم الفلسفي، المجلد: الأول، دار الكتاب اللبناني والمصري، بيروت-القاهرة، ط: بدون، ت:

بدون، ص 279، 280.

التصنيف»⁽¹⁾ إذن التصنيف هو « تقسيم الأشياء أو المعاني وترتيبها في نظام خاص وعلى أساس معين بحيث تبدو صلة بعضها ببعض. ومنه تصنيف الكائنات و تصنيف العلوم . والتصنيف الحقيقي ما قام على أساس من المميزات الذاتية والثابتة، والتحكمي ما بني على أمور اعتبارية، وظاهرية، ويمكن القول: بأن التصنيف عملية تنظيم المعارف والعلوم في صورة منظمة مكتوبة، ويعني التصنيف اتباع مبدأ ما في ترتيب المادة العلمية، ومراعاة قاعدة معينة في تصنيفها»⁽²⁾.

يتضح من التعريفات السابقة أن التصنيف هو عبارة عن ترتيب وتنظيم العلوم والمعارف الإنسانية وجعلها في مجموعات أو أصناف بواسطة منهج علمي يهدف إلى نقل وتعريف هذه العلوم للأخرين بصورة مبسطة وواضحة وصحيحة .

ويتمثل تصنيف العلوم في العلاقة المتبادلة بين العلوم، والمكانة التي تحتلها هذه العلوم في النسق المعرفي الذي يحدد المبادئ الأساسية التي تعكس صفات الموضوعات التي تدرسها العلوم، ويدرس كذلك الصلة بين هذه الموضوعات؛ ويمكن أن تكون هذه المبادئ موضوعية متفقة مع موضوع العلوم أو ذاتية تخدم حاجات الإنسان الحياتية، فتصنيف العلوم هو القدرة على ترتيب وتنظيم العلوم بصورة دقيقة لمن حصل له التعرف على جميع مسائل ومباحث ونتائج هذه العلوم التي انتجها منهج البحث العلمي في ضوء خطة منظمة تقسم مسائل ذلك العلم بحيث تظهر هذه المسائل على أساس مترابط بعضه ببعض، ويمكن نقل هذا

¹ - عبد المنعم الحفني، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط: الثالثة، 2000، ص197، 196.

² - عصام الدين الزفتاوي، مرجع سبق ذكره، ص82.

التصنيف للأخرين بصورة صحيحة وواضحة، صفوة القول: إن التصنيف هو عبارة عن نشاط منهجي يسير على خطة معينة يهدف المصنف من ورائها ترتيب المعلومات والمعرفة التي يمتلكها لكي يوصلها للغير.

المبحث الثاني:

أهمية منهج تصنيف العلوم وعلاقته بالتقدم الحضاري

أولاً- **منهج التصنيف والتقدم الحضاري:** لتصنيف العلوم أهمية كبيرة في منهج الفلاسفة المسلمين، فإذا رجعنا إلى المؤلفات التي تركوها لنا وجدنا اهتماماً بارزاً منهم بهذا المجال، حيث اهتموا بتصنيف وترتيب وعلاقة العلوم بعضها ببعض، وبيان مكانة كل علم من هذه العلوم؛ وهذا إن دل على شيء إنما يدل على اهتمامهم بالمنهج العلمي و« حرصهم على إحياء الحركة العلمية وعدم الإسراف في الاهتمام بعلم من العلوم على حساب العلوم الأخرى»⁽¹⁾.

ويمكن القول بأن ما يميز تصنيف الفلاسفة المسلمين عن غيره من التصنيفات هو الروح الدينية الإسلامية؛ فهي مصادر داخلية صرفة وليست مصادر خارجية يونانية. فقد بنوا « تقسيمات خاصة بهم لترتيب العلوم والمعارف بحيث تناسب طبيعة علومهم، وتختلف كلياً عما ابتدعه سابقوهم من الأمم. ثم أن هناك مفهوماً أساسياً تكوّن عبر القرون بالنسبة إلى التصنيف العربي الإسلامي، وهو وحدة العلوم والمعارف الإنسانية. وهذا ما يتأكد من خلال التحليل

¹ - عاطف العراقي، الفلسفة العربية والطريق إلى المستقبل، دار الرشاد، القاهرة، ط: الثانية، 1999، ص 135

الأبستمولوجي للتصنيف، إذا نظر إليه بمنظور معرفي يبحث في أصول المادة المعرفية، كما يبحث في الأدوات المنهجية التي تناولتها»⁽¹⁾. ومن الجدير ذكره إن إسهامات المسلمين في مجال تصنيف العلوم ما زال أثرها إلى يومنا هذا؛ لقد أثرت هذه التصنيفات في العديد من المفكرين الغربيين في عصر النهضة والعصر الحديث؛ فكتب ورسائل الكندي والفارابي وابن سينا وغيرهم من الفلاسفة المسلمين قد استفادوا منها مفكرو الغرب حق استفادة؛ فالفارابي مثلاً كان له تأثير كبير على مفكري الغرب، فحاول العديد من الباحثين إثبات ذلك من خلال أثر كتابه (إحصاء العلوم) على المستشرق الإسباني (جنديسالينوس) في كتابه (تقسيم الفلسفة) وأثره على روجر بيكون في القرن الثالث عشر، وقد «استمر هذا الأثر وهذا الاهتمام حتى عصرنا الحالي وليس أدل على أهمية الكتاب من وجود أكثر من ترجمة له إلى العديد من اللغات الأخرى»⁽²⁾ بناء على ذلك يمكن القول بأن تصنيفات الفلاسفة المسلمين تركت بصمات واضحة لا يمكن لأي باحث أو مفكر يريد البحث في منهج تصنيف العلوم أن يغض الطرف عنها؛ فكتابتهم تعتبر رائدة في هذا المجال ولا يمكن الاستغناء عنها.

ثانياً - أهمية منهج التصنيف عند الفلاسفة المسلمين

تكمن أهمية تصنيف العلوم في عدّة نقاط لعل من أهمها ما يأتي:

¹ - طاهر بن علي، منهج ترتيب العلوم عند مفكري الإسلام (توصيف عام)، مجلة الواحات للبحوث والدراسات،

الجزائر، العدد(5)، 2009، ص243.

² - عاطف العراقي، مرجع سبق ذكره، ص151.

1- يضع لنا الإطار الكلي لتصور واحد عن العلوم والمعرفة بشكل عام؛ مبيّنًا أشكال، وفروع، وعناصر هذه العلوم والمعارف، ويبين لنا كذلك منزلة كل علم عن العلوم الأخرى، ومرتبته، وغايته، وكل هذا له أثرًا كبيرًا « في إطار المعرفة العام، لا سيما من حيث أوجه التخصص في بعض الفروع دون البعض الآخر، كما هو واضح تمامًا في العلم الحديث»⁽¹⁾ 2- يسهم تصنيف العلوم في التخطيط الجيد « لدوائر المعارف الكبرى، التي تعتبر شاملة لثقافة العصر وعلومه»⁽²⁾.

3: تعتبر التصنيفات الإسلامية مختلفة عن باقي التصنيفات الأخرى؛ لأنها قامت على رؤية فلسفية لطبيعة العلم، وموضوعه، وغاياته استنادًا إلى الفهم الإسلامي الصحيح الذي يقوم على وحدة العقل الإنساني، واجتماع أو تضافر جميع ملكاته من أجل تحليل المعرفة، والاستفادة منها ولهذا فهي « تضيء فهمنا للعقل الإسلامي، وتبصرنا بكيفية عمله الحقيقي»⁽³⁾

3: من المؤكد أن تصنيف المعارف يرتبط بالمنهج العلمي، ويرجع هذا إلى :
« أن الغاية من تصنيف العلوم هي بيان حدودها، والعلاقات القائمة بينها كما

1 - عباس محمد حسن سليمان، تصنيف العلوم بين نصير الدين الطوسي وناصر الدين البيضاوي، دار النهضة العربية، بيروت، ط: الأولى، 1996. ص5.

2 - حامد طاهر، نظرية تصنيف العلوم عند الفارابي، حولية كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، القاهرة، العدد (9) ، 1991، ص385.

3 - عباس محمد حسن سليمان ، مرجع سبق ذكره، ص5.

أن أعظم ميزة للتصنيف هي أن يضفي دقة على المصطلحات الفنية في العلوم»⁽¹⁾.

5- إن تصنيف العلوم يساعد طلبة العلم ومحبي المعرفة في « كيفية التعرف الصحيح على موضوع العلم الذي يريدون أن يتعلموه، ومكّنهم من أن يوازنوا بين العلوم ليعرفوا أفضلها، وأوثقها، وأتقنها. كما ساعد على تشييد أسس متينة لمواصلة البحث العلمي والتأمل، واستمرار تحصيل المعارف الجديدة. مما ساعد على ازدهار الحضارة الإسلامية وتقدمها»⁽²⁾.

6- يساعد تصنيف العلوم « على إنجاح نظام المكتبات، وترتيب فروع المعرفة التي تشتمل عليها لتسهيل الإفادة منها »⁽³⁾.

8- يقدم مجال التصنيف تعريفاً لمختلف العلوم والمعارف وأنواعها وهذا ما يؤثر بشكل إيجابي في توسيع أفاق المعرفة الإنسانية .

المبحث الثالث: تصنيف العلوم عند الفارابي وابن سينا

أولاً- تصنيف العلوم عند الفارابي: يعتبر الفارابي من أهم الفلاسفة المسلمين الذين اهتموا بتصنيف العلوم وإحصائها، وقد أفرد لها كتاباً خاصاً هو كتاب (إحصاء

1 - عبد اللطيف العبد، دراسات في الفكر الإسلامي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط:بدون، 1977، ص191.

2 - عباس محمد حسن سليمان، مرجع سبق ذكره، ص20.

3 - حامد طاهر، مرجع سبق ذكره، ص385.

العلوم) الذي يدل على مدى « تمكنه من مختلف فروع المعرفة السائدة في عصره فقد عرض كل فرع من هذه الفروع عرض الخبير بحقائقه الملم بما وصل إليه الباحثون في مختلف مسائله»⁽¹⁾ وجميع الفلاسفة من بعده قد تأثروا به سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة؛ فالفارابي قد وضع « نظامًا دقيقًا للتمييز بين كل علم والآخر من جهة، ومحاولة بيان الخصائص المشتركة التي تجمع مجموعة من العلوم في إطار واحد من جهة أخرى، بالإضافة إلى تفرقة بين العلوم النظرية والعلوم العلمية وتعرضه للبحث في علوم تعد وليدة أو معبرة عن الحضارة الإسلامية كعلم الفقه وعلم الكلام»⁽²⁾. فكيف صنف الفارابي العلوم؟ وما أهمية تصنيفها عنده؟

إن الفارابي في تصنيفه للعلوم و إحصائه لها يحاول طرح المفاهيم الأساسية لتقسيمها، كما حاول أن يبين الإشكالات التي تأسست عليها نظريته؛ وهذا إن دل على شيء إنما يدل على الخبرة المعرفية للفارابي؛ إذ أن المعارف لها قيمتها الخاصة كما لها مكانتها التاريخية التأسيسية.

ويمكن القول عن هذا العمل المعرفي الذي قام به الفارابي إنه (نظرية) لأن هذا التصنيف ضم جانبيين أساسيين هما الجانب النظري، والجانب التطبيقي؛ وقد تمثل

1- الفارابي، آراء أهل المدينة الفاصلة، ت: على عبد الواحد وافي، نهضة مصر، القاهرة، ط: بدون، ت: بدون، ص17.

2- عاطف العراقي، مرجع سبق ذكره، ص150.

الجانب النظري في كتابه (تحصيل السعادة) الذي قسم فيه العلوم إلى قسمين وذلك استناداً لطبيعة موضوعاتها، وعلاقتها بأفعال الإنسان وهما: « علوم أول وعلوم تحصل عليها بالفحص والاستنباط، أو بالتعلم والتعليم. والعلوم الأول هي المقدمات الأول للعلوم، إذ لكل علم مقدمات أو مبادئ ينطلق منها أو ينبني عليها وهي تشكل مبادئ التعليم فيها، ومبادئ التعليم هي مبادئ الوجود، ومبادئ الوجود أربعة هي المادة والصورة والفاعل والغاية. أما العلوم المكتسبة بالفحص والاستنباط أو بالتعلم والتعليم فهي علم التعاليم والعلم الطبيعي والعلم الإلهي والعلم المدني» (1).

يسعى الفارابي في الجانب النظري إلى التطبيق العملي لنظريته في تقسيم العلوم؛ والذي تمثل في تقسيمه للعلوم إلى قسمين كبيرين هما: العلوم النظرية و العلوم العملية والفلسفة المدنية. أما الجانب التطبيقي فقد تجسد في كتابه (إحصاء العلوم) الذي يقول في مقدمته إن الهدف الرئيس من هذا التصنيف هو « أن نُحصي العلوم المشهورة علماً علماً ونعرف جُمل ما يشتمل عليه كل واحد منها، وأجزاء كل ما له منها أجزاء، وجمل ما في كل واحد من أجزائه، ونجعله في خمسة فصول: الأول في علم اللسان وأجزائه، والثاني في علم المنطق وأجزائه، والثالث في علوم التعاليم... والرابع في العلم الطبيعي وأجزائه وفي العلم الإلهي وأجزائه، والخامس في العلم المدني وأجزائه وفي علم الفقه وعلم الكلام» (2) حاول الفارابي في كتابه

1- الفارابي، تحصيل السعادة، قدمه: علي بو ملحم، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط: الأولى، 1995، ص8.

2- الفارابي، إحصاء العلوم، مركز الإنماء العربي، بيروت، ط: بدون، 1991، ص7.

(إحصاء العلوم) توضيح كل علم على حدا، وأجزاء أو فروع هذه العلم، وفضيله ومنافع كل علم من هذه العلوم. وبناء على هذا التقسيم يكون الإنسان على اطلاع ومعرفة وبصيرة بالعلوم أيها أفضل وأتقن وأقوى، وأيها وأوهن وأضعف. وسعي أيضاً إلى توضيح الفوائد المنهجية من وراء هذا التصنيف؛ فهو في نظره يساعدنا في معرفة كل علم من العلوم « وما لكل علم من أجزاء وجملة كل جزء -على تبلور منهج التصنيف في أي علم منها، بمعرفة موضع العلم المراد من خريطة العلوم، ومعرفة خريطة الفارابي المقترحة لأجزاء هذا العلم، وجملة كل جزء بما يمكن معه من تعديله بالإضافة والحذف، بحيث يأتي العمل شاملاً ومحيطاً بأجزاء العلم وجملتها»⁽¹⁾ إذن قسم الفارابي إحصاء العلوم إلى خمسة فصول تحتوى على ثمانية علوم أساسية ويعتبر بذلك أول من « وضع نواة لتصنيف العلوم بين المسلمين في عصره»⁽²⁾ وهذه التقسيمات جاءت على النحو التالي:

1- علم اللسان: نلاحظ أن الفارابي في كتابه "إحصاء العلوم" يخصص فصلاً كاملاً للحديث عن علوم اللسان، وهي العلوم الخاصة باللغة مثل: اللغة، والنحو، والصرف، والشعر، والكتابة، والقراءة، ويرى أن هذه العلوم تعتبر معدة « إما ليحاط بها ما هو من تلك الصناعة لئلا يدخل فيها ما ليس منها أو يشذ عنها ما هو

¹ - عصام الزفتاوي، مرجع سبق ذكره، 233ص

² - محمد عبد الرحمن مرحبا، من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية، المجلد: الثاني، دار عويدات، بيروت، ط: الأولى، 2000، ص381 .

منها، وإما ليمتحن بها ما لا يؤمن أن يكون قد غلط فيه غلط، وإما ليس بها تعلم ما تحتوي عليه الصناعة وحفظها»⁽¹⁾ يعتبر علم اللسان من أهم العلوم المستخدمة لتصحيح ألفاظ وتقويم العبارات، بل إنه لا يمكن الاستغناء عنه في دراسة المنطق وبيحث هذا العلم أيضاً في الألفاظ من حيث دلالتها، وفي قوانين تلك الألفاظ.

2- علم المنطق:

يبحث هذا العلم في المقولات، والعبارة، والقياس، والبرهان، والجدل، والحكمة، والخطابة، والشعر. وقد أعطى الفارابي للمنطق مكانة بارزة في تصنيفه و أعلي من شأنه، وقدمه على سائر العلوم النظرية والعلوم العملية، وقد لا نجد « فيلسوفاً من فلاسفة المسلمين اهتم بالمنطق قدر اهتمام الفارابي، أو على الأقل كان فلاسفة الإسلام الذين عاشوا بعده متأثرين بكتاباته في مجال المنطق ومستفيدين منها إلى أقصى درجة »⁽²⁾. ويؤكد الفارابي على ضرورة مراعاة قوانين المنطق لأنها تعصمنا من الوقوع في الخطأ، فالمنطق يعتبر في نظره أهم العلوم.

¹ - الفارابي، إحصاء العلوم، مصدر سبق ذكره، ص9.

² - عاطف العراقي، مرجع سبق ذكره، ص146، 147.

يقول الفارابي إن صناعة المنطق « تعطي بالجملة القوانين التي شأنها أن تقوم العقل وتسدّد الإنسان نحو طريق الصواب ونحو الحق في كل ما يمكن أن يغلط فيه من المعقولات ، والقوانين التي تحفظه وتحوطه من الخطأ والزلل»⁽¹⁾ .

3- علم التعاليم⁽²⁾:: قول الفارابي بخصوص هذا العلم إنه « أول أجناس الموجودات التي ينظر فيها ما كان أسهل على الإنسان وأحرى أن لا تقع فيه حيرة واضطراب الذهن؛ وهو الأعداد والأعظام. والعلم المشتمل على جنس الأعداد والأعظام هو علم التعاليم»⁽³⁾، يقسم الفارابي علم التعاليم إلى سبعة أجزاء عظمى هي: علم العدد، وعلم الهندسة، وعلم المناظر "البصريّات"، وعلم النجوم بقسميه "أحكام النجوم" أي التنجيم، وعلم النجوم التعليمي أي علم الفلك، وعلم الموسيقى، وعلم الأثقال، وعلم الحيل (الميكانيك) بفروعه التي منها الحيل العددية كالجبر، والحيل الهندسية كصناعة البناء، والحيل المناظرية كصناعة المرايا وخصائصها.

4- العلم الطبيعي: يقول الفارابي ينظر العلم الطبيعي « في الأجسام الطبيعية وفي الأغراض التي قوامها في هذه الأجسام، ويعرف الأشياء التي عنها والتي بها

¹ - الفارابي، إحصاء العلوم، مصدر سبق ذكره، ص 13.

² - علم التعاليم «التعاليم ترجمة كلمة (ماتيماتيك)نسبة إلى (ماتهما) في اليونانية ومعناها التعليم أصلاً) وقد كانت تسمى الرياضيات عند مفكري العرب ب(علوم التعاليم) « لمعرفة المزيد: ينظر: محمد عبد الرحمن مرحبا، مرجع سبق ذكره، ص 382.

³ - الفارابي، تحصيل السعادة، مصدر سبق ذكره، ص 35.

والتي لها توجد هذه الأجسام والأعراض التي قوامها فيها»⁽¹⁾ يهتم هذا العلم بدراسة الأجسام الطبيعية البسيطة، والمركبة من الاسطقات وأعراضها، وكونها، وفسادها وما تشترك فيه كلها كما ينشأ في الأجسام الصناعية، والأجسام المعدنية، والنبات، والحيوان، والنفس (أو قوى النفس).

5- العلم الإلهي: يقول الفارابي يختص العلم الإلهي أولاً بفحص «الموجودات والأشياء التي تعرض لها بما هي موجودات... الثاني: يفحص فيه عن مبادئ البراهين في العلوم النظرية الجزئية، وهي التي يفرد كل علم منها بالنظر في موجود خاص... والجزء الثالث: يفحص فيه عن الموجودات التي ليست بأجسام ولا في أجسام»⁽²⁾ ينقسم هذا العلم عند الفارابي إلى ثلاثة أقسام: الأول: يركز على الموجودات بما هي موجودات، أما القسم الثاني فيختص بالبرهنة على العلوم الجزئية، والثالث: يبحث عن الموجودات التي لا يمكن أن تكون أجساماً ولا توجد في أجسام. ومن ضمن اهتمامات الفارابي بهذا العلم اهتمامه بالبرهنة على وجود الله. وهنا قد برزت الثقافة الدينية الإسلامية؛ لأنه يُعد فيلسوفاً من فلاسفة الإسلام أولاً وقبل كل شيء.

6- العلم المدني:

¹ - الفارابي، إحصاء العلوم، مصدر سبق ذكره، ص32.

² - الفارابي، إحصاء العلوم، مصدر سبق ذكره ، ص36.

يعرف الفارابي العلم المدني قائلاً « هو علم الأشياء التي بها أهل المدن بالاجتماع ينال السعادة كل واحد بمقدار ما له أُعد بالفطرة»⁽¹⁾. ويضم هذا العلم الأخلاق والسياسة؛ وتُعد الأخلاق في نظر الفارابي « جزء أو قسمًا من العلم المدني يهتم بتعريف السعادة، وإحصاء الأفعال، والسير، والأخلاق، وتميز الفاضل منها، وغير الفاضل»⁽²⁾ أما علم السياسة فيهتم بجوانب كثيرة منها « بيان الشروط التي ينبغي أن تتوفر في المدن والدول لكي تكون دولاً فاضلة وبحيث تستمر في البقاء، كما بين الفرق بين المدن الفاضلة، والمدن غير الفاضلة»⁽³⁾.

يتبين لنا من هذه النصوص أن العلم المدني يختص بالبحث عن أصناف الأفعال، والسنن الإرادية، وعن الملكات، والأخلاق، والسجايا، والشيم التي عنها إنما تكون تلك الأفعال، وعن الغايات التي لأجلها إنما تفعل، وكيف ينبغي أن تكون موجودة في الإنسان، ويميز بين الغايات التي لأجلها إنما تفعل الأفعال وتُستعمل السنن ولهذا العلم جزآن: جزء يشتمل على تعريف السعادة، وتمييز ما بين الحقيقي منها، والمظنون به، وهي احصاء الأفعال، والشيم الإرادية الكلية، وجزء يشتمل على وجه ترتيب الشيم، والسير، والأفعال الفاضلة في المدن والأمم.

¹ - الفارابي، تحصيل السعادة، مرجع سبق ذكره، ص46.

² - عاطف العراقي، مرجع سبق ذكره، ص148.

³ - عاطف العراقي، مرجع سبق ذكره ، ص148.

إذن موضوع هذا العلم هو « الفحص عن الغاية في وجود الإنسان وهي الكمال. ثم الفحص عن الوسائل التي ينال به ذلك الكمال وهي الخيرات والفضائل»⁽¹⁾

7- علم الفقه: أما بالنسبة لعلم الفقه فهو في نظر الفارابي علم « يقتدر الإنسان على أن يستنبط تقدير شيء مما لم يصرح واطع الشريعة بتحديدته على الأشياء التي صرح فيها بالتحديد والتقدير»⁽²⁾ ويعتبر هذا العلم وما به يستنبط تقدير حكم شيء مما لم يصرح به واطع الشريعة بقياسه على الأشياء التي صرح فيها بالتحديد والتقدير، وأن يتحرى تصحيح ذلك حسب غرض واطع الشريعة.

8- علم الكلام: هو علم من ضمن العلوم العملية لا العلوم النظرية؛ و يعرفه الفارابي قائلاً هو « ملكة يقتدر بها الإنسان على نصره الآراء والأفعال المحدودة التي صرح بها واطع الملة وترتيب كل ما خالفها بالأقويل، ويهتم هذا العلم بالدفاع عن الآراء والأفعال المتعلقة بالدين الإسلامي وتكذيب كل من يخالف هذه الآراء والأفعال، وينقسم هذا العلم في نظر الفارابي إلى قسمين؛ قسم يتعلق بالآراء الإلهية، والقسم الآخر يتعلق بالأفعال الإلهية. وتكذيب كل من يخالف هذه الآراء والأفعال.

أهمية تصنيف العلوم عند الفارابي

¹ - الفارابي، تحصيل السعادة، مصدر سبق ذكره، ص46.

² - الفارابي، إحصاء العلوم، مصدر سبق ذكره، ص40.

إن إحساس الفارابي بجدة هذا التصنيف وأهميته هو الذي جعله يفيض في بيان منافعه، وقد عدد لذلك وجوهاً خمسة هي : **الوجه الأول**: يعتبر تصنيف العلوم ضروريًا لمن أراد التعرف أو تعلم أي علم من العلوم، ويعد خير ممثل لتوضيح الفائدة المرجوة من تعليمه أو تحصيله؛ إذ أنه بمثابة الخارطة المعرفية المتكاملة التي تبين للقارئ أو المتعلم حدود هذا العلم، ومضمونه أو موضوعه، ومزايا هذا العلم وعيوبه، يقول الفارابي بهذا الخصوص إذا أراد الإنسان أن « يتعلم علمًا من هذه العلوم و يُنظر فيه، علم على ماذا يقدم، وفي ماذا ينظر، وأي شيء سيفيد بنظره، وما غناء ذلك، وأي فضيلة تنال به، ليكون لإقدامه على ما يقدم عليه من العلوم على معرفة وبصيرة، لا على عمى وغرر»⁽¹⁾.

الوجه الثاني: يُعد تصنيف العلوم بمثابة لوحة فنية متكاملة الألوان تضم جميع أنواع العلوم؛ تمكن طالب العلم أن يقارن كل علم بالآخر حتى تتضح له قيمة كل علم من بين العلوم وهذه المقارنة هي التي توضح العيوب والمميزات لكل علم من العلوم، ويقول الفارابي « يقدر الإنسان على أن يقايس بين العلوم، فيعلم أيها أفضل، وأيها أنفع، وأيها أتقن وأوثق وأقوى، وأيها أوهن وأوهي وأضعف»⁽²⁾.

¹ - الفارابي، إحصاء العلوم، مصدر سبق ذكره، ص7.

² - الفارابي، إحصاء العلوم، مصدر سبق ذكره ، ص7.

الوجه الثالث: يوضح الفارابي أنه عن طريق التصنيف نحدد أوثق المشتغلين بهذا العلم، ونتعرف على مقدار الشمول لكل واحد منهم بدرجة هذا العلم دون غيره.

فيقول الفارابي وينتفع به أيضًا في « تكشف من ادعى البصر بعلم من هذه العلوم، ولم يكن كذلك: فإنه إذا طُلب بالإخبار عن جملة ما فيه، وبإحصاء أجزائه. وبحمل ما في كل جزء منه، فلم يضطلع به تبين كذب دعواه، وتكشف تمويهه»⁽¹⁾.

الوجه الرابع: عن طريق التصنيف يمكن أن نستنتج أفضل العلوم و أحسنها؛ ونتعرف على أجزاء كل علم من هذه العلوم وبيبين ذلك قائلًا « فيمن يحسن علمًا منها هل يحسن جميعه أو بعض أجزائه وكم مقدار ما يحسنه»⁽²⁾ أي أن الاختبار إذا كان في الوجه الثالث كمياً يقيس المقدار، فهو هنا كفي، يتعلق بمدى الإجابة فيما حصله العالم من علم.

الوجه الخامس: يشير الفارابي إلى صنفين يمكن أن ينتفعا بتصنيف العلوم أو إحصائها وهما: 1- « المتأدب المتقن الذي قصده أن يشدو جمل ما في كل علم»⁽³⁾ و يمكن القول بأن الصنف الأول يسعى إلى تحصيل المعرفة ويحاول الإلمام

1 - المصدر نفسه، ص7.

2 - المصدر نفسه ، ص7.

3 - المصدر نفسه ، ص7.

بجميع جوانبها الرئيسية، وهو ما انطبق عليه اسم (المتقف) ويقابله (اسم الأديب) على اعتبار أن الأدب هو الأخذ من كل فن بطرف.

2- « ومن أحب أن ينتسبه بأهل العلم ليظن به أنه منهم»⁽¹⁾ ، أما الصنف الثاني فيقصد الفارابي هنا (أدعياء العلم) أي الذين يدعون العلم وهم في حقيقة الأمر ليسوا بعلماء.

صفوة القول: انطلق الفارابي في محاولته التي قدمها في تصنيف العلوم وإحصائها من إدراكه لأهمية التصنيف وصلته الوثيقة بالمنهج العلمي، فالبعض يرى إنها ترقى لدرجة نظرية؛ وذلك استناداً لاحتوائها على الجانبين: النظري والتطبيقي كما أشرنا، ونلاحظ في تصنيفه ليس مقتصرًا على العلوم الفلسفية فقط، وإنما ضم جميع معارف عصره سواء اللغوية أو الشرعية، فالطابع العام لفلسفته هو الطابع الشامل إذ لا يخلو باب واحد من اهتمامه بشتى العلوم والمعارف المتصلة بالله والعالم و الإنسان، وكل ما يتعلق به.

لهذا يُعد تصنيف الفارابي ذو قيمة معرفية جمة فهو يدل على ثقافته الغزيرة التي عبرت عن ثمرة اطلاعه على التراث اليوناني وبالأخص الأرسطي وطابعه الإسلامي الذي يدين به؛ ومن المؤكد أن الإنتاج الفكري يمثل رافدًا للمعرفة والعلم،

¹ الفارابي، إحصاء العلوم، مصدر سبق ذكره ، ص7.

وقد بينه الفارابي في (إحصاء العلوم) وهو بمثابة مفخرة للتراث الإسلامي في مجال التصنيف؛ إذ أنه يعتبر وثيقة معرفية قيمة عبرت عن روح ذلك العصر، وقد نقل هذا الكتاب وترجم إلى أكثر من لغة وأصبحت له شهرة بالغة وأهمية كبيرة.

ثانياً-تصنيف العلوم عند ابن سينا

على الرغم من التوسع المعرفي لابن سينا إلا أنه لم يخرج عن منحنى أستاذه الفارابي في مجال تصنيف العلوم إلا بالقدر الذي زاد به بعض المعارف الفقهية من خلال التأثير الاجتماعي والثقافي الإسلامي في عصره أو تأثره بالمعارف الطبية والنفسية التي مارسها في ذلك العصر.

حيث اهتم ابن سينا بتصنيف العلوم في العديد من المواضيع وفي عدّة كتب فهو «لم يلتزم تصنيفاً واحداً لها في جميع كتبه؛ بل كان هذا التصنيف يختلف باختلاف تجربته الفلسفية، ونمو استقلاله الذاتي»⁽¹⁾.

فما المقصود بتصنيف العلوم عنده؟ وكيف صنفها؟ إن ابن سينا يستند في تصنيفه للعلوم على تعريفه للحكمة: بأنها «صناعة يستفد منها الإنسان تحصيل ما عليه الوجود كله في نفسه، وما عليه الواجب، ومما ينبغي أن يكسبه فعله لتشرف بذلك نفسه وتستكمل وتصير عالماً معقولاً مضاهياً للعالم الموجود، وتستعد للسعادة

¹ - محمد عبد الرحمن مرحبا، مرجع سبق ذكره، ص 483 .

القصوى بالآخرة وذلك بحسب الطاقة الإنسانية»⁽¹⁾ ويقسم الحكمة إلى قسمين هما:

1- الحكمة النظرية: هي التي تطلب «فيها استكمال القوة النظرية من النفس بحصول العقل بالفعل، وذلك بحصول العلم التصوري والتصديقي بأمور ليست هي بأنها أعمالنا وأحوالنا، فتكون الغاية فيها حصول رأي واعتقاد ليس رأياً واعتقاداً في كيفية عمل أو كيفية مبدأ عمل من حيث هو مبدأ عمل»⁽²⁾.

يبين ابن سينا أن الحكمة النظرية غايتها الحق، وهي عبارة عن أشياء ليست موجودة باختيارنا. و يقسمها إلى ثلاثة أقسام هي: الطبيعية، و التعليمية، و الإلهية، وهي مرتبة من الأدنى إلى الأعلى «طبقاً لدرجة اتصال أو انفصال موضوع كل علم عن المادة، فكلما كان موضوع العلم مجرداً عن المادة كان أعلى من غيره من العلوم»⁽³⁾.

أ- الطبيعية: يتمثل موضوعها «الأجسام من جهة ما هي متحركة وساكنة، وبحثها عن العوارض التي تعرض لها بالذات من هذه الجهة»⁽⁴⁾.

1 - محمد على أبو ريان، الفلسفة ومباحثها، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط: الرابعة، 2000، ص118.

2 - ابن سينا، الشفاء (الإلهيات) ، ت: الأب قنواتي، سعيد زايد، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، القاهرة، ط: الأولى، 1960، ص3، 4.

3 - عاطف العراقي، مرجع سبق ذكره، ص157.

4 - ابن سينا، الشفاء، مصدر سبق ذكره، ص4.

ويبحث هذا العلم في الأمور المخالطة للمادة المبيّنة حدًّا وقوامًا. وهذه «الأمور لا يمكن أن توجد في أية مادة اتفقت؛ بل في مادة ما معينة مهياً لها مثل "الإنسانية" في الإنسان، والعظمية في العظم، فلا تصلحان لأية مادة كانت غير مادتهما»⁽¹⁾.

ب- **التعليمية:** وتشتمل على: علم العدد، وعلم الهندسة، وعلم الهيئة، وعلم الموسيقى، وكل علم يتفرع إلى مجموعة، و موضوعها «إما ما هو كم مجرد عن المادة بالذات، وإما ما هو ذو كم. والمبحث عنه فيها أحوال تعرض للكم بما هو كم. ولا يؤخذ في حدودها نوع مادة، ولا قوة حركة»⁽²⁾.

ج- **الإلهية:** تبحث عن الأمور «المفارقة للمادة بالقوام والحد ... أن الإلهي هو الذي يبحث فيه عن الأسباب الأولى للوجود الطبيعي والتعليمي وما يتعلق بهما، وعن مسبب الأسباب ومبدأ المبادئ وهو الإله تعالى جده»⁽³⁾.

2- **الحكمة العملية:** إن الغاية الرئيسية للحكمة العملية أولاً هي «استكمال القوة النظرية بحصول العلم التصوري والتصديقي بأمور هي بأنها أعمالنا، ليحصل منها ثانياً

¹ - حنا الفاخوري، خليل الجر، تاريخ الفلسفة العربية، الجزء: الثاني، دار الجبل، بيروت، ط: الثالثة، 1993، ص94، ص 164.

² - ابن سينا، مصدر سبق ذكره، ص4.

³ - المصدر نفسه، ص4.

استكمال القوة العملية بالأخلاق» وتمثل الحكمة العملية حسب ابن سينا في «الأخلاق وعلم تدبير المنزل وعلم السياسة»⁽¹⁾»⁽²⁾.

إذن: يقسم ابن سينا الحكمة النظرية إلى ثلاثة أقسام يأتي العلم الطبيعي في مرتبة أدنى، ويليهما العلم الرياضي في مرتبة وسطى، ثم في الأعلى يأتي العلم الإلهي، ويمكن القول بأن ابن سينا قد تبنى تقسم الفارابي من قبله فلم يزد عليه شيئاً يثبتنا بالابتكار أو التجديد «فكل ما أورده في تقسيم العلوم لا يزيد شيئاً يذكر عما وضعه الفارابي في إحصاء العلوم»⁽³⁾.

الخاتمة

تبين لنا من خلال الإسهامات التي قدمها الفارابي وابن سينا في مجال تصنيف العلوم، أنهم قد تركوا الأثر الواضح في هذا المجال، ويمكن استخلاص جملة من النتائج، لعل أهمها الآتي:

¹ - تتمثل الحكمة العملية في التالي: علم الأخلاق «يعلم كيفية ما يجب أن يكون عليه الإنسان في نفسه وأحواله حتى يكون سعيداً في دنياه وفي آخرته» و تدبير المنزل: «يعلم كيف ينبغي على الإنسان أن يسلك مع غيره سلوكاً جزئياً يكون في المنزل» و تدبير المدينة: «يعلم كيف ينبغي على الإنسان أن يسلك مع غيره سلوكاً كلياً يكون في المدينة» و النبي: هو الذي «يسن الشرائع العامة التي تقن تدبير المنزل وتدبير المدينة معاً» لمعرفة المزيد: ينظر حنا الفاخوري، خليل الجر، مرجع سبق ذكره، ص 165.

² - المرجع نفسه، ص 165.

³ - ماجد فخري، تاريخ الفلسفة الإسلامية، ت: كمال اليازجي، بيروت، ط: بدون، 1974، ص 183.

1- إن تصنيف العلوم عند الفارابي وابن سينا كانت مرآة تعكس دورهم في إثراء المعرفة البشرية في زمانهم. ومعنى ذلك أن المناهج الإسلامية قد بلغت مالم تبلغه من قبل، وأنها كانت تمهيدًا حقيقيًا للكثير من علوم المدارس الحديثة.

2- إن الفارابي وابن سينا كان لهم دورهم الإيجابي و البناءه في مجال تصنيف العلوم؛ حيث وضعوا بصماتهم البارزة فيها، وكانوا معبرين من خلال اهتمامهم بتصنيف العلوم عن عقلياتهم العلمية الدقيقة، مبينين لنا أن الحضارة الإسلامية تستند في جانب من جوانبها على جميع العلوم بمختلف فروعها، وكيف كانوا حريصين على إعطاء كل علم حقه، وبيان أهميته ومنفعته بين العلوم الأخرى .

3- أن ما يميز تصنيف العلوم عند الفارابي وابن سينا عن غيره من التصنيفات هو اعتمادهم على مصادر داخلية من البيئة الإسلامية.

4- ينطلق الفيلسوف في تصنيفه للعلوم من وظيفته الفلسفية التي هي الإحاطة بجميع المعارف ومحاولة ردها إلى أساس وهدف واحد قد تفرعت منه وتعود إليه؛ سواء كان هذا الأساس الإنسان أم الكون؛ وبما أن الفلسفة تهتم بالتفكير العلمي ولا تختلف عن العلم في مجال بحثها لهذا فهدفها الأساسي هو الوصول للقاعدة العامة والمشاركة بين جميع العلوم والتي تنفرع منها كل العلوم.

5- إنَّ التماثل في الأفكار والمناهج يعبر عن صورة من صور التفاعل الفكري والمعرفي بين الحضارات والثقافات، و الإضافة الإبداعية في تصنيف الفارابي وابن سينا تنبئ عن فلسفة جديدة، وثقافة أصيلة أضافت قيمة معرفية للحضارة العربية الإسلامية.

6- يُعد تصنيف الفارابي ذو قيمة معرفية جمة فهو يدل على ثقافته الغزيرة، ويعد كتابه (إحصاء العلوم) بمثابة مفخرة للتراث الإسلامي في مجال التصنيف؛ إذ أنه يعتبر وثيقة معرفية قيّمة عبرت عن روح ذلك العصر، وقد نقل هذا الكتاب وترجم إلى أكثر من لغة، وأصبحت له شهرة بالغة وأهمية كبيرة.

7- أما ابن سينا فعلى الرغم من التوسع المعرفي له في العديد من المجالات؛ إلا أنه قد تبنى تقسم الفارابي ولم يزد عليه شيئاً ينبئنا بالابتكار أو التجديد. باستثناء المعارف الفقهية، والطبية والنفسية التي مارسها في ذلك العصر من خلال التأثير الاجتماعي والثقافي الإسلامي في عصره.

قائمة المصادر والمراجع

- 1- ابن منظور، لسان العرب، المجلد: الخامس، دار الحديث، القاهرة، ط1، 2003.
- 2- الفارابي، إحصاء العلوم، مركز الإنماء العربي، بيروت، الطبعة: الأولى، 1991.
- 3- الفارابي، آراء أهل المدينة الفاصلة، ترجمة: على عبد الواحد وافي، نهضة مصر، القاهرة، (د.ط.ت).

- 4- الفارابي، تحصيل السعادة، قدمه: علي بو ملح، دار ومكتبة الهلال، بيروت، الطبعة: الأولى، 1995.
- 5- جميل صليبا، المعجم الفلسفي، المجلد: الأول، دار الكتاب اللبناني والمصري، بيروت-القاهرة، الطبعة: بدون، التاريخ: بدون.
- 6- حنا الفاخوري، خليل الجر، تاريخ الفلسفة العربية، الجزء: الثاني، دار الجيل، بيروت، الطبعة: الثالثة، 1993.
- 7- حامد طاهر، مدخل لدراسة الفلسفة الإسلامية، دار هجر، القاهرة، ط بدون، 1985.
- 8- عاطف العراقي، الفلسفة العربية والطريق إلى المستقبل، دار الرشاد، القاهرة، الطبعة: الثانية، 1999.
- 9- عباس محمد حسن سليمان، تصنيف العلوم بين نصير الدين الطوسي وناصر الدين البيضاوي، دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة: الأولى، 1996.
- 10- عبد اللطيف العبد، دراسات في الفكر الإسلامي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، الطبعة: بدون، 1977.
- 11- عبد المنعم الحفني، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مكتبة مدبولي، القاهرة، الطبعة: الثالثة، 2000.
- 12- مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، ط وزارة التربية والتعليم، مصر، د ط: 2004.
- 13- ماجد فخري، تاريخ الفلسفة الإسلامية، كمال اليازجي، بيروت، ط: بدون، 1974.
- 14- محمد على أبو ريان، الفلسفة ومباحثها، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط الرابعة، 2000.

15- محمد عبد الرحمن مرحبا، من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية، المجلد: الثاني، دار عويدات، بيروت، الطبعة: الأولى، 2000.
الرسائل العلمية:

16- عصام الدين الزفتاوي، مناهج التصنيف في الفلسفة الإسلامية، رسالة ماجستير، جامعة القاهرة، كلية دار العلوم، قسم الفلسفة الإسلامية، 2009.

17- محمد بن إسماعيل، ترتيب العلوم لمحمد بن أبي بكر المرعشي، رسالة ماجستير، جامعة الملك عبد العزيز، كلية الآداب، قسم المكتبات والمعلومات، جدة، 1985.
المجلات العلمية:

18- حامد طاهر، نظرية تصنيف العلوم عند الفارابي، حولية كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، القاهرة، العدد (9)، 1991.

19- طاهر بن علي، منهج ترتيب العلوم عند مفكري الإسلام (توصيف عام)، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، الجزائر، العدد (5)، 2009.

آثار أيام العرب على حياتهم

د. عبد السلام عبد الحميد أبو القاسم

المقدمة

تمثل الحروب التي أطلق عليها المؤرخون اصطلاحاً أيام العرب مرحلة مهمة من تاريخ العرب قبل الاسلام، إذ أنها توضح العلاقات القائمة بين القبائل العربية آنذاك، فضلاً عن أنها حددت وبدقة جوانب حياتهم وما اشتملت عليه من معتقدات وعادات وتقاليدهم وأنظمة سياسية واقتصادية، وتعد أيام العرب مرآة صادقة تبين واقعهم، علاوة على ذلك فإنها وضحت طبقات المجتمع العربي قبل الإسلام، وهذا يتبين من خلال دور كلاً منهم في تلك الحروب، فالمقاتل يحارب بسيفه ورمحه، والشاعر يشارك بقصائده بالحماسة والفخر بالقبيلة، وتارة أخرى بالهجاء، يضاف إلى ذلك فإن لزعماء القبائل ورؤساء العشائر الدور الكبير في تلك الحروب، حيث تميز بعضهم بالرأي الصائب والشجاعة والحكمة والإقدام. وعلى الرغم من الخطر الكبير الذي تعرض له العرب نتيجة لتلك الحروب وما نتج عنها من آثار سلبية في شتى مجالات الحياة لديهم، إلا أنها تميزت بمحافظتهم على تقاليدهم وعاداتهم من كرم وشجاعة وإجارة المظلوم وغيرها.

وأيام العرب كثيرة ولم يصل لنا من أخبارها إلا القليل، وفي معظمها غير مرتبة وفقاً لوقوعها وتسلسلها زمنياً، وفي مجملها لها آثار هامة في حياة القبائل العربية قبل الاسلام، كما مثلت ايام العرب صورة للنزاع القائم بين العصبيتين المضرية والبيمنية ضناً منهم أنها الطريق الوحيد للسيطرة وأخذ الحق.

ولعل هذه الدراسة تختص بمتبع الحروب التي قامت بين القبائل العدنانية والقحطانية، وكذلك الحروب بين القبائل العدنانية فيما بينها، وما نتج عنها في محاولة لتوضيح تلك الحقبة من تاريخ العرب القديم.

أسباب اختيار الموضوع:

1. دراسة حلقة من حلقات التاريخ العربي القديم.
2. معرفة أحوال العرب خلال فترة أيام العرب.
3. توضيح أسباب قيام الحروب بين القبائل العربية.
4. محاولة إضافة لبنة في دراسة أيام العرب.

أهداف الدراسة:

1. التعريف بأيام العرب.
2. محاولة تحديد الزمن الفعلي لتلك الأيام.
3. إبراز الدور السلبي لتلك الحروب.
4. الوصول إلى نتائج تخص تلك الحروب.
5. الوصول بالقارئ إلى جمع شتات أخبار تلك الحروب وتنقيتها من الأساطير التي علق بها.

منهجية الدراسة: اتبع الباحث طريقة السرد التاريخي والتحليل في بعض الأماكن كلما أمكن ذلك.

وتبسيطاً للدراسة والبحث في هذا الموضوع فقد تم تقسيمه إلى مباحث وهي على النحو الآتي:

المبحث الأول ويحتوي على المقصود بأيام العرب وأصل التسمية، أما **المبحث الثاني** فيتناول أسباب قيام أيام العرب، ويتحدث **المبحث الثالث** عن أنواع أيام العرب، ويتكلم **المبحث الرابع** عن آثار أيام العرب السياسية والاقتصادية، أما **المبحث الخامس** فيشتمل على آثار أيام العرب الاجتماعية والدينية والثقافية.

المبحث الأول: المقصود بأيام العرب

إن مصطلح أيام العرب لم يأت عبثاً، وإنما أطلقه المؤرخون على الوقائع والمعارك التي قامت بين قبائل العرب خلال العصر الجاهلي (*) بكل مراحلها⁽¹⁾. وهي معارك كانت بين العرب القحطانية والعدنانية، أو بين القبائل نفسها، كما أنها تمثل المجتمع العربي الذي يرى البعض أنه قائم على الانتماء للقبيلة والاعتزاز بها، فضلاً عن ارتباطه بمجتمع مبني على العصبية والتجانس وعدم التنوع⁽²⁾، وقد أشار الشعراء العرب خلال العصر الجاهلي إلى ذلك، حيث وقف الرجل العربي إلى جانب أخيه وناصره دون أن يسأله عن أسباب تلك الحروب، ويتضح ذلك من خلال ما قاله الشاعر:

لا يسألون أخاهم حين يهذبهم
في النائبات على ما قال برهاناً⁽³⁾

(*) العصر الجاهلي ويقصد به الفترة المحدودة بحوالي قرن ونصف قبل الإسلام تقريباً، وكلمة الجهل تعني السفه والغضب، وهي ضد الحلم والدين، للمزيد ينظر: شوقي ضيف، العصر الجاهلي، ص28.

(1) السيد عبد العزيز سالم، تاريخ العرب في عصر الجاهلية، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، ص426.

(2) نعمان محمود جبران وآخرون، دراسات في تاريخ الجزيرة العربية قبل الإسلام، مؤسسة حمادة للخدمات الجامعية، الأردن، 1998م، ص273.

(3) المرجع نفسه، ص273.

وهناك من أشار إلى أن أيام العرب هي مناوشات وقعت بين القبائل العربية مع بعضها البعض، أو بين ملوك جنوب شبه الجزيرة العربية والقبائل المجاورة لدولهم⁽¹⁾.

ولعل مادة تلك الأحداث عربية خالصة تتخللها أشعار في الفخر والحماسة والهجاء والإقلال من مكانة وقوة أعدائهم.

ويمكن القول أن تلك الحروب تمثل الروح العربية في تلك الفترة، وقد نهضت بالشخصية العربية من حياة البداوة التي تربت على القسوة والشدة والصرامة في أمور الحياة إلى تطور المبادئ السامية، فضلاً عن أنها مهدت لها اكتساب مناقب منها الأنفة والكبرياء، واستمر العرب على تلك الحروب التي تعتمد على المناوشات والغارات ومجابهة الأعداء، وهذا أسلوب يختلف عن معارك الجيوش النظامية.

أسباب أيام العرب:

من البديهي أن الحروب التي تقع في أي زمان ومكان هي نتاج لاختلاف في الرؤى أو المعتقدات، وكذلك تضارب المصالح الاقتصادية، علاوة على الصراعات السياسية، وبذلك فإن الحروب التي وقعت بين القبائل العربية آنذاك لا تختلف عن غيرها من الحروب الأخرى، إلا في بعض أسبابها والتي سيوضحها البحث، ولعل من أهم تلك الأسباب ما يأتي:

1. تغير الظروف المناخية:

والتي تتمثل في نقص الأمطار وقلة المياه، الأمر الذي ينتج عنه حدوث جفاف وموت الأشجار وهجرة الحيوانات، فلما هاجرت بعض القبائل إلى مناطق أخرى يوجد بها

(1) جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج5، بيروت، 1971، ص341.

الماء والكلاء والخيرات الكثيرة، وبعد أن فرضت سيطرتها عليها دخلت في صراعات مع القبائل المجاورة لها⁽¹⁾.

2 . جباية الأتاوات بصورة تعسفية:

لقد كانت القبائل العربية القوية تفرض الأتاوات والضرائب على القبائل الضعيفة، دونما مراعاة لظروفها التي تؤثر سلباً على اقتصادها، الأمر الذي نتج عنه قيام الحروب بينهما، واستمرارها لمدة طويلة⁽²⁾.

3 . طمع القبائل التي تسكن على الحدود مع الدول الأخرى:

إن أطماع بعض القبائل العربية في خيرات القبائل الأخرى من وسائل العيش الرغد والرفاهية والرزق الوفير كان سبباً رئيساً في حدوث الصدام المسلح بين الطرفين، وكذلك قام أهل الحضر ببناء الحصون والقلاع لمراقبة أولئك الغزاة الأعراب، بالإضافة إلى توفير الأسلحة، فضلاً عن جلب المرتزقة والرفيق لحمايتهم من القبائل الغازية، كما حاولوا شراء ذمم سادات ومشائخ تلك القبائل بالمال والهدايا لمنع الأعراب من غزوهم⁽³⁾.

4 . الأخذ بالثأر:

لقد كان العرب ينصرون بعضهم دون النظر إن كان أخاه ظالماً أو مظلوماً، كما أن بعض القبائل العربية التي تطلب ثأراً من قبائل أخرى ساهمت في إذكاء الحروب بين تلك القبائل، وذلك لمحاولتها الحفاظ على ماء وجهها ومكانتها بين القبائل الأخرى، زد

(1) جواد علي، المفصل تاريخ العرب قبل الإسلام، ج5، ص334.

(2) أحمد مغنية، تاريخ العرب القديم، ط1، دار الصفاة، بيروت، 1994م، ص125.

(3) جواد علي، مرجع سابق، ص336.

على ذلك التأثير الشخصي الذي يطلب فيه الرجل دم أحد أهله من قاتله، الأمر الذي نتج عنه انتشار عادة الأخذ بالتأثر بين العرب وقيام الحروب بينهم⁽¹⁾.

5. العلاقات بين سادات ورؤساء القبائل العربية:

لقد كان للتنافس بين زعماء القبائل العربية على السيادة والسيطرة دوراً مميزاً في إشعال تلك الحروب بينهم آنذاك، بالإضافة إلى الزواج والطلاق بين تلك الطبقة كان سبباً في قيام الحروب بينهم⁽²⁾، فضلاً عن دخول الحسد نتيجة تميز سيد أو زعيم قبيلة عن بقية السادة الآخرين⁽³⁾.

6. بث اليهود روح الفرقة والفتن بين العرب:

كانت الفتنة ونشر الفرقة بين القبائل العربية هدف أساسي لليهود وديدانهم، حتى يستطيعوا أن يسيطروا على مناحي الحياة آنذاك، وحقق اليهود نجاحاً كبيراً في نشر الشائعات والفتن بين العرب في بلادهم، فضلاً عن أنهم ساهموا في دق طبول الحرب بين القبائل العربية أكثر من مرة في ذلك الوقت، وبذلك شجع اليهود على قيام تلك الحروب بالمال والسلاح، حتى تبقى لهم الزعامة والسيادة على تلك القبائل⁽⁴⁾.

أقسام أيام العرب:

شملت الحروب التي شنتها القبائل العربية على بعضها أنواع مختلفة، حيث كانت حسب الأسباب التي نتج عنها ذلك القتال، فمنها ما كان حروب داخلية بين القبائل

(1) محمود عرفة، العرب قبل الإسلام، دار الثقافة العربية، القاهرة، ص73.

(2) ابن الأثير، عز الدين ابي الحسن علي بن ابي الكرم الشيباني، الكامل في التاريخ، ج1، دار صادر، بيروت، 1965م، ص668.

(3) جواد علي، مرجع سابق، ج5، ص334.

(4) محمد بيومي مهران، الحضارات العربية القديمة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ص166.

القحطانية نفسها، وكذلك الأمر لا يختلف بالنسبة للقبائل العدنانية فقد حدثت حروب فيما بينها، علاوة على ذلك هناك حروب قامت بين القبائل القحطانية والعدنانية.

1 . أيام العرب بين القبائل القحطانية:

دخلت القبائل القحطانية في حروب طاحنة منها ما طال وقته وأخرى قصر، ولعل معظمها ما قام به المناذرة والغساسنة⁽¹⁾، وكذلك فإن الحروب التي وقعت بين الأوس والخزرج تميزت بكثرتها وطول زمنها⁽²⁾، وهناك أسباب دعت الخزرج إلى قتال الأوس، ومن أهمها مكانة الأوس الاقتصادية آنذاك، أما الأوس فكانوا يتضايقون من مكانة الخزرج السياسية، وخاصة بعد أن نجح اليهود في بث الفتنة والفرقة بينهما، فضلاً عن مركز الصدارة الذي تمتعت به الخزرج على الأوس⁽³⁾.

2 . أيام العرب بين العدنانيين :

دارت العديد من الحروب بين القبائل العدنانية، ولعل أشهرها حرب البسوس التي دارت بين بكر وتغلب، وقد استمرت أربعة عقود تقريباً⁽⁴⁾ كما قامت حروب بين ربيعة وتميم، وكانت ما بين قيس وكنانة⁽⁵⁾، بل هناك معارك دارت بين قبائل قيس نفسها، ولعل من أشهرها داحس والغبراء بين عيس وذبيان⁽⁶⁾.

(1) محمد مبروك نافع، تاريخ العرب (عصر ما قبل الاسلام)، القاهرة، 1952م.

(2) محمد بيومي مهران، تاريخ العرب القديم، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، 1988م، ص455.

(3) ابن الأثير، مصدر سابق، ج1، ص662.

(4) ابن الأثير، مصدر سابق، ج1، ص31.

(5) جواد علي، مرجع سابق، ج5، ص344.

(6) ابن هشام، السيرة النبوية، ج1، ص182.

3. أيام العرب بين القحطانيين والعدنانيين:

كانت هناك عدة معارك بين القبائل القحطانية والعدنانية آنذاك، ومن أهمها يوم خزاز وهو من أهم أيام العرب قبل الاسلام، وكان بين معد ومدحج حيث انتصرت فيه معد على مدحج⁽¹⁾ وكذلك يوم السلان وكان بين عامر من جهة وبنو ضبة وتميم من جهة أخرى، علاوة على يوم ظهر الدهناء، ويوم خزار، وغيرها من الحروب التي أرهقت القبائل العربية وأضعفتها آنذاك.

آثار أيام العرب:

على الرغم من أن تلك الحروب كان بعضها عبارة عن مناقشات بسيطة والبعض الآخر استمرت سنوات عديدة انتهت جُلها بصلح ودفع الدية بين الأطراف المتنازعة، إلا أن آثارها على المجتمع العربي قبل الاسلام كانت واضحة المعالم⁽²⁾، حيث أنها شملت معظم جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية والفكرية، فضلاً عن صعوبة تقسيم تلك الأيام على أساس تاريخي، ويمكن ترتيبها طبقياً، الأمر الذي نتج عنه بقاء آثار تلك الحروب أمداً طويلاً حتى بعد نهايتها على حياة العرب آنذاك، ونهضت تلك الحروب بالقبائل العربية من حياة البداوة التي تربي فيها الرجل العربي على الشدة والقسوة إلى الحكمة والمرونة أحياناً أخرى، كما أنه اكتسب مناقب منها الأنفة والكبرياء، ولعل عادة الأخذ بالثأر عند قبائل العرب آنذاك هي الرابط الذي تحكم

(1) محمد أحمد جاد وآخرون، أيام العرب في الجاهلية، دار القاسم، القاهرة، 1942م، ص98.

(2) جواد علي، مرجع سابق، ج4، ص347.

فيها، بل أصبح بمثابة قانون يسير عليه العرب فيما بينهم، حتى وصل إلى درجة القداسة الدينية⁽¹⁾.

1. الآثار السياسية:

لقد نتج عن الحروب التي دارت بين القبائل العربية خلال فترة قبيل الإسلام ظهور قبائل عربية قوية برزت على مسرح الأحداث آنذاك، كما أنها استطاعت بسط نفوذها على مناطق جديدة خارج القبيلة، وعلى عكس ذلك فقد أدت تلك الحروب بين القبائل المتصارعة إلى ضعف بعض القبائل سياسياً بسبب التسابق على السيادة، علاوة على ذلك فإن تلك الحروب كانت سبباً في انتقال الحكم في بعض القبائل من أسرة لأخرى، ومن شخص لآخر أيضاً.

فضلاً عن أن بعض القبائل حدّدت من يتولى زعامتها وتسيير أمرها أثناء الحرب وفق شروط لعل من أهمها الخبرة في قيادة الجيش، ورجاحة العقل، وقوة العصبية لقبيلته وأهله⁽²⁾ ولقد أشار ابن خلدون إلى ذلك بقوله: "الرئاسة لا تكون إلاّ بالغلب، والغلب إنما يكون بالعصبية"⁽³⁾، ولعل كثرة الحروب بين القبائل العربية ساهمت في إذكاء العصبية كما أن الشجاعة أصبحت مؤهلاً أساسياً لرجال القبيلة التي عاشت في مجتمع يغلب عليه الغارات المتبادلة، فكان على زعيم القبيلة أن يتحصل على النصر في حروب قبيلته على أعدائها، زد على ذلك فإن سيد القبيلة أصبح يمثل روح القبيلة إذ ثبت في القتال انتصرت قبيلته، وإذا فرّ من المعركة أو قتل هربت القبيلة وهزمت أمام أعدائها⁽⁴⁾.

(1) فيليب حتى، تاريخ العرب، عصر ما قبل الإسلام، ت محمد مبروك نافع، ط2، دار السعادة، القاهرة، 1952م، ج1، ص30.

(2) لطفی عبد الوهاب بحی، العرب في العصور القديمة، دار المعرفة، الإسكندرية، 1986م، ص114.

(3) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، مقدمة ابن خلدون، بيروت، 1981م، ص132.

(4) محمد بيومي مهران، الحضارات العربية القديمة، مرجع سابق، ص213.

كما نتج عن تلك الحروب ظهور تحالفات قوية بين القبائل العربية لمواجهة أعدائها الأقوياء، فمثلاً نجد أن قبيلة جديلة تحالفت مع قبيلة كلب بعد هزيمتها أمام قبائل الغوث في يوم اليحاميم (ماء على طريق مكة)⁽¹⁾ ولعل تلك التحالفات في أغلبها قامت بسبب الغزو أو الأخذ بالنثار من أعدائهم الأقوياء، ومن بين آثار أيام العرب أن سيد القبيلة لم يعد يحتاج أن يكون بالضرورة ابن زعيم القبيلة السابق، بل أصبح ناتجاً عن توفر صفات الرئاسة، وربما تتوفر تلك الشروط في ابن سيد القبيلة فيتم اختياره زعيماً لها⁽²⁾ وفي هذا المجال ذكر عامر بن الطفيل أنه ساد قبيلته لتوفر الصفات المطلوبة لزعامة القبيلة عنده وليس لأنه ابن سيد القبيلة السابق حيث قال:

فما سودنتي عامر عن وراث أبي الله أن أسمو بأم ولا أب

ولكني احمي حماها وأتقي أذاها وأرمي من رماها بمنكب⁽³⁾

يضاف إلى ذلك فإن قوة القبيلة أصبحت تستمدّها من قوة زعيمها، بل أنها تتأثر بشخصيته، إذ استطاعت بعض القبائل العربية إخضاع قبائل أخرى نظراً لقوة سيدها وحكمته، وعلى العكس من ذلك حيث ضعفت بعض القبائل وانهارت نتيجة لضعف زعيمها آنذاك⁽⁴⁾ كذلك من بين الآثار ظهور أبطال وزعماء داخل القبائل العربية كان لهم دوراً بارزاً في تلك الحروب، وكان من بينهم وائل بن ربيعة (كليب) سيد تغلب، والمنذر بن ماء السماء سيد المناذرة، وكذلك الحارث بن جبلة سيد الغساسنة، وغيرها، كما نتج عن

(1) ابن الأثير، مصدر سابق، ج1، ص388.

(2) البلاذري، أنساب الأشراف، ج2، القاهرة، 1959م، ص179.

(3) ابن قتيبة، الشعر والشعراء، ط4، دار النضافة، بيروت، ج1، 1980م، ص192.

(4) جواد علي، مرجع سابق، ج4، ص215.

تعود القبائل العربية على الحروب باستمرار انضمامها إلى الفرس أو الروم أثناء قيام الحرب بينهما، علاوة على ذلك فإن قيام الحروب بين القبائل العربية جعلها تنتهج حياة سياسية تقوم على الغزو أو على الأقل الاستعداد للرد على أي عزوة من قبيلة أخرى⁽¹⁾، فضلاً عن ذلك فقد تم استحداث أسلوب جديد في القتال، حيث أصبحت الحروب التي قامت بين القبائل العربية على المناوشات والغارات ومجابهة الأعداء بطرق شتى، اختلفت عن القتال في الجيوش النظامية، يضاف إلى ذلك فإن القبائل العربية التي انتصرت في المعارك ضد أعدائها شهدت تطوراً ملحوظاً في وعيها واحساسها بنفسها، فمثلاً نجد أن قبيلة قريش بعد انتصارها في حرب الفجار الثانية على هوازن استقرت وثبتت أقدامها بين العرب وازداد سلطانها وجاهها، فاستبد أهلها بالقوة وبسطوا نفوذهم على القبائل الأخرى المجاورة لهم، كما زاد عدد المستضعفين الذين يعيشون بدون حماية، كما تغير الحال فأصبح الضعيف يعيش في خدمة السادة المنتصرون في تلك الحروب⁽²⁾.

2. الأثر الاقتصادي:

لقد أثرت الحروب التي قامت بين القبائل العربية على الطرق التجارية في شبه الجزيرة العربية وما جاورها آنذاك، وخاصة الطريق البري الذي تسلكه القوافل التجارية بين اليمن والشام عبر الطائف ومكة ويثرب، تتخلله فروع تتجه في كل المناطق المجاورة لها⁽³⁾.

علاوة على ذلك فقد نتج عن تلك الحروب تكديس ثروات وأموال عند قبائل، ولعل ذلك يرجع للنهب والسلب والغنائم، وإلى نشاط التجارة في مناطق القبائل المنتصرة

(1) محمود عرفة، مرجع سابق، ص 75

(2) حسين مؤنس، تاريخ قريش، ط1، دار السعودية، جدة، 1988م، ص 196.

(3) جرجي زيدان، العرب قبل الاسلام، دار مكتبة الحكمة، بيروت، ص 212.

في تلك الحروب، فوجد مثلاً قبيلة هوازن قد تعهدت محاربة تجارة قريش لإضعافها اقتصادياً، زد على ذلك أن القبائل العربية الضاربة على أطراف المناطق الحضرية وما جاورها طمعت في أرزاق وأموال الحضر، وكذلك منافستهم لها بسبب توفر وسائل العيش الرغيد عندها، بل وصل الأمر ببعض القبائل أثناء تلك الحروب لإغراء قبائل أخرى بالمال والهدايا ليقفوا إلى جانبهم، أو يتخذوا على الأقل موقف الحياد من المتصارعين⁽¹⁾.

يضاف إلى ذلك فقد أصبح المجتمع العربي أثناء وبعد تلك الحروب في خدمة أصحاب المال والجاه من السادة والزعماء والأثرياء آنذاك⁽²⁾ فمثلاً نجد أن الخزرج كانوا يحاولون سلب الأوس مكانتهم الاقتصادية، حيث سيطر الأوس على مناطق أغنى وأخصب من أراضي الخزرج⁽³⁾ وقد أدت الحروب إلى عدم استقرار القبائل العربية فهاجرت لتبحث عن مناطق الكأ والماء، ونتج عن ذلك تردي الأوضاع الاقتصادية في شبه الجزيرة العربية خلال تلك الفترة، فضلاً عن اتلاف المحاصيل الزراعية وإهمال الزراعة بشكل عام، كما أن قطاع الطرق ازداد عددهم بسبب الحروب وتمركزهم على المنافذ والطرق التجارية التي تربط بين مناطق شبه الجزيرة العربية، حيث يقومون بالهجوم على القوافل التجارية لسلب ونهب ما تحمله تلك القوافل من بضائع وأموال⁽⁴⁾.

كما تأثرت التجارة البرية بتلك الحروب، وذلك لعدم وجود الأمن والاستقرار في المنطقة، وهذا الحال جعل القبائل العربية تتخذ حرساً لحماية قوافلها التجارية من قطاع الطرق، الأمر الذي نتج عنها إتقال كاهل تلك القبائل بدفع الأموال الباهظة لهم مقابل

(1) جواد علي، مرجع سابق، ج5، ص333-334.

(2) حسين مؤنس، مرجع سابق، ص196.

(3) ابن الأثير، مصدر سابق، ج1، ص260.

(4) حسين مؤنس، مرجع سابق، ص198.

حمايتها، حتى تسير في مأمن للأسواق المتجهة إليها⁽¹⁾ كما كانت من آثار أيام العرب اضطرار بعض القبائل إلى دفع الجزية لقبائل أخرى وذلك تجنباً للحرب معها لعدم مقدرتها على ذلك، فضلاً عن قسوة الطبيعة وشظف الحياة وكثرة الحروب في بلاد العرب جعلت من الغزو والقتال من أهم المقومات الاقتصادية للقبائل العربية خلال تلك الفترة⁽²⁾ إن الحروب التي وقعت بين قبائل العرب قبل الإسلام تمثل جزءاً من الوعي لديهم بواقعهم في العالم القديم، فمثلاً حرب الفجار الثانية سببها غيرة قبيلة قيس عيلان من قبيلة قريش، وذلك نتيجة لما وصلت إليه من ثروة وخيرات بفضل التجارة، فاستغلت قيس عيلان قيام حروب أيام العرب لتحقيق أهدافها التي سعت إليها من فترة طويلة⁽³⁾ علاوة على ذلك فقد أثرت الحروب على الطرق التجارية بعد استقرار بعض القبائل وتثبيت أقدامها، وازدياد جاهها وقوتها، فاستبد أهل القوة والمال بأمور القبائل الأخرى وبسطوا نفوذهم على ما جاورهم من القبائل⁽⁴⁾.

لقد أصبح الغزو خلال حروب أيام العرب من أهم مقومات المجتمع البدوي الاقتصادية، حيث تهاجم بعض القبائل قبائل أخرى ويسيطرون على أموالهم وأنعامهم⁽⁵⁾ ولعل ذلك ناتج عن حفاظ تلك القبائل على حياتها وبقائها قوية من الناحية الاقتصادية، لأن ذلك يساعدها على محاربة أعدائها.

الأثر الثقافي: لقد تأثرت الحياة الثقافية كغيرها من جوانب الحياة عند القبائل العربية بتلك الحروب التي خاضتها ضد بعضها فترة من الزمن، حيث كان الشعراء يرثون الأبطال في

(1) محمود عرفة، مرجع سابق، ص78.

(2) ديزيرة سقال، العرب في العصر الجاهلي، ط1، دار الصداقة، بيروت، 1995م، ص97.

(3) ابراهيم شمس الدين، أيام العرب في الجاهلية والإسلامية، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002م، ص72.

(4) حسين مؤنس، مرجع سابق، ص191.

(5) دبريز شعال، مرجع سابق، ص99.

قصائد حماسة تحفز رجال قبائلهم على الأخذ بالثأر لأبنائهم الذين سقطوا دفاعاً عن القبيلة، بل تعدى الشعراء ذلك إلى ذكر مناقب أولئك القتلى، وفقد القبيلة لهم، الأمر الذي ينتج عنه دخول القبائل في حروب وتناحر جديد، يحصد العديد من الأرواح من رجال وشباب تلك القبائل، كما أن الشعراء زادوا من لهيب الحزن في نفوس نساء القبيلة اللاتي فقدن آبائهن أو أزواجهن أو أبنائهن وغيرهم من الأقارب، فأصبحن يكثرن من النياحة عليهم لتشجيع رجال وشباب القبيلة على الأخذ بالثأر لقتلاهم، ونذكر على سبيل المثال لا الحصر الخنساء (تماضر بنت عمرو بن الشريد) عندما خرجت إلى سوق عكاظ بمكة لتتدب أخويها صخر ومعاوية، وكانت تركب في هودجها حتى يسمع كلامها معظم الناس بالسوق⁽¹⁾ آنذاك، ولقد تحول الرثاء على القتلى من كلمات كانت تقال على قبر الميت إلى نياحة ونذب من النساء على قبر الميت⁽²⁾.

فضلاً عن ذلك فقد ظهر التأبين وهو مدح الأبطال بعد وفاتهم في الحروب ضد القبائل الأخرى، وذكر صفاته الحميدة وقد ذكرت الخنساء ذلك بقولها:

وَإِنَّ صَخْرًا لَتَأْتِمُ الْهَدَاةَ بِهِ كَأَنَّهُ عِلْمٌ فِي رَأْسِهِ نَارٌ
طَلِقَ الْيَدِينَ بِفِعْلِ الْخَيْرِ ذُو فَخْرٍ ضَخْمَ الدَّسِيعَةِ بِالْخَيْرَاتِ أَمَّارٌ⁽³⁾

علاوة على ذلك فقد تأثر الشعر العربي بالحروب التي قامت بين القبائل العربية في مجال المدح، وهو الثناء على المحاربين وذكر خصالهم العظيمة وصفاتهم الكريمة، كما يمدح الشعراء قبائلهم بوجه عام وذلك من خلال ذكر مناقبهم من قوة وشجاعة وعزة

(1) الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين، كتاب الأغاني، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت . لبنان، ج4، 2210.

(2) شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، ط8، ص207.

(3) الأصفهاني، مصدر سابق، ج5، ص80.

وكرم وفتك بالأعداء⁽¹⁾ ولعل ذلك يتضح جلياً في مدح زهير أبي سلمى لسيد بني ذبيان لأنه دفع دية هرم بن ضمضم بعد أن دخل في الصلح بين قبيلتي ذبيان وعبس أثر خوضهما حرب داحس والغبراء فقال:

فما كان من خير أتوه فإنما توارثه آباء آبائهم قبل

فضلاً عن ذلك فقد أثرت حروب أيام العرب في المعلمات (هي قصائد من الشعر تم اختيارها من الشعر الجاهلي، وهي من أجود الشعر وأدقّه، وأبرعه أسلوباً، وأدقّه معنى، وأفضله تصويراً للحياة) ولعل قصيدة إمريء القيس تعد إحداهما، وكذلك قصيدة عمر ابن كلثوم التي تناولت الفخر بأيامهم والدفاع عن بني تغلب، وغيرها⁽²⁾، ويشير علماء اللغة والشعر إلى أنها عرفت بالمسمطات لأن أبياتها تجمعها قافية واحدة تختلف عن قوافي الأبيات⁽³⁾، فضلاً عن أن الشعر أصبح سجلاً حافلاً بأيام العرب خلال القرنين الخامس والسادس الميلاديين، فضلاً عن أنه مصدر تاريخي لمعرفة أوضاع العرب خلال العصر الجاهلي⁽⁴⁾ وقد وصف البعض الشعر بأنه ديوان العرب، لأنه يجمع جوانب حياتهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية⁽⁵⁾.

وهناك القصص عند العرب خلال العصر الجاهلي تأثرت بحروب أيام العرب، حيث أضافوا عليها الخيال الزائد بسبب أسلوبهم في السرد، ولعبت الأساطير والخرافات دوراً كبيراً في ذلك، وكانوا يتناقلون الأخبار والقصص عن حروبهم والآفاق التي خاضوها

(1) محمد طقوش، تاريخ العرب قبل الاسلام، دار النفائس، ط1، بيروت، 2009م، ص134.

(2) الأصفهاني، مصدر سابق، ج9، ص92.

(3) محمد طقوش، مرجع سابق، ص140.

(4) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ج7، ص323.

(5) السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، المزهرة في علوم اللغة، ج2، ص470.

ضد أعدائهم، وانتصاراتهم في حروبهم، فضلاً عن هزائمهم لبعض القبائل، وكذلك قصص عن أبطالهم وساداتهم⁽¹⁾.

يضاف إلى ذلك فقد تأثر فن الخطابة بحروب أيام العرب، حيث كانت مهمة الخطيب لا تقل شأنًا عن مكانة الشاعر عند العرب، خلال العصر الجاهلي فكانت وظيفته الدفاع عن القبيلة، وهو الناطق باسمها، وعليه مهمة الرد على من يحاول الطعن في صفات قبيلته أو ذكر مثالبها، وقد فاقت منزلة الخطيب منزلة الشاعر في بعض الأوقات، وتميزت الخطابة آنذاك بعبارات الموحزة ويغلب عليها السجع والأمثال وأفكارها واضحة، ونتج عن النزاعات والحروب بين القبائل العربية وكذلك الدعوة إلى الصلح والسلم بين الفينة والأخرى اهتمام العرب بفن الخطابة، وساهم ذلك في ازدهاره وتطويره⁽²⁾.

فأصبحت القبيلة تقتخر بخطباتها إلى جانب شعرائها، وتعزز بهم وتذكر نثرهم وقصصهم، لأن ذلك يذكر روح العصبية بينهم⁽³⁾ علاوة على ذلك فقد لعب القصاصون دوراً واضحاً في حروب أيام العرب، حيث كانوا يذكرون أبناء القبيلة بالبطولات التي خاضها أهلهم ليزيدوهم حماسة وشجاعة لمحاربة أعدائهم⁽⁴⁾.

(1) محمد طقوش، مرجع سابق، ص 141.

(2) برهان الدين دلو، جزيرة العرب قبل الاسلام، دار الفارابي، بيروت، 1989م، ج 1، ص 266.

(3) جواد علي، مرجع سابق، ج 6، ص 341.

(4) محمد عرفة، مرجع سابق، ص 67.

الآثار الاجتماعية: اتضح أثر أيام العرب على حياة القبائل العربية جلياً من خلال حدوث تغيير في بعض جوانب حياتهم الاجتماعية، حيث اعتبرت بعض القبائل الظلم والبغي طريقاً لأخذ الحقوق المسلوبة من أعدائهم، والقوة هي الحق وقد أشار إلى هذا المعنى زهير بن أبي سلمى حيث قال:

ومن لا يدد عن حوضه بسلاحه يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم⁽¹⁾

يضاف إلى ذلك برزت ظاهرة وأد البنات بشكل أكبر مما كانت عليه من قبل، حين كان الآباء يئدون بناتهم خوفاً عليهن من الوقوع في السبي عند أعدائهم، فيجلبن عليهم العار والذل، فينتقص ذلك من مكانة القبيلة اجتماعياً بين قبائل العرب، كما اعتبروا ذلك طعناً كبيراً في شرف الانسان وفي أسرته وقبيلته⁽²⁾ كما أن المرأة لعبت دوراً بارزاً في أيام العرب، حيث كانت تقف إلى جانب زوجها وأبنائها أثناء الحرب والغزو، إذ أنها تشجعهم على القتال، وتثير نخوتهم، وتجلب لهم الغذاء والماء، وتقوم بمداواة جراحهم، بل نجد أن بعضهن شاركن في القتال إذا دخل العدو إلى حِمى القبيلة، حتى لا يقعن في السبي⁽³⁾، وهذا يبين إقبال كاهل المرأة العربية خلال تلك الفترة نتيجة لحروب أيام العرب. وأسهمت حروب أيام العرب في زيادة الصعاليك عند العرب الذين لجأوا إلى الصحراء والبادية، حيث كانوا يفتاتون من قطع الطرق بحد سيوفهم، وكان معظم الصعاليك من الفقراء الذين خرجوا عن العادات والتقاليد المألوفة بين القبائل العربية في تلك الفترة⁽⁴⁾.

(1) السيد عبد العزيز سالم، تاريخ العرب في عصر الجاهلية، دار النهضة العربية، بيروت، 1971م، ص416.

(2) عمر فروج، تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، ط3، ج1، ص60.

(3) شوقي ضيف، مرجع سابق، ص89.

(4) السيد عبد العزيز سالم، مرجع سابق، ص435.

فضلاً عن ذلك فقد جسدت تلك الحروب بعض تلك الأعراف عند العرب، فمثلاً شعار أنصر أذاك ظالماً أو مظلوماً نتج عنه اذكاء العصبية عندهم⁽¹⁾ كما أن كثرة الأسرى في حروب أيام العرب زاد من تضخم طبقة العبيد في شبه الجزيرة العربية، والتي كانت محرومة من أبسط أساسيات الحياة، ويقوموا بالاشتغال بالمهن والحرف التي يأنفها السادة⁽²⁾ كذلك أصبح للخطباء منزلة اجتماعية كبيرة أثناء الحروب بين القبائل العربية، حيث كانت القبائل المتناحرة ترسل الخطباء كسفراء بينهم لحل النزاع والخلاف القائم، إذ يتحدث الخطيب بلسان قبيلته، بكلام أظهر، وبيان أرفع، من غير تكلف⁽³⁾ يضاف إلى ذلك أدت الحروب بين قبائل العرب إلى أذكاء العصبية القبلية عندهم، التي حافظت على كيان القبيلة وتحديد علاقتها مع القبائل الأخرى⁽⁴⁾ لقد نتج عن تلك الحروب وجود حالة من عدم الرضا والتدمر الاجتماعي، وزاد عدد المستضعفين الذين يعيشون بدون حماية، كما تغير حال المجتمع العربي قبل الإسلام فأصبح في خدمة أصحاب المال والجاه⁽⁵⁾.

الخاتمة

من خلال تتبعنا لأحداث أيام العرب وأثارها على حياة العرب قبل الإسلام يمكن

استخلاص ما يلي:

- إن حروب أيام العرب تمثل حياة العرب في جميع نواحي حياتهم آنذاك.

(1) أحمد الشريف، مكة والمدينة في الجاهلية، القاهرة، 1967م، ص34.

(2) السيد عبد العزيز سالم، مرجع سابق، ص437.

(3) محمد طقوس، مرجع سابق، ص144.

(4) لطفي نجي عبد الوهاب، مرجع سابق، ص367.

(5) حسين مؤنس، مرجع سابق، ص191.

- نهضت تلك الحروب بالإنسان العربي من حياة البداوة التي تربي فيها على الشدة والقسوة، إلى الفضيلة أحياناً.
- مهدت أيام العرب لهم اكتساب مناقب حميدة منها الأنفة والكبرياء وغيرها من الصفات الحميدة.
- استحدث العرب نظام جديد في الحروب يقوم على المناوشات والغارات ومجابهة الأعداء، وهذا الأسلوب يختلف عن حروب الجيوش النظامية.
- مثلت حروب أيام العرب حلقة من حلقات التاريخ العربي القديم.
- تُعد أيام العرب خلال العصر الجاهلي مصدراً رئيساً من مصادر تاريخ العرب قبل الإسلام.
- وضحت أيام العرب الصلات التي كانت تربط قبائل العرب ببعضها رغم تلك الحروب بينهم.
- إن أيام العرب هي مرآة لأحوال العرب وعاداتهم وأسلوب حياتهم، وفضائلهم وشيمهم.
- ارتبطت بأيام العرب الآداب والفنون، وخصوصاً الشعر في الفخر والحماسة والرياء والهجاء، فبينما كان المحاربون يقاتلون بسيوفهم كان الشعراء يدافعون بقصائدهم على قبائلهم.
- أثرت أيام العرب في تغيير خارطة التوزيع السكاني بشبه الجزيرة العربية.
- ساهمت حروب أيام العرب في تكديس الأموال والخيرات عند بعض القبائل والزعماء على حساب القبائل الأخرى، فضلاً عن ضعف الأوضاع الاقتصادية ببلاد العرب بشكل عام.

- نتج عن حروب أيام العرب كثرة الفقراء والمستضعفين في بلاد العرب، علاوة على ظهور طبقة الصعاليك.
- كان للظروف الطبيعية والاقتصادية والاجتماعية دوراً كبيراً ورئيساً في الحروب بين القبائل العربية.
- وبوجه عام وعلى الرغم من أن تلك الحروب كان لها سلبيات كثيرة على العرب إلا أنها لم تخلو من بعض الإيجابيات على حياتهم.

المصادر والمراجع

أولاً/ المصادر:

- ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني، الكامل في التاريخ، ج1، دار صادر، بيروت، 1965م.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، مقدمة ابن خلدون، ط5، دار النهضة العربية، بيروت، 1981م.
- ابن قتيبة، أبو محمد بن مسلم الدينوري، الشعور والشعراء، ط4، دار الثقافة، بيروت، ط1، 1980م.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين بن محمد بن مكرم، لسان العرب، ط3، دار صادر، بيروت، ج7، 1994م.
- ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب، سيرة ابن هشام، ت: سيد رجب، ط1، دار الصحافة، القاهرة.
- البلاذري، أنساب الأشراف، ط2، القاهرة، 1959م.

- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن، المزهري في علوم اللغة، ج2.
- الأصفهانى، أبو الفرج علي بن الحسين، كتاب الأغاني، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت، ج4-5-9، 1956م.

ثانياً/ المراجع:

- إبراهيم شمس الدين، أيام العرب في الجاهلية والإسلام، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002م.
- أحمد الشريف، مكة والمدينة في الجاهلية، القاهرة، 1967م.
- أحمد مغنية، تاريخ العرب القديم، ط1، دار الصفاة، بيروت، 1994م.
- برهان الدين دلو، جزيرة العرب قبل الإسلام، دار الفارابي، بيروت، 1989م.
- السيد عبد العزيز سالم، تاريخ العرب في العصر الجاهلي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية.
- جرجي زيدان، العرب قبل الإسلام، دار مكتبة الحكمة، بيروت، 1965م.
- جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج4-5، دار مكتبة الحكمة، بيروت، 1965م.
- حسين موسى، تاريخ قريش، ط1، دار السعودية، بيروت، 1971م.
- ديزيرة سقال، العرب في العصر الجاهلي، ط1، دار الصداقة، بيروت، 1995م.
- شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، ط8.
- عمر فروخ، تاريخ الأدب العربي، دار العلم للملايين، ط3، ج1.
- فيليب حتى، تاريخ العرب، ج1، ت: إدوارد جرجي، بيروت، 1965م.

- لطفي عبد الوهاب يحي، العرب في العصور القديمة، دار المعرفة، الإسكندرية، 1986م.
- محمد أحمد جاد وآخرون، أيام العرب في الجاهلية، دار القاسم، القاهرة، 1942م.
- محمد بيومي مهران، تاريخ العرب القديم، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1988م.
- —، الحضارات العربية القديمة، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1993م.
- محمد مبروك نافع، تاريخ العرب، عصر ما قبل الإسلام، القاهرة، 1952م.
- محمد طقوش، تاريخ العرب قبل الإسلام، دار النفائس، ط1، بيروت، 2009م.
- محمود عرفة محمود، العرب قبل الإسلام، دار الثقافة العربية، القاهرة.
- نعمان محمود جبران وآخرون، دراسات في تاريخ الجزيرة العربية قبل الإسلام، مؤسسة حمادة للخدمات الجامعية، الأردن، 1998م.

التركيبية السكنية في مدينة الخمس لعام (2018م) دراسة جغرافية

إعداد: د. محمود علي زايد . د. نورية محمد أبو شرنطة

المقدمة :

تعتبر الوظيفة السكنية بالمدن من أهم الاستعمالات داخل حيز كل مدينة كذلك الأرياف وبالنظر إلى منطقة الدراسة الاستعمالات السكانية تشمل حيز كبير من مخطط مدينة الخمس حيت وصلت إلى 530⁽¹⁾ هكتار حوالي 42% من المخطط الشامل للمدينة وهي من أهم الاستعمالات التي أصبحت في تداخل مع مجمل الاستعمالات الأخرى سوى في المدينة أو الأرياف المجاورة لها حيث يلحظ أن مجمل التغيرات التي حصلت في المنطقة راجعاً إلى الاستعمالات السكنية حيث تغير الكثير منها إلى استعمالات أخرى مثل التجارية والصناعية ، كذلك تعتبر أكثر الاستعمالات التي التهمت الأراضي الزراعية في المنطقة لأن المسكن من الوظائف المهمة وبدونه لا يقوى السكان على الإقامة ومقاومة الظروف الطبيعية الصعبة فهو المأوى المطلوب للفرد والأسرة، وتمعناً في الدراسات التي تخص الوظيفة السكنية استعمالاً للأراضي أتضح أنه رغم تفاوت المساحة المخصصة للسكن تمثل في أكثر المدن ما نسبته 39 إلى 40% من مساحة الحيز الحضري خلال الفترة الاخيرة، وان هذه الوظيفة تتداخل مع استعمالات أخرى وهذا يدل على

(1) المخطط الشامل بوليفيس وارسو ، 1986 - 2000.

أن الاستعمالات السكنية مهمة ومكملة لباقي الاستعمالات الأخرى في المخططات أو خارجها.

مشكلة الدراسة:

وهي تتمثل في التساؤلات الآتية:

- ما هي خصائص الوظيفة السكنية في مدينة الخمس، والأرياف المجاورة؟
- ما هي أشكال التداخل للاستعمالات السكنية مع الاستعمالات الأخرى في المنطقة؟

وأهمية هذه الدراسة في كونها تسلط الضوء على مدى كفاءة الاستعمالات السكنية في المنطقة والوقوف على مدى كفاءة الاستعمالات السكنية في المنطقة والوقوف على مدى التوافق بين النمو السكاني والتوسع الحضري. وأهدافها تتمثل في التعرف على التوسعات السكنية بالمنطقة، حيث يوجد ارتباط بين النمو السكاني والتوسع الحضري في المدينة والأرياف وأن التنمية المكانية غير المتوازية (ريف - حضر) هي المسئولة على الخلل في التوزيع السكاني ومن ثم السكن وإن المنفعة المكانية الأكثر مردوداً اقتصادياً هي أكثر استعمالاتاً للأراضي في المنطقة التي نالها البناء لأي غرض كان.

التركيبة السكنية في مدينة الخمس:

بالنظر إلى الوضع الذي عليه التركيبة السكنية وما تؤديه اتجاه الساكنين

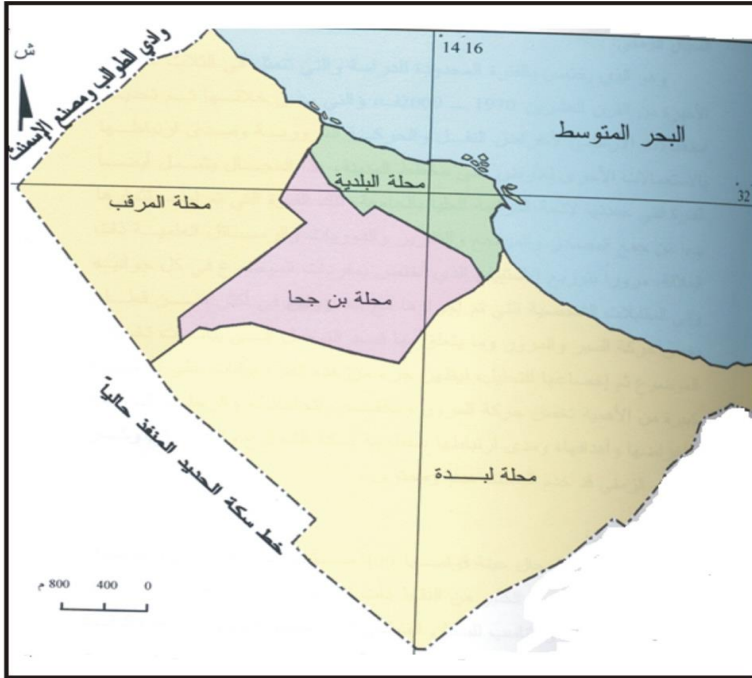
تبيين الآتي:

1- أحياء سكنية مختلفة النمط والبناء في مدينة الخمس مثل حي المنوبية والبلدية
وبن جحا ولبدة وحي شارع (20) وأغلب أحياء المدينة.

2- من خلال ما تم ملاحظته أن المساكن في المدينة متعددة الأنماط، مساكن
دور واحد ودورين وأكثر مثل العمارات التي تخضع للقطاع الخاص والعام
أغلبها تنتشر دون تنميط مكاني ولا مراعاة للخصوصية بالبيئة المجاورة أيّ كان
نمط الاستعمال، والتقيد بالمعايير التخطيطية، مثل قفل بعض الشرفات، تغيير
لون الطلاء لأحد الشقق، النوافذ، الاضافات غير المنطقية الاهمال للكوابل
لخراطيم المياه وغيرها.

ومن خلال الزيارة الميدانية لأحد الأحياء الشعبية في المدينة لحظ بأن

ساكنها هم من ذوي الدخل المحدود وأصحاب المعاشات الأساسية.



خريطة (1) الموقع الجغرافي والفلكي لمدينة الخمس

أنماط الأحياء السكنية في المدينة:

من خلال الدراسة الميدانية لمختلف الأحياء السكنية متعددة الطوابق في المدينة أغلبها لا تتعدى ستة طوابق واطضح أن المساحة المخصصة للوحدة السكنية متجانسة لما هو عليه فكل الشقق بالعمارة أو المركب السكني وأن أغلب العمارات لا يوجد بها مصعد مما يسبب في معاناة السكان رغم أن في الغالب صممت بوجود

مصاعد وأن المساحات للشقق لا تتعدى في معظمها 180م² إلى 200م² في عمارات الضمان الاجتماعي و250م² العمارات السكنية التابعة لمصرف الادخار والاستثمار العقاري، كل شقة من شقق الاسكان العام لا تتعدى 3 حجرات وحمام وصالة جلوس ومطبخ ووسط بمساحة صغيرة وأكثر الساكنين يعانون من مشكلة الازدحام نظراً لكثرة أفراد الأسرة المقيمين داخل الوحدة السكنية.

أما الشقق بالقطاع الخاص هي أكثر اتساعاً مقارنة بشقق القطاع العام وأن الساكنين هم أكثر رضاء عن من سكن سابقاً في القطاع العام، أن الوحدة السكنية تؤدي وظيفة جيدة وقد فضل أصحاب السكن، أو المؤجرين ذلك وفق إرادتهم، يتبين أيضاً من خلال الدراسة الميدانية لمدينة الخمس لسنة 2017م، أن عدد المساكن ذات التوسع الراسي بلغت 2500 وحدة سكنية تقريباً وبالنظر للأحياء السكنية ذات التوسع الأفقي هي الأخرى أنماطها متعددة وتكاليف بنائها عالية ومتباينة فمنها ما تم بناؤها على الحساب الخاص ومنها ما تم بنائه بالقطاع العام أو الاقتراض المصرفي طويلة أو قصيرة الأجل، ومنها ما شمله خطة التطوير العمراني ولوائحه ومنها ما يتبع القطاع العام وتم تخصيصها، أو أن مساحة هذا النمو من المساكن مختلفة، واللوان الطلاء لا تتقيد بلون معين، وهذه المساكن تظهر وهي تؤدي وظيفة سكنية لساكنها، نوعية مركبة وبكثافة مختلفة وتحكم اختيار مواصفاتها عدة عوامل، اجتماعية، اقتصادية مزاجية احياناً لذلك تكون على الشكل التالي:

أ- في مجملها مساكن ذات توسع أفقي تؤدي وظيفة سكنية تحتل مساحة لاباس بها من الأراضي مجمل المساحة المخصصة للاستعمالات السكنية ضمن الحيز الحضري من مخطط المدينة اجمالي ما نسبته 83% من حيث الأراضي المخصصة للسكن تخضع للاستعمال من هذا النوع أياً كان نمط ونموذج السكن تبين أن توزيع المساكن يأتي استجابة لعدة عوامل اقتصادية واجتماعية والقدم الحداثة داخل الحيز الحضري الواحد عدا الأطراف والضواحي التي هي مزيج من ادور سكنية، وخدمية، وأراضي فضاء سوف ينالها البناء في فترات لاحقة وبالنظر إلى المساكن داخل المدينة تبين أن الأحياء السكنية تختلف وهي كالآتي:

1- مساكن قديمة ترجع إلى فترات سابقة البيوت منها أنشأ خلال العهد التركي والإيطالي وفترة الاستقلال وبنائها من الطين والحجارة والجير، شكلها متقارب من بعضها، متجانس في مادة بنائها وتكون متقاربة حتى في مستوى معيشة سكانها وتوجد هذه المساكن بالنواة في المدينة مثل حي بن جحا والمنوبية وما كان يعرف بالحارة التي ازيلت غالبيتها حالياً.

إلا أنه اليوم ازيلت الكثير منها وتحولت إلى نواة تجارية كبيرة في مدينة الخمس مثل شارع سحيم وأبن سينا وتغيرت معالم هذه الأحياء السكنية واصبحت اليوم مركزاً تجارياً هاماً في مدينة الخمس.

ومن خلال الدراسة الميدانية أمكن رصد الآتي:

أ- المساكن متقاربة في نواة المدينة في المساحة والارتفاع مساحة المسكن تقريباً 100-150 متر مربع كل مسكن له مدخله الخاص وأغلبها تطل على شوارع لا يمكن كشف ما بداخلها والشوارع ضيقة وأكثرها ترابية والمساكن مكيفة طبيعياً دفئة شتاءً وباردة صيفاً انسجاماً مع طبيعة مادة البناء المستعملة.

ب- أحياء سكنية خارج السور الذي كان سابقاً يحيط بالمدينة هدمت جدرانها حالياً، ما تبقى منه إلا القليل لذلك انشئت مساكن في مخطط أحدث قريبة من وسط المدينة وتمتاز بالكثافة السكنية والخدمية للوحدات البنائية حيث نجد البناء لا يخلو من الوظيفة المركبة مسكن تجاري، سكني خدمي، أكثر المساكن مملوكة البعض منها مؤجر الشوارع المتفرعة تصطف على جوانبها المساكن والتي تحولت في معظمها خاصة التي تقع على واجهات الطرق المرصوفة إلى واجهات تجارية أو خدمية لذلك أصبح ساكنين تلك المساكن يعانون من الضجيج وحركة المارة أغلب ذلك تم بتجاوز الأفراد على المخططات.

ج- أحياء سكنية في المنطقة الانتقالية بعيدة عن المركز قريبة من الضواحي مساكنها أقلت من سابقاتها، حادثة، وتكلفة بناء وانشاء وقت ديكور وبمساحة لا تقل في معدلها عن 300م² اتجه إلى هذه المنطقة التي كانت ذات طبيعة سكنية وكثافة متوسطة مقارنة بما عليه الوضع للوحدات السكنية بمركز التي أصبحت متداخلة مع الاستعمالات الأخرى مثل التجاري الخدمي والصناعي حيث المحال التجارية الأكثر اتساعاً والافضل عرضاً للبيضاة ومثل ذلك الورش المتخصصة

(حدادة - نجارة - ترميم للمركبات - سمكرة) وبهذا الغزو المتواصل لهذه المنطلقة صار بعض الساكنين مما كان الهدم من هذا النوع مجاوراً لهم بالصدفة أو وفقاً لمبدأ العشوائية وغياب خط التنظيم الذي تسبب في الضجيج والتشوه البصري في تلك الأحياء.

لِحظ أن السكن أصبح غير راضيا في مثل هذه المساكن مثل المساكن في شارع عشرين تحولت أغلب مساحة المساكن إلى مساحات تجارية والاكتفاء لأفراد الأسرة في حيز ضيق وجود مناطق سكنية بهذا الحيز غير متجانسة والسبب هو الاستعمال غير المخطط.

د- مساكن بالضواحي متمثل في الفلل أو القصور والمباني الفارهة، هذه المساكن تتصف بالعزلة وأنها متباعدة عن بعضها نوعاً مثلما هي معزولة عن الاستعمالات الأخرى وخاصة التجارية والصناعية أن أغلب المساكن هي ذات طبيعة سكنية تعكس الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية وخاصة أن ساكني هذه الأطراف والضواحي هم من ذوي الدخل المتوسط والعالي واختيرت مواضعها استجابة لنتيجة مكانية لعب فيه توفر الأرض دوراً مهماً فاخترت مواصفات المسكن بأن تؤدي لمسكن وظيفة سكنية لساكنيها وقد اتضح أن الضواحي السكنية تخدمها وسائل نقل خاصة ولازال البعض منها ينقصها الخدمات العامة مثل المجاري والطرق المعبدة رغم وظيفتها السكنية واتضح أن عدد المساكن جميعها بالمخطط.

هـ- مساكن خارج المخطط:

تتمثل في ما تؤديه المساكن من وظيفة سكنية خارج المخطط وهي تشمل الأرياف المجاورة للمدينة وذلك بالحيز الذي يحيط بالمدينة غرباً وجنوباً وشرقاً والتي أصبحت تحظى اليوم بثنائية ريفية حضرية حسب نوع وحجم التجمع السكني لوحظ أن الأسر تسكن في مساكن وجميع المساكن تؤدي وظيفة السكن أيا كان مستواها متدنية - متوسطة - جيدة فوق الجودة وبالنظر إلى عدد الأفراد الريفيين تقريباً 22182 مسكناً حسب احصاء العام 2006. (1)

يتبين من خلال الدراسة الميدانية أن المساكن أغلبها متباينة من حيث المساحة والشكل والحجم والارتفاع والطلاء وجميعها تنقصها الخدمات مثلما تنقصها الطرق المعبدة وتعاني المساكن من المشاكل خاصة في فصل الشتاء عندما يختلط الطين والوحل بالماء عقب هطول الأمطار بشوارع تصل بين التجمعات القروية أو السكنية أيا كان كثافتها وشكل توزيعها وقد لوحظ أن بعض المناطق الريفية صارت ذات طبيعة متغيرة بحكم ذلك ارتفاع أثمان سعر الأرض للأغراض السكنية أو الخدمية.

بهذه الدراسة نرى ان النمو السكاني بشقيه يشهد زيادة مرتفعة بالمدن وذلك نتيجة الهجرة المتزايدة للسكن بالمدن حيث أن الأفراد القادرين على العمل والخدمية من الأرياف هم أكثر عرضة للهجرة للمدن بحثاً عن حياة أفضل، وبالرغم من ذلك

(1) الاحصاء السكاني لعام 2006.

فمعدل النمو السكاني يميل إلى الانخفاض في المدينة لأسباب اقتصادية واجتماعية، ولعل أحدها تأخر سن الزواج، وعدم الحصول على سكن لائق يفي بالشروط أحياناً والانخراط في عمل يتحقق من ورائه دخل يمكن من الاستقلالية الأسرية والاستقرار، وهذا هو هدف أي فرد يبذل الجهد من أجل تأمين الاستقرار وذلك باللجوء إلى بناء وحدة سكنية أياً كانت لتكون لائقة للإيواء.

إن الاسكان كوظيفة معناه تسخير الأرض خدمة للاستعمالات السكنية بموارد متاحة قصد تحقيق التنمية المكانية لتطوير السكن ليضل بين موروث قديم محافظ عليه ترميماً وصيانة، وأخر يواكب التحديث والمعاصرة سواء بالمخططات أو الأرياف، وليصبح الاسكان كقطاع مهم يرتبط بالتخطيط الحضري، وبالتنسيق والترتيب الأسري له ولربما بمساعدات مختلفة، سواء كان الاسكان عاماً مخططاً له، وخاصاً يخضع لخرائط وخط تنظيم بالمدن، منها مدينة الخمس موضوع الدراسة.

النتائج والتوصيات:

هذه الدراسة توصلت إلى النتائج الآتية:

- 1- إن الأنماط السكنية المتمثلة في العمارات الشعبية والخاصة أغلبها لا يوجد بها مصاعد كذلك تدني خدمات الصرف الصحي والطرق المعبدة الموصلة إليها.
- 2- المساكن الفردية لا يمكن أن تكون صالحة في تجمع سكني جون تجمع رأسين بمعنى أن المساكن المتعددة الأدوار يجب أن تكون في مناطق مختارة بعيدة عند الأحياء السكنية المخالفة لها غطاء ونموذجاً.
- 3- ظهور الاضافات غير المنطقية بالتجاوز، وهو أمر لا يحظى برضا الجيران.
- 4- تبين أن بعض المساكن تم بناؤها بشكل لا يقبل هيكلها التغير او التعديل.
- 5- تعاني بعض المساكن من نقص في ضخ مياه الشرب.
- 6- لا يوجد معيار يحدد الايجار، فالمزاج متروك لصاحب العقار.
- 7- الاسكان لا يخضع للائحة يتم بموجبها تنظيم الطلاء كلون موحد للمباني السكنية في المدينة.

التوصيات:

ضرورة اعداد مخطط جديد ينظم الاستعمالات المختلفة في المدينة خاصة الاستعمالات السكنية وضرورة الاهتمام بالمظهر الجمالي للمدينة والتقيد بلوائح تحدد لون الطلاء للمساكن حتى تكون مدينة تخلو من التشوهات البصرية وتكون

مستقر لسكان يتمتعون بسكن لائق، صحي وجميل يضيف إلى جمال المدينة جمالا وحياة رغبة ينعم بها كل متساكني المدينة مدينة الخمس وباقي مدن ليبيا بشكل عام.

المصادر والمراجع

- عمورة، علي الميلودي، لبيبي، تطور المدن والتخطيط الحضري دار الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1998.
- الدغستاني، عبدالمجيد، التطور الحضري والتخطيط، مطبوعات وزارة الأعلام، الرياض، 1985م.
- أبوعيانة، فتحي محمد، (دراسات في علم السكان، دار النهضة العربية، بيروت، 1985.
- الحداد، عوض يوسف وآخرون "دراسات تطبيقية في جغرافية ليبيا البشرية" ، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 2002 .
- مكتب الاحصاء والتعداد، طرابلس، 1984م، الهيئة الوطنية للمعلومات والتوثيق، بشأن التعدادات السكانية، 2006م.
- المخطط الشامل لمدينة الخمس، 1966م، بولسيرفس، المخطط الشامل لمدينة الخمس، 1980-2000م.

مفهوم الأخلاق عند الغزالي:

د. آمنة عبدالسلام الزائدي

المقدمة:

يعتبر علم الأخلاق ركناً أساسياً من أركان مباحث الفلسفة منذ نشأة الفكر الفلسفي، وقد خصص له مكانة مميزة ومهمة في جميع المذاهب الفلسفية على اعتبار أن الفلسفة تبحث في القيم الثلاث الأساسية: "الحق.. الخير.. الجمال".

ويعد أبو حامد الغزالي من كبار المفكرين المسلمين عامة ومن كبار المفكرين بمجال علم الأخلاق والتربية خاصة، الذين بينوا الطرق العملية لتربية الأبناء وإصلاح الأخلاق الذميمة وتخليص الإنسان منها، فكان بذلك مفكراً ومربياً ومصلاً اجتماعياً في آن معاً.

ولهذا تتجلى أهمية اختيار هذا الموضوع في إبراز الدور الكبير الذي قام به حجة الاسلام الغزالي في محاولة أثبات ارتباط الدين بالأخلاق فالدين عنده أساس الأخلاق وهي غايته وهدفه. أما عن إشكالية البحث فقد حاولت من خلال هذا البحث الإجابة عن العديد من التساؤلات التي يثيرها موضوع البحث، وهي كالاتي: مامفهوم الأخلاق عند الغزالي؟ وهل هناك شروط للفعل حتى يكون أخلاقياً؟

وهل الأخلاق ثابتة أم أنها قابلة للتغيير عند الغزالي؟ وإذا كانت قابلة للتغيير فماهي الوسيلة للانتقال من الرذيلة إلى الفضيلة؟ ولكن كيف يربى الخلق عنده؟ وهل هناك غاية من الأخلاق، وهل يستطيع الإنسان بلوغ أعلى درجات الأخلاق؟

دراسته لعلم الاخلاق:

وللإجابة عن هذه الأسئلة وعلى الرغم من أن علم الأخلاق لم يكن بالعلم المحدث أيام (الغزالي) ففي الحديث الشريف "بعثت لأتمم مكارم الأخلاق"¹ كما أن كثيرين أولئك الذين تناولوا مسائل الفلسفة الأخلاقية قبله، سواءً أكان في الفكر اليوناني، أم كان في الفكر العربي الإسلامي، فإن الغزالي اهتم بالأخلاق اهتماماً كبيراً، فاحتلت جزءاً كبيراً من مؤلفاته.

ومن أشهر كتبه المتصلة بالأخلاق هي إحياء علوم الدين، وقد أسسه على أربعة أرباع:

ربع العبادات وربع العادات وربع المهلكات وربع المنجيات.

أما ربع العبادات فقد ذكر فيه خفايا آدابها ودقائق سننها وأسرار معالجاتها مما يضطر العامل إليه.

وأما ربع العادات فقد احتوى على أسرار المعاملات الجارية بين الخلق وأغوارها ودقائق سننها وخفايا الورع في مجاريها.

كما أشار في ربع المهلكات إلى كل خلق مذموم ورد الأمر في القرآن بتجنبه وتركية النفس عنه وتطهير القلب منه . وكان ذكره لكل من هذه الأخلاق على النحو التالي،
1. حده وحقيقته، 2. سببه الذي يتولد عنه، 3. الآفات التي تترتب عليه، 4. العلامات التي يعرف بها، 5. طرق معالجته.

أما في ربع المنجيات فقد بين كل خلق محمود وخصلة مرغوب بها من خصال المقربين والصديقين بنفس الطريقة التي يذكر فيها الأخلاق المحمودة. وكذلك تناول

¹. موطأ مالك ، كتاب الجامع، باب حسن الخلق.

الأخلاق في كتبه الأخرى: كميزان العمل ومنهاج العارفين والأربعين في أصول الدين والأدب في الدين ونصيحة الملوك والقواعد العشرة والمنقذ من الضلال ... وغيرها.، وقد أطلق الغزالي على هذا العلم أسماء متعددة مثل: علم طريق الآخرة، وعلم صفات الخلق، وأسرار معاملات الدين، وأخلاق الأبرار، ويقصد به تكييف النفس وردّها إلى ما رسمته الشريعة وخطة رجال المكاشفة من علماء الإسلام ومن سبقهم من الأنبياء والصديقين¹، والحقيقة أن تتبع ما أثاره الإمام (الغزالي) من مسائل تخص الفلسفة الأخلاقية يقودنا إلى أنه قد عالج هذه المسائل انطلاقاً من وجهتي نظر، فقد نظر إلى الأخلاق نظرة دينية وقادها في منحى صوفي، في الوقت الذي كان يعالجها ويتعامل معها بأسلوب الفيلسوف ولغته، إلا أننا لا نميل إلى الفصل بين آرائه على هذا النحو، ذلك أن ثمة تداخلاً وتشابكاً بينهما، فالنزوع الفلسفي لم يفارق الغزالي في أي من كتبه، كما أن تأثير التعاليم والمبادئ الدينية قد ظل واضحاً أيضاً، بل كان الطابع المميز له.

فالأخلاق ترتبط عند الغزالي بالدين ارتباطاً قوياً ومتيناً، فالدين عنده أساس الأخلاق وهي غايته وهدفه، وبما أن أخلاق الإنسان تترجم بسلوكه وأفعاله المختلفة التي تصدر بفعل من بواعث ومواقع نفسية داخلية كامنة في باطن النفس الإنسانية، ومن خلال تحليله لهذه النفس بهدف الكشف عن دوافع الخير وبواعث الشر فيها؛ وجد الغزالي أن الدين هو الوسيلة الفضلى في تعديل هذه البواعث والدوافع وتتميتها بشكل تتسق مع فروض العبادات والشعائر الدينية.

¹ زكي مبارك، الأخلاق عند الغزالي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1988م، ص113.

فاعتمد الغزالي القرآن الكريم معياراً ليحتكم إليه الفرد في رسم صفات الخلق الحسن وصفات الخلق السيئ إذ فرق الخالق جلّ وعلا في كتابه العزيز بين صفات المؤمنين وصفات المنافقين، وهي في جملة ثمره حسن الخلق وسوئه التي وضحها الغزالي بإيراد جملة من الآيات القرآنية بقوله " فمن أشكل عليه حاله فلينظر نفسه على هذه الآيات فوجود جميع هذه الصفات علامة حسن الخلق، وقد جميعها علامة سوء الخلق، ووجود بعضها دون بعض يدل على البعض دون البعض، فليشغل بتحصيل ما فقده وحفظ ما وجده"¹ وعلم الأخلاق عند الغزالي علم معاملة لامكاشفة أي أنه يبحث في الأعمال وفيما ينبغي على المرء أن يفعله ليكون سلوكه موافقاً لروح الشريعة وقد قدم لكتاب الإحياء بقوله: "إن طريق الآخرة ومادرج عليه السلف الصالح مما سماه الله سبحانه في كتابه فقها وحكمة وعلماً وضياءً ونوراً وهداية ورشداً فقد أصبح من بين الخلق مطوباً وصار نسياً منسياً ولما كان هذا تلماً في الدين ملماً وخطباً مدلهماً رأيت الاشتغال بتحضير هذا الكتاب إحياء علوم الدين وكشفنا عن مناهج الأئمة المتقدمين وإيضاحاً لمناحي العلوم النافعة عند النبيين والسلف الصالحين"².

¹ الغزالي، إحياء علوم الدين، ج3، ص74، زكي مبارك، الأخلاق عند الغزالي، ص158.159.

² الغزالي، إحياء علوم الدين، ج1، ص3.

مفهوم الخلق عند الإمام الغزالي: يفرق الغزالي بين الخلق، والخلق والمراد بالخلق هو الصورة الظاهرة المركب منها الإنسان، والخلق هو الصورة الباطنة للإنسان، ولكل واحد منهما صورة إما قبيحة وإما جميلة¹.

يعرف الغزالي الخلق في الميزان بأنه "إصلاح القوى الثلاث قوة التفكير وقوة الشهوة وقوة الغضب"². ويعرفه في مكان آخر من الميزان بأنه إزالة جميع العادات التي عرف الشرع تفاصيلها وجعلها بحيث يبغضها فنتجنبها كما نتجنب المستقذرات. وتعود العادات الحسنة والاشتياق إليها³. وأيضاً يعرف الخلق الحسن بفعل ما يكره المرء. ويستشهد بالحديث: ("حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات)⁴ وبالآية: (عسى أن تکرهوا شيئاً وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئاً وهو شر لكم)⁵".

ولعل أكثر هذه التعريفات دقة وضبطاً هو التعريف الذي قدمه لنا في "الإحياء" حيث يقول إن الأخلاق هي: "هيئة في النفس راسخة عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر ومن غير حاجة إلى فكر أو روية فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال

¹ - علي عبدالفتاح المغربي، دراسات عقلية وروحية في الفلسفة الإسلامية، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1995م، ص245.

² - الغزالي، ميزان العمل، ص56.

³ - المصدر نفسه، ص47.

⁴ - صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب حببت النار بالشهوات، الجزء رقم 4.

⁵ - سورة البقرة، الآية: 216.

⁶ - الغزالي، ميزان العمل، ص64.

الجميلة المحمودة عقلاً وشرعاً سميت الهيئة خلقاً حسناً وإن كان الصادر عنها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي المصدر خلقاً سيئاً¹.

ويشرح الغزالي المقصود بأن الأخلاق هيئة راسخة، أي أنها ثابتة في النفس، بمعنى أن لا يأتي الفعل الخلفي استثناءً أو عارضاً، بل يكون دائماً وثابتاً، والمقصود بغير روية وفكر، هو أن يكون الفعل الأخلاقي سهلاً ميسوراً لا يحتاج إلى إعمال الفكر (فطري وطبيعي)² ولذلك يقول الغزالي: "من تكلف بذل المال أو السكوت عند الغضب بجهد وروية لا يقال خلقه السخاء والحلم"³.

والحق أن الإمام الغزالي لم يبتعد بهذا التعريف عن التعريفات المعاصرة للأخلاق على تعددها وتباينها، لذلك ركز مفهومه للأخلاق على الفكرة الجوهرية التي يقوم عليها الفعل الأخلاقي ويصدر عنها، وهي الرسوخ في النفس والتلقائية، إذ الفعل الأخلاقي العرضي ليس موجباً لوصف فاعله بأنه أخلاقي، أو غير أخلاقي، كما أن إطالة التفكير وتكلف الجهد لدفع الذات إلى الفعل الأخلاقي ليس كافياً لاعتبار صاحب الفعل متخلقاً به.

شروط الفعل الأخلاقي: انطلاقاً من تعريفه للأخلاق يبين لنا الإمام الغزالي شروط الفعل الأخلاقي فيرى أنها أربعة: الأول: فعل الجميل والقيح. والثاني: القدرة عليهما. والثالث: المعرفة بهما. والرابع: هيئة للنفس بها تميل إلى أحد الجانبين

¹ الغزالي، إحياء علوم الدين، ج3، ص52.

² علي عبدالفتاح المغربي، دراسات عقلية وروحية في الفلسفة الإسلامية، ص246.

³ الغزالي، إحياء علوم الدين، ج3، ص53.

ويتيسر عليها أحد الأمرين¹ ومن ذلك يتبين لنا أن هذه الشروط الأربعة للفعل الأخلاقي متلازمة متكاملة، أولها وجود الفعلين: الجميل والقيح، وثانيها: قدرة المرء على فعلهما معاً، وثالثها: معرفته بالفعل الذي يقوم به وقيمته التي يحققها، وأخيراً الفعل الأخلاقي بحد ذاته وهو أهمها، هذا الفعل الذي ينبغي أن يكون صدوره من غير روية وتفكير، أي بصورة تلقائية، ولذلك كما يقول الإمام الغزالي: "وليس الخلق عبارة عن الفعل، فرب شخص خلقه السخاء ولا يبذل إما لفقد المال وإما لمانع، وربما يكون خلقه البخل وهو يبذل إما لباعث وإما لرياء، وليس هو عبارة عن القوة لأن نسبة القوة إلى الإمساك والإعطاء بل إلى الضدين واحدة، وكل إنسان خلق بالفطرة قادر على الإعطاء والإمساك، وذلك لا يوجب خلق البخل ولا خلق السخاء، وليس هو عبارة عن المعرفة فإن المعرفة تتعلق بالجميل والقيح جميعاً على وجه واحد، بل هو عبارة عن المعنى الرابع، وهو الهيئة التي بها تستعد النفس لأن يصدر منها الإمساك أو البذل، فالخلق إذن عبارة عن هيئة النفس وصورتها الباطنة"².

طابع تغيير الخلق:

إذا كانت الأخلاق هيئة راسخة في النفس، فهل يعني ذلك أن الأخلاق لا يمكن تبديلها؟ بمعنى آخر هل الأخلاق مكتسبة؟ يجيب الغزالي بأن الأخلاق تقبل التغيير، ويدعم الغزالي رأيه بإشارته إلى أن كل كائن حي يمكن أن يتغير خلقه حتى البهائم يمكن تبديل خلقها من الاستيحاش إلى الاستئناس. وإلى أنه لو كانت

¹ المصدر نفسه، ج3، ص52.

² المصدر نفسه، ج3، ص52.

الأخلاق لاتقبل التغيير لبطلت المواظ والوصايا والتأديبات، ولما قال الرسول صلى الله عليه وسلم: "حسنوا أخلاقكم"¹.

كما أن الغزالي لم ير في تغيير الأخلاق إعداماً وقضاءً مبرماً على بذرة الشر والسوء والفساد في نفس الإنسان كما ظن البعض، وإنما تغيير الأخلاق هو قهر الطباع السيئة الفاسدة وإسلاسها وترويضها وحسن قيادها، يقول الغزالي: "وظنت طائفة أن المقصود من المجاهدة قمع هذه الصفات بالكلية ومحوها، وهيهات! فإن الشهوة خلقت لفائدة. وهي ضرورية في الجبلة، فلو انقطعت شهوة الطعام لهلك الإنسان، ولو انقطعت شهوة الوقاع لانقطع النسل، ولو انعدم الغضب بالكلية لم يدفع الإنسان عن نفسه ما يهلكه. ومهما بقي أصل الشهوة فيبقى لامحالة حب المال الذي يوصله إلى الشهوة حتى يحمله ذلك على إمساك المال. وليس المطلوب إماطة ذلك بالكلية، بل المطلوب ردها إلى الاعتدال الذي هو وسط بين الإفراط والتفريط"².

أما كيف يتم هذا التغيير فإن الغزالي يحدده على مراحل:

1. معرفة الأخلاق المذمومة.

2. طريق تغييرها أو وسائل العلاج العامة.

3. طرق التعديل أو العلاج الخاصة بكل نوع من الأخلاق المذمومة.

¹ المصدر نفسه، ج3، ص54.

² الغزالي، إحياء علوم الدين، ج3، ص55.

4. معرفة الإنسان عيوب نفسه.

5. تقدير حالة الإنسان الذي سيغير خلقه.

6. وسيلة العلاج الخاصة والعامة لكل إنسان.

ويرى الغزالي أن حسن الخلق يرجع إلى اعتدال قوى النفس المفكرة والغضبية والشهوية، وهذا الاعتدال يأتي على وجهين: أحدهما: يحصل بوجود إلهي بحيث يخلق الإنسان ويولد كامل العقل حسن الخلق.

والوجه الثاني: هو اكتساب هذه الأخلاق بالمجاهدة والرياضة.

وهكذا يرى الغزالي أن الأخلاق الحسنة تارة تكون بالطبع والفطرة، وتارة تكون باعتماد الأفعال الجميلة، وتارة بمشاهدة أرباب الأفعال الجميلة ومصاحبتهم وهم قرناء الخير وإخوان الصلاح، فالفضيلة بذلك تكون بالطبع والاعتقاد والتعلم، ومن توافرت فيه هذه الخصائص الثلاث كان في غاية الفضيلة.

كما أن قبول الناس لتغيير الأخلاق ليس بدرجة واحدة بل هم في ذلك مختلفون على أربع مراتب، يحددها الغزالي في قوله¹:

الأولى: هو الإنسان الغفل الذي لا يعرف الحق من الباطل والجميل من القبيح.

والثانية: أن يكون قد عرف قبح القبيح ولكنه لم يتعود العمل الصالح، بل زين له شر عمله يتعاطاه انقياداً لشهواته وإعراضاً عن صواب رأيه.

¹ انظر: الغزالي، إحياء علوم الدين، ج3، ص55، الغزالي، ميزان العمل، ص65.63.

والثالثة: أن يعتقد الأخلاق القبيحة أنها الواجبة المستحسنة وأنها حق وجميل ثم تربي عليها، فهذا يكاد يمتنع معالجته ولن يرجى صلاحه إلا على الندور إذ تضاعفت عليه أسباب الضلال.

والرابعة: أن يكون مع وقوع نشوئه على الاعتقاد الفاسد وتربيته على العمل به يرى فضله في كثر الشر واستهلاك النفوس، ويتباهى به، ويظن أن ذلك يرفع من قدره - وهذا أصعب المراتب - وصاحب المرتبة الأولى جاهل والثانية جاهل وضال والثالثة جاهل وضال وفاسق والرابعة جاهل وضال وفاسق وشرير.

وبالتالي يمكن القول بأن الغزالي يقر بدور للطبع ودور للاكتساب، لكن مافي الطبع يحتاج إلى المرانة والاعتیاد والتعلم، وهذا يعني أن ما في الطبع ليس داءً عضالاً لايمكن اقتلعه، بل يمكن تعديله وتوجيهه بالاعتیاد والتعلم والمخالطة.

الطريق إلى تهذيب الأخلاق:

وإذا كانت الأخلاق قابلة للتغيير، - كما ذهب الغزالي - فما الطريق، وما وسيلة الانتقال من الرذيلة إلى الفضيلة؟

يرى الغزالي أن ذلك يتحقق عن طريق تعويد النفس على الفضيلة، فعلاج الجهل بالتعلم والبخل بالتسخي تكلفاً، والكبر بالتواضع تكلفاً، والشره بالكف عن المشتهي تكلفاً.

إذ يعتمد هذا الطريق عند الغزالي على علاج النفس بمحو الرذائل عنها، وجلب الفضائل والأخلاق الجميلة إليها، مثال: البدن في علاجه بمحو العلل عنه وكسب الصحة وجلبها إليه، وكما أن الغالب على أصل المزاج الاعتدال وإنما تعتري المعدة المضرة بعوارض الأغذية والأهوية والأحوال. فكذلك المولود يولد معتدلاً

صحيح الفطرة - أي بالاعتقاد والتعليم تكتسب الرذائل - وكما أن البدن في الابتداء لا يخلق كاملاً وإنما يكمل ويقوى بالنشوء والتربية، فكذلك النفس تخلق ناقصة قابلة للكمال، وإنما تكمل بالتربية وتهذيب الأخلاق والتغذية بالعلم، وكما أن البدن إن كان صحيحاً فشأن الطبيب تمهيد القانون الحافظ للصحة. وإن كان مريضاً فشأنه جلب الصحة إليه، فكذلك النفس منك إن كانت زكية طاهرة مهذبة فينبغي أن تسعى إلى حفظها وجلب مزيد قوة إليها، واكتساب زيادة صفائها، وأن كانت عديمة الكمال والصفاء فينبغي أن تسعى إلى جلب ذلك إليها. وذلك يعني اقتلاع الرذيلة، وإبدالها بالفضيلة.

وهذا العلاج عند الغزالي ليس بالأمر السهل في بدايته، بل يحتاج إلى الصبر والمجاهدة، فكما يصبر المريض على مر الدواء، فلا بد من احتمال مرارة المجاهدة والصبر لمداوة مرض القلوب. فعلى المريض أن يتكلف ذلك الخلق الحسن الجديد ويصبر عليه، ثم يداوم على تكراره، حتى يصبح عادة سهلة ميسورة وراسخة في النفس¹.

كما يشير الغزالي إلى أن هذا العلاج ليس واحداً وثابتاً لكل الأمراض والمرضى، بل هو متغير حسب حالة المرض وحالة المريض، وإذا كان ذلك مايراعيه الطبيب المعالج للأبدان، فكذلك يجب أن يراعيه الشيخ الذي يعالج نفوس المريدين، يقول الغزالي: "فينبغي أن لا يهجم عليهم بالرياضة والتكاليف في فن مخصوص مالم

¹ عبدالفتاح المغربي، دراسات عقلية وروحية في الفلسفة الإسلامية، ص 251.

يعرف أخلاقهم، فإذا عرف ماهو الغالب على المرید من الخلق السيئ وعرف مقداره ولاحظ حاله وسنه ومايحتمله من المعالجة عين له الطريق"¹.

والحق أن هذا، كما يقول الإمام الغزالي طريق جملي (كلي) في تهذيب الأخلاق، والكلام في تفصيله يطول، والغرض أن ننظر إلى تزكية نفوسنا في أخلاقنا، فإن كانت مهذبة وجب علينا حفظها، وإن كانت مائلة وجب تقويمها بالرد إلى حد الاعتدال، والمقصود من جلب الاعتدال سلب الطرفين، إذ الغرض تطهير النفس عن الصفات التي تلحقها بعوارض البدن، حتى لا تلتفت إليها بعد المفارقة، عاشقة ومتأسفة على قوتها.

ولذلك فقد عرض لنماذج كثيرة من الرذائل وبين كيفية علاج كل منها، ليعود إلى التأكيد بأنه ليس يعرض إلى ذكر دواء كل مرض، وإنما غايته التنبيه على أن الطريق الكلي إنما هو سلوك مسلك المعتاد لكل ما تهواه النفس وتميل إليه، وحتى لا يكون الأمر عشوائياً من غير ضابط بحيث ننتقل من داء إلى داء آخر، ومن مرض إلى مرض آخر، فقد أصر كثيراً على مسألة وضرورة مراقبة النفس دائماً في سلوكها وتصرفاته.

معرفة عيوب الذات:

ومما يلحق بتهذيب الأخلاق وإصلاحها، ويتصل بهما اتصالاً وثيقاً، معرفة عيوب الذات، كما يقف المرء على وجوه معايبه ويحسن الاستفادة منها في تغيير أخلاقه وتهذيبها، يرى الإمام الغزالي أن المفكر نافذ البصيرة، الذي يحسن استخدام عقله وتوظيفه لم تخف عليه عيوبه، ويحسن تعقله وتفكيره يعالج ما يعرف من

¹ الغزالي، ميزان العمل، ص75.72.

عيوبه لأن علاجها يقود إلى كمال النفس ونزاهتها، ولكن المشكلة تكمن في أن أكثر الخلق جاهلون بعيوب أنفسهم؛ ولذلك تجد أحدهم يرى القذى في عين أخيه ولا يرى الجذع في عين نفسه، ولما كانت الحالة كذلك لم يجد الغزالي بداً من وضع مقياس يستند إليه المرء الذي يتوخى معرفة عيوب نفسه، وينقسم هذا المقياس إلى طرق أربعة¹: الأول: أن يجلس بين يدي شيخ بصير بعيوب النفس، مطلع على خفايا الآفات، وبحكمه في نفسه، ويتبع إشارته في مجاهدته، وهذا شأن المريء مع شيخه، والتلميذ مع أستاذه، فيعرفه أستاذه وشيخه عيوب نفسه ويعرفه طريق علاجه، ولكن الإمام الغزالي يرى أن مثل هذا عرٌّ وجوده وندر في زمانه، ولذلك قدم طريقاً آخر.

الثاني: أن يطلب صديقاً صدوقاً متديناً فينصبه رقيباً على نفسه ليلاحظ أقواله وأفعاله، فما كره من أخلاقه وأفعاله وعيوبه الباطنة والظاهرة ينبهه عليه² فهكذا كان يفعل الأكياس والأكابر من أئمة الدين، ويستشهد لذلك ببعض الأقوال منها قول عمر بن الخطاب (38 ق.هـ/ 23هـ، 586م/644م) "رحم الله امرأ أهدى إليّ عيوبي". ولما ندر أيضاً وجود الصديق الصادق في وده وحبه، ولما كان الصديق ينظر بعين الرضا فلا يرى إلا محاسن، لم يكن هناك بدا من تقديم طريق ثالث الثالث: أن يستفيد معرفة عيوب نفسه من السنة أعدائه فإن عين السخط تبدي

¹ الغزالي، إحياء علوم الدين، ج3، ص656.

² في حين أن هناك موقفاً مضاداً للغزالي في هذه المسألة يمثله أبوحيان التوحيدي وكفره بالصديق وانه لا يوجد صديق، حيث يقول: "وقيل كل شيء ينبغي أن نثق بأنه لا صديق، ولا من يتشبه بالصديق" انظر: أبوحيان التوحيدي، الصداقة والصديق، ص5.

المساوي، ولعل انتفاع الإنسان بعدو مشاحن يذكره عيوبه أكثر من انتفاعه بصديق مدهن يثني عليه ويمدحه ويخفي عيوبه. ويجب على الإنسان أن ينتبه إلى أن الطبع مجبول على تكذيب العدو وحمل ما يقوله على الحسد، ولذلك ينبغي عليه أن يكون بصيراً حاذقاً، يعرف كيف ينتفع بقول أعدائه، فإن مساويه لا بد من أن تنتشر على ألسنتهم.

الرابع: أن يخالط الناس، فكل ما رآه مذموماً فيما بين الخلق فليطالب نفسه به وينسبها إليه، فإن المؤمن مرآة المؤمن، فيرى من عيوب غيره عيوب نفسه، ويعلم أن الطباع متقاربة في اتباع الهوى، فما يتصف به واحد من الأقران لا ينفك القرن الآخر عن أصله أو عن أعظم منه أو عن شيء منه، فليتقّد نفسه وليطهرها من كل ما يذمه من غيره، وناهيك بهذا تأديباً. فلو ترك الناس كلهم ما يكرهون من غيرهم لاستغنوا عن المؤدب ويستشهد لذلك بجواب (عيسى) عليه السلام عندما سئل عن أدبه فقال: "ما أدبني أحد، رأيت جهل الجاهل شيئاً فاجتبتته".

وبالتالي لا بد لنا هنا من الحديث عن الخلق الحسن الذي يعده الغزالي الغاية المرجوة من تهذيب الأخلاق.

الخلق الحسن:

لم يقنع الغزالي بالتعريفات الكثيرة للخلق الحسن التي درج العلماء والفقهاء والأدباء على استخدامها، ذلك أنها لم ترقى إلى الدلالة المفهومية للخلق الحسن، أي لم تعرض لحقيقته، وإنما كانت تعرض لثمرة الخلق الحسن، كأن يقال الخلق الحسن هو "بسط الوجه وبذل الندى وكف الأذى... وهو إرضاء الخلق في السراء والضراء..."¹

¹. الغزالي، إحياء علوم الدين، ج3، ص52.

وغير ذلك من التعريفات الكثيرة التي لا تعدو كما يرى الغزالي كونها عرضاً لثمرات الخلق الحسن. ولذلك لم يجد الغزالي بدأً من تعريف الخلق عامة بادئ ذي بدء، ثم يبين ماهية الخلق الحسن فيقول:

"فالخلق إذن عبارة عن هيئة النفس وصورتها الباطنة، وكما أن حسن الصورة الظاهرة مطلقاً لا يتم بحسن العينين دون الأنف والفم والخد بل لا بد من حسن الجميع ليتم حسن الظاهر، فكذا في الباطن أربعة أركان لا بد من الحسن في جميعها حتى يتم الخلق، فإذا استوت الأركان الأربعة واعتدلت وتناسبت حصل حسن الخلق وهو: قوة العلم، وقوة الغضب، وقوة الشهوة، وقوة العدل بين هذه القوى الثلاث"¹.

فصلاح هذه القوى الثلاث وتهذيبها أو العدل في استخدامها وتوظيفها هو حسن الخلق، والحق أن ثمة توافقاً وانسجاماً بين ما عرضه الإمام الغزالي في كتابيه الإحياء و الميزان حول هذه القوى الثلاث² وتعريف الخلق الحسن، وإن تعددت التسميات بين مكان وآخر.

أما القوة الأولى، وهي قوة العلم أو التفكير، فإذا صلحت هذه القوة حصل منها ثمرة الحكمة، والحكمة رأس الأخلاق الحسنة، وثمرتها أن يتيسر للمرء الفرق بين الحق

¹. المصدر نفسه، ج3، ص52.

²- كان لنظرية أفلاطون في الفضائل الأساسية: الحكمة والعفة والشجاعة والعدالة، ولنظرية الأوساط الأرسطية في الفضيلة أثر كبير لدى الغزالي ولدى الكثير من مفكري المسلمين وبخاصة المشتغلين بالأخلاق. انظر: محمود حمدي زقزوق، مقدمة في علم الأخلاق، دار القلم، الكويت، ط3، 1983م، ص148.

والباطل في الاعتقاد، وبين الصدق والكذب في المقال، وبين الجميل والقبيح في الأفعال، ولا يلتبس عليه شيء من ذلك¹.

والقوة الثانية، قوة الغضب أو الحمية الغضبية "وحسنها في أن يصير انقباضها وانبساطها على حد ما تقتضيه الحكمة"² وبقهرها وإصلاحها يحصل الحلم، وهو كظم الغيظ، وكف النفس عن التشفى.

وأما القوة الثالثة، وهي الشهوة "فحسنها وصلاحها في أن تكون تحت إشارة الحكمة، أعني إشارة العقل والشرع"³ وبإصلاحها تحصل العفة حتى تنزجر النفس عن الفواحش، وتنقاد للمواساة والإيثار المحمود بقدر الطاقة. أما قوة العدل فهو "ضبط الشهوة والغضب تحت إشارة العقل والشرع"⁴.

لأن غاية الأخلاق عند الغزالي كما سيتضح فيما بعد خلال هذا البحث هي السعادة الآخرة فلا بد من أن يستقي الفعل الأخلاقي قيمته من الإيمان بالله وما يقتضيه هذا الإيمان من التزام بالأوامر والنواهي، لذلك لجأ الإمام الغزالي إلى القرآن الكريم ليستمد منه علامات الخلق الحسن، إذ إن الله تعالى ذكر في كتابه العزيز صفات المؤمنين والمنافقين، وهي بجملتها ثمرة حسن الخلق، وسوء الخلق، وبعد أن سرد الغزالي جملة الآيات، يقول: "فمن أشكل عليه حاله فليعرض نفسه على هذه الآيات، فوجود جميع هذه الصفات علامة حسن الخلق، وفقد جميعها علامة سوء الخلق، ووجود بعضها

¹. الغزالي، إحياء علوم الدين، ج3، ص5352.

². المصدر نفسه، ج3، ص53.

³. المصدر نفسه، ج3، ص53.

⁴. المصدر نفسه، ج3، ص53.

دون بعض، يدل على البعض دون البعض، فليشتغل بتحصيل ما فقدته، وحفظ ما وجدته"¹. وبالتالي فإن معيار الخلق الحسن عند الغزالي هو الصفات التي خص بها الله سبحانه وتعالى المؤمنين، ومعيار الخلق السيئ هو صفات المنافقين كما وردت في القرآن الكريم.

التربية الأخلاقية:

إن إمكانية تغيير الأخلاق وإصلاحها يقودنا إلى فكرة جديدة هي التربية أو التنشئة الأخلاقية، وقد رسم لنا الغزالي منهجاً تربوياً واضحاً لتربية الإنسان أخلاقياً، ولم يقتصر في رسم هذا المنهج على المراحل المبكرة من حياة الإنسان وحدها. وإنما تعداها إلى كل مراحل حياته، وما سبق وتحدثنا عنه من تغيير الأخلاق وإصلاحها وتهذيبها يمكن أن نعدّه تربية أخلاقية للإنسان اليافع والراشد، الذي بإمكانه أن يسلك أكثر من سبيل لمعرفة العيوب وتقويمها، وليس هذا فحسب بل إنه وضع لكل فضيلة أخلاقية طرقها الخاصة التي تساعد على ترميمها وتعزيزها، كما بين كيفية التخلص من الرذائل كل على حدة.

فيرى الإمام (الغزالي) أن النفس البشرية صفحة نقية بيضاء تقبل كل نقش وصورة تعرض عليها. وما هو ذا يصف القلب الطاهر للطفل بأنه "جوهرة نفيسة ساذجة خالية من كل نقش وصورة، وهو قابل لكل ما نقش ومائل إلى كل ما يمال إليه - أي أن الإنسان يخلق قابلاً للخير والشر - فإن عود الخير وعلمه نشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة، وإن عود الشر وأهمل شقي وهلك"² الأمر الذي يعطي

¹ المصدر نفسه، ج3، ص74.

² الغزالي، إحياء علوم الدين، ج3، ص45.

للتربية أهم دور في تكوين الإنسان وبناء شخصيته وتحديد معالمها وأبعادها، وكثيراً ما أكد الغزالي على ضرورة العناية بالأطفال وحسن توجيههم لما أدركه من أهمية التربية ودورها الحاسم في بناء شخصية الطفل.

والحق أن هذه الفكرة ذاتها - فكرة نقاء النفس - هي الفكرة المحورية التي بنت عليها المدرسة التجريبية الإنكليزية بنيانها الفلسفي، وبهذا المعنى ذاته يرى (جون لوك - 1632-1704): "إن النفس الإنسانية في الأصل كلوح مصقول لم ينقش فيه شيء، وأن التجربة هي التي تنقش فيها المعاني والمبادئ جميعاً"¹، وفي هذا الرأي لجون لوك يبدو التشابه بينهما واضحاً جلياً.

فالأخلاق الفاضلة عند الغزالي لا تولد مع الإنسان، وإنما يكتسبها عن طريق التربية والتعليم من البيئة التي يعيش فيها. والتربية الأخلاقية السليمة في نظر الغزالي تبدأ بتعويد الطفل على فضائل الأخلاق وممارستها مع الحرص على تجنبه مخالطة قرناء السوء حتى لا يكتسب منهم الرذائل، وفي سن النضج العقلي تشرح له الفضائل شرحاً علمياً يبين سبب عدها فضائل وكذلك الرذائل وسبب عدها رذائل حتى يصبح سلوكه مبنياً على علم ومعرفة واعية.

ولكن الإمام الغزالي يرى من جهة ثانية أن الإنسان مفطور على الميل إلى القيم الأخلاقية الإيجابية، وإلى الخير عموماً، ميلاً غريزياً، ويؤكد ذلك قوله: "فإذا كانت النفس بالعادة تستلذ الباطل وتميل إليه وإلى المقابح فكيف لا تستلذ الحق لو ردت إليه مدة والتزمت المواظبة عليه؟ بل ميل النفس إلى هذه الأمور الشنيعة خارج عن الطبع. يضاهي الميل إلى أكل الطين فقد يغلب على بعض الناس ذلك بالعادة، فأما

¹ عزمي إسلام، جون لوك، ص 234.

ميله إلى الحكمة وحب الله تعالى ومعرفته وعبادته فهو كالميل إلى الطعام والشراب فإنه مقتضى طبع¹ القلب لأنه أمر رباني وميله إلى مقتضيات الشهوة غريب². وأحياناً يورد مايشير إلى أن الميل إلى السوء طبيعي عند الإنسان فيلج على أن النفس أمارة بالسوء وعلى إن الخطيئة أساسية عند كل إنسان منذ عهد آدم³. ونعتقد أن الغزالي يقصد من الغريزة والفطرة مجرد الاستعداد، أو الحالة التي يخرج فيها الإنسان من يد الخالق بكل طبائع الإنسان ومزاجه المركب من الأخلاق المختلفة ويكون الأمر سواء بالنسبة إلى الخير أو الشر ويكون القلب بأصل الفطرة صالحاً لقبول آثار الملك وأثار الشيطان ولا يترجح أحدهما على الآخر إلا باتباع الهوى والانكباب على الشهوات أو الإعراض عنها ومخالفتها⁴.

ومما تقدم نرى للغزالي رأيين مختلفين في وراثة الأخلاق. فهو حين يقرر أن قلب الطفل جوهرة ساذجة خالية من كل نقش، وقابلة لكل صورة، يحكم بأن الأخلاق لا تورث. وحين يدعو إلى أن ترضع الطفل امرأة غير متدينة يحكم بأنها تورث. فهل يمكن الرفع ما بين هذين الأمرين من ظاهر الخلاف؟

نشأه الخلق في نفس الإنسان عند الغزالي

¹ الطبع: مجموعة مظاهر السلوك والشعور المكتسبة والموروثة التي تميز فرداً عن آخر. مجمع اللغة العربية، المعجم الفلسفي، ص111. ويعرفه الجرجاني بقوله: "أنه الجبلة التي خلق عليها الإنسان" انظر: الجرجاني، التعريفات، ص34.

² الغزالي، إحياء علوم الدين، ج3، ص5857.

³ الغزالي، إحياء علوم الدين، ج3، ص6.

⁴ المصدر نفسه، ج3، ص27.

يرى الغزالي أن من الناس من ولد حسن الخلق بفطرته، بحيث لا يحتاج إلى تعليم، ولا إلى تأديب كعيسى بن مريم، ويحيى بن زكريا، (عليهما السلام)، وكذا سائر الأنبياء. ولا يبعد فيما يرى أن يكون في الطبع والفطرة ما قد ينال بالاكْتساب. والطريق إلى تربية الخلق فيما يرى الغزالي هو التخلق: أي حمل النفس على الأعمال التي يقتضيها الخلق المطلوب. فمن أراد مثلاً أن يحصل لنفسه خلق الجود، فعليه أن يتكف فعل الجود: وهو بذل المال، حتى يصير ذلك طبعاً له. ويمكن تلخيص المنهج الذي وضعه الغزالي لتربية الطفل على النحو التالي¹:

وقد أوردته على صورة واجبات الوالد نحو ولده فبين أنه يجب عليه:

- تأديب ابنه وتهذيبه وتعليمه محاسن الأخلاق وحفظه من قراء السوء.

- أن لا يحبب إليه الزينة وأسباب الرفاهية لئلا يتعود التنعم فيعسر تقويمه بعد ذلك.

- إذا رأى مخائيل التمييز وبوادر الحياة فليعلم أن عقله مشرق وأن تنمية هذه الباكورة من عزم الأمور وأحسن ما تنمي به أن تستعان في تأديبه وتهذيبه.

وليعلم أن أول ما يغلب على الطفل شره الطعام فينبغي أن يؤدب في ذلك وأن يعود أخذ الطعام بيمينه والبدء باسم الله والأخذ بما يليه... وأن يقبح عنده كثرة الأكل بطريق غير مباشرة وذلك بدم الطفل الشره ومدح المتأدب القليل الأكل أمامه.

- تعويده اللباس المحتشم الوقور.

¹. المصدر نفسه، ج3، ص7270.

-الثواب والعقاب، والمدح أمام الناس، ولا يكون العقاب لكل أمر بل الأفضل
التغافل والتغاضي عن بعض الأمور ولاسيما إذا خجل الطفل منها وتستر لإخفائها
ولا يكون العقاب علناً حتى لا تزيد جسارة الطفل وليكن العقاب قليلاً مجزياً لئلا يهون
على الطفل وقع الملام وسماع التأنيب.

-منعه من النوم نهاراً. ومن كل مايفعله خفية فإنه لا يخفى إلا ما هو قبيح.

-تعويده على الحركة والرياضة والاحتشام.

-منعه من الافتخار على أقرانه بما يملكه والده وتعويده التواضع وطيب الحديث.

-تعويده الإعطاء لا الأخذ ولو كان فقيراً.

-نهييه عن بعض الأعمال غير المستحسنة في المجالس كالبصاق والتناؤب.

-منعه من القسم صادقاً أو كاذباً.

-تعويده الإقلال من الكلام إلا لحاجة أو ضرورة وبقدر مايتطلب قضاؤها.

-تعويده على الصبر.

-أن يأذن له باللعب بعد الدراسة حتى يستريح ويتجدد نكاؤه ونشاطه وكيلا يستثقل
العلم.

-ول يخوف من السرقة وأكل الحرام وغير ذلك من الأخلاق المذمومة.

-وإذا بلغ سن التمييز فينبغي أن لا يتساهل معه في كل ما يحتاج إليه أمر الشرع.

وكما أن الغزالي يهتم كثيراً برياضة النفس على ما يرغب المرء فيه من مكارم الأخلاق، ويرى أيضاً أن كسب الخلق بسبب التخلق من عجيب العلاقة بين القلب والجوارح، ويقول في ذلك: "كل صفة تظهر في القلب يفيض أثرها على الجوارح حتى لا تتحرك إلا على وفقها لامحالة. وكل فعل يجري على الجوارح فإنه قد يرتفع منه أثر إلى القلب. ويعرف ذلك بمثال: وهو أن من أراد أن يصير الحذق في الكتابة صفة نفسية له حتى يصير كاتباً بالطبع، فلا طريق له إلا أن يتعاطى بجارحة اليد ما يتعاطاه الكاتب الحاذق ويواظب عليه مدة طويلة، يحاكي الخط الحسن، فيتشبه بالكاتب تكلفاً ثم لا يزال يواظب عليه حتى يصير صفة راسخة في نفسه، فيصدر منه في الآخر الخط الحسن طبعاً، كما كان يصدر منه في الابتداء تكلفاً. فكان الخط الحسن هو الذي جعل خطه حسناً. ولكن الأول بتكلف، إلا أنه ارتفع منه أثر إلى القلب. ثم انخفض من القلب إلى الجارحة، فصار يكتب الخط الحسن بالطبع. وكذلك من أراد أن يصير فقيه النفس، فلا طريق له إلا أن يتعاطى أفعال الفقهاء، وهو التكرار للفقهاء. حتى تتعطف منه على قلبه صفة الفقه، فيصير فقيه النفس"¹.

¹ الغزالي، ميزان العمل، ص 106.

ويتضح مما سبق أن الغزالي يرى أن الكبيرة الواحدة لا توجب الشقاء المؤبد، لأنها بدون التكرار لا تصبح صفة النفس، ولا معنى للشقاء المؤبد إلا أن تصير إحدى الرذائل صفة نفسية لأحد الناس.

غاية الأخلاق:

إن غاية الأخلاق عند الغزالي هي السعادة الأخروية ليصل في الآخرة إلى السعادة المنشودة متعمداً بالنظر إلى الله تعالى يقول الغزالي في ذلك: "إن السعادة الحقيقية هي الأخروية، وما عداها سميت سعادة، إما مجازاً وإما غلطاً، كالسعادة الدنيوية التي لاتعين على الآخرة. وإما صدقاً، ولكن الأسم على الأخروية أصدق، وذلك كل ما يوصل إلى السعادة الأخروية ويعين عليها، فإن الموصل إلى الخير والسعادة، قد يسمى خيراً وسعادة"¹.

وهذا يدل على أن الغزالي لا يضع للأخلاق غاية نفعية ولا اجتماعية فعنده مثلاً: "الذي يسعف مريضاً، أو يغيث ملهوفاً، أو يسعف جريحاً، أو يواسي فقيراً، لا يهمله شفاء المريض، ولا إغاثة الملهوف، ولا إبراء الجريح، ولا سد حاجة الفقير، مادامت نيته قد خلصت في عمله، ووثق بجزء الآخرة! وكل سعادة ينتجها العمل الطيب في هذه الدنيا إنما هي سعادة مجازية، وواجب المرء أن يفهمها كذلك. وله أن يعدها سعادة نسبية، على معنى أن ما يوصل إلى السعادة الأخروية قد يسمى خيراً

¹. المصدر نفسه، ص117.

وسعادة¹ ولذلك فإن "من يتجنب الفحشاء محافظة على كرامته لا يسمى عفيفاً، لأنه لم يقصد بعفته وجه الله، فكل عمله تجارة، وترك حظ لحظ يمائله"².

وعلى الرغم من تأكيد الغزالي على أن خير الآخرة وسعادتها هما غاية الأخلاق، ولكنهما الغاية القصوى لها، فإن للأخلاق _ في نظره _ غاية دنيوية هي أيضاً الخير والسعادة في هذه الدنيا التي نعيشها، وهذا واضح في سابق كلامه، وليس هذا فحسب، بل لقد أفرد فصلاً خاصاً ليبين أيضاً أن خير الدنيا غاية أخلاقية، جاعلاً عنوان هذا الفصل: (بيان البواعث على تحري الخيرات والصوارف عنها) وفيه يقول: "أما الخيرات الدنيوية فالبواعث عليها ثلاثة أنواع: الترغيب والترهيب بما يجري ويخشى في الحال والمآل. والثاني رجاء المحمدة وخوف المذمة ممن يعتد بحمده وذمه، والثالث طلب الفضيلة وكمال النفس، لأنه كمال وفضيلة، لا لغاية أخرى وراءها"³ ومن ذلك نرى بأن الإمام الغزالي يعتبر خيري الدنيا والآخرة غاية للأخلاق، فخير الآخرة لأنه مطلق ما بعده خير، وخير الدنيا لما فيه من بواعث نفسية واجتماعية وعقلية. وهذا يعني تسلسل القيم صعوداً من خير الدنيا إلى خير الآخرة كذلك الأمر في السعادة، فسعادة الآخرة هي الغاية القصوى للفعل الأخلاقي، وسعادة الدنيا غاية أخلاقية أيضاً لأن ما يوصل إلى الخير والسعادة خير وسعادة، "ولأن سعادة الآخرة لا تتال إلا بأنواع السعادات الأخرى" وهذا ما كشف عنه عند حديثه عن أنواع السعادة قائلاً:

¹ زكي مبارك، الأخلاق عند الغزالي، ص 56.

² الغزالي، ميزان العمل، ص 136.

³ الغزالي، ميزان العمل، ص 136.

"فجملتها منحصرة في خمسة أنواع: الأول السعادة الأخروية، التي هي بقاء لا فناء له، وسرور لا غم فيه، وعلم لاجهل معه، وغنى لا فقر معه يخالطه، ولن يتوصل إليه إلا بالله، ولا يكمل إلا بالنوع الثاني، وهو الفضائل النفسية وهي أربع: العقل والعفة والشجاعة والعدالة وإنما تتكامل هذه الفضائل بالنوع الثالث، وهي الفضائل البدنية المنحصرة في أربع أمور: هي الصحة والقوة والجمال وطول العمر، ويتممها النوع الرابع، وهي الفضائل المطيفة بالإنسان، المنحصرة في أربعة أمور. وهي المال والأهل والعز وكرم العشيرة، ولا يتم الانتفاع بشيء من ذلك إلا بالنوع الخامس، وهي الفضائل التوفيقية، وهي أربعة: هداية الله ورشده وتسديده وتأييده، فهذه السعادات بعد السعادة الأخروية"¹.

الفضائل وأقسامها عند الغزالي:

لم يحاول الغزالي بحث الفضائل بشكلها المطلق ولاعني بها من حيث هي مبادئ وإنما مال إلى معالجتها بصفاتها التطبيقية من جهة ارتباطها بالتعليم الديني، فالفضيلة عنده ممارسة تؤدي إلى تزكية النفس باعتياد الأفعال الصادرة من النفوس الزكية العاقلة حتى إذا صار ذلك مألوفاً بالتكرار وبزمن متقارب تشكلت منها ملكة راسخة في النفس، فهي اعتدال ووسط بين طرفين من رذلين ويؤكد ذلك قائلاً: "والمحمود هو الوسط وهو الفضيلة والطرفان رذيلتان مذمومتان"².

كما أن الغزالي لايفرق بين كلمة فضيلة، وكلمة خلق، فهما عنده عبارة عن هيئة النفس وصورتها الباطنة، فالفضيلة حالة كمال للنفس تنالها إذا اعتدلت قواها فلم

¹ المصدر نفسه، ص136.137.

² الغزالي، إحياء علوم الدين، ج1، ص31.

تجنح إلى الإفراط أو التفريط، وإذا كان للقوة العاقلة سياسة القوتين الآخرين. هذا الكمال إذا تم للنفس قربت من الله عزوجل بالمرتبة طبعاً لا بالمكان، وذلك السعادة¹.

والفضائل وإن كانت كثيرة، فيجمعها أربع، تشمل شعبها وأنواعها، وإذا كان من المعروف أن للنفس ثلاث قوى، كانت أمهات الفضائل أربعاً؛ تنشأ ثلاث منها من اعتدال كل قوة من هذه القوى، وتكون الرابعة بانسجام هذه القوى بعضها مع بعض حتى لا تبغى واحدة منها على الأخرى. وأصول هذه الفضائل، التي هي جماع كل خير، وهي: الحكمة، والشجاعة، والعفة، والعدالة.

وقد نص على أنه يعني بالحكمة حال للنفس بها يدري الصواب من الخطأ في جميع الأحوال الاختيارية. ويعني بالعدل حالة للنفس وقوة بها تسوس الغضب والشهوة وتحملهما على مقتضى الحكمة. ويعني بالشجاعة كون قوة الغضب منقادة للعقل في إقدامها وإحجامها. ويعني بالعفة تأدب قوة الشهوة بتأديب العقل والشرع. ولهذه الأصول فروع، كما يرى الغزالي، "فمن اعتدال قوة العقل يحصل حسن التدبير، وجودة الذهن، وثقاب الرأي، وإصابة الظن، والتفطن لدقائق الأعمال، وخفايا أفات النفوس. وأما خلق الشجاعة فيصدر عنه: الكرم، والنجدة والشهامة، وكسر النفس، والاحتمال، والحلم، والثبات، وكظم الغيظ، والتودد. وأما خلق العفة فيصدر عنه: السخاء، والحياء، والصبر، والمسامحة، والقناعة، والورع، واللطافة،

¹. الغزالي، ميزان العمل، ص 79.

والمساعدة، والظرف، وقلة الطمع. والعدالة في أخلاق النفس وقواها يتبعها لامحالة العدل في المعاملة، وفي السياسة، وفي عامة الحالات"¹.
ويجب علينا هنا أن نشير إلى أن العدالة جماع كل فضيلة، كما أن الجور جماع كل رذيلة، وعلى هذا لا تكون العدالة واحدة من الفضائل الأربع بل تكون جملتها معاً².

درجات الأخلاق:

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: هل في مقدور المرء لدى الغزالي أن يصل إلى أعلى درجات الأخلاق؟

ويجيب الغزالي عن ذلك بقوله: "وكل من جمع كمال هذه الأخلاق استحق أن يكون بين الخلق ملكاً مطاعاً يرجع الخلق كلهم إليه، ويقتدون به في جميع الأفعال. ومن انفك عن هذه الأخلاق كلها واتصف بأضدادها استحق أن يخرج من بين البلاد والعباد"³.

ويشير الغزالي إلى أن النبوة هي الدرجة العليا من درجات الأخلاق، والصوفية فيما يرى يقربون من هذه الدرجة، يقول عنهم في المنقذ من الضلال: "لو جمعوا عقل العقلاء، وحكمة الحكماء، وعلم الواقفين على أسرار الشرع من العلماء، ليغيروا شيئاً من سيرتهم وأخلاقهم، ويبدلوه بما هو خير منه، لم يجدوا إليه سبيلاً: فإن

¹ انظر: الغزالي، إحياء علوم الدين، ج3، ص4039، الغزالي، ميزان العمل، ص64 وما بعدها.

² انظر: الغزالي، إحياء علوم الدين، ج3، ص78. الغزالي، معارج القدس، ص96.

³ الغزالي، إحياء علوم الدين، ج3، ص54.

جميع حركاتهم وسكناتهم، في ظاهريهم وباطنهم، مقتبسة من نور مشكاة النبوة، وليس وراء نور النبوة على وجه الأرض نور يستضاء به"¹.

الخاتمة:

ونستنتج مما سبق ان الغزالي اخذ مفهوم الخلق واشتغل على تحليله بأنه نظرة منهجية جامعة لا تكتفي بالنظرة الجزئية المختصرة، وإنما تنظر إلى الفكر نظرة شاملة مستوعبة، تحدث من خلالها عن عناصر الفعل الخلقى، كما اتخذها منطلقاً لحديثه عن قبول الخلق للتغيير.

كما أنه قدم مفهومه للخلق من خلال رؤية إسلامية أصيلة تؤكد أنه لا بد من أن يوزن الخلق بميزان الشرع والعقل، وليس العقل فقط كما نراه عند غيره من الفلاسفة. وتتفق نظرة الغزالي هذه مع الموقف الفكري العام له، والذي يقوم على العلاقة الوثيقة بين العقل والشرع، فالعقل يهتدي بالشرع الذي يُعَلِّمه ما لا يستطيع أن يصل بنفسه إلى علمه، والشرع يُفهم عن طريق العقل، فالعقل كالبصر، والشرع كالشعاع، ولا يتمكن الإنسان من الرؤية إلا بهما، فإذا اجتمعا معاً فهما نور على نور.

وعلى الرغم من تأكيدات الغزالي على أن خير الآخرة وسعادتها هما غاية الأخلاق، ولكنهما الغاية القصوى لها، فإن للأخلاق في نظره _ غاية دنيوية هي أيضاً الخير والسعادة في هذه الدنيا التي نعيشها.

¹. الغزالي، المنقذ من الضلال، ص39.

المصادر والمراجع:

- الغزالي، (محمد بن محمد الغزالي أبو حامد): إحياء علوم الدين، تحقيق: بدوي طبانة، مكتبة ومطبعة كرياضة فوترا.
- الغزالي، ميزان العمل، حققه سليمان دنيا، دار المعارف، مصر، الطبعة الأولى، 1964
- الغزالي، المنقذ من الضلال، تحقيق: سعد كريم الفقي، دار ابن خلدون، الإسكندرية
- الغزالي، معارج القدس، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، 1988م
- إسلام (عزمي)، جون لوك، دار الثقافة، القاهرة، الطبعة الخامسة، 1976م
- الجرجاني (علي بن محمد بن علي الجرجاني)، التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، 1405
- زكي مبارك، الأخلاق عند الغزالي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1988م
- علي عبدالفتاح المغربي، دراسات عقلية وروحية في الفلسفة الإسلامية، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1995م
- محمود حمدي زقزوق، مقدمة في علم الأخلاق، دار القلم، الكويت، ط3، 1983م

العوامل الجغرافية الطبيعية المؤثرة في استغلال الموارد الطبيعية لسهل مصراتة دراسة جغرافية

أ. إبراهيم مفتاح الدفدق أ. هيام أبوالقاسم أبوذينة د. بشير عمران أبوناجي

مقدمة

تعد الموارد البيئية هي تلك الموارد التي تتكون من البيئة الطبيعية وهي تتكون من مجموعة من الأغلفة المختلفة كالغلاف الجوي، والغلاف الصخري، والغلاف المائي، والغلاف الحيوي، ولكل غلاف من هذه الأغلفة مواردها الطبيعية المتعددة والمتنوعة، وهذه الموارد الطبيعية تتحول إلى ثروات اقتصادية إذا ما استغلت من قبل الإنسان، والذي زاد استغلاله لها بالتطور والتقدم العلمي والتقني في المجالات المختلفة. عمل الإنسان على الاستفادة من هذه الموارد التي سخرها الله سبحانه وتعالى له، فامتحن أقدم الحرف مثل الجمع، والالتقاط، والصيد، والرعي، وذلك باستئناس بعض الحيوانات والزراعة البدائية. وبظهور حرفة الصناعة التي شهدت تطوراً كبيراً بعد الثورة الصناعية في القرن الثامن عشر الميلادي ازداد التوسع في البحث عن الموارد الطبيعية وتنمية الموجود منها، وذلك لإشباع حاجات السكان والذين تتزايد أعدادهم كل يوم بشكل كبير، وهذا التزايد لا بد أن يواكبه الاهتمام بالإنتاج الزراعي وتطويره بالتوسع الرأسي والأفقي لغرض توفير الغذاء، كما أن التقدم العلمي والتقني في مجال النقل والاتصال وما أحدثه من زيادة في حجم التبادل التجاري بين شعوب قارات العالم أدى ذلك إلى زيادة استغلال الموارد الطبيعية.

يحتوي هذا السهل ألا وهو سهل مصراتة العديد من الموارد الطبيعية المستغلة المتمثلة في تربته الخصبة ومياهه الجوفية وثرواته البحرية ورماله وصخوره الجيرية وغيرها، مما شكل منطقة تركز سكاني وحضري منذ القدم وخير شاهد على ذلك المدن الأثرية التي من بينها مدينة لبدة الكبرى التي أسسها الفينيقيين، ثم جاء الرومان وجعلوا منها عاصمة لدولتهم الرومانية في شمال أفريقيا، أما حالياً فيوجد به العديد من المدن

والمراكز الحضرية، والتي من أكبرها مدينة مصراتة وزليتين والخمس، وزاد من أهميته وجود بعض الرؤوس البحرية التي استغلت في القدم كمرافئ للسفن البحرية تلجأ إليها للتزود بالمياه والمؤن أو لتجنب النواة البحرية، والتي استغل بعضها حالياً لبناء المرفأء والموانئ البحرية والتي من أهمها ميناء الخمس وميناء مصراتة التجاريين، ومرافئ الخمس وزليتين وزريق وغيرها.

ستعمل هذه الدراسة على التعرف على الموارد الطبيعية المتوفرة بالمنطقة، والعوامل الطبيعية التي أنتجتها وأثرت فيها وذلك من خلال التعرض لمشكلة الدراسة.

- مشكلة الدراسة:

لكل دراسة نقطة بداية قد تكون عن طريق الملاحظة أو الدراسة والاطلاع أو حدوث مشكلة ما قد تكون بيئية أو حيوية، وما إلى ذلك من الوسائل التي تؤدي إلى البحث والدراسة العلمية. وتتخلص مشكلة الدراسة في العمل على التعرف على موارد السهل الطبيعية وطرق استغلالها والمشاكل الناجمة عنها والحلول الملائمة لها وذلك من خلال طرح التساؤل التالي:-

1- ما هي العوامل الجغرافية الطبيعية المؤثرة في استغلال الموارد الطبيعية المتوفرة بالسهل؟

- الأهمية: تنبثق أهمية هذه الدراسة من خلال أهمية الموضوع نفسه، ويمكن تلخيص أهميتها في الآتي:1- تعمل هذه الدراسة على زيادة إمكانية توفير البيانات والمعلومات الجغرافية الحديثة المتعلقة بسهل مصراتة نظراً لأهميته الاقتصادية.

2- الرغبة العلمية في محاولة إبراز المساهمة في دراسة العوامل الجغرافية الطبيعية المؤثرة في الموارد الطبيعية بالمنطقة.

- الأهداف:

تسعى كل الدراسات العلمية لتحقيق جملة من الأهداف لكي تكون لها قيمتها وأهميتها العلمية ولهذه الدراسة الأهداف الآتية:

- 1- التعرف على العوامل الجغرافية المؤثرة في استغلال الموارد الطبيعية لهذه الرقعة الجغرافية.
 - 2- إبراز الأهمية الاقتصادية لموارد السهل والعمل على تطوير استغلالها بما يتماشى مع الأنشطة المختلفة للسكان.
- **الفرضيات:** تبنى الدراسات العلمية على وضع فرضيات كحلول مبدئية للمشكلة، وهذه الدراسة تبنى على الفرضية التالية:
- هناك علاقة بين التنوع في الموارد الطبيعية مرجعة للعوامل الجغرافية الطبيعية، ومدى أهمية استغلالها، أي أن العوامل الجغرافية الطبيعية الأكثر تأثيراً على تنوع هذه الموارد وعلى عملية استغلالها من قبل سكان المنطقة .
- **المنهجية:** تعتمد الدراسة على إتباع عدد من المناهج، والتي يستخدم كلاً منها حسب أهميته ووفقاً لمقتضيات البحث وعناصره، وتتمثل هذه المناهج في المنهج الوصفي لوصف بعض الظواهر الطبيعية والبشرية بالمنطقة، ويأتي المنهج الوثائقي أو التاريخي ليتتبع استغلال الموارد الطبيعية في الفترات السابقة لهذا البحث، كما تناولت الدراسة المنهج الأصولي في تتبع العوامل الجغرافية المؤثرة في استغلال الموارد الطبيعية، وتستعمل الدراسة كذلك المنهج الكمي التحليلي وذلك لتحليل البيانات والإحصائيات المتوفرة للبحث، وذلك لتوزيعها والتعرف على مسبباتها وإيجاد العلاقات الرابطة بينها، وذلك من أجل الوصول إلى الحقائق والنتائج التي تهدف إليها الدراسة.
- **أدوات الدراسة:** تتمثل أدوات البحث في جملة من الوسائل والطرق التي يتسنى عن طريقها جمع المعلومات والبيانات والإحصائيات المتعلقة بموضوع الدراسة، وهي:

1- المكتبة: تعتبر المكتبة المصدر الأساسي للحصول على أهم المراجع والمصادر، التي تتناول بالدراسة والبحث كافة العلوم وفروعها، كما يوجد بها آخر الدراسات والأبحاث العلمية، وبالتالي تعتبر من أهم الأدوات المستخدمة في هذه الدراسة وذلك للاطلاع على الدراسات المتعلقة بالمنطقة، والدراسات والأبحاث العلمية المشابهة في مناطق أخرى إن وجدت، وذلك لتأسيس قاعدة بيانات علمية مرجعية والعمل على الاستفادة من نتائج وتوصيات هذه الدراسات والأبحاث.

2- البيانات والإحصائيات والتقارير والنشرات الصادرة عن الجهات ذات العلاقة بموضوع الدراسة.

- **حدود الدراسة:** تشمل الحدود المكانية والزمنية وأحياناً البشرية:

1- الحدود المكانية:

يمكن تقسيم الحدود المكانية إلى الحدود الجغرافية أو حدود الحيز الجغرافي الذي يمتد فيه السهل والحدود الفلكية الذي تمثله شبكة الإحداثيات الجغرافية، كما في الخريطة رقم (1) وهي كالآتي: أ- الحدود الجغرافية:

يتمتع سهل مصراتة بموقع جغرافي ممتاز حيث يشرف على البحر الذي يحده شمالاً بساحل يزيد طوله على 130 كيلو متر تقريباً، (الذي يأخذ شكل المثلث رأسه في الغرب وقاعدته في الشرق عند طمينة) يبدأ من مدينة الخمس، وتحديداً من رأس المسن حيث انتهاء الحافات والتلال القافزة التي تشرف بها الهضبة على مياه البحر المتوسط (وتسمى عرفياً بالجبال)، وتشكل هذه الحافات الحد الغربي والجنوب الغربي والجنوبي لهذا السهل، وتحتفي الحافة والتلال في بعض المواضع وخصوصاً جنوب منطقة زليتن ومنطقة مصراتة حيث تتداخل الهضبة مع السهل، ويبلغ السهل أقصى اتساع له في منطقة طمينة جنوب شرق مصراتة، ثم ينتهي السهل عند سبخة تاورغاء التي تمثل الحد الشرقي للسهل، وقاعدة المثلث.

- ب- الحدود الفلكية: يمتد سهل مصراتة فلكياً بين دائرتي عرض 32° شمالاً - 23° $38'$ شمالاً وبين خطي طول 01° $16'$ $14'$ شرقاً - 37° $21'$ $15'$ شرقاً.
- 2- الحدود الزمنية: تشمل الدراسة الفترة الزمنية الممتدة من سنة 1980م - 2018م.

خريطة (1) موقع سهل مصراتة



المصدر: من عمل الباحث استناداً إلى الأطلس الوطني، أمانة التخطيط، مصلحة المساحة، طرابلس، 1979م، ص33.

- الدراسات السابقة:

تمثل الدراسات السابقة أو المشابهة نقطة انطلاق وارتكاز لأي دراسة علمية ومن أهمها:

أولاً- الكتب:

عملت العديد من كتب الجغرافيا الطبيعية والاقتصادية على دراسة الموارد الطبيعية والغير طبيعية للتعريف بها وبأهميتها وكيفية استغلالها الاستغلال الأمثل وطرق المحافظة عليها وتنميتها في ظل المحافظة على البيئة من أهم هذه الكتب:

- عمل محمد السيد عبد السلام⁽¹⁾ في كتابه التكنولوجيا الحديثة على دراسة أهم الموارد الطبيعية المتمثلة الماء والأرض من حيث توزيعها الجغرافي وطرق استغلالها والمشاكل التي تواجهها والطرق المثلى لاستغلالها وطبق دراسته على بعض مناطق الوطن العربي مع التركيز على مصر.

- أما محمد الزوكه فتناول الموارد في كتابه المدخل إلى الجغرافيا الاقتصادية⁽²⁾ حيث عرفها وقسمها حسب أصلها إلى موارد طبيعية وبشرية ثم قسم الموارد الطبيعية على أساس اقتصادي، وقسم الموارد البشرية إلى الإنسان والموارد الحضارية، ثم حدد الأسس التي على أساسها تقسم الموارد الطبيعية، ويلاحظ أن الزوكه درس الموارد من ناحية اقتصادية فقط.

- وجاء في كتاب الجغرافيا الاقتصادية لمحمد محمود الديب⁽³⁾ دراسة للموارد حيث تناول عدة تعريفات لها، ثم أوضح الجدل الواقع بين المدرستان القديمة والحديثة حول تعريف الموارد، وكذلك عمل على المقارنة بين الثروة والموارد، وتوضيح عوامل وجود الموارد، ودور الإنسان والموارد، ومستقبل الموارد، وتصنيف الموارد ودور الجغرافي وتحليل الموارد وسياستها.

¹ - عالم المعرفة سلسلة كتب ثقافية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب- الكويت، التكنولوجيا الحديثة والتنمية الزراعية في الوطن العربي . محمد السيد عبد السلام، بدون دار نشر، وبدون طبعة، 1982م.

² - محمد خميس الزوكه، المدخل إلى الجغرافيا الاقتصادية، الطبعة الأولى، دار الجامعات المصرية، الإسكندرية، 1974م.

³ - محمد محمود الديب، الجغرافيا الاقتصادية، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة السادسة، القاهرة، 1997م.

- ودرس محمد سليمان في كتابه الجغرافي والبيئة⁽¹⁾ حيث خصص لذلك الفصل الخامس مبرزاً فيه دور الجغرافية في حماية البيئة بشكل عام، وفي حماية الموارد الطبيعية، والمناطق السياحية وغيرها. ونلاحظ أن دراسته تتعلق بالجانب البيئي الصرف.

ثانياً- المجالات العلمية والبحوث العلمية:

- عمل إبراهيم دخيل⁽²⁾ في دراسته التحليلية للموارد الطبيعية كمقوم جغرافي في اتخاذ القرارات المستقبلية - إقليم سبها في ليبيا حالة دراسية - على إيضاح الموارد الطبيعية التي توجد في إقليم سبها وكيفية الاستفادة منها لسد احتياجات الإقليم وتجنب بعض المشاكل التي قد تنتج عن سوء استغلالها.

ثالثاً- الرسائل العلمية: - عمل يوسف كجاليك⁽³⁾ في دراسته لمقومات الإنتاج ومظاهره بإقليم سهل مصراتة، على إيضاح المقومات الطبيعية والبشرية ثم تطرق إلى مظاهر الإنتاج الزراعي والثروة الحيوانية والثروة البحرية والإنتاج الصناعي بالإقليم، والمشاكل التي تواجه الإنتاج الزراعي والثروة الحيوانية في الإقليم، كما عمل على وضع جملة من المقترحات للنهوض بالإنتاج الزراعي والحيواني والصناعي بمنطقة الدراسة.

¹ - محمد محمود سليمان، الجغرافي والبيئة، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة_ دمشق، 2007م.

² - إبراهيم الهادي دخيل، دراسته التحليلية للموارد الطبيعية كمقوم جغرافي في اتخاذ القرارات المستقبلية - إقليم سبها في ليبيا حالة دراسية - بحوث المؤتمر الجغرافي الثالث عشر، الجمعية الجغرافية الليبية، (تحت عنوان التنمية في ليبيا: نظرة مستقبلية، الخمس خلال الفترة من 22-24/10/2012م) تنظيم وإشراف قسم الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم/الخمس، جامعة المرقب.

³ - يوسف سعيد كجاليك، مقومات الإنتاج ومظاهره الرئيسية بإقليم مصراتة، رسالة ماجستير (غير منشورة)، قسم الجغرافيا، كلية التربية، جامعة الفاتح، طرابلس، 1989م.

- أوضح بن الأزهر في رسالته استغلال الموارد الطبيعية والتصحر في الجنوب الغربي التونسي " الجريد، نفاؤه، رحيم معتوق" نموذجاً⁽¹⁾ إمكانيات الإقليم الطبيعية والبشرية، وأنماط استغلال الأرض، وظاهرة التصحر بمنطقة دراسته من حيث أسبابها ومظاهرها وكيفية الحد منها ومقاومتها، وتناول أيضاً أنماط الاستيطان وعوامله ومقوماته وانعكاساته على المواطن والبيئة.

- عمل معتوق عون على⁽²⁾ في رسالته ظواهر التنوع والتركز الزراعي في المنطقة الساحلية (مصراتة = الخمس)، حيث خلص إلى جملة من النتائج منها إن التنوع والتركز الزراعي يرجع إلى تنوع العوامل الطبيعية المؤثرة في الإنتاج الزراعي، وكذلك العوامل البشرية التي تعتبر مكملة للعوامل الطبيعية.

- تعتبر دراسة مفيدة بلق⁽³⁾ من الدراسات السابقة وذلك بأنها تناولت المناخ وأثره على النشاط الزراعي في الساحل الليبي كمورد اقتصادي ولم تتطرق إلى تأثير المناخ على منطقة محددة من الساحل الليبي وإنما بشكل عام، وربطت بين المناخ والنشاط الزراعي كأهم الأنشطة الاقتصادية بليبيا.

¹ - محمد الهادي بن الأزهر زارعي، استغلال الموارد الطبيعية والتصحر في الجنوب التونسي منطقة " الجريد، نفاؤه، رحيم معتوق" رسالة ماجستير (غير منشورة)، قسم الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم ترهونة، جامعة المرقب، العام الجامعي 2004-2005م.

² - معتوق على معتوق، ظواهر التنوع والتركز الزراعي في المنطقة الساحلية (مصراتة - الخمس)، رسالة ماجستير (غير منشورة) جامعة ناصر الأممية، زليتن، 2000 م.

³ - مفيدة أبو عجيلة محمد بلق، مناخ الساحل الليبي وأثره على النشاط الزراعي (دراسة في المناخ التطبيقي) أطروحة دكتوراة (غير منشورة) قسم البحوث والدراسات الجغرافية، معهد البحوث والدراسات العربية، جامعة الدول العربية، القاهرة، 2007م.

- تناولت دراسة علي مصطفى⁽¹⁾ حرفة الزراعة وعلاقتها بالظواهر الطبيعية والبشرية، والعلاقة بين الحيازات والمؤسسات الزراعية الممولة وخاصة المصرف الزراعي ودوره في التنمية الزراعية، وكذلك أوضح البحث دور الجمعيات الزراعية في التنمية الزراعية، ثم ختم البحث بدراسة المشاريع الزراعية ودورها وأهميتها في التنمية الزراعية والمشاكل التي تواجهها.

- جاءت الدراسة الاقتصادية للساحل لمصطفى غيث⁽²⁾ حيث تناول دراسة الجانبين الطبيعي والبشري، ودرس الأنشطة الاقتصادية المرتبة بالساحل، وملامح التنمية في القطاعات الخدمية المختلفة والإنتاجية متمثلة في الصناعة.

- المفاهيم والمصطلحات:

- العوامل الجغرافية: هي كل العوامل المؤثرة في استغلال الموارد الاقتصادية سواء الطبيعية التي لا دخل للإنسان فيها، أو العوامل البشرية.
- مجتمع الدراسة:

يقصد به كل العاملين في المجالات الإنتاجية الاقتصادية المختلفة (زراعية أو رعية أو صناعية أو تعدينية) داخل منطقة الدراسة.

- النشاط الاقتصادي⁽³⁾:

¹ - علي مصطفى سليم، العلاقات المكانية لنظم الحيازات الزراعية بتمويل الزراعة في منطقة مصراتة، رسالة ماجستير (غير منشورة) قسم الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم زليتن، جامعة المرقب، 2005م.

² - مصطفى غيث حسن، الأهمية الاقتصادية للساحل وانعكاساتها على مدينة مصراتة، رسالة ماجستير (غير منشورة) قسم الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم - ترهونة، جامعة المرقب، العام الجامعي 2004-2005م.

³ - محمد خميس الزوكه، المدخل إلى الجغرافيا الاقتصادية، دار الجامعات المصرية، الإسكندرية، 1974م. ص19-

ويتمثل في العمليات الثلاثة وهي: الإنتاج: وهو يأتي عن طريق المجهود الذي يبذله الإنسان بممارسته للحرف المختلفة لاستخراج وإنتاج الخامات سواء كانت غذائية كالمحاصيل الزراعية، أو صناعية كالفحم والحديد والقطن وغيرها.

التبادل التجاري: يقصد به تبادل السلع المختلفة بين الأقاليم المتباينة الإنتاج وذلك عن طريق التجارة المحلية أو الدولية.

الاستهلاك: استهلاك السلع والمنتجات الاقتصادية المختلفة.

-أولاً:- الموقع الجغرافي والمساحة للسهل:-

يشكل سهل مصراتة الركن الشرقي من شمال غربي من ليبيا ممتداً من شرقي مدينة الخمس، وتحديداً من رأس المسن حيث الحافات والتلال القافزة التي تشرف بها الهضبة على مياه البحر المتوسط (وتسمى عرفياً بالجبال)، وتشكل هذه الحافات الحد الغربي والجنوب الغربي والجنوبي لهذا السهل، وتختفي الحافة والتلال في بعض المواضع وخصوصاً جنوب منطقة زليتن ومنطقة مصراتة حيث تتداخل الهضبة مع السهل، ويبلغ السهل أقصى اتساع له في منطقة طمينة جنوب شرق مصراتة، ثم ينتهي السهل عند سبخة تاورغاء التي تمثل الحد الشرقي للسهل، وبذلك يأخذ السهل شكل المثلث رأسه في الغرب وقاعدته في الشرق حيث يبلغ أقصى اتساع له، ويشرف على البحر بساحل يصل طوله ما يزيد على 130 كيلومتر تقريباً، وتصل مساحته إلى بالهكتار إلى 112565 هكتار⁽¹⁾ أي حوالي 1125.65 كيلومتر مربع، أما فلكياً يمتد السهل فلكياً بين دائرتي عرض 32° شمالاً - 23° 38' شمالاً وبين خطي طول 01° 16' شرقاً - 37° 21' شرقاً. وتعتبر المدن الثلاثة مصراتة والخمس وزليتن الواقعة بهذا السهل من أهم المراكز الحضرية التي تشكل بؤر الخدمات المختلفة في الإقليم وخاصة التجارية منها

¹ - معنوق على معنوق، ظواهر التنوع والتركز الزراعي في المنطقة الساحلية (مصراتة - الخمس)، رسالة

ماجستير (غير منشورة) جامعة ناصر الأممية، زليتن، 2000 م، ص15،

لوجود مينائي مصراتة والخمس، وزاد من أهمية السهل بناء العديد من المصانع المختلفة والتي من أهمها مصانع الاسمنت بالخمس وزليتين ومصنع الحديد والصلب بمصراتة، وبذلك يتميز الموقع الجغرافي للسهل بالآتي:-

- 1- موقع السهل المتوسط مما جعل من مدنه قديماً وحديثاً مراكز لخدمة التبادل التجاري بين وسط إفريقيا (الإقليم المداري) وجنوب أوروبا (إقليم البحر المتوسط).
 - 2- الموقع المتوسط بين شرق البلاد وغربها وجنوبها فهو حلقة الوصل بينها، وخاصة بالنسبة للجنوب فهو الأقرب والأسهل والأسرع اتصالاً.
 - 3- مناخه وتربته الخصبة ساعدا على الاستقرار والتركز السكاني به منذ القدم والدليل على ذلك وجود مدينة لبددة الكبرى التي تعد اكبر المدن الأثرية في ليبيا، ومدينة سينيبيسا التي نشأت على أنقاضها زليتين، ومدينة توباكتس ومكانها اليوم مصراتة⁽¹⁾، إضافة السدود الرومانية على أوديته.
 - 4- طبيعة ساحله البحري المميز برماله البحرية ومناخه البحري ونباتاته الطبيعية وأحراشه وأوديته زادا من أهميته السياحية وخاصة في فصلي الربيع الصيف.
 - 5- إنشاء مينائي مصراتة والخمس بطرفي السهل وربطهما بشبكة الطرق البرية زادا من أهميته الاقتصادية في خدمة التبادل التجاري.
- ثانياً:- البناء الجيولوجي:-**

بدا تشكل سهل مصراتة كبقية سهول شمال إفريقيا حين بدأ تراجع مياه بحر تيثس الذي يعتبر البحر المتوسط الجزء المتبقي منه ويرجع ذلك للزمن الثالث الجيولوجي⁽²⁾

¹ - يوسف سعيد كجاليك، مقومات الإنتاج ومظاهره الرئيسية بإقليم مصراتة، رسالة ماجستير (غير منشورة)، قسم الجغرافيا، كلية التربية، جامعة الفاتح، طرابلس، 1989م ص 23، 19.

² - محمد رياض، كوثر عبد الرسول، إفريقيا دراسة لمقومات القارة، دار النهضة العربية، بيروت، الطبعة الثانية، 1973م، ص 82.

وخلفت مياه البحر ورآها رواسب من تكوينات بحرية تتكون من صخور جيرية وطفليه ورملية تحوى حفريات لكائنات بحرية دقيقة تعيش في بحار هادئة داخل خلجان بحرية⁽¹⁾ ملأتها لتكون بعد انحسار المياه السهول الساحلية والتي ترجع إلى عصري الميوسين والبلايوسين في الزمن الثالث الجيولوجي، وملئت السهل تكوينات هوائية لتفتت صخري محلي بفعل عوامل التعرية المختلفة خلال عصر البلايوسين والحديث بالزمن الرابع الجيولوجي، إضافة إلى رواسب لبعض النباتات المتحللة، وشكلت هذه التكوينات طبقات سميقة تصل إلى 100 متر أو أكثر⁽²⁾ وظهرت رواسب الكثبان الرملية المتماسكة خلال الزمن الرابع⁽³⁾ وتظهر في المنطقة الممتد من عين كعام إلى تاورغاء في محاذة ساحل البحر سلسلة من الكثبان الرملية الشاطئية أو البحرية المتماسكة (المتحجر) والغير متماسكة المتعرضة للحركة والثبات تمتد لمسافة 80 كيلومتر تقريباً تتسع في بعض المواضع وتقلص في مواضع أخرى لتصل إلى 6 كيلومترات وتقل لتصل إلى حوالي 500 متر وبارتفاع بعضها إلى حوالي 30 متر فوق مستوى سطح البحر وتأخذ في امتدادها على شكل سلسلة من التلال⁽⁴⁾. ومن خلال ما سبق وبالنظر إلى الخريطة رقم (2) يمكن أن نلخص البناء الجيولوجي في الآتي:-

¹ - محمد صبحي عبد الحكيم، وآخرون، الوطن العربي أرضه وسكانه وموارده، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، بدون طبعة وتاريخ، ص 24.

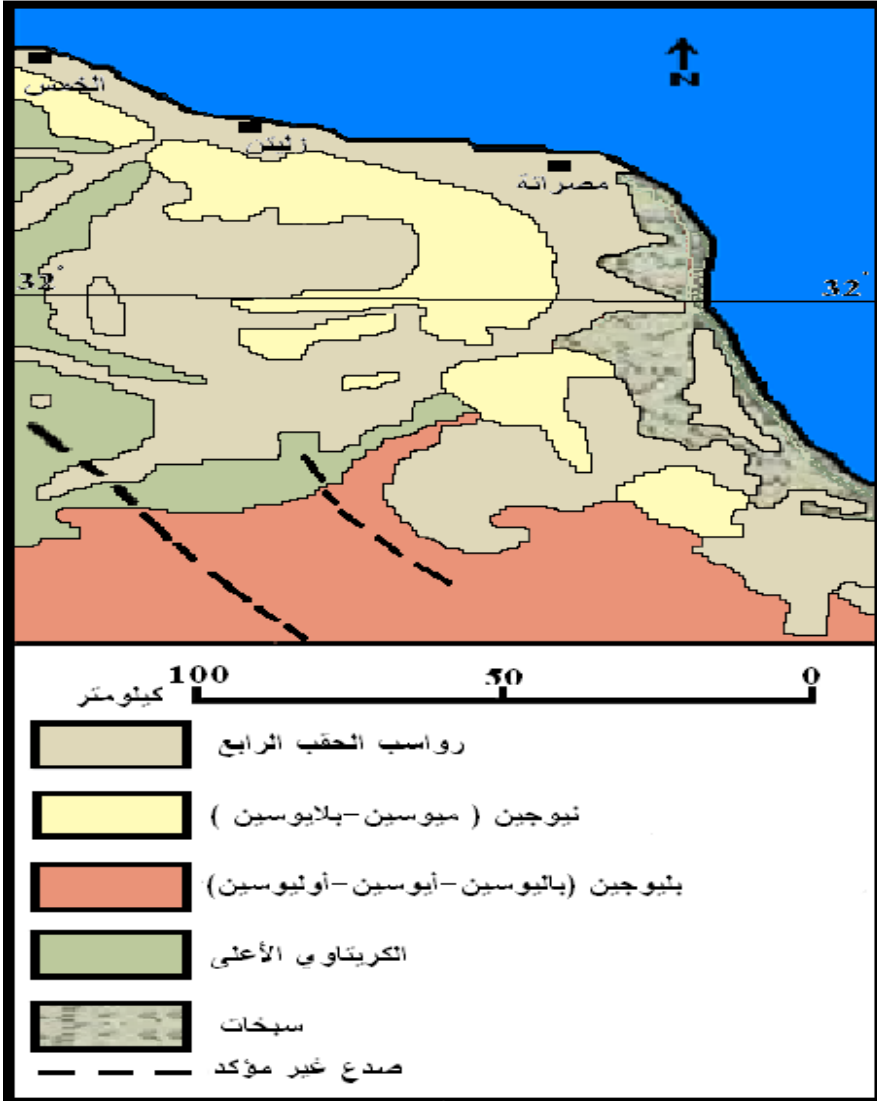
² - يوسف سعيد كجاليك، مقومات الإنتاج ومظاهره الرئيسية بإقليم مصراتة، رسالة ماجستير (غير منشورة) مرجع سابق. ص 44.

³ - محمد صبحي عبد الحكيم، وآخرون، الوطن العربي أرضه وسكانه وموارده، مرجع سابق، ص 26-27.

⁴ - سليمان فرج الخوجة، الخصائص الجيومورفولوجية للكثبان الرملية بالمنطقة الساحلية الممتدة من مصب وادي كعام الغرب إلى سبخة تاورغاء في الشرق، مجلة العلوم الإنسانية والتطبيقية، كلية الآداب والعلوم، العدد السابع، زليتن، 2005م. ص 301.

1- أن نشأت السهل ترجع إلى الأزمنة الجيولوجية نتيجة لحركة الرفع والهبوط الذي حدث خلال الأحقاب الجيولوجية وعمليات الإرساب المختلفة. 2- يرتكز السهل على طبقات

رسومية ترجع إلى⁽¹⁾:- خريطة (2) التكوينات الجيولوجية لمنطقة



الدراسة

¹ - يوسف سعيد كجاليك، مقومات الإنتاج ومظاهره الرئيسية بإقليم مصرانة، رسالة ماجستير (غير منشورة) مرجع

المصدر: الأطلس الوطني، أمانة التخطيط، مصلحة المساحة، طرابلس، 1979م، ص 45-46.

- أ- تكوينات الزمن الثاني الجيولوجي وهي تتكون من الصخور الجيرية التي أرسبت خلال عصر الكريتاسي وتمثل الأساس الصخري.
- ب- تكوينات الزمن الثالث الجيولوجي وتتمثل في طبقات الميوسين الأوسط وتظهر في مناطق متفرقة من الشاطئ وخاصة في الأطراف الغربية في مناطق المرتفعات والتلال عند حافة الهضبة وفي الداخل وتعرف بتكوين الخمس.
- ج- تكوينات بركانية⁽¹⁾ توجد في جنوب غرب الخمس ويرجح إنها نقلت إليه بفعل عوامل التعرية المختلفة.

د- تكوينات الزمن الرابع الجيولوجي وهي تغطي اغلب التكوينات السابقة وتتمثل في: - رواسب هوائية متمثلة في الكثبان الرملية الشاطئية.

- رواسب فيضية وهي تمل بطون الأودية التي تخترق السهل وخاصة قرب مصباتها .

- تكوينات السبخات الملحية والتي من أهمها سبخة تاورغاء شرق السهل وحسب لوحة الخمس من خريطة ليبيا الجيولوجية تظهر سبخة مساحتها (2 كيلومتر مربع) إلى الغرب من منطقة مصب وادي كعام.

- تكوينات قرقارش وهي تمثل إرسابات متحجرة على شاطئ البحر وتظهر بمناطق متناثرة في الخمس وزليتن، كما توجد بعيدة عن الساحل بمسافة كبيرة غرب قرية المحجوب⁽²⁾.

- ثالثاً:- الأشكال الجيومورفولوجية:-

سابق. ص 41-48.

¹ - مركز البحوث الصناعية، خريطة ليبيا الجيولوجية 1 : 250000 لوحة الخمس ش ذ 33-14 الكتيب التفسيري،

الطبعة الأولى، المطبعة القومية، براغ، تشيكوسلوفاكيا، 1975، ص 10.

² - نفس المرجع السابق، ص ص 8-9.

تظهر العديد من المظاهر الجيومورفولوجية على طول امتداد السهل حيث يمكن تلخيصها في الآتي:-

1- السهل:-

يمتد رأس السهل في الغرب بشكل مقطع بالأودية والمسيلات المائية المنحدرة إلى البحر من التلال والحافة الهضبية التي تقترب من ساحل البحر، إلى الغرب من الميناء حيث تظهر التلال وحافة الهضبة التي تشرف على البحر مباشرة في بعض المواضع، مما يجعل السهل يظهر على هيئة أشرطة سهلية مقطعة باتجاهات مختلفة، أما إلى الشرق من مدينة الخمس وتحديداً من وادي لبدة فيبدأ السهل في الاتساع بشكل واضح وتختفي المسيلات المائية بسبب تباعد الحافة الهضبية وتجمعها في شكل أودية قصيرة ومتباعدة عن بعضها كلما اتجهنا شرقاً مثل وادي الوسيط ووادي لبدة ووادي سوق الخميس وسوف نتعرض للأودية بالدراسة فيما بعد، وقد قسم بعض الدارسين السهل إلى قسمين كما في دراسة كجاليك⁽¹⁾ حيث قسم الأرض السهلية إلى نطاقين هما نطاق الشريط السهلي الساحلي، ونطاق السهل الداخلي، كما هو موضح بالخريطة رقم (3) :-

أ: نطاق الشريط السهلي الساحلي وهو الشريط السهلي المحاذي لساحل البحر الذي يبدأ من مدينة الخمس حيث لا يزيد اتساعه عن 3 كيلومترات وذلك بسبب قرب حافة الهضبة ممثلة في ما يعرف بمرتفعات المرقب، ويتسع السهل كلما اتجهنا شرقاً حيث يصل تقريباً 5 كيلومتر ويزيد اتساعه ببضع كيلومترات في منطقة مصراتة، وأما ارتفاعه فيتراوح ما بين 10-25 متر فوق مستوى سطح البحر⁽²⁾، ويشرف السهل على البحر ببعض الخلجان الصغيرة التي تنتهي بها الأودية والمسيلات المائية إلى البحر والجروف التي

¹ - يوسف سعيد كجاليك، مقومات الإنتاج ومظاهره الرئيسية بإقليم مصراتة، رسالة ماجستير (غير منشورة) مرجع سابق. ص 48-59.

² - نفس المرجع السابق، ص 48.

تكونت بفعل الأمواج البحرية كما هو الحال فيما بين سوق الخميس ومدينة الخمس، وتفصله في بعض المواضع الأخرى عن البحر الكثبان الرملية الثابتة في المنطقة القريبة من مصب وادي كعام، ثم تمتد الكثبان الرملية على هيئة شريط شبه متصل بمحاذاة البحر على شكل حقل ضخم متسع وخاصة إلى الشرق من مدينة زليتن حتى مدينة مصراتة، وهو يضيق في بعض المواضع ويتسع في مواضع أخرى ويتراوح ارتفاعه في بعض المواضع 60 متر تقريباً كما هو الحال في زاوية المحجوب⁽¹⁾ ويعتبر الساحل البحري من السواحل الريحية المرتبطة بالمناطق الجافة وشبه الجافة والتي تمتاز بتواجد الكثبان الرملية والسبخات الشاطئية⁽²⁾، وما يميز الساحل البحري الذي يطل عليه السهل الاستقامة التامة باستثناء فجوات مصبات بعض الأودية مثل وادي كعام ووادي لبدة ووجود بعض الرؤوس البحرية مثل رأس المسن بالخمس الذي بني عليه ميناء الخمس التجاري، ونشأت مرافئ الصيد البحري في بعض الفجوات والرؤوس البحرية أيضاً مثل مرفأ الخمس لقوارب الصيد البحري والذي كان في أثناء الاحتلال الإيطالي ميناء للاستيراد والتصدير واشتهر بتصدير الحلفا وبعض المنتجات الزراعية والحيوانية والبحرية⁽³⁾ واستخدمت العديد من الخلجان والجروف الصغيرة والرؤوس البحرية ومصبات بعض الأودية الموجودة على طول الشاطئ الليبي إلى العهدين الفينيقي والروماني حيث كانت سفنهم تلجا إليها إما للتزود بالمياه العذبة والمؤن أو لتجنب الأعاصير والعواصف

¹ - نفس المرجع السابق، ص 50.

² - الهادي أبو لقمة، محمد الأعور، الجغرافيا البحرية، دار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الثانية، 1999م، مصراتة، ص 68.

³ - مجلة الوثائق والمخطوطات، مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، العدد الرابع السنة الرابعة، مدينة الخمس كما صورتها لنا وثائق الأرشيف الإيطالي في العشرينات من هذا القرن، دراسة وتحقيق، خليفة سالم الأحول، باحث في التاريخ الحديث والمعاصر، طرابلس، 1990م. ص 47.

البحرية مثل رأس الطابية أو الطويبية في الطرف الشمالي الغربي لهذا المستنقع المائي (يقصد به عين وادي كعام) حيث وجود بعض النتوءات الصخرية التي تظهر داخل البحر على بعد ثلاثة أرباع الميل مما وفر الحماية لبعض المراكب داخل ما يعرف بمرسى أوجرة نسبة إلى القرية التي تحمل نفس الاسم⁽¹⁾، بمصب وادي كعام، وميناء لبددة الذي دفن تحت الرواسب الفيضية مع كامل المدينة بسبب وجوده في مصب وادي لبددة، وغيرها مما ذكرته لنا المصادر التاريخية التي تناولت هذه الحضارات القديمة، وكذلك مرفأ زليتن الذي يعتبر من المرفأ القديمة التي يرجع تاريخها إلى عهد الفينيقيين والرومان، ونشا المرفأ على خليج صغير مفتوح باتجاه الغرب⁽²⁾، ويوجد على الساحل قبل زاوية المحجوب بحوالي عشرة كيلومتر تتارة زريق أو مرفأ ويرجع بناءه إلى عهد الاستعمار الإيطالي الذي بنى العديد من النتوءات على طول الساحل الليبي، وساعد على بناء تتارة زريق وجود بعض النتوءات والحواجز الصخرية⁽³⁾، وورد في كتاب الإخوان بيتشي إنه يوجد في منطقة زريق بعض النتوءات الصخرية غير بعيدة عن الساحل بها ميناءين صغيرين أطلق أهل القرية اسمي مرسى القصور، ومرسى زريق⁽⁴⁾ كما يوجد تتارة الجزيرة في منطقة المحجوب حيث وجود خليج بحري مفتوح جهة الشرق توجد به جزيرة على بعد

¹ - الإخوان بيتشي والساحل الليبي 1821-1822، ترجمة الهادي مصطفى أبو لقمة، منشورات جامعة قار يونس، دار الكتب الوطنية، بنغازي، الطبعة الأولى 1996م، ص 64-65.

² - مجلة العلوم الإنسانية والتطبيقية، كلية الآداب والعلوم زليتن، جامعة المرقب، العدد السابع عشر، ميناء زليتن للصيد البحري وأثر الجغرافيا على نشأته وتشغيله، حسين مسعود أبو مدينة، يونيو 2008م، ص 296.

³ - يوسف سعيد كجاليك، مقومات الإنتاج ومظاهره الرئيسية بإقليم مصراتة، رسالة ماجستير (غير منشورة) مرجع سابق، ص 616.

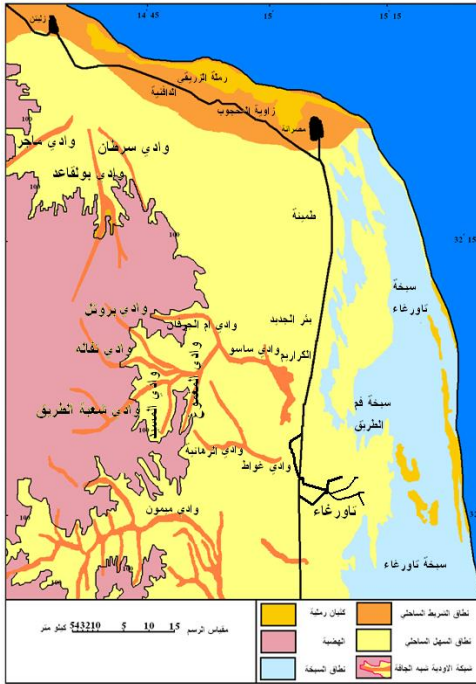
⁴ - الإخوان بيتشي والساحل الليبي 1821-1822، ترجمة الهادي مصطفى أبو لقمة، مرجع سابق، ص 63.

حوالي 400 متر من مكان التتارة كما هي موضحة بالخريطة رقم (3)⁽¹⁾، ومما سبق نلاحظ أن للعامل الطبيعي دوراً كبير في وجود مرفئ الصيد على طول الساحل وذلك من خلال تكون بعض الخلجان الصغيرة ووجود بعض النتوءات الصخرية الناتجة عن النحت البحري لصخور الشاطئ وتقدم مياه البحر نحو اليابس نتيجة الأمواج العالية والنواة البحرية، وتكون الخلجان البحرية نتيجة مصبات بعض الأودية الموسمية والتي من أهمها وادي كعام، وبجوار الشريط الرملي توجد مزارع صغيرة تكثر بها أشجار النخيل وتزرع بها الخضروات الموسمية وذلك لقرب المياه الجوفية بها وخصوبة تربتها، كما أنه يتم أزالته رمال الكثبان لا استغلالها في مجال البناء في المدن الساحلية الممتدة من مصراتة حتى طرابلس ثم يتم استصلاح الأراضي التي كانت مدفونة بالرمال في المجالات المختلفة.

خريطة (3)

المظاهر الجيومورفولوجية لمنطقة

¹ - يوسف سعيد كجاليك، مقومات الإنتاج ومظاهره الرئيسية بإقليم مصراتة، رسالة ماجستير (غير منشورة) مرجع



الدراسة

المصدر: خريطة ليبيا الجيولوجية (لوحة الخمس رقم ش ذ 33-14 و لوحة مصراتة رقم ش ذ 33-15) في رسالة يوسف سعيد كجاليك، مقومات الإنتاج ومظاهره الرئيسية بإقليم مصراتة، رسالة ماجستير (غير منشورة) مرجع سابق. ص 49.

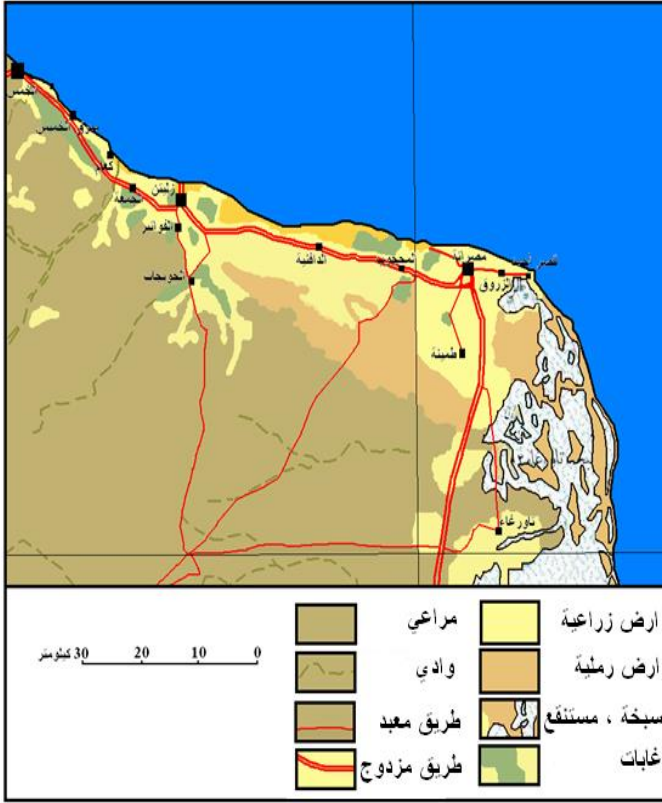
ب- نطاق السهل الداخلي:-

يبدأ هذا النطاق السهلي في الارتفاع التدريجي حتى ارتفاع 100 متر تقريباً كما في الخريطة رقم(3) ويتداخل السهل جنوباً مع الهضبة حيث تبدأ الأرض الرملية القارية والتي قد تظهر على شكل كثبان رملية صحراوية متناثرة قليلة الارتفاع كما تظهر به التلال المختلفة الارتفاع⁽¹⁾ متداخلة مع ارض القبلية المتمثلة في أراضي المراعي فيما بين زليتن وبنى وليد ومصراتة، وهذا يدل على انحدار الهضبة التدريجي كما هو موضح

¹ - عبد العزيز طريح شرف، جغرافية ليبيا، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، الطبعة الثالثة، 1996م. ص 37.

بالخريطة رقم (4).

الخريطة (4) المظاهر الجيومورفولوجية لمنطقة



الدراسة (*).

* المصدر: من عمل الباحث استناداً إلى الأطلس الوطني، أمانة التخطيط، مصلحة المساحة، طرابلس، 1979م، ص33. ويلاحظ أن خط منحنى التسوية 100 متر يبتعد عن ساحل البحر كلما اتجهنا شرقاً مما يدل على اتساع السهل وانحداره الهين نحو الشمال والشرق حتى ينتهي بسبخة تاورغاء شرقاً لتفصله عن البحر، وتقطع السهل مجموعة من الأودية التي بعضها ينتهي بمصببات داخلية ولا يصل إلى البحر مثل وادي ماجر ووادي سرطان ووادي بو لقاعد التي تتحدّر جهة الشمال في جنوب زليتن، ومجموعة الأودية التي تتحدّر من الغرب إلى الشرق التي منها وادي سأسو وادي غواط وغيرها والتي تقع غرب منطقة الكراريم، ووادي ميمون

بروافده المختلفة والذي يعتبر من روافد وادي سوف ألجين الذي يصب في سبخة تاورغاء عملت هذه الأودية على جلب الرواسب المختلطة والتي لعبت دوراً مهماً في زيادة خصوبة التربة وخاصة الأودية التي لاتصل إلى البحر والتي تتميز باتساعها وخاصة قرب مصباتها مما نتج عنه المراوح الرسوبية⁽¹⁾ والتي زادت من خصوبة التربة.

2- الأودية والمسيلات المائية:-

تتحد العديد من المسيلات المائية والأودية الموسمية من الهضبة وحوافها التي تحد السهل من الجنوب والتي تختلف من جزء إلى آخر في السهل ويمكن تصنيفها حسب طولها إلى ثلاث مجموعات وهي:- أ- المسيلات المائية والأودية بغرب السهل (منطقة الخمس) والتي يتميز بها غرب السهل حيث أدى اقتراب الحافة الهضبية متمثلاً في مرتفعات المرقب في انحدار العديد من المسيلات المائية والتي يطلق عليها السكان أودية مثل وادي الطوالب وغيرها وهي في الواقع مجرد مسيلات مائية تتحد بها المياه أثناء هطول المطر ومجرد أن تتوقف المطر تنقطع المياه منها، وانتهت هذه المسيلات وحلت محلها شوارع المدينة ولم يتبق منها إلا القليل، بالإضافة إلى هذه المسيلات هناك الأودية القصيرة مثل وادي الوسيط والذي له تسميات مختلفة لدى السكان منها وادي الكريعات وغيرها ويمر هذا الوادي بوسط المدينة فيما بين المعسكر (الحامية) التي تم هدمها بعد سنة 2011م ومحلة لبددة وطوله لايتعدى خمسة كيلومترات. ومن أهم الأودية في منطقة الخمس:

1- وادي لبددة:-

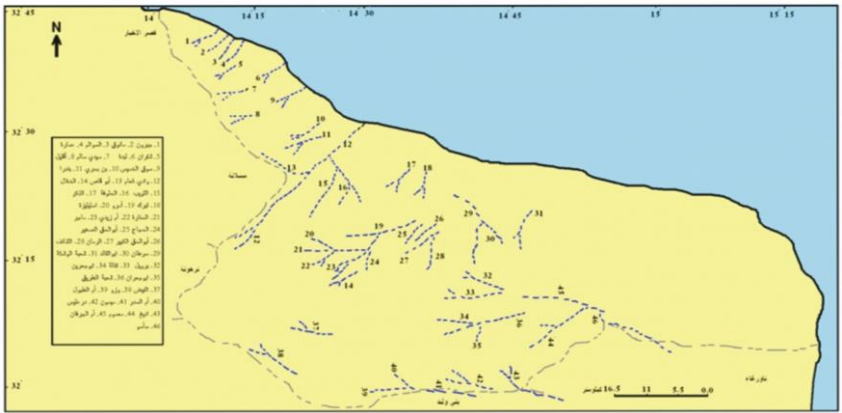
يقع إلى الشرق من مدينة لبددة الأثرية والمشار إليه في الخريطة برقم (5) ويبلغ طوله حوالي 15 كيلومتر وتصل مساحة حوضه التجمعي إلى 77 كيلومتر مربع وحجم

¹ = يوسف سعيد كجاليك، مقومات الإنتاج ومظاهره الرئيسية بإقليم مصراتة، رسالة ماجستير (غير منشورة) مرجع

الجريان السنوي إلى 95000 متر مكعب⁽¹⁾، وقد أقيم عليه سد لحجز مياهه للاستفادة منها في تغذية الخزان الجوفي.

2- وادي سوق الخميس:- ينحدر الوادي من حافة الهضبة يصل ارتفاعها إلى 200 متر عن مستوى سطح البحر نحو ساحل البحر حيث يمر إلى الشرق من المركز الحضري بمحلة تسمى بمحلة الوادي ويبلغ طوله حوالي 17.5 كيلومتر وحجم جريان مياهه السنوية 270 ألف متر مكعب(2)، كما هو موضح بالخريطة رقم (5).

الخريطة (5) أهم الأودية بمنطقة الدراسة



المصدر: استناداً إلى معتوق علي معتوق، ظواهر التنوع والتركز الزراعي في المنطقة الساحلية، رسالة ماجستير غير منشورة، زليتن، 2000، ص 91.

ويلحظ أنه بين وادي لبدة ووادي سوق الخميس هناك العديد من المسيلات المائية التي تسيل بها المياه خلال فصل سقوط الأمطار وتنتهي بالسهل وفي السنوات

¹ - معتوق علي معتوق، ظواهر التنوع والتركز الزراعي في المنطقة الساحلية (مصرثنة - الخمس)، مرجع سابق، ص 92.

² - هيام أبو القاسم فرح أبوذينة، الزراعة والرعي في مدينة الخمس، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة عين شمس، كلية النبات للأداب والعلوم والتربية، قسم الجغرافيا، القاهرة، 2013م. ص 16.

المطيرة فإنها تؤدي إلى تجمع المياه بكميات كبيرة وتخترق السهل مما يؤدي إلى تعطيل الحركة ببعض أجزاء الطريق الساحلي والطرق الفرعية، وتلحق ببعض الأضرار لسكان المنطقة خاصة بالمتنكات والمزروعات والحيوانات ولعل آخرها في سنة (1995م)، وسنة (2012م).

3- وادي غوغاو:-

يقع في المنطقة الواقعة بين وادي سوق الخميس ووادي كعام، ويصل طوله إلى حوالي 12.5 كيلومتر تقريباً ومساحة حوضه التجمعي 52 كيلومتر مربع⁽¹⁾، ويعتبر حوضه التجمعي صغير مقارنة بوادي سوق الخميس ووادي كعام.

4- وادي كعام:-

يعتبر من أكبر الأودية بسهل مصراتة، ويقع في منتصف المسافة بين مدينتي زلتن والخمس تقريباً ويمثل الحد الإداري الطبيعي بين المنطقتين، وتشكل مرتفعات مسلاته الحوض التجمعي له والذي تصل مساحته إلى حوالي 250 كم² ومتوسط الجريان السنوي لمياهه حوالي مليون متر مكعب⁽²⁾ وبني عليه أكبر سد ترابي في عام 1977م. لحجز مياهه والاستفادة منها في الأغراض الزراعية في المشروع الزراعي الاستيطاني القريب منه بشكل مباشر وغير مباشر وذلك بحفر الآبار الجوفية التي يغذيها السد.

ب- الأودية بوسط السهل (منطقة زليتن) :-

تتميز أودية هذا الجزء بأنها تنتهي داخل السهل ولا تصل إلى البحر وتنتهي بمصب واحد داخل السهل ولا تصل إلى البحر وتضيف طبقة سميكة من الرواسب

¹ - هيام أبو القاسم فرج أبو ذينة، الزراعة والرعي في مدينة الخمس، مرجع سابق، ص16.

² - معتوق على معتوق، ظواهر التنوع والترتكز الزراعي في المنطقة الساحلية (مصراتة - الخمس)، مرجع سابق،

الفيضية للمصب على شكل دلتاوات جافة⁽¹⁾، وتسمى أيضاً بالمراوح الفيضية والبدادة وتصل نسبتها في الصحراء الكبرى والصحراء الليبية 1%⁽²⁾ ويمكن تقسيمها حسب اتجاه جريتها إلى مجموعتين الأولى وتجري من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي وتتمثل في وادي ماجر ووادي الذكر، والمجموعة الثانية وأوديتها تجري من الجنوب الشرقي إلى الشمال الغربي وتضم أودية بولقاعد وسرطان وشعبة الشوكة، وتلتقي جميع الأودية السالفة الذكر في مصب واحد⁽³⁾. وهذه الأودية هي:-

1- وادي ماجر :-

يصل حجم جريان ماءه السطحي إلى حوالي مليون متر مكعب، ومساحة حوضه التجميعي حوالي 369 كيلو متر مربع، وينحدر من الجنوب الغربي نحو الشمال الشرقي كما هو موضح بالخريطة رقم (23) وكذلك يشار إلى أهم روافده التي تغذيه فوادي خلال وأمرو برقم(19) والحجاج برقم(24)، السنارة برقم(21)، وأم زيدو برقم(22)، وفي السنوات المطيرة تتعدى مياهه محلة ماجر وتصل إلى الأجزاء الشمالية من زليتن⁽⁴⁾.

2- وادي الذكر :-

¹ - يوسف سعيد كجاليك، مقومات الإنتاج ومظاهره الرئيسية بإقليم مصراتة، رسالة ماجستير (غير منشورة) مرجع سابق. ص 52.

² - حسن سيد احمد أبو العينين، أصول الجيومورفولوجيا دراسة الأشكال التضاريسية لسطح الأرض، الطبعة الخامسة، دار النهضة العربية، بيروت، ص 649.

³ - يوسف سعيد كجاليك، مقومات الإنتاج ومظاهره الرئيسية بإقليم مصراتة، رسالة ماجستير (غير منشورة) مرجع سابق. ص 52.

⁴ - معتوق على معتوق، ظواهر التنوع والترکز الزراعي في المنطقة الساحلية (مصراتة - الخمس)، مرجع سابق، ص 90.

ينحدر من الهضبة من الجنوب إلى الشمال ولا يصل إلى البحر وتصل مساحة حوضه التجميحي إلى 11 كيلومتر مربع ومتوسط الجريان السنوي لمياهه 450000 متر مكعب، وبني عليه سد للاستفادة من مياهه في تغذية الخزان الجوفي⁽¹⁾.

3- تعتبر أودية بولقاعد، وسرطان، وشعبة الشوكة من الأودية التي لاتصل مياهها إلى البحر وتنتهي في السهل، وتنحدر من الجنوبي الشرقي إلى الشمال الغربي.
ج - الأودية بجنوب شرق السهل (منطقة مصراتة) :-

يمكن تقسيمها إلى مجموعتين، حسب مصبات هذه الأودية، فالمجموعة الأولى تضم الأودية التي تنتهي في السهل والمجموعة الثانية التي تشكل روافد للوادي ميمون الذي يتلقى مع وادي سوف الجين الذي يصب بسبخة تاورغاء:-
- فالمجموعة الأولى وهي :-

1- مجموعة الأودية التي تلتقي في وادي ساسو الذي ينتهي بدلنا فسيحة بالقرب من الكراريم، وإذ تشكل أودية الغزال وأم الجرفان الروافد الشمالية، ووادي بروئل ووادي تقالة ووادي شعبة الطريق الروافد الغربية، وأما وادي المشيد ووادي المغموغ فتشكل الروافد الجنوبية، وجميعها تلقي في وادي ساسو الذي ينحدر من الغرب إلى الشرق.
2- وادي غواط ووادي الزهانية توجد جنوب وادي ساسو وتنحدر من الغرب إلى الشرق تنتهي إلى الغرب من تاورغاء.

- المجموعة الثانية وتضم وادي ميمون وروافده وهو يشكل احد الروافد الرئيسية لوادي سوف الجين الذي يصب في سبخة تاورغاء.

وتتميز جميع أودية السهل باتساع مجاريها وخاصة قرب مصباتها نتيجة انحدار السهل الهين وعدم حفرها لمجاريها، وكذلك سرعة جفاف مياهها بسبب التبخر ومسامية

¹ - نفس المرجع السابق، ص90.

التربة، وكلما كانت السنوات مطيرة جرت المياه في هذه الأودية شبه الجافة لفترات قد تصل لعدة سنوات متتالية.

3_ الكثبان الرملية:- تظهر الكثبان الرملية بسبب نشاط العوامل الظاهرية وخاصة التجوية والرياح في المناطق الجافة وشبه الجافة، وقد يكون دوراً مساعداً للتعرية البحرية في تكوين الكثبان الرملية الشاطئية، تبدأ الكثبان الرملية الشاطئية في الظهور فيما بعد وادي كعام ولكنها على شريط ضيق محاذي للساحل تغلب عليه الرمال البحرية(الرمل البيضاء) قرب شاطئ البحر لكنها تختلط مع الرمال الصحراوية كلما ابتعدنا عن البحر، وتظهر كشريط من الكثبان الرملية المتقطعة عن بعضها حيث تختفي في بعض المواضع وتظهر في أخرى حتى قبيل مدينة زليتن، وتمتد الكثبان الرملية بنوعها العرضية والطولية⁽¹⁾ إلى الشرق من مدينة زليتن حتى قصر أحمد، بطول يصل تقريباً إلى حوالي 80 كيلومتر، وعرض من 0.5 - 6 كيلومتر، ويصل متوسط ارتفاعها إلى 15 متر⁽²⁾ ويكون أعلى ارتفاع لها في زاوية المحجوب حيث يصل إلى نحو 60 متر فوق المستوى العام للسهل⁽³⁾ وتستقبل هذه الكثبان كميات من الأمطار الفصلية مما يؤدي إلى نمو غطاء نباتي فقير عليها، وذلك بسبب تسرب مياه الأمطار إلى الطبقة الواقعة تحتها مما ساعد على قيام نشاط زراعي بالقرب منها وفي المناطق التي تزال منها الرمال وعرفت بالنباك حيث تزرع

¹ - مجلة العلوم الإنسانية والتطبيقية، كلية الآداب والعلوم زليتن، جامعة المرقب، العدد السابع، الخصائص

الجيومورفولوجية للكثبان الرملية بالمنطقة الساحلية الممتدة من مصب وادي كعام في الغرب إلى سبخة تاورغاء في الشرق، سليمان فرج حوجة، 2005م، ص 281.

² - نفس المرجع السابق، ص 284- 285.

³ - يوسف سعيد كجاليك، مقومات الإنتاج ومظاهره الرئيسية بإقليم مصراتة، رسالة ماجستير (غير منشورة) مرجع

سابق. ص 50.

ببعض الخضروات وأشجار النخيل⁽¹⁾ وزاد اتساع هذه الأراضي بالتوسع في استخدام الرمال في مجال البناء والصناعات التابعة له، ولكنها تعاني من تملح الخزان الجوفي بسبب زيادة الاستهلاك اكبر من التغذية السنوية للخزان المائي الجوفي. وتنتشر الرمال في شكل غطاء متسع قليل الارتفاع متناثر جنوب السهل وتحديداً بين السهل والحافة الهضبية الهينة الانحدار في بعض المواضع كما هو الحال جنوب زليتن.

4- السبخات الشاطئية:-

تشغل سبخة تاورغاء مساحة 2700 كيلومتر مربع⁽²⁾، وتعتبر من اكبر السبخات على الساحل الليبي، حيث تشغل الركن الشرقي لسهل مصراتة بامتداد يصل إلى حوالي 100 كيلومتر وعرض يتراوح ما بين 15- 30 كيلومتر ويفصل بينها وبين البحر شريط رملي ضيق متقطع، وتعرف السبخة عامة بأنها المنخفض المسطح الذي يكون قريب من الماء الباطني ومغطاة بقشرة ملحية تتوقف سماكتها على موقع السبخة ومعدل التبخر⁽³⁾، بينما سبخة تاورغاء تتغذي على مياه الأمطار والمياه الباطنية ثم مياه أودية سوف الجين وزمزم ألبى الكبير التي تنتهي إليها⁽⁴⁾ وتتكون سبخة تاورغاء من عدة سبخات متصلة مع بعضها البعض وهي سبخة تاورغاء وسبخة فم الطريق وسبخة الهيشة وسبخة العيونات،

¹ - جمال الدين محمد عييلو، استخدامات المياه والمشكلات التي تواجهها بشعبية مصراتة، رسالة ماجستير(غير منشورة)، جامعة المرقب، كلية الآداب والعلوم، زليتن، 2005/2004 م، ص32.

² - سالم علي الحجاجي، ليبيا الجديدة دراسة جغرافية، اجتماعية، اقتصادية وسياسية، منشورات مجمع الفاتح للجامعات، مطابع اديتار، الطبعة الثالثة، 1989م. ص56.

³ - عبد الله يوسف الغنيم، أشكال سطح الأرض المتأثرة بالرياح في شبه الجزيرة العربية، سلسلة علمية، الجمعية الجغرافية، الكويت، 1981م. ص27-28.

⁴ - عبد العزيز طريح شرف، جغرافية ليبيا، مرجع سابق، ص 39 - 40.

تمتلئ بالمياه خلال فصل الشتاء وتجف في فصل الصيف⁽¹⁾، ومن الخريطة رقم(3) نلاحظ أن السبخة مكونة من حاجز الكثبان الرملية، والسبخة الخارجية⁽²⁾ وهي تضم:-
أ- نطاق المستنقعات الملحية المغطاة ببعض النباتات السبخية وتوجد في القسم الشمالي والقسم الجنوبي.

ب- النطاق الملحي الخالي من النباتات وترتبه ويغطيها تكوينات رملية طينية جسيه مع قشرة ملحية تظهر خلال فصل الصيف، نتيجة لتبخر المياه.

ج- نطاق المسطحات الملحية المغطاة بكلوريد الصوديوم وهو مسطح ملحي منخفض شبه جاف في القسم الجنوبي من السبخة تصل مساحته إلى حوالي 20 كيلومتر مربع تغطيه طبقة من الماء شتاءً بسمك يصل إلى 20 سنتيمتر.

د- السبخة الداخلية أكبر أجزاء السبخة مساحة، ومتوسط ارتفاع بعض أجزاءها 1-5 أمتار بالقرب من تاورغاء ويرتفع إلى نحو 25 متر جنوب الهيشة. وتتميز سبخة تاورغاء بوجود ثلاثة ينابيع المياه العذبة هي ينابيع تاورغاء، وينابيع الهيشة، وينابيع المقرون تنمو حولها أشجار النخيل⁽³⁾.

5- الينابيع المائية:-

تعد مياه الأمطار المصدر الرئيسي للينابيع المائية على سطح الأرض، والتي تنشأ نتيجة لتغير في انحدار الطبقات الصخرية أو نتيجة اعتراض طبقة صخرية صماء لمجرى المياه الباطنية ووجود شقوق بالصخور مما يؤدي إلى ظهور الينابيع المائية، وقد

¹ - يوسف سعيد كجاليك، مقومات الإنتاج ومظاهره الرئيسية بإقليم مصراتة، رسالة ماجستير (غير منشورة) مرجع سابق. ص 51-55.

² - نفس المرجع السابق، ص 55-56.

³ - يوسف سعيد كجاليك، مقومات الإنتاج ومظاهره الرئيسية بإقليم مصراتة، رسالة ماجستير (غير منشورة) مرجع سابق. ص 56-58.

تنشأ نتيجة لانخفاض سطح الأرض بحيث يتقاطع مع مستوى المياه الباطنية⁽¹⁾، وتظهر الينابيع في السهل عند مصب وادي كعام حيث تستغل مياهها في ري المزارع القريبة منها أضافه إلى استغلالها في المزارع السمكية وتربية البط والإوز⁽²⁾، وكذلك تظهر الينابيع في تاورغاء التي تستغل في مجالات من أهمها توفير مياه الشرب ري المزارع.

6- الحافة الهضبية:-

تتداخل الحافة الهضبية مع السهل عند طرفه الشمالي الغربي إلى الغرب من مدينة الخمس، حيث تظهر الحافة الهضبية على هيئة تلال متناثرة ومتلاصقة تسمى محلياً (بالروس) وتشرف على مياه البحر إلى الغرب من الخمس، وتتحد منها المسيلات المائية في اتجاهات مختلفة لتلتقي في بعض المواضع مكونة أودية قصيرة تسيل بها المياه في موسم سقوط الأمطار متجهة نحو البحر كما هو الحال في أودية مدينة الخمس، وكلما اتجهنا شرقاً تبعد الحافة الهضبية عن ساحل البحر ليتسع السهل ويزداد طول الأودية وتعدد روافدها المنحدرة من الحافة الهضبية المعروفة بجبال مسلاته كما هو الحال في وادي كعام أطول هذه الأودية، وإلى الشرق من وادي كعام يزداد اتساع السهل حتى يتداخل مع منطقة القبة التي تمثل منطقة الانتقال بين الحافة الهضبية (الجبل الغربي) والصحراء حيث تظهر الغطاءات الرملية القليلة الارتفاع وبعض التلال المنعزلة فيما بين زليتن ويني وليد، ونتيجة لانحدار شبكة عظيمة من الأودية في اتجاهات مختلفة⁽³⁾ فقد قطعت الحافة الهضبية بعوامل التعرية المختلفة وخاصة المائية

¹ - حسن محمد الجديدي، أسس الهيدرولوجيا العامة، منشورات جامعة الفاتح، الطبعة الأولى، طرابلس، 1998م. ص216-218.

² - إبراهيم الدقداق، أثر العوامل الطبيعية والبشرية في قيام الصناعات الغذائية في مدينة الخمس وضواحيها، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة المرقب، كلية الآداب والعلوم، الخمس، 2003/2004 م، ص74.

³ - عبد العزيز طريح شرف، جغرافية ليبيا، مرجع سابق. ص50.

المكونة لروافد الأودية المنحدرة منها، كما تظهر المفتتات الصخرية المختلفة الحجم والخريطة أسفل التلال الصخرية نتيجة لذلك ولنشاط عوامل التعرية الأخرى وخاصة الريحية⁽¹⁾ وتمثل الحافة الهضبية المنطقة الانتقالية إلى الصحراء وتسمى بالقبلة وهي منطقة الرعي لحيوانات الضان والإبل إما الأودية فتتمثل مناطق الزراعة البعلية للحبوب وخاصة الشعير في السنوات المطيرة حيث تسيل بها المياه.

-رابعاً:- المناخ:-

للمناخ دورا كبير ومؤثر في الموارد الطبيعية لذا وجب دراسته والتعرف على عناصره وتوضيح مدى تأثيره المباشر وغير المباشر في استغلال الموارد الطبيعية في السهل، ولدراسة مناخ أي إقليم لا بد من التعرف على أهم العوامل المؤثرة في مناخه والتي من أهمها الموقع الجغرافي بالنسبة لدوائر العرض فالسهل يمتد بين دائرتي عرض 32° شمالاً - 23° 38° شمالاً، وموقع السهل على ساحل البحر مما أثر في مناخه وجعله خليط من المناخ البحري والصحراوي⁽²⁾، وهذا ما يراه الحجاجي أيضاً الذي أشار إلى أن للبحر تأثير على تطيف درجات الحرارة صيفاً وتخفيف برودة الشتاء وبحسب الخريطة التي عرض فيها الأقاليم المناخية الجديدة المعدلة يدخل السهل إقليم مناخ شبه البحر المتوسط (البحري)⁽³⁾، وبذلك يدخل ضمن إقليم المناخ المعتدل الجاف صيفاً، والذي يتمثل في المناطق المحيطة بالبحر المتوسط، حيث تهطل الأمطار في النصف الشتوي

¹ - يوسف سعيد كجاليك، مقومات الإنتاج ومظاهره الرئيسية بإقليم مصراتة، رسالة ماجستير (غير منشورة) مرجع سابق. ص 56-59.

² - عبد العزيز طريح شرف، جغرافية ليبيا، مرجع سابق. ص 95.

³ - سالم علي الحجاجي، ليبيا الجديدة دراسة جغرافية، اجتماعية، اقتصادية وسياسية، مرجع سابق، ص 94، خريطة رقم (8).

من السنة بحسب تقسيم كوين⁽¹⁾، وجاءت دراسة أبو زيد لتؤكد ذلك حيث بينت أن المنطقة الساحلية تقع ضمن المناخ المعتدل ذو الأمطار الفصلية الشتوية مع الصيف الحار ويرمز له (C s a)⁽²⁾، ويعتبر تأثير التضاريس محدود ويتضح في غرب السهل حيث مدينة الخمس تحظى بحماية مرتفعات المرقب لها من الرياح المحلية (القبلي) التي تهب في أواخر فصل الربيع وبداية فصل الصيف، ولكنها بصورة محدودة جداً، كما أن لتوزيع مناطق الضغط المتغير والكتل الهوائية تأثير على المناخ السائد في السهل. وفيما يلي شرح مبسط لعنصر الحرارة.

الحرارة:-

جدول رقم (1) المعدلات الشهرية لدرجات الحرارة لمحطتي الأرصاد الجوية بالخمس

ومصراتة

الخريف		الصيف			الربيع			الشتاء		الفصل
أكتوبر	سبتمبر	أغسطس	يوليو	يونيه	مايو	أبريل	مارس	فبراير	يناير	ديسمبر
28.9	31.1	32.3	31.5	29.5	26.3	23.5	20.8	18.6	18.1	19.9
28		31.1			21.5			18.9		
24.9										
المعدل السنوي										

المصدر: مصلحة الأرصاد الجوي مصراتة- الخمس.

- خامساً-التربة:-

وضع للتربة العديد من التعريفات وذلك حسب تناول كل فرع علمي من فروع المعرفة الجغرافية والزراعية والجيولوجية لها، فعرفها المتخصصون في مجال دراسة التربة بأنها جسم طبيعي مقسم أو مميز إلى آفاق وطبقات من مكونات معدنية عضوية غير متماسكة، حيث تختلف أعماق هذه الآفاق والمكونات عن المادة الأصل الموجودة غالباً

¹ - علي موسى، الوجيز في المناخ التطبيقي، دار النشر؟ الطبعة الأولى، دمشق، سوريا، 1982م. ص 51-52.

² - علي بشير أبو زيد، إقليم طرابلس دراسة مناخية، دراسة لنيل درجة دكتوراه الدولة في الجغرافية، بجامعة محمد

الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، المغرب، السنة الدراسية 1998/1997م. ص 72.

أسفل التربة سواء من حيث الخريطة الظاهري (المورفولوجي)، أو في الخواص الطبيعية والكيمائية أو الحيوية⁽¹⁾. وعرفها الزراعيون بأنها الوسط الذي يصلح لنمو الجذور النباتية المختلفة لتحقيق إنتاج زراعي اقتصادي، أي أنها بالنسبة للمزارع العادي تعني الطبقة العليا من القشرة الأرضية التي ينمو فيها المزروعات⁽²⁾. أما الجغرافيون فعرفوها بأنها الطبقة الهشة والرقيقة التي تغطي معظم سطح الأرض اليابس ويسمك يتراوح ما بين سنتيمترات وعدة أمتار، فهي جسم متطور باستمرار ناتج عن تفاعل بين الغلاف الصخري والغلاف الغازي والغلاف الحيوي والغلاف المائي⁽³⁾. ومن تعريفاتها هي الطبقة السطحية من الأرض التي يستطيع أن يمد فيها النبات جذوره⁽⁴⁾. وعرفها الجيولوجيين بأنها الخليط من الصخور والمعادن والمواد العضوية والماء والهواء وهي ذلك الجزء من الهشيم الذي تنمو فيه النباتات⁽⁵⁾. نستنتج مما سبق أن التربة هي الغطاء الرقيق الهش الذي يغطي سطح اليابسة ويضرب فيه النبات بجذوره ومنه يتحصل على الماء والغذاء وهي نتاج لعدة عوامل هي:-

1- العامل الجيولوجي:-

يعمل هذا العامل على معرفة نوع الصخور وتكوينها الكيميائي والمعدني، وذلك لأنها المصدر الاشتقاقي للصخور، حيث تقسم التربة إلى تربة محلية وهي عبارة عن

¹ - خالد رمضان بن محمود، عدنان رشيد الجنديل، دراسة التربة في الحقل، منشورات جامعة الفاتح،

1984م.ص12.

² - نفس المرجع السابق. ص9.

³ - حسن أبو سمور، علي غانم، المدخل إلى علم الجغرافيا الطبيعية، دار صفاء للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى،

عمان، 1998م. ص153.

⁴ - محمد المبروك المهدي، جغرافية ليبيا البشرية، الطبعة الثالثة، منشورات جامعة قار يونس، دار الكتب الوطنية، بنغازي، 1998م. ص40.

⁵ - ادوارد جي تاروك/وفريدرك. ك. لوتجنز، ترجمة: عمر سليمان حمودة، وآخرون، الأرض (مقدمة للجيولوجيا

الطبيعية)، ELGAK، مالطا، 1984م. ص153-154.

المفتتات الناتجة عن تفتت الصخور الواقعة أسفل التربة نتيجة لعوامل التجوية المختلفة، وتربة منقولة فإذا تعرضت التربة للنقل من مكان اشتقاقها بواسطة أحد عوامل النقل وترسبت في مكان آخر مثل التربة الرسوبية الفيضية التي ترسبها مياه الأودية أثناء فيضانها مثل ترب الأودية المنتشرة في السهل، كما توجد رواسب مسيلات المجاري المائية في شرق مدينة الخمس مكونة من طبقات مختلفة القوام، وتتكون تربة المناطق الساحلية من ترب الرواسب الهوائية القارية والبحرية وجميعها ترجع لرواسب الزمن الرابع الجيولوجي⁽¹⁾.

2- العامل المناخي:-

يلعب المناخ بعناصره المختلفة دوراً مهماً في تكوين تربة أي إقليم سواء بشكل مباشر وذلك عن طريق عمليات التجوية بنوعها الطبيعية والكيميائية، أو غير مباشر وذلك عن طريق الغطاء النباتي الذي يؤثر في تكوين ونوعية التربة الموجودة، لذا يعمل تنوع المناخ على السطح إلى تنوع التربة، فمناخ منطقة الدراسة خليط بين المناخ البحري والمناخ الصحراوي لأنه يمثل المنطقة الانتقالية بين إقليم البحر المتوسط والإقليم الصحراوي، ومن سمات مناخ ليبيا بصفة عامة والتي لها دور كبير في وجود نوعيات محددة من الترب هي طول وتكرار حالات الجفاف الدورية، والتذبذب الشديد وقلة الأمطار السنوية، وشدة الرياح و شبه سيادة الرياح القارية، والحرارة المرتفعة، مما نتج عنه ضعف في الغطاء النباتي الذي أدى سيادة الترب الغير متطورة (الترب الجافة والترب حديثة التكوين)، وندرة المصادر المائية⁽²⁾.

¹ - خالد رمضان بن محمود، الترب الليبية، الطبعة الأولى، الهيئة القومية للبحث العلمي، دار الكتب الوطنية، بنغازي، 1993م، ص 140-146.

² - خالد رمضان بن محمود، الترب الليبية، مرجع سابق، ص 104.

3_ العامل الطبوغرافي:-

يؤثر شكل السطح على تكون التربة فتعرض تربة المنحدرات للإزالة والحث بفعل عوامل التعرية الظاهرية وخاصة منها المياه الجارية والرياح إضافة إلى درجة الانحدار، لذا عادة ما تكون تربة المنحدرات غير ناضجة، وذلك بسبب التناسب العكسي مع درجة انحدار السطح فكلما زاد الانحدار قل سمك التربة والعكس، وتتراكم هذه المفتتات أسفل المنحدرات مكونة تربة عند أقدم السفح يطلق عليها التربة الفيضية لأنها تشبه تربة السهول الفيضية بالأنهار، وإذا تكرر تراكم التربة باستمرار فإنه يؤدي إلى وجود تربة غير ناضجة بسبب عدم تحلل المواد العضوية تحلاً تاماً⁽¹⁾.

4_ العامل الحيوي:-

يعمل العامل الحيوي (الغطاء النباتي والكائنات الحية) على تزويد التربة بالمواد العضوية (الدبال) التي تعمل على زيادة خصوبتها وكما تعمل البكتريا على امتصاص النيتروجين من الهواء وتحويله كيميائياً لعناصر تلائم استهلاك النبات فيما يعرف بـ تثبيت النيتروجين في التربة⁽²⁾، كما تساهم بعض الحيوانات مثل الديدان والقوارض وغيرها في تهوية التربة وذلك بحفر جحورها في التربة، ويعتبر تأثير العامل الحيوي محدود في تربة المنطقة ويقصر تأثيره على تربة المنطقة الساحلية والمرتفعات الشمالية الغربية التي تزيد فيها كمية الأمطار على 100 ملليمتر⁽³⁾، وتتصف أمطار الشمال الليبي بتذبذبها من عام إلى آخر بل تقل عن معدلاتها لعدة سنوات متتالية وهذا بطبيعة الحال ينعكس على الحياة النباتية بل العامل الحيوي بأكمله، وبالتالي يحد من تأثيره في تكوين التربة.

¹ - محمد صبري محسوب سليم، الجغرافيا الطبيعية أسس ومفاهيم حديثة، بدون طبعة، دار الفكر العربي، القاهرة، 1996م. ص 196.

² - صلاح الدين بحيري، مبادئ الجغرافيا الطبيعية، الطبعة الأولى، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1978م، ص 287.

³ - خالد رمضان بن محمود، الترب الليبية، مرجع سابق، ص 105.

5- العامل الزمني:-

تحتاج التربة لزمان طويل قد يصل إلى عصور جيولوجية استمرت فيها العوامل البيولوجية بفعل تأثير العوامل السابقة حتى تصبح تربة ناضجة لذا يعبر عن عمر التربة بدرجة تطور قطاعها بدلاً من عدد السنوات⁽¹⁾. تعمل العوامل السابق على تكوين تربة متباينة الخواص الكيميائية والفيزيائية والتي ينتج عنها نوع التربة ودرجة خصوبة التربة ومدى ملائمتها للإنتاج الزراعي بمختلف أنواعه، وللتربة تصنيفات متعددة وضعها المختصين والجهات التي تقوم على دراستها ولعل أحدثها التصنيف الأمريكي الحديث، والتصنيف الروسي الحديث، والتصنيف الدولي (الفاو- اليونيسكو)، لذا تصنف التربة إلى مجاميع متشابهة تتقارب في خواصها وتسمى بأسماء منقح عليها حسب خواصها الرئيسية⁽²⁾، وبالتالي تم تصنيف التربة بالسهل إلى الأنواع الآتية:-
أولاً:- حسب ما ورد في خريطة الأطلس الوطني:-

- 1- تربة ترسبت بواسطة المياه مع تغيير طفيف في صفاتها، وتتمثل في تربة ترسبت بواسطة المياه، مع وجود صخور من الحجر الجيري على سطحها، ويشار إليها في الخريطة رقم (1) وتتمثل في تربة الأودية بالسهل وخاصة التي تنتهي بمصببات داخلية مثل وادي ماجر وسأسو.
- 2- تربة ضحلة فوق صخور متماسكة، تتمثل في تربة ضحلة حديثة التكوين فوق مواد حجرية متماسكة مع تربة جيرية جافة تحت تأثير مناخ البحر المتوسط أو شبه صحراوية، ويشار إليها في الخريطة رقم (13) وتوجد في جنوب غربي الخمس بعيدة عن السهل.
- 3- تربة ملحية (تركزت فيها الأملاح سهلة الذوبان) التي تترسب عادة في هذه الأراضي مثل: كلوريد الصوديوم، الكلسيوم، المغنسيوم، البوتاسيوم، وكبريتات الصوديوم، وكبريتات

¹ - خالد رمضان بن محمود، الترب الليبية، مرجع سابق، ص 147.

² - نفس المرجع السابق، ص 173.

أ- تربة جافة تحت تأثير مناخ البحر المتوسط أو شبه صحراوية مع نمو طفيف في طبقات قطاعها ويرمز لها في الخريطة رقم (31) حيث تنتشر في جنوب زليتن حتى وادي كعام غرباً وشرقاً حتى وادي ميمون والكراريم.

ب- تربة جافة تحت تأثير مناخ البحر المتوسط أو شبه صحراوية وتربة ضحلة حديثة التكوين فوق مواد حجرية متماسكة ويرمز لها بالرقم (34) في الخريطة وهي تأتي بعد التربة الساحلية مباشرة.

ج- تربة جافة تحت تأثير مناخ البحر المتوسط أو شبه صحراوية وتربة ضحلة حديثة التكوين فوق مواد حجرية متماسكة مع تربة ضحلة فوق مواد حجرية غير متماسكة بها صخور جيرية على السطح، ويرمز لها على الخريطة بالرقم (35) وتتمثل في المرتفعات إلى الغرب والجنوب الغربي من الخمس، وإلى الغرب من سبخة تاورغاء وشرقها.

د- تربة جافة تحت تأثير مناخ البحر المتوسط أو شبه صحراوية مع تربة تتكون أساساً من مادة الرمل ويحتوي قطاعها على طبقة تم فيها نحت بعض المعادن الأولية المكونة للقطاع وتربة ضحلة فوق مواد حجرية غير متماسكة بها صخور جيرية على السطح، ويرمز لها بالخريطة بالرقم (36) وهي تنتشر بالمنطقة الساحلية الممتد من مصراتة إلى الخمس.

هـ- تربة جبسية جافة تقع تحت تأثير مناخ البحر المتوسط أو شبه صحراوية مع تربة جيرية ضحلة فوق مواد حجرية غير متماسكة بالإضافة إلى تربة محلية، وتتمثل في التربة الموجودة إلى جنوب التربة السابقة في جنوب وشرق سبخة تاورغاء في منطقة الهيشة ويرمز لها بالرقم (37) في الخريطة.

ثانياً:- تصنيف التربة حسب ما ورد في الدراسات المختلفة:-

عملت العديد من الدراسات والخرائط للترب الليبية التي من بينها خرائط تصنيف

التربة للقارة الإفريقية التي أعدت من قبل دي هور (D, Hoor, 1964)، وخرائط

اليونسكو (1975م)، وما نشرته سلخوزيروم أكسبورت (1980م)، وخالد بن محمود وعدنان جنديل (1984م)، وخالد بن محمود وآخرون (1984م)، خليل سليمان وآخرون (1989م)، وغيرها من الأبحاث التي خلصت على اعتبار الترب الليبية تتمثل في الرتب التالية: الترب حديثة التكوين، والترب الجافة، وترب الحشائش القاتمة، وترب الغابات، والترب القلابة، والتربة القليلة التطور، وخلص خالد بن محمود إلى اعتبار أن معظم الترب الليبية لا تخرج عن الرتبتين الأولى والثانية (الترب حديثة التكوين والترب الجافة) باستثناء منطقة الجبل الأخضر ومناطق محدودة من مرتفعات طرابلس⁽¹⁾.

تصنف التربة في المنطقة كالتالي:

1_ التربة الجافة البنية المحمرة:

يغطي هذا النوع أكثر من نصف المساحة المدروسة من ترب المنطقة الشمالية الغربية أي بنسبة تصل إلى 54%⁽²⁾، وهي تقع ضمن الترب الواقعة تحت تأثير المناخ البحري أو شبه الصحراوي كما يشار إليها في الخريطة رقم (5) وهي تنقسم إلى خمس أنواع فرعية، وبالتالي تعتبر الأكثر سيادة في المنطقة من الأنواع الأخرى، وتنتشر ما بين الكثبان الرملية وساحل البحر شمالاً حتى الحافة الهضبية جنوباً، وعلى امتداد السهل من الشرق إلى الغرب ولكنها بشكل متقطع في بعض الأجزاء، ومن خلال الجدول رقم (1) الذي يبين الخصائص الطبيعية نسبة الرمل الأعلى في تكوين التربة وهذا يدل على نشأتها الصحراوية ثم اختلطت مع السلت والطين بسبب عوامل التعرية المختلفة تحت تأثير العناصر المناخية السائدة في المنطقة، بمعدل حراري سنوي 19.6 درجة مئوية

¹ - خالد رمضان بن محمود، الترب الليبية، مرجع سابق، ص 167.

² - معتوق على معتوق، ظواهر التنوع والتركز الزراعي في المنطقة الساحلية (مصراتة - الخمس)، مرجع سابق،

ومعدلات أمطار 180-300 ملليمتر سنوياً⁽¹⁾، ومن خصائصها الطبيعية أنها تربة جيدة التهوية وقليلة الاحتفاظ بالماء وجيدة النفاذية والرشح للماء، مما ساعد على تكون الخزان الجوفي العميق أسفلها ولكنه بعيد عنها وفقيرة في المادة العضوية ولا تزيد نسبتها على 0.5% في الطبقة السطحية وتقل كلما زاد العمق حتى تختفي، ودرجة الحموضة تزداد بالعمق وتحتاج هذه التربة للمخصبات لزراعتها لفقرها في النيتروجين⁽²⁾، وتتفرع التربة الجافة البنية المحمرة إلى:

أ- التربة الجافة البنية المحمرة المميزة الأفاق:

يتواجد هذا النوع من التربة مختلط مع أنواع أخرى في اغلب أجزاء السهل الشمالية والجنوبية وعلى سفوح الهضبة وفي إرسابات الأودية توجد أسفلها المياه الجوفية على بعد 100 متر تقريباً⁽³⁾.

ب- التربة الجافة البنية المحمرة المميزة الأفاق وتوجد بها طبقة كلسية.

يتشابه هذا النوع مع النوع السابق من حيث الخصائص الطبيعية والكيميائية والتوزيع المختلط مع الأنواع الأخرى، وتختلف عنها بوجود الطبقة الكلسية فقط⁽⁴⁾ وتبعد

¹ - يوسف سعيد كجاليك، مقومات الإنتاج ومظاهره الرئيسية بإقليم مصراتة، رسالة ماجستير (غير منشورة) مرجع سابق. ص 137..

² - أبو بكر عبد الله الحبتي، التربة: خصائصها وعلاقتها المكانية بالاستثمار الزراعي بمنطقة (زليتن - الخمس)، رسالة ماجستير (غير منشورة) مركز البحوث والدراسات العليا، كلية الآداب، قسم الجغرافيا، جامعة السابع من أبريل، الزاوية، 2003م، ص 36.

³ - يوسف سعيد كجاليك، مقومات الإنتاج ومظاهره الرئيسية بإقليم مصراتة، رسالة ماجستير (غير منشورة) مرجع سابق. ص 138.

⁴ - أبو بكر عبد الله الحبتي، التربة: خصائصها وعلاقتها المكانية بالاستثمار الزراعي بمنطقة (زليتن - الخمس)، رسالة ماجستير (غير منشورة)، مرجع سابق، ص 38.

المياه الجوفية عن سطحها 15 متر في المناطق المنخفضة وعلى بعد أكثر من 50 متر في المناطق المرتفعة⁽¹⁾.

جـ. التربة الجافة البنية المحمرة المميزة الأفاق بشكل بسيط.

تظهر في السهل متداخلة مع الأنواع الأخرى من الترب وخاصة حول الأودية وهي ذات أصل رسوبي فيضي وهوائي إي تجمع بين التكوين اللومي والمارل* كما هو موضح بالخريطة رقم (5)، وعمقها يتراوح بين نصف متر إلى 10 أمتار وهي بذلك لا تبعد كثيراً عن المياه الجوفية التي قد توجد على بعد 10 أمتار أو أكثر⁽²⁾.

د. التربة الجافة البنية المحمرة المميزة الأفاق بشكل بسيط وتوجد بها طبقة كلسية.

تنتشر في كل الإقليم متداخلة مع الأنواع الأخرى وخاصة في المناطق الساحلية والداخلية من السهل وفي بطون الأودية وتشبه في خصائصها النوع السابق عدا أنها توجد بها طبقة كلسية يتراوح سمكها ما بين 30 إلى 150 سم⁽³⁾ توجد في أسفلها المياه الجوفية على بعد 10 أمتار في المناطق السهلية وعلى بعد 100 متر في مناطق المرتفعات⁽⁴⁾.

هـ. التربة الجافة البنية المحمرة الغير مميزة الأفاق.

¹ - يوسف سعيد كجاليك، مقومات الإنتاج ومظاهره الرئيسية بإقليم مصراتة، رسالة ماجستير (غير منشورة) مرجع سابق، ص 139.

* تكوين اللوم = طين + رمل. تكوين المارل = جير + رمل.

² - نفس المرجع السابق، ص 140.

³ - أبو بكر عبد الله الحبتي، التربة: خصائصها وعلاقتها المكانية بالاستثمار الزراعي بمنطقة (زليتن - الخمس)، رسالة ماجستير (غير منشورة)، مرجع سابق، ص 42.

⁴ - يوسف سعيد كجاليك، مقومات الإنتاج ومظاهره الرئيسية بإقليم مصراتة، رسالة ماجستير (غير منشورة) مرجع سابق، ص 141.

ينتشر هذا النوع محاذياً للكثبان الرملية الممتد في المنطقة الساحلية من ناحية الجنوب في كل من زليتن والداقنية وزاوية المحجوب وإلى الشمال من مدينة مصراتة، وترجع في أصلها إرسابات هوائية ومائية رملية وفيضية جيرية وطينية، ويغلب عليها القوام الرملي⁽¹⁾.

2- التربة البنية المحمرة الضحلة الحجرية والحصوية.

يظهر هذا النوع من التربة في الشمال الغربي والجنوب الغربي من السهل وعند الحافة الهضبية الشديدة الانحدار وهي متداخلة مع الأنواع السابقة ويطلق عليها التربة الحجرية عندما تكون أقطار الأحجار تتراوح بين 7.5 إلى 25 سم، وحصوية عند ما تكون حبيبات الحصى أقطارها ما بين 0.2 إلى 7.5 سم ويكون قوامها رملياً حجرياً حصوياً⁽²⁾.

3- التربة الجيرية الكلسية.

تشغل الأجزاء الجنوبية الوسطى من بلديتي زليتن ومصراتة والمنطقة الساحلية الممتد بينهما بمساحات صغيرة ولا يتجاوز سمك قطاعها 30 سم وتعرض للتعرية وقوامها رملي⁽³⁾.

4- التربة الفيضية الرسوبية.

¹ - نفس المرجع السابق، ص 142.

² - أبو بكر عبد الله الحبتي، التربة: خصائصها وعلاقتها المكانية بالاستثمار الزراعي بمنطقة (زليتن - الخمس)، رسالة ماجستير (غير منشورة)، مرجع سابق، ص 47.

³ - معتوق على معتوق، ظواهر التنوع والتركز الزراعي في المنطقة الساحلية (مصراتة - الخمس)، مرجع سابق، ص 159 - 160.

يسود هذا النوع من التربة المندمجة مع الأنواع الأخرى مثل التربة الجافة الحمراء ذات الأفاق البسيطة في مصبات الأودية وعلى ضفافها بالقرب من مصباتها وفي الدالات المروحية المتكونة نتيجة التغيير المفاجئ للسطح فيما بين الهضبة والسهل ولكنها قليلة جداً، ومن أهم الأودية التي كونت التربة الرسوبية الفيضية وادي ماجر ووادي ساسو وغيرها من الأودية التي تنتهي بمصبات داخل السهل ولا تصل إلى البحر، وبعض روافد الأودية التي يتسع مجراها عندما تجري بالسهل مثل وادي ترغلات احد روافد وادي كعام وبالقرب من مصبات الأودية التي تنتهي إلى البحر، وتندرج التربة الرسوبية الفيضية تحت الترب القليلة التطور⁽¹⁾.

5- التربة الملحية.

تسمى هذه التربة بعدة أسماء منها الترب الملحية غير الصودية أو ترب السبخات والقيعان المالحة أو ترب السولانتشاك (Solonchaks)⁽²⁾ توجد في شرق السهل تمتد من قصر احمد حتى الهيشة متمثلة في سبخات تاورغاء وغيرها،

- سادساً:- مصادر المياه:-

تتنوع مصادر المياه بمنطقة الدراسة عل النحو التالي:

1- مياه الأمطار:

تعتبر هذه المياه ذات مصدر هام يعتمد عليها في الإنتاج الزراعي وفي تغذية الخزانات الجوفية، إضافة إلى دورها الأساسي في الإنتاج الغابي والرعي، كما توجد في منطقة الخمس بعض الأودية التي تتجه مائها نحو البحر كوادي لبده الذي تصل مساحته منطقة تجميع أمطاره نحو (77 كم²) وحجم الجريان السنوي لمياه الوادي وصلت إلى

¹- خالد رمضان بن محمود، الترب اللبية، مرجع سابق، ص 214.

²- نفس المرجع السابق، ص 197.

(95000م³)⁽³⁾، أما المسافة التي يقطعها فتقدر بنحو (15كم)⁽¹⁾ أما قدرته التخزينية فبلغت 5.8 مليون م³/سنوياً، في حين وصل معدل سقوط أمطار نحو 270ملم/ سنوياً، أما متوسط التخزين السنوي فبلغ إلى (0.89 مليون م³/ سنوياً)، أما وادي كعام الذي أنشئ عليه سد ترابي في عام 1977، فقد بلغ طوله 80 كم ، أما مساحة حوض التجميع وصلت إلى 2310 كم² ، وقدرته التخزينية تصل إلى 111 مليون م³/سنوياً، في حين قدر معدل سقوط أمطاره 270ملم/سنوياً، وقدر متوسط التخزين السنوي بـ 13 مليون م³/ سنوياً⁽²⁾. ويعتبر هذا الوادي من أطول الأودية في منطقة الخمس ، حيث له العديد من الأفرع التي تغذيه⁽³⁾.

2- المياه الجوفية:

تعتبر إحدى المصادر المائية الرئيسية في ليبيا سواء بالنسبة للاستهلاك البشري أو الاستخدام الزراعي الذي يمثل بنسبة (80.4%) من جملة استهلاك المياه الجوفية في ليبيا⁽⁴⁾ ، وتعد منطقة الدراسة من أهم مناطق التنمية الزراعية في ليبيا بشكل عام، حيث تزداد الكثافة السكانية فيها، وتحتوي أيضاً هذه المنطقة على طبقات حاملة للمياه الجوفية متمثلة في الخزانات الجوفية التالية:

أ- الخزان السطحي "خزان الشريط الساحلي":

¹ - محمد علي بالنور، أساليب الري عيوبها وطرق تطويرها وأثرها على المياه الجوفية بمنطقة سوق الخميس، مرجع سابق، ص 24.

² - محمد علي فضل ، الهادي مصطفى أبو لقمة ، الموارد المائية ، الجماهيرية دراسة في الجغرافية ، (تحرير) الهادي أبو لقمة، سعد القزيري، مرجع سابق، ص 212- 213 .

³ - علي عياد بقص ، حصاد المياه في ليبيا ، مجلة علمية صادرة عن الهيئة العامة للمياه ، دار الفسيفساء ، طرابلس ، العدد الرابع ، 2006 ، ص 13.

⁴ - المهدي صالح بن صالح ، التحليل المكاني للإنتاج الزراعي والحيواني في منطقة مسلاته، مرجع سابق ، ص

ينتمي هذا الخزان إلى صخور العصر الرباعي، الذي يتكون من الحجر الجيري، والحجر الرملي، وتتركز مياهه على أعماق تتراوح ما بين 10-35 متراً، ومستوي الماء الثابت وصلت في هذا الخزان ما بين 10-25 متراً، في حين بلغت إنتاجيته ما بين 5-20م³/ساعة، أما نوعية مياه هذا الخزان فهي كيميائية، وتستخدم مياه هذا الخزان كمصدر لمياه الشرب⁽¹⁾

ب- الخزان العميق:-

يتركز في مناطق الشريط الساحلي ويمتد حتى المناطق الجنوبية بنحو 20-25 كم، وتكويناته من الحجر الجيري المتداخل مع الطين، والمارل والحجر الجيري الرملي، ويتراوح عمق هذا الخزان ما بين 30 - 300 متر، أما سمك الطبقة الحاوية للمياه بلغت ما بين 30 - 100 متر، ويعتمد هذا الخزان في تغذيته على مياه الأمطار والتي تصل إنتاجيته إلى 20م³ / ساعة، أما نوعية مياهه فهي كيميائية أيضاً وغير جيدة، وذلك بسبب ارتفاع مجموع الأملاح الذائبة فيه والتي تراوحت ما بين 2-3 جرام/ لتر، ألا أنها صالحة للزراعة، خاصة المحاصيل التي تتحمل الملوحة مثل القمح والشعير، وكذلك بعض أعلاف الحيوانات مثل الصفصفا.

ج - خزان غريان:

يعتبر هذا الخزان أحد مصادر التغذية للخزانات التي تعلوه، إذ يتراوح عمقه ما بين 50-100 متر في منطقة كعام، وتكويناته من الحجر الجيري إلى الحجر الجيري

5- تقرير عن الوضع المائي لشعبية المرقب، مصلحة المياه والتربة بالمنطقة الوسطي، 2003، ص 2-3.

الدولوميتي، ويصل مستوى الماء الثابت فيه ما بين 5 - 40 متراً، أما نسبة الأملاح الذائبة في هذا الخزان فتتراوحت من (1,8 - 2,5 جم / لتر) ⁽¹⁾.

د-خزان ككلة:

تتألف التكوينات الصخرية لهذا الخزان من الحجر الرملي، والجوارسي المعروفة بتكوين ككلة، ويوجد هذا الخزان في غرب منطقة الخمس، ويصل مستوى الماء الثابت في هذا الخزان ما بين 35-65 متراً، أما بالنسبة لنوعية مياهه فتستغل في ري المحاصيل الزراعية.

هـ - **خزان الميوسين:** يتركز وجود هذا الخزان على الأطراف الجنوبية والجنوبية الشرقية والجنوبية الغربية من منطقة الخمس، وتستخدم مياهه كمصدر للشرب، وري المحاصيل الزراعية.

و- **خزان العزيزية:** تنتمي صخور هذا الخزان إلى صخور العصر الترياسي الأوسط المتكون من تبادل الصخور الرملية مع الطين والخور الجيرية والدولوميت، ويتراوح سمك هذا الخزان ما بين 100 - 160 متراً إذ يفصل هذا الخزان عن خزان ككلة بواسطة طبقة من الطين المانعة للماء الواقعة في أسفل تكوين أبو شيبية وأعلى خزان العزيزية، أما بالنسبة لنوعية مياهه تستغل في أعمال الري فقط ⁽²⁾.

أما عن مصادر المياه الأخرى كالعيون فتعتبر عين تاورغاء وعين كعام المخرج الطبيعي لمياه خزانات الطباشيري العلوي والسفلي معا وتقدر الإنتاجية الحالية لعين تاورغاء بحوالي 56 مليون م / 3 سنة وإنتاجية عين كعام ما بين 8 إلى 10 مليون م / 3 سنة وبذلك

¹ - تقرير عن الوضع المائي لشعبية المرقب، مرجع سابق، ص 1-3.

² - إبراهيم مفتاح الدقاق، أثر العوامل الطبيعية والبشرية في قيام الصناعات الغذائية في مدينة الخمس وضواحيها، مرجع سابق، ص 32.

يكون إجمالي إنتاجية هذين المخرجين الطبيعيين حوالي 66 مليون م / 3 سنة 2.1.2 الاستهلاك يقدر إجمالي الاستهلاك المائي بحوالي 135 مليون م / 3 سنة.

النتائج والتوصيات:

تتمثل نتائج الدراسة في الآتي:

- 1- تتنوع المظاهر التضاريسية بمنطقة الدراسة والتي يغلب عليها الجانب السهلي مع وجود مجموعة من الأودية والعيون.
- 2- تعد منطقة الدراسة حلقة الوصل بين شرق البلاد وغربها وجنوبها.
- 3- مناخ المنطقة وتريتها المتنوعة ساهمت مساهمة فعالة في تنوع الموارد الاقتصادية.
- 4- امتداد منطقة الدراسة على الشريط الساحلي المتاخم لساحل البحر ويشرف السهل على البحر ببعض الخلجان الصغيرة التي تنتهي بها الأودية والمسيلات المائية إلى البحر والجروف التي تكونت بفعل الأمواج.
- 5- إن تنوع المصادر المائية بمنطقة الدراسة يساهم في تنوع المشاريع الزراعية والتي تعد من العوامل الجغرافية الطبيعية المؤثرة في استغلال الموارد الاقتصادية بالمنطقة.

التوصيات:

توصي الدراسة إلى ما يلي:

- 1- استغلال مياه الأودية الاستغلال الأمثل وذلك بإنشاء السدود لها وذلك لري المحاصيل بها، أو استغلالها الاستغلال الأمثل في تغذية المياه الجوفية.
- 2- استغلال السبخات وذلك بإنشاء مصانع للبتروكيماويات كما هو الحال بمصنع أبوكماش.

3- باعتبار أن منطقة الدراسة حلقة الوصل بين الشرق والغرب والجنوب فيمكن من خلال موقعها استغلال الموانئ الموجودة بها في نقل المنتجات من حيث التوريد والتصدير.

4- نتيجة لتنوع التربة بمنطقة الدراسة فيجب استغلالها في تنوع المحاصيل الزراعية.

المصادر والمراجع

أولا الكتب:

- 1- إبراهيم بن عبد العزيز الدعيج ، مناهج وطرق البحث العلمي، الطبعة الأولى، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، 2010.
- 2- أحمد عبد المنعم ، أساسيات إنتاج الخضر وتكنولوجيا الزراعات المكشوفة والمحمية (الصوبات) الدار العربية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 1988م.
- 3- الهادي مصطفى أبو لقمة ، وسعد خليل القزيري،(تحرير) الجماهيرية دراسة في الجغرافيا، المناخ، محمد عياد مقبلي، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، سرت، 1995م.
- 4- الهادي أبو لقمة ، وسعد القزيري، (تحرير) الجماهيرية دراسة في الجغرافيا، الغلاف الحيوي، أبريك عبد العزيز أبو خشيم، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة الأولى، سرت، 1995م.
- 5- حسن محمد الجديدي ، الزراعة المروية وأثرها على استنزاف المياه الجوفية في شمال غرب سهل الجفارة، 1986م.
- 6- خالد رمضان بن محمود ، الترب الليبية، الهيئة القومية للبحث العلمي، دارا لكتب الوطنية، الطبعة الأولى، طرابلس 1995م.

- 7- خالد رمضان ابن محمود ، وعدنان رشيد الجنديل، دراسة التربة في الحقل، منشورات جامعة الفاتح 1984م.
- 8- سالم علي الحجاجي، ، ليبيا الجديدة دراسة جغرافية، اجتماعية، اقتصادية وسياسية، منشورات مجمع الفاتح للجامعات، مطابع اديتار، الطبعة الثالثة، 1989م.
- 9- صالح الأمين الأرياح ، (تحرير)الهيئة القومية للبحث العلمي، الأمن الغذائي أبعاده ومحدداته وسبل تحقيقه، الجزء الثاني، دار الكتب الوطنية، بنغازي، 1996م.
- 10- عبد العزيز طريح شرف ، الجغرافيا المناخية والنباتية، الطبعة الثامنة ، الإسكندرية دار الجامعات المصرية، 1978م.
- 11- على على البنا ، أسس الجغرافيا المناخية والنباتية، دار النهضة العربية،بيروت، 1968م.
- 12- علي موسى ، الوجيز في المناخ التطبيقي، دمشق، 1982م.
- 13- عياد موسى العوامي ، الثدييات الليبية، المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس، 1985م.
- 14- محمد علي الفرا ، مناهج البحث في الجغرافيا بالوسائل الكمية، الطبعة الثالثة، وكالة المطبوعات، الكويت، 1978م.
- 15- محمد إبراهيم حسن ، دراسات في جغرافية ليبيا والوطن العربي، منشورات جامعة بنغازي، ب.ت.
- 16- محمد محمود سليمان، الجغرافي والبيئة، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، وزارة الثقافة_ دمشق، 2007م.
- 17- محمد خميس الزوكه ، المدخل إلى الجغرافيا الاقتصادية، دار الجامعات المصرية، الإسكندرية، 1974م.

- 18- محمد محمود إبراهيم الذيب ، الجغرافيا الاقتصادية، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة السادسة، القاهرة، 1997م.
- 19- محمد عبد الله لامة، سهل بنغازي دراسة في الجغرافية الطبيعية، الطبعة الأولى، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، 2003م.
- 20- محمد السيد عبد السلام، عالم المعرفة سلسلة كتب ثقافية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب- الكويت، التكنولوجيا الحديثة والتنمية الزراعية في الوطن العربي، بدون دار نشر، 1982م.
- 21- محمد المبروك المهدي ، جغرافية ليبيا البشرية، الطبعة الثالثة، منشورات جامعة قار يونس، دار الكتب الوطنية، بنغازي، 1998م.
- ثانياً: الرسائل العلمية:
- 1- أبو بكر عبد الله الحبتي، التربة: خصائصها وعلاقتها المكانية بالاستثمار الزراعي بمنطقة (زليتن - الخمس)، رسالة ماجستير (غير منشورة) مركز البحوث والدراسات العليا، كلية الآداب، قسم الجغرافيا، جامعة السابع من أبريل، الزاوية، 2003م.
- 2- أحمد عبد المجيد الشريف، انجراف التربة وأثره في تصحر أراضي هضبة غريان، رسالة ماجستير (غير منشورة)، قسم الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم زليتن، جامعة المرقب، العام الجامعي 2004-2005م.
- 3- أماني محمد عمر، الإنتاج الزراعي بمنطقة الخمس بين واقع الظروف الطبيعية وتناظر وتوافق العوامل البشرية للفترة مابين 1980-2000م. رسالة ماجستير (غير منشورة) قسم الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم الخمس، جامعة المرقب، العام الجامعي 2005م.

- 4- الشارف محمد الشارف، التصحر وأثره على البيئة والإنسان في جنوب غريان، رسالة ماجستير (غير منشورة)، قسم الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم، ترهونة، جامعة المرقب، العام الجامعي 2003-2004م.
- 5- حافظ عيسى خير الله، المناخ وأثره على البيئة في حوض الكفرة، قسم الجغرافيا ونظم المعلومات الجغرافية، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، 2008م.
- 6- حافظ عيسى خير الله، حوض الكفرة دراسة في الجغرافيا الطبيعية، رسالة ماجستير (غير منشورة)، قسم الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم زليتن، جامعة ناصر، 2000م.
- 7- على بشير أبو زيد، إقليم طرابلس، دراسة مناخية، دراسة لنيل درجة الدكتوراه، في الجغرافيا، بجامعة محمد الخامس، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، السنة الدراسية 1997-1998م.
- 8- محمد السيد حافظ على، المناخ وأثره على النشاط البشري في شبه جزيرة سيناء (دراسة في المناخ التطبيقي) أطروحة دكتوراة (غير منشورة) قسم الجغرافيا، كلية الآداب جامعة الإسكندرية، 2001م.
- 9- محمد الهادي بن الأزهر زارعي، استغلال الموارد الطبيعية والتصحر في الجنوب التونسي منطقة " الجريد، نفزاوه، رجم معتوق " رسالة ماجستير (غير منشورة)، قسم الجغرافيا، كلية الآداب والعلوم ترهونة، جامعة المرقب، العام الجامعي 2004-2005م.
- 10- معتوق على معتوق، ظواهر التنوع والتركز الزراعي في المنطقة الساحلية (مصراتة - الخمس)، رسالة ماجستير (غير منشورة) جامعة ناصر الأممية، زليتن، 2000 م.

- 11- معمر حسين الشيباني، الأمطار وأثرها على الموارد المائية والزراعة بشمال غربي الجماهيرية، رسالة ماجستير، (غير منشورة)، قسم الجغرافيا، كلية الآداب، جامعة الفاتح، 2004م.
- 12- مفيدة ابوعحيلة محمد بلق، مناخ الساحل الليبي وأثره على النشاط الزراعي (دراسة في المناخ التطبيقي) أطروحة دكتوراة (غير منشورة) قسم البحوث والدراسات الجغرافية، معهد البحوث والدراسات العربية، جامعة الدول العربية، القاهرة، 2007م.
- 13- هيام أبوالقاسم فرج أبوزينة، الزراعة والرعي في بلدية الخمس، رسالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة عين شمس، كلية البنات للآداب والعلوم والتربية، قسم الجغرافيا، القاهرة، 2013م.
- 14- يوسف سعيد كجاليك، مقومات الإنتاج ومظاهره الرئيسية بإقليم سهل مصراتة، جامعة الفاتح، كلية التربية، رسالة ماجستير في الجغرافيا غير منشورة 1989م.

حبوب القمح والشعير وآثارها السياسية والاقتصادية على حياة سكان المدن

الإغريقية ما بين (750 - 338 ق.م)

د. عياد مصطفى محمد اعبيليكة

مقدمة:

تعتبر زراعة الحبوب وخاصة القمح والشعير من الحرف المهمة التي مارسها الإغريق؛ لأنها لعبت دوراً رئيسياً في طعامهم الأساسي، غير أن إنتاجها لم يكن يكفي عدد السكان المتزايد، وكانت الرغبة في دراسة التاريخ القديم من الأسباب لاختيار هذا الموضوع المعنون بـ(حبوب القمح والشعير وآثارها السياسية والاقتصادية على حياة سكان المدن الإغريقية ما بين 750-338 ق.م)؛ لأن هذه الفترة في حاجة للدراسة لإظهار الحقائق التاريخية عنها منذ بداية حركة الاستيطان الكبرى في منتصف القرن الثامن قبل الميلاد، وحتى سيطرة مدينة مقدونيا على بلاد الإغريق عام 338 ق.م. وتهدف هذه الدراسة إلى معرفة المناطق الصالحة لزراعة حبوب القمح والشعير في بلاد الإغريق، وإبراز أهميتها في حياة سكان المدن الإغريقية اليومية، وعلاقتها بهجرة الإغريق خارج بلادهم، وإبراز مدى تأثيراتها السياسية والاقتصادية على حياة سكانها وتطرح هذه الدراسة بعض التساؤلات: ما هي الأسباب التي جعلت الحبوب تلعب دوراً رئيسياً في حياة سكان الإغريق، هل كان إنتاج الحبوب في بلادهم يكفي الاستهلاك المحلي، وما هي أهم المستوطنات الزراعية التي أسسها الإغريق خارج بلادهم، وما دورها في توفير الحبوب لهم، وما هي أهم المناطق التي استورد الإغريق منها الحبوب، هل استعملت الحرب الاقتصادية أثناء الحروب البيلوبونيسية بين إسبرطة وأثينا، وما النتائج التي ترتبت عليها.

وقد اعتمدت الدراسة على المنهج التاريخي التحليلي في كتابة هذا البحث، والذي

تمحورت فيه الدراسة على مقدمة وثلاث مباحث وهي كما يلي:

المبحث الأول: الطبيعة الجغرافية لبلاد الإغريق.

المبحث الثاني: الأثر السياسي.

المبحث الثالث: الأثر الاقتصادي.

ويليه الخاتمة، وقائمة المصادر والمراجع.

المبحث الأول: الطبيعة الجغرافية لبلاد الإغريق: كانت معظم بلاد الإغريق التي تبلغ مساحتها حوال ثمانين ألف كيلومتر مربع في طبيعتها الجغرافية ذات تضاريس وعرة، وترتبة فقيرة، ومناخ معتدل في عمومها⁽¹⁾، فالجبال تشغل الجزء الأكبر من سطحها حيث تشكل حوالي 5/4 من مساحتها، وهي على هيئة سلاسل تخرق بلادهم في كل الاتجاهات تقريباً بشكل يجعلها تنقسم انقساماً طبيعياً إلى مناطق صغيرة تكاد تكون منعزلة عن بعضها⁽²⁾، إذ قسمتها هذه الجبال إلى مجموعة من الوديان والسهول المنعزلة عن بعضها البعض⁽³⁾، كما أن الأنهار الموجودة بها تفتقر سهولة المجرى وسلامته مما يجعلها عوامل فصل بدلاً من أن تكون عوامل وصل بين هذه المناطق الصغيرة⁽⁴⁾ وقد أدت هذه العوائق الطبيعية الجغرافية إلى صعوبة الاتصال بين سكانها، وظهور العزلة الحضارية بين مناطقها المختلفة التي وقفت حائلاً دون قيام وحدة شاملة، بل جعلتها مدن متفرقة ومتصارعة فيما بينها، أي ما عرف بنظام دويلات المدن⁽⁵⁾، وكانت كل مدينة منها حريصة على استقلالها الذاتي، وتعيش على مواردها المتعددة والتي من أهمها الصيد

(1) سيد أحمد علي الناصري، الإغريق تاريخهم وحضارتهم من العصر الهيللادي حتى بداية العصر الهلينيستي، دار النهضة العربية القاهرة، ط5، 1998م، ص19.

(2) لطفى عبد الوهاب يحيى، اليونان مقدمة في التاريخ الحضاري، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1994، ص35-36.

(3) سيد الناصري، مرجع سابق، ص21.

(4) لطفى يحيى، مرجع سابق، ص36.

(5) سيد الناصري، مرجع سابق، ص22-23.

والرعي والزراعة، حيث يقوموا سكانها بحرث الأرض بعد أن يبذرون عليها القمح⁽¹⁾، وكان الفلاحون يبذلون جهوداً كبيرة ليستخرجوا من الأرض المجذبة كل ما تستطيع إنتاجه، ويحاولون بجميع الوسائل من أجل الوصول إلى أكثر وأجود محصول ممكن، كما أنهم حرصوا على استثمار كل قطعة من الأرض تصلح للزراعة فيعتنون بتحسين تربتها، ويستخدمون الطرق الممكنة لريها بالمياه، ويرجع ذلك لسببين، أولاً: لقلّة الأراضي الصالحة للزراعة، وثانياً: عدم توفر المياه اللازمة للزراعة، لأن كمية الأمطار التي تسقط عليها ليست موزعة بصورة متناسبة على مختلف فصول السنة؛ فهي تنحصر في أشهر الشتاء القصيرة، وفي أيام معدودات من هذا الفصل، وتسبب أحياناً سيولاً تصب في البحر فلا يستفاد منها في زراعة الأرض⁽²⁾ وأما إذا أجدبت الأرض فتكون سبباً في جفاف حقولهم، وبالتالي نقص إنتاجهم الزراعي، مما أدى إلى هلاك الكثير من السكان جوعاً، واضطر الباقي منهم إلى الهجرة للبحث عن أراضي خصبة يؤسسون عليها مستوطنات جديدة تؤدي إلى نقص الأفواه التي تتطلب بالطعام⁽³⁾، كما أن الآخيين (Acheen) زرعوا حقولهم بالقمح بالرغم من أن الزراعة عندهم شاقة بسبب طبيعة أرضهم الجبلية من جهة، ووجود المستنقعات فيها من جهة أخرى، وكان الفقراء منهم يعتمدون في طعامهم الأساسي على الحبوب⁽⁴⁾.

(¹) فوزي مكاوي، تاريخ العالم الإغريقي وحضارته من أقدم عصوره حتى عام 322 ق.م، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط1، 1980م، ص61.

(²) محمد كامل عياد، تاريخ اليونان، ج1، دار الفكر، دمشق، ط3، 1980م، صص35-36.

(³) ول ديورانت، قصة الحضارة، ت. محمد بدران، ج6، منشورات الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية، القاهرة، ط2، 1969م، صص206-207.

(⁴) المرجع نفسه، ج6، ص205.

والجدير بالذكر: ان أفقر سكان بلاد الإغريق هم عمال الأرض، أو الزراع الصغار الذين يحصلون على قوتهم اليومي من الأرض المزروعة، وإذ تكون مساحتها صغيرة؛ فإنها لا توفر لهم حياة آمنة، ولهذا باع الكثير من الفلاحين أراضيهم، وأصبحت ملكاً لعدد قليل من الطبقة الغنية⁽¹⁾، وكانت من أهم أراضي بلاد الإغريق في زراعة الحبوب هي أرض جزيرة كريت⁽²⁾، وكان الملك يجبي الضرائب العينية، ويحتفظ بما يجمع من حبوب في مخازن ملحقة بالقصر⁽³⁾، ولعل هذا يدل على أهمية الحبوب في أطعام سكان جزيرة كريت الاحتفاظ بها في مخازن قصر الملك، كما أن مقاطعة تساليا (Thessalia) التي تقع في شمال بلاد الإغريق، وتحيط بها الجبال من معظم جوانبها، وبذلك تكون أرضها منخفضة وشبه مغلقة لولا اتصالها بالبحر، وتمتاز بشدة برودتها، وتعتبر من أشهر المناطق في زراعة الحبوب، أما إقليم أتিকা (Attika) الواقع على الساحل الشرقي من بلاد الإغريق فإنه يمتاز بطول سواحله وتحيط به السلاسل الجبلية، واعتدال مناخه مما ساعد على زراعة أشجار الزيتون، والقليل من الحبوب وخاصة القمح والشعير، ولكنها لا تكفي لسد حاجات سكان مدينة أثينا (Athena)⁽⁴⁾، بالإضافة إلى ذلك فإن إقليم لاكونيا (Laconia) التي تعتبر إسبرطة (Sparta) من أهم مدنها لأنها تمتاز باتساع سهولها الخصبة، واعتدال مناخها الذي هيا لها فرصة قيام نشاط زراعي، وذلك لوفرة المياه فيها⁽⁵⁾، وكانت أراضيها الزراعية توزع بالتساوي بين المواطنين الإسبرطيين، ويقوم

(1) محمد عياد، مرجع سابق، ص 53.

(2) فوزي مكاي، مرجع سابق، ص 31.

(3) محمد عياد، مرجع سابق، ص 30.

(4) المرجع نفسه، ص 30.

(5) لبللى عبد القادر علي الغناي، تطور نظام دولة المدينة الإغريقية أثينا وإسبرطة نموذجاً (800-300 ق.م) دراسة

تاريخية مقارنة، منشورات مركز جهاد اللببيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2008م، ص 40.

الهيلوتس (Helotos) عبيد الأرض بزراعتها لهم مقابل نصيب من الإنتاج لا يزيد عن سدس المحصول⁽¹⁾، ويعتبر القمح والشعير من أهم المنتجات الزراعية في مدينة إسبرطة⁽²⁾.

المبحث الثاني: الأثر السياسي: كانت زراعة القمح والشعير محدودة في معظم المدن الإغريقية بسبب طبيعة بلادهم الجبلية، وقلة خصوبة تربتها التي ترتب عليها نقص شديد في المنتجات الزراعية، وخاصة الحبوب مصدر الغذاء الرئيس للسكان⁽³⁾.

كما أن تزايد عدد السكان المستمر في كثير من المدن الإغريقية الذي لا يتناسب مع ما تنتجه أراضيهم من حبوب، أحد الدوافع المباشرة لهجرة السكان بحثاً عن أرض خصبة جديدة⁽⁴⁾، تكون مصدراً لغذائهم، حلاً للضائقة الاقتصادية التي أصابتهم⁽⁵⁾، وقد أدى ذلك إلى انتشار المستوطنات والمدن الإغريقية في مناطق عديدة من العالم القديم في تلك الفترة⁽⁶⁾، وهذا ما أكده أفلاطون (Plato) في كتابه القوانين عندما يقول فيه: أن الفقر في الأراضي الصالحة للزراعة كان أحد أسباب الاستعمار الإغريقي بوجه عام⁽⁷⁾، وكانت هذه المستوطنات في البداية غير منظمة تقوم بها جماعات صغيرة تحت قيادة شخص يختار من بينهم، ويبحثون عن أرض صالحة للزراعة تقام عليها المستوطنة، ثم تطور الأمر وأصبحت الدولة نفسها تنظم هذه العملية، وتضع لها القوانين ما يكفل بقاءها

(1) المرجع نفسه، ص 31.

(2) فوزي مكاي، مرجع سابق، ص 86.

(3) رجب عبد الحميد الأثرم، دراسات في تاريخ الإغريق وعلاقته بالوطن العربي، منشورات جامعة قارونوس، بنغازي، ط 2، 2004، ص 108.

(4) سيد الناصري، مرجع سابق، ص 23.

(5) فوزي مكاي، مرجع سابق، ص 102.

(6) سيد الناصري، مرجع سابق، ص ص 23-24.

(7) نقلاً عن: رجب الأثرم، دراسات في تاريخ الإغريق وعلاقته بالوطن العربي، مرجع سابق، ص 108.

واستمرارها، والجدير بالذكر: أن هذه المستوطنات أو المدن كانت مستقلة تمام الاستقلال رغم ارتباطها بامهاتها بروابط روحية قوية⁽¹⁾، وقد اتجهت أغلب المدن الإغريقية إلى الخارج لتأسيس هذه المستوطنات على الأراضي الخصبة لاستكمال الموارد الاقتصادية اللازمة لتغطية ضروريات الحياة اليومية لسكانها⁽²⁾.

وكانت هذه الظاهرة واضحة المعالم في الاستيطان الإغريقي في المنطقة الشرقية من ليبيا؛ نظراً لخصوبة أراضيها، وهذا يدل منذ البداية على أن الاستعمار الإغريقي لهذه المنطقة كان زراعياً في الدرجة الأولى، لأن سكان جزيرة ثيرا (Thera) كانوا يعانون من ضيق الأراضي الزراعية⁽³⁾، والجفاف الشديد الذي استمر لمدة سبع سنوات، ولم يعد هنالك من مخرج سوى استشارة وحي دلفي (Delphe)⁽⁴⁾، الذي أمرهم بإنشاء مستوطنة جديدة في ليبيا كحل لمشكلاتها الاقتصادية⁽⁵⁾، وفي هذا السياق يقول هيرودوتس (Herodotus): ألمت الأحوال السيئة بالثيرين مجدداً، وعندما لم يعرف سبب هذه المصائب فأجابتهم الكاهنة بأن أحوالهم ستتحسن إذا ما أسسوا مع باتوس (Bettus)

(¹) المرجع نفسه، ص ص108-109.

(²) لظفي يحيى، مرجع سابق، ص 117.

(³) رجب عبد الحميد الأثرم، محاضرات في تاريخ ليبيا القديم، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ط3، 1998م، ص 95.

(⁴) وحي دلفي: هو أحد مراكز الوحي في بلاد الإغريق، وكان يعتقد أن رب هذا الوحي هو أبوللو، وكانت توجد به كاهنة تدعى ببثية تلقي إجابات الوحي شعراً بعد أن يطرحها عليها كاهن معين، ينظر؛ رجب الأثرم، تاريخ برقة السياسي والاقتصادي من القرن السابع قبل الميلاد وحتى بداية العصر الروماني، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 1988م، هامش رقم 4، ص ص31-32.

(⁵) راضية أبو عجيله صالح بن خليفة، أوجه التشابه والاختلاف بين الاستيطان الفينيقي والإغريقي في ليبيا القديمة، منشورات المركز الوطني للمخطوطات والدراسات التاريخية، طرابلس، ط1، 2009، ص 123.

كيريني (Cyrene) في ليبيا⁽¹⁾، كما أشار إلى ذلك لوح المؤسسين لكيريني حيث ورد فيه: فإن من ينظم إليهم من مواطنهم بعد ذلك، سيتمتع بكامل الحقوق المدنية والسياسية، وستخصص له قطعة أرض لا مالك لها⁽²⁾، وكان المكان الذي أسست فيه كيريني سنة 631 ق.م⁽³⁾، تربته خصبة، وتسقط عليه الأمطار الغزيرة⁽⁴⁾، وهذا ما أكده هيرودوت عندما يقول: "أيها الرجال الإغريق من الملائم لكم أن تسكنوا هنا لأن السماء قد تقبت"⁽⁵⁾، وهي كناية عن كثرة الأمطار في هذا المكان⁽⁶⁾، وكذلك يقول استرابو: لقد أزدهرت كيريني بسبب خصوبة الأرض⁽⁷⁾ كما أن منطقة كينييس (وادي كعام - cinyps) الخصبة حول الإغريق تأسس فيها مستوطنة، حيث يقول هيرودوتس عن أرضها: بأنها شبيهة بأفضل الأراضي في إنتاج الحبوب، لأن التربة فيها سوداء وتروي بعيون...، ولأن هذا الجزء من ليبيا تسقط به الأمطار، وعطاء البذور في هذه الأماكن يساوي عطاها في الأرض البابلية⁽⁸⁾.

(1) هيرودوت، الكتاب الرابع من تاريخ هيرودوت، الكتاب السكيتي والكتاب الليبي، ت. محمد المبروك الذويب، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ط1، 2003م، الفقرة 156، ص109.

(2) فرنسوا شامو، الإغريق في برقة الأسطورة والتاريخ، ت. محمد عبد الكريم الوافي، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ط1، 1990م، ص126.

(3) إبراهيم نصحي، إنشاء كيريني وشقيقاتها، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ط2، 1979م، ص72 - 73.

(4) ول ديورانت، مرجع سابق، ج6، ص315.

(5) هيرودوت، مصدر سابق، الفقرة 158، ص110.

(6) المصدر نفسه، هامش 3 ص110.

(7) Strabo, The Geography of Strabo, VIII, Translate by Horace Leonard Jones, L.C.L, William Heinemann Ltd, London, 1967, 17-3-21-22.

(8) هيرودوت، مصدر سابق، الفقرة 198، ص133-134.

وقد أغرت هذه المنطقة دوريروس (Dorieus) ابن ملك إسبرطة حيث نزل مع مجموعة من الإغريق بالقرب من مصب وادي كينييس وأسس مدينة باسمه⁽¹⁾ عام 517 ق.م، وبعد مضي ثلاث سنوات من تأسيسها تمكن القرطاجيون بمساعدة قبيلة الماكاي (Macaе) الليبية من طرده، وتدمير مستوطنته⁽²⁾، للحيلولة دون وقوع المنطقة تحت النفوذ الإغريقي⁽³⁾.

بالإضافة إلى ذلك أسس الإغريق مستوطنة نقرطيس (Naucratis) على ضفاف فرع النيل الغربي من مصر، ويرجح أن تجار من ميليتوس (Miletos) هم أول من أسسها في زمن الملك الصاوي أماسيس (569-528 ق.م - Amases) الذي كان يرغب في إقامة هذه المستوطنة لتجميع الجنود، والتجار الإغريق في مدينة قريبة من عاصمته، بينما يرى بعض الباحثين: أن السبب من تأسيسها ليس حياً في الإغريق بقدر ما هو الخوف تزايد خطر الفرس، وتطلعهم لاحتلال مصر التي تعتبر من المناطق الحيوية للإغريق في إنتاج القمح، ولكن بعد أن أنشغلت ميليتوس باستيطان الجزء الغربي من إيطاليا، ومنطقة البحر الأسود فتدهورت مصالحها في نقرطيس، وحلت محلها جزيرتا خيوس (Chios) وتيوس (Theos) لأنهما كانا في أشد الحاجة إلى القمح المصري، ثم دخلت جزيرة رودس (Rhodos) كمنافس لها، ولحقت بها مدينة أثينا في القرن الرابع قبل الميلاد⁽⁴⁾.

(1) أحمد محمد أنديشة، التاريخ السياسي والاقتصادي للمدن الثلاث، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، مصراته، ط1، ج1، 1993، ص37.

(2) عبد الحفيظ فضيل الميار، الحضارة الفينيقية في ليبيا، دار الكتاب الوطنية، بنغازي، ط1، 2001، ص47-48.

(3) أحمد أنديشة، مرجع سابق، ص38.

(4) سيد الناصري، مرجع سابق، ص ص175-177.

كما قامت مدينة كورنثه (Corinthia) بتأسيس مستوطنة سيراكوزا (seracuza)⁽¹⁾ في الجزء الشرقي من ساحل صقلية عام 734 ق.م، وقد أصبحت من أكثر مناطق جنوب أوروبا ازدهاراً لكثرة خيراتها الزراعية وخاصة في إنتاج الحبوب⁽²⁾. وكانت سواحل البحر الأسود منطقة حيوية للإغريق كمصدر غذائي خاصة لإنتاج القمح، الذي اشتهرت به وديان هذه المنطقة الخصبة، وقد شجعت حاجة الإغريق إلى الغذاء، والتجارة على إنشاء العديد من المستوطنات في هذه المنطقة⁽³⁾، حيث أسست ميليتوس رائدة المدن الإغريقية في حركة الاستعمار في تلك المنطقة مدينة فاسيس (Phasis) في شرق البحر الأسود، وترابيزوس (Trapeizus) في الجنوب⁽⁴⁾، ومستوطنة أولمبيا (Olbia) في الشمال، ودخلت مدينة ميجارا كمنافس لها فأسست هيراكليا (Herklia) القرم حالياً على شواطئ البوسفور، كما أنها قامت عند مدخل البحر الأسود أيضاً مستوطنتان من أجل التحكم في هذا المضيق؛ وهما خالكيدون (Chalcedon) وبيزنطيوم (Byzantium) وكان لموقع هذه المستوطنة الأخيرة سبباً في جلب العديد من المشاكل لها، إذ تنازعت عليها المدن الأيونية من ناحية، والفرس من ناحية أخرى، وتتابو الطرفان احتلالها مما ألحق الأذى بالكثير من سكانها، وقد استمرت على هذا الحال حتى تمكن الملك الأسبرطي باوسانياس (Pausanias) من تحريرها من قبضة الفرس عام 478 ق.م ثم حكمها الإسبرطيون بقبضة حديدية، حتى حررها الأثينيون مرة أخرى من الأسبرطيين عام 470 ق.م، وظل مصيرها مرتبط بأثينا حتى عام 411 ق.م، عندما حدث انقلاب أطاح بالحزب الديمقراطي المؤيد لأثينا، وحل محله الحزب

(1) ول ديورانت، مرجع سابق، ج6، ص313.

(2) سيد الناصري، مرجع سابق، ص159.

(3) المرجع نفسه، ص181.

(4) رجب الأثرم، دراسات في تاريخ الإغريق وعلاقته بالوطن العربي، مرجع سابق، ص110.

الأوليغاركي (Oligarchia) ويعني حزب الأقلية الموالي لإسبرطة، وبذلك انفصلت عن الإمبراطورية الأثينية، وهذا لم يرض أثينا لأنها تعتمد اعتماداً حيوياً على بيزنطيوم في الغذاء والتجارة، فقام الكبياديس (Alcibides) زعيم حزب المعتدلين في أثينا بحملة ضدها أسقط فيها الحزب الأوليغاركي، وأعاد الحزب الديمقراطي إلى الحكم، وأعيدت بيزنطيوم إلى حوزة الامبراطورية الأثينية، واستمرت على هذا الحال حتى وقعت في حوزة إسبرطة بعد هزيمة أثينا النهائية في الحروب البيلوبونيزية عام 404 ق.م⁽¹⁾ ويتضح لنا من أهم أسباب حركة الاستعمار الإغريقي خلال القرنين الثامن حتى السادس حلاً لمشكلاتهم الاقتصادية والاجتماعية، ومنتفساً لاضطراباتهم السياسية وصراعاتهم الحزبية، كما أن هذه المدن التي تم تأسيسها لعبت أدواراً مهمة في تاريخ المنطقة التي أقيمت فيها، بحيث ظهرت أفكار جديدة نتيجة اختلاط الإغريق بشعوب أخرى، فظهرت التأثيرات السياسية بصورها المختلفة على معظم مدن الإغريق حيث تطورت أنظمة الحكم المملكي إلى الارستقراطي ثم الأوليغاركي إلى حكم الطغاة وأخيراً الحكم الديمقراطي⁽²⁾.

المبحث الثالث: الأثر الاقتصادي: عرفت بلاد الإغريق بفقر تربتها، وضيق أراضيها

الزراعية⁽³⁾؛ لأن الجبال تشغل الجزء الأكبر من سطحها، وقلة المياه اللازمة للزراعة،

ولهذا بذل الفلاحون جهوداً كبيرة لزراعة كل قطعة من الأرض تصلح للزراعة من أجل

الحصول على أكبر وأجود محصول ممكن⁽⁴⁾، وقد لعبت حبوب القمح والشعير، دوراً

رئيسياً في طعام الإغريق بصفة عامة، والأثينيين بصفة خاصة، حيث يكاد يكون اعتماداً

(1) سيد الناصري، مرجع سابق، ص 184.

(2) رجب الأثرم، دراسات في تاريخ الإغريق وعلاقته بالوطن العربي، مرجع سابق، ص 110.

(3) ليلي الغنائي، مرجع سابق، ص 32.

(4) محمد عياد، مرجع سابق، ص 35.

كلياً؛ لأن طحين القمح والشعير يصنع منه الخبز، غير أن الإغريق كانوا يفضلون الخبز المصنوع من القمح الأبيض ويسمى ارتوس (Artos) عن الخبز المصنوع من الشعير ويسمى مازا (Maza) ويرجع ذلك لسهولة هضم الأول، كما كان يصنع كعك من الشعير يطلق عليه الخبز الصحي⁽¹⁾ وكانت زراعة حبوب القمح والشعير بشكل عام لا تكفي لسد حاجات سكانها⁽²⁾ وكان موسم جني الحبوب في شهر مايو بمدينة أثينا، وتنتج حوالي 657000 بشل⁽³⁾ من الحبوب في العام⁽⁴⁾ بحيث يشكل إنتاج الشعير تسعة أعشار، بينما يشكل القمح العشر فقط، لا يكاد يكفي ربع سكانها، وبذلك سبب لها مشكلة اقتصادية⁽⁵⁾ أثرت على حياة الطبقة الفقيرة، ولهذا حرم سالون (Solon) تصدير القمح إلى خارج أثينا حتى لا تقع المضاربة في قوت الشعب⁽⁶⁾، لأن التجار الأثينيين كانوا يتاجرون فيه، ويصدرونه للمدن والبلدان المجاورة الأخرى، تم يستوردونه مرة ثانية إلى أثينا ليبيع بأسعار باهضة، وهكذا وجدوا في ذلك مورداً للكسب السريع على حساب الفقراء، ولذلك منع صالون تصديره خارج أثينا، لكي يضمن بذلك توفير رغيف الخبز للفقراء بسعر معقول⁽⁷⁾.

(1) حسين الشيخ، اليونان، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط3، 2005م، ص153.

(2) ليلي الغناي، مرجع سابق، ص40.

(3) البشل: هو مكبال إغريقي يساوي 8 جالون، رجب الأثرم، دراسات في تاريخ الإغريق وعلاقته بالوطن العربي،

مرجع سابق، ص136.

(4) ول ديورانت، مرجع سابق، ج7، ص46.

(5) ليلي الغناي، مرجع سابق، ص40.

(6) فوزي مكاي، مرجع سابق، ص98.

(7) سيد الناصري، مرجع سابق، ص219.

وكانت قلة إنتاج الحبوب التي لا تكفي الاستهلاك المحلي في أغلب المدن الإغريقية سبباً مباشراً في الهجرة للبحث عن مصادر الغذاء في مكان آخر، أما عن طريق الحصول على أراضي صالحة لزراعة الحبوب، وإقامة عليها مستوطنات إغريقية، أو عن طريق السيطرة على المضائق والخلجان المهمة لتأسيس مراكز تجارية عليها ليسهل اتصال الإغريق بينهم وبين البلاد الداخلية المنتجة للحبوب من أجل الحصول منها على كميات كبيرة من الحبوب وتصديرها إلى بلادهم⁽¹⁾؛ ولهذا شجع حاكم أثينا بيزيستراتوس (Peisistratos) الذي حكم من سنة 561 إلى سنة 527 ق.م الشباب الأثيني على إنشاء المستوطنات حول مضيقي البوسفور والدرديل حتى يضمن سلامة مرور السفن الأثينية المحملة بالقمح من سواحل البحر الأسود إلى أثينا⁽²⁾، وخاصة بعد أن استعاد مدينة سيجيوم (sigieum) على الساحل الآسيوي للدرديل، وسيطرته على الجانب الآخر لمدخل البحر الأسود على شبه جزيرة الخيرسونيز (Chersonese) التي كانت وديان تراقيا الخصبة تتصل بالبحر عن طريقها، وبذلك أرسيت الأسس القوية لتجارة البحر الأسود في المستقبل⁽³⁾، كما أن أثينا في زمن حكم بيركليس (Pericles) استطاعت إنشاء أسطولاً قوياً سيطرت به على التجارة البحرية⁽⁴⁾ لتأمين خطوط تجارتها مع المناطق الأخرى⁽⁵⁾، ويرى بعض الباحثين: أن سواحل البحر الأسود صارت من المناطق الحيوية كمصدر غذائي، وخاصة في إنتاج القمح بعد أن أصبحت منطقة الشرق الأدنى مهددة من قبل الفرس، وبذلك كان الاعتماد على القمح المصري أمراً غير

(1) محمد عياد، مرجع سابق، ص 126-128.

(2) فوزي مكوي، مرجع سابق، ص 131.

(3) رجب الأثرم، دراسات في تاريخ الإغريق وعلاقته بالوطن العربي، مرجع سابق، ص 153.

(4) ول ديورانت، مرجع سابق، مرجع سابق، ص 40.

(5) ليلى الغنای، مرجع سابق، ص 40.

مضمون، وخاصة بعد سقوط مصر في يد الفرس⁽¹⁾ في سنة 525 ق.م⁽²⁾، كما اشتهرت سهولة مدينة بيزنطيوم بزراعة القمح الجيد، ولعل ما يدل على ذلك أنها صورت على عملتها الإلهه ديميتير (Demeter) ربة القمح، وكان ميناؤها من المراكز المهمة، والحيوية لتصدير القمح إلى الإغريق، وخاصة مدينة أثينا⁽³⁾، بالإضافة إلى ذلك اعتمدت مدينة إسبرطة في اقتصادها على تصدير الفائض من إنتاج حبوب القمح والشعير إلى الخارج⁽⁴⁾، وكانت مدينة كيريني تمتاز بوفرة محاصيلها الزراعية وخاصة القمح⁽⁵⁾، حيث يقول هيرودوتس أن كيريني تمتاز بأن لها ثلاث مواسم للحصاد⁽⁶⁾، ويرجع ذلك لتدرج ارتفاع المنطقة⁽⁷⁾، وقد ورد ذكر القمح والشعير في مقدمة النقوش الحجرية لحسابات المديرين الماليين في كيريني التي ترجع إلى القرن الرابع قبل الميلاد⁽⁸⁾، ويعتبر إقليم قورينائية بأنه أحد مخازن العالم القديم لتصدير القمح، وهذا ما أكده النقش الذي عثر عليه فيه، ويرجح أنه يعود إلى النصف الثاني من القرن الرابع قبل الميلاد، وبالتحديد خلال الفترة التي حدثت فيها المجاعة في بلاد الإغريق، حيث يشير هذا النقش إلى أن مدينة

(1) سيد الناصري، مرجع سابق، ص 181.

(2) رجب الأثرم، تاريخ برقة السياسي والاقتصادي من القرن السابع قبل الميلاد وحتى بداية العصر الروماني، مرجع سابق، ص 39.

(3) سيد الناصري، مرجع سابق، ص 184-185.

(4) ليلي الغناي، مرجع سابق، ص 62.

(5) سيد الناصري، مرجع سابق، ص 167.

(6) Herodotus, Herodoti Historiae, B.S.G.R, Tvol. I, Litrosi-IV-Contines, BSB, BG, Teubner Verlagseseil Schaft Leipag, Priated in The German Democratic Republic, 1987, IV, 199.

(7) رجب الأثرم، تاريخ برقة السياسي والاقتصادي من القرن السابع قبل الميلاد وحتى بداية العصر الروماني، مرجع سابق، ص 95.

(8) أندريه لاروند، برقة في العصر الهلنستي من العهد الجمهوري حتى ولاية أغسطس، ت. محمد عبد الكريم الوافي، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ط1، 2002م، ص 368-369.

كيريني قدمت إلى أكثر من 40 مدينة إغريقية 805 آلاف ميدمني⁽¹⁾ من القمح، منها 100 ألف ميدمني لأثينا وحدها، ومن المؤكد: أن هذا النقش يدل على وفرة القمح بشكل كبير في كيريني مع الأخذ في الاعتبار أن سكان المنطقة لا بد أنهم ادخروا شيئاً منه لقوتهم الشخصي، وكذلك احتمال بيع كميات أخرى منه في أسواق أخرى، وهذا يدل على أن العلاقة كانت وثيقة بين كيريني والمدن الإغريقية، وقد سكت مدينة كيريني بهذه المناسبة عملة ذهبية عليها سنبله القمح تخليداً لهذا العمل التي قامت به مدينة كيريني⁽²⁾.

وكانت السفن التي تحمل القمح من ليبيا إلى جزيرة البيلوبونيز (Peloponnese) تصل إلى جزيرة كوثيرا (Kythera)، ولهذا فإن القائد الأثيني نكياس (Nicias) أثناء حرب البيلوبونيز هاجم هذه الجزيرة⁽³⁾، ويبدو أنه نوع من الحرب الاقتصادية التي استعملها هذا القائد لمنع وصل حبوب القمح لهذه المنطقة، والجدير بالذكر أن الحرب الاقتصادية استعملت خلال الحروب البيلوبونيزية، حيث أنها بدأت بهجوم القوات الإسبرطية في ربيع عام 431 ق.م على إقليم اتيكيا وقامت بحرق المزروعات الموجودة فيه⁽⁴⁾، كما أنهم احتلوا مدينة ديكيليا (Dikelea) القريبة من أثينا⁽⁵⁾ وأقاموا حامية قوية فيها، وتوقفت زراعة القمح مما جعل أثينا تعتمد على القمح المستورد من سواحل البحر الأسود، وعندما استطاع الأسطول الاسبرطي السيطرة على ميناء برايوس (Peraius) أصبحت أثينا محاصرة لعدم استطاعة السفن المحملة بالقمح من

(1) ميدمني: هو مكبال واحد للحبوب يستعمل في مدينة أثينا ويساوي 84 و 51 لتراً، فوزي مكاي، مرجع سابق، ص 99.

(2) رجب الأثرم، تاريخ برقة السياسي والاقتصادي من القرن السابع قبل الميلاد وحتى بداية العصر الروماني، مرجع سابق، ص 100-108.

(3) المرجع نفسه، ص 100-101.

(4) فوزي مكاي، مرجع سابق، ص 164.

(5) المرجع نفسه، ص 164.

سواحل البحر الأسود الوصول إلى ميناء أثينا وبذلك أصبح سكانها في مجاعة منها أفنع مجلسها أخيراً بالتسليم⁽¹⁾، وبذلك كانت نهاية الحروب البيكوبونيز في عام 404 ق.م⁽²⁾.

الخاتمة:

بينت الدراسة التاريخية لحبوب القمح والشعير وآثارها السياسية والاقتصادية على حياة سكان المدن الإغريقية ما بين (750-332 ق.م) عدة نتائج كان من أهمها:

- كانت للأرض الصالحة لزراعة حبوب القمح والشعير في بلاد الإغريق محدودة وقليلة الخصب والمياه.
- اعتماد معظم سكان المدن الإغريقية في طعامهم اليومي على حبوب القمح والشعير، والتي كان إنتاجها لا يكفي الاستهلاك المحلي.
- كان تزايد عدد السكان المستمر في المدن الإغريقية لا يتناسب مع ما تنتجه أراضيهم من حبوب أحد الدوافع المباشرة للهجرة الإغريقية الكبرى خارج بلادهم لإقامة مستوطنات زراعية يعتمدون عليها في إنتاج القمح من جهة، والسيطرة على المضائق والخلجان المهمة لتأسيس عليها مراكز تجارية من أجل الحصول على القمح من المناطق الداخلية، وتأمين وصوله إلى بلادهم من جهة أخرى.
- أصبح اعتماد الإغريق على سواحل البحر الأسود في الحصول على القمح بعد سيطرة الفرس على مصر.

(1) رجب الأثرم، دراسات في تاريخ الإغريق وعلاقته بالوطن العربي، مرجع سابق، ص 199-200.

(2) لطفي يحيى، مرجع سابق، ص 173.

- منع سالون تصدير القمح إلى خارج مدينة أثينا حتى لا تقع المضاربة بالأسعار، ويضمن بذلك توفير رغيف الخبز للفقراء بسعر معقول.
- استعملت إسبرطة الحرب الاقتصادية ضد أثينا خلال الحروب البيلوبونيسية التي اندلعت بينها لمنع حصولها على القمح من المناطق الأخرى.
- أدت سياسة الحصار الاقتصادي الأسبرطي لأثينا إلى انتشار المجاعة بين سكانها مما أدى إلى استسلامها ونهاية الحروب البيلوبونيسية.

المصادر والمراجع

أولاً/ المصادر:

1- المصادر الكلاسيكية:

- Herodotus, Herodoti Historiae, B.S.G.R, Tvol. I, Litrosi-IV-Contines, BSB, BG, Teubner Verlacsgeseil Schaft Leipag, Priated in The German Democratic Republic, 1987, IV199.
- Strabo, The Geography of Strabo, VIII, Transla te by Horace Leonard Jones, L.C.L, William Heinemann Ltd, London, 1967, 17-3-21-22.

2- المصادر المعربة:

- هيرودوت، الكتاب الرابع من تاريخ هيرودوت، الكتاب السكيتي والكتاب الليبي، ت. محمد المبروك الذويب، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ط1، 2003، الفقرة 156.

ثانياً/ المراجع:

1- المراجع العربية:

- إبراهيم نصحي، إنشاء كيريني وشقيقاتها، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ط2، 1979م.
- أحمد محمد أنديشة، التاريخ السياسي والاقتصادي للمدن الثلاث، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، مصراته، ط1، 1993.
- حسين الشيخ، اليونان، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط3، 2005م.
- راضية أبو عجيله صالح بن خليفة، أوجه التشابه والاختلاف بين الاستيطان الفينيقي والإغريقي في ليبيا القديمة، منشورات المركز الوطني للمخطوطات والدراسات التاريخية، طرابلس، ط1، 2009.
- رجب الأثرم، تاريخ برقة السياسي والاقتصادي من القرن السابع قبل الميلاد وحتى بداية العصر الروماني، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 1988م.
- رجب عبد الحميد الأثرم، دراسات في تاريخ الإغريق وعلاقته بالوطن العربي، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ط2، 2004.

- رجب عبد الحميد الأثرم، محاضرات في تاريخ ليبيا القديم، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، ط3، 1998م.
- سيد أحمد علي الناصري، الإغريق تاريخهم وحضارتهم من العصر الهيللاي حتى بداية العصر الهلينيستي، دار النهضة العربية القاهرة، ط5، 1998م.
- عبد الحفيظ فضيل الميار، الحضارة الفينيقية في ليبيا، دار الكتاب الوطنية، بنغازي، ط1، 2001.
- فوزي مكاوي، تاريخ العالم الإغريقي وحضارته من أقدم عصوره حتى عام 322 ق.م، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط1، 1980م.
- لطفى عبد الوهاب يحيى، اليونان مقدمة في التاريخ الحضاري، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1994.
- ليلي عبد القادر علي الغناي، تطور نظام دولة المدينة الإغريقية أثينا وإسبارطة نموذجاً (800-300ق.م) دراسة تاريخية مقارنة، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2008م.
- محمد كامل عياد، تاريخ اليونان، ج1، دار الفكر، دمشق، ط3، 1980م.

2- المراجع المعربة:

- أندريه لاروند، برقة في العصر الهلينستي من العهد الجمهوري حتى ولاية أغسطس، ت. محمد عبد الكريم الوافي، منشورات جامعة قاربيونس، بنغازي، ط1، 2002م.
- فرنسوا شامو، الإغريق في برقة الأسطورة والتاريخ، ت. محمد عبد الكريم الوافي، منشورات جامعة قاربيونس، بنغازي، ط1، 1990م.
- ول ديورانت، قصة الحضارة، ت. محمد بدران، ج6، منشورات الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية، القاهرة، ط2، 1969م.

دور الجامعة في تعزيز الأمن الفكري لدى طلابها وسبل تفعيله أ.رويدا رمضان الفتني - د. فاطمة محمد أبوراس

المقدمة

عندما تتعرض أية أمة لأزمة أو ضائقة فإنها تتجه إلى التربية باعتبارها الأداة الأنسب للتغيير والتصحيح من بين عدة مؤسسات داخل المجتمع تعنى بعملية التربية، كما أصبح دور المؤسسات التعليمية والجامعية في تعزيز الأمن الفكري، والتصدي للانحرافات الفكرية التي قد يتعرض لها الطلاب الذين هم أساس وجودها واستثمارها ضرورة ملحة ومطلب حيوي، في ظل الظروف الراهنة، والتحديات المتلاحقة في عصر العولمة.

وتعتبر الجامعة مؤسسة ذات أهمية عظيمة لأنها تلعب دوراً مهماً في تشكيل سلوك النشئ، بما تملكه من نظم وأساليب تربوية، وما تضمه من كفاءات متخصصة ومدربة، وهي المدخل الحقيقي والموضوعي المعني بتكوين المفاهيم الصحيحة وتعزيزها في أذهان الناشئة بصورة مخططة.

بالإضافة إلى تزويدها للطلاب بالمعارف والمهارات، فإن إسهامها الأكثر أهمية هو الإسهام التربوي، حيث إنها المسؤولة عن بناء الاتجاهات وضبطها بما يقوي البناء الاجتماعي، ويعزز وحدتها وترابط أجزائه من خلال برامج مقصودة ومدروسة، باعتبار أن المعنيين بالقيام العملية التربوية والتعليمية ثم إعدادهم

وتهيئتهم للقيام بهذه المهمة. (1).

ولما كانت الجامعة من بين المؤسسات التربوية والتعليمية المنوط بها إعداد النشئ وصياغة شخصيته، برزت الحاجة الماسة إلى دراسة المشكلات والتحديات الفكرية التي تواجه هؤلاء النشئ حتى يحسن إعدادها بما يكفل قيامها بدورها الرائد في التنمية والأمن الوطني، والتسلح بالمهارات اللازمة لاقتحام سوق العمل ومتطلباته.

والجامعة بمفهومها الشامل والمتكامل تعتبر خط دفاع رئيسي، وذلك بتعميق ولاء الطلاب لله، وكتابته ورسوله، والبعد عن مواضع الفرقة والضلال والانحراف.

ولا يقتصر دور الجامعة على تقديم المعارف والمعلومات فحسب، وإنما بإزالة الأفكار الشاذة والاتجاهات المنحرفة من عقول الطلبة، وتحسينها بالأفكار السليمة التي ينبثق عنها السلوك الإيجابي.

ولعل الأحداث الإرهابية المؤلمة والمنحرفة عن المنهج الصحيح التي وقعت مؤخراً، ولا زالت تقع في مختلف دول العالم، قد أثر هذا بشكل كبير على الوضع الراهن في بلادنا الحبيبة، تؤكد وتدق ناقوس الخطر هذا ويعطي مؤشرات لحجم الأخطار التي ربما انزلق فيها أبنائنا وقلذات أكبادنا، والتي يعمل مروجوها إلى استخدام العنصر البشري كوقود لها، وخاصة الشباب منهم وذلك من خلال

(1)Shelly, G-(2006). Perceptions of characteristics of good citizenship by secondary public school teachers in the state of Washington.

الترويج لأفكار، ومناهج مخالفة وبعيدة كل البعد عن تحكيم الشريعة الإسلامية، والسنة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة والسلام.

ومما يؤكد ضرورة مساهمة المؤسسات الجامعية والتربوية في المنظومة الأمنية للدولة إدراك الجهات ذات العلاقة بالتلازم العضوي والوظيفي بين التعليم والأمن من خلال عقد المؤتمرات والندوات لتذويب الحواجز بين الأجهزة الأمنية ومؤسسات المجتمع الأخرى، وعلى رأسها المؤسسات التربوية والتعليمية بهدف زيادة الفهم المتبادل، والمشاركة الشاملة والالتزام والتعاون.

والمسؤولية الأمنية للإدارات الجامعية في تعزيز الأمن الفكري لم تعد على هامش الواجبات والاختصاصات الوظيفية؛ بل أصبحت من أهم محصنات الأمن وأكبرها شأنًا، فالتعليم قادر من خلال بناء شخصيات الناشئة وصقلها بما يتوافق والقيم الاجتماعية والمدنية بأن يشكل سدًا منيعاً ضد الانحراف وداعماً رئيسياً للأمن والأمان في المجتمع. (1).

ولذلك فإن تعزيز الأمن الفكري أصبح ضرورة ملحة في ظل التلوث الثقافي، والغلو الديني وضعف الوعي السياسي الذي شاع في المجتمع الإسلامي عامة، حيث أكدت دراسة (نور، 2008) (2)، إلى أن فقدان الأمن الفكري يولد التبعية والتناحر الذي يقسم المجتمع إلى تيارات متصارعة تقودنا إلى أعمال العنف

(1) صالح أحمد الريمي، أساليب وقاية الطلاب من الانحراف كما يراها التربويون في المدارس المتوسطة الحكومية بمدينة الرياض، (1425)، ص 100.

(2) أمل محمد أحمد نور: مفهوم الأمن الفكري في الإسلام وتطبيقاته التربوية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، كلية التربية، المملكة السعودية، (2008).

وتمزيق الكيانات السياسية والبنية الاجتماعية، وهذا ما لفت انتباه الباحثات لافتقار بعض الطلبة للفكر السليم الذي يتمثل في الناحية الثقافية والدينية والسياسية، وحتى لا تذوب الهوية الشخصية للطلاب بتأثير الفكر المنحرف جاءت هذه الدراسة كمحاولة للإجابة عن السؤال الرئيسي وهو: ما دور الجامعة في تعزيز الأمن الفكري لطلابها وسبل تفعيله؟

مشكلة البحث: ونظراً لما يشهده العالم من قفزات نوعية، وتحديات على كافة الأصعدة، وخاصة منها الجانب الأمني والذي يخوض العالم لأجل تحقيقه حروباً طاحنة، ويقدم أثماناً غالية جداً، وتكاليف باهظة، ربما وفرنا على أنفسنا كثيراً منها إن نحن أخذنا بنماذج إدارية حديثة، وذات جودة مناسبة من خلال برامج وأنشطة مخططة لتنمية روح الحس الأمني لدى الطالب، والوقاية من المزالق الفكرية والتحصين ضد الانحراف في مغبتها، وحتى لا تذوب الهوية الشخصية للطلاب بتأثير الفكر المنحرف، طرحت الباحثتان تساؤلاً هاماً يتمثل معرفة ألا يكون للجامعات دور فعال في تعزيز الأمن الفكري وما يعزز مشكلة البحث ما يلي:

- 1 - خطورة موضوع الأمن الفكري، ودور القادة المفكرين والعلماء المستنيرين في المجتمع وبالأخص أساتذة الجامعات والمعلمين في تحصين ووقاية المتعلمين من الانحراف عن مسارات أمن الوطن ومعتقدات المجتمع الدينية والاجتماعية.
- 2 - مواجهة التغيرات الفكرية والثقافية المتسارعة التي قد يتبناها الطلبة من خلال وسائل متعددة تنعكس على أفكارهم ومعتقداتهم مما تشكل لديهم سلوكيات قد تكون منحرفة ومختلفة عن عقيدتهم ونظمهم التي تسير عليها مجتمعاتهم، وانطلاقاً من

ذلك تكونت فكرة هذا البحث كونه يدرس دور الجامعة في تفعيل الأمن الفكري لدى الطلاب.

أهمية البحث:

- 1- تبرز أهمية هذا البحث على المستوى العلمي من خلال الدور الذي يجب أن تقوم به المؤسسات التعليمية من حيث التوعية الشاملة لتحسين وتعزيز أفكار الطلاب.
- 2- حاجة الميدان التربوي والثقافي إلى معرفة مفهوم الأمن الفكري، وتفعيله في المجتمع المسلم.
- 3- كما تتبع أهمية هذا البحث بصورة عامة من أهمية مؤسسات التعليم على مختلف مراحلها التعليمية سواء كانت جامعية أو مدرسية، وأهمية خاصة تمثل في دور الجامعة في تكوين شخصية المتعلم وميوله واتجاهاته وسلوكه، وتحقيق الأمن الفكري الذي يعد الدرع الحصين للأمن الوطني بصفة عامة.
- 4- تتبلور أهمية البحث من خلال ما سينبثق عنه من نتائج وتوصيات ومقترحات من شأنها تبصير أعضاء هيئة التدريس بواجباتهم ومسؤولياتهم وأدوارهم نحو طلابهم ومجتمعهم باعتبارهم على قمة الهرم التعليمي لأبناء المجتمع، فضلاً عن الجهات المسؤولة التي قد تستتير في وضع الخطط التعليمية التي من شأنها تحقيق الأمن الفكري وتعزيزه لدى المتعلمين.

تساؤلات البحث: ((ما دور الجامعة في تعزيز الأمن الفكري لدى طلابها وسبل تفعيله؟)) وتتفرع عن التساؤل الرئيسي التساؤلات الفرعية الآتية:

أولاً: ما مفهوم الأمن الفكري؟

ثانياً: ما سبل تحقيق الأمن الفكري؟

ثالثاً: ما دور الأستاذ الجامعي في تعزيز الأمن الفكري؟

رابعاً: ما دور المؤسسات التعليمية التربوية في تعزيز الأمن الفكري؟

خامساً: ما هي المعوقات التي تهدد الأمن الفكري؟

أهداف البحث:

- 1 - توضيح مفهوم الأمن الفكري.
- 2 - التعرف على سبل ووسائل تحقيق الأمن الفكري.
- 3 - إبراز دور الأستاذ الجامعي في تعزيز الأمن الفكري.
- 4 - تحديد دور المؤسسات التعليمية والتربوية في تعزيز الأمن الفكري.
- 5 - الوقوف على المعلومات التي تهدد الأمن الفكري.

المصطلحات العلمية للبحث:

. الدور: "مجموعة من الأنشطة المرتبطة بالسلوك الذي يحقق ما هو متوقع من مواقف معينة، وتلك الأدوار التي يترتب عليها التنبؤ بسلوك الأفراد في مواقف

مختلفة". (1)

إجرائياً: وتعرفه الباحثتان بأنه نموذج للسلوك مبني على حقوق وواجبات معينة ويرتبط بمركز معين داخل نطاق جماعة أو موقف اجتماعي، ويتجدد الدور بمجموعة التوقعات من جانب الآخرين ومن جانب الشخص نفسه عن سلوكه.

. التعزيز: وتعرفه الباحثتان بأنه زيادة أو تقوية الأمن الفكري لدى طلاب الجامعة.

. الأمن: لغوياً: "الأمن ضد الخوف". (2)

أما اصطلاحاً: "فهو يعني الاستقرار والأمان والطمأنينة التي يشعر بها الفرد والمجتمع، وفي ظلّه تستطيع الأمة أن تتفرغ للبناء والتطوير في مختلف مجالات الحياة". (3)

. الفكر: لغوياً: الفكر جاء من قولك فكر في الأمر فكراً أي عمل العقل فيه ورتب

(1) محمد منير مرسى: الإدارة التعليمية أصولها وتطبيقاتها، عالم الكتب، القاهرة، ط1، (2001)، ص:133.

(2) الصحاح الجوهري: تحقيق أحمد عبد الغفار، دار العلم للملايين، بيروت (1993)، ص271.

(3) محمود شاكر، وخالد بن عزيز الخرفش: مفاهيم أمنية، الرياض، مركز الدراسات والبحوث، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية (2010) ص:83.

بعض ما يعلم ليصل به إلى معرفة المجهول، والفكر إعمال العقل في المعلوم للوصول إلى معرفة مجهول. (1)

أما اصطلاحاً "هو جملة ما يتعلق بمخزون الذاكرة الإنسانية من الثقافات والقيم والمبادئ الأخلاقية التي يتغذى بها الإنسان من المجتمع الذي ينشأ فيه ويعيش بين أفرادها". (2)

. **الأمن الفكري:** اصطلاحاً: "يعني أن يعيش الناس في بلدانهم وأوطانهم وبين مجتمعاتهم، آمنين على مكونات أصالتهم وثقافتهم ومنظومتهم الفكرية. (3) ويعرف أيضاً بأنه: "حماية عقل الإنسان وعقيدته وفكره ومبتكراته ومعارفه ومنتجاته، ووجهات نظره وحرية رأيه من أي مؤثرات من شأنها أن تقتضي على ما لديه من الشعور بالهدوء والطمأنينة والاستقرار ويهدد حياة المجتمع سواء من قبل الشخص نفسه أو من قبل الغير. (4)، وتعرف الباحثتان الأمن الفكري بأنه تحصين أفكار الطلاب من المهددات والأخطار التي تؤدي إلى الإخلال بالثوابت العقيدية والوطنية والأخلاقية والسلوكية والاجتماعية، والعمل على سلامة فكرهم من الانحراف أو الخروج عن الوسطية والاعتدال في ممارستهم وسلوكياتهم المختلفة، وتعزيز مستوى

(1) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، الجزء الثاني، مطابع قطر الوطنية، الدوحة، ط2، دار عمران، (1985)، ص724.

(2) عبد الله بن عبد المحسن التركي: الأمن الفكري وغيابه، المملكة العربية السعودية، جامعة نايف العربية، مطابع رابطة العالم، الرياض، (1996) ص66.

(3) عبد الله بن عبد المحسن التركي، الأمن الفكري وغيابه (1966)، مرجع سابق، ص66.

(4) حيدر بن عبد الرحمن الحيدر: الأمن الفكري في مواجهة المؤثرات الفكرية (2002)، ص314.

الأمن والاستقرار في الحياة اليومية، وذلك من أجل وقاية المجتمع من مخاطر الانحراف الفكري.

الدراسات السابقة:

لقد تناول الباحثون والمهتمون موضوع الأمن الفكري من جوانب متعددة ومتغيرات مختلفة، حيث وجدت العديد من الدراسات منها:

1- دراسة (غنوم، 2004) التي تمحورت حول معرفة المسؤولية الأمنية للمؤسسات التعليمية في الرياض، والتي أتبعته المنهج التحليلي، وقد كان من أهم نتائجها أن هناك جمود في البرامج التعليمية والمناهج الدراسية التي تعتمد عليها مؤسسات التعليم ذات الارتباط بتحقيق الأمن الفكري وتحسين الأفراد من الانحراف.

2- دراسة (خريف، 2006) التي هدفت إلى معرفة دور وكلاء الإدارة المدرسية في تحقيق الأمن الفكري لدى الطلاب في مدينة الرياض. باستخدام المنهج الوصفي، وطبقت الدراسة على عينة تكونت من 180 وكيلاً ومن 60 مدرسة من مدينة الرياض وكان من أهم النتائج أن نسبة 54% من أفراد عينة البحث أشاروا بوجود مفهوم واضح للأمن الفكري، كما أظهرت الدراسة أهمية برامج النشاط في تعزيز الأمن الفكري لدى الطلاب، وأن أهم معوق لتحقيق الأمن الفكري هو تأثير الزملاء والأقران ثم وسائل الإعلام والإنترنت.

3- دراسة شلдан (2013) بعنوان: "دور كلية التربية بالجامعات الفلسطينية في تعزيز الأمن الفكري لدى طلبتها وسبل تفعيله.

هدفت الدراسة التعرف إلى دور كليات التربية بالجامعات الفلسطينية في تعزيز الأمن الفكري لدى طلبتها وسبل تفعيله. واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، وتمثلت أداة الدراسة في إعداد استبانة اشتملت على (42) فقرة، حيث بلغ مجتمع الدراسة (10270) طالباً وطالبة في العام الدراسي (2010-2011م)، واشتملت عينة الدراسة على (395) طالباً وطالبة. وقد أظهرت نتائج الدراسة ما يلي:

أ. بلغت تقديرات الطلبة حول دور كليات التربية بالجامعات الفلسطينية في تعزيز الأمن الفكري لدى طلبتها (17223).

ب. وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين متوسطات استجابات العينة تعزى لمتغير الجنس (ذكر، أنثى).

4 -دراسة الشمري، الجردات (2011) بعنوان: "دور أعضاء هيئة التدريس في تعزيز الأمن الفكري لدى طلاب جامعة حائل".

هدفت الدراسة التعرف إلى دور أعضاء هيئة التدريس في تعزيز الأمن الفكري لدى طلاب جامعة حائل، والتعرف على ما إذا كانت هناك فروق بين أعضاء هيئة التدريس في تعزيز الأمن الفكري باختلاف كلياتهم ورتبهم ومؤهلاتهم العلمية، واستخدم الباحثان المنهج الوصفي التحليلي، حيث قام الباحثان بإعداد استبانتين، وقد تكونت الاستبانة الأولى من (38) فقرة موزعة على أربعة مجالات هي (الأهداف التربوية، محتوى التعليم، أساليب وطرائق التدريس، التقويم)، وكانت الاستبانة الثانية لمعرفة معوقات الأمن الفكري وتكونت من (21) موزعين على مجالين هما (معوقات الأمن الفكري، تعزيز الأمن الفكري لدى الطلاب)، وبلغت

عينة الدراسة (173) فرداً من أعضاء هيئة التدريس وقد أظهرت نتائج الدراسة ما يلي:

- 1- أشارت النتائج إلى أن دور أعضاء هيئة التدريس جاء بدرجة عالية، وإلى وجود أربعة فروق ذات دلالة إحصائية بين أفراد عينة البحث وفق متغيراته.
 - 2- أشارت النتائج إلى أن هناك بعض المعوقات التي تواجه أعضاء هيئة التدريس في تعزيز الأمن الفكري لدى الطلاب.
 - 5- دراسة السلیمان (2006) بعنوان: "دور الإدارات المدرسية في تعزيز الأمن الفكري لدى الطلاب".
- هدفت الدراسة إلى التعريف بدور الإدارات المدرسية في تعزيز الأمن الفكري للطلاب، واستخدم الباحث المنهج الوصفي، واعتمدت الدراسة على الاستبانة لجمع البيانات، وكان مجتمع الدراسة (1022) مدير ووكيل، وقد بلغت العينة (400) مدير ووكيل بالمراحل الدراسية الثلاث.
- وقد أظهرت نتائج الدراسة ما يلي:
- 1- يرى مديرو المدارس بنسبة مرتفعة إلى الحاجة إلى تعزيز الأمن الفكري للطلبة كبيرة.
 - 2- أن إدارات المدارس لديها إمام كبير بالأساليب والإجراءات المناسبة في تعزيز الأمن الفكري لدى الطلبة.
 - 3- أن إدارات المدارس بمراحلها المختلفة تقوم بدور كبير لتفعيل دور المعلم في تعزيز الأمن الفكري لدى الطلبة.

4- أن إدارات المدارس في مراحلها المختلفة تستخدم أساليب تربوية متنوعة لتعزيز الأمن الفكري في البيئة المدرسية بمستوى عال إجمالاً ما عدا التنسيق مع الجهات ذات الاختصاص لعلاج الحالات المستعصية.

6- دراسة نور (2008) بعنوان: "مفهوم الأمن الفكري في الإسلام وتطبيقاته التربوية".

هدفت الدراسة إلى التعريف بمفهوم الأمن الفكري وأهميته ومزاياه، وإبراز دور التربية الإسلامية في تعزيز الأمن الفكري، وبيان دور المؤسسات التربوية في تعزيز الأمن الفكري، واستخدمت الباحثة المنهج الوصفي وتحليل النصوص واستنباط التطبيقات التي تسهم في تعزيز الأمن الفكري، وقد أظهرت نتائج الدراسة ما يلي:

- 1- أن الأمن بجميع أنواعه من المطالب الأساسية التي جاء الإسلام لتحقيقها في المجتمع وبالذات الأمن الفكري.
- 2- وأن للمؤسسات التربوية دوراً مهماً ينبغي أن تؤديه لكي تعزز الأمن الفكري لدى الطلبة بمختلف مستوياتهم.
- 3- وأن فقدان الطلبة للأمن الفكري يولد التبعية، والتناحر الذي يقسم المجتمع إلى تيارات متصارعة تقودنا في النهاية إلى أعمال عنف وتمزيق للكيانات السياسية والبنية الاجتماعية.

ثانياً: الدراسات الأجنبية:

(1) دراسة شيلي Shelly (2006) بعنوان:

Perceptions of characteristics of good citizenship by secondary public school teachers in the state of Washington.

هدفت الدراسة إلى التعريف بالصفات العامة للمواطنة الجيدة ودور الأسرة والمعلمين في تحقيق تلك الصفات، واستخدم البحث المنهج الوصفي "أسلوب المسح الاجتماعي، كما استخدم لجمع بيانات الدراسة أداتين الأولى: الاستبانة والثانية: المقابلة من خلال تطبيقها على (22) مدرساً ممن أجابوا على الاستبانة وبلغ مجتمع الدراسة (3270) مدرس ومدرسة، وتم تطبيقها على عينة من (207) مدرساً، (184) مدرسة يمثلون (22) مدرسة و(14) منطقة في واشنطن. وقد أظهرت نتائج الدراسة ما يلي:

1- تتمثل الصفات الجيدة للمواطنة في الاطلاع والعلم بالأحداث الحالية، والقدرة على المشاركة الفاعلة وتحمل المسؤوليات واتخاذ القرارات الحكيمة التي تخدم المجتمع.

2- أهمية وجود نموذج للمواطنة الجيدة والقدرة الحسنة من قبل المدرسين.

3- مع أهمية مما تحتويه المقررات الدراسية إلا أن دور المعلم في تعزيز المواطنة كقدوة أكثر أهمية.

(2) دراسة Call (2004) بعنوان:

"Intellectual Safety and Epistemological position in the college classroom":

هدفت الدراسة إلى معرفة إدراك طلاب الجامعات لمعنى الأمن الفكري وعلاقته بمكانتهم المعرفية، واستخدمت الدراسة المنهج الوصفي، واستخدمت الاستبانة للإجابة عن أسئلة الدراسة.

وقد أظهرت نتائج الدراسة ما يلي:

- 1- عبر الطلبة عن شعورهم الأمان في التعبير عن آرائهم الفكرية وتحديد معتقداتهم وتفاعلهم في الفصول بكل ثقة.
- 2- لا بد من خلق مناخ أخلاقي آمن من الناحية الفكرية لتهيئة الظروف والفرص للتفكير المعرفي والقدرة على التعبير.

(3) دراسة لوخ-دوك، شاريلين (2000) Sharilynn, Duck-loch:

هدفت الدراسة التعرف إلى تحديد آراء الإداريين والمرشدين والمدرسين والطلبة حول مستويات الأمن المدرسي والعنف في بعض المدارس الثانوية المنتقاة بولاية لويزيانا الشمالية، وذلك التعرف على أنواع العنف التي كان لها أضخم الأثر على الأمن بتلك المدارس، وأيضاً أهم الاستراتيجيات المتاحة للتعامل مع العنف في المدارس، وتكونت عينة الدراسة من (501) فرداً في (11) مدرسة ثانوية منتقاة، واستخدم الباحثان المنهج الوصفي التحليلي.

وقد أظهرت نتائج الدراسة ما يلي:

- 1- يرى المديرون بأن مدارسهم أقل أمناً بينما يرى المرشدون والمعلمون العكس.
- 2- وصف الطلبة بأن مدارسهم أقل أمناً بعكس ما رآه المعلمون والمرشدون.

التعقيب على الدراسات السابقة:

بعد استعراض الدراسات السابقة يظهر لنا أن غالبيتها تناولت موضوع

الأمن الفكري من زوايا مختلفة وبالتالي تم تحديد أبرز النتائج التي توصلت إليها:

- 1- أهمية الأمن الفكري لحياة أفراد المجتمع وبالذات فئة الشباب.
- 2- يجب على المؤسسات التربوية أن تؤدي دورها لكي تعزز الأمن الفكري لدى الطلبة على مختلف مستوياتهم.
- 3- إتاحة الفرصة للطلبة بعقد الانتخابات الطلابية والندوات والمهرجانات الوطنية والإسلامية، وإقامة المعارض، وتعزيز الهوية والانتماء لها.
- 4- أن الأمن الفكري ليس عملية بناء وقوانين يمكن أن يتم سنها في المجتمع ولكنه عملية ثقافية ترتبط بالثقافة السائدة ونوعية البدائل المتاحة فيها.
- 5- هناك مقومات للجامعة لبناء أمن فكري آمن فيها أهمها: علاقتها بثقافة المجتمع، وبناء علاقات طيبة بين أعضاء التدريس والطلبة، واحترام الطلبة لأنظمة الجامعة.
- 6- الانطلاق من مبادئ التربية الإسلامية وقيمها في تحصين الناشئة وتعزيز الأمن الفكري لديهم، ووقايتهم من الانحرافات الفكرية والأفكار الدخيلة.

7- التنسيق مع المؤسسات التربوية والعلمية كالنوادي الثقافية والجامعات لتحقيق تكامل الجهود وتنظيمها والتعاون لتحقيق الأمن الفكري لدى الطلبة.

مفهوم الأمن الفكري وسبل تحقيقه:

يمثل الأمن والطمأنينة غاية من الغايات النبيلة التي تحرص على تحقيقها أنظمة المجتمعات على اختلاف حضاراتها، كما يحرص عليها الدين الإسلامي من خلال تحقيق الأمن للإنسان وحمايته للشخصية الإنسانية بشمولية وتكامل، إذ أن من أبرز مقاصد التشريع الإسلامي حفظ الضروريات الخمس ومنها العقل، الذي هو مناط التكليف وأساسه، ومكان تشكيل الفكر وصلاحه؛ والأمن الفكري بمفهومه الواسع يمكن أن يقتضي تأمين جسم الإنسان باعتباره عضواً مادياً يضم العقل، ثم تأمين المدخلات الصالحة لهذا العقل، بما يتناغم وينسجم مع تعاليم الدين الإسلامي الحنيف، ومع الفطرة السليمة التي فطرنا عليها الله سبحانه وتعالى، وبالتالي تتعكس على أعرافنا وأخلاقنا، وأمن أوطاننا واستقرارها ونمائها وازدهارها، لذلك فالأمن واجب شرعي، وضرورة بشرية، قال تعالى: ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَأَمَّنَّهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ (سورة قريش، آية 4)، وقال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ...﴾ (سورة النحل، آية 112) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "المؤمن من أمنه الناس والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر السوء والذي نفسي بيده لا يدخل الجنة عبد لا يأمن جاره بوائقه" (1).

(1) أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد.

أ (فالأمن في اللغة يعني: أمن: أمانة وأمانة: اطمأن ولم يخف/ سلم: "أمن من الشر" (1).

ويكاد يتطابق هذا المعنى في كافة المعاجم اللغوية حيث تعتمد على مدى تحقيق الطمأنينة وعدم الخوف باعتباره عكس أو نقيض الأمن، وهو في تقديرنا: جانب يتعلق بالشعور والإحساس الذاتي، سواء بالنسبة للمجتمع أو لأفراده.

ب) تعريف الأمن اصطلاحاً: يعرف بأنه "حالة غياب كل خطر وكل تهديد للحياة وهذا التهديد أو هذا الخطر هو حالة يستشعرها الحيوان بالغريزة، أما الإنسان فيدركها بملكة العقل والخبرة الممارسة" (2).

معنى الفكر لغة: فكر في الأمر: أعمل العقل فيه وتأمله، أو ما يخطر بقلب الإنسان من معاني ما يشعر به أو يريده، ويقال عظمة الإنسان في فكرة (3).

مفهوم الفكر اصطلاحاً: هو صيغة العقل الإنساني، ومسرح نشاطه الذهني، وعطاؤه الفكري، فيما يعرض عريه من قضايا الوجود والحياة (4).

وذهب رأي آخر إلى أن الفكر هو: نشاط من أنشطة العقل بل يمثل أهم

العمليات العقلية المعرفية ويأتي في مرتبة الأنشطة العقلية العليا (1).

(1) المنجد في اللغة العربية المعاصرة، بيروت، دار المشرق، (2002) ص43.

(2) محمد الحبيب حريز: واقع الأمن الفكري: بحث مقدم في الاجتماع التنسيقي العاشر الذي نظّمته جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية بالتنسيق مع جامعة طيبة لمديري مراكز البحوث والعدالة الجنائية ومكافحة الجريمة حول (الأمن المركزي) المدينة المنورة (1426) ص800.

(3) المنجد في اللغة العربية المعاصرة، (2002) مرجع سابق، ص104.

(4) سعود محمد خريف: دور وكلاء الإدارة المدرسية في تحقيق الأمن الفكري لدى الطلاب، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، (2006)، ص110.

ومما سبق نشير إلى أن مفهوم الفكر هو: المحصلة النهائية للمعطيات التي يدركها العقل الإنساني بالحواس، أو الاستنباط، باعتبار العقل هو مركز تقويم وبلورة كافة المعطيات في إطار ما ترسخ لديه من القيم والعلوم والمعارف والخبرات المكتسبة.

مفهوم الأمن الفكري: تختلف النظرة إلى الفكر بحسب أيديولوجية المجتمع، وتاريخه فقد تعددت آراء المختصين والباحثين المهتمين بقضايا الفكر الإنساني حول مفهوم الأمن الفكري فهناك من عرفه بأنه "حماية فكر المجتمع وعقائده من أن ينالها عدوان أو ينزل بها أذى لأن ذلك من شأنه أن يقضي على ما لدى الناس من شعور بالهدوء والطمأنينة والاستقرار ويهدد حياة المجتمع"⁽²⁾، كما عُرف بأنه "خلو أفكار وعقول أفراد المجتمع من كل فكر شائب ومعتقد خاطئ مما قد يشكل خطراً على نظام الدولة وأمنها، وتحقيق الأمن والاستقرار في الحياة الاجتماعية، ويكون من خلال برامج وخطط الدولة التي تقوم على الارتقاء بالوعي العام لأبناء المجتمع من جميع النواحي السياسية والاقتصادية والتعليمية وغيرها، والتي تعمل

(¹) حيد بن عبد الرحمن الحيدر: الأمن الفكري في مواجهة المؤثرات الفكرية (2002) مرجع سابق، ص22.

(²) أحمد علي المجذوب: الأمن الفكري والعقائدي: مفاهيمه وخصائصه وكيفية تحقيقه، دراسة في كتاب نحو استراتيجية عربية، التدريب في الميادين الأمنية، ندوة علمية بجامعة نايف العربية للعلوم الأمنية. (1408)، ص54.

على تحقيقها أجهزة الدولة غير مؤسساتها وأجهزتها ذات الاهتمام والتي تتربط في خدمتها وتتواصل (1).

ومما سبق:

يمكن أن نعرف الأمن الفكري بأنه هو شعور الدولة والمواطنين باستقرار القيم والمعارف والمصالح محل الحماية بالمجتمع، ووحدة السلوك الفردي والجماعي في تطبيقها، والتصدي لكل من يعيث بها. ولعل هذا التعريف ما يجتمع بين خصائص وصفات الأمن الفكري من حيث:

1- الأمن حالة شعورية نفسية.

2- الفكر محصلة ونتاج لما يدركه العقل الإنساني من قيم، ومعارف، وعلم بالمصالح محل الحماية في المجتمع.

3- بلورة رأي عام رافض لكل ما يمس القيم والمعارف والمصالح محل الحماية.

4- وحدة السلوك العام لدى المجتمع أفراداً وجماعات في تطبيقهم للقيم والمعارف، والالتزام بصيانة المصالح محل الحماية بالمجتمع، بما يؤكد الولاء والانتماء للوطن.

5- التصدي الفردي والجماعي لأي محاولة تمس مجموعة المصالح المعتبرة في المجتمع سواء من خلال الحوار، والمناصحة والمناقشة والمقارعة بالحجة

(1) حيدر بن عبد العزيز الحيدر: الأمن الفكري في مواجهة المؤثرات الفكرية، (2002)، مرجع سابق، ص23.

والبيان، أم من خلال تطبيق الحدود على من أراد الإفساد أو الإخلال بأمن المجتمع.

أهمية الأمن الفكري:

الأمن الفكري القائم على أسس ومبادئ إسلامية ذو أهمية كبيرة لأنه فكر الرسالة السماوية لهذه المجتمعات، ومن نتائجه وحدة الاعتقاد والفكر والسلوك، وهو التزام واعتدال ووسطية، كما أنه حماية وحصانة للعقل الإنساني وفكره ورأيه في إطار من الثوابت الأساسية والحقوق الشرعية المنبثقة من الإسلام عقيدة وشريعة.

وتأتي أهمية الأمن الفكري من خلال حجم المعاناة التي تنتج عن انعدامه في المجتمع، وفي مقدمتها تهديد الأمن الوطني بكل مقوماته، وبالتالي تهديد كيان واستقرار الدولة ووجودها، إذ أن بعض الباحثين والمهتمين بموضوع الأمن الفكري يشبهون الأمن بمكانه القلب بالنسبة إلى بقية أعضاء الجسد، حيث أن في كيان الأمن جانباً إذا صلح صلح الأمن كله، وإذا فسد فسد الأمن كله، ألا وهو الأمن الفكري⁽¹⁾.

ومن خلال الأمن الفكري يمكن تحصين الشباب في مواجهة دعاة الغلو والتطرف والعنف، حيث يرى بعض الباحثين أن لدى نسبة غير قليلة من الشباب فراغاً ذهنياً خطيراً، وهذا الفراغ ناجم عن وجود فجوة عميقة بين العلماء والمتقنين من جهة وبين بعض الشباب من جهة أخرى، فكثير من الشباب الذي اتسمت

(1) رضوان الطلاع: نحو أمن فكري إسلامي، ط2، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة (2000)،

تصرفاتهم بالغلو والتطرف لم يتلقوا العلم عن أهله، وإنما تلقوه عن مصادر غير مصادره السليمة والشرعية (1).

ويمكن توضيح أهمية الأمن الفكري وفق النقاط التالية:

- 1- إن الأمن الفكري يحقق للأمة أهم خصائصها، وذلك بتحقيق التلاحم والوحدة في الفكر والمنهج والغاية.
- 2- إن تحقيق الأمن الفكري هو المدخل الحقيقي للإبداع والنمو لحضارة المجتمع وثقافته.
- 3- إن في تحقيق الأمن الفكري ضمان لاستقلال الأمة وتميزها.
- 4- إن الأمن الفكري يبحث في كيفية التصدي للجريمة عامة، وجرائم العنف خاصة.
- 5- إن الأمن الفكري حماية لأهم المكتسبات وأعظم الضرورات، ألا وهو دين الأمة وعقيدتها (2).

إن الإخلال بالأمن الفكري ليس من عمل عامة البشر وتأثيرهم على الآخرين، بل التأثير الكبير ناتج عن ما يقدمه النخبة من المجتمع من أفكار ومعتقدات قد تؤثر على سلوك الآخرين، كأصحاب الثقافة العليا وأصحاب الدرجات العلمية. ومن هنا يأتي الدور المهم لأعضاء هيئة التدريس في الجامعات والتعليم

(1) سليمان بن عبد الرحمن الحقييل: متطلبات المحافظة على نعمة الأمن والاستقرار، ط4، مطابع الحميضي، الرياض، (2004)، ص76.

(2) عبد الله بن عبد الرحمن التركي: الأمن الفكري وغيابه (1996)، مرجع سابق، ص112.

العالي في تعزيز الأمن الفكري لدى الطلاب وتحسينهم من الأفكار والمعتقدات المنحرفة.

أسباب تحقيق الأمن الفكري:

- 1- الاهتمام بهدي الله، وذلك بالاعتصام بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فإن ذلك هو الأمن الحقيقي الذي يقوم إلى أمن الفكر.
- 2- تعظيم النصوص الشرعية والوقوف عندها وهذا هو منهج السلف الصالح ومن قبلهم من الصحابة رضوان الله عليهم حيث أنهم لا يتجاوزون عشر آيات قرآنية حتى تعملوا ما فيها ويطبقونه.
- 3- صحة فهم النصوص الشرعية وهذا السبب ركيزة أساسية لصحة الاستدلال، وكثير من الانحرافات الفكرية إنما جاءت بسبب سوء الفهم.
- 4- طلب العلم النافع حيث إن من أهم روافد الأمن الفكري ووسائل تحقيقه هو التزود بالعلوم الإيمانية التي ترشد إلى طريق الهداية التي جاء بها القرآن الكريم وتدعو إلى الوعي الفكري الناضج وسلوك الطريق القويم.
- 5- العمل الصالح المقترن بالإيمان سبب للطمأنينة والأمان، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (سورة الأنعام، آية 83).

سبل تحقيق الأمن الفكري:

إن تحقيق الأمن الفكري في المجتمع مسؤولية مشتركة تقع على جميع المؤسسات في المجتمع انطلاقاً من الأسرة إلى مؤسسات التعليم العالي، مزوراً بالمدرسة ومؤسسات التنمية الاجتماعية والمساجد والمجالس العلمية، إذ بتكامل الجهود بين تلك المؤسسات نضع حجر الأساس في تحقيق الأمن الفكري لدى شباب المجتمع وشرائحه المختلفة، إن أدوار الأسرة في تحقيق الأمن الفكري وحماية أفرادها من الانحراف تتمثل في عدد من الأمور منها: تعليم الأبناء أدوارهم الاجتماعية، وتوعيتهم بالشروط والمواصفات السليمة لإقامة العلاقات الاجتماعية، وتعويد أفراد الأسرة على الاقتصاد، وعدم الإسراف، وحب العمل، والكسب الشريف، وتحمل المسؤوليات ومعرفة حقوقهم وواجباتهم وتدريبهم عليها⁽¹⁾.

وقد يكون من أهم أدوار الأسرة أيضاً تحصين الأبناء من خلال تثقيفهم بما يدور من حولهم وبيان الخطأ من الصواب لهم، وتحذيرهم من خطر الفكر المتطرف دون الارتكاز على أسس دينية سليمة ومرجعية حكيمة.

أما دور المدرسة في تحقيق الأمن الفكري ومواجهة الانحراف فقد يتمثل في الآتي: احترام حق الطالب وإدراك حاجته للتعليم، إكساب الطالب القيم والمفاهيم الدينية الصحيحة وزرع قيم حب العمل في نفوس الطلاب، ارتقاء المناهج بالفكر وتحقيق التسامح والإخاء والسلام، ونبذ الأفكار المشوهة المضللة لعقول الطلاب،

(1) محمد شحات الخطيب: الانحراف الفكري وعلاقته بالأمن الوطني الدولي، مكتبة فهد الوطنية، الرياض، (2005)، ص55.

إعطاء الطلبة فرصة ممارسة الأنشطة غير المنهجية، وفرص التعبير عن ذواتهم وعن آرائهم، واتجاهاتهم نحو التعليم ومتطلباته⁽¹⁾.

ولا ننسى هنا دور المساجد في توجيه الأفراد على مراحلهم العمرية نحو الفكر السليم والصحيح، وتوضيح ما يتناقض مع قيم ومعتقدات ومبادئ ديننا الحنيف، فالمساجد لها أهمية كبيرة في نفوس المسلمين ودور فعال في مواجهة الغزو الفكري، والانحرافات الفكرية المتنوعة، كتأصيل القيم الاجتماعية النابعة من الشريعة الإسلامية، وتقويم الجانب الديني في النفوس من خلال الوعظ والإرشاد والتوجيه، وإشعار المصلين بشعور التضامن والإخوة عند اجتماعهم للصلاة، والارتقاء بتربية الخلق والضمير، وتقديم الصورة الحقيقية المسندة بدلائل شرعية لمختلف الإشاعات والأفكار المغرضة التخريبية للمجتمع⁽²⁾.

دور الأستاذ الجامعي في تعزيز الأمن الفكري:

إن أعضاء هيئة التدريس في الجامعة يمثلون العنصر البشري المهم في تحقيق أهداف وغايات الجامعة، حيث يتوقف عليهم التدريس وتعليم الطلاب وتأهيلهم، وتقصي المشكلات والقضايا التي تواجه الجامعة بمختلف مدخلاتها والمجتمع باختلاف متغيراته ومتطلباته، وإجراء البحوث العلمية عليها للخروج بحلول

(1) بركة بن رامل الحوشان: أهمية المؤسسة التعليمية في تنمية الوعي الأمني، ورقة عمل مقدمة لندوة المجتمع والأمن المنعقدة بكلية الملك فهد الأمنية، الرياض، (1425)، ص86.

(2) عبد الله بن عبد العزيز اليوسف: دور المدرسة في مقاومة الإرهاب والعنف والتطرف، بحث قدم في المؤتمر العالمي عن موقف الإسلام من الإرهاب الذي نظّمته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، (2004)، ص106.

علمية سليمة، وبهذا فإن لأعضاء هيئة التدريس دور كبير في غرس القيم الأخلاقية والمبادئ الدينية في نفوس الطلاب من خلال بعض الأهداف للمقررات التعليمية ومحتوياتها والأساليب التي يتبعها الأستاذ الجامعي، ومن خلال ذلك يمكن أن يتطرق إلى أية مدخلات وظواهر جديدة على المجتمع بالحوار والنقاش بها مع الطلاب، وتوضيح جوانبها السلبية أو الإيجابية على الطلاب والمجتمع، من هنا يمكن أن يكون لعضو هيئة التدريس دوراً واضحاً في التصدي لظاهرة الانحرافات الفكرية عند الطلاب، ومحاولة اكتشافها ووضع السبل للحد منها وتوجيه الطلاب نحو معايير تخدم أمنه وأمن مجتمعه بمختلف جوانب الأمن، ومن العوامل التي تساعد أعضاء هيئة التدريس في تحقيق الأمن الفكري لدى الطلاب تلك الصفات التي يمتلكونها، كالصفات الشخصية المتمثلة في الصبر والعدل والتعاون والصدق في تعامله مع طلابه، وامتلاكه صفات علمية أكاديمية تتمثل بالقدرة العلمية والمعرفة الأكاديمية المتخصصة، والذكاء في تفحص الأحداث وربطها بمنطقية تساعد الطلاب على فهم مختلف الظواهر⁽¹⁾ لهذا يمكن لأي عضو هيئة التدريس أن يوجه الطلاب نحو الفكر المتناغم والمتسق مع الدين والقيم الخلقية والاجتماعية للمجتمع، من منطلق إتباعه لأساليب تربوية تتمثل بأسلوب الموعدة الحسنة، والقدرة والممارسة الإيجابية، وأسلوب الحوار والإقناع الفكري.

وهناك العديد من الأدوار التي تقع مسؤوليتها على أعضاء هيئة التدريس الجامعي في تعزيز الأمن الفكري لدى الطلاب، نوجز منها الآتي:

(1) بندر علي الشهيراني: تصور مقترح لتفعيل دور المدرسة الثانوية في تحقيق الأمن الفكري، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، (2009)، ص 67.

1- السماح للطلاب بتجريب ما يقترحونه من مفاهيم وآراء للتحقق من صلاحيتها العامة، وتشجيعهم على تطوير أساليبهم الخاصة بالبحث والتفكير والابتكار المبدع.

2- تبني أستاذ الجامعة الوسطية والاعتدال فكرياً وممارسة، ومنح الطلاب حرية ابتكار الحلول واستنتاجها في ضوء مبادئ الدين ومنطلقات المجتمع، وتوجيههم نحو الاعتزاز بالوطن وثقافته وحضارته والمحافظة على مصالحه (1).

دور المؤسسات التعليمية التربوية في تعزيز الأمن الفكري:

تعد المؤسسات التربوية في المجتمع على كافة أشكالها المنبع الرئيسي الذي يكتسب من خلاله الإنسان العلم والمعرفة، وتتمو مهارته وتتطور سلوكياته وتصرفاته، فيكون لديه الاستعداد والقبول لتلقي ما يمكن أن يؤثر على سلوكه وتصرفاته إما سلباً أو إيجاباً حسب توجيهات المؤسسة.

وعليه فإن المؤسسات التربوية التعليمية من أهم المؤسسات الاجتماعية التي لجأت إليها المجتمعات الحديثة، لتلبية حاجات تربوية وتعليمية عجزت عن تأديتها الأسرة بعد تعقد الحياة، فأصبحت المدرسة مؤسسة اجتماعية متخصصة يلقن فيها الطلبة العلم والمعرفة، ونقل الثقافة من جيل إلى جيل، كما تسعى إلى تحقيق نمو الناشئة والشباب جسماً وعقلياً وانفعالياً واجتماعياً، بما يحقق إعداد الفرد

(1) سعيد إسماعيل علي: التعليم الجامعي في الوطن العربي، دار الفكر العربي، القاهرة، (2000)،

وتنشئته التنشئة الاجتماعية ليكون مواطناً صالحاً معداً للحياة⁽¹⁾ ثم ينتقل الطلبة إلى المرحلة الجامعية التي تمثل قمة الوعي والفهم والإدراك بالنسبة لهم، حيث يتم تزويدهم بجرات وقائية يراعى فيها التأثير على حسّ الطالب وانتمائه الاجتماعي بما يدفعه نحو الميل التلقائي إلى التمسك والالتزام بالنظم والتعليمات - عموماً - في كافة سلوكياته، كما ينبغي على الجامعات الاهتمام بتدعيم انتماء هؤلاء الشباب لمجتمعهم، وارتباطهم بأهدافه وقضاياه الأساسية، من خلال التحريك الفعال لطاقت الشباب، ومن أهمها الطاقات المعنوية التي تتمثل في القيم الدينية والثقافية التي تنعكس على سلوك الأفراد والجماعات والظروف المحيطة بهم⁽²⁾.

وبالنظر إلى المرحلة العمرية للطلبة الملتحقين بالدراسة في الجامعات ومؤسسات التعليم العالي من الكليات والمعاهد التقنية، ترى أنها تكون في بداية بلوغ الطالب أو الطالبة لسن الرشد، أي عندما يبدأ تكوينه النفسي والسيولوجي يجعله يشعر بأنه إنسان مكتمل الأهلية والرشد للتصرف بصورة مستقلة عما يمليه عليه الآخرون.

وهذا ما يجعله يتصرف بالاعتماد على نفسه في مختلف المواقف الحياتية التي تواجهه ويحاول أن يحل معضلاتها من خلال وضع الحلول التي يراها مناسبة لهذا الغرض. وبالتالي فإن هذا السلوك أو التصرف الذي يقوم به الطالب في

(1) صالح بن محمد المالك: دور المؤسسات التعليمية في بناء الأمن المركزي، كلية الملك فهد الأمنية

(2005) ص 76 الموقع: <http://www.minshawi.com/vb/threads>

(2) بركة بن رامل الحوشان: أهمية المؤسسة التعليمية في تنمية الوعي الأمني، 1425، مرجع سابق،

الموقف الذي هو فيه ينبغي أن يكون تصرفاً صحيحاً وناضجاً مبنياً على دراسة وتفهم عميق لكافة معطيات وأوليات الموقف حتى ينسجم السلوك أو التصرف مع الموقف المعني ويكون صحيحاً ويؤدي إلى نتائج إيجابية تعود بالفائدة على الطالب وبالتالي على المجتمع (1).

ولذلك من الأهمية التي يتعلم الطالب كيف يحقق أمن المجتمع بصفة عامة، وأمنه بصفة خاصة من خلال تهيئته نفسياً واجتماعياً للتكيف مع القيم والآمال وتطلعات المجتمع ينشد السلوكيات المثالية الجماعية التي تحقق الأمن والأمان (2).

وفي ظل الأوضاع المعيشية الصعبة التي يعيشها المجتمع، فإن حاجته الضرورية للأمن في شتى نواحي الحياة، وحتى تتحقق هذه الحاجة، لابد من تحصين عقول الشباب بالأفكار البناءة في مواجهة التلوث الثقافي والاتجاهات الفكرية المعاصرة التي أظهرت عداوتها للعقيدة الإسلامية، والثقافة الإسلامية، بل للعادات والتقاليد والقيم الاجتماعي التي حافظ عليها المجتمع جيلاً بعد جيل. وبما أن المجتمع نصفه يمثلته شبابه، فإن غالبيتهم من طلبة الجامعات والمعاهد والكليات، وهذه المؤسسات التعليمية تحمل الدور الأكبر في توعيتهم

(1) موفق عبد العزيز الحساوي: دور الجامعة في بناء شخصية الطالب (2010) ص212، موقع

منتديات نور الإسلام www.oor.com

(2) مصطفى سيف الدين بيلي: أسس وقواعد، إعداد خطة إعلامية عربية للتوعية المرورية، مجلة الفكر الشرطي، الشارقة، (1418)، ص189.

بمسؤولياتهم وواجباتهم الكبيرة في الحفاظ على ممتلكات المجتمع ومقدراته، كما تمدهم بالفكر الآمن الذي يوجههم نحو إعمار الوطن والتضحية من أجله.

مهددات ومعوقات الأمن الفكري

إن وراء ظهور الانحرافات الفكرية أسباب كثيرة متعددة ومتنوعة ومتراصة في أغلب الأحيان، تهدد الأمن بشتى مجالاته، ويظل خطرها مستمراً إذا لم يتم معالجتها وتذليل حلول انعدامها.

ومن خلال مراجعة الأدبيات والدراسات نجد أن للأمن الفكري مهددات ومعوقات قد تظهر كآتي:

1 . المهددات والمعوقات الدينية:

إن من مهددات ومعوقات الأمن الفكري الدينية تتمثل في القصور في فهم نصوص الإسلام وتعاليمه وتفسيرها بما لا تحتمل، والتحمس والاندفاع، وتغلب العاطفة دون الرجوع إلى أسس الدين الصحيحة والعقل السليم بالإضافة لتكون الفجوة بين علماء الدين والشباب، فهناك من الشباب من لا يثق برأي العلماء المعروفين أو فتواهم، ويستأنس بأراء أناس آخرين يعتقد أنهم هم العلماء الحقيقيون وهم محل الثقة، وإن كانوا في الحقيقة خلاف ذلك، ومن ثم يستطيع هؤلاء التأثير في أفكار الشباب وتوجيهها إلى الانحراف والتطرف⁽¹⁾.

(1) راشد بن سعد الباز: أزمة الشباب الخليجي واستراتيجيات المواجهة، جامعة نايف العربية للرياض، (2004)، ص125.

ويشير إلى أن ضعف دور المسجد في إصلاح الشباب، حيث أصبح مكاناً للصلاة المفروضة فقط، بدلاً من أن يكون مركز لتوجيه وإرشاد وتربية الشباب التربية الإسلامية الصحيحة، وذلك عن طريق المحاضرات والندوات، واللقاءات وحلقات العلم (1).

2. المهددات والمعوقات الاجتماعية:

للمؤسسات الاجتماعية أثراً في نشوء الانحراف الفكري ما لم تقم بدورها الوقائي، فهي تقف عائقاً لتحقيق الأمن الفكري، وإن من أسباب نشوء الأفكار الضالة ظهور التناقض في حياة الناس وما يجدونه من مفارقات بين ما يسمعون وما يشاهدون، فهناك تناقض كبير أحياناً بين ما يقرأه المرء وما يراه، وما يتعلمه وما يعيشه، وما يقال وما يعمل، وما يدرس له وما يراه، مما يحدث اختلاط في التصورات وارتباكاً في الأفكار (2).

ويعد الاستغراق في التعليم المستند بصفة كلية أو شبه كلية إلى التنظير هو مدعاة للانحراف الفكري، حيث تشير ملحوظات التربويين حول سلوكيات الطلاب - جنباً إلى جنب - مع ملحوظات الآباء والأمهات إلى حدوث اختلاطات فكرية عديدة في الجيل الجديد، يمكن أن تعزى إلى كثرة التنظير الذي يتعرض له

(1) سعيد فالح المغامسي: الوسطية في الإسلام وأثرها في تحقيق الأمن، المجلة العربية للدراسات الأمنية، الرياض، (2004)، ص104.

(2) صالح بن غانم السدلان: أساليب الإرهاب والعنف والتطرف، المؤتمر العالمي عن موقف الإسلام من الإرهاب، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (2005)، ص99.

الطلاب في مدارس التعليم العام الذي لا يصاحبه أو يقتزن به بما يحققه علمياً في عالم الواقع⁽¹⁾.

إن من أسباب الانحرافات الاجتماعية:

أ) قصور المؤسسات الاجتماعية ذات العلاقة بالشباب عن القيام بدورها مما جعل كثيراً من الشباب يفتقدون التوجيه والمتابعة، مما أدى إلى لجوئهم إلى أفراد أو جماعات لعرض مشكلاتهم وآرائهم عليهم، وبالتالي إلى غرس أفكار منحرفة في عقول هؤلاء الشباب.

ب) ضعف الضبط الأسري ووجود خلل في التواصل بين الوالدين والأبناء، بل أصبحت العلاقات داخل بعض الأسر تنصف بالطابع الرسمي، وافتقدت العمق في العلاقات الشخصية بين أفرادها فقد لا يعرف الوالدان ما يدور في عقول أبنائهم وتوجهاتهم.

ج) نقصير المؤسسات التعليمية في أداء مسؤوليتها التربوية، فالمناهج غير الجيدة في مضمونها وإخراجها، وبعض المعلمين الذين يمتلكون قدوة سيئة، والأنشطة غير الهادفة، جميعها تؤثر في الطلاب في مختلف مراحلهم التعليمية، مما يجعلها سبباً من أسباب انحرافهم⁽²⁾.

(1) محمد شحات الخطيب: الانحراف الفكري وعلاقته بالأمن الوطني الدولي، (2005)، مرجع سابق، ص129.

(2) راشد بن سعد الباز: أزمة الشباب الخليجي واستراتيجية المواجهة، (2004)، مرجع سابق، ص138.

3 - المهددات والمعوقات الاقتصادية:

إن الظروف الاقتصادية غير المستقرة والتي لا تحقق الحد الأدنى من سد احتياجات الإنسان الضرورية تدفع إلى التعصب، وتجعل النفوس ميالة إلى رفض الآخرين، ومن أجل هذا يستغل أصحاب الأفكار والمذاهب المنحرفة، هذا الجانب لإثارة النفوس على الأفكار والمذاهب السائدة.

فالظروف الاقتصادية الصعبة التي يعانيها بعض المجتمعات، وانتشار البطالة بين الشباب، سببان في جعل بعض الشباب يفتقد الأمل ويستسلم لأي دعوة منحرفة، أو يصبح فريسة سهلة للاستغلال⁽¹⁾.

4 - المهددات والمعوقات الجغرافية:

إن التنوع السكاني والتكدس في مساحات إقليمية محدودة في الأحياء السكنية عشوائية التخطيط سواء كان ذلك في أطراف المدينة أو في وسطها وعدم توفر أدنى مستويات المعيشة المناسبة فيها، مما يولد لدى ساكنيها وخاصة الشباب القهر من الوضع الاجتماعي الذي يعيشون فيه مما يدفعهم إلى الانحراف وارتكاب الأعمال الإجرامية وقد ثبت أن ظواهر العنف والرعب التي اجتاحت كثيراً من دول العالم خاصة في فترات أو مراحل التحول الاجتماعي كانت نتيجة التفاعل بين الأنماط والعادات المتوارثة الراسخة وبين الرغبة في التغيير والتحويل، خاصة في

(1) محمد عبد الله العميري: موقف الإسلام من الإرهاب، مركز الدراسات والبحوث، جامعة نايف العربية، الرياض، (2005)، ص123.

غياب القيم الأخلاقية أو افتقادها أو إفسادها، ومن غياب المثل العليا والقُدوة الحسنة وفي ضعف التوجيه والرقابة والتربية. (1).

كما أن اتساع حدود الدولة بالنسبة لقواتها المسلحة وأجهزة الأمن فيها يؤدي عادة إلى صعوبة تأمينها وفرض الرقابة عليها مما يشجع التنظيمات لدخولها، والانتشار فيها خصوصاً إذا كانت تضاريسها تصلح كمخابئ للمنحرفين (2).

5 - المهددات والمعوقات السياسية:

تأتي الدوافع السياسية نتيجة أسباب معينة سواء كانت داخلية أو خارجية منها ما يلي: السياسات غير العادلة التي تتخذها الدولة ضد مواطنيها والكبت السياسي الذي تمارسه عليهم، وتهميش دور المواطن وتغييبه عن المشاركة السياسية أو انتهاك حقوقه من مما يشعر معه بأنه مهمل ولا دور له.

1- الصراعات المحلية الداخلية سواء كانت بين طبقات الشعوب المختلفة أو بينهم وبين السلطة.

(1) محمد عبد الله العميري، مرجع سابق، (2005)، ص 129.

(2) عادل عبد الله العبد الجبار: الإرهاب في ميزان الشريعة الإسلامية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، (2007)، ص 32.

2- تكوين جماعات وحركات سياسية غير مشروعة ومدّها بالإمكانات المادية والفنية من جانب دول أخرى لخلق نوع من زعزعة الأمن والاستقرار وخلق الفتن والقلق داخل الدولة (1).

6 - المهددات والمعوقات الثقافية:

إن المجتمع الإسلامي يعيش في عصر يتصف بوفرة ووفرة القنوات الفضائية المنحرفة فكرياً وأخلاقياً التي تستدرج الشباب نحو أفكار وتوجيهات خاطئة، بل أنها قد تأتي من الغزو الفكري والثقافي والأخلاقي، حيث يستخدم أعداء الإسلام كل الوسائل وجميع الطرائق التي تهدف إلى اضطراب فكر الشباب، وإنحلال أخلاقهم والقضاء على هويتهم الإسلامية، إن الفراغ الفكري الذي يعانيه الشباب، وعدم وجود برامج خاصة بهم تشغل وقت فراغهم بما يفيدهم يعد معوقاً رئيساً لتحقيق الأمن، إن تقصير وسائل الإعلام وهي سلاح ذو حدين إذا استخدمت للإصلاح والخير، وما هو مفيد فلها التأثير الكبير في تربية الشباب التريبة الصحيحة، وأما إذا استخدمت للإفساد والشر والانحلال، ونقل الأفكار الهدامة والأخلاق الفاسدة، فإنها تكون من أهم الأسباب المؤدية لانحراف الشباب (2).

الخاتمة

وفي خاتمة البحث توصلت الباحثتان إلى النتائج الآتية:

1- إن الأمن الفكري يعد ضرورة من ضروريات الحياة الآمنة المستقرة.

(1) نبيل أحمد حلمي: الإرهاب الدولي وفقاً للسياسة الجنائية الدولية، دار النهضة العربية، القاهرة، (1988)، ص101.

(2) سعيد صالح المغامسي: الوسطية في الإسلام وأثرها في تحقيق الأمن (2004)، مرجع سابق، ص13.

- 2- إن تحقيق الأمن الفكري لدى أفراد المجتمع يحقق تلقائياً الأمن من جميع مقاصده إذا ما أحكمت وسائله، وهو ما يمكن أن نطلق عليه الأمن الشامل.
- 3- إن المؤسسات التعليمية تتولى دوراً كبيراً في مراجعة وصياغة وتنقية الفكر من الانحراف.
- 4- تعد مؤسسة التنشئة الاجتماعية المتمثلة بـ(الأسرة - المدرسة - المسجد) من أبرز المؤثرات المهمة في تعزيز الأمن الفكري للوقاية من الانحراف والإرهاب.
- 5- أن ظاهرة الغلو في الدين والتي تعرف بالتطرف الديني تعد من أكبر المخاطر والتحديات الفكرية في العالم المعاصر من حيث آثارها المدمرة على أبناء الأمة العربية والإسلامية.
- 6- وجود الأمن الفكري لا يعني التوقع والانغلاق، وعدم المحاكاة الطرف الآخر فكرياً وثقافياً، فإن ذلك يعيق التطور والتقدم المنشود، فالمعيار هنا الاعتدال والوسطية، والقدرة على وزن الأمور بموازين النقد والتحليل السليم.
- التوصيات:**

- 1- توعية الطلاب بأهمية الفكر وحمايته من الأفكار الهدامة بكل الطرق المتاحة من أنظمة وأنشطة وتدريب وتفعيل لدور المناهج للحيلولة دون مواجهة الصعوبات التي تواجه تعزيز الأمن الفكري للطلاب.
- 2- ضرورة العمل على إزالة الصعوبات التي تحول دون تحقيق تعزيز الأمن الفكري للطلاب.

- 3- ربط موضوعات مناهج التعليم التي يقوم بتدريسها بواقع الحياة ومشكلات المجتمع المعاصرة لتحسين الشباب من الصراعات الفكرية التي تشهدها الساحة هذه الأيام.
- 4- تشجيع الطلاب على إجراء البحوث في مجال الأمن الفكري والكشف عن التهديدات والتحديات التي تواجه أمننا الفكري ووضع التصورات والحلول المناسبة لها.
- 5- الإسهام في تطوير الأنشطة التي تساعد في تحرير الفكر وحمايته من الوقوع في مزالق الانحرافات الفكرية.
- 6- تعزيز قدرة الأجهزة الأمنية في مجال تحقيق الأمن الفكري.
- 7- إعادة النظر في صياغة الرسالة الإعلامية وإصلاح الخطاب الديني المتشدد المخالف للكتاب والسنة ليكونا أكثر فاعلية وجدية في معالجة أسباب الانحراف الفكري لدى أبناء المجتمع.
- 8- وضع برامج للكشف عن الطلبة الذين يحملون أفكاراً تتعارض مع الأمن الفكري.
- 9- الاهتمام بالبحوث العلمية في دراسة أسباب الانحراف الفكري ووضع الحلول والسبل الوقائية للحد منها.

المصادر و المراجع

القرآن الكريم.

اولا: المراجع العربية:

- 1) أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد.
- 2) الباز: راشد بن سعد (2004) أزمة الشباب الخليجي واستراتيجيات المواجهة، جامعة نايف العربية، الرياض.
- 3) التركي: عبد الله بن عبد المحسن (1996) الأمن الفكري وغيابه، المملكة العربية السعودية، جامعة نايف العربية، مطابع رابطة العالم، الرياض.
- 4) الجوهرى: الصحاح، (1993) تحقيق أحمد عبد الغفار عطار، ط2، دار العلم للملايين، بيروت.
- 5) الحسناوي: موفق عبد العزيز، (2010) دور الجامعة في بناء شخصية الطالب، موقع منتديات نور الإسلام www.oor.com
- 6) الحقيلى: سليمان بن عبد الرحمن، (2004) متطلبات المحافظة على نعمة الأمن والاستقرار، ط4، مطابع الحميضي، الرياض.
- 7) الجوشان: بركة بن رامل (1425) أهمية المؤسسة التعليمية في تنمية الوعي الأمني، ورقة عمل مقدمة لندوة المجتمع والأمن المنعقدة بكلية الملك فهد الأمنية، الرياض.

- (8) الحيدر: حيدر بن عبد الرحمن (2002) الأمن الفكري في مواجهة المؤثرات الفكرية.
- (9) الخطيب: محمد شحات (2005) الانحراف الفكري وعلاقته بالأمن الوطني الدولي، مكتبة فهد الوطنية، الرياض.
- (10) الريمي: صالح أحمد (1425): أساليب وقاية الطلاب من الانحراف كما يراها التربويون في المدارس المتوسطة الحكومية بمدينة الرياض.
- (11) السدلان، صالح بن غانم (2005) أساليب الإرهاب والعنف والتطرف، المؤتمر العالمي عن موقف الإسلام من الإرهاب، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- (12) الشهراني: بندر علي (2009) تصور مقترح لتفعيل دور المدرسة الثانوية في تحقيق الأمن الفكري، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.
- (13) الطلاع: رضوان (2000) نحو أمن فكري إسلامي، ط2، رابعة العالم الإسلامي، مكة المكرمة.
- (14) العبد الجبار: عادل عبد الله (2007) الإرهاب في ميزان الشريعة الإسلامية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض.
- (15) العميري: محمد عبد الله (2005) موقف الإسلام من الإرهاب، مركز الدراسات والبحوث، جامعة نايف العربية، الرياض.

- 16) المالك: صالح بن محمد (2005) دور المؤسسات التعليمية في بناء الأمن الفكري، كلية الملك فهد الأمنية الموقع:
<http://www.minshawi.com/vb/threads>.
- 17) المجذوب: أحمد علي (1408) الأمن الفكري والعقائدي: مفاهيمه وخصائصه وكيفية تحقيقه، دراسة في كتاب نحو استراتيجيات عربية، التدريب في الميادين الأمنية، ندوة علمية بجامعة نايف العربية للعلوم الأمنية.
- 18) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، 1985، الجزء الثاني، مطابع قطر الوطنية، الدوحة، ط2، دار عمران.
- 19) المغامسي: سعيد فالح (2004) الوسطية في الإسلام وأثرها في تحقيق الأمن. المجلة العربية للدراسات الأمنية، الرياض.
- 20) المنجد في اللغة العربية المعاصرة (2002)، بيروت، دار المشرق.
- 21) اليوسف: عبد الله بن عبد العزيز (2004) دور المدرسة في مقاومة الإرهاب والعنف والتطرف، بحث قدم في المؤتمر العالمي عن موقف الإسلام من الإرهاب الذي نظمته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض.
- 22) يبلي: مصطفى سيف الدين (1418)، أسس وقواعد، إعداد خطة إعلامية عربية للتوعية المرورية، مجلة الفكر الشرطي، الشارقة.
- 23) حريز: محمد الحبيب (1426) واقع الأمن الفكري: بحث مقدم في الاجتماع التنسيقي العاشر الذي نظمته جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية بالتنسيق

مع جامعة طيبة لمديري مراكز البحوث والعدالة الجنائية ومكافحة الجريمة حول (الأمن الفكري) المدينة المنورة.

(24) حلمي: نبيل أحمد (1988) الإرهاب الدولي وفقاً للسياسة الجنائية الدولية، دار النهضة العربية، القاهرة.

(25) علي: سعيد إسماعيل (2000) التعليم الجامعي في الوطن العربي، دار الفكر العربي، القاهرة.

(26) مرسي: محمد منير (2001) الإدارة التعليمية أصولها وتطبيقاتها، ط1، عالم الكتب، القاهرة.

(27) محمود شاكر، وخالد بن عزيز الخرفش (210) مفاهيم أمنية، الرياض، مركز الدراسات والبحوث، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية.

ثانياً: الدراسات العربية:

(1) الشمري، مسلم والجرادات، محمود (2001) بعنوان: دور أعضاء هيئة التدريس في تعزيز الأمن الفكري لدى طلاب جامعة حائل، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، 27- (54)، 1241-1319.

(2) غنوم أحمد عبد الكريم (2004) المسؤولية الأمنية للمؤسسات التعليمية، ندوة المجتمع والأمن، الرياض، كلية الملك فهد الأمنية.

3) خريف، سعود محمد (2006) دور وكلاء الإدارة المدرسية في تحقيق الأمن الفكري لدى الطلاب، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض.

4) السليمان، إبراهيم (2006) دور الإدارات المدرسية في تعزيز الأمن الفكري لدى الطلاب، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض.

5) نور، أمل محمد أحمد (2008) مفهوم الأمن الفكري في الإسلام وتطبيقاته التربوية، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة أم القرى، كلية التربية، المملكة السعودية.

6) فايز شلدان (2013) دور كليات التربية بالجامعات الفلسطينية في تعزيز الأمن الفكري لدى طلبتها وسبل تفعيله. رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، غزة، كلية التربية.

ثالثاً: المراجع الأجنبية:

1) Duck-loch, shari I ynn. (2000), Perceptions of administrators, counselors, teachers, and students concerning school safety and violence in selected secondary school in Louisiana, tech university.

- 2) Pleban, Francis Thaddeus. (2002). Risk and protective factor for juvenile delinquency and dang involvement among selected high school students.
- 3) Call, Carolyne Mary. (2004). Intellectual Safety and Epistemological position in the College classroom, (un publisher ph. D. dissertation), united states, New york, Cornell university.
- 4) Shelly, G-(2006). Perceptions of characteristics of good citizenship by secondary public school teachers in the state of Washington.

استراتيجية الحروب الأوروبية ودورها في بلورة الواقع الأوربي في الفترة ما بين (1914 - 1918)م

د/ عبد السلام عرقوب

المقدمة :

في مطلع القرن العشرين، لعبت النزاعات والعداء، بين الدول الأوروبية بسبب التنافس القوي بينها، خصوصا بين فرنسا، وألمانيا، وبريطانيا، التي حاولت كل واحدة منهم السيطرة على التجارة، وبسط النفوذ على أعالي البحار. كما أن ألمانيا بعد أن حققت وحدتها السياسية، وأصبحت لها قوة عظيمة في القارة الأوروبية، أرادت أن يكون لها دور قيادي في القارة، خصوصا وأنها أصبحت تمتلك أسطولا حربي بات يهدد إمدادات الغذاء الأمر الذي جعل العداوة أمرا مرجحاً وحتمياً.

كما أصبح هناك تنافس شديد أيضا وأطماع في البلقان، بين كل من ألمانيا، والنمسا - المجر من ناحية، وروسيا وفرنسا من ناحية أخرى، أدى إلى تكوين الأحلاف العسكرية القوية، وإلى سباق التسلح البحري وبالتالي إلى زيادة التوتر في الفترة ما بين عامي 1912- 1913م، حيث اندلعت حربان كبيرتان في البلقان. وهكذا انقسمت الدول الأوروبية إلى فريقين ضد بعضهما البعض.

أهمية الدراسة: تتمثل أهمية الدراسة في محاولة فهم أهم الأسباب التي أدت على اندلاع الحرب بين الطرفين المتقاتلين الحلفاء والمحور ومعرفة النتائج التي ترتبت عليها.

أهداف الدراسة: تهدف الدراسة إلى معالجة مسألة مهمة والمتمثلة في الصراع بين دول الحلفاء والمحور من أجل السيطرة على مواقع إستراتيجية مهمة في العالم والاستحواذ على خيراته.

تساؤلات الدراسة: ما هي الأسباب البعيدة للحرب العالمية الأولى؟ من المسؤول عن

إثارة الحرب العالمية الأولى؟ وما السبب المباشر لاندلاع الحرب العالمية الأولى؟

وما أسباب انقسام الدول الأوروبية إلى فريقين؟

وما هي النتائج التي أسفرت عنها الحرب العالمية الأولى؟

هذه الأسئلة وغيرها سوف يجب عنها هذا البحث :

أولاً: تعتبر الأزمات التي سبقت الحرب العالمية الأولى من الأسباب البعيدة للحرب

العالمية الأولى وهي كما يلي:1- أزمة مراكش الأولى:

بعد احتلال الجزائر وتونس، من قبل فرنسا أصبحت لها حدود مشتركة مع المغرب.

وأصبحت مصالحها أيضاً مرتبطة بالصراع الاستعماري بينها وبين غريمتها في ذلك

الوقت إنجلترا. كما أن فرنسا أرادت أن تكون المغرب من نصيبها منذ مطلع القرن

العشرين، وقد أكد ذلك أوجين اتين زعيم الفريق الاستعماري في البرلمان الفرنسي قائلاً:

إن لفرنسا في المغرب حقوقاً وواجبات تفوق ما لغيرها من الدول الأخرى- وان الأساس

الأول لحقوقنا هو الجزائر، وإن الجزائر قادتنا إلى تونس، وينبغي أن نقودنا إلى المغرب.

¹ كما أن لألمانيا أيضاً مصالح اقتصادية في المغرب، وكانت تسعى لأن يكون لها مركز

¹ شوقي الجمل،:، 1977م، ص 314

على المحيط الأطلسي يخدم مصالحها الاقتصادية والحربية، ولكنها رأت في الاتفاق الودي الذي تم بين فرنسا وبريطانيا عام 1904م ، يعرقل وجودها في المغرب ، خصوصا وأنه أطلق يد فرنسا في المغرب ، كما أن فرنسا تهاومت مع إسبانيا بخصوص اقتسام المغرب فيما بينهما ، ولهذا أصبحت ألمانيا معارضة لسياسة فرنسا في المغرب، وبالتالي أصبحت تترصد بدول الوفاق ، وكان الإمبراطور غليوم الثاني قد قام بزيارة إلى طنجة ، وألقى هناك خطبة خطيرة أكد فيها على أن ألمانيا تعتبر سلطان المغرب مستقلا، ثم أضاف قائلا: "أني أمل أن تحافظ مراكش في ظل هذا الاستقلال على سياسة الباب المفتوح لجميع الأمم على السواء، فلا يكون لدولة فيها امتياز على أخرى ،فلا احتكار، ولا استعمار ولتكن السياسة التي تتبعها مراكش مع الدول أساسها المساواة المطلقة...¹.

من خلال خطبة الإمبراطور غليوم الثاني يتضح لنا أن الإمبراطور لم يكن راضيا على الاتفاق الودي الموقع بين فرنسا وبريطانيا، وأن يطلق يد فرنسا في المغرب، وبالتالي سوف يحدث تنافس شديد بينهما وهذا التنافس بطبيعة الحال هو تنافس اقتصادي . وكان الإمبراطور الألماني قد عرض فكرة عقد مؤتمر دولي على سلطان المغرب، لبحث مسألة مراكش ، إلا أن فرنسا عارضت بشده الاقتراح الألماني.

مؤتمر الجزيرة 1906م: بناء على اقتراح الإمبراطور الألماني ،تم عقد مؤتمر دولي بخصوص المغرب، وكانت المغرب قد استغلت فرصة مساندة ألمانيا لها، وإعلانها بأنها سوف تدافع عن سيادة سلطان المغرب واستقلاله، وعن الحرية الاقتصادية في المغرب ،دون أن يكون لأية دولة هيمنة على المغرب، وكانت المغرب قد بادرت بإرسال دعوة

¹ عبد الحميد البطريق، 1974م، ص 144

للمشاركة في هذا المؤتمر، وقد قبلت ألمانيا الدعوة على الفور. وفي 16 يناير 1906م، عقد المؤتمر في الجزيرة الخضراء، وحضره ممثلو اثنتي عشرة دولة، واستمرت أعمال المؤتمر حتى شهر أبريل من نفس العام، وكان من الطبيعي أن يحدث نقاش حاد وقوي وصراع بين الدول المشاركة في أعماله، بسبب الخلاف بين أطماع الدول الحاضرة لهذا المؤتمر، وكان سلطان المغرب يأمل أن يخرج المؤتمر بنتائج لصالح المغرب، وأن تكون ألمانيا مساندة للمغرب للمحافظة على سيادته واستقلاله، وحصوله على الخبرة اللازمة، والمال الأجنبي لأن المغرب كانت في أشد الحاجة إليهما.¹ ويبدو أن ألمانيا كانت تهدف من عقد المؤتمر إبعاد فرنسا عن المغرب أولاً، ثم جس نبض دول الوفاق الودي، الذي عقد بين فرنسا وبريطانيا، إلا أن ألمانيا أتضح لها أن كل من إنجلترا، وروسيا، وأسبانيا، وإيطاليا، تؤيد فرنسا، ولم يقف إلى جانبها سوى النمسا.² كانت ألمانيا ترغب أن يكون ضباط الشرطة من الدول الصغيرة. أو السماح لسلطان المغرب باختيار الشرطة اللازمة له اختياراً حراً. ومن هنا نرى أن ألمانيا كانت تحاول قدر الإمكان منع فرنسا من تنظيم الشرطة في المغرب، ولكن في النهاية وافقت على أن تسند مهمة تنظيم الشرطة في المغرب على موظفين من أسبانيا، وفرنسا، تحت إشراف مفتش عام سويسري، كما تم أيضاً أن تدير فرنسا وحدها شؤون الجمارك في الجانب المجاور للجزائر، وأن تدير أسبانيا شؤون الجمارك في منطقة الريف.³ إذن انتصرت فرنسا فيما يخص تنظيم

¹ شوقي الجمل، 1977م، ص 323

² عبد الحميد البطريق، 1974م، ص 149

³ تمبرلي، و.ا.ج.جرانت، د ت، ص 113-115

الشرطة ،لحصولها على نصيب الأسد ،أما ألمانيا فإنها لم تتحصل على شيء ماعدا حصولها على الرقابة المالية .

وإذا كانت ألمانيا تسعى لأن يكن الباب مفتوح لجميع الأمم على السواء، إلا أن فرنسا ضمنت لنفسها العمل بانفراد في المستقبل بالمغرب وبالتالي يمكن القول أن قرارات مؤتمر الجزيرة كانت لصالح فرنسا ،بينما أصبحت ألمانيا معزولة أكثر من ذي قبل.¹ كما أن ألمانيا حاولت أن تبعد روسيا عن التحالف مع دول الوفاق ، حيث تقابل إمبراطور ألمانيا مع قيصر روسيا نقولا الثاني وفي هذا اللقاء حاول إمبراطور ألمانيا من إقناع قيصر روسيا بتوقيع اتفاق فيما بينهما ينص على أن تضع كل منهما جيشها وأسلحتها ،تحت تصرف الأخرى .وبهذا الاتفاق اعتقدت ألمانيا أنها كسبت روسيا إلى جانبها ،هذه المعاهدة تسمى معاهدة بجركو ،ولكن هذه المعاهدة لم تعش طويلا فسرعان ما تم إلغائها من قبل قيصر روسيا ،نتيجة الضغوط التي مارسها وزرائه عليه.²

أزمة البوسنة والهرسك :

بناء على قرارات مؤتمر برلين المنعقد عام 1878م،والذي تم فيه منح النمسا حق ا لنفوذ على ولايتي البوسنة والهرسك، ومنذ ذلك التاريخ أصبحت النمسا تتولى إدارة شؤون الولايتين التابعتين للدولة العثمانية ،وتسعى لضمهما لأسباب تتعلق بأمنها وسلامة أراضيها.³ ولما علمت صربيا بما تسعى إليه النمسا من ضم الولايتين المذكورتين

¹ ميلاد المقرحي، 1991م، ص 145.

² عبد الحميد البطريق، 1974م، ص 146

³ ميلاد المقرحي، 1991م، ص 195.

،استنكرت هذا المسعى واشتد غضبها ورأت نحو مليون من بني جنسها تحاول النمسا ضمهم إليها ،في الوقت الذي كانت النمسا تأمل في ضم الولايتين إليها لإقامة الوحدة اليوغوسلافية.¹ ويعد هذا الإجراء من قبل النمسا ،تأسست الجمعيات السرية ،وكان الغرض منها تحقيق مشروع صربيا الكبرى ،كما أن تراجع روسيا قد خيب آمال الصرب ،لأنها كانت تتوقع من روسيا الوقوف ضد النمسا، إن تغيير خريطة البلقان لا يتم إلا بعد موافقة روسيا ،وكان السياسي النمساوي (اهرنثال)قد استطاع استدراج روسيا واعترافها بضم البوسنة والهرسك وفرض الأمر الواقع عليها ،ثم دخل في مفاوضات معها على أمل أن تتحصل روسيا على تعويض مناسب ،وموافقة النمسا على مطالب روسيا التقليدية بحقها في مرور أسطولها الحربي عبر مضائق الدردنيل والبسفور .

يمكن القول أن ضم البوسنة والهرسك ،كان ضربة موجّهة للدولة العثمانية ،وضربة قاسية للصرّب ،وضربة غادرة لروسيا ،ونجاح النمسا في الحصول على هدفها ،بينما تم أخداع روسيا وأصبحت تطالب بالتعويض.² إذن مما سبق يتضح لنا أن روسيا قد واجهت هزيمة دبلوماسية عام 1908م تشبه تماماً هزيمة ألمانيا في مؤتمر الجزيرة الخضراء عام 1905م وتبين لروسيا أن التحالف الثلاثي أصبح القوة الفاعلة التي تهدد روسيا ، الأمر الذي جعلها تتضم للحلف المذكور .

أزمة أغادير :

¹ عبد الحميد البطريق، 1974م، ص 146

² عبد العزيز نوار و عبد المجيد نعني، 1973م، ص 370

ظهرت في جو السياسة الأوروبية، أزمة أخرى بسبب التدخل الفرنسي في المغرب على أثر قيام حرب داخلية قام بها أحد الأمراء على السلطان عبد الحفيظ، سلطان المغرب الذي استتجد بفرنسا التي انتهزت الفرصة، وأرسلت حملة حربية إلى فأس في ربيع عام 1911م.¹ تحركت ألمانيا بسرعة عندما علمت بتحريك فرنسا نحو المغرب، وأرسلت طراداً إلى أغادير الميناء المغربي على المحيط الأطلسي، بحجة حماية مصالحها، وحماية الرعايا الألمان.² كانت ألمانيا تقصد من وراء إرسال الطراد الحربي إلى أغادير القيام بمظاهرة بحرية رداً على أطماع فرنسا في المغرب.³

كما أن ألمانيا لم يكن لها رعايا في أغادير، أو ضواحيها ولكنها اعتبرت ميناء أغادير هو أصلح موانئ المغرب على المحيط الأطلسي، كما أن منطقة أغادير تعتبر أقرب منطقة لمناجم منطقة السوس، التي كانت ترغب في السيطرة عليه.⁴

لقد كان هناك رد فعل قوي في باريس، ولندن، وروما، ضد ألمانيا، وظل شبح حرب ماثلاً عدة أسابيع، حيث وقفت إنجلترا تؤيد فرنسا، كما أن إنجلترا، أعلنت أنها لم تقف مكتوفة الأيدي إذا وقعت حرب بين فرنسا وألمانيا. استمرت المباحثات بين فرنسا، وألمانيا عدة أشهر، انتهت بتوقيع اتفاق بينهما في 4 نوفمبر 1911م، تم بموجبه تنازل فرنسا عن قطعة من مستعمراتها في الكونغو الفرنسي لألمانيا، مقابل وضع مراكش تحت نفوذ فرنسا

¹ عبد الحميد البطريق، 1974م، ص 148

² شوقي الجمل، 1977م، ص 328

³ عبد الحميد البطريق، 1974م، ص 149

⁴ شوقي الجمل، 1977م، ص 328).

وحدها دون سائر الدول كما أرغم سلطان المغرب بتوقيع معاهدة الحماية في 30 مارس 1912م.¹ ومن هنا يتضح لنا أن ألمانيا خرجت مهزومة انهزاماً سياسياً آخر، واعتقدت أن ميدان الحرب هو الوحيد الذي تنتصر فيه.

الحرب التركية الإيطالية 1911م / 1912م:

تحصلت إيطاليا على اعتراف الدول الكبرى بالسيطرة على ليبيا، حيث قامت بإنزال قواتها على الشواطئ الليبية، كما استولت على جزر الدوديكانيز في بحر إيجه. وهكذا دخلت الدولتان في حرب، انتهت بانهزام تركيا وتنازلها عن ليبيا بموجب معاهدة أوشي لوزان عام 1912م، كما تنازلت لإيطاليا عن جزر الدوديكانيز. وقبل الانتهاء من الحرب التركية الإيطالية بدأت حرب البلقان 1912م/1913م، وكانت الدولة العثمانية في ذلك الحين على وشك الانهيار.²

الحرب البلقانية 1912م/1913م:

وصفت البلقان بأنها برميل البارود، قبل الحرب العالمية الأولى، ولقد كانت فعلاً حيث تكون حلف بلقاني مكون من اليونان، والصرب، وبلغاريا، والجبل الأسود، ضد الدولة العثمانية، وكانت الصرب تسعى لتكوين الصرب الكبرى، وكانت انجلترا من الدول المشجعة على هذا الحلف، لكي تعمل على إذلال الدولة العثمانية، لأن قادتها ارتموا في أحضان ألمانيا³ وفي شهر مارس من عام 1912م، قامت روسيا بتحريض صربيا

¹ شوقي الجمل وعبدالله عبد الرازق إبراهيم، 2000م، ص229).

² ميلاد المقرحي، 1991م، ص200-201).

³ عمر عبد العزيز عمر، 2000م، ص246).

وبلغاريا ،على توقيع معاهدة فيما بينهما تنص على تعاونهما في حالة اعتداء أية دولة أوروبية كبرى على حدودهما ،واشتركت روسيا فعلا في تلك المفاوضات ويبدو أن هذه الاتفاقية كانت موجهة إلى النمسا وإلى الدولة العثمانية ،كما عقدت اليونان وبلغاريا معاهدة فيما بينهما كانت موجهة ضد تركيا¹ .

بعد الانتهاء من إتمام تلك المعاهدات ،استطاعت العصبة البلقانية في حملة لم تدم أكثر من ستة أسابيع ،انتزاع جميع أراضي الدولة العثمانية في أوروبا، ماعدا رقعة صغيرة من الأراضي تشمل استانبول ،وأدرنه .لم ترض النمسا بالانتصارات الباهرة التي حققتها العصبة البلقانية خصوصا بعد أن استولت على موناستير، وقلب مقدونيا، ودورازو، الأمر الذي جعل الصرب تتحصل على منفذ على بحر إيجه ولكن بضغط من النمسا وإيطاليا على الصرب اضطرت إلى الانسحاب من دورازو، كما أن اليونان سيطرت على سالونيك وكانت هذه المنطقة محط آمال بلغاريا ،وتم سقوط أدرنه واستمرت بلغاريا في زحفها حتى مسافة قريبة من استانبول الأمر الذي جعل من روسيا تتحرك ،لأنها لا تقبل أن تسيطر أية دولة على المضائق² وفي 30مايو عام 1913م أكرهت الدولة العثمانية على توقيع معاهدة لندن، وبمقتضاها لم يبق للدولة سوى عاصمتها استانبول، وشبه جزيرة غاليبولي.³

¹ (عبد الحميد البطريق، 1974م، ص 150 - 151).

² (عبد العزيز نوار و عبد المجيد ننععي، 1973م، ص 376 - 377).

³ هيريت فيشر، د ت، ص 453

لقد حدث خلاف بين الحلفاء بخصوص تقسيم أسلاب الحرب ،حيث أعلنت بلغاريا الحرب في 30 يونيو 1913م على اليونان، و صربيا، لغرض السيطرة على مقدونيا .كما أن الدولة العثمانية ورومانيا، أعلنتا الحرب على بلغاريا وتم انهزامها واضطرت إلى طلب الصلح .وكان ممثلو الدول المتحاربة اجتمعوا في بوخارست عام 1913م ،وتم توقيع معاهدة بموجبها تحصلت اليونان على جزء من مقدونيا ،وميناء سالونيك ، وجزيرة كريت و تم الاتفاق أيضا على استقلال دولة البانيا ،كما استولت رومانيا على إقليم دوبرجه، واستردت الدولة العثمانية أدرنه، كما ازدادت أراضي الصرب ،والجبل الأسود وأما بلغاريا فقد خرجت خاسرة.

نتائج حرب البلقان :

يمكن إجمال النقاط التالية التي نتجت عن حرب البلقان وهي:¹

- 1- خروج بلغاريا من الحرب مهزومة ولم تقف إلى جانبها روسيا ،وإنما وقفت إلى جانبها النمسا وبالتالي توترت العلاقات بينهما .
- 2- ازداد التقارب العثماني - الألماني بعد الحرب ،حيث أرسلت ألمانيا ضباطاً لتدريب الجيش العثماني ،مما أثار مخاوف روسيا من تحكّم ألمانيا في المضائق .
- 3- تشتت القوات النمساوية - المجرية وكانت قد احتفظت بجزء من قواتها كي تراقب الموقف في البلقان وبالتالي لم تستطع قواتها مواجهة القوات الروسية .
- 4- ازداد الوفاق الثلاثي أكثر مما كان عليه في حرب البلقان .

¹ عمر عبد العزيز عمر، 2000م، ص146-147).

نمو الروح القومية:

أدى نمو الروح القومية إلى قيام الحرب العالمية الأولى، فظهر ألمانيا كدولة قومية موحدته عام 1870م، كان له أثره في محاولة ألمانيا فرض نفسها كدولة قوية يجب أن يكون لها مستعمرات أسوة بالدول الكبرى الأخرى، بريطانيا، وفرنسا، وبلجيكا، وهولندا، والبرتغال، كما أن الروح القومية التي سادت الصرب بعد حرب البلقان وسعيها إلى تكوين صربيا الكبرى كان من الأسباب التي أدت إلى الحرب العالمية الأولى.¹

أسباب قيام الحرب العالمية الأولى 1914م - 1918م :

بحث المؤرخون مدة طويلة عن المسؤول الأول لقيام الحرب العالمية الأولى، ونتاج عن بحوثهم، بأن المسؤول الأول عن قيامها هو ألمانيا، إلا أن بعض المؤرخين أعتبر المسؤول روسيا، لأنها وقفت إلى جانب الصرب في البلقان، وزودتهم بمختلف الأسلحة، الأمر الذي أدى إلى الاشتباك مع النمسا. ويرى البعض الآخر أن المسؤولية تقع على النمسا، التي شعرت بخطورة مشروعات الصرب في البلقان على مصالحها وكياناتها، حيث انتهزت الفرصة لتصفي مشروعات الصرب نهائياً، وتعيد الصرب إلى وضعها الطبيعي، وأدى ذلك إلى الاشتباك مع الصرب وروسيا.²

ويرى البعض الآخر أن من أسباب قيام الحرب العالمية الأولى، الضغط السكاني الديموغرافي إلا أن هذا السبب لم يشكل السبب الرئيسي في اندلاع الحرب .

الأسباب المباشرة للحرب العالمية الأولى :

¹ عمر عبد العزيز عمر، 2000م، ص 249).

² فتحية النبراوي و محمد نصر مهنا، 1985م، ص 7).

تعتبر حادثة اغتيال الأشيدوق فرانز فيردناند، وريث عرش النمسا - المجر، على يد شاب صربي يوم 28 يونيو 1914م ، الشرارة الأولى التي أشعلت الحرب بين النمسا - المجر وصربيا.¹

اعتبرت النمسا - المجر ،أن صربيا هي المسؤولة عن قتل ولي عهدا وخصوصاً وأنها كانت تتهمها بالعمل ضدها في منطقتي البوسنة والهرسك.² عقدت النمسا- المجر، العزم على أن توجه ضربة قوية لصربيا، رغم أن صربيا نفت التهمة الموجهة إليها وكانت التحقيقات التي قامت بها النمسا ،أثبتت براءة صربيا من التهمة، إلا أن ذلك لم يجد صدقاً في الدوائر النمساوية-- المجرية، واستمرت الاتهامات ضد الصرب، وكان وزير خارجيتها من المؤيدين للحرب ضد صربيا، وكانت ألمانيا من المشجعين على الحرب.³

وبالتالي يمكن القول أن هذه الحادثة ،زادت الوضع الأوروبي تأزماً ولتضع الاتفاقيات، والأحلاف القائمة على المحك في أقل من أسبوع من بدء الحرب .

وفي يوم 23 يوليو 1914م ،كانت أولى الخطوات التي تقدمت بها الحكومة الثنائية (النمسا- المجر)، أن أرسلت إنذاراً شديداً للهجة إلى صربيا معلنة فيه عزمها عن إزالة صربيا من الخريطة الأوروبية ،وقد أشتمل الإنذار على مواد تبين تدخل النمسا في الشؤون الداخلية للصرب ،مثل حل الجمعيات الوطنية ،ومنع أية دعاية مكتوبة ،أو مذاعة

¹ نيل.م.هايمان، 2012م، ص 11)

² (رياض الصمد، 1986م، ص28)

³ عبد العزيز نوار و عبد المجيد نعنعي، 1973م، ص 383).

سواء في الصحافة أو المدارس، وإبعاد الموظفين الذين أعلنوا كراهيتهم للمملكة الثنائية، وعلى الرغم من أن الصرب قد وافقت على أغلب بنود الإنذار، إلا أن النمسا أعلنت الحرب، وترجمة إنذارها إلى عمليات عسكرية ضد صربيا.¹

انقسام أوروبا إلى معسكرين وقيام الحرب العالمية الأولى :

مع بداية القرن العشرين، أصبح للدول الأوروبية الرغبة في الحصول على الثروات، وتأمين أسواقها الخارجية، لتصدير الفائض من إنتاجها، وأيضاً التنافس على المستعمرات فيما بينها الأمر الذي جعل كل دولة من الدول الكبرى، تقوم بتقوية جيوشها البرية، والبحرية، والجوية، وتسعى لعقد الاتفاقيات والأحلاف فيما بينها .

إذن التنافس على المستعمرات، والنهضة الصناعية، ونمو الروح القومية كل تلك العوامل دفعت الدول إلى الانضمام إلى أحد المعسكرين اللذين تمحورا حول ألمانيا، وفرنسا، لأن ألمانيا كما أشرنا فيما سبق، أرادت أن تلعب دوراً في القارة الأوروبية، نتيجة لتحقيق وحدتها السياسية، وتقوية صناعاتها وجيشها، وفي الوقت نفسه كانت فرنسا تراقب تقدم ألمانيا وتتحين الفرص للإيقاع بها، لأن فرنسا رأت أن ألمانيا خطر عليها، وبالتالي أصبحت الدولتان تعزز كل منهما قدراتها القتالية من جهة، وفي تنشيط دبلوماسيتها من أجل تكوين الأحلاف من جهة أخرى .

ويبدو أن ألمانيا في عهد بسمارك قد نجحت في ضم النمسا، وروسيا، وإيطاليا، إلى حلفها، ولكن بعد غياب بسمارك على مسرح السياسة، في بداية القرن العشرين حدث أن

¹عبد العزيز نوار و عبد المجيد نعنعي، 1973م، ص 384).

انسحبت روسيا من الحلف و نظمت إلى فرنسا ،ويبدو أن روسيا كانت لها مطامع في البلقان ،وبالتالي اتجهت ألمانيا إلى جذب النمسا ،والدولة العثمانية إلى حلفها.¹

أما فرنسا فقد اتصلت بروسيا ،وقدمت لها مساعدات مادية لتحسين اقتصادها ، وتطوير صناعاتها ،وتسليح جيشها ،حتى يمكنها الوقوف قي وجه النمسا ،كما أن فرنسا جذبت إليها بريطانيا ،واتفقت معها على اقتسام النفوذ في البحر المتوسط ،والوقوف ضد ألمانيا التي أصبح لها جيش ،وقواعد عسكرية تهددهما أيضا.²

إذن من خلال ما تم سرده ،يتضح لنا أن الدول الأوروبية انقسمت إلى فريقين ،فريق أتبع ألمانيا، والفريق الآخر أتبع فرنسا ،وتكون الفريق الأول من ألمانيا ،والنمسا، والدولة العثمانية وإيطاليا ،أما الفريق الثاني فتكون من فرنسا ،وبريطانيا ،وروسيا .

انضمام بعض الدول إلى دول الوفاق بعد قيام الحرب :

1- إيطاليا :لم تستمر إيطاليا في تحالفها مع النمسا وألمانيا ،نظراً لكونها تعاني من مشاكل داخلية وخارجية، عندما قامت الحرب العالمية الأولى ،وكان الرأي العام الإيطالي منقسم على نفسه حول تحديد الجانب الذي سوف تنضم إليه إيطاليا، هل تبقى في حلفها مع ألمانيا، أم تنضم مع فرنسا، وكان جيولتي من كبار السياسيين الإيطاليين الذي حث الحكومة الإيطالية بأن تسعى للحصول على منطقة الترينيتو التي يسكنها أغلبية إيطاليون بطريقة دبلوماسية ،نظراً لكون إيطاليا ضعيفة الإمكانات. أما الزعماء الكاثوليك فقد حذروا

¹ (رياض الصمد، 1986م، ص26)

² (رياض الصمد، 1986م، ص27)

حياد إيطاليا، أما الاشتراكيون فكانوا يحبذون السلام وعدم تورط إيطاليا في الحرب.¹ إذن أمام اختلاف وجهات النظر، وانقسام الرأي حتم على إيطاليا أن تترتب قليلاً حتى توازن بين ما تحصل عليه من النمسا، و ما تحصل عليه من الدول المتفاهمة، وكان هدف إيطاليا الحصول على منطقة الترينيتو² لأنها اكتشفت أن النمسا لم تتنازل على هذه المنطقة وبالتالي اتجهت إلى الدول المتفاهمة التي وعدتها بإعطائها المناطق النمساوية المأهولة بالايطاليين، وإعطائها بعض الجزر الإستراتيجية في الادرياتيك، وجزءاً من أضايا، ومنحها بعض المستعمرات الألمانية في أفريقيا، وتصحيح الحدود الليبية والاريترية، وعندما سمعت النمسا بعروض الدول المتفاهمة، أسرعته وقدمت عروضها إلى إيطاليا، التي تشمل تنازل النمسا عن منطقة ترانتان وفينيسيا، وغوريزيا، كما وعدت بأن تعطي تريستا نوعاً من الحكم الذاتي، وإطلاق يدها في البانيا، وجزر الدوديكانيزفي بحر إيجه، وبعد المقارنة بين عروض الدول المتفاهمة، والنمسا وجدت أن عروض الدول المتفاهمة أكثر أغراء وبالتالي وقعت اتفاقية مع الدول المتفاهمة في لندن في 26 أبريل 1915م تتص على دخول إيطاليا الحرب في صف الدول المتفاهمة.²

2- اليابان: دخلت اليابان الحرب إلى جانب دول الوفاق، وأعلنت الحرب على ألمانيا، وكان هدف اليابان من دخول الحرب هو السيطرة على ما كان لألمانيا من امتيازات في الصين، وجزر المحيط الهادي. وقد تحملت العبء الأكبر في الدفاع عن المصالح

¹ (عبد العزيز نوار ومحمود محمد جمال الدين، 1990م، ص458).

² رياض الصمد، 1986م، ص37-38)

البريطانية في جنوب شرق آسيا، الأمر الذي جعل بريطانيا تركز قواتها البحرية في غرب أوروبا.¹

3- رومانيا: دخلت رومانيا الحرب إلى جانب دول التحالف. ويبدو أن دخول رومانيا كان يشبه دخول إيطاليا الحرب إلى جانب دول الوفاق. وذلك لوجود ثلاثة ملايين روماني يسكنون مناطق خاضعة للسيادة النمساوية، وظلت تراقب الأمور حتى أتضح لها عام 1916م بأن كفة النصر لصالح دول الوفاق وعندئذ قررت دخول الحرب إلى جانب دول الوفاق في نهاية أغسطس 1916م.²

4- اليونان: عندما قامت الحرب العالمية الأولى، كان في اليونان وجهتنا نظر، الأولى تقول أن تبقى اليونان على الحياد، والثانية ترى ضرورة دخول اليونان الحرب إلى جانب دول الوفاق وكان يتزعم هذا الرأي فينزالو رئيس الوزراء اليوناني، وكان يهدف لتحقيق اليونان الكبرى، واعتقد أنه لا يحقق هذا الحلم إلا بإعلان الحرب على الدولة العثمانية، وألمانيا، وبالتالي قدم المساعدات إلى القوات البريطانية والفرنسية، الزاحفة نحو الدردنيل والبسفور، وهكذا استطاع فينزالو من جر اليونان إلى الحرب إلى جانب دول الوفاق.³

5- الولايات المتحدة الأمريكية: انضمت أمريكا إلى جانب دول الوفاق عام 1917م، وسوف نبين فيما بعد الدور الذي لعبته في الحرب.

دول انضمت إلى دول الوسط:

¹ (شوقي الجمل وعبدالله عبد الرازق إبراهيم، 2000م، ص231).

² رياض الصمد، 1986م، ص38)

³ (رياض الصمد، 1986م، ص40)

1- الدولة العثمانية: رأّت الدولة العثمانية ،أن روسيا ،وبريطانيا، وفرنسا ،لهم مطامع في أراضيها ولهذا رأّت من الأفضل لها الانضمام إلى جانب ألمانيا، معتقدة أنها القوة التي سوف تحقق لها النصر ، ويمكنها استرجاع المقاطعات التي وقعت تحت السيطرة الأجنبية ومنها مصر، وقبرص ،وتونس ،والجزائر، وتحرير الأراضي المأهولة بالأتراك التي احتلتها روسيا، منها القفقاس وتركستان، وترى أيضاً أن الأطماع الألمانية أقل الأطماع الاستعمارية، على أمن وسلامة إمبراطوريتها.¹

2- بلغاريا: على الرغم من أن تياراً قوياً في بلغاريا كان يريد المحافظة على العلاقات مع روسيا ،إلا أن ألمانيا نجحت في جر بلغاريا إلى جانبها ،وقد ساعدها في ذلك أن بلغاريا كانت لها مطامع في صربيا ،وإن هذه المطامع لا تتحقق إلا بدخولها الحرب إلى جانب ألمانيا ،كما اعتقدت أن ألمانيا دولة قوية لا تهزم ولهذا قررت الانضمام إلى جانب ألمانيا.² مما سبق يتضح لنا أن الدول الأوروبية المتقاتلة أثني عشرة دولة :أربع منها قاتلت إلى جانب ألمانيا وهي النمسا، والدولة العثمانية ، وبلغاريا، والثماني الباقية قاتلت إلى جانب دول الوفاق وهي فرنسا ، وبريطانيا، وروسيا ،وصربيا ،وبلجيكا ، وإيطاليا ، ورومانيا ، واليونان .

سير المعارك :

يمكن تقسيم الحرب إلى فترتين

الفترة الأولى من عام 1914--1916م

¹ جورج لنشوفسكي، 1959م، ص 65).

² (رياض الصمد، 1986م، ص 35)

بدأت الحرب العالمية الأولى في شهر أغسطس عام 1914م، وكانت خطة الألمان تهدف إلى الانتقاض على فرنسا، وتحطيم قواتها في الغرب في مدة أسبوعين على الأكثر ثم يتجهون إلى مهاجمة روسيا في الشرق، وتنفيذاً لهذه الخطة جهزت ألمانيا قواتها، فعبر جزء من قواتها بلجيكا إلا أن الجيش البلجيكي، رغم قلة عدده وقف وقفة تجلت فيها البسالة، والثبات أدى هذا الصمود لإعطاء الحلفاء فرصة الاستعداد، والقيام بهجوم مضاد.¹ وسار قسم آخر من الجيش إلى لكسبرج، وهاجم ثالث فرنسا، وفي 20 أغسطس تمكن الألمان من احتلال بروكسل، وسقط في أيديهم حصننا لياج، ونامور، وشق الألمان زحفهم على فرنسا، ولم يستطع الفرنسيون والانجليز وقف الجيش الألماني، حتى صار في شهر سبتمبر على بعد أربعين كيلو متراً من باريس.²

حاول الفرنسيون السيطرة على الأجزاء التي استولى عليها الألمان منهم خصوصاً اللورين في عام 1871م ولكنها اضطرت، إلى الانتقال إلى بوردو واستعدت لخوض الحرب بقيادة المارشال جوفر، الذي استطاع أن يحرز نصراً حاسماً على الألمان في معركة المارون التاريخية بتاريخ 6-9، مما اضطرت الجيش الألماني إلى التقهقر إلى نهر الأين، وبذلك خاب أمل الجيش الألماني في إحراز نصر سريع وحاسم على القوات الفرنسية.³ أصبحت الحرب في الجبهة الغربية، حرب حصار في الخنادق، حيث لزمّت قوات

¹ هيربرت فيشر، ص 524).

² عمر عبد العزيز عمر، 2000م، ص 255).

³ (عمر عبد العزيز عمر، 2000م، ص 255).

الحلفاء، والقوات الألمانية خنادقها الممتدة مئات الأميال، رغم أن الألمان سيطروا على أجزاء كبيرة من أرض بلجيكا وفرنسا.¹

يبدو أن الجيش الفرنسي وجد الدعم والمساعدة من قبل انجلترا، الأمر الذي جعل الحملة تفشل في مسعاها وكانت ألمانيا تعتقد بأن الفرنسيين لن يستطيعوا أن يقاوموا قوة تتألف من أربعة أخماس جيش الرايخ حتى لو وقفت إلى جانبهم انجلترا بقوة تقدر بمائة ألف مقاتل، وفي المقابل كان الجيش الألماني يقدر بأربعة ملايين و300 ألف مقاتل، مدربين تدريباً كاملاً.² حاول الألمان في الجبهة الشرقية، القضاء على القوات الروسية عندما قامت بهجوم على ولاية بروسيا الشرقية الألماني استطاع القائد الألماني هزيمة الجيش الروسي هزيمة فادحة في 27 أغسطس في معركة تسمى سيدان الروسية، وبالرغم من هزيمة الروس إلا أنهم استطاعوا من غزو بعض المناطق، كما استطاعوا غزو غاليسيا، وهددوا سيليزيا.³

ازداد الموقف العسكري لدول الوفاق حرجاً، خصوصاً بعد فشل الحملة الإنجليزية، في سبتمبر 1915م، على الدردنيل برًا وبحرًا، الأمر الذي جعلها تفضل الانسحاب، وبذلك ضاع أمل روسيا في السيطرة على المضائق، كما استطاعت القوات الألمانية والبلغارية السيطرة على صربيا، ووصلت إلى ألبانيا، دون أن تتدخل إيطاليا، كما توقف الزحف البريطاني من البصرة، بسبب حصار تركيا للجيش الإنجليزي مما اضطره

¹ (عبد الحميد البطريق، 1974م، ص 160).

² هيربرت فيشر، ص 494).

³ (عمر عبد العزيز عمر، 2000م، ص 256).

للاستسلام عام 1916، إلا أن تحالف الانجليز والثورة العربية عام 1916م أرغم تركيا على الانسحاب.¹ يتضح لنا مما سبق أن القوى المتحاربة في عامي 1915م-1916م كانت متعادلة في الجبهات البرية والبحرية، وإن سارت موازين القوى البحرية لصالح بريطانيا فيما بعد.

حملة الغواصات:

بدأت ألمانيا في عام 1915م، بمحاولة تجويع بريطانيا، وتمنع عنها مساعدات الدول المحايدة، خصوصاً الولايات المتحدة الأمريكية، وذلك عن طريق إغراق السفن البريطانية، وقد ارتكب الألمان خطأً فاحشاً، نظراً لكون غواصاتهم كانت قليلة ولم تستطع إحراز نصر لها، وكانت الغواصات الألمانية قد نجحت في غرق الباخرة لوزيتانيا، في شهر أبريل عام 1915م، وغرق معها حوالي ألف راكب، منهم مائة أمريكي وقد احتجت أمريكا على هذا العمل، وأندرت ألمانيا على تكرار الاعتداء على السفن المحايدة.²

أخذ نشاط الغواصات الألمانية يقل خلال عام 1916م، إلا إنه في عام 1917م استطاع الألمان صناعة 300 غواصة جديدة، وبذلك أصبحوا يهددون السفن البريطانية من جديد، وكانوا يدركون أن هذا التهديد سوف يجبر أمريكا لدخول الحرب، لكنهم في نفس الوقت يعتقدون أن أمريكا لم يكن لديها جيش يعتد به، ومع أن ألمانيا أحرزت انتصارات عظيمة في شهري أبريل ومارس من عام 1917م، لكن الأمور تغيرت عندما نجح الحلفاء

¹ (عبد العزيز نوار و عبد المجيد ننعني، 1973م، ص 455).

² عبد الحميد البطريق، 1974م، ص 166-167).

في تحطيم عدد كبير من الغواصات الألمانية، وأصبحت سفنهم تحرسها عدد من المدمرات الحربية، كما عمل الحلفاء على تعويض السفن الغارقة.¹

الفترة الثانية 1917م - 1918م.

يعتبر عام 1917م من أهم أعوام الحرب، حيث وقعت فيه عدة تطورات مهمة أهمها الثورة الروسية، ودخول أمريكا الحرب إلى جانب دول الوفاق، وتدهور الجبهات لدى دول الوسط.

1- كانت روسيا أول دولة خرجت من الحرب، نظراً لتدهور جيشها، والنكبات التي ألمت بها، بسبب جهل قادتها، ونقص الذخيرة، وانتشار المجاعة، ولم تستطع الحكومة القيصرية، ولا دول الوفاق من إنقاذها ولهذا قامت الثورة في بتروجراد ضد القيصر، ولم يتحرك الجيش ضد الثوار، وأرغم القيصر على التنازل وانتهاء أسرة روما نوف، وتولى السلطة مؤقتاً كيرنسكي وكان يرغب في مواصلة الحرب، لكن الانقلاب الذي قام به لينين زعيم البلشفيك سرعان ما سعى إلى الصلح مع ألمانيا، وتم توقيع معاهدة برست ليتوفسك في 3 مارس 1918م وقد جاء فيها التخلي عن دويلات البلطيق وفلندا وبولندا، والجلء عن أوكرانيا، والتنازل عن اردهان وفارس وباطوم لتركيا²

2- الولايات المتحدة الأمريكية تدخل الحرب :

عندما بدأت الحرب العالمية الأولى عام 1914م، لم تشترك أمريكا فيها، لأنهم كانوا يعتقدون مذهب مونرو، الذي ينص على عزلة أمريكا في سياستها الخارجية عن أوروبا

¹ عبد الحميد البطريق، 1974م، ص 166).

² عبد العزيز نوار و عبد المجيد نعنعي، 1973م، ص 460).

، وعدم السماح للدول الأوروبية التدخل في الشؤون الأمريكية ، ظل هذا الأمر حتى أبريل عام 1917م حينما قررت دخول الحرب ضد ألمانيا. والسؤال الذي يفرض نفسه ما السبب الذي جعل من أمريكا تأخذ مبدأ الحياد في بداية الحرب ؟ ثم ماذا حدث من تطورات حتى غيرت موقفها ودخلت الحرب؟.

والإجابة عن هذا السؤال نقول أن الرئيس الأمريكي كان متأثراً بمبدأ مونرو، كما أن الشعب الأمريكي هو في الحقيقة مزيج من شعوب أوروبية، كما أنه أراد الحفاظ على الاقتصاد الأمريكي، وكان يرى أن الحرب الدائرة في أوروبا فرصة للنهوض باقتصاد بلاده، و أراد الإبقاء على نظام التوازن الأوروبي، ولعب دور الوسيط في إنهاء الحرب، وكان يسعى للحوار دون انتصار أحد المعسكرين على الآخر.¹ أما الأسباب التي دعت أمريكا للدخول في الحرب، فإن العامل الاقتصادي من أهم الأسباب التي شجع أمريكا لدخول الحرب، خصوصاً عندما سمحت المصارف الأمريكية بتقديم القروض إلى الحلفاء، وأخذت تصدر إنتاجها لهم على أمل أن تسدد ثمنها بعد انتهاء الحرب. كما أن حرب الغواصات التي أشرنا لها فيما سبق ، وغرق البخرة لوزيتانيا ، أدى إلى قطع العلاقات بينها وبين ألمانيا في 3 فبراير 1917م. كما وقع حادثان عاجلا بإعلان الحرب، أولهما أن الرأي العام الأمريكي أدرك أن الغواصات الألمانية أضرت بالاقتصاد الأمريكي، وثانيهما هو قضية زيمرمان مساعد أمين سر الدولة الألمانية، الذي أرسل برفية إلى سفير ألمانيا في مكسيكو، يقترح فيها على المكسيك بأن تكون حليفة لألمانيا في حالة حربها مع أمريكا

¹ (رياض الصمد، 1986م، ص 47- 48)

وفي مقابل ذلك ترجع إلى المكسيك أراضيها التي أخذت منها وهي تكساس، وأريزونا، والمكسيك الجديدة¹.

كانت الحرب قد توقفت، على الجبهة الروسية، بسبب خروج روسيا من الحرب، وعقد هدنة مع الألمان، وهنا يبرز لنا سؤال مهم وهو لماذا لم يفرض الألمان على فرنسا الاستسلام قبل وصول القوات الأمريكية، لمساعدة الحلفاء؟.

والإجابة عن هذا السؤال، يبدو أن ألمانيا لم تكن واثقة من الحكومة البلشفية الجديدة، واعتقدت أن الروس سوف يتخلون عن الهدنة إذا سنحت لهم الفرصة ولهذا السبب لم تقم ألمانيا بنقل الجزء الأعظم من قواتها إلى الجبهة الغربية .

وعلى كل حال فقد شنت القوات الألمانية هجماتها خلال شهري مارس - ويوليو من عام 1918م في عدة اتجاهات.²

1- المحاولة الأولى في شهر مارس عند نهاية الخط البريطاني في فرنسا بالقرب من سان كونتن، وقد انهزم الفرنسيون، لكن الإنجليز تداركوا الأمر وبادروا بإرسال الإمدادات من الشباب والأسلحة والذخائر، وكان لها الأثر الكبير في كسب العركة في النهاية .

2- المحاولة الثانية في أبريل عام 1918م، عندما قاموا بهجوم ضد نهاية الخط البريطاني في الشمال جنوب يبر وهذا الهجوم كاد أن يصل إلى الساحل ويعرقل مواصلات الانجليز .

¹ (ميلاد المقرحي، 1991م، ص 212- 213).

² (عبد الحميد البطريق، 1974م، ص 173- 174).

3- المحاولة الثالثة، قاموا بهجوم ضد الفرنسيين في شمباني ، في 27 مايو ، وهو الهجوم الذي دفع بالألمان مرة أخرى إلى المارن على بعد أربعين ميلاً من باريس ، وكاد يشطر الخط الفرنسي نصفين مما يؤدي إلى سقوط باريس .

كان لدخول الولايات المتحدة الأمريكية أثر كبير في ترجيح كفة الحلفاء ، على دول الوسط ، فمن الناحية العسكرية انقلب ميزان القوى إلى صالح الحلفاء لأن أمريكا أرسلت الآلاف من الجنود المزودين بالأسلحة الحديثة وكما أن دخولها أحكم الحصار على ألمانيا ، وأنقد بريطانيا من التسليم خصوصاً وأنها فقدت الكثير من سفنها ، وأصبحت غير قادرة على نقل المواد الضرورية للأزمة لمواصلة الحرب ، كما أن دخولها الحرب شجع بعض دول أمريكا اللاتينية مثل البرازيل ، والبيرو ، وأرجواي ، وجمهوريات أمريكا الوسطى ، دخول الحرب إلى جانب الحلفاء كما أن بريطانيا وفرنسا تحصلت على الأموال مباشرة من أمريكا¹

3- تصدع جبهات دول الوسط:

رأى الحلفاء من ضرورة تنسيق جهودهم الحربية ، فتم تعيين المارشال فوش الفرنسي قائداً عاماً لقوات الحلفاء البرية ، وتمكن من صد الهجوم الذي قام به الألمان في 29 أبريل 1918م وفي 8 أغسطس قام الجيش البريطاني بهجوم مفاجئ بالقرب من أميان ، فانهارت خطوط الألمان ، وارتدوا إلى خط سيجفريد الذي أطلق عليه الحلفاء خط هندنبرج ، وهذا الخط الذي بدأ منه الهجوم الألماني ومنذ تلك المعركة أتضح لقائد المعركة

¹. (عمر عبد العزيز عمر ، 2000م، ص263).

لودندروف أن لا أمل لألمانيا في النصر، على الحلفاء¹. وبذلك طلب المسؤولون الألمان الهدنة والصلح نتيجة التمرد والثورة التي اندلعت في برلين بين بحارة الأسطول الألماني، وأفراد الجيش، وفي 8 نوفمبر 1918م أعلن الإمبراطور الألماني التنازل عن العرش، وأعلن مستشار الدولة فريدريك إبرت، قيام الجمهورية في ألمانيا، وفي 11 نوفمبر 1918م أعلن قبول الهدنة ووقف القتال.²

نتائج الحرب العالمية الأولى:

أولاً مؤتمر الصلح : انطلقت أعمال المؤتمر في باريس في 18 يناير 1919م، بحضور رؤساء حكومات ووزراء خارجية الدول الأربعة العظمى المنتصرة في الحرب، لوضع شروط الصلح وتم اختيار كليمنصو رئيس وزراء فرنسا رئيساً للمؤتمر، كما اشتركت في المؤتمر الدول التي شاركت في الحرب وهي الصين، وتايلاند، وليبيريا، وكوبا، والبرازيل، وبنما، وغواتيمالا، وهندوراس، كما تم قبول دول جديدة وهي تشيكوسلوفاكيا، وبولندا. كما حضره مندوبون عن العرب والأكراد، والأرمن، والاييرلنديين. أما الدول التي فرض عليها عدم المشاركة فهي الدول المهزومة ألمانيا، والنمسا، والمجر، وتركيا، وبلغاريا، كما لم يسمح المؤتمر لروسيا حضور المؤتمر، لأنها خرجت من تلقاء نفسها.³

وكانت الدول المشاركة في المؤتمر قد قبلت نقاط الرئيس ويلسون الأربع عشرة كأساس لتسويات السلام وهي: موثيق السلام يتم بلوغها بروح سمحة، وحرية البحار، وإزالة

¹ (عمر عبد العزيز عمر، 2000م، ص268

² شوقي الجمل وعبدالله عبد الرازق إبراهيم، 2000م، ص (238).

³ (ميلاد المقرحي، 1991م، ص (219).

الحواجز التجارية، وتخفيض الأسلحة، والحل المتجرد للمطالب الاستعمارية، والجلء عن الأراضي الروسية وأعادتها إليها، والجلء عن الأراضي البلجيكية وإعادة السيادة البلجيكية الشرعية، وإعادة الأراضي الفرنسية وحل مشكلة الألزاس واللورين، وإعادة تحديد حدود إيطاليا بموجب التصنيف العرقي، ومنح الحرية والاستقلال للشعوب في إمبراطورية النمسا والمجر السابقة، وإعادة رسم الحدود في البلقان مع الأخذ بعين الاعتبار المبادئ التاريخية للولاء الوطني والجنسية، والسيطرة التركية على الشعوب التركية وحسب، وإنشاء دولة بولونية مستقلة لها منفذ على البحر، وتأسيس جمعية عامة للأمم المتحدة.¹

معاهدة فرساي: إن معاهدة فرساي ألصقت جريمة الحرب بألمانيا، وفرضت عليها تعويضاً باهظاً، وقامت بتعديلات إقليمية تمس حدودها وفي اجتماع عام حضره ممثلو الدول المتحالفة اعدوا مشروع تحضير لمعاهدة الصلح تمت الموافقة عليه من قبل الحضور، وفي اليوم التالي قدم المشروع إلى الوفد الألماني، وعندما أطلع الوفد على ما جاء في المشروع ارتفعت الأصوات مستنكرة ما جاء في المشروع، وأحتج الوفد عليه واعدته بأنه سيقضي على كل أمل لهم في المستقبل، إلا أنهم اضطروا في النهاية إلى قبوله صاغرين، وفي الثامن والعشرين من يونيو 1919م وقع مندوباهم معاهدة الصلح في بهو المرايا بقصر فرساي.² ومن هنا يتضح لنا أن مؤتمر الصلح الذي أنهى الحرب كان صلحاً أملي على المهزومين، ولم يكن عن طريق المفاضلة. وكان أهم ما اشتملت عليه معاهدة فرساي:

¹ ا.ه.كار، 1992م، ص255)

² عمر عبد العزيز عمر، 2000م، ص271).

أ- العقوبات: اشتملت معاهدة فرساي على فصل بعنوان التعويضات ويتضمن مواد تتعلق بمجرمي الحرب وتتص المادة الأولى منها على أن الحلفاء يطلبون محاكمة القيصر فلهم الثاني إمبراطور ألمانيا محاكمة عادلة بتهمة الأجرام ضد مبدأ الأخلاق الدولي وقداسة المعاهدات المكتوبة ، كما طلب منها أيضا بتسليم المحاكم العسكرية الحليفة الأشخاص الألمان الذين يتهمهم الحلفاء بارتكاب أعمال عنيفة ، وبخرق القوانين الحربية والأصول المتعارف عليها وبعد أخذ ورد بين الحكومات الحليفة من جهة، وألمانيا من جهة أخرى ، وافقت ألمانيا على تسليم أثنى عشر ألمانياً من مجرمي الحرب ،جرت محاكمتهم في محكمة لايبزيغ وأسفرت عن ثبوت التهمة لعدد ستة منهم عوقبوا بالسجن لمدد متفاوتة¹.

ب- نزع السلاح ونزع الصفة العسكرية :

كان من الطبيعي أن تلجأ الدول المنتصرة في الحرب إلى نزع السلاح من ألمانيا فقضت أحكام الهدنة عليها بتسليم أسطولها البحري ،ومدفعيتها الضخمة وتم تحديد أفراد جيشها بمائة ألف جندي وان تلغي التجنيد الإجباري ،كما حرمت من إنشاء الغواصات ، ومن الاحتفاظ بقوات جوية، وبحرية مسلحة ،كما تم تحديد المصانع التي تنتج العتاد الحربي ،وتم نزع الصفة العسكرية عن منطقة الراين وأن يبقى فيها الحلفاء مدة خمسة عشر عاماً.²

ج- التعويضات : كانت مسألة التعويضات من أشد ها وأقساها ، فقد أُلقيت على ألمانيا تبعه كل ما سببته الحرب من خسائر وأضرار و ألزمتها بدفع تعويضات عن كل ما سببته

¹ ا.ه.كار، 1992م، ص50)

² ا.ه.كار، 1992م، ص52)

من إغراق السفن وضرب المدن ، كما شملت إحصاءات كبيرة لتعويض أهالي الجنود الذين قتلوا في الحرب وفرض عليها تسليم أسطولها التجاري .¹ كانت معاهدة فرساي تختلف عن سائر المعاهدات الأخرى ، فيما يتعلق بالتعويضات وحيث إن المبلغ المطلوب من ألمانيا لم تحدده الدول المنتصرة ، بل أوكل إلى لجنة أطلق عليها لجنة التعويضات لتحديد المبلغ وكانت قد أرغمت على دفع مليار على الحساب ، حتى يتم تقدير المبلغ من قبل لجنة بالخصوص وبعد مناقشات في هذا الأمر تم التفاهم على أن تدفع الفحم الحجري بدل المليار جنية استرليني ، وكان قد تم التوصل إلى تحديد كميات الفحم الحجري التي سيتم تسليمها إلى الحلفاء وتوصلوا أيضاً إلى توزيع التعويضات فيما بينهم على النحو التالي:²

1- منح فرنسا 52% من المجموع 2- منح بريطانيا 22% من المجموع

3- منح إيطاليا 10% من المجموع 4- منح بلجيكا 8% من المجموع

د- اقتطع الحلفاء من ألمانيا أكثر من 15000 ميل مربع من املاكها ، وستة ملايين من سكانها فقد خسرت مساحة واسعة من أراضيها وأعطيت إلى فرنسا منها منطقة الألزاس واللورين ، كما أخذت منها بلجيكا أوبن ومالميدي ، وأخذت منها بولونيا بوسنانيا وبوميريليا ومنحت مدينة دانترج ، على البحر لتكون منفذاً لها ، وأعتبرت مدينة حرة ، وأخذت منها الدانمرك شمال شلفيخ كما خسرت جزءاً من سيليزيا ، بناء على استفتاء سكانها .³

¹ عمر عبد العزيز عمر ، 2000م ، ص 186).

² ا.ه.كار ، 1992م ، ص 56)

³ عمر عبد العزيز عمر ، 2000م ، ص 56).

هـ - أما النمسا والمجر: وقعت معاهدة سان جرمان مع النمسا في 10 سبتمبر 1919م وبموجبها خسرت أجزاء واسعة من أراضيها، فانسلخت عنها بولونيا النمسوية وأخذت منها أقاليم ترانسلفانيا والبوكوفين، وأخذت منها يوغسلافيا أجزاء أخرى وبذلك خسرت النمسا مساحة كبيرة من أراضيها وأصبح عدد سكانها لايزيد عن ستة ملايين نسمة، وقد المجريون ثلثي أراضيهم بموجب معاهدة وقعت معها بتاريخ 4 يونيو 1920م يطلق عليها معاهدة تريانون، يعد اختفاء إمبراطورية النمسا من أهم نتائج الحرب العالمية الأولى وكانت القوميات قد ساهمت في تفكيكها، فظهرت دولة يوغوسلافيا التي ضمت الصرب، والبوسنة والهرسك، ودالماشيا، والجبل الأسود، وكرواتيا، وظهرت دولة أخرى هي تشيكوسلوفاكيا، كما تنازلت النمسا لإيطاليا عن تريستا وأستريا والتيرول.¹

و- الدولة العثمانية: بموجب معاهدة سيفر التي عقدتها تركيا مع الدول المنتصرة في الحرب عام 1920م، فقدت أراضيها في أوروبا، ماعدا القسطنطينية وشاطئ بحر مرمره، وشبه جزيرة غاليبولي، كما فقدت أملاكها في آسيا، أما في الوطن العربي فقد استقلت الحجاز، ووضعت سوريا والعراق وفلسطين تحت الانتداب وأعطيت اليونان الإشراف على أزمير. وعقدت معاهدة أخرى هي معاهدة لوزان عام 1923م وتم بموجبها تعديل حدودها مع أوروبا واحتفظت ببعض الجزر في الدردنيل، وتنازلت عن حقوقها في مصر وليبيا والسودان، وتنازلت أيضا عن جزر بحر ايجة لإيطاليا واليونان، وعن قبرص لبريطانيا، وتقرر حرية الملاحة في المضائق تحت إشراف عصبة الأمم.²

¹ عمر عبد العزيز عمر، 2000م، ص273).

² شوقي الجمل وعبدالله عبد الرازق إبراهيم، 2000م، ص249).

ر - بلغاريا: وقعت بلغاريا معاهدة مع الحلفاء في 29 سبتمبر 1918م، وكان مما جاء فيها تسريح الجيش البلغاري، وتخليه عن معداته وسلاحه، ثم طرد الجيش الألماني من بلغاريا، واحتلال قوات الحلفاء المواقع المهمة ماعدا العاصمة، كان استسلام بلغاريا قد عرض تركيا والنمسا إلى إخطار ساعدت على تقويضهما بسرعة كبيرة، كما أدى إلى فقد ألمانيا أي أمل على النصر.¹

ثانياً: عصبية الأمم المتحدة

نتيجة الخسائر الكبيرة التي تكبدها العالم من جراء الحرب العالمية الأولى كانت دافعاً قوياً للبحث عن وسيلة جماعية دولية لمنع تكرار مأساة الحرب العالمية الأولى، وقد بذلت مجهودات جبارة بعد انتهاء الحرب كان هدفها تكوين منظمة دولية تنظم العلاقات الدولية، ولم يكن الرئيس الأمريكي ويلسون الوحيد الذي نادي بفكرة تلك المنظمة الدولية من أجل السلام بل كان العديد من المفكرين والفلاسفة الذين دعوا لفكرة التجمع الأوروبي .

وكان الرئيس الأمريكي قد أصر على تضمين معاهدة فرساي ضمن ميثاق العصبة ليضمن موافقة البرلمان الأمريكي ويبدو إن هذا سبباً من أسباب تحميل العصبة أوزار تلك المعاهدة الجائرة ومن سخرية القدر إن مجلس الشيوخ الأمريكي رفض الموافقة على ميثاق العصبة وأعلن عودة الولايات الأمريكية إلى عزلتها التقليدية وتخليها عن الحروب.² أهداف العصبة: تتلخص أهداف العصبة في الآتي:³

¹ (عبد الحميد البطريق، 1974م، ص 467 - 468).

² (محمد العزيز مهنا، 1981م، ص 459)

³ (بطرس غالي ومحمود خيرى عيسى، 1988م، ص 462)

- 1- نشر السلام والأمن بين الدول ومنع الحروب .
 - 2- عدم عقد معاهدات أو اتفاقيات سرية وإنما يجب أن تكون علانية .
 - 3- العدالة والشرف والنزاهة يجب أن تكون هدف كل معاهدة أو اتفاقية .
 - 4- عندما تكون دول كبرى مسؤولة عن إقليم متخلف بواسطة الانتداب يجب أن تعمل الدول المنتدبة على رقي مجتمع الدولة المتخلفة .
- أما المبادئ التي سعت العصبة إلى تحقيقها هي: ¹
- 1- قبول الالتزامات بعدم الالتجاء إلى الحرب .
 - 2- أن تكون العلاقات بين الدول على أساس العلانية والصراحة والعدل .
 - 3- أن تكون قواعد القانون الدولي على أساس التعامل بين الدول .
 - 4- إتباع العدالة واحترام المعاهدات .

ولتنفيذ هذه الأهداف والمبادئ التي تسعى العصبة إلى تحقيقها تشكلت أجهزة إدارية وفنية وتنفيذية وهي: مجلس العصبة ويتكون من 15 عضواً. منهم ثلاثة أعضاء دائمون هم ممثلو بريطانيا ، وفرنسا، وروسيا، والباقيون تنتخبهم الدول الأخرى بالتناوب ويعد مجلس العصبة هو الهيئة التنفيذية للعصبة ثم الجمعية العمومية وتتكون من ممثلي الحكومات المشتركة وتعد الجمعية العمومية بمثابة هيئة تشريعية عليا، ثم السكرتارية وهي الجهاز الإداري للعصبة ويتولى الإشراف عليه سكرتير عام يعينه المجلس بالإجماع، وتوافق عليه الجمعية العامة بالأغلبية ويتولى السكرتير العام بالتحضير لأعمال الجمعية

¹ بطرس غالي ومحمود خيرى عيسى، 1988م، ص498

العامّة والمجلس، ومراقبة تنفيذ قراراتها ،ثم اللجان الفنية ،وهيئة العمل الدولية ،ومحكمة العدل الدولية.¹

العضوية في عصبة الأمم وموجة الانسحاب منها :

عندما تكونت العصبة ثم إنشائها من أعضاء أصليين ،وهم الحلفاء الذين انتصروا في الحرب ، ومن كان يؤيدهم في حربهم ، ومن أعضاء مدعويين ،وهم الدول المحايدة التي أخذ رأيها عند مناقشة نصوص العهد وتحريره وكان عددها أثنى عشر دولة .ففي سنة 1920م انضم إلى العصبة ألبانيا، وفلندا، وبلغاريا . والنمسا، وكوستاريكا ، ولكسمبرج ،وفي سنة 1922م انضمت استونيا ،ولاتفيا، وليتوانيا. وفي سنة 1924م انضمت جمهورية دومنيك. وفي عام 1926م انضمت ألمانيا .أما عام 1928م فقد انضمت كل من المجر ،والحبشة ، وأيرلنده.²

وفي الفترة من عام 1931م إلى 1934م انضم إلى العصبة المكسيك، والعراق ،وتركيا، وأفغانستان، والأكوادور، ثم الاتحاد السوفيتي.⁷⁰ وبهذا طلبت الدول الانضمام إلى المنظمة الجديدة ،ما عدا خمس دول هي السعودية، واليمن ،وأمریکا ،ونيبال، ومنتسوكو. لانريد الدخول في تفاصيل أكثر عن المنظمة الدولية الجديدة والتي كانت نتيجة من نتائج الحرب العالمية الأولى، ولكن السؤال الذي يفرض نفسه الآن هل حققت المنظمة أهدافها في تحقيق الأمن والسلام في العالم؟

¹ (مفيد محمود شهاب، 1974، 2م، ص64-65).

² (بطرس غالي ومحمود خيرى عيسى، 1988م، ص462)

والإجابة عن هذا السؤال ،نقول إن المنظمة فشلت في تحقيق أهدافها للأسباب التالية:

1- عدم انضمام الدول الكبرى إليها مثل الولايات المتحدة الأمريكية ،وبذلك فقدت المنظمة صفة العالمية .

2- تم طرد روسيا منها، إثر اعتدائها على فلنדה ،وقد توالى انسحاب الدول الكبرى منها مثل اليابان ، وألمانيا ، وإيطاليا.

3- أصبحت المنظمة أوروبية صرفة ،خصوصاً بعد انسحاب روسيا منها ،واليابان ،والجمهوريات الأمريكية ،ولم تتضمن إليها الولايات الأمريكية ،وبالتالي أصبحت العصبية نقابة أوروبية صرفة .

4- ونتيجة لكون العصبية وليدة معاهدة فرساي ،يعد هذا الأمر سبباً من أسباب فشل العصبية حيث جاء ميثاقها مندمجاً مع نصوص معاهدة فرساي ،وبذلك امتزجت معاهدة الصلح التي هي عبارة عن تسوية سياسية التي فرضها المنتصر على المهزوم فرضاً مع عهد العصبية الذي يعتبر دستورياً، الهدف منه إقامة هيئة عالمية تكفل التعاون ،وتعزيز السلام والأمن دون أن تفرق بين غالب ومغلوب أو منتصر ومهزوم .¹

ثالثاً : النتائج الاقتصادية والاجتماعية و السياسية.

1- النتائج الاقتصادية: كان من نتائج الحرب العالمية الأولى ،هو أنها أنهكت الاقتصاد الأوروبي ،فتدمير المصانع والمعامل جعل أوروبا تفقد قدرتها على الإنتاج

¹ بطرس غالي ومحمود خيرى عيسى،1988م،ص(462)

والعمل ،فقد سقط في ميدان الحرب الملايين من الشباب القادرين على العمل والإنتاج الذين يقدرون بنحو 8ملايين ونصف.¹

كما أن الدول التي شاركت في الحرب خسرت أعداداً من سفن نقلها غرقاً، و أن طرق مواصلاتها أصبحت غير صالحة للنقل، أضف على ذلك أن التصدير والاستيراد قل بدرجة كبيرة نتج عنه ارتفاع الأسعار، وارتفاع أجور العمال بعد الحرب بعد أن حاولت الدول الأوروبية بناء المدن والمصانع التي تهدمت في الحرب.² كان إعادة بناء التنمية الاقتصادية يحتاج إلى أموال طائلة ،لم تكن أوروبا في ذلك الوقت قادرة على صرف المزيد من الأموال ،بسبب انخفاض العملة ،ونقص الاحتياطي من الذهب ،وبالتالي اضطرت الحياة الاقتصادية في معظم دول أوروبا.³

حاولت أوروبا تحويل المصانع من الإنتاج الحربي إلى الإنتاج المدني لكن هذا الأمر يحتاج إلى وقت ليس بالقصير، ويحتاج إلى توفير أموال طائلة.⁴ ورغم خروج ألمانيا من الحرب مهزومة ،وخسرت بعض مراكزها الصناعية ،وفقدت أسطولها التجاري ،إلا أنها لم تواجه مشاكل اقتصادية حادة ويبدو السبب في ذلك يرجع إلى أن الحرب لم تصل إلى

¹ عمر عبد العزيز عمر، 2000م، ص285).

² عبد العزيز نوار و عبد المجيد نعنعي، 1973م، ص502).

³ عمر عبد العزيز عمر، 2000م، ص286).

⁴ عمر عبد العزيز عمر، 2000م، ص285).

قلب ألمانيا، وكانت أيضاً معتمدة على مواردها الذاتية، ولهذا السبب خرجت من الحرب غير مدينة لأحد بعكس فرنسا وبريطانيا.¹

2- النتائج الاجتماعية:

كانت من نتيجة الحرب العالمية الأولى إن الدول المتحاربة فقدت الكثير من الأرواح، وكانت أكثر الدول خسارة في الأرواح هي روسيا إذ فقدت أكثر من مليونين، كما أن ألمانيا خسرت هي الأخرى قرابة المليونين، أما المملكة الثنائية النمسا والمجر فقد فقدت قرابة المليون والرابع، أما بريطانيا فقد خسرت حوالي المليون، وخسرت فرنسا قرابة المليون والنصف، كما أن الولايات المتحدة الأمريكية هي الأخرى فقدت حوالي 115 ألف، وبهذا تكون أوروبا قد فقدت في الحرب العالمية الأولى أكثر من عشرة ملايين من الأرواح.² وكان من أهم نتيجة للحرب على المجتمع، هي قوة العاطفة والانفعالات الوطنية التي سادت المجتمع الأوروبي، ومن جهة أخرى فقد أختل التوازن العادي بين الجنسين من جهة، وبين مجموعة الأعمار من السكان من جهة أخرى نتيجة تفكك الحياة الأسرية أثناء التعبئة، وقتل الملايين من الشباب، وهبوط نسبة المواليد هبوطاً حاداً، كما دخلت النساء العاملات حياً للوطن سوق العمل وبهذا تغير وضع النساء، وكسبن مركزاً فيه قدر كبير من المساواة مع الرجال.³

3- النتائج السياسية:

¹ عبد العزيز نوار و عبد المجيد نعنعي، 1973م، ص 504).

² عبد العزيز نوار و عبد المجيد نعنعي، 1973م، ص 50).

³ (عمر عبد العزيز عمر، 2000م، ص 285).

كان من نتائج الحرب العالمية الأولى السياسية هو سقوط ثلاث أسر حاکمة حكمت مدة طويلة مساحات واسعة من الأرض حكماً استبدادياً أوتوقراطياً، وهكذا انهارت تلك الأسر انهياراً كاملاً، وهذه الأسر هي أسرة رومانوف في روسيا ، وأسرة الهابسبرج في إمبراطورية النمسا والمجر ، وأسرة هوهنزلن في ألمانيا.¹

كما تم القضاء على سيادة الطبقات الحاکمة القديمة، وحرمانها من الامتيازات التي كانت تتمتع بها ،لأن معظم الشعوب بدأت تتطلع إلى إدخال النظم الاجتماعية الجديدة وتحاول تقليل الفوارق بين الطبقات ، وإقامة ديمقراطيات سياسية تعمل على اشتراك الشعوب في توجيه دفة الحكم . (عبد الحميد البطريق، 1974م، ص 205). كما انتشرت الجمهوريات بعد الحرب العالمية الأولى ،لأن قبل عام 1914م كان نظام الحكم في أوروبا ملكي ،ولم يكن سوى جمهورية فرنسا وسويسرا، لكن بعد انتهاء الحرب أصبح في أوروبا سبع عشرة جمهورية .²

ما اختفت أربع إمبراطوريات ،ظلت تملأ صفحات التاريخ الأوروبي وهي إمبراطورية النمسا والمجر و الإمبراطورية العثمانية، والإمبراطورية الروسية ،والإمبراطورية الألمانية.³ لقد خرج النظام الديمقراطي سليماً بعد الحرب ، ولكنه لم يكن آمناً في حقيقة الأمر ،فالمناخ السياسي في الدول الديمقراطية أعيد كما كان عليه عام 1914م .⁴

¹ (عبد الحميد البطريق، 1974م، ص 205).

² عبد الحميد البطريق، 1974م، ص 205).

³ (عمر عبد العزيز عمر، 2000م، ص 289).

⁴ (عمر عبد العزيز عمر، 2000م، ص 289).

قلبت الحرب العالمية الأولى التوازن الدولي في العالم إذ لم تعد الدول الأوروبية وحدها أقوى دول العالم فقد ظهرت اليابان قوة في آسيا، والولايات المتحدة الأمريكية في العالم الجديد، كما أسفرت الحرب عن ظهور دول قومية جديدة هي: فنلندا، ولاتفيا، واستونيا، ولتوانيا، ويوغسلافيا، وتشيكوسلوفاكيا، وبولندا.¹

وفي المجال الفكري المذهبي أسفرت الحرب العالمية الأولى عن انتشار النظام الشيوعي، إلى جانب النظام الرأسمالي، وقد حاولت أمريكا، وبريطانيا، وفرنسا، خنق هذا النظام وأفكاره في المهد، وقد أخذت بعض الدول البرجوازية في أوروبا إلى اتخاذ بعض الإجراءات لمنع انتشار الفكر الشيوعي، حيث قامت بحزمة من الإصلاحات الزراعية التي انتشرت في دول أوروبا الشرقية.²

الخاتمة

بعد أن استعرضنا ما جاء في هذا البحث، يمكننا أن نستخلص النتائج التالية:
أولاً: كان من الأسباب البعيدة التي أدت إلى الحرب العالمية الأولى، الأزمات الخطيرة التي جرت الدول الكبرى إلى الاشتراك فيها وهي أزمة مراكش الأولى والثانية، وأزمة البلقان، وأزمة البوسنة والهرسك، والحرب التركية الإيطالية، بالإضافة إلى نمو الروح القومية، هذه الأزمات عجلت بقيام الحرب.

ثانياً: أسفر البحث أن الشرارة المباشرة للقيام الحرب العالمية الأولى هو مقتل ولي عهد النمسا الاشيذوق فرانز فردناند، وبذلك وجدت ألمانيا و النمسا ذريعة لإعلان الحرب.

¹ (ميلاد المقرحي، 1991م، ص 22).

² عمر عبد العزيز عمر، 2000م، ص 289).

ثالثاً: أفرز البحث بأن أوروبا انقسمت إلى فريقين، الفريق الأول يضم ألمانيا، والنمسا، والدولة العثمانية، وإيطاليا، ويطلق عليها دول الوسط، والفريق الثاني يضم فرنسا، وبريطانيا، وروسيا، ويطلق عليها دول الوفاق، أو الدول المتفاهمة، أو الحلفاء، ولكن إيطاليا لم تستمر في تحالفها مع ألمانيا و النمسا، وإنما أنظمت إلى جانب فرنسا وبريطانيا كما انضمت اليابان ورومانيا واليونان، ثم الولايات المتحدة الأمريكية إلى جانب دول الوفاق وفي الوقت نفسه انضمت الدولة العثمانية، وبلغاريا، وصربيا، إلى صف ألمانيا والنمسا.

رابعاً: كان لدخول الولايات المتحدة الأمريكية، الحرب إلى جانب دول التفاهم، الأثر الكبير في أن توازن القوى أخذ يتحول إلى صالح دول التفاهم، وكان اشتراك الولايات المتحدة الأمريكية في الحرب له الأثر على دول القارة الأمريكية، حيث إنها أيدت أمريكا بإعلانها الحرب على ألمانيا، وبذلك يمكن القول أن اشتراك أمريكا كان له أهمية قصوى في حسم المعركة لصالح الدول المتفاهمة.

خامساً: خرجت ألمانيا من الحرب مهزومة، واعتبرت أنها المسؤولة عن إثارة الحرب العالمية الأولى، وبذلك فرض عليها الحلفاء شروط قاسية وتأديبية، في معاهدة فرساي وكانت مسألة التعويضات من أشدها وأقصاها، كما فرض عليها عقوبات صارمة، وتم سحق قوتها العسكرية، وإجبارها على إلغاء التجنيد الإجباري، وأن تسلم أسطولها، وحرمانها من بناء الغواصات، ومن بناء قواتها الجوية، والبحرية، وأن تسلم ما تملكه من طائرات.

سادساً: وكان من نتيجة معاهدة فرساي بالنسبة لألمانيا ،أن خسرت من أراضيها ما بين 15 ألف ميل مربع و 25 ألف ميل مربع ،ومن سكانها ستة ملايين، وحرمت من مواردها من المواد الخام مثل الحديد، والفحم .وزيت البترول ،والرصاص .

سابعاً: فقدت الدول الأوروبية في الحرب العالمية الأولى ،من زهرة شبابها ما يقرب من 10 ملايين نسمة ،وبذلك أخلت التوازن بين الذكور والإناث ،وبذلك قل الإنتاج ،كما تحطمت المصانع والمعامل .

ثامناً : أكد البحث عن ظهور منظمة دولية لحفظ السلام والأمن ،إلا أن هذه المنظمة لم تتجح في القيام بمهامها نظراً لأنها لم تصبح منظمة عالمية ،بسبب عدم انضمام الولايات المتحدة الأمريكية وانسحاب روسيا، وألمانيا ، وإيطاليا منها. كما سيطرت الدول الأوروبية بريطانيا، وفرنسا على المنظمة ،وبالتالي أصبحت المنظمة أوروبية صرفة ،كما أن ضم ميثاق المنظمة إلى معاهدة فرساي ،ساهم مساهمة كبيرة في فشل المنظمة في أداء مهامها بصورة صحيحة .

تاسعاً: أثبت البحث عن أن ثلاث أسر قد زالت بعد أن حكمت أوروبا مدة طويلة،وهي أسرة رومانوف في روسيا ،وأ أسرة الهابسبرج في النمسا، وأسرة هوهنزولرن في ألمانيا.

عاشراً: أشار البحث إلى اختفاء أربع إمبراطوريات ،وهي إمبراطورية النمسا والمجر ،والإمبراطورية العثمانية، والإمبراطورية الروسية ،والإمبراطورية الألمانية .

الحادي عشر: أتضح من خلال البحث انتشار الجمهوريات في أوروبا ،بعد قيام الحرب العالمية الأولى ،بعد أن كان النظام الملكي هو السائد في أوروبا عدا فرنسا وسويسرا،وبذلك أصبح في أوروبا سبع عشرة جمهورية .

الثاني عشر: أكد البحث على ظهور الدول القومية الجديدة، لم تكن موجودة قبل الحرب العالمية الأولى، وهي تشيكوسلوفاكيا، ويوغسلافيا، وفلندا، ولاتفيا، واستونيا، وبولندا.

الثالث عشر: أوضح البحث أن الحرب العالمية الأولى قلبت التوازن الدولي في العالم، إذ لم تعد الدول الأوروبية هي القوية في العالم، وإنما ظهرت الولايات المتحدة في العالم الجديد، كأقوى دولة وأغنى في العالم الجديد، كما ظهرت اليابان في آسيا دولة قوية سياسياً، واقتصادياً، وعسكرياً.

المصادر والمراجع

- 1- ا.ه.كار: العلاقات الدولية منذ معاهدات الصلح 1919-1939م، ترجمة سمير شيخاني، دار الجيل، بيروت لبنان، 1992م.
- 2- بطرس غالي ومحمود خيرى عيسى: المدخل في علم السياسة، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، 1988م.
- 3- جورج لنتوفسكي : الشرق الأوسط في الشؤون العالمية، تعريب جعفر خياط، دار الكشاف، بغداد، 1959م.
- 4- رياض الصمد : العلاقات الدولية في القرن العشرين، ط3، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت، 1986م.
- 5- شوقي الجمل، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث، مكتبة الانجلو المصرية، 1977م .
- 6- شوقي الجمل وعبدالله عبد الرازق إبراهيم: تاريخ أوروبا، نشر المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، 2000م.
- 7- عبد الحميد البطريق : التيارات السياسية المعاصرة 1815-1960م، دار النهضة للطباعة والنشر، بيروت لبنان، 1974م.

- 8- عبد العزيز نوار و عبد المجيد نعنعي: التاريخ المعاصر أوروبا، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت لبنان 1973م.
- 9- عبد العزيز نوار ومحمود محمد جمال الدين: التاريخ الاوروبي الحديث من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1990م
- 10- عمر عبد العزيز عمر: تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر 1815-1919م، دار المعرفة الجامعية، القاهرة، 2000م.
- 11- فتحية النبراوي و محمد نصر مهنا: أصول السياسة الدولية ،نشر نشأة المعارف ،الإسكندرية، 1985م.
- 12- محمد العزيز مهنا: النظريات والنظم السياسية، دار النهضة للطباعة ،بيروت لبنان، 1981م.
- 13- مفيد محمود شهاب : المنظمات الدولية ،دار النهضة العربية . ط2، 1977.
- 14- ميلاد المقرحي : تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر ، الجامعة المفتوحة طرابلس 1991م .
- 15- هـ. تمبرلي. و. ا. ج. جرانت: أوروبا في القرنين التاسع عشر والعشرين 1789-1950م، ج. 2.
- 16- هيربرت. فيشر: تاريخ أوروبا في العصر الحديث 1789-1950م، تعريب أحمد نجيب هاشم و وديع الضبع ،دار المعارف بمصر ، القاهرة ، د.ت.
- 17- نيل.م. هايمان: الحرب العالمية الاولى ، ترجمة حسن عويضة ، مراجعة سامر أبوهواش ،هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة ، 2012.

الاجتهاد في تحقيق المناط في ضوء مقاصد الشريعة

د: امحمد عبدالحميد المدني

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله الذي أنعم علينا بالعقل، ونور قلوبنا بنور الهداية والفهم، والصلاة والسلام على صاحب العقل الأكمل، والقلب الأثور، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد، فيعدُّ الاجتهاد من أهم أبواب أصول الفقه وأبرزها، فهو دالٌّ على صلاحية الشريعة لكل زمان ومكان، واستمرارها وتجديدها، وقد ذكر الأصوليون أنواع الاجتهاد مفصلة في كتبهم، وربط بعض الأصوليين الاجتهاد بتحقيق المناط، إذ الاجتهاد في تحقيق المناط هو طوق النجاة الذي نتشبت به في مواجهة هذا الكم الهائل من المسائل المتجددة التي تحتاج إلى بيان حكمها للناس، والمطالع لكتب أصول الفقه يجد مصطلحات تحقيق المناط، وتخريجه وتنقيحه شائعة عند الأصوليين، ويمكن أن يلتمس ارتباطها بمقاصد الشريعة في ثنايا كتبهم، ولكن دون تصريح بذلك الربط، فجاء هذا البحث لدراسة تلك الروابط وحدودها ومدى تأثيرها في الاجتهاد في تحقيق المناط، فكان عنوان البحث (الاجتهاد في تحقيق المناط في ضوء مقاصد الشريعة).

ولكي أستغل الوقت والجهد، فقد قسمت البحث إلى: مبحثين تسبقهما مقدمة، وتلحقهما خاتمة.

أما المقدمة فكان فيها: أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وهيكلية البحث.

بينما جاء المبحث الأول بعنوان: (تحقيق المناط مفهومه وعلاقته بالاجتهاد).

ثم المبحث الثاني بعنوان: (أنواع الاجتهاد في تحقيق المناط وعلاقته بمقاصد الشريعة).

وأما الخاتمة فقد سجّلت فيها ما توصلت إليه من نتائج وتوصيات. والله أسأل التوفيق

والسداد .

المبحث الأول: تحقيق المناط مفهومه وعلاقته بالاجتهاد**أولاً مفهومه:**

لكي يتجلى لنا تصوراً دقيقاً لمفهوم تحقيق المناط؛ لابد من الغوص في تعريفه، وذلك بتجزئة كلماته، والنظر في مفهومها ودلالاتها ؛ لأن لكل لفظة معنى يخصها ويعبر عنها، ثم العودة إلى جمعها وتركيبها لنصل إلى مفهوم واضح وجلي لمصطلح "تحقيق المناط" باعتباره علماً.

المعنى الأول: باعتباره مركباً لفظياً:**أولاً- معنى التحقيق:**

التحقيق لغة⁽¹⁾: مصدر الفعل حَقَّقَ يحقق، ويرد في اللغة على عدة معان، أهمها:
-الوجوب والإثبات: يقول تعالى: {أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنقِذُ مَنْ فِي النَّارِ} [الزمر 19] أي : وجبت وثبتت.

-الإحكام والتصديق والتصحيح: ومنه قولهم: أَحَقَّقْتُ الأمرَ إِحْقَاقاً، إِذَا أَحْكَمْتَهُ وَصَحَّحْتَهُ وَتَيَقَّنْتَ مِنْهُ، وكلام محقق أي: محكم.

- والحق نقيض الباطل، وجمعه حقوق، وأحقه إِذَا كَانَ عَلَى يَقِينٍ مِنْهُ.
والمعاني اللغوية كلها متقاربة من بعضها، فالشيء إِذَا ثَبَتَ فَهُوَ وَاجِبٌ وَمَتَحَقِّقٌ مِنْهُ وَهُوَ مُخَالِفٌ لِلْبَاطِلِ.

التحقيق اصطلاحاً: لم يهتم العلماء بوضع حد للتحقيق في الاصطلاح؛ لأنهم ربما اكتفى بالتعريف اللغوي واستخدموه للدلالة الاصطلاحية للتحقيق؛ ولكن يمكن وضع تعريف

(1) ينظر التعريف اللغوي في: الصحاح: للجوهري، تح: أحمد عبدالغفور، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1407هـ، 4/1460، القاموس المحيط: للفيروز آبادي، ص: 1130، لسان العرب: لابن منظور، دار صادر بيروت، ط1، 49/10 .

للتحقيق في الاصطلاح انطلاقاً من المعنى اللغوي، فنقول: هو إثبات شيء متأكد من صحته وصدقه.

ثانياً- مفهوم المناط:

لغة: من الفعل ناط، وجمعه أنواط، ويراد به في اللغة تعليق شيء بشيء، يقال: ناط القربة بنياطها، أي: علقها، والمناط: موضع التعليق، ومنه النياط: وهو عرق غليظ متصل بالقلب من الوتين⁽¹⁾، ونلخص من ذلك إلى أن المناط في اللغة هو: موضع تعليق الشيء المحسوس.

المناط اصطلاحاً: تواطأت كتب الأصول على إطلاق المناط على العلة⁽²⁾، وهذا التعبير هو تعبير مجازي؛ لأن الحكم لما عُلّق بالعلة كان كالشيء المحسوس الذي تعلّق بغيره، وقد نقل الزركشي عن ابن دقيق العيد قوله: «وتعبرهم عن العلة بالمناط من باب المجاز اللغوي، لأن الحكم لما علق بها كان كالشيء المحسوس الذي تعلق بغيره، فهو من باب تشبيه المعقول بالمحسوس، وصار ذلك في اصطلاح الفقهاء بحيث لا يفهم عند الإطلاق غيره»⁽³⁾.

المعنى الثاني: باعتباره لقباً :

اختلفت كلمة الأصوليين -بعد أن اتفقوا على أن المراد به الاجتهاد في وجود العلة أحاد الصور- في تحديد نوع العلة التي يراد تحقيقها، فانقسم الأصوليون على ثلاثة

(1) ينظر: تاج اللغة: للجوهري، تح: أحمد عبدالغفور، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1407هـ، 1165/3 وما بعدها، تهذيب اللغة: 4/424، لسان العرب: 7/418.

(2) ينظر: إرشاد الفحول: للشوكاني، تح: أحمد عزو، دار الكتاب العربي، ط1، 1419هـ، 141/2، الإحكام في أصول الأحكام: للأمدى، تح: عبدالرزق عفيفي، مؤسسة النور، الرياض، ط1402هـ، 302/3، البحر المحيط في أصول الفقه: للزركشي، تح: محمد تامر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421هـ، 227/4.

(3) البحر المحيط: 4/224.

اتجاهات: الاتجاه الأول: فنجد أن تحقيق المناط يراد به عندهم: "النظر في معرفة وجود العلة في آحاد الصور بعد معرفتها في نفسها وسواء كانت معروفة بنص أو إجماع أو استنباط"⁽¹⁾، فأصحاب هذا الاتجاه حصروا دلالة تحقيق المناط في العلة فقط دون سواها.

الاتجاه الثاني: نجدهم قد وسّعوا قليلا في إفاضة دلالة تحقيق المناط لتشمل وجود العلة في الفروع والجزئيات، وكذلك وجود معناها في القاعدة الكلية في الفروع والجزئيات، وهذا يمكن التماسه من تعريف الطوفي لتحقيق المناط بأنه "إثبات علة حكم الأصل في الفرع، أو إثبات معنى معلوم في محل خفي فيه ثبوت ذلك المعنى، وهو موجود في النوعين"⁽²⁾، وقد مثل له بقوله: "كجعل علة وجوب كفارة رمضان وقاع مكلف أعرابي لاطم في صدره في زوجة في ذلك الشهر بعينه، فيلحق به من ليس أعرابيا ولا لاطما، والزاني، ومن وطئ في رمضان آخر"⁽³⁾.

الاتجاه الثالث: كانوا أكثر جرأة من أصحاب الاتجاه الثاني في توسيع مفهوم تحقيق المناط، ليشمل تطبيق المعنى الكلي على الجزئيات، سواء كان قاعدة كلية، أو أصلا لفظيا عاما، أو أصلا معنويا عاما، ويمثل هذا الاتجاه الشاطبي حيث يغرف تحقيق المناط بقوله: "ومعناه أن يثبت الحكم بمدركه الشرعي، لكن يبقى النظر في تعيين محله، وذلك أن الشارع إذا قال: {وَأَشْهَدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ} [الطلاق:2]، وثبت عندنا معنى العدالة شرعا؛ افتقرنا إلى تعيين من حصلت فيه هذه الصفة، وليس الناس في وصف العدالة على حد سواء، بل ذلك يختلف اختلافا متباينا"⁽⁴⁾، فجعل الشاطبي الاجتهاد في

(1) الإحكام في أصول الأحكام : للأمدى 3/335، وينظر: البحر المحيط: للزركشي: 228/4 .

(2) شرح مختصر الروضة: للطوفي، تح: عبدالله بن عبدالحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1،

1407هـ 3/236.

(3) المصدر السابق: 3/237.

(4) الموافقات، تح: عبدالله دراز، دار المعرفة، بيروت، 4/90.

تنزيل الأحكام الشرعية العامة والمطلقة وتطبيقها على أفعال المكلفين من قبيل الاجتهاد في تحقيق المناط.

الترجيح: من خلال عرض المفهوم لتحقيق المناط باتجاهاته الثلاثة، فأرجح المنهج الثالث في تحديد مفهوم تحقيق المناط؛ لأنه أوسع وأشمل من الاتجاهين السابقين، والشمول أولى من التضييق، ولأن الاتجاه يدخل فيه معنى الاتجاه الأول والثاني، وبهذا يكون المعنى الثالث عام يدخل فيه المعنى الأول والثاني.

ويمكن إيراد بعض الأمثلة لكي يتجلى مفهوم تحقيق المناط -الراجح عندي- ويتضح للقارئ: - {وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّدًا فَجَزَاءٌ مِثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ} [المائدة: 95]، فالآية تقر قاعدة شرعية في حكم من تعدى على الصيد وهو محرم، والحكم هو: وجوب المثل في جزاء الصيد، ومناط الحكم في الآية: المثلية، وهنا يأتي دور المجتهد ليتحقق من وجود المناط "المثلية" في الفرع "الأنعام" فمثلا يرى بعد الاجتهاد أن البقرة مثل الحمار الوحشي في أكثر أوصافها فتكون هي الواجب، والعنز مثلا للغزال، وهذا هو تحقيق المناط.

- قول النبي صلى الله عليه وسلم «إِنَّهَا لَيْسَتْ بِنَجَسٍ إِنْمَا هِيَ مِنَ الطَّوَافِينَ عَلَيْكُمْ أَوْ الطَّوَافَاتِ»⁽¹⁾ مبينا عدم نجاسة الهرة، فالحكم الذي يقرره الحديث: أن الهرة ليست نجسة، ومناط الحكم "الطواف"، ويبقى دور المجتهد في البحث عن مدى تحقق هذه العلة في الطوافين علينا من غير الهرة من الحشرات.

ثانيا: علاقة تحقيق المناط بالمصطلحات المشابهة:الدراس لكتب الأصول وخاصة باب القياس منه؛ يجد ألفاظا تدور حول المناط، وهي: تحقيق المناط، تخريج المناط، تنقيح المناط، وبعد أن تعرفنا على مفهوم تحقيق المناط، كان لزاما علي أن أبين علاقته بتلك الألفاظ القريبة منه.

(1) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب: الطهارة، باب ما جاء في سؤر الهرة، حديث رقم (92)، 153/1، تح:

أحمد محمد شاكر وآخرون ، دار إحياء التراث العربي - بيروت، د.ت.

1- **تنقيح المناط:** عرفه الأمدي: بأنه: " النظر والاجتهاد في تعيين ما دل النص على كونه علة، من غير تعيين بحذف ما لا مدخل له في الاعتبار مما اقترن به من الأوصاف⁽¹⁾ "

إذن فتتقيد المناط هو تهذيب العلة التي علق الشارع بها الحكم وتجريدها مما ليس منها وهو موجود في النص، مثلاً: حديث الأعرابي الذي وقع على زوجته في رمضان فيه بعض الأوصاف المذكورة في النص ولكن هي بعيدة عن كونها علة للحكم: كنتف الشعر، ولطم النحر، وأنه أعرابي، وأن الوطء في يوم مخصوص؛ فنص الحديث: "جاء أعرابيا إلى رسول الله، يَضْرِبُ نَحْرَهُ وَيَنْتِفُ شَعْرَهُ وَيَقُولُ: هَلْكَ الْأَبْعَدُ. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ؟: " وَمَا ذَاكَ؟ " فَقَالَ: أَصَبْتُ أَهْلِي وَأَنَا صَائِمٌ فِي رَمَضَانَ. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ؟: " هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُعْنِقَ رَقَبَةً؟ " فَقَالَ: لَا فَقَالَ: " هَلْ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُهْدِيَ بَدَنَةً؟ " قَالَ: لَا، قَالَ: " فَاجْلِسْ ". فَاتَى رَسُولُ اللَّهِ؟ بِعَرَقِ تَمْرٍ، فَقَالَ " خُذْ هَذَا فَتَصَدَّقْ بِهِ ". فَقَالَ: مَا أَحَدٌ أَحْوَجَ مِنِّي. فَقَالَ: " كُلْهُ، وَصُمْ يَوْمًا مَكَانَ مَا أَصَبْتَ "⁽²⁾.

2- **تخريج المناط:** عرفه الأمدي: بأنه "النظر والاجتهاد في إثبات علة الحكم الذي دل النص أو الاجماع عليه دون عليته"⁽³⁾.

أي أن تخريج المناط قائم على الاجتهاد في إثبات العلة للحكم الذي لم ينص الشارع على علقته، ومثاله: ما قرره العلماء من أن ذهاب العقل هو علة تحريم الخمر، حيث جاء النص على تحريم الخمر، ولكن لم يبين العلة في تحريمه، وكذلك الاجتهاد في استخراج علة تحريم الربا، فالنص لم يذكر علة لذلك.

(1) الأحكام: للأمدي: 303/3 .

(2) أخرجه مالك في الموطأ: كتاب الصيام، باب: كفارة من أفطر في رمضان، تح: محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان، ط1، 1425هـ، 297/1 .

(3) الأحكام: 303/3 .

وبعد عرض التعريفات، يمكننا إجراء مقارنة عادلة بين تلك المصطلحات على النحو التالي:

أولاً: أوجه الاتفاق بينها:

كل تلك المصطلحات تتفق في كونها تتعلق بالعلة تنقيحاً أو تخريجاً أو تحقيقاً.

ثانياً: أوجه الاختلاف بينها:

1- أن تحقيق المناط هو جانب تطبيقي للحكم بعد ثبوت العلة، بينما نجد أن التنقيح والتخريج يتعلقان بجانب المشروعية أصلاً.

2- أن تخريج المناط وتنقيح المناط هما مسلكان من مسالك إثبات العلة، أما تحقيق المناط فلا يرد إلا بعد ثبوت العلة .

3- أن بينهما خصوص وعموم، فالتحقيق أعم منهما لوروده على العلة وعلى غيرها، أما التخريج والتنقيح فهما خاصان بالعلة فقط.

4- كذلك من عموم التحقيق أنه يرد على العلة المنصوصة، والمستنبطة، أما التنقيح فلا يرد إلا على المنصوصة، والتخريج مورده العلة المستنبطة.

ثالثاً: علاقة تحقيق المناط بالاجتهاد:

الاجتهاد: بذل الوسع والطاقة في تحصيل امر شرعي.

من خلال عرض مفهوم الاجتهاد، وقبله مفهوم تحقيق المناط، يمكن القول بأن تحقيق المناط هو عين الاجتهاد، إذ لا يُتصور تحقق تحقيق المناط بدون اجتهاد صحيح، فلا يتأتى الفصل بين الاجتهاد وبين تحقيق المناط.

يقول الشاطبي مبينا العلاقة الوثيقة بين الاجتهاد وتحقيق المناط: "الاجتهاد على ضربين: أحدهما لا يمكن أن ينقطع حتى ينقطع أصل التكليف، وذلك عند قيام الساعة، والثاني: يمكن أن ينقطع قبل فناء الدنيا؛ فأما الأول: فهو الاجتهاد المتعلق بتحقيق

المناط، وهو الذي لا خلاف بين الأمة في قبوله⁽¹⁾.

وعلى هذا فإن أغلب الأصوليين ينظر إلى أن تحقيق المناط هو أهم أنواع الاجتهاد وأنه الثمرة المرجوة منه، إذ أن تحقيق المناط هو النظر والتحصيص في تحقق العلة في الفرع المراد الحكم عليه، وهذا متجدد لا يتوقف، فمثلاً: قوله تعالى ﴿وَأَشْهَدُوا ذَوِي عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ﴾ [الطلاق: 2] فالآية دلت على إسهاد العدل، ولكن هذا وصف عام يحتاج من ينزله على المعينين، وهذا التنزيل هو اجتهاد المجتهد لكي يتحقق له هل هذا من ذوي العدل أم لا، وقبله لابد من الاجتهاد في تحديد معنى العدالة، وهذا يستلزم منه عدم انقطاع الاجتهاد؛ لأن الاجتهاد في فهم معنى العدالة وتنزيلها على المعينين خاضع لتغير الزمان والمكان، فعلى المجتهد أن يطبق ذلك على الشهود في كل ما يطرأ له من حوادث، وهذا هو الاجتهاد في تحقيق المناط، ويمكن أن نسميه الاجتهاد التنزيلي، يقول القرافي مقرراً ما تقدم: "وهذا النوع من تحقيق المناط هو الاجتهاد الذي لا يمكن أن ينقطع حتى ينقطع أصل التكليف، ... وذلك لأن هذا النوع الخاص من تحقيق المناط كلي في كل زمان، عام في جميع الوقائع، أو أكثرها، فلو فرض ارتفاعه لارتفع معظم التكليف الشرعي أو جميعه"⁽²⁾.

فالاجتهاد يبدأ بفهم النص الشرعي وإدراكه بشكل عام، ثم تصور الفرع تصوراً دقيقاً، وبعدها يأتي الاجتهاد التنزيلي أي تنزيل النص على كل جزئية جديدة بعد التأكد من تحقق العلة فيها؛ لأن الشارع لم يعين لنا الجزئيات بل تركها للمجتهد وهذا ما يسمى الاجتهاد في تحقيق المناط؛ لأن تعيينها يستلزم منه توسع النصوص وإطالتها بما لا يمكن الإحاطة به، وهذا هو الاجتهاد الذي لا ينقطع أبداً، فيجب الاجتهاد في تحديد معنى العدالة، والنفقة، والفقر، وغيرها من المصطلحات الشرعية المنصوص عليها، بما يحقق المقصد

(1) الموافقات: 89/4.

(2) أنوار البروق في أنواع الفروق: 385/1 .

الشرعي من تطبيق النص بتنزيله على الحوادث الجديدة، وبهذا يبقى النص صالحاً للتطبيق في كل زمان ومكان، مهما تباعدت الأزمان، أو تغيرت الأمكنة، فمقدار الفقر يختلف من زمان إلى زمان، وكذلك حد الفقير يختلف من بلد إلى بلد، ومن زمان إلى زمان، ناهيك عن مقدار النفقة التي تغيرها الأزمنة والأمكنة.

المبحث الثاني: أنواع الاجتهاد في تحقيق المناط وعلاقته بمقاصد الشريعة: قبل

الخوض في أنواع الاجتهاد في تحقيق المناط لابد من تقديم مقدمة نشرح فيها مفهوم المقاصد وأهميتها في تقرير الأحكام الفقهية، فمقاصد الشريعة: هي المعاني والحكم التي راعاها الشارع في التشريع لتحقيق مصالح العباد⁽¹⁾.

وقد نقل السيوطي عن الغزالي قولاً مهما يُبين فيه أهمية اعتبار مقاصد الشريعة في تنزيل الأحكام على الأعيان: "مقاصد الشرع قبلة المجتهدين من توجه إلى جهة منها أصاب الحق"⁽²⁾.

إن المتأمل في الأحكام الشرعية يجد فيه ثلاثة أمور: الوصف الظاهر المنضبط وهو العلة، وما في الفعل من نفع وضرر، يعبر عنه بالمصالح والمفاسد، أو حكمة التشريع، وما يترتب على التشريع من جلب منفعة أو دفع مضرة ويسمى مقصد التشريع. وهذه سمة ملازمة لكل أحكام الشرع، فما من حكم إلا وقد فُرر لرعاية مصلحة أو درء مفسدة.

فإذا كانت مقاصد الشريعة بهذا الشمول والعموم من الهيمنة على أحكام الشريعة وارتباط التشريع بها في كل جزئياته، كانت معرفتها بالتالي أمراً ضرورياً على الدوام عليه كان لزاماً على المجتهد في تحقيق المناط أن يجعل لمقاصد الشريعة اعتباراً في تقريره للحكم

(1) مدخل إلى مقاصد الشريعة: لأحمد الريسوني، دار الكلمة للنشر، القاهرة، 2009م، ص7، علم مقاصد

الشريعة: لنور الدين الخادمي، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1421هـ، ص15-16.

(2) الرد على من أخلد إلى الأرض وجهل أن الاجتهاد في كل عصر فرض: للسيوطي، تح: فؤاد عبد المنعم

النمر، مؤسسة شباب الجامعة، مصر، 1405هـ-1985م، ص182.

الشرعي، وإلا كان حكمه جامدا مخالفا للواقع لا يحقق مقصد الشارع منه، خاصة في هذا التطور السريع الذي نعيشه.

وبعد هذا العرض السريع لمفهوم المقاصد وأهميتها للمجتهد، نبين أنواع تحقيق المناط، وهي: نوعان، خاص، وعام:

النوع الأول: المناط العام:

وهو ما كان فيه اجتهاد المجتهد من أجل إيقاع الحكم على واقعة، شخص، دون اعتبار للظروف والملابسات المحيطة بتلك الواقعة، أو ذلك الحكم، فمثلا: مناط وجوب الصوم؛ ان يشهد المكلف شهر رمضان، مقيما صحيحا، ومناط حد شرب الخمر؛ أن يُدخل مسلم غير مضطر على نفسه ما يذهب عقله عالما بحرمة.

النوع الثاني: المناط الخاص: هو النظر الخاص الذي يلزم الفقيه حين يوقع المناط

العام على الواقعة المعينة أو الشخص المعين⁽¹⁾، فهو أشد تعقيدا من العام، لأنه تنزيل للحكم على واقعة معينة أو شخص محدد، فهذا الذي تُراعى فيه المقاصد للنظر في مدى تحقق قصد الشارع من وراء إنزال الحكم على ذلك المعين.

فقد يكون العمل في الأصل مشروعاً، ولكن ينهى عنه لما يؤول إليه من المفسدة، أو يكون ممنوعاً، ولكن يترك النهى عنه لما في ذلك من المصلحة.، يقول الشاطبي: " النظر في مآلات الأفعال معتبر مقصود شرعا كانت الأفعال موافقة أو مخالفة وذلك أن المجتهد لا يحكم على فعل من الأفعال الصادرة عن المكلفين بالإقدام، أو بالإحجام، إلا بعد نظره إلى ما يؤول إليه ذلك الفعل مشروعاً لمصلحة فيه تستجلب، أو لمفسدة تدرأ، ولكن له مآل على خلاف ما قصد فيه، وقد يكون غير مشروع لمفسدة تنشأ عنه أو مصلحة تندفع به، ولكن له مآل على خلاف ذلك، فإذا أطلق القول في الأول بالمشروعية؛ فربما أدى

(1) ينظر: أنوار البروق: 384/3.

استجلاب المصلحة فيه إلى تساوي المفسدة بالمصلحة، أو تزيد عليها؛ فيكون هذا مانعا من إطلاق القول بالمشروعية، وكذلك إذا أطلق القول في الثاني بعدم مشروعية، ربما أدى استدفاع المفسدة إلى مفسدة تساوي أو تزيد، فلا يصح إطلاق القول بعدم المشروعية، وهو مجال للمجتهد صعب المورد، إلا أنه عذب مذاق، محمود الغب، جار على مقاصد الشريعة⁽¹⁾.

كالمرأة إذا خافت على نفسها من جور السلطان -خاصة في الدولة الكافرة- إذا لبست اللباس الشرعي الذي يغطي جميع بدننها دون أن يحجم العورة، أو يصفها، فلها أن تخفف من ذلك اللباس، مع مراعاته عدم مخالفة نص النبي صلى الله عليه وسلم في وصف لباس المرأة، فلها أن تلبس جلبابا قصيرا ينزل حتى الركبة وتحتة بنظالا بشرط أن يكون فضفاضاً، فهذا الاجتهاد في تحقيق المناط هو خاص بهذه الحالة مراعاة لمقاصد الشريعة، لأنه الأولى المحافظة على النفس.

وكذلك يمكن التمثيل له بما ذكره ابن القيم عن شيخه ابن تيمية، ، أنه قال: "مررت أنا وبعض أصحابي في زمن التتار بقوم منهم يشربون الخمر، فأنكر عليهم من كان معي، فأنكرت عليه، وقلت له: إنما حرم الله الخمر لأنها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة، وهؤلاء يصددهم الخمر عن قتل النفوس وسبي الذرية وأخذ الأموال فدعهم"⁽²⁾، حيث منعهم ابن تيمية من أمر مقرر بالقرآن الكريم، وهو وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي يحقق مصلحة ملموسة للإسلام والمسلمين؛ وذلك لما سبترتب عليه من شر هو أشد وأعظم خطرا على المسلمين في ذلك الوقت من المصلحة بالأمر والنهي به، وهذا الذي لمسه ابن القيم من تلك الفتوى للشيخ حيث قال معلقا على ذلك: "وهذا من عجيب

(1) الموافقات: 4/194-195

(2) إعلام الموقعين: تح: طه عبدالرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1388هـ، 4/3.

حكيمته وإقتداره في العلم والفتوى رحمه الله رحمة واسعة»⁽¹⁾

الخاتمة

الحمد لله أولاً وآخراً، وأصلي وأسلم على خير خلقه محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه، بعد هذه الدراسة العميقة لموضوع الاجتهاد في تحقيق المناط في ضوء مقاصد الشريعة، يجدر بي أن أسجل بعض ما توصلت إليه من نتائج وتوصيات لطلاب العلم والباحثين.

أولاً- النتائج:

1: إن تحقيق المناط من أهم أنواع الاجتهاد وأدقها، بل لا يمكن تصور لتحقيق المناط بدون اجتهاد .

2: أن تحقيق المناط يرد على العلة وعلى غيرها، فهو أعم من تنقيح المناط وتخريج المناط.

3: إن تحقيق المناط لا يُقيد بالمنصوص فقط، فقد يكون مستنبطاً أيضاً.

4: أن مقاصد الشريعة ترتبط ارتباطاً تلازمياً في تقرير الأحكام الفقهية.

5: أنه يجب على المجتهد في تحقيق المناط أن يراعي مقاصد الشريعة في تحقيقه.

ثانياً- التوصيات:

1: أن يهتم طلاب العلم والباحثين بدراسة تحقيق المناط، لأنه أهم أبواب الاجتهاد التي نحتاجها فيما يستجد لنا من مسائل.

2: أن يهتم قسم الدراسات الإسلامية بكليتنا بتوجيه طلاب الدراسات العليا لدراسة

(1) المصدر السابق: 4/3.

موضوعات أصول الفقه وتسجيل رسائلهم في ذلك، وذلك لندرة هذا التخصص في الكلية خاصة، وفي الجامعات الليبية عامة.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

1. الإحكام في أصول الأحكام : للآمدي، تح: عبدالرزق عفيفي، مؤسسة النور، الرياض، ط1402هـ.
2. إرشاد الفحول: للشوكاني، تح: أحمد عزو، دار الكتاب العربي، ط1، 1419هـ.
3. إعلام الموقعين: تح: طه عبدالرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة، 1388هـ.
4. البحر المحيط في أصول الفقه: للزركشي، تح: محمد تامر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1421هـ.
5. تاج اللغة: للجوهري، تح: أحمد عبدالغفور، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1407هـ.
6. التعريف اللغوي في: الصحاح: للجوهري، تح: أحمد عبدالغفور، دار العلم للملايين، بيروت، ط4، 1407هـ.
7. الرد على من أخلد إلى الأرض وجهل أن الاجتهاد في كل عصر فرض: للسيوطي، تح: فؤاد عبد المنعم النمر، مؤسسة شباب الجامعة، مصر، 1405هـ - 1985م.
8. سنن الترمذي، تح: أحمد محمد شاكر وآخرون ، دار إحياء التراث العربي - بيروت، د.ت.

9. شرح مختصر الروضة: للطوفي، تح: عبدالله بن عبدالحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1407هـ.
10. علم مقاصد الشريعة: لنور الدين الخادمي، مكتبة العبيكان، الرياض، ط1، 1421هـ.
11. القاموس المحيط: للفيروز آبادي، ص: 1130، لسان العرب: لابن منظور، دار صادر بيروت، ط1.
12. مدخل إلى مقاصد الشريعة: لأحمد الريسوني، دار الكلمة للنشر، القاهرة، 2009م.
13. الموافقات: للشاطبي، تح: عبدالله دراز، دار المعرفة، بيروت.
14. الموطأ: لإمام مالك، تح: محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان، ط1، 1425هـ.

العلامة الفقيه: علي بن أبي بكر الحضيبي.. وكتابه الفتح والتيسير

(950 - 1061 هـ)

د. فرج رمضان الشبيلي

أ. جمعة عيد الشف

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، نبينا محمد الصادق الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

فإن الحديث عن العلماء الأعلام، والرجال الذين تركوا أثراً في جهودهم وأعمالهم مما ينشوق إليه القارئ، ويتطلع إليه ذوو المعرفة؛ لأن سجل الأمة لا يرصد إلا بجهود رجالها، ولا تبرز مكانتها إلا بما تحقق من تلك الأعمال التي كانت موضع اهتمام أعلام الأمة على اختلاف مهامهم في المسيرة، إذ كل فرد قد يبرز في ميدان غير ميدان الآخر.

والشيخ علي بن أبي بكر الحضيبي، واحد من علماء هذه البلاد - ليبيا - الذين اهتموا بالعلم وبذلوا طاقتهم في نيل المراتب الرفيعة منه متابعة وشداً للرحال؛ بدافع الهمة وحب العلم لذات العلم، حيث بذل في سبيله أقصى ما يستطيع من جهد وتغرب عن الأوطان؛ إرضاء لنهمة في نفسه، وحباً في الارتقاء درجات في المكانة العلمية، وتحمل في هذا الطريق المشاق متمثلاً بقول الشاعر:

وَمَا الْمَرْءُ إِلَّا حَيْثُ يَجْعَلُ نَفْسَهُ ... فَكُنْ طَالِباً فِي النَّاسِ أَعْلَى الْمَرَاتِبِ

فصبر وصابر واغترب وتحمل في زمن تشق الغربة ويشند ألمها، ولسان حاله

يردد مع الإمام الشافعي رحمه الله قوله:

تَعَزَّبَ عَنِ الْأَوْطَانِ فِي طَلَبِ الْعُلَى ... وَسَافِرٌ فِي الْأَسْفَارِ حَمْسُ فَوَائِدِ
تَقْرُجُ هَمَّ وَاكْتِسَابَ مَعِيشَةٍ ... وَعِلْمٌ وَأَدَابٌ وَصُحْبَةٌ مَاجِدِ

فكان متأسيماً بالعلماء من سلف هذه الأمة في حب العلم دراسة وتدریساً وتحمل شطف العیش في سبيله؛ استهانة بالتعب ووعثاء السفر، واحتساب كل ذلك لله سبحانه، فحقق الله على يديه خيراً في كل مكان حل فيه، إذ هو كالغيث أينما حل نفع، وهذه هي سمات العلماء المخلصين، فلم يكل ولم يمل حتى وافاه الأجل وهو على همته في الدعوة والتعليم، وإلى جانب ذلك لم يهمل الشيخ - رحمه الله - جانب التأليف بل كانت له عدة مؤلفات من أبرزها منظومته الموسومة ((بالفتح والتيسير)) ومن خلال هذه الورقة سنحاول إلقاء الضوء على جوانب من حياته للتعريف به والوقوف على أنيعة ثماره في ميدان العلم والمعرفة ورفع اللثام عن أهم السمات التي امتازت بها منظومته الفقهية ((الفتح والتيسير)).

أهمية البحث: تهدف هذه الورقة إلى ما يأتي:

- التعريف بأحد أعلام بلادنا - ليبيا - وهو العلامة الشيخ علي بن أبي بكر الحضيرى وبيان جهوده وإسهامه في ميدان العلم، فهو من كبار العلماء وأئمة الفتوى في عصره.
- إبراز الجانب العلمي للشيخ علي الحضيرى من خلال التعريف بآثاره العلمية.
- التعريف بأبرز النتاج العلمي للشيخ علي الحضيرى من خلال التعريف بمنظومته الفقهية الموسومة بـ ((الفتح والتيسير)).
- المنهج المتبع: سيتبع الباحثان المنهج الوصفي الاستقرائي للتعريف بالشيخ علي بن أبي بكر الحضيرى ومنظومته الفقهية الموسومة بـ ((الفتح والتيسير)).

هيكلية البحث: انتظم عقد هذه الورقة في : مقدمة، ومبحثين وهما:

المبحث الأول: في التعريف بالشيخ علي الحضيري:

اسمه ونسبه ومولده ونشأته وطلبه للعلم، وشيوخه، وتلاميذه، ومكانته العلمية وثناء العلماء عليه، ووفاته.

المبحث الثاني: التعريف بمنظومته الفقهية ((الفتح والتيسير)) . ثم الخاتمة.

المبحث الأول

التعريف بالشيخ علي الحضيري

. اسمه ونسبه ومولده ونشأته وطلبه للعلم:-

هو أبو الحسن علي بن أبي بكر بن محمد حضيري بن عبد الله بن إبراهيم بن محمد بن ناعم(1) ولد الشيخ علي الحضيري - رحمه الله - يوم الجمعة ليلة النصف من شعبان سنة: 980 هـ - 1572م ببلدة الجديد(2) مقر إقامته وموطن أسرته، فوالده هو الشيخ أبو بكر بن محمد الحضيري، ووالدته هي الشريفة غصن ابنة الحاج عبد الهادي ابن الشريف كولان بن محمد كولان القادم من مدينة فاس(3) والمقيم ببلدة ودّان (1)، نشأ الشيخ علي

(1) : ترجمة الشيخ علي الحضيري . لعثمان بن علي الحضيري - ابن المؤلف - : (اللوحة : 1) مخ والمسك والريحان فيما احتواه عن بعض أعلام فزان : (ص / 93) وأم الألباز - منظومة لعثمان بن عمر الحضيري : (اللوحة : 234) مخ .

(2) بلدة الجديد : هي الآن حي من أحياء مدينة سبها بليبيا .

(3) فاس : مدينة مغربية عريقة هي من الناحية التاريخية أحد ثلاث عواصم للمغرب وهي علاوة على ذلك مدينة تجارية مزدهرة، وتعتبر المدينة اليوم أكبر مدينة مغربية على الرغم من أنها ليست العاصمة، ويبلغ عدد سكانها حوالي مليون نسمة تقريباً يعملون في العديد من أوجه النشاط الاقتصادي . ينظر : موسوعة (1000) مدينة إسلامية : (ص / 353) .

الحضيري في أسرة تجمع بين طلب العلم وصلاح العمل، فوالده كان عالماً مريباً، وإخوته كانوا جميعاً يحفظون القرآن الكريم، وكان بعضهم عالماً يلقي الدروس ويصدر الفتوى (2)، حيث بدأ الشيخ عليّ - رحمه الله - يتلقى العلم في صغره علي أبيه، فحفظ القرآن الكريم وأخذ دروساً في اللغة العربية وعلم الحديث وغيرها، إلا أن حبه للعلم ورغبته في التبحر في بعض فروع المعرفة وثقافة عصره جعله لم يكتف بما حصل عليه من علم في البيئة التي نشأ فيها، وعليه فقد توجه إلى الأراضي المقدسة لا من أجل أداء فريضة الحج فحسب، وإنما بقصد الاطلاع وطلب العلم أيضاً، وفي طريقه عرج على القاهرة حيث دخل الأزهر وانتظم في رواق المغاربة، حيث أمضى حوالي ست سنوات في مؤسسة الأزهر العلمية تلقى خلالها دروساً كثيرة في العلوم الإسلامية، وقد كانت دراسته لمثل هذه العلوم على يد مشاهير علماء الأزهر في تلك الفترة من أمثال الشيخ إبراهيم اللقاني والشيخ سالم السنهوري والشيخ محمد الشبراوي وغيرهم (3) فقد درس على يد أولئك العلماء مختصر الشيخ خليل، ومصطلح الحديث، والفقه، وألفية ابن مالك، وصحيح البخاري، والفرائض وغيرها، ونال مرتبة عالية في الثقافة، وتبوأ مكانة مرموقة في اللغة العربية وعلوم الدين والفلسفة، وحصل على إجازات حافلة من أولئك العلماء المذكورين (4).

-شيوخه:- لقد اختار الشيخ علي الحضيري من الشيوخ أقطاب المعرفة وأعلام الصلاح والتقوى ممن جمعوا فضائل العلم في عصره، فظهر أثرهم واضحاً في تكوينه العلمي، وسلوكه الخلقى، ومن هؤلاء الشيوخ:-

(1) ودان : مدينة مشهورة تقع في منطقة الجفرة بليبيا تبعد عن الساحل حوالي 250 كم .

(2) ينظر : مقدمة تحقيق كتاب الفتح والتيسير علي الحضيري(ص/10) والمسك والريحان:ص76

(3) سنأتي ترجمتهم بعون الله عند الحديث عن شيوخه. ينظر : ترجمة الشيخ علي الحضيري:(اللوحة : 6) مخ.

(4) ينظر : المسك والريحان : (ص / 103) والحياة العلمية والثقافية في فزان خلال الفترة ما بين القرن السابع عشر والقرن

التاسع عشر . لعبد الله إبراهيم : (1 / 490) .

1: الشيخ أبو النجا سالم بن محمد بن عز الدين بن محمد ناصر الدين بن عز الدين بن ناصر الدين بن عز العرب السنهوري المصري المالكي، كان فقيهاً محدثاً أخذ عن أئمة كالشمس البنوقري، والناصر اللقاني، والنجم الغيطي، وعنه أخذ جلة منهم البرهان اللقاني، والنور الأجهوري، والخير الرملي، وغيرهم، له شرح على مختصر خليل أسماه ((تيسير الملك الجليل لجمع الشروح وحواشي خليل)) ورسالة في ليلة النصف من شعبان، وغير ذلك، توفي في جمادي الأول سنة 1015 هـ (1) وقد أخذ الشيخ علي الحضيري عن الشيخ سالم السنهوري مختصر خليل، ورسالة أبي زيد القيرواني، وألفية العراقي في مصطلح الحديث، وصحيح البخاري، وألفية ابن مالك، وغير ذلك (2). فتفقه عليه واقتبس من فوائده، وكان أكثر شيوخه تأثيراً فيه، وعطفاً عليه، حيث قربه منه وزوجه ابنته (3)، وأجازه في أن يروي عنه.

2: الشيخ أبو الإمداد برهان الدين إبراهيم بن حسن اللقاني المصري، من علماء الحديث وأصوله، والكلام، والفقه، أخذ عن أعلام منهم، صدر الدين المنياوي، وعبد الكريم البرموني، وسالم السنهوري، وعنه أخذ من لا يعد كثرة منهم، ابنه عبد السلام، والخرشي، وعبد الباقي الزرقاني، والشبرخيتي، له تأليف منها: الجوهرة في علم التوحيد، وحاشيته

(1) خلاصة الأثر : (2 / 204) وشجرة النور الزكية : (1 / 418) ومعجم المؤلفين (1 / 750).

(2) مقدمة الفتح والتيسير للشيخ علي الحضيري : (ص / 12) والمسك والريحان : (ص / 103).

(3) ينظر : المسك والريحان : (ص / 129).

على مختصر خليل، ونصيحة الإخوان في شرب الدخان، توفي وهو راجع من الحج سنة: 1041 هـ(1).

وقد قرأ الشيخ عليّ الحضيبي عليه مختصر خليل، وصحيح البخاري، وأصول الفقه، وقطر الندى لابن هشام، وغير ذلك، وأجازه في جميع ما له من مروى ومسموع، حسب ما ورد في فهرسته التي جمعها ابنه الشيخ محمد(2).

3: الشيخ محمد الشبراوي: قال عنه عثمان بن الشيخ علي الحضيبي في ترجمة والده، العالم الكامل، والشيخ الفاضل، المرابط، التقى، والمتقن النقي، شارح المختصر، والعشماوية(3) وقد أخذ عنه الشيخ علي الحضيبي الفقه، وكان يسافر معه للإسكندرية بنية الرباط ستة أشهر، فيقرأ هناك المدة المذكورة(4).

4: الشيخ يوسف الزرقاني(5):

- (1) ينظر : خلاصة الأثر : (6 / 1) وشجرة النور الزكية : (1 / 421) والتقاط الدرر : (1 / 92).
- (2) ينظر : مقدمة الفتح والتيسير للشيخ علي الحضيبي : (ص / 12) والمسك والريحان : (ص / 105).
- (3) لم أقف على ترجمته فيما اطلعت عليه من كتب التراجم، اللهم إلا هذه الأسطر التي ذكرها عثمان ابن الشيخ علي الحضيبي في ترجمة والده. ينظر : ترجمة علي الحضيبي : (اللوحة : 5) مخ.
- (4) ينظر : المسك والريحان : (ص / 105).
- (5) لم نقف على ترجمة له ولعله يوسف الزرقاني والد الشيخ عبد الباقي بن يوسف الزرقاني شارح المختصر قال صاحب الفكر السامي في ترجمة الشيخ عبد الباقي : (4 / 334) ما نصه ((بينهم بيت علم شهير أبوه وجده وولده وغيرهم)).

وقد قرأ عليه الشيخ علي الحضيرى مختصر خليل، وأصول الفقه، والفرائض، وقواعد اللغة العربية لابن هشام(1).

5: اشىخ محمد الطهطاوى: وقد قرأ عليه قواعد اللغة العربية(2).

6: الشىخ أبو بكر بن إسماعيل بن شمس الدين الشنوانى أخذ عن قاسم العبادى ومحمد والد شهاب الدين الخفاجى، والشمس محمد الرملى وغيرهم، وعنه جماعة منهم أحمد الغنىمى وعلى الحلبي والنور الأجهورى له تأليف منها: حاشية على متن التوضيح وحاشية على الشذور، وشرح الأجرومية، وشرح ديباجة مختصر خليل، توفي فى ذى الحجة سنة: 1019 هـ(3).

وقد قرأ عليه الشىخ علي الحضيرى، قواعد اللغة العربية(4).

• تلامذته:-

إذا كان للشىخ الأثر الأكبر فى تكوين تلميذه فإن التلميذ أثر من آثار الشىخ وغرس من غراسه المثمرة، يحيى ذكره، وينشر علمه، ونظراً لما اشتهر به الشىخ علي الحضيرى من صفات حميدة ولما اكتسبه من مكانة علمية واجتماعية فى فزان فتوافد عليه طلاب العلم ورواد المعرفة للاعتراف من فيض علمه، والارتواء من غزير معرفته فكان - رحمه الله - يعقد حلقات الدرس ((بمسجد العتيق)) ببدة الجديد، ويلتف حوله طلاب العلم، ومن هؤلاء الذين نالوا شرف التلمذة عليه، ونهلوا من معينه وساروا على نهجه:

(1) ينظر : المسك والريحان : (ص / 106).

(2) ينظر : المسك والريحان : (ص / 106).

(3) ينظر : خلاصة الأثر : (1 / 79) وشجرة النور الزكية : (1 / 419).

(4) ينظر : الفتوح والتيسير : (ص / 13) وترجمة علي الحضيرى : (اللوحة : 6) مخ والمسك والريحان :

(ص / 106)

1. محمد الصالح حامد الحضييري، كان عالماً بالفقه وحافظاً لفروع المذهب المالكي، بارعاً في علوم اللغة، أخذ عنه أبو عبد الله محمد بن علي الحساني، والشيخ عثمان بن علي الحضييري، والشيخ محمد الصالح بن سليم الأوجلي(1)، له تأليف منها: شرح على عقيدة منظومة للشيخ علي الحضييري، جمع أسئلة شيخه علي الحضييري التي سأل عنها شيخه السنهوري، توفي سنة: 1101 هـ، ودفن في مسقط رأسه بالجديد(2).
- 2: محمد بن المختار الحضييري، كان شيخاً عالماً له مشاركة في العلوم الدينية، توفي رحمه الله سنة: 1075 هـ تقريباً(3).
- 3: أبو إسحاق إبراهيم بن حامد الحضييري، كان عالماً فقيهاً فرضياً متكلماً متقناً ذا جاه ورئاسة، تولى القضاء بأمر والده الشيخ حامد بن حامد الحضييري، له شرح على منظومة في التوحيد لشيخه علي الحضييري التي مطلعها:

صَلَاةٌ عَلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ وَكُلِّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ أَجْمَعِينَ

- وله فتاوي كثيرة، توفي في الربع الأخير من القرن الحادي عشر تقريباً(4).
4. حسن بن الشريف فائز(5).
5. الفقيه الصالح بن عبد الله الغروري(6).
6. الحسن بن علي الحضييري(1)، وهو ابن الشيخ علي الحضييري.

(1) ينظر: السدير الفائح للأوجلي : (ص / 73).

(2) ينظر: المصدر نفسه : (ص / 123 - 127).

(3) ينظر: المصدر نفسه : (ص / 122).

(4) ينظر: المصدر نفسه : (ص / 128).

(5) ينظر: الفتح والتيسير : (ص / 29).

(6) ينظر: ترجمة الشيخ علي الحضييري : (اللوحة : 12) مخ.

- مكانته العلمية وثناء العلماء عليه:-

احتل الشيخ علي الحضيبي، مكانة علمية مرموقة بين علماء عصره، وأثنى عليه الكثير، فهذا شيخه سالم السنهوري في إجازته له - أي للشيخ علي الحضيبي - يقول: ((الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى، وبعد فقد أخذت الحديث وغيره من العلم رواية ودراية عن الأئمة الأعلام ومشايخ الإسلام ممن تفتخر وتزدهي بوجودهم الليلي والأيام... وقد حضرني السيد الفاضل الكامل المُجد في طلب العلم... نور الدين عليّ، نجل سيدنا البركة ومربي الأيتام والمحتاجين الجالين من شاسع البلاد، مولانا أبي بكر الحضيبي - سنين عديدة ومدة مديدة في إقرائي للطلبة بالجامع الأزهر والمحل الأنور للشيخ خليل وشراحه وحواشيه، وما علقته عليه، وسأل وأفاد وأبدى وأعاد، نفع الله به العباد وقد استخرت الله - تعالى - وأجزته أن يروي عني ما قرأ عليّ، وما حضر بشرط تقوى الله، وقصد وجه الله، ومراقبة النار، وخوف القادر القهار... إلى آخره))(2)، وقال الشيخ إبراهيم اللقاني بعد أن اطلع على منظومته الموسومة ب(الفتح والتيسير)) ما نصه: ((الحمد لله وبعد، فيقول - الفقير - إبراهيم اللقاني: اطلعت على هذا النظم من أوله إلى آخره والله - سبحانه - يوفق ناظمه للطاعة، ويجعله ممن تناله الشفاعة، ويصلحه ويصلح به، ويبلغ الطالب به لمطلبه، ويجعله خالصاً لوجهه الكريم، وموجباً للفوز بجنات النعيم، والمقصود العمل والإفادة وصلّى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين

(1) ينظر : مقدمة الفتح والتيسير : (ص / 29) .

(2) ينظر : المسك والريحان : (ص / 290) ووثائق دولة أولاد محمد الفاسي : (ص / 520 - 521) .

((1)، ووصفه الشيخ علي الأجهوري (ت 1066 هـ) وحلّاه بشيخ الإسلام ومفتي الأناضول (2).

وقال عنه محمد داود العناني(3): ((كنت في صغري أراه يجلس في درس شيخنا اللقاني معمّماً محنكاً فوق ثيابه برنس(4)، عليه من الهيبة والجمال، وكان يجلس بقرب الشيخ لا يكاد أحد يسأله، فإذا سأله سيدي علي الحضيبي أصغى إليه الشيخ بمسامحه. قال: وكنت أعرفه يقرأ المنظومة الرحبية بزُواق المغاربة بالجامع الأزهر بشرح سبط المارديني(5) ((6) فهذه الشهادات من بعض علماء عصره تدل بوضوح على مكانته العلمية وعلوّ شأنه بين العلماء وطلاب العلم في زمانه، ولعل أهم ما يبرز لنا جانباً كبيراً من شخصية الشيخ علي الحضيبي العلمية هو مؤلفاته التي تدل على أنه علّم في زمانه.

-آثاره العلمية: إن مما يستدل به على مكانة الشخص العلمية ما يخلفه من آثار ومؤلفات قيّمة تحيي ذكره وتخلد اسمه، وقد ترك الشيخ علي الحضيبي عدداً من المؤلفات القيمة

(1) ينظر : ترجمة الشيخ علي الحضيبي : (اللوحة : 3) مخ.

(2) ينظر : مقدمة الفتح والتيسير : (ص / 26).

(3) لم نقف على ترجمته فيما اطلعنا عليه من كتب التراجم.

(4) البرُّس : كل ثوب رأسه منه مُلتزقٌ به دُرَاعَةٌ كان أو مُمطراً أو جُبَّة . لسان العرب : (6 / 26)

(5) محمد بن محمد بن أحمد بن محمد الدمشقي القاهري الشافعي، المعروف بسبط المارديني، فرضي، رياضي،

فلكي، نحوي، أصله من دمشق، ولد بالقاهرة ونشأ بها وعين مؤقتاً بالجامع الأزهر، من تصانيفه الكثيرة : كشف

الغوامض في الفرائض، وتحفة الأحباب في الحساب، توفي سنة : 907 هـ . ينظر : معجم المؤلفين : (624/3).

(6) ينظر : ترجمة الشيخ علي الحضيبي : (اللوحة : 6) مخ.

نذكرها:-

- أولاً: حاشية على مختصر الشيخ خليل جمعها من تقارير مشايخه في ثلاثة أجزاء (1).
 ثانياً: شرح على مختصر خليل في أربعة أسفار ضخمة، جمع فيه غالب ما في حواشيه - أي حواشي المختصر - معتمداً على عبارة شيخه أبي النجا سالم السنهوري، وكان كثيراً ما يحيل إليه، وهو شرح مفيد، انتفع به كثير من الناس (2).
 ثالثاً: منظومة في نحو ألفين وسبعمئة بيت، سماها ((كتاب الفتح والتيسير)) (3) وهي ما سنفردها بالدراسة.
 رابعاً: قصيدة صغيرة في العقائد، وقد شرحها تلميذاه هما: ابنه عثمان وابن أخيه إبراهيم بن حامد الحضيري (4)، يقول في بدايتها:

صَلَاةً عَلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ وَكُلِّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ أَجْمَعِينَ
 بِحَمْدِ إِلَهِ بَدَأَتْ النَّظَامَ وَتَوَجَّيْدِهِ وَهُوَ خَيْرُ الْكَلَامِ

- (1) هذه الحاشية ضمن تراثنا الضائع، إذ لم أقف عليها في الفهارس التي اعتنت بذكر المخطوطات اللببية .
 (2) ينظر : المسك والريحان : (ص / 107).
 (3) ينظر : ترجمة علي الحضيري : (اللوحة : 7) مخ. وقد طبع هذا الكتاب وقدم له وصححه : الأستاذ / د.حسن عبد الرحمن محمد البركولي.
 (4) ذكر عثمان بن علي الحضيري بأنه لم يقف على شرحها الأول إلا بعد أن وضع شرحه عليها . ينظر : المسك والريحان : (ص / 114).

... إلى آخره.

خامساً: منسك صغير لطيف مفيد: وهو منسك منظوم، ذكر فيه ما يفعله الحاج من بداية إحرامه إلى تمام نسكه، وأحياناً يتعرض فيها لشيء من الأحكام، وقد بدأ فيه بحمد الله قائلًا:

بَدَأْتُ بِحَمْدِ اللَّهِ فَتَحَّ نِظَامِنَا فَمِنْهُ الرَّجَاءُ وَالْخَيْرُ وَالْتِّسْهِيلُ

لَكَ الْحَمْدُ رَبِّي لِلْهُدَى قَدْ هَدَيْتَنَا وَمِنْكَ أَتَانَا الْهَاشِمِيُّ رَسُولُ

إلى أن قال:

عَلَى الْحَجِّ لَكُنِّي أَشِيرُ بِقَصْدِنَا عَلَيْهِ كَلَامٌ مُوجِزٌ وَقَلِيلٌ

... إلى آخر ما قاله (1).

سادساً: منظومة في الوعظ وقد خمّسها وجعلها في أربعة وثلاثين تخميساً، فرغ من نظمها في عام (1037 هـ)، يقول في بدايتها:

نَسْتَفْتِحُ النَّظْمَ بِاسْمِ اللَّهِ نَبْتَدِئُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَنَاءً جَاءَنَا نَبَأُ

عَنْ رَسُولٍ خَالِقِنَا بِالصِّدْقِ قَدْ نَسَّأُوا مَعَ الْأَمَانَةِ وَالنَّبِيلِغِ مَا فَجَّأُوا

بَلْ أَنْذَرُوا النَّاسَ فِي الْأَحْكَامِ فِي الْمَلِئِ. إلى آخر ما قاله (1).

(1) طبع هذا المنسك مع كتاب المسك والريحان. ينظر : المسك والريحان : (ص / 114 - 117).

سابعاً: شرح على منظومته في التوحيد(2).
ثامناً: له فتاوى كثيرة متفرقة وقد جمع منها بعض القضاة مجلداً، وقال بعض تلامذته إن مشافهته وحفظه يدلان على علمه أكثر من كتبه(3).
• وفاته:-

توفي الشيخ علي الحضيبي - رحمه الله - ليلة الخميس بعد العشاء، ليلة الثالث والعشرين من شهر ذي الحجة سنة إحدى وستين وألف (1061 هـ - 1653م) على إثر مرض ألمَّ به بعد عمر بلغ إحدى وثمانين سنة وأربعة أشهر وسبعة أيام(4).
المبحث الثاني: التعريف بكتاب الفتح والتيسير

إن منظومة الشيخ علي الحضيبي الموسومة بـ ((الفتح والتيسير)) تعد من أبرز مؤلفاته بعد شرحه على مختصر خليل، وفي هذا المبحث سنحاول التعريف بهذه المنظومة من خلال الجوانب الآتية:

أولاً: تسمية المنظومة ونسبتها للمؤلف

لا خلاف في أن اسم هذه المنظومة هو ((الفتح والتيسير)) فالناظم قد ذكر ذلك في مقدمة منظومته بقوله:

- (1) نسخة منها مخطوطة بمكتبة الأستاذ : عبد السلام سالم حمزة الحضيبي بمدينة سبها .
- (2) لم يذكر هذا المؤلف أحد ممن ترجم للشيخ علي الحضيبي إلا أن الأستاذ : عبد السلام سالم الحضيبي ذكر أنه وقف على هذا الشرح للشيخ علي الحضيبي مخطوطة بمكتبة الشيخ عثمان العالم وهو شرح غير مقروء بسبب كثرة الخرم والاهتراء نتيجة عوامل الطبيعة.
- (3) ينظر: ترجمة علي الحضيبي : (اللوحة : 10) مخ.
- (4) ينظر: ترجمة علي الحضيبي : (اللوحة : 1) مخ.

هَذَا كِتَابُ الْفَتْحِ وَالتَّيْسِيرِ سَمَّيْتُهُ وَالشُّكْرُ وَالْقَدِيرِ
 قَدْ يَسَّرَ النَّظْمَ عَلَى الْمَشْهُورِ مِنْ فَضْلِهِ التَّيْسِيرُ لِلْأُمُورِ (1)

وأما نسبة هذه المنظومة لمؤلفها فلا شك فيه- أيضاً- فالمؤلف قد ذكر اسمه صريحاً في خاتمة منظومته بقوله:

تَمَّتْ بِحَمْدِ رَبِّنَا الْقَدِيرِ *** يَسَّرَ نَظْمَهَا عَلَى الْفَقِي

مَنْ وَطَنَ قِرَانَ عُبَيْدِهِ عَلِيٍّ *** ابْنِ الْحُضَيْرِيِّ السَّائِلِ الْمُبْتَهْلِ (2)

وما يقطع بصحة نسبتها- أيضاً- للشيخ أن من أتى على هذه المنظومة من أهل العلم- وقد تقدم ذكرهم- قد امتدحوا مؤلفها الشيخ على الحضيري .

ثانياً: من حيث ترتيب الأبواب الفقهية:

جاءت منظومة الفتح والتيسير مجزأة على النحو الآتي:

افتتح منظومته بالحمد لله وأثنى عليه بما من على عباده من جزيل خيره ووافر نعمائه، ثم صلى على نبيه الكريم المبعوث رحمة للعالمين.

(1) ينظر : مقدمة الفتح والتيسير : (ص / 15) .

(2) ينظر : الفتح والتيسير : (ص / 183) .

ثم أتى بمقدمة ذكر فيها: شروط التكليف، وأقسام الشريعة، وجعل ذلك مقدمة لباب الاعتقاد، وعقد فيه ستة فصول: علم التوحيد، والحكم وأقسامه، والإلهيات، والنبوات، والسمعيات، وأفعال العباد وبيان المذاهب فيها.

ثم تناول العبادات حاذى بها مختصر الشيخ خليل في كثير من المسائل، وابتدأ بالركن الثاني من أركان الإسلام وهو الصلاة، وافتتحه بباب حكم الماء، وفيه فصول: في الطاهر والنجس، وغسل النجاسة، وفرائض الوضوء، وقضاء الحاجة، ونواقض الوضوء والغسل، وجواز المسح على الخفين، والتيمم، والمسح على الجبيرة ونحوها، والحيض.

ثم جاء بباب الأوقات والصلاة وتناوله في خمسة عشر فصلاً، وهذه الفصول هي:

الأذان، وشرط الصلاة، والقيام للصلاة، وقضاء الفوائت، وسجود السهو، وسجود التلاوة، وحكم النافلة، والسنة والرغيبية، وحكم صلاة الجماعة، وحكم الاستخلاف، وقصر الصلاة، وشروط الجمعة، وصلاة الخوف، وصلاة العيد، وحكم صلاة الكسوف والخسوف، وصلاة الاستسقاء، وصلاة الجنازة.

ثم يلي باب الصلاة باب الزكاة، وفيه ستة فصول وهي: فصل في أنواع الأموال في الزكاة، وفصل في زكاة الحب والثمار، وفصل في زكاة النعم، وفصل مصارف الزكاة، وفصل أخير في زكاة الفطر.

ثم يليه باب الصوم، تناول فيه حكم الصوم، وعلى من يجب، وما يثبت به الصوم، والنية ووقتها، وشروط الصوم، وما يوجب الكفارة، وأنواع الكفارة، وما لا يجب فيه القضاء، وجائزات الصوم، ومنذوباته، ومكروهاته.

ثم أتبع باب الصوم بخاتمة أنهى بها نظمه، وأحال بعض الفروع على مختصر الشيخ خليل لكثرتها.

ثم استأنف نظمه بذكر باب الحج، تناول فيه شروط الحج، وأفعال الحج الثلاثة، وكل ما يتعلق به من أركان وواجبات وسنن ومكروهات، وما يفعله الحاج يوم العيد، والعمرة وأركانها، ثم خصص فصلاً أوضح فيه ما يمنع بالإحرام، وأتبعه بفصل آخر في موانع الحج، وجاء بعده باب الزكاة، نظم فيه أنواع الزكاة، وشروط أكل ذبيحة الكتابي، والعقر وشروطه، وشروط أكل صيد الحيوان المعلم، وزكاة الجنين زكاة أمه.

وتناول في آخر باب من منظومته المباح، وأنواعه، وجنس ما يحرم وجنس ما يكره.

ثم ختم الناظم نظمه بجملة من المواعظ والنصائح، ومنها: وجوب النصح، والتحذير من اقتراف الكبائر، وأن من السنة الاستخارة والاستشارة في الأمور، وأن الدين النصيحة ثم ذكر عدد أبيات نظمه، وتاريخ فراغه منه، واسم الناظم ووطنه.

هذا كل ما جاء في منظومة الفتح والتيسير، وهكذا رتب الشيخ علي الحضيري - رحمه الله تعالى - موضوعات منظومته.

ثالثاً: من حيث الاستقلالية:

اختلفت منظومات الفقه من حيث الاستقلال وعدمه، إذ لم تكن على وتيرة واحد، فبعض المنظومات جاءت مرتبطة بكتاب معين، وهي كثيرة، منها: المنظومات الكثيرة على مختصر الشيخ خليل بن إسحاق.

وأيضاً المنظومات المتعددة على رسالة ابن أبي زيد القيرواني، في حين أن بعض المنظومات لم تلتزم ما حواه الكتاب المنظوم، بل ربما زادت ببعض المسائل والتفريعات والفصول، وبعضها الآخر لم يلتزم نظم كل ما في الكتاب.

وثمة منظومات لم تكن نظماً لكتاب بعينه، وإنما اعتمدت على أكثر من مصدر، وبعض المنظومات جاءت مستقلة من غير ارتباط بكتاب معين، كما هو الحال في نظم ابن أبي كف في بيان أصول مذهب مالك، ومتن ابن عاشر في فقه العبادات.

وبقراءة المنظومة- محل البحث والدراسة- يتضح للقارئ جلياً أن الناظم اعتمد في كثير من المواطن على مختصر الشيخ خليل بن إسحاق، وما يدل على ذلك أمور كثيرة، منها: أنه لكثرة التفريعات - أتى الناظم ما أمكنه أن يأتي به في نظمه هذا من التفريعات- يحيل القارئ في أحيان كثيرة على مختصر الشيخ خليل للاطلاع على ما لم يذكره منها ولمعرفة دقائقها.

وما يدل على ذلك أيضاً: أن النظم يكاد يكون نظماً للمختصر في مواطن متفرقة، ويتضح ذلك بالمقارنة بينهما، ومن ذلك قوله في أول باب الطهارة:

أَحْدَانُنَا بِكُلِّ مَاءٍ تُرْفَعُ **** وَيَسْتَوِي الْمَطْلُوقُ وَالْمُجْمَعُ

مِنَ النَّدَى الْبَاقِي عَلَى الْأَوْصَافِ **** بِخُلْفَةِ الطُّهُورِ لِأَلِ الْمُضَافِ (1)

(1) ينظر : الفتح والتيسير : (ص / 51).

وفي مختصر خليل: ((يرفع الحدث وحكم الخبث بالمطلق، وهو ما صدق عليه اسم ماء بلا قيد)) (1) إلا أن الناظم لم يتناول الفروع في نظمه، بل يحيل القارئ إلى مختصر خليل للوقوف عليها ومعرفتها، قال في أول باب الزكاة:

بَابُ زَكَاةِ الْعَيْنِ وَالْأَنْعَامِ *** وَالْحَبِّ فِي عِشْرِينَ مِنَ الطَّعَامِ

تُسْرَعُ فِي نَصَابِهَا نَذْرُهُ *** حَتَّى يَبِينَ وَصْفُهُ وَقَدْرُهُ

أَمَّا الْفُرُوعُ لِازِمًا نُحِيلُهَا *** لِعَجْزِنَا فِي النَّظْمِ عَنْ تَحْصِيلِهَا (2)

رابعاً: فيما يتعلق بالإطالة والإيجاز:

تتفاوت المنظومات العلمية طويلاً وقصراً، إذ من البدهي أن لا يكون الشعر التعليمي على حال واحدة، وبالاستقراء نجدها على ثلاث فئات:

الأولى: المنظومات المطولة، وهي التي تشتهر بالألفيات، حيث تصل المنظومة إلى ألف بيت وأكثر، ومن المنظومات الألفية في الفقه - مثلاً- منظومة الشيخ محمد سالم ولد عدود على مختصر خليل، وفي أصول الفقه نظم مراقي السعود ، وفي مصطلح الحديث ألفية العراقي ، وغيرها.

(1) ينظر : مختصر خليل : (ص /08).

(2) ينظر : الفتح والتيسير : (ص /120).

الثانية: المنظومات المتوسطة: وهي ما دون الألف وفوق المائة من الأبيات، ومن ذلك نظم ابن عاشر في فقه العبادات للمبتدئين، ونظم الرحبية في المواريث، ونظم العمرطي على الورقات في أصول الفقه.

فجميع هذه المنظومات عدد أبياتها فوق المائة ودون الألف.

الثالثة: المنظومات القصيرة، وهي التي نظمت في مائة بيت فأقل، ولم أقف على منظومة في الفقه- فيما اطلعت عليه- تقع في أقل من مائة بيت، ولعل أكثر المنظومات التي جاءت على هذا النمط، هي منظومات القواعد الفقهية، ومنظومات أصول الفقه، كمنظومة المكناسي المالكي في ثلاثة وثمانين بيتاً، ومنظومة ابن أبي كف في أصول مذهب مالك، وغيرهما، وبالاطلاع على منظومة الفتح والتيسير نجدها من الفئة الأولى، وهي التي تشتهر بالألفيات، فقد جاءت في (2661) إحدى وستين وستمائة وألفين بيتاً، وبالتالي فهي من المنظومات المطولة.

خامساً: من حيث اللغة والأسلوب:

تتسم المنظومة بسلاسة أسلوبها، وسهولة عباراتها لكل قارئ لها ولو على عجل، وهذا ما امتازت به عن كثير من المنظومات الفقهية الأخرى.

ولا أبالغ إن قلت إن كثيراً من أبياتها يفهمها طالب العلم المتوسط- فضلاً عن المتقدم- بمجرد قراءتها، وهذا ما يلمسه كل قارئ لها في كل باب من أبوابها، فابتعد عن التتميق والتكلف في تجميل النظم بالمحسنات الشعرية ، وصرح بذلك قائلاً:

دُو النَّظْمُ يَلْتَجِي لِلِإِخْتِصَارِ * * * وَالرَّمْزِ خَوْفَ الْكَسْرِ وَالْعِتَارِ

فِي النَّظْمِ تَسْهِيلٌ لَعَلَّ فِيهِ * * * لِلْحِفْظِ تَنْشِيطاً وَلِلتَّنْبِيهِ (1)

ثم أوضح قصده من كثرة إحالته على المطولات للوقوف على التفريعات وتفاصيل المسائل بقوله:

لِلْبَحْثِ فِي التَّفْرِيعِ مِنْهُ يَجِدُ * * * فِي النَّثْرِ تَفْسِيرًا بِهِ يَسْتَرْشِدُ

وَمَنْ لَهُ بَاعٌ فِي الإِصْلَاحِ * * * يَفْعَلُ كَالْتَّنْبِيْنِ وَالِإِضْاحِ (2)

فهذه المنظومة خلت من التعقيدات اللفظية والشعرية التي شابته كثيراً من المنظومات العلمية في الفقه وغيره حتى صارت شبيهة بالأغاز.

قال - رحمه الله تعالى في مقدمة منظومته - :

لِيَسْهَلُ الْفَهْمُ بِهَا لِلْمُبْتَدِي * * * * * وَغَافِلٍ لِكَيِّ إِلَيْهَا يَهْتَدِي (3)

كما أن الناظم تجنب الإكثار من ذكر التفريعات والتعاريف والحدود، بل يحيل في أكثرها على مختصر الشيخ خليل - رحمه الله تعالى -.

(1) ينظر : الفتح والتيسير : (ص / 145).

(2) ينظر : المصدر نفسه : (ص / 145).

(3) ينظر : المصدر نفسه : (ص / 50).

قال الشيخ أحمد المقري التلمساني(1)- بعد اطلاعه على منظومة المؤلف- : " وقفت على هذا النظم الذي هو على طريقة أهل الصلاح في إفادة المعنى، من غير تنميق في الألفاظ، ولا تحسين كطريقة أهل الأدب "(2).

سادساً: زمن التأليف ومكانه:

لم يذكر الناظم متى بدأ في تأليف منظومته، وإنما ذكر زمن فراغه من تأليفها في آخرها - كما سيأتي- .ويبدو أن المصنف - رحمه الله تعالى- ألفت نظمه هذا على فترات متقطعة، وما يدل على ذلك أنه بعد انتهائه من نظم باب الصوم ختمه بخاتمة تدل على أنه أراد الاقتصار على الأركان الثلاثة الصلاة والزكاة والصوم.

قال- رحمه الله تعالى:-

قَدْ انْتَهَى النَّظْمُ فِي اخْتِصَارِهِ *** بَعْضُ الرُّمُوزِ وَاصِحٌّ فِي نَشْرِهِ(3)

ثم قال في البيت الحادي والعشرين من الخاتمة:

قَدْ انْتَهَى النَّظْمُ الَّذِي يَسَّرَهُ *** رَبِّي عَلَيْنَا حَمْدُهُ وَشُكْرُهُ

(1) أبو العباس: شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني، ولد سنة (986هـ) بتلمسان، من أبرز مؤلفاته ((نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب)) توفي بالقاهرة سنة (1041هـ) . ينظر: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ((1/ 434)).

(2) ينظر مقدمة الفتح والتيسير : (ص /23).

(3) ينظر : الفتح والتيسير : (ص /145).

أُجُورَةٌ حَفِيفَةٌ سَهَّلَهَا *** أُبَيَّاتُهَا مَحْسُوبَةٌ فَهَآكَهَا (1)

ثم ذكر عدد أبياتها وزمن الفراغ من نظمها، وكان الفراغ منها في شهر ربيع الأول - شهر مولد النبي عليه الصلاة والسلام - سنة 1028 هـ سنة ثمان وعشرين بعد الألف، قال - رحمه الله تعالى -:

عِدَّتْهَا أَلْفٌ وَتِسْعُمَائَةٌ *** مِنْ بَعْدِ سَبْعِينَ إِلَى ثَلَاثَةِ

عَامِ الثَّمَانِ بَعْدَ عِشْرِينَ لَهَا *** أَلْفٌ مَضَى نِظَامُنَا قَدْ انْتَهَى

فِي شَهْرِ مَوْلِدِ النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى *** بِفَضْلِهِ نَرْجُو الْقَبُولَ وَالْوَفَا (2)

ثم بدا له - بعد أن ختم هذا النظم - أن يكمل قواعد الإسلام الخمس مرتباً إياها حسبما ورد في الحديث النبوي الشريف حتى يبلغ المراد ويتم المقصود، فقال:

لَمَّا حَنَمْتُ النَّظْمَ فِي الْقَلْبِ بَدَأَ *** نَظْمٌ عَلَى الْحَجِّ فَقُلْتُ قَاصِدَا

مُرْتَبَاً قَوَاعِدَ الْإِسْلَامِ *** كِي يَبْلُغَ الْمُرَادَ بِالنَّمَامِ (3)

وفي نهاية النظم بين عدد أبيات منظومته قائلاً:

وَعِدَّةُ الْأَبْيَاتِ أَلْفَانِ إِلَى *** سِتِّ مَنِ الْمِائَةِ ضِفْهُمَا إِلَى

(1) ينظر: المصدر نفسه: (ص 145).

(2) ينظر: الفتح والتيسير: (ص 145).

(3) ينظر: المصدر نفسه: (ص 146).

إَحْدَى وَسِتِّينَ فَذَا كَمَالُهَا *** وَتَرْتَجِي مِنْ رَبِّنَا يَقْبَلُهَا

وَزَيْدَ كَأَبْيَتَيْنِ وَالثَّلَاثَةَ *** ذَكَرْتُ لِلتَّارِيخِ وَالتَّرْجَمَةِ (1)

ثم ذكر تاريخ فراغه منها بقوله:

تَارِيخُهَا بِتَاسِعِ الْعِشْرِينَ *** فِي رَمَضَانَ ثَامِنِ السِّنِينَ

مِنْ بَعْدِ عَشْرِينَ وَأَلْفٍ سَابِقًا *** لَيْلَةَ عِيدِ فِطْرِنَا مُحَقَّقًا

تَمَّتْ بِحَمْدِ رَبِّنَا الْقَدِيرِ *** يَسَّرَ نَظْمَهَا عَلَيَّ الْفَقِيرِ (2)

وبذلك يتضح للقارئ أنه فرغ من نظم باب الصلاة والزكاة والصوم في شهر ربيع الأول، سنة ثمان وعشرين بعد الألف، ثم فرغ من التكملة في التاسع والعشرين من شهر رمضان ليلة عيد الفطر المبارك من السنة نفسها.

وأما مكان تأليفها، فقد نظمها الشيخ- رحمه الله- في موطنه فزان، وصرح بذكره في خاتمة منظومته بقوله:

تَمَّتْ بِحَمْدِ رَبِّنَا الْقَدِيرِ *** يَسَّرَ نَظْمَهَا عَلَيَّ الْفَقِيرِ

مِنْ وَطَنِ فَزَانَ عُبَيْدِهِ عَلِيٍّ *** ابْنِ الْخُضَيْرِيِّ السَّائِلِ الْمُتَبَهِّلِ (1)

(1) ينظر : المصدر نفسه: (ص /183).

(2) ينظر : المصدر نفسه: (ص /183).

سابعاً: ثناء العلماء عليها:

أثنى جمع من العلماء على منظومته، وأطنب بعضهم في الثناء عليها ومدح ناظمها، ولعلنا نذكر بعضاً منهم:

1- الشيخ إبراهيم اللقاني(2)، أحد أساتذته ومشايخه، فقد اطلع على هذه المنظومة، وكتب عليها ما نصه: ((اطلعت على هذا النظم من أوله إلى آخره، والله سبحانه يوفق ناظمه للطاعة، ويجعله ممن تتاله الشفاعة، ويصلحه، ويصلح به، ويبلغ الطالب به لمطلبه)) (3)

2- أحمد بن محمد المقرئ التلمساني(4)، فقد كتب عليها ما نصه: ((وقفت على هذا النظم الذي هو على طريقة أهل الصلاح والخير في إفادة المعنى من غير تتميق في الألفاظ، ولا تحسين كطريقة أهل الأدب، والله يجازي مؤلفه بنيته وبثيبه في سره وعلايته، فقد بذل الجهد، وقصد النفع والأعمال بالنيات)) (5).

(1) ينظر : مقدمة الفتح والتيسير : (ص/24).

(2) تقدمت ترجمته.

(3) ينظر :المصدر نفسه : (ص/23).

(4) تقدمت ترجمته.

(5) ينظر : الفتح والتيسير : (ص/23).

3- الشيخ أحمد الخطابي المغربي (1)، فقد كتب عليها نظماً في الثناء عليها في أكثر من عشرين بيتاً، وامتدح فيها صاحبها بأجل ما يمدح به العلماء الفضلاء الشرفاء. (2)

هذه أقوال بعض أهل العلم، وتلك شهاداتهم في الثناء على هذه المنظومة وعلى مؤلفها، لا الحصر أردت، ولكني قصدت بما أوردت إظهار مكانة الشيخ؛ لأن ما تقدم يدل على أن هناك شيئاً أكبر، ولكنه لازال مخبئاً في خزائن الكتب، وبطون المخطوطات. والله المستعان.

ثامناً: مدى تقيد الناظم بالمذهب:

لقد عرف عن الشيخ علي الحضيبي - رحمه الله تعالى - بتقيد بأشهر الأقوال وأرجحها والمعمول به دون غيره، وهكذا جاءت منظومته خالية من الأقوال الشاذة أو الضعيفة في المذهب.

ومن خلال تتبع المنظومة بتأن، وقراءة أبياتها بتمعن، يتبين أن العلامة الحضيبي ظل متقيداً بالمذهب، وتقيد هذا جعله لا يعتمد إلا على القول المشهور والأشهر والمختار والراجح، وقد صرح بذلك في مقدمة منظومته بأنه يجب الأخذ بالمشهور في القضاء والتدريس والإفتاء، وبين أن المشهور هو ما قوي دليله، أو الذي كثر قائلوه، وذكر أنه

(1) أحمد بن محمد بن محمد بن علي السنوسي الخطابي، ولد وتقه في الجغبوب، وأقام بواحة الكفرة. توفي سنة : (1351هـ): «الأعلام للزركلي»: (1/135). شجرة النور الزكية: (1/350).

(2) ينظر : مقدمة الفتح والتيسير : (ص/24).

يقدم قول مالك في المدونة على ما سواه، وبعده قول ابن القاسم في المدونة على غيره، ويقدم قول غيرهما في المدونة على قوليهما - أي مالك وابن القاسم - في غيرها.

قال رحمه الله تعالى:

يُحَكِّمُ بِالْمَشْهُورِ فِي الْقَضَاءِ *** كَذَلِكَ فِي التَّدْرِيسِ وَالْإِفْتَاءِ

فُسِّرَ بِالنَّصِّ الْقَوِيِّ دَلِيلُهُ *** أَوْ الَّذِي يَكْثُرُ مَنْ يَقُولُهُ

عَنِ الْأَئِمَّةِ فَشَأْنٌ مُقَرَّرًا *** فِي كُتُبِ الْعِلْمِ لَهُمْ مُحَرَّرًا

تَقْدِيمُهُ النَّصَّ مِنَ الْمَدُونَةِ *** لِمَالِكٍ عَلَى سِوَاهِ بَيِّنَةٍ

تَقْدِيمُهَا نَقَلْتُ هَذِي الْفَائِدَةَ *** عَنْ شَيْخِنَا مَوْضِعًا لِلْقَاعِدَةِ

وَلَمْ يَجْزُ لِحَاكِمٍ وَغَيْرِهِ *** يَعْذِلُ لِلضَّعِيفِ عَنْ مَشْهُورِهِ (1)

وهذه كلها لها وجهها من الدليل، سواء من كتاب الله، أو من سنة رسول الله أو من الإجماع، أو القياس. أو ما اعتمده الفقهاء المالكية في أصولهم وقواعدهم.

تاسعاً: المصادر التي اعتمد عليها في نظمه: أهم المصادر التي اعتمد الناظم عليها مختصر الشيخ خليل، ومما يدل على ذلك أنه يسند للوقوف على كثير من التفريعات والمسائل إلى مختصر خليل - رحمه الله تعالى - وقد صرح بذلك بقوله:

(1) ينظر : الفتح والتيسير : (ص /36).

لِكثْرَةِ الْفُرُوعِ فِي تَفْصِيلِهَا *** سَامَةً فِي نَظْمِهَا لِطَوْلِهَا

نُحِيلُ بِاقْبِهَا عَلَى الْمُخْتَصِرِ *** مُفْتَى بِهِ فِي عَصْرِهِ الْمُحَرَّرِ

مَنْ الْمُصَيِّفِ الْإِمَامِ السَّالِكِي *** سَيِّدِنَا الشَّيْخِ خَلِيلِ الْمَالِكِي (1)

وكذلك شروحه الكثيرة، وخاصة شرح شيخه سالم السنهوري، قال - رحمه الله تعالى عند حديثه عن الأيام التي يندب صومها من ذي الحجة - :

بَلِ الْمُرَادِ تِسْعَةٌ كَمَا ثَبَتَ *** عَنْ شَيْخِنَا إِلَى الثَّمَانِ فَأَنْتَهَتْ (2)

ويلحظ كل من اطلع على شروح مختصر خليل أن الناظم كان متقيداً بما ذهب إليه الحطاب - رحمه الله تعالى - في باب الحج ، كما أحال على المطولات للوقوف على التفريعات وتفاصيل المسائل دون أن يصرح باسمها، قال - رحمه الله تعالى - :

لِلْبَحْثِ فِي التَّفْرِيعِ مِنْهُ يَجِدُ *** فِي النَّثْرِ تَفْسِيرًا بِهِ يَسْتَرْشِدُ

وَمَنْ لَهُ بَاعٌ فِي الْإِصْلَاحِ *** يَفْعَلُ كَالنَّبِيِّينَ وَالْإِضْاحِ (3)

كما اعتمد الناظم في منظومته على تقارير شيخه الشيخ سالم السنهوري - رحمه الله تعالى - وهي تقارير مشهورة بين طلابه، بل إن الناظم ينقل منها في شرحه على

(1) ينظر: المصدر نفسه: (ص 144).

(2) ينظر: المصدر نفسه: (ص 142).

(3) ينظر: الفتح والتيسير: (ص 145).

المختصر كثيراً، من ذلك قوله - رحمه الله تعالى في بيان أن كل من لبس ما يمنع الحاج من لباسه، أنه تلزمه فدية، كما لو ستر رأسه بشيء ولو بطين:-

فِي كُلِّ مَا يُمْنَعُ مِنْ لِبَاسِهِ *** تَلَزَمَ فِدْيَةٌ كَسِتَرِ رَأْسِهِ

وَلَوْ بِكَالطِّينِ أَوْ النَّظَّلِ *** لِلْحَرِّ وَالْبُرْدِ بِيْطْنِ الْمَحْمَلِ

فِي حَالَةِ الرُّكُوبِ وَالتُّرُولِ *** قَرَّرَهُ الشَّيْخُ مِنَ النُّقُولِ (1)

وقال أيضاً- في معرض الحديث عن دهن الجسد لوجود علة بغير طيب، هل هو جائز أم لا:-

فَفِيهِمَا سُفُوطُهَا مُتَّفَقًا *** نَقَلْتُهُ عَنْ شَيْخِنَا مُحَقَّقًا (2)

عاشراً: فيما يتعلق بالشمولية: فقد جاءت بعض المؤلفات الفقهية- المنثورة والمنظومة- شاملة لجميع أبواب الفقه، بحيث تشمل العبادات والمعاملات وما يلحق بهما، كما هو في متن الرسالة ومختصر خليل وجامع الأمهات.

وقد تأتي بعض المؤلفات- المنظومة والمنثورة، مقتصرة على ما تراه الأهم من العلم، مراعاة للناشئة من طلبية العلم، كما الحال في متن الأخضرى، و متن العشاوية في الصلاة والزكاة والصوم، و نظم ابن عاشر في العبادات.

(1) ينظر: المصدر نفسه: (ص 157).

(2) ينظر: المصدر نفسه: (ص 157).

وهذا ما نهجه المصنف في منظومته هذه، حيث اقتصر فيها على جانب العبادات فقط، ولم يتناول المعاملات، وأتى بالعبادات حاذى بها مختصر الشيخ خليل في كثير من المسائل، فقد ابتدأ بالركن الثاني من أركان الإسلام، وهو الصلاة. ثم استعرض المؤلف ما يشترط لإقامة هذا الركن من رفع الحدث وإزالة الخبث، إلى أن وصل إلى صلاة الجنازة.

ثم استعرض الركن الثالث وهو الزكاة، وتناول فيه زكاة العين، والحب والثمار، والنعم، ومصارفها، ثم أتبع ذلك بالكلام على زكاة الأبدان، وهي زكاة الفطر.

و تناول الركن الرابع من أركان الإسلام وهو الصيام، فتحدث عن ثبوت رمضان، وأركان الصيام وما يوجب الكفارة، وما يجوز للصائم وما يستحب وما يندب.

و بسط بعد ذلك الكلام عن الركن الخامس وهو الحج، بين فيه حقيقته وأركانه وواجباته وسننه، وختم هذا الركن ببيان حكم العمرة وأركانها، ثم تكلم بعدها على الهدى، ولما كانت وسيلة حل أكله بالذكاة، شرع في بيان حقيقتها وأنواعها وشروطها، ومن تصح منه ومن لا تصح، وما يتعلق بذلك، ولما كانت الذكاة سبباً في حل أكل الحيوان البري، ناسب أن يأتي بسائر المباحات، وما يحرم وما يكره من الأطعمة، ولم تكن منظومته خالصة في موضوع فقه العبادات، بل ضمت إلى أبياتها معان تربية عالية، وتوجيهات أخلاقية قيمة، تمثلت في تربية المتعلم على حب العلم الشرعي، وبدأ منظومته ببيان مهمات الدين، ولهذا افتتحها بالكلام عن التكليف وشروطه، قائلاً:

خَطَابُ وَضَعِ بَعْدَهُ التَّكْلِيفُ *** مِنْ الْبُلُوغِ حَدُّهُ الْمَوْصُوفُ

إِبْرَاهِيمُ حَسَنُ الشَّعْرِ وَاحْتِلَامُ *** وَالتَّالِثُ السِّنُّ لَهُ تَمَامٌ (1)

ثم تناول بعد ذلك أقسام الشريعة، ثم قدم على أصول الدين باعتباره الأساس الأول لكل العلوم، وما يجب وما يجوز في حق الله تعالى، وفي حق رسوله عليه الصلاة والسلام، وما يجب الإيمان به، ثم استعرض الركن الأخير من أركان الإيمان وهو الإيمان بالقدر، وهل الإنسان مخير أم مسير؟ قال - رحمه الله تعالى - :

فَأَوَّلُ الْفَرْضِ عَلَى الْإِنْسَانِ *** يَنْظُرُ فِي عَقَائِدِ الْإِيمَانِ

مُعْتَقِدًا أَنَّ الْإِلَهَ وَاحِدٌ *** لَيْسَ لَهُ فِي مَلِكِهِ مُضَادٌّ

فَرَضٌ عَلَى جَمِيعٍ مَنْ كَلَّفَهُ *** بِالْعَقْلِ وَالْبُلُوغِ أَنْ يَعْرِفَهُ

مَعْرِفَةً تَكُونُ فِي الْقُلُوبِ *** مِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ عَلَى الْوُجُوبِ (2)

وختم نظمه بمواعظ جليلة متنوعة، منها التذكير لموقف العباد بيوم المحشر، و ذم من يعظ غيره ويسرف في حق نفسه وأن النصح واجب، ثم حذر من الوقوع في الكبائر فقال:

إِنَّ الْوَعِيدَ جَاءَ فِي الْكَبَائِرِ *** لَا سِيَّمَا لِلْفَاسِقِ الْمُجَاهِرِ

أَعْظَمَهَا الشِّرْكَُ فَلَيْسَ يُغْفَرُ *** وَبَعْدَهُ قَتْلُ النَّفْسِ أَكْبَرُ (1)

(1) ينظر : الفتح والتيسير : (ص /35).

(2) ينظر : المصدر نفسه : (ص /41).

ثم ذكر بعد ذلك سائر الكبائر، وتكلم على وجوب النصيحة، ووجوب طاعة ولي الأمر في المباح والمندوب، وما يجب على الأمير من تطبيق العدل بين جميع الناس فقال: قَدْ وَرَدَ النَّصُّ مِنَ الْقُرْآنِ *** بِطَاعَةِ النَّاسِ إِلَى السُّلْطَانِ

وَالْأَمْرُ مَحْمُولٌ عَلَى الْوَجُوبِ *** يُطَاعُ فِي الْمُبَاحِ وَالْمَنْدُوبِ (2)

وأوضح أنه من السنة الاستخارة والاستشارة في كل الأمور، فقال:

قَدْ وَرَدَ الْحَدِيثُ فِي الْمَشَاوِرَةِ *** سَلَامَةُ الدُّنْيَا وَخَيْرَ الْآخِرَةِ

مَا خَابَ مَنْ فِي أَمْرِهِ اسْتَحَارَ *** وَلَيْسَ نَادِمًا مَنِ اسْتَشَارَ (3)

الخاتمة

الحمد لله أولاً وأخيراً على ما يسر من إنجاز هذا البحث، وبعد فقد ألقينا الضوء على جوانب من حياة رجل من رجالات العلم بليبيا، ساهم في بناء صرح العلم في بلده، بل وفي منطقته كلها بعد أن نهل العلم من ينابيعه في بلده ومصر. ولا نزعم أننا كتبنا عنه ما يستحقه.

المصادر والمراجع

1:الأعلام ، لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، ط:الثانية 2002م.

(1) ينظر : الفتح والتيسير : (ص /176).

(2) ينظر : المصدر نفسه : (ص /178).

(3) ينظر : المصدر نفسه : (ص /180).

- 2: ترجمة الشيخ علي الحضيبي ، لعثمان بن علي الحضيبي، مخطوط، مكتبة الأستاذ عبد السلام حمزة الحضيبي.
- 3: النقاط الدرر، للقادري، تحقيق: هاشم العلوي القاسمي، دار الأفاق الجديدة، بيروت، ط: الأولى، 1983م.
- 4: الحياة العلمية والثقافية في فزان خلال الفترة ما بين القرن السابع عشر والقرن التاسع عشر . لعبد الله إبراهيم .
- 5: خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، للمحبي محمد أمين بن فضل الله، مكتبة خياط، بيروت، ط: بلا.
- 6: السدير الفائح المنتخب، للأوجلي ، تحقيق: محمد بشير سويسي، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، ط: الأولى، 1998م.
- 7: شجرة النور الزكية، لمحمد مخلوف، تعليق: عبد المجيد خيالي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط: الأولى، 2003م.
- 8: الفتح والتيسير، لعلي بن أبي بكر الحضيبي، تحقيق: حسن عبد الرحمن البركولي، ط: الأولى، 1990م.
- 9: لسان العرب، لابن منظور، دار صادر، بيروت، ط: الأولى، 1990م.
- 10: مختصر الشيخ خليل بن إسحاق المالكي، تحقيق: الشيخ طاهر الزاوي، دار المدار الإسلامي، ط: الثانية 2004م.
- 11: المسك والريحان فيما احتواه عن بعض أعلام فزان، لأحمد الدردير الحضيبي، تحقيق: أبو بكر عثمان القاضي، ط: الأولى، 1996م.
- 12: معجم المؤلفين، لعمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، ط: الأولى، 1993م.

13: المنهل العذب تاريخ طرابلس الغرب، لأحمد بك الأنصاري، مكتبة الفرجاني،

طرابلس

14: موسوعة (1000) مدينة إسلامية، لعبد الحكيم العفيفي، مكتبة الدار العربية

للكتاب، القاهرة، ط: الأولى، 2000م.

15: وثائق محمد الفاسي بفران، حبيب وداعة الحسناوي، مركز جهاد الليبيين 94م

الجرامنت ومظاهرهم الحضارية من خلال المصادر الأدبية والمعطيات الأثرية

د. محمد علي الدراوي

مقدمة

تعد الكتابات الكلاسيكية سواء الإغريقية منها أو الرومانية من أهم المصادر التي يُعتمد عليها في دراسة تاريخ ليبيا القديم، خاصة فيما يتعلق بموضوع عناصر السكان، فمن خلالها معرفة الكثير عنهم، ورسم صورة إلى حد ما واضحة المعالم لهم. إن من أهم المجموعات السكانية التي حظيت باهتمام كُتاب، مثل: هيرودوتس Herodotus^(*)، وسترابو Strabo^(**)، وبليني Pliny^(***)، وسيلبيوس أتاليكوس

* هيرودوتس Herodotus (420-484 ق.م) مؤرخ إغريقي كبير، ينحدر من أسرة إغريقية شهيرة، لقب بأبي التاريخ PATER HISTORIAE، وقد زار العديد من البلدان والأقاليم.

- Sacks. D, Encyclopedia of Ancient Greek World, New York, 2005, PP. 154-155.

** سترابو Strabo جغرافي إغريقي شهير، ولد في نحو منتصف القرن الأول قبل الميلاد، زار العديد من البلدان، له كتاب ضخيم في الجغرافيا *Geography*، ويتألف من سبعة عشر جزء، وتوفي في 20 ق.م.

- Matthew. B, Encyclopedia of the Roman Empire, New Yourk, 2002, P.515.

*** بليني Pliny (23-79م)، كاتب وأحد الموسوعيين الكبار في التاريخ الروماني، عمل مستشاراً للإمبراطورين فاسبسيان (69-79م)، وتيتوس (79-81م)، وحينما ثار بركان فيزوف في صيف 79م ذهب للحوظ البركان، حيث مات من الغازات السامة المنبعثة من البركان، ألف العديد من التواريخ والدراسات، وللأسف لم يبق منها سوى التاريخ الطبيعي *The Natural History* فقط، والذي يقع في سبعة وثلاثين كتاباً.

- Matthew. B, op. cit. P.436.

Silius Italicus^(****)، وتاكتيوس Tacitus^(*****)، هم الجرامنت Γαλαμαντες^(*)، وذلك لأسباب عدة، منها الدور الذي لعبوه في حركة التجارة الصحراوية، المماثل لذات الدور الذي لعبه الفينيقيون في التجارة البحرية، إضافة لمقاومتهم للوجود الروماني سواء كان ذلك بشكل مباشر أو من خلال دعمهم لأي ثورة قد تنهض ضد ذلك الوجود.

مشكلة الدراسة تتمحور مشكلة هذه الدراسة حول الجرامنت وحضارتهم التي تعد من أهم الحضارات الليبية القديمة، سواء من الناحية السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية.

وعليه كانت هناك بعض التساؤلات سعت الدراسة للإجابة عنها، وهي:
 من هم الجرامنت؟ وأين أماكن تواجدهم؟ وما هي أصولهم؟ وكيف كان النظام السياسية عندهم؟ وماهي علاقاتهم الخارجية؟ وما الأنشطة الاقتصادية التي مارسوها؟ وما مظاهر حياتهم الاجتماعية؟ وما هي عقائدهم الدينية.

**** سيليوس إيتاليكوس Silius Italicus (26-101م)، شاعر ملحمي، وخطيب بارع، ومحام، كما عمل سياسياً، ومؤلف الكتاب الضخم "بيونكا" Punica في سبعة عشر جزءاً، والذي يغطي الحرب البونية الثانية.

- Matthew. B, op. cit. P.506.

**** تاكتيوس Tacitus (55-120م) مؤرخ وخطيب وسياسي روماني، له عمل من ستة عشر جزءاً، يسمى OB EXCESSUS DIVI AUGUSTI (بعد موت المؤله أغسطس).

- Matthew. B, op. cit. P.521.

* الاسم كما ورد في أغلب المصادر مثل: هيروdotس وبليني، وفي القليل من تلك المصادر ورد برسم Γαλαβαντες أو Γαμφασαντες، للمزيد انظر: الكتاب الرابع من تاريخ هيروdotس (هيروdot) الكتاب السكثي والكتاب الأول، ترجمة محمد المبروك الذويب، منشورات جامعة قارونس، ط1، بنغازي، 2003م، هامش ص125.

أهداف الدراسة/ تهدف هذه الدراسة إلى التعريف بالحضارة الجرمانتية، ومظاهرها المختلفة، سواء السياسية أو الاقتصادية أو الاجتماعية، إضافة للحياة الدينية.

منهجية الدراسة/ تعد المنهجية من الفاعليات الأساسية في أي جهد علمي، وعليه فإن هذه الدراسة اعتمدت على المنهج التاريخي المعتمد على التحليل النقدي والمقارنة بين ما توفر لدينا من معلومات سواء من المصادر الأدبية التي أشارت للجرمانت أو المعطيات الأثرية الناتجة عن أعمال الحفر والتنقيب في المناطق التي استقروا بها.

هذا ولدراسة الموضوع قُسمت الدراسة إلى المحاور التالية، وهي:

أولاً: موطن الجرمانت/ سكن الجرمانت الجنوب الليبي في منطقة فزان، وكانت عاصمتهم جرمة Garama، أورد هيرودوتس بأن موطنهم يبعد مسيرة عشرة أيام للغرب من واحة أوجلة *Auyila* (1)، كما ذكر بليني في كتابه التاريخ الطبيعي بأن بلادهم على بُعد اثني عشرة يوماً من أوجلة (2).

هذا وإن كنا لا نعرف على وجه اليقين حدود مناطقهم بدقة، فإن حدودهم الشمالية قد تكون محددة تقريباً بالخط الدفاعي الذي أقامه الرومان، والممتد من أبو نجيم شرقاً إلى غدامس غرباً مروراً بالقريات، وقد ذكر ماتنقلي Mattingly أن مراكزهم كانت بين الحمادة الحمراء وبحر رمال أوباري ومرزق (3) (الشكل 1)، ودلت أعمال الحفر والتنقيب في زنكرا -جنوب غرب مدينة جرمة- على أنها المركز الرئيسي الأول الذي استقر به الجرمانت، وأنها ظلت مأهولة من القرن التاسع قبل الميلاد وحتى القرن الأول الميلادي، أما العاصمة جرمة، فإن أقدم استيطان بها يرجع للقرن الرابع قبل الميلاد، وفي منطقة

¹ Herodotus, IV.183.

² Pliny, The Natural History, V. 26.

³ Mattingly.D.J, Tripolitania, The Bath Press, London 1995, P.33.

وادي الأجال حيث تنتشر المراكز الجرامنتية أحصي ستون ألف قبر لهم⁽¹⁾، وقد شكك داينلز في هذا العدد على أنه أقل بقليل مما هو موجود فعلاً⁽²⁾، الأمر يعكس العدد الكبير لهم في تلك الأثناء، وهو ما أكده هيروودوتس في معرض حديثه عنهم بأن عددهم كبير⁽³⁾.

ثانياً: أصل الجرامنت/ لقد تباينت واختلفت الآراء حول أصل الجرامنت، وأن كانت جميعها يجمع على أنهم ليسوا من السكان الأصليين للمنطقة، وأنهم وافدون إليها، وهذه الآراء هي:

- الرأي الأول/ يرى أنهم من شعوب البحر، وتحديدًا من جزر كريت وصقلية وسردينيا، وأنهم نزحوا عنها لزلزال قد ضربها وخربها⁽⁴⁾، وجاءوا للساحل الليبي في حوالي نهاية الألف الثاني قبل الميلاد لغزو مصر، وعند فشلهم في تحقيق ذلك توجهوا نحو واحات الجنوب حيث استقروا، في حين يرى آخرون بأنهم توجهوا غربًا نحو جزيرة جربة وساحل قابس، واختلطوا بالسكان الأصليين، ولكنهم نزحوا نحو واحات الجنوب عندما قدم الفينيقيون للمنطقة⁽⁵⁾.

¹ Ibid. P.34.

² تشارلز داينلز، أعمال الحفر والتنقيب في مواقع الجرامنت، ترجمة مصطفى عبد الله الترجمان، مجلة آثار العرب، العدد الثاني، مارس 1991م، ص40.

³ Herodotus, IV.183.

⁴ محمد سليمان أيوب، جزمة في تاريخ الحضارة الليبية، دار المصراطي للطباعة والنشر، طرابلس، ب.ت، صص 131 - 132.

⁵ محمد علي عيسى، الجذور التاريخية لسكان المغرب القديم من خلال المصادر الأثرية والانثروبولوجية واللغوية، ط2، المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، 2012م، ص308.

- الرأي الثاني/ ويعتقد أصحاب هذا الرأي أنهم من واحة سيوة التي تركوها واتجهوا نحو الواحات الليبية⁽¹⁾، وذلك خوفاً من حملة الملك الفارسي قمبيز الثاني Καμβυσης II (529-522 ق.م) الذي كان قد وجه حملة إلى هذه الواحة انتقاماً منها بسبب النبوءات التي يطلقها معبد نبوءات آمون الذي بها، والتي مفادها أن الفرس ستلحق بهم الهزيمة، وسيلاقي قمبيز سوء المصير في القريب العاجل، غير أن هذه الحملة لم يكتب لها النجاح لهلاك الجيش الفارسي في الصحراء وهو في طريقه إليها^(*).
- الرأي الثالث/ يرى أنهم من الفلسطينيين الذين هاجروا عن بلادهم إلى الشمال الأفريقي بعد أن رحلوا عنها بُعيد هزيمة جالوت أمام الملك داوود⁽²⁾، واستناداً على ما أورده بروكوبيوس القيصري من أن اليهود بعد وفاة موسى عليه السلام خرجوا من مصر بقيادة يوشع بن نون اتجهوا نحو فلسطين، وبعد حرب شرسة تمكنوا من الاستيلاء عليها، وهزيمة أهلها الذين تحرك قسم منهم لمصر، ومنها اتجهوا نحو ليبيا القديمة، رأى البعض بأن هؤلاء هم أسلاف الجرمانت⁽³⁾.

¹ محمد سليمان أيوب، جريمة في تاريخ الحضارة الليبية، ص 133 - 134؛

* أورد هيرودوتس أنباء هذه الحملة، للمزيد انظر:

- Herodotus, III. 25 - 26.

² Bates. O, The Eastern Libyans, CO.LTD, New impression, London, 1970, P.257.

³ محمد علي عيسى، المرجع السابق، ص 309.

-الرأي الرابع/ يربط بعض الباحثين بينهم وبين المجموعة (ج)⁽¹⁾، والتي ظهرت في النوبة بين الشلال الأول والشلال الثالث، في الفترة من (2250 - 1500 ق.م)⁽²⁾، لوجود بعض القواسم المشتركة بينهما هذا والجدير بالذكر أن تلك الآراء في مجملها لا يستند على أية أدلة قوية يثبت صحتها، غير أن هناك رأي أخير يمكن الركون إليه، وهو الأقرب إلى المنطق وجادة الصواب، إذ يرى بأنهم من قبيلة جرهم العربية^(*)، وذلك استناداً على أن أول إشارة للجرامنت جاءت من كتاب إغريق أو رومان، وهؤلاء ليس بمقدورهم نطق حرف الهاء فاستبدلوه بحرف الألف لتصبح جرهم جرامة، والجرهميين الجرامنت، إضافة للتشابه الكبير بين الحروف اللببية القديمة التي منها التيفيناغ وحروف الكتابة الظفارية التي تنتشر في جبال ظفار بسلطنة عمان اليوم⁽³⁾، والأبجدية الفينيقية⁽⁴⁾، كما استخدم الجرامنت اللغة الفينيقية نفسها، وفي هذا الصدد ذكر الكاتب أرنوبيوس

¹ رجب عبد الحميد الأثرم، محاضرات في تاريخ ليبيا القديم، ط3، منشورات جامعة قاربيونس، بنغازي، 1998م، ص214.

² شاهدة عمر أحمد الباشا، حضارة كرمة: النشأة والتطور والامتداد الجغرافي، رسالة ماجستير، جامعة الخرطوم، السودان، 2009م، ص20.

* مما يؤكد ذلك قول سترابو من أن سكان المنطقة يشبهون البدو الرعاة العرب.

- سترابو، الكتاب السابع عشر من جغرافية سترافون (سترابون) (وصف ليبيا ومصر)، ترجمة محمد المبروك الذويب، جامعة قاربيونس، بنغازي، 2003م، 3. 19.

3 محمد علي عيسى، المرجع السابق، ص310.

4 محمد علي حسين الدراوي، الحياة الدينية والثقافية بمنطقة المدن الثلاث زمن الاحتلال الروماني، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الفاتح، 2003م، ص ص 185-186.

Arnobius وهو من كتاب القرن الثالث الميلادي أن الجرامنت كانوا يتحدثون الفينيقية على زمنه⁽¹⁾.

ثالثاً: الحياة السياسية/

نظام الحكم: كان الجرامنت من أكثر المجتمعات الصحراوية تنظيمًا، فقد كان النظام السياسي عندهم ملكي، يكون الملك فيه على رأس هرم السلطة، إضافة إلى أنه قائدًا للجيش، وربما كان كاهنًا كذلك، فهو بذلك يجمع بين السلطين الدينية والدينية، وتدل مقابر أولئك الملوك على أنهم كانوا يعتبرون أنفسهم حكامًا لرعيّتهم في الحياة الدنيا وحتى بعد مماتهم⁽²⁾.

هذا وكان لأولئك الملوك نوابًا في الأقاليم التابعة لهم، ويدفعون لهم الضرائب، ويمدونهم بالمقاتلين عند الحاجة، كما كانوا يسيرون القوافل التجارية ويؤمنونها، وكان لكل نائب وحاكم إقليم قصرًا خاصًا به، ومقبرة فخمة له ولأفراد أسرته⁽³⁾.

الجيش: كان للجرامنت جيش منظم يتألف من الفرسان، وهم الخيالة وراكبي العربات التي اشتهروا بقيادتها وتجرها أربعة الخيول، وقد أشار هيرودوتس إلى ذلك في معرض حديثه عنهم⁽⁴⁾، والتي كثيرًا ما نراها في النقوش الجرامنتية (شكل 2)، كما ضم الجيش المشاة، وكانت لهم فرق عسكرية خاصة بدم الآبار وسد الطرق والمسالك وقطع إمدادات العدو⁽⁵⁾.

¹ EL Mayer. A. F, Re-Interpretation of Latino-Punic inscription from Roman Tripolitania, LS, vol.14, 1983, P.92.

² محمد سليمان أيوب، جزمة في تاريخ الحضارة الليبية، ص 157-158.

³ المرجع نفسه، 159.

⁴ Herodotus, IV.183.

⁵ Pliny, The Natural History, V, 5;

- محمد سليمان أيوب، جزمة في تاريخ الحضارة الليبية، ص 160.

هذا وقد قاد الجرامنت العديد من الحروب ضد الرومان، ودعموا الثورات المناهضة لهم، كدعمهم لثورة الجيتوليين في سنة 21 ق.م⁽¹⁾، والذي كانت نتيجته أن وجه الرومان حملة عسكرية بقيادة كورنيليوس بالبوس *Cornelius Palbus* خلال سنة 19 ق.م، وقد نقل لنا بليني أخبار هذه الحملة⁽²⁾، ووثق النصر الذي حقته الحملة على قوس الإمبراطور أغسطس *Augustus* في روما⁽³⁾، ولكن حقيقةً يبدو أن هذه الحملة فشلت ولم تحقق أهدافها، إذ سرعان ما قام الجرامنت بدعم تاكفيريناس *Tacfarinas* في ثورته المناهضة للوجود الروماني التي عمت أغلب مناطق شمالي أفريقيا سنة 17م⁽⁴⁾، إضافة لوقوفهم إلى جانب أويا في حربها ضد لبدة الكبرى سنة 70م حتى أنهم حاصروها إلى أن تصدت لهم القوات الرومانية بقيادة فالوريوس فيستوس *Valerius Festus* وألحقت بهم هزيمة⁽⁵⁾، وفي أرضية سيفسائية عثر عليها بإحدى الفيئات الرومانية والمعروفة باسم دار بوك عميرة بزلتين مشهد يصور أحد الأسرى وهو يصارع أسد، رأى أحد الباحثين بأنه يمثل أسيراً من الجرامنت بعد هزيمتهم أمام فستوس⁽⁶⁾ (شكل 3)، كما أخبرتنا المصادر بحملة أخرى قام بها سبتيميوس فلاكوس *Septimius Flaccus* قائد الفرقة الأغسطية الثالثة في سنة 80م، وقد اتجهت هذه الحملة لجرمة وتجاوزتها جنوباً، وهناك حملة أخرى

¹ مصطفى كمال عبد العليم، دراسات في تاريخ ليبيا القديم، منشورات الجامعة الليبية، المطبعة الأهلية، بنغازي، 1966م، ص86.

- Haynes. D.E.L, The antiquities of Tripolitania, published by the antiquities, Museums and archives of Tripoli, Libya, 1965, P.36.

² Pliny, The Natural History, V.

³ تشارلز داينلز، أعمال الحفر والتنقيب في مواقع الجرامنت، ص36.

⁴ مصطفى كمال عبد العليم، المرجع السابق، ص89.

⁵ Tacitus, IV.50.

⁶ محمد سليمان أيوب، جرمة في تاريخ الحضارة الليبية، ص141.

انطلقت من مدينة لبدّة الكبرى بقيادة يوليوس ماثيرنوس *Julius Maternus*، واتجهت جنوباً صحبة الملك الجرامنتي، ربما كانت لأغراض تجارية، ووصلت الحملة إلى بلدة تسمى أجيسمبا *Agysimba*⁽¹⁾.

هذا كما تحالف الجرامنت مع النسامونيس بالإغارة على المنطقة الساحلية، الأمر الذي دفع الإمبراطور سبتيميوس سيفيريوس *Septimius Severus* (193-211م) لتوجيه حملة للتصدي لهم⁽²⁾.

رابعاً: الحياة الاقتصادية/ مارس الجرامنت العديد من الأنشطة الاقتصادية

المختلفة، لعل من أهمها النشاط التجاري، فقد لعبوا دور الوسيط التجاري بين المراكز التجارية الساحلية حيث منطقة المدن الثلاث في الشمال وأواسط أفريقيا في الجنوب، إذ كانت عاصمتهم جرمة مركزاً مهماً لتجمع السلع القادمة من أفريقيا⁽³⁾، وقد ساعدتهم على ذلك عوامل عدة من أهمها: تمركزهم في منطقة تعد من أقصر الطرق وأكثرها أمناً بين أواسط أفريقيا في الجنوب والمراكز التجارية الساحلية في الشمال، إضافة لعدم وجود أية عقبات طبيعية بينهما، ووجود سلسلة من الواحات التي تعد ملجأً مناسباً للقوافل التجارية للراحة والتزود بالماء الذي كان موجوداً على مستويات قريبة جداً من سطح الأرض⁽⁴⁾، أما العامل الآخر تمثل في وجود الفينيقيون بالشمال، الذين استقبلوا سلعهم التي من بينها

¹ تشارلز دانيلز، أعمال الحفر والتقيب في مواقع الجرامنت، ص35؛

Haynes. D.E.L, op. cit. P.38.

²EL Mayer. A. F, Tripolitania and Roman Empire, Markaz Jihad AL Libyan Studies Centre, Tripoli, 1996, P.109; Haynes. D.E.L, op. cit. P.39.

³ أحمد محمد أنديشة، التاريخ السياسي والاقتصادي للمدن الثلاث، الدار الجماهيرية للنشر، ط1، مصراتة، 1993، ص117.

⁴ Gsell.S, Histoire Ancienne de L'Afrique du Nord, Tome.2, P.139

جلود الحيوانات والأخشاب، والعاج الذهب الذي يعتقد بأنه كان يجلب من أعالي النيجر أو غينيا العليا⁽¹⁾، والحيوانات المفترسة والأحجار الكريمة التي منها العقيق الأحمر الذي أطلق عليه الإغريق أسم الحجر القرطاجي Καρχηδωνιος Λιθος الذي ذكر سترابو بأنه يؤتى به من بلاد الجرامنت⁽²⁾، وعثر عليه في بعض مواقعهم⁽³⁾، وقد استبدل الجرامنت تلك السلع بالأسلحة والأقمشة والزجاج والأواني الفخارية⁽⁴⁾، ففي مقابر زنككرا عثر على فخار من روماني من إيطاليا ومن جنوب بلاد الغال، إضافة لأواني زجاجية وفخار مصري⁽⁵⁾، هذا وقد استخدمت القوافل التجارية في نقل البضائع الحيوانات المختلفة، مثل: الحمير والثيران التي كثيرًا ما ظهرت في الرسوم الصخرية بمنطقة فزان⁽⁶⁾، إضافة للخيول⁽⁷⁾ التي كثيرًا ما استخدمت في جر العربات، أما الجمل فجاء متأخرًا إلى الشمال الأفريقي، ورأى جازيل بأنه دخل شمال أفريقيا في القرن الثالث الميلادي⁽⁸⁾، غير

¹ Bates. O, op.cit. P.107; Gsell. S, op.cit. Tome.4 P.140.

² Strabo, Geography, XVII.3.11, 19.

³ محمد سليمان أيوب، حملة كورنيليوس بالبوس على فزان سنة 19 ق.م، مجلد ليبيا في التاريخ، الجامعة الليبية، بنغازي، 1969م، ص216.

⁴ Bates. O, op.cit. P.107.

⁵ تشارلز داينلز، أعمال الحفر والتقيب في مواقع الجرامنت، ص40.

⁶ Bates. O, op.cit. P.103.

⁷ تعود جذور الحصان الشمال أفريقي إلى أصول عربية، وقد دخل أول مرة إلى مصر مع الهكسوس (الأسرة الثامنة عشرة)، والذي سرعان ما انتشر في جميع أنحاء شمال أفريقيا، ولكن أهميته قلت إلى حد ما بعد دخول الجمل، على الأقل في أكثر الأماكن صحراوية، للمزيد انظر:

- Demougeot.E, Le Chameau et l'Afrique du Nord romaine, Annales, Économies, Sociétés, Civilisations, Vol.15, 1960, P.209.

⁸ Gsell.S, op.cit. Tome.4, P.139.

أن روبيير مارشال رأى بأن قوافل الجمال كانت موجودة حتى قبل قدوم الرومان للمنطقة⁽¹⁾.

أما الصناعة، فقد عثر ببعض مواقع الجرامنت على أفران خاصة بخلط النحاس، وفي بعض المواقع وجدت مخلفات لصهر الحديد⁽²⁾، كما أكتشف في أحد مواقعهم أيضاً على فرن لتتقية الفضة⁽³⁾، وكان من الصناعات الأخرى التي مارسها الجرامنت صناعة الفخار، والنسيج، والزجاج، والأدوية⁽⁴⁾.

ومن الأنشطة الاقتصادية الأخرى التي كان لها حضور عند الجرامنت النشاط الزراعي والرعي، فقد أشار هيروdotس إلى قيامهم بزراعة الأرض الملحية بعد وضع طبقة من التربة⁽⁵⁾، يذكر تشارلز دانيلز في هذا الصدد أن الجرامنت زرعوا القمح والشعير والكروم واللوز والتين والرمال والزيتون⁽⁶⁾، وكشفت الأدلة الأثرية إلى أن المساحة المزروعة من أراضي الجرامنت تزيد على 130 كم²⁽⁷⁾، وتعد أشجار النخيل من أهم الأشجار، ذكر

¹ روبيير مارشال، الشقاف المخطوط بأبي نجيم، ترجمة محمد علي عيسى أبو القاسم، مجلة ليبيا القديمة، الملحق السابع، منشورات مصلحة الآثار، طرابلس، 1992م، ص 14.

² سالم محمد عبد الله هويدي، الحضارة الجرمنية، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، ط 1، طرابلس، 2010م، ص 162.

³ تشارلز دانيلز، أعمال الحفر والتتقيب في مواقع الجرامنت، ص 39.

⁴ سالم محمد عبد الله هويدي، المرجع السابق، ص 163-167.

⁵ Herodotus, IV.183.

⁶ تشارلز دانيلز، الجرامنتيون سكان جنوب ليبيا القدماء، تعريب أحمد اليازوري، ط 2، دار الفرجاني، طرابلس، 1991م، ص 80.

⁷ عبد الحفيظ فضيل الميار، الحضارة الفينيقية في ليبيا، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2001م، ص 57-58.

بليني بأن الأنحاء الداخلية وحتى بلاد الجرامنت مكسوة بها، وتميزت بكبر حجم تمورها ومذاقها الحلو⁽¹⁾.

هذا ومن أهم الآثار الباقية حتى يومنا التي تدل على أهمية النشاط الزراعية عندهم الفجارات، وهي عبارة عن آبار تربطها قنوات من أسفل، وتعد هذه الفجارات نظام دقيق للري، ذكر ماتتقلي بان عددها حوالي 600 فجارة⁽²⁾.

أما النشاط الرعوي وتربية الحيوانات يمكن أن نتلمسه في حديث هيرودوتس الذي أشار فيه إلى أبقارهم التي ترعى وهي تسير للخلف حتى لا تتغرس قرونها بالأرض⁽³⁾، وحديث سترابو عن اهتمامهم بتربية الخيل، وإنتاجهم السنوي من المهر الذي يصل فيه عددها إلى مئة ألف سنوياً⁽⁴⁾.

خامساً: الحياة الاجتماعية/ ينقسم المجتمع الجرامنتي بصفة عامة إلى حضر وبدو⁽⁵⁾، والحضر هم ساكني المدن والواحات، أما البدو، فهم أبناء العشائر المعتمدة في حياتها على الرعي والترحال بحثاً عن الماء والكلاء، وكان هناك أيضاً العبيد، وهم أسرى الحروب، وكانت تسند إليهم أعمال الخدمة في البيوت، والأعمال الزراعية، والرعي⁽⁶⁾ إن السيادة في المجتمع الجرامنتي للرجل، والذي يستطيع الزواج بعدد كبير من النسوة، وكان له عدد ليس بالقليل من الأبناء⁽⁷⁾، ورغم ذلك دلت قبور النساء الفخمة، وما ضمته من أثاث جنائزي إلى تمتعهن بمكانة مرموقة في المجتمع الجرامنتي⁽¹⁾.

¹ Pliny, The Natural History, XIII.3.

² Mattingly. D.J, op. cit. P.34.

³ Herodotus, IV.183.

⁴ سترابو، المصدر السابق، 3. 19.

⁵ Pliny, The Natural History, V.5.

⁶ محمد سليمان أيوب، جزمة في تاريخ الحضارة الليبية، ص 156-157.

⁷ Mela, I. 8;

أما الملابس الجرمانتية، فقد ارتدى الجرمانت ملابس صنعت في الفترة المبكرة من الجلد، ولكنها أصبحت فيما بعد من القماش، ومما لا شك فيه بأنها لا تختلف عن ملابس باقي القبائل الليبية الأخرى، والتي هي عبارة عن عباءات فضفاضة تحتها ثوب قصير حتى الركبة، ومثبتة عند الخصر، وفي أحياناً أخرى لا يرتدون شيء سوى حزام جلدي مزخرف لستر العورة⁽²⁾، وقد عُثر على أجزاء من هذه الملابس في مقابرهم، كما تميز الجرمانت بوضع ريشة على رؤوسهم⁽³⁾ (شكل 4).

أما مساكن الجرمانت كانت بداية أكواخ من أغصان الأشجار، ومن تم حلت محلها مساكن مبنية من الطوب، وقد دلت الاكتشافات الأثرية على أن الجرمانت استقروا بدايةً على جبل زنككرا، وذلك منذ الألف الأول قبل الميلاد على الأقل، وأستمر حتى القرن الأول الميلادي، ولكن مع أواخر هذا القرن غادروا هذا الجبل إلى موقع جرمة الذي أنشأوا به خلال القرون الثلاثة الأولى الكثير من المباني المختلفة بعضها تألف من طابقين، وزينت بعض جدران تلك المساكن بالطلاء⁽⁴⁾.

سادساً: الحياة الدينية/ من العقائد الدينية التي يعتقد انتشارها بين الجرمانت

وبعض القبائل الليبية الأخرى عبادة الأسلاف، ورأى بعض الباحثين أن تسمية بعض القبائل بأسماء أجدادها يأتي ضمن هذه العقيدة، مثل جرامس جد الجرمانت، ونسامون جد

- سترابو، المصدر السابق، 3. 19.

¹ محمد سليمان أيوب، جرمة في تاريخ الحضارة الليبية، ص 156.

² تشارلز دانيلز، الجرمانتيون سكان جنوب ليبيا القدماء، ص ص 46 ، 48.

³ سالم محمد عبد الله هويدي، المرجع السابق، ص 84.

⁴ تشارلز دانيلز، الجرمانتيون سكان جنوب ليبيا القدماء، ص ص 67- 79؛ رجب عبد الحميد الأثرم،

المرجع السابق، ص ص 214- 215.

النسامونيس، وبسيلوس جد البسيلي⁽¹⁾، ربما وفاء وشكر لهم على ما أسدوه من نعم لأبنائهم، كما اهتموا بإقامة القبور لهم، فقد وجدت مصاطب على قبور الموتى الجرامنت⁽²⁾، ربما استخدمت لوضع القرابين المقدمة لأرواح أولئك الموتى، واستغلالها بالنوم عليها عند الاستخارة، لقد كان الليبي يعتقد باستحضار أرواح الأجداد، ويعتبر هذا الاستحضار جزءاً من الديانة الليبية، فكانوا يعملون على إيقاظ أرواح موتاهم، لاعتقادهم بأن أرواح أولئك الأجداد على صلة بالسماء، لذلك كانوا يحاولون استطلاع الغيب ومعرفة المستقبل عن طريق استحضار أرواحهم والاتصال بها من خلال النوم على قبورهم، فقد كان المرید يغتسل وينام على قبر أحد أولئك الأجداد، وما يتجلى له في المنام من حلم يعتبره حياً من سلفه⁽³⁾. هذا ومن المعتقدات الأخرى التي كانت عند الجرامنت الإيمان بخلود الميت، ويتضح ذلك من خلال الأثاث الجنائزي الذي عثر عليه بمقابرهم من أواني وأدوات للزينة⁽⁴⁾.

أما طرق الدفن التي اتبعوها، ذكر سيلوس اتاليكوس بأنهم يدفنون ميتهم في حفرة ضحلة⁽⁵⁾، وبينت الاكتشافات الأثرية في وادي الآجال بأنهم كانوا يدفنون موتاهم بدون

¹ Bates. O, op. cit. P.174.

² محمد سليمان أيوب، جرمة في عصر ازدهارها من 100م إلى 450م، مجلد ليبيا في التاريخ، الجامعة الليبية، بنغازي، 1968م، ص162.

³ محمد علي حسين الدراوي، العقائد الدينية الليبية القديمة وفق المصادر الكلاسيكية، المؤتمر الدولي الثالث ومؤتمر الرابطة الأكاديمية الأول للبحث العلمي، الكويت، 10-12/ فبراير/ 2014م، ص ص 1177-1178.

⁴ محمد سليمان أيوب، جرمة في تاريخ الحضارة الليبية، ص179.

⁵ Silius Italicus, Punica, XIII. 479.

تواييت⁽¹⁾، وفي قبور مستديرة، يُسجى فيها الميت مضغوطاً على هيئة جنين (القرفصاء)⁽²⁾، يعتقد بأن هذه الطريقة تعود إلى عادة تكبيل جسد الميت لمنع عودة شبحه لمضايقة الأحياء، غير أن هاينز شكك في استمرارية هذه الفكرة عند الجرامنت⁽³⁾، كما عثر على نوع آخر من القبور وهي هرمية الشكل تبنى من اللبن وترتفع عن سطح ما بين المترين وخمسة أمتار، وحجرة الدفن تحت الهرم⁽⁴⁾ (الشكل 5)، أما النوع الآخر من القبور، فهي ترجع للعصر الروماني، ويوجد لها شواهد تكون غالباً على الجانب الشرقي للقبر، إضافة لمائدة خاصة بتقديم القرابين⁽⁵⁾ (الشكل 6).

الخاتمة/ مما تقدم يمكننا استنتاج ما يلي:

-سكن الجرامنت بالجنوب الليبي في فزان، بالمنطقة الواقعة بين الحمادة الحمراء شمالاً وبحر رمال أوباري ومرزق جنوباً، وكانت عاصمتهم جرمة، وقد تباينت الآراء حول أصولهم، وأن كان أرجحها الرأي القائل بأنهم من شبه الجزيرة العربية.

-كان الجرامنت من أكثر سكان المنطقة تنظيماً، النظام السياسي عنهم ملكياً، فيه الملك على رأس السلطتين الزمنية والدينية، وينوب عنه في الأقاليم التابعة لهم نواب، كما كان لهم جيش منظمًا تتوزع فيه الاختصاصات.

-قاوم الجرامنت الوجود الروماني، سواء بشكل مباشر أو من خلال دعم الثورات الوطنية المناهضة لهم.

¹ تشارلز دانيلز، الجرامنتيون سكان جنوب ليبيا القدماء، ص 54.

² محمد سليمان أيوب، جرمة في عصر ازدهارها من 100م إلى 450م، ص 168.

³ Haynes. D.E.L, op. cit. P 23.

⁴ محمد سليمان أيوب، جرمة في تاريخ الحضارة الليبية، ص 177.

⁵ تشارلز دانيلز، الجرامنتيون سكان جنوب ليبيا القدماء، ص 54.

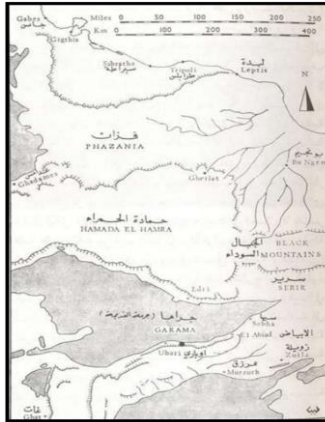
-ينقسم المجتمع الجرامنتي إلى حضر وبدو، السيادة فيه للرجل، وأن كانت المرأة عندهم تحظى بمكانة مرموقة.

-كان للنشاط الاقتصادية وخاصة التجاري منه أهمية كبيرة في نشوء وازدهار الحضارة الجرامنتية، فقد لعبوا في التجارة الصحراوية ذات الدور الذي لعبه الفينيقيون في التجارة البحرية.

-سكن الجرامنت بدايةً بأكواخ، ثم انتقلوا للإقامة في مساكن مبنية من الحجر، أما ملابسهم، فهي لا تختلف عن ملابس باقي القبائل الليبية الأخرى.

-انتشرت بين الجرامنت عبادة الأسلاف، واستحضر أرواحهم؛ لاستطلاع المستقبل، كما اعتقدوا بخلود الميت، ودفنوا موتاهم في أنواع عدة من القبور.

ملحق الأشكال



(الشكل 1)

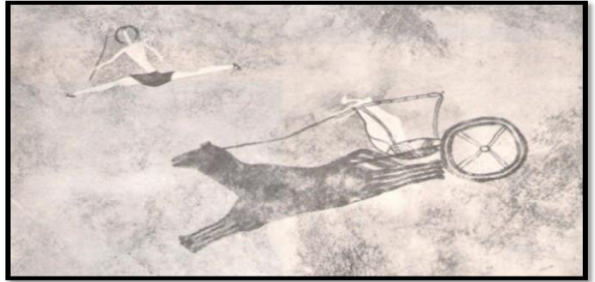
المراكز الجرامنتية بالجنوب الليبي

تشارلز دانيلز، الجرامنتيون سكان جنوب ليبيا القدماء، ص15، الشكل رقم 1

(الشكل 2)

مشهد للعربات الجرامنتية التي تجرها الخيول

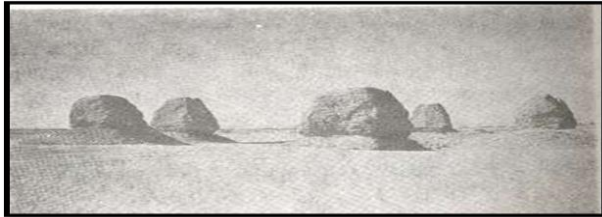
فابرينشيوموري، تادرايت اكاكوس الفن الصخري وثقافات الصحراء قبل التاريخ، ترجمة عمر الباروني وفؤاد الكعجزي، منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، طرابلس، 1989م، ص215، اللوحات 139، 138.



(الشكل 3)

مشهد يصور أحد الأسرى الجرامنت وهو يصارع أسد

تشارلز دانيلز، الجرامنتيون سكان جنوب ليبيا القدماء، ص29، الشكل 5.



(الشكل 4)

رسومات عشر عليها في مقبرة سيتي الأول بمصر تصور أربعة ليبينين.

Bates. O, op. cit. PLATE. III.



(الشكل 5)

الأضرحة الهرمية

تشارلز دانيلز، الجرامنتيون سكان جنوب ليبيا القدماء، ص 59، الصورة 7.



(الشكل 6)

قبر من العصر الروماني له شاهد ومائدة قرابين

المرجع نفسه، ص55، الصورة6.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً/ المصادر: المصادر المعربة:

1. الكتاب الرابع من تاريخ هيرودوتوس (هيرودوت) الكتاب السكثي والكتاب الأول، ترجمة محمد المبروك الذويب، منشورات جامعة قاريونس، ط1، بنغازي، 2003م.
2. سترابو، الكتاب السابع عشر من جغرافية سترافون (سترابون) (وصف ليبيا ومصر)، ترجمة محمد المبروك الذويب، جامعة قاريونس، بنغازي، 2003م.

أ. المصادر الكلاسيكية:

- | | | |
|---------------------|----------------------------|-------|
| 1. Herodotus. | | L.C.L |
| 2. Mela | | L.C.L |
| 3. Pliny. | <i>The Natural History</i> | L.C.L |
| 4. Silius Italicus. | <i>Punica</i> | L.C.L |
| 5. Strabo. | <i>Geography</i> | L.C.L |

6. Tacitus

Annals

L.C.L

ثانياً/ المراجع:

أ. المراجع العربية:

1. أحمد محمد أنديشة، التاريخ السياسي والاقتصادي للمدن الثلاث، الدار الجماهيرية للنشر، ط1، مصراتة، 1993م.
2. تشارلز دانيلز، الجرامنتيون سكان جنوب ليبيا القدماء، تعريب أحمد اليازوري، دار الفرجاني، ط2، طرابلس، 1991م.
3. تشارلز دانيلز، أعمال الحفر والتنقيب في مواقع الجرامانت، ترجمة مصطفى عبد الله الترجمان، مجلة آثار العرب، العدد الثاني، مارس 1991م.
4. رجب عبد الحميد الأثرم، محاضرات في تاريخ ليبيا القديم، ط3، منشورات جامعة قاريونس، بنغازي، 1998م.
5. روبر مارشال، الشقاف المخطوط بأبي نجيم، ترجمة محمد علي عيسى أبو القاسم، مجلة ليبيا القديمة، الملحق السابع، منشورات مصلحة الآثار، طرابلس، 1992م.
6. سالم محمد عبد الله هويدي، الحضارة الجرمية، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية، ط1، طرابلس، 2010م.
7. شاهدة عمر أحمد الباشا، حضارة كرمة: النشأة والتطور والامتداد الجغرافي، رسالة ماجستير، جامعة الخرطوم، السودان، 2009م.
8. عبد الحفيظ فضيل الميار، الحضارة الفينيقية في ليبيا، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2001م.

9. فابريتشيو موري، تادرات اكاكوس الفن الصخري وثقافات الصحراء قبل التاريخ، ترجمة عمر الباروني وفؤاد الكعازي، منشورات مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، طرابلس، 1989م.
10. محمد سليمان أيوب، جرمة في تاريخ الحضارة الليبية، دار المصراطي للطباعة والنشر، طرابلس.
11. محمد سليمان أيوب، جرمة في عصر ازدهارها من 100م إلى 450م، مجلد ليبيا في التاريخ، الجامعة الليبية، بنغازي، 1968م.
12. محمد سليمان أيوب، حملة كورنيليوس بالبوس على فزان سنة 19 ق.م، مجلد ليبيا في التاريخ، الجامعة الليبية، بنغازي، 1969م.
13. محمد علي حسين الدراوي، الحياة الدينية والثقافية بمنطقة المدن الثلاث زمن الاحتلال الروماني، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الفاتح، 2003م.
14. محمد علي حسين الدراوي، العقائد الدينية الليبية القديمة وفق المصادر الكلاسيكية، المؤتمر الدولي الثالث ومؤتمر الرابطة الأكاديمية الأول للبحث العلمي، الكويت، 10-12/ فبراير / 2014م.
15. محمد علي عيسى، الجذور التاريخية لسكان المغرب القديم من خلال المصادر الأثرية والأنثروبولوجية واللغوية، ط2، المركز الليبي للمحفوظات والدراسات التاريخية، طرابلس، 2012م.
16. مصطفى كمال عبد العليم، دراسات في تاريخ ليبيا القديم، منشورات الجامعة الليبية، المطبعة الأهلية، بنغازي، 1966م.

ب. المراجع الأجنبية:

1. Bates. O, The Eastern Libyans, CO.LTD, New impression, London, 1970.
2. Demougeot. E, Le Chameau et l'Afrique du Nord romaine, Annales, Économies, Sociétés, Civilisations, Vol.15, 1960
3. EL Mayer. A. F, Re-Interpretation of Latino-Punic inscription from Roman Tripolitania, LS, vol.14, 1983.
4. EL Mayer. A. F, Tripolitania and Roman Empire, Markaz Jihad AL Libyan Studies Centre, Tripoli, 1996.
5. Gsell. S, Histoire Ancienne de L'Afrique du Nord, Tome.2,4, Paris.
6. Haynes. D.E.L, The antiquities of Tripolitania, published by the antiquities, Museums and archives of Tripoli, Libya, 1965.
7. Matthew. B, Encyclopedia of the Roman Empire, New Yourk, 2002.
8. Mattingly. D.J, Tripolitania, The Bath Press, London 1995.
9. Sacks. D, Encyclopedia of Ancient Greek World, New York, 2005.

الضم الحضري مفهومه ودوافعه

د. نورية محمد الشريف*

د. فاطمة حسن احمدودة*

المقدمة:

إن دراسة "جغرافية العمران" تنقسم إلى شقين، يهتم الأول بدراسة جغرافية الريف، أما الشق الثاني فيهتم بدراسة جغرافية المدن، والذي يعد الضم الحضري من محاور دراساته الحديثة، كما تعد دراسة جغرافية المدن أكثر وضوحاً، وليس معنى ذلك التقليل من شأن جغرافية الريف، ولكن اتجاه سكان العالم يتزايد إلى سكنى المدن في مختلف الأقطار، بحيث تتناقص نسبة سكان الريف إلى سكان المدن في معظم دول العالم، مما يوحي بأن سكان العالم جميعاً في طريقهم ليتحولوا إلى سكان مدن، ويحدث ذلك بمعدلات سريعة، والسبب راجع إلى عدة أسباب والتي في مقدمتها تيار الهجرة من الريف إلى المدن⁽¹⁾.

أدى انتشار التأثير الحضري نحو المناطق الريفية المحيطة إلى ظهور دراسات تتعلق بنشاط وجود الضواحي وظهور ما يعرف بدراسة المدن الحدية أو الهامشية أو ما يمكن تسميته بعملية التحضر المضاد أو المعاكس، والمقصود به

* جامعة المرقب، الخمس

* جامعة بني وليد، بني وليد.

(1) أحمد علي إسماعيل، "جغرافية المدن"، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، 1992م،

عملية الانتشار السكاني بعيداً عن المدن الكبرى، وهكذا بدأ الاهتمام بدراسة الهجرة الريفية الحضرية⁽¹⁾.

مشكلة البحث: لقد اختلف الجغرافيون حول قيمة إقليم المدينة في الجغرافيا وذلك لأن هذا الإقليم إقليم غير واضح والتكامل فيه لا يزال ناقصاً أو على الأقل غير مدروس وغير مفهوم لدى البعض، ولعل من أسباب هذه المشكلة هو عدم تجانس توزيع المدن في جهات العالم مما يؤدي إلى ظهور مساحات واسعة بين تلك المدن ويتوقف اتساع إقليم المدن إلى توزيع تلك المدن وتقاربها من بعضها وتأثيرها في استقطاب وضم مدن أو ضواحي الإقليم إليها أو اتساعها باتجاهه، ومن هنا يمكن أن نتساءل عن الآتي:

- 1- ما هي الأسباب المؤدية إلى عملية الضم الحضري؟
- 2- هل للكثافة السكانية وتركز بعض المشاريع الكبرى دور في جعل المدينة المتوفرة فيها بضم الريف والمدن المجاورة لها؟
- 3- ما الدور الذي يمكن أنه تلعبه الدولة في وجود هذه الظاهرة؟

أهداف البحث: تهدف الدراسة لتحقيق عدد من النقاط أهمها:

- 1- التعريف بالأسباب الكامنة وراء حدوث ظاهرة الضم الحضري.
- 2- تسليط الضوء على المشاكل المصاحبة لهذه الظاهرة وكيفية علاجها.

(1) محمد مدحت جابر، "جغرافية العمران الريفي والحضري"، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة،

أهمية البحث: تكمن أهمية الدراسة في الآتي:

- 1- تكمن في موضوعه الحيوي الناتج عن غياب الدراسات التي تناولت هذه الظاهرة.
- 2- محاولة الكشف عن ماهية هذه الظاهرة ومعرفة مسبباتها.
- 3- فهم مستوى وعي المواطن ودوره في التعايش مع هذه الظاهرة.
- 4- الوقوف على التباين المكاني بين المدن من حيث توزيع المشاريع الاستثمارية وتوفير فرص العمل قد ساعد بعض المدن في جذب العمالة من الريف القريب إليها مما أدى إلى امتداد نفوذها إلى المدن القريبة والقرى المتاخمة لها داخل الإقليم وجعلها تابعة لها محلياً وإدارياً واقتصادياً.

الفرضيات: من فرضيات البحث ما يلي:

- 1- وجود علاقة بين استئثار بعض المدن بالمشاريع الكبرى داخلها وبين زيادة المشتغلين بها من خارج المدينة مما أدى إلى أهمية هذه المدن وبالتالي ضم مدن وأرياف إليها إدارياً واقتصادياً وبالتالي تصبح تابعة لها حضرياً.
- 2- كما أن من ضمن سياسة بعض الدول في أن عدد من المدن قد تكون عامل جذب للهجرة الريفية الحضرية مما يؤدي إلى نموها وازدياد حجمها واتساعها على حساب المناطق المجاورة.

مفهوم الضم الحضري: يعد موضوع الضم الحضري من المواضيع الحديثة التي تهتم بدراسة جغرافية الحضر عامة وجغرافية المدن خاصة، ولها عدة مرادفات منها الأسر الحضري أو التبعية الحضرية.

إن مصطلح الأسر الحضري هو اسم أخذ من عملية أسر النهر الكبير أو الرئيسي للروافد الأصغر منه أو الأضعف منه ويضمها لمجرها، وهذا ما يحصل في نظام المدن، حيث أن المدينة المهيمنة والأكثر نفوذاً تقوم بضم الريف المجاور لها أو المدن والضواحي القريبة منها والأقل تأثيراً أو نفوذاً في الإقليم، مما يجعلها ضمن نفوذ المدينة الأكثر تأثيراً وبالتالي تتبعها في جميع الخدمات والأنشطة، من المعروف أن لكلمة الأسر تأثير لا يمكن تجاهله، لما له من وقع سلبي نوعاً ما في نفس وذهن الملتقى، لهذا وجب استبدالها بكلمة الضم فهي أنسب وأفضل من وجهة نظر الباحثة وأفضل لتوضيح هذه الظاهرة وإبرازها، على الرغم من استعمالها في بعض المواضيع داخل متن البحث.

كما يمكن أن يطلق عليها اسم التبعية الحضرية وهي أن يتبع الريف أو القرية أو الضاحية المدينة في الأنشطة والخدمات، ويطلق عليها أيضاً ظاهرة زحف المدن وهي من الظواهر الحديثة حيث تزحف المدن على طول طرق المواصلات ملتزمة في طريقها القرى والبلدات الصغيرة مكونة في النهاية اخطوطاً مديناً له أطراف لا تكف عن التمدد حتى تلاشت المدن القريبة وصار من الصعب في دولة كبريطانيا معرفة أين يبدأ الريف وأين تنتهي المدينة⁽¹⁾ من المعروف أن

(1) عبد الفتاح محمد وهيبه، "في جغرافية العمران"، دار النهضة العربية للطباعة والنشر،

بيروت، 1980م، ص60.

لكل مدينة حتى وإن كانت صغيرة في حجمها لها تأثير وارتداد للمكان الذي يحويها، سواء كان المدى الذي يصل إليه تأثيرها قادر للوصول إلى مدن مجاورة أو يقتصر فقط إلى ظهيرها الجغرافي، وهذا طبعاً يمكن قياسه بعدة معايير من ضمنها رحلة العمل اليومية والمدى الذي تصل إليه الأنشطة التي توزع منها.

وتعرف أيضاً بالمد الحضري أو التلاحم الحضري ومن مفاهيمها أنها عبارة عن تجمع لمدن أو لتجمعات حضرية متجاورة متلاصقة مع بعضها البعض نتيجة توسع ضواحيها المنظم، أي أن ينشأ بينها نوع من التكامل والتوزيع في الوظائف، في حين تحتفظ كل مدينة بخصائصها وتأثيراتها، وهو يوافق تعريف الباحث "جورج شابو" (سنة 1963) الذي وضح أن "التلاحم العمراني ناتج عن النمو المتوازي لعدة تجمعات متجاورة التي ينتهي بالاتحام والاتصال لكل مراكزها الرئيسية التي تحتفظ فيما بينها ببعض الاستقلال حتى ولو أن البعض منها كانت لها السيادة والتفوق، وتأخذ شكلين أولهما التبعية والأخرى التجمع المركزي الحضري⁽¹⁾.

كما يُعرف على أنه تلاحم الهوامش النامية للمدينة مع هوامش مدن مجاورة، وتحدث هذه التلاحمات كثيراً في المناطق التي تتجاور فيها المدن في ضوء معدلات النمو السريعة، وفي غياب قيود التنمية في مناطق ما بين المدن المتجاورة والنمو الخطي على طول المحاور الطرقية⁽²⁾.

(1) جاكين يوخو قاريني - ترجمة عبد القادر حيلمي، "الجغرافيا الحضرية"، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1983، ص137.

(2) فتحي مصيلحي، "تخطيط المدن العربية بين الإطار النظري والواقع والمستقبل، مطابع جامعة المنوفية، مصر، 1995، ص145.

إن القراءة التحليلية للتعريفين توضح أنهما يتفقان على مفهوم مشترك لظاهرة التلاحم الحضري، ألا وهو تداخل نسيجين عمرانيين لمدينتين أو عدة مدن متجاورة، ويختلفان في الكيفية والصورة التي تتم فيها الظاهرة.

فالأول يعبر عن الظاهرة في شكلها المنظم بالخصائص التالية:

- نمو متوازن لمدن متجاورة بشكل متوازن ومنظم.
- وجود تكامل وهيراركية وظيفية ومجالية بين المدن المتلاحمة.

أما الثاني فيعبر عنها في شكلها العفوي بالخصائص التالية:

- نمو مجالي لمدن متجاورة بشكل سريع وغير منظم أوجدته المعطيات البشرية والسياسية والاقتصادية المختلفة.
- غياب تحكم مجالي متخطط له في مناطق الالتحام الواقعة ما بين المدن المتجاورة أو في الهوامش مما يسود عليها صفة عشوائية وعدم التناسق والترابط مما يسبب العديد من المشاكل لهذه المناطق⁽¹⁾.

دوافع وأسباب الضم الحضري:

لقد أشار مكنزي منذ وقت مبكر بأن المدن تتكون من مجموعة نوى تندمج مع بعضها لتكون المدينة المعاصرة، وهذا النمو لا يشمل هذه النويات فقط، وإنما

(1) بيبيمون وليد، "ظاهرة التلاحم الحضري وانعكاساتها المحلية - حالة مدينتي باتنة وتازولت" جامعة الحاج لخضر، باتنة، قسم الهندسة المعمارية، رسالة ماجستير غير منشورة، 2012، ص36.

يشمل المستقرات الريفية التي كانت فيما بينها أو عند تخومها وتسمى تلك القرى بـ(المأسورة) من المدن الكبرى أو تسمى المستقرات السلبية. "Sattlement Beheaded"⁽¹⁾.
ومن هنا تعددت أسباب ودوافع الضم لهذه المدن من أجل توسعها واستيعابها للتزايد السكاني ويمكن تناول هذه الأسباب بشيء من الإيجاز.

1- المظاهر الديموغرافية:

نقصد بها النمو السكاني الكبير والسريع في المدن بالمقارنة مع الأرياف، وهذا التزايد السكاني والتسارع في معدلات النمو المرتبطة أساساً بعامل الزيادة الطبيعية فهي ليست وحدها المسؤولة عن هذا التضخم السريع للمدن وإنما هناك عوامل أخرى مثل النزوح الريفي والتوسع المجالي ونفاذ العقار الحضري والتوسع على حساب الضواحي والمناطق الريفية القريبة، والعوامل التي تؤثر في نمو السكان متمثلة بالمواليد والوفيات، إذ كلما كان عدد المواليد أكثر من الوفيات فإن النمو الطبيعي للسكان يكون أكثر والعكس صحيح.

2- الهجرة من الريف إلى المدينة:

إن الهجرة هي العامل الثاني من عوامل النمو السكاني، فهي تلعب دوراً هاماً في اختلاف معدلات النمو السكاني من قارة إلى أخرى ومن دولة إلى أخرى، فعامل الهجرة ذو تأثير واضح على نمو السكان داخل المدن، فكلما كانت الهجرة

(1) كامران طاهر سعيد، "توسع مدينة السليمانية بتأثير الأسر الحضري: دراسة في جغرافية المدن"، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية، جامعة السليمانية، 2011م، ص75.

الوافدة أكثر من الهجرة الخارجية أو المغادرة يكون نمو السكان أكثر والعكس صحيح.

3- بروز قوى الطرد المركزية من المناطق الريفية وارتفاع قوى الجذب من المدينة:

هناك عوامل متعددة للهجرة إلى المدن لكن تبقى المحفزات الاقتصادية هي الأهم علاوة على الضغط السكاني وقلّة الاستثمارات الصناعية والخدمات الاجتماعية والصحية والتعليمية وغيرها داخل الأرياف مما أدى إلى ظهور مجتمعان حضري وريفي بينهما فوارق كبيرة اقتصادية واجتماعية وثقافية، وقد ساهم تقدم النقل في كسر أو انهيار العزلة الريفية التقليدية، ورغم ما ذكر يبقى توفر فرص العمل في المراكز الحضرية هو الجانب الرئيسي للمهاجرين⁽¹⁾.

4- شبكات الطرق والمواصلات: إن تطور شبكات الطرق والنقل قد ساعد على

إمكانية الوصول بين الريف والمدينة بكل سهولة ويسر، كما أن له تأثير واضح في توسع المدن واتجاهات نموها مستقبلاً.

5- عمليات الأسر الحضري: شبه الأسر الحضري لحد كبير بعمليات

الأسر النهري لأنه يؤدي إلى نفس النتيجة عندما تقوم المدن الكبرى بأسر المستقرات الريفية أو الحضرية الصغيرة الموجودة عند تخومها وضمها إلى

(1) كامران طاهر سعيد، "التريف الحضري: مدينة السلیمانیة إنموجاً"، مجلة كلية العلوم

الإنسانية، جامعة السلیمانیة، عدد 72، 2012م، ص8.

الحيز الحضري الكبير، وقد يعبر عن هذا النمو بعمليات الضم⁽¹⁾ وإن هذا النمو السكاني السريع والتزايد المضطرد في أعداد سكان المدن أدى إلى توليد ضغط كبير على توسع تلك المدن، فازداد عدد القرى المنضمة لهذه المدن بعمليات الأسر الحضري كما أدى إلى زيادة المساحة التي تشغلها المدينة، عليه فإن عملية الأسر الحضري هي عملية قسرية مبنية على مبدأ الضم لمستوطنات رئيسية داخل المركب الحضري، فالمستوطنات الريفية التي كانت في تعداد سابق تصنف ضمن سكان الريف أصبحت في تعداد لاحق ضمن سكان الحضري على الرغم من أنه لم يحدث تغير يذكر في أنماط وحداتهم السكنية وفعاليتهم وفي سلوكهم الاجتماعي، إن هذه العملية كانت وراء زيادة نسبة سكان الريف داخل مجتمع المدينة⁽²⁾.

فالملاحظ على مدينة مصراته خلال تعداد الفترة من 1984 - 2006م بوجود محلات ريف داخل نطاق مركز المدينة المتكون من 11 محلة، كما هي موضحة بالجدول رقم (1).

جدول رقم (1) تصنيف السكان الليبيين في مدينة مصراته إلى حضر وريف خلال الفترة من 1984 - 2006م

(1) كامران طاهر سعيد، "توسع مدينة السليمانية بتأثير الأسر الحضري"، مرجع سبق ذكره، ص77.

(2) نفس المرجع السابق، ص78.

نوع التجمع	نوع التجمع	نوع التجمع	المحلة
حضر	حضر	حضر	القوشي
حضر	حضر	حضر	الرويسات
حضر	حضر	حضر	رأس فريدغ
حضر	حضر	حضر	الخروبة
حضر	حضر	حضر	رأس التوتة
حضر	حضر	حضر	الجزيرة
حضر	حضر	حضر	أبوشعيرة
حضر	حضر	حضر	رأس عمار
حضر	حضر	ريف	رأس الماجن
حضر	ريف	ريف	الرميلة
حضر	حضر	حضر	الغبران
حضر = 11	حضر = 10	حضر = 9	المجموع
ريف = 0	ريف = 1	ريف = 2	

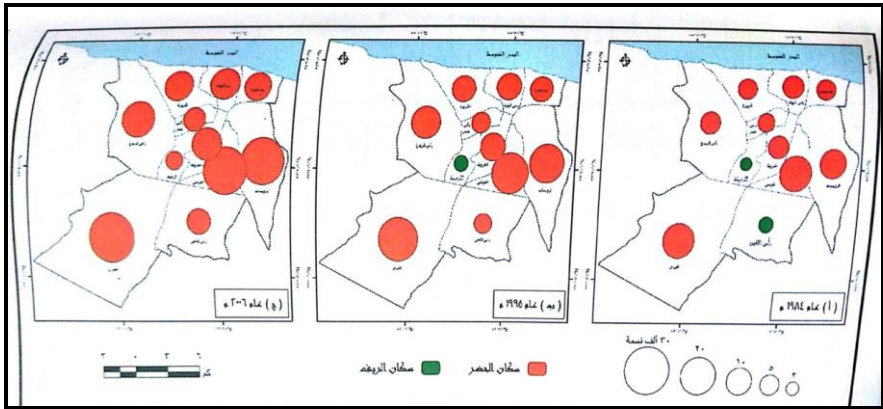
المصدر: نورية محمد الشريف، "السكن في مدينة مصراته - دراسة في جغرافية المدن"، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة عين شمس، القاهرة، 2014م، ص88.

بالنظر إلى الجدول السابق نجد أن المدينة خلال تعداد سنة 1984م توجد داخل نطاق المدينة محلتين ريف والباقي حضر، وفي تعداد عام 1995م ارتفعت

نسبة الحضر وأصبحت 10 محلات صنفت حضر من أصل 11 محلة، أي أن محلة الرميثة كانت الوحيدة التي صنفت ريف داخل نطاق المركز الحضري للمدينة، في حين أن تعداد عام 2006م قد صنف جميع المحلات حضرية داخل نطاق المدينة.

شكل (1) توزيع السكان ما بين الحضر والريف بمدينة مصراته

خلال أعوام (1984 - 1995 - 2006م).



المصدر: نورية محمد الشريف، نفس المصدر السابق.

6- القرار السياسي والإداري:

وهي إجراءات حكومية تقوم بتغيير صفة المستوطنة، أي أنه قرار إداري تستخدمه بعض الدول في استحداث مراكز إدارية حضرية من خلال ضم مجموعة المستوطنات الريفية المتجاورة لبعضها لخلق مركز إداري ولا يحدث على تلك المستوطنات أي تغيير من حيث ملامح ومورفولوجية المستوطنة ما عدا افتتاح

بعض المؤسسات الإدارية والخدمية، لكن يبقى المجتمع مجتمعاً ريفياً من حيث المظهر على الرغم من احتسابهم في التعداد اللاحق بسكان حضر⁽¹⁾. ويقصد به أيضاً ضم بعض المستوطنات الريفية المجاورة لمركز المدينة إليها وذلك بقرار سياسي على الرغم من أن تلك المستوطنات لا تحدث فيها أي تغيير سوى توفير بعض الخدمات الإدارية، لكن يبقى المجتمع مجتمعاً ريفياً بالمظهر والسلوك⁽²⁾.

بعض النظريات التي درست منطقة الهوامش أو المنطقة الحدية:

إن الدارس لنمو المدن والنظريات المتعلقة بها من دراسات لمورفولوجيتها أو ما يعرف بتكسيبها الداخلي يرى تعدد النظريات وتطورها. كما يرى من خلال هذا العدد الكبير من هذه النظريات وتنوع مجالات دراساتها يتأكد من أن المدن تأخذ نصيب الأسد من الاهتمام والدراسة والبحث، في حين أن قلة الدراسات الريفية وتتناقص الاهتمام بالجانب الريفي قد يكون راجعاً لتناقص عدد السكان واتساع المساحات المفتوحة والمخصصة للزراعة أو لرعي الحيوانات وتناثر المساكن وقلتها، وتدني البنى التحتية وقلة الخدمات، بالرغم أنه يجب أن يكون هذا دافعاً قوياً للدراسة والبحث وتسليط الضوء عليها وتحقيق جانب من التنمية الريفية لهذه المناطق.

(1) كامران طاهر سعيد، "توسع مدينة السليمانية..."، مرجع سبق ذكره، ص 77.

(2) صلاح حميد الجنابي، "ظاهرة الترييف الحضري، المبررات والنتائج: دراسة في الإيكولوجية

الحضرية"، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، عدد 59، 2004م، ص 133.

وتجدر الإشارة هنا أيضاً أن النظريات التي تناولت دراسة المدن قد خصصت شيء ولو قليلاً من الدراسة في تلك النظريات للمناطق الهامشية لتلك المدن والظهير الزراعي لها؛ لأن تلك المدن في مرحلة من المراحل سوف تبدأ بالنمو باتجاه الضواحي المتاخمة لها، وهو ما ذكره أرنست برجس في نظريته النمو المركزي أو الدوائر المتراكزة، حيث خصص الدائرة الخامسة للضواحي وسماها بمنطقة الذهاب والإياب، وتتكون من مجموعة المدن الصغيرة والضواحي، وأن توسع المدينة يكون فيها، أما النظريات النوى المتعددة والتي ترى أن المدن الكبرى غالباً ما تتكون من عدد من النوى (جمع نواة) أو مراكز متعددة ترتبط بها نشأة المدينة أي تنشأ مراكز استيطان منفصلة يفصل بين هذه المراكز الريف المفتوح، ثم تبدأ هذه الفراغات بالامتلاء والنمو إلى أن تتصل جميعها مكونة منطقة مدنية واحدة ذات بؤرات متعددة ومنطقة الضواحي إما سكنية أو صناعية⁽¹⁾.

وما تجدر الإشارة إليه هنا أن الريف أو الضواحي أخذ قدر ولو قليلاً من الدراسات المتعلقة بالمدن وتركيبها، لهذا لا يمكن نكران ارتباط المدن بأريافها أو ضواحيها المتاخمة لها، فهي تؤثر فيه ويؤثر فيها، وهو المنطقة التي يشهد على توسعها ونموها وضمها له.

أما النظريات التي تناولت دراسة الضواحي أو المناطق الهامشية أو الأرياف فهي قليلة، كما أنها تعد من وجهة نظر اجتماعية أكثر من كونها جغرافية، ولكن يجب الإشارة إلى بعض منها هنا لاكتمال المعرفة بها.

(1) للمزيد من المعلومات راجع نظريات التركيب الداخلي للمدن.

أولاً: نظرية التواصل الريفي – الحضري: The Rural–Urban Continuum

يعد النموذج الأكثر شهرة في تفسير الريف والحضر، والذي برز على يد علماء الاجتماع والأنثروبولوجيين على امتداد قرن من الزمان، والنموذج في شكله الرئيسي يوضح التطرفات التي تركز على الاختلافات وعدم الاستمرارية بين الريف والحضر، والتفسيرات الأكثر حداثة من قطب إلى آخر (من الريف – الحضر) من خلال فكرة التغير الاجتماعي التي استخدمت مصطلحات عديدة لتوضيح القطبين، فالقطب الريفي يتسم بالمثالية والثبات والانتظام في مجتمعات صغيرة وذو توجه داخلي يقوم على صلة الرحم والإنتاج الزراعي الاكتفائي، أما القطب الحضري فهو يمثل نمط الحياة المتغيرة، وبضخامة الحجم، وقد قدم كلا من روجرز بريج (1972) نموذجاً للتواصل الريفي الحضري يعتمد على حجم السكان وكثافتهم، والدرجة التي عليها أفراد المجتمع في إدراك معايير الحضر والريف ويتخلص في (1):

مدينة متروبوليتانية / مدينة أقل حجماً / مجتمعات الضواحي / مجتمعات الهوامش
الريفية الحضرية / المدن الصغرى / القرى الزراعية / المجاورات الريفية (2).

ولقد وجهت عدة انتقادات لهذا النموذج لها علاقة بعلم الاجتماع والتواصل الفردي والسمات الفكرية الحياتية والقيم الاجتماعية وتأثيرها على زيادة عملية الاختلاف، ومن ثم العزلة أو الفصل، في حين أن المشكلة الرئيسية التي تهم

(1) حمدي أحمد الديب، "جغرافية العمران الريفي – أسس وتطبيقات"، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2011، ص240.

(2) نفس المصدر السابق، ص240.

الجغرافيين تظهر أن التواصل الريفي الحضري يدور حول المكان عنه حول درجة حاجات الإنسان⁽¹⁾.

ثانياً: نظرية النماذج الاجتماعية للقرى: لقد قسم ميتشل Michel المجتمعات الريفية على أساس توجهها نحو التغيير ونحو التكامل، ويقوم تقسيمه للقرى على أساس مجموعتين عريضتين من العوامل لتمييز القرى المفتوحة والقرى المغلقة، والمتكاملة وغير المتكاملة، وقد نتج عن ذلك وجود أربعة أنماط عامة هي:

• القرى المفتوحة – المتكاملة.

• القرى المغلقة – المتكاملة.

• القرى المفتوحة – غير المتكاملة.

• القرى المغلقة – غير المتكاملة

وعلى الرغم من التداخل المحتوم بين المجموعات، فقد استطاع ميتشل

تمييز القرى في كل فئة داخل مناطق صغيرة نسبياً⁽²⁾.

ثالثاً: نموذج فريدمان للتنمية⁽¹⁾: ويقترح هذا النموذج لصاحبه فريدمان أربع مراحل للتنمية العمرانية والاقتصادية للدولة أو الإقليم، ويوضح النموذج أن مراحل انتشار التنمية كما يلي:

(1) المرجع السابق، ص 243.

(2) للمزيد، حمدي الدين، "جغرافية العمران الريفي"، مصدر سابق، ص 244.

المرحلة الأولى: يظهر المجتمع عبارة عن مراكز محلية مستقلة نسبياً، وتقع كل مدينة في مركز مقاطعة إقليمية صغيرة.

المرحلة الثانية: تظهر نواة قومية منفردة "العاصمة"، ويسود الإقليم فترة تصنيع أولية نموذجية، وتتركز المنشآت الصناعية ويتحرك العمال والمقاولون إلى النواة، وتظهر الهوامش والأطراف، ويتحول الإقليم إلى ميتروبوليتاني.

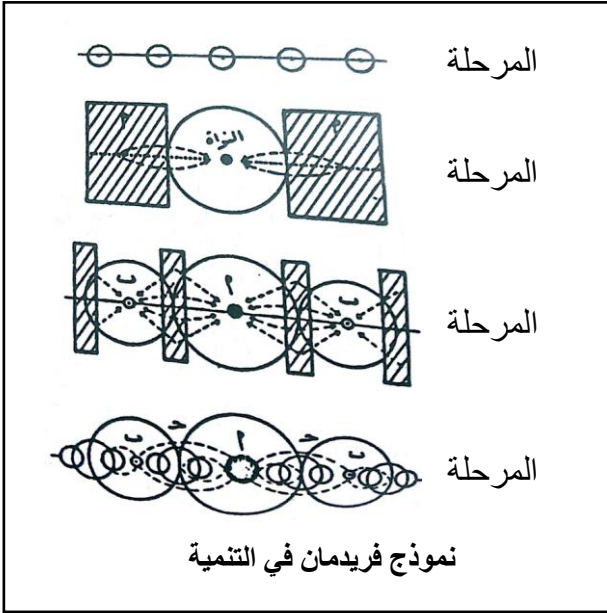
المرحلة الثالثة: تظهر بجانب النواة [نواة الإقليم] نويات فرعية قوية في الأطراف والهوامش، وأثناء مرحلة النضج الصناعي تتكون نويات ثانوية أخرى، وبهذه الوسيلة يتم تقليل الهوامش إلى هوامش أصغر في الأطراف إلى أن تندمج تلك النويات وتختفي الهوامش.

المرحلة الرابعة: يتكون نظام مستقل من المدن، يتميز بالتكامل الاقتصادي وفعالية في الموقع وأقصى طاقة للنمو.

وتجدر الإشارة هنا أن هذه النظرية من وجهة نظر الباحث لها علاقة بموضوع البحث لأنها تبين كيفية ضم تلك النواة لباقي ضواحي ونويات الإقليم بما فيه الهوامش والأطراف وجعله نظام ميتروبوليتاني مميز.

(¹) فتحي محمد مصيلحي، "التخطيط الإقليمي - الإطار النظري وتطبيقات عربية"، مطابع

جامعة المنوفية، مصر، ص 111.



المصدر: فتحي مصيلحي، المصدر السابق، ص112.

المشاكل الناتجة عن هذه الظاهرة:

- 1) الاستهلاك الواسع للأراضي الزراعية من ناحية المناطق الريفية.
- 2) تشوه المظهر الطبيعي العام نتيجة لعدم التجانس بين ما هو موجود وما أنتجته الظاهرة، مما يؤدي إلى وجود ظاهرة يطلق عليها حديثاً ظاهرة التلوث البصري.
- 3) النمو المتسارع يؤدي إلى ندرة عامة في الموارد المائية.
- 4) عدم وجود سلطة حقيقية للحكومات المحلية على سكان المجال الناتج عن عملية النمو.

5) ضعف مستوى البنى التحتية والهياكل القاعدية لأحياء الهامشية ونقص في شبكات التزويد بالمياه الصالحة للشرب، وكذلك ضعف شبكة الصرف الصحي.

6) ارتفاع معدل البطالة من السكان الذين هم في سن العمل.

7) انتشار السكن الفوضوي وغير الشرعي الذي يهيمن على أغلب المدن والتجمعات الحضرية الناتجة عن هذه الظاهرة مما يعطيها ميزة عدم الانسجام والتجانس لهذه المدن، حيث أن هذا الضم يحدث بطريقة غير مخططة مما يؤدي إلى نمو عشوائي تضم مشاكل عدة.

8) عدم مراقبة ازدواجية المدينة / الريف بمعنى القدرة على إقصاء تنمية الريف والقرى، هذه الازدواجية ترجمها التدفق المستمر للنزوح الريفي تجاه المدن مما يؤدي إلى الرفع من حدة الطلب الاجتماعي على السكن والعمل.

الخاتمة والنتائج:

نستنتج من خلال ما تقدم عرضه ما يلي:

1- للهجرة من الريف إلى المدينة دور واضح في بروز ظاهرة الضم الحضري، وهذا راجع إلى التباين الكبير بين الريف والمدينة في خدمات البنى التحتية والخدمات العامة لاسيما الصحية والتعليمية والترفيهية... الخ وهو ما أدى إلى الهجرة وبالتالي إلى نشوء هذه الظاهرة.

- 2- التزايد السكاني وتسارع معدلات النمو داخل المدن وما صاحب ذلك من توسع على حساب الضواحي والمناطق الريفية القريبة.
- 3- تطور شبكات الطرق والنقل مما ساعد على إمكانية الوصول بين الريف والمدينة بكل سهولة ويسر.
- 4- للقرارات السياسية وعمليات الأسر الحضري، دور في التوسع المجالي للمدن على حساب الضواحي المتاخمة للمدن.

التوصيات: يمكن تلخيص التوصيات المتعلقة بموضوع البحث بما يلي:

- 1- محاولة تقليل الفوارق بين الريف والمدينة من نواحي الخدمات أي بمعنى آخر العمل على تنمية المناطق الريفية وتوفير جميع المستلزمات الضرورية لإحداث تنمية شاملة.
- 2- العمل على استثمار الأراضي الموجودة داخل المركز الحضري بشكل أكثر كثافة من خلال تحول البناء الأفقي إلى العمودي وإيقاف توسع المدينة على المناطق الزراعية المحيطة بها.
- 3- إعادة تأهيل وترميم وإصلاح المناطق المتدهورة داخل المجال الحضري للحفاظ على جمالية المدينة من ناحية وتوفير سكن لائق لسكان المدينة من ناحية أخرى.

المصادر والمراجع

- 1- إسماعيل، أحمد علي، "جغرافية المدن"، دار الثقافة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1992م.
- 2- الجنابي، صلاح حميد، "ظاهرة الترييف الحضري، المبررات والنتائج: دراسة في الإيكولوجية الحضرية"، مجلة كلية الآداب، جامعة بغداد، عدد 59، 2004م.
- 3- سعيد، كامران ظاهر، "توسع مدينة السليمانية بتأثير الأسر الحضري، دراسة في جغرافية المدن"، أطروحة دكتوراه غير منشورة، كلية العلوم الإنسانية، جامعة السليمانية، 2011م.
- 4- سعيد، كامران ظاهر، "الترييف الحضري: مدينة السليمانية انموذجاً"، مجلة كلية العلوم الإنسانية، جامعة السليمانية، عدد 72، 2012م.
- 5- الشريف، نورية محمد، "السكن في مدينة مصراته - دراسة في جغرافية المدن"، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة عين شمس، القاهرة، 2014.
- 6- وهيبة، عبد الفتاح محمد، "في جغرافية العمران"، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، 1980م.
- 7- جابر، محمد مدحت، "جغرافية العمران الريفي والحضري"، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2006م.
- 8- قاريني، جاكلين يوخو - ترجمة عبد القادر حيلمي، "الجغرافيا الحضرية"، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، 1983م.
- 9- مصيلحي، فتحي، "تخطيط المدن العربية بين الإطار النظري والواقع والمستقبل، مطابع جامعة المنوفية، مصر، 1995م.

- 10- وليد، بيبيمون، "ظاهرة التلاحم الحضري وانعكاساتها المحالية - حالة مدينتي باتنة وتازولت" جامعة الحاج لخضر، باتنة، قسم الهندسة المعمارية، رسالة ماجستير غير منشورة، 2012م.
- 11- الديب، حمدي أحمد، "جغرافية العمران الريفي - أسس وتطبيقات"، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 2011م.

مثالب الطاعنين ومعايب الخارجين على الخليفة عثمان بن عفان استدعاء الحدث واستقراء النتائج

د. عبدالله علي نوح

المقدمة :

كان استشهاد أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه لثمانية عشر خلت من شهر ذي الحجة سنة خمس وثلاثين للهجرة⁽¹⁾ في يوم جمعة عن عمرٍ قرب التسعين حولاً⁽²⁾ نتيجة لعمل متواصل وترتيب ممنهج اتبعه الموتورون من اليهود والنصارى والمجوس المتأمرين على الإسلام و العروبة، وتبعهم الغوغاء في بث الأراجيف وإشاعة الأكاذيب ونشر الافتراءات بهدف التفريق بين المسلمين واستهداف رأس الخلافة الذي ملكه الله واستخلفه المسلمون⁽³⁾.

والمتتبع لمسيرة خلافة الإسلام الفتية يلحظ أنها استوت في مستهل خلافة عثمان بن عفان على صورة واضحة من السعة والقوة بعد أن قوضت خلافة الفاروق عمر بن الخطاب أقوى امبراطوريتين حينها كانتا تتقاسمان النفوذ والسيطرة ، وأفسحت الفتوحات الإسلامية المجال للقوة الإسلامية للظهور كقوة تجاوزت حدود جزيرة العرب وانطلقت شرقاً وغرباً .

1 (أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، تهذيب الأسماء واللغات، ج1، تعليق محمد عبد القادر

عطا، بيروت، دار الكتب العلمية 2007 م، ص 351.

2 (قيل عن اثنتين وثمانين، وقيل أربع وثمانين، وقيل ثمانين، وقيل تسعين وفي كل الأحوال فقد

جاوز الثمانين وقارب التسعين : عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية،

ج7، ط1، تحقيق عبد الله التركي، القاهرة ، دار هجر، 1997م، ص 170

3 (عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل، فضائل عثمان بن عفان، تحقيق طلعت الحلواني،

ط1، جدة، دار ماجد عسيري، 2000م، ص57.

مع الوضع في حسابان الرأى لتلك الحوادث بعين الفحص والتمحيص ، ذلك الكم من الأعراف والأقوام والدول التي أضحت بغلبة الفتوحات ضمن دائرة السيطرة الإسلامية والسطوة العربية المتمثلة فى الخلفاء العرب ، ولم يكن الجميع على وتيرة واحدة من الانتماء والصدق .

ولعل استشهاد عمر بن الخطاب رضي الله عنه غيلة على يد مجوسي ، كان إشارة سياسية مبكرة لما يضمرة المغلوبون من الشعوبيين للإسلام وأهله ، ولم يضع الخليفة الثالث عثمان بن عفان فى خطته السياسية أن يكون ذا ملك و أبهة وحرس و عسس وحجاب وحاشية لأسباب كثيرة : أولها خلقه وأوسطها تدينه وليس آخرها فهمه لجسامة منصبه أمام ربه وأنه فى آخر المطاف مسؤول عنه وعمما يأتيه فيه من عمل لا محالة .

وفى أواخر سنوات خلافته رضي الله عنه بدأت تظهر فى الأفق سحائب الاضطرابات وسمات الفتنة و بؤادر الخروج ، بتخطيط مسبق و توجيه للأحداث واغتنام للفرص حتى وإن كانت فى غير وجه حق أو خرجت عن جادة الصواب وسبيل الدين .

إذ يظهر فى أول الوهلات و مستفتح الأمر أن مبررات الذين رفعوا راية العصيان ودعوا للخروج على الدولة ، إذا لم يتم التحقق منها مقبولة بل وصحيحة ، وأنها واقعية ، وأن الوضع أمسى غير مستساغ ويستحق الثورة والتغيير .

ومن هنا تم التأسيس للخروج بمبررات يقبلها العوام ، ويستسيغها أهل الدنيا والأهواء ، ويستلذها أصحاب الحقد الدفين على الإسلام وأهله ، حيث كان المخطط أن يتم استغلال أحداث واقعة والاستناد على مقدمات صحيحة ، و زيد عليها كذب واقتراء ، ودست معها الفرى والإشاعات ، وتلبست بالباطل ، حتى اتخذت حججاً لتحقيق أهداف مرسومة سلفاً قوامها تقويض مجتمع الإسلام.

كانت تهيئة الرأى العام وتهيج الناس على الخليفة من أول الوسائل التي حركت الفتنة ، حيث بدأت عقول الطاعنين فى البحث عن أسباب ومبررات ومداخل يصح تسويقها

للناس ويمكن تصديقها عند العامة والدهماء إذا قدمت لهم بطريقة تظهر الخليفة بصورة الظالم أو المستبد أو المخالف أو غير المؤهل للزعامة أو الحائد عن الحق ، والهدف زعزعة الثقة بين الناس والخليفة ، ومن ثم إسقاط رأس الدولة تمهيداً لإضعاف الدولة كلها ببيت الفتن والفوضى .

ولابد والحال هذه أن يجد هؤلاء أحداثاً صحيحة و وقائع حدثت فعلا ، ثم يتم بثها للناس في قالب يظن من يسمعه أنه مطعن أو مثلبة ، ولا يصح أن يقوم به خليفة المسلمين ، مع مراعاة ألا يعرف الناس من تلك الأحداث إلا عنوانها فقط ، دون ذكر أسبابها أو حقيقتها الخفية عليهم .

ولوضع المخطط في طريق التنفيذ ، بدأت فكر الطاغين تبحث في سيرة عثمان عن مداخل يصح أن يصدقها العامة و الجهلاء ، وتتطلي أهدافها على غير الثابتين، فوجد أولئك أن عثمان بن عفان لم يكن في البدرين ، فقيل إنه تخلف عن حضور أهم وأول موقعة بين الشرك والإيمان ، دون الحاجة إلى التفكير في أسباب عدم وجود عثمان فيمن خرج يوم بدر لملاقاة قريش ، ثم وجدوا أنه أدبر مع جموع المدبرين يوم أحد ، (1) ، وهذا لمز واضح وغمز بين ، حين دارت الدائرة على الجيش الإسلامي، ولم يثبت مع رسول الله ﷺ إلا قلة قليلة ، فقيل: إن عثمان بن عفان تولى وهرب مع من هرب وترك رسول الله ﷺ في ميدان الوغي لمواجهة قريش بقدها وقديدها ، ثم وجدوا أنه وفي ذلك اليوم

1 (أبو جعفر أحمد المحب الطبري، الرياض النضرة في مناقب العشرة، ج3، ط1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1984م، ص56.

المشهود من عام (الحديبية) (1) ، لم يكن ممن بايعوا رسول الله ﷺ بيعة الرضوان تحت الشجرة (2) ، فقيل: إن عثمان لم يكن ممن بايعوا تحت الشجرة بيعة الرضوان .

وبعد ذلك علم أولئك المتحذلقون أن عثمان رضي الله عنه جمع القرآن الكريم في مصحف واحد، وأمر بحرق ما عدا ذلك المصحف (3) ، فقيل : قد أحرق عثمان المصاحف ، هذا علاوة على سيق في حقه من المطاعن مثل إقطاع بني أمية دون العالمين لأنهم أهلهم وخاصته و قبيله وتوليبتهم رقاب المسلمين وشئون دولتهم ، إضافة للنقد في سوسه المال خاصة في الأعطيات فقيل إنه لم يعدل في العطاء والإقطاع ، ثم ما اجتهد فيه رضوان الله عليه برأيه من (إقامة الصلاة بمنى) والزيادة في المسجد ، وتعامله مع بعض صحابة رسول الله ﷺ كأبي ذر الغفاري ، وعبد الله بن مسعود ، ثم وصل الأمر إلى التزوير عليه في الكتب والأوامر بالقتل وهو من كل ذلك براء (4) .

ولدرء كل تلك الادعاءات وصولاً إلى صدقية ما جرى وحقيقة ما حدث، كان الأولى تمحيص تلك المطاعن وتدقيق تلك المثالب ، حتى لا تؤخذ المرويات على علاتها، وتصدق الأخبار على ما فيها ، وكذلك لا بد من الإشارة إلى الطاعنين ودراسة أقوالهم وشخصياتهم وأهدافهم ومراميمهم، فهل في أقوالهم من مثالب ؟ وهل في حججهم من مطاعن؟ أم أن الفتنة إذا حلت عمى الناس عن إبصار الحق ، واختلطت الشبهات

1 (أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج3، بيروت، دار الكتب العلمية ، 1994، ص 828.

2 (أبو بكر بن العربي المالكي ، العواصم من القواصم ، ط6 ، القاهرة، مكتبة السنة، 1412هـ ، ص 114

3 (نفس المصدر ، ص 77

4 (أبو العباس تقي الدين أحمد بن تيمية ، منهاج السنة النبوية ، الرياض، جامعة الإمام ، 1986، ص 188.

بالشهوات والأهواء ، والتبس الحق على طائفة من الناس وأصبح التهيج وشحن العواطف واللعب بالأهواء وسواد الروبيضة واستعلاء السفهاء وتبدل الأخلاق ، من دلائل وقوع الفتنة في ديار الإسلام؟⁽¹⁾.

لأجل كل ذلك نسوق تالياً بعضاً من جوانب تلك المطاعن وجوانب الطاعنين، ودراسة وتحليل المثالب ومن ساقها، و تمحيص أخبار الخارجين وجرحهم وتحليل مطاعنهم ، وصولاً إلى محاولة جلاء بعض من جوانب تلك الفتنة التي أدت فيما أدت إليه إلى مقتل عثمان رضي الله عنه ، وأسرعت باباً للفتنة سيأتي بظلاله على عديد حوادث دولة الإسلام ، و ستكرر صورتها في زمان غير زمان الخلافة الراشدة ، وفي شخوص بعد شخص عثمان بن عفان، حيث الفتنة هي الفتنة وإن تبدل الزمان وتغيرت الجسوم.

إخبار النبي الكريم بوقوع الفتنة زمن عثمان بن عفان:

لعله من دامغ الحجج على أن ما حدث لأمير المؤمنين عثمان بن عفان هو خروج وفتنة لا فكاك ، أن رسول ﷺ تتبأ لعثمان بها ، وأخبر غير مرة عن أطوارها ، بل وبشر عثمان بالشهادة فيها ، ومن ذلك ما أخبر به سهل بن سعد من أن رجلاً (زلزالا) وقع في جبل أحد وعليه رسول الله ﷺ وأبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان ، فقال النبي ﷺ " اسكن أحد ، فما عليك إلا نبي وصديق وشهيدين " (2) ، وما رواه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما حين قال: " ذكر رسول الله ﷺ فتنة ، فمر رجل فقال:

1 (الصلاحي، تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان، القاهرة ، دار الفجر ، 2010، ص 259،260.

2 (عبد الله بن أحمد بن حنبل، فضائل عثمان بن عفان ، جدة ، دار عسيري ، 1421، ص 173، 174.

يقتل فيها هذا المقنع يومئذٍ ، قال: فنظرت فإذا هو عثمان بن عفان " (1) ، وفي رواية كعب بن مرة البهزي بوجه آخر أن عثمان بن عفان مر وهو مقنع" فقال النبي ﷺ وهو يشير إلى عثمان هذا يومئذٍ وأصحابه على الحق والهدى" (2).

وفي حديث أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنكم ستلقون بعدي فتنة واختلافاً، فقال قائل من الناس: فمن لنا يا رسول الله؟ فقال: عليكم بالأمين وأصحابه، وهو يشير إلى عثمان بذلك" (3) ، إضافة إلى الحديث المشهور عن أبي موسى الأشعري أن النبي ﷺ أمره أن يبشر عثمان بالجنة على بلوى تصيبه (4).

ويفهم من بعض وصايا رسول الله الكريم لعثمان ما ينبئ بشهادته، حيث روى أن عثمان حين طلب إليه أن يقاتل الخارجين عليه في الفتنة قال: إن رسول الله ﷺ عهد إلى عهداً، وإنى صابر نفسي عليه (5) ، وقد كان الناس يرون أن العهد الذي عهد به النبي الكريم إليه هو ما حدث من خروج عليه في آخر خلافته (6).

وفي رواية عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها وعن أبيها، أنها كانت قد سمعت بعض ما سار به النبي الكريم عثمان بن عفان، قالت: " فلم أحفظ عنه إلا أنه قال: وإن سألوكم

1 (الإمام أحمد، المسند، ج2، ص 115.

2 (محمد بن عبد الله الغبان، فتنة مقتل عثمان، المدينة المنورة ، الجامعة الإسلامية، 1999، ص 40.

3 (الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل ، المسند، ج 4، مؤسسة الرسالة ، 1421، ص 105.

4 (أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني ، حلية الأولياء ، ج18، القاهرة، مطبعة السعادة ، 1996، ص 57.

5 (الإمام أحمد، المسند، ج1، ص 58.

6 (الأصفهاني، حلية الأولياء، ج 1، ص 58.

أن تخلع قميصاً قمصك الله عز وجل، فلا تفعل" (1) ، فكانت وصية رسول الله ﷺ هذه بعدم خلع نفسه مما قمصه الله من الخلافة وولاية أمر المسلمين ، سبباً في تكوين ذلك المنهج الذي تمسك به عثمان بن عفان أواخر خلافته.

وممن شجعه على عدم التنازل عن الخلافة ، عبد الله بن عمر رضي الله عنه وعن أبيه حين أكد لعثمان أن تنازله عن الخلافة سيؤدي فيما سيؤدي إلى أنه كلما نقم نفر قليل أو كثير على خليفة أو والٍ يلي من أمور المسلمين شيئاً، ثاروا عليه وطالبوه بخلع نفسه، فقال له صراحة " إني لا أرى أن تسن هذه السنة في الإسلام ، كلما استخطوا أميراً خلعوه ، فلا تخلع قميصاً ألبسكه الله عز وجل" (2).

وصدق قول الصادق الأمين صلى الله ﷺ لعثمان، فقد طالب من تسموا بالثوار عثمان بمطالب منها : عزل ولاته الذين لا يرتضونهم ، أو أن يعزل عثمان نفسه عن الخلافة ، وإلا فهو مقتول لا محالة ، وحينما برزت إلى عثمان تلك التوجيهات التي ذكرها له الصادق الأمين، قال لهم في حزم: " لم أكن لأخلع سربالاً سربلنيه الله" (3).

وفي هذا إيمان من عثمان بأن ما أخبر به الصادق الأمين واقع لا محالة وهو القائل عليه السلام عن ضرورة وقوع الفتنة : " هل ترون ما أرى ؟ إني أرى مواقع الفتنة خلال بيوتكم كمواقع القطر" (4) ، وعلى ذلك فالفتنة واقعة في أمة محمد ﷺ حتماً وقدرًا ، ولا بد وأن تصير كما أخبر بها، ولا مخرج منها إلا بالتبصر بها والحذر منها.

1 (الغبان، فتنة مقتل عثمان،ص 47.

2 (الصلابي ، عثمان بن عفان، ص 317.

3 (محمد حسين هيكل، عثمان بن عفان، القاهرة ، دار المعارف ، ص 122.

4 (محمد أحمد إسماعيل المقدم، بصائر في الفتنة ، القاهرة ، دار العالمية ، 2010، ص 8.

وفي موقف عثمان بن عفان من الفتنة في عهده ما فيه من العبر والعظات الجسام، حيث يعلم بما تربى عليه من منهج الصادق الأمين أن الفتنة واقعة في زمانه لا محالة، وأنه المستهدف بها، وأن عليه أن يلزم الصبر والحلم و الأناة ، فصبر وحلم وتأتي، واتقى الله في دماء المسلمين ، ووفى بما وصى به الرسول الكريم ﷺ.

وليس أدل على ترقب عثمان رضي الله عنه لذلك اليوم الذي يستعين فيه بالله ويصبر على ما يبئلى به من أنه حمد الله و استعانه حين بشره الرسول الكريم ﷺ بالجنة على بلوى تصيبه ، وذلك في حديث أبي موسى حين قال : " فأخبرته بما قال رسول الله ﷺ، فحمد الله ، ثم قال : الله المستعان " (1).

حجج الخارجيين على عثمان رضي الله عنه:

تعددت حجج الثائرين على عثمان بن عفان ، وتنوعت ذرائعهم ، وسارت في خمسة اتجاهات تصب كلها في بوتقة واحدة ، وهي نزع الطاعة والخروج من البيعة، وصولاً إلى خلع عثمان أو تنازله أو قتله ، وهذا كله يدفع إلى هدف واحد كبير ، ألا وهو الفت في عضد الدين ، وتفريق كلمة المسلمين.

والاتجاه الأول في مطاعن الخارجين على عثمان رضي الله عنه يتجه إلى التشكيك في سياسته الإدارية ، وطرائق سوسه للرعية عن طريق تكليف العمال في الأقاليم ، وكون أغلب أولئك الولاة يرتبطون بشخص عثمان بن عفان إما برابطة قرى أو إصهار.

أما الاتجاه الثاني من تلك المطاعن فيرتكز على الطعن في بعض نواحي سياسة عثمان المالية المتعلقة بالمال العام للمسلمين ، من جهة تصرف عثمان في الأعطيات

1 (حمد بن عبد الله بن إبراهيم الحميدي ، الإبانة لما للصحابة من المنزلة والمكانة ، الرياض ، دار القاسم ،

والأرزاق ، وتفضيل بني عمومته وقربته في العطاء ، ثم ما حدث للحمى في عهده رضي الله عنه .

والإتجاه الثالث يومية إلى بعض المواقف الشخصية والسلوكيات التي بدرت من عثمان نفسه فعدت منقصة في حقه ، ومنها تغييره عن بيعة الرضوان وغزوة بدر ، وانهزامه يوم أحد ، مما جعل الخارجين يطعنون في سلوكه وأخلاقياته استناداً إلى تلك الوقائع .

أما رابع الإتجاهات في المآخذ فينحو باتجاه تلك الاجتهادات الفقهية التي رآها عثمان رضي

الله عنه برأيه ولم تكن فيمن سبقه ، ومنها جمعه القرآن في مصحف واحد وإحراق النسخ الأخرى التي لا تتفق رسماً ولفظاً مع تلك النسخة التي أقرها ، وكذلك إقامة الصلاة بمنى وقد كان رسول الله ﷺ وصاحبه رضي الله عنهما قصرها جمعياً ، فتخيل الخارجون أن عثمان بدل وغير ما جرت به سنة من كان قبله .

والإتجاه الخامس والأخير في تلك المطاعن فيشير إلى طرائق تعامل عثمان رضي الله عنه مع بعض كبار صحابة رسول الله ﷺ ، وعلى رأسهم عمار بن ياسر ، وأبو ذر الغفاري وعبد الله بن مسعود ، فأشاع الخارجون أن الرجل لا يقدر لصحابة رسول الله ﷺ قدرهم ، وأن ما عاملهم به من الإقصاء والتهجير والتعزير إنما جاء لأسباب شخصية ، لأن أولئك الصحابة الكبار عابوا عليه بعضاً من سياساته المالية والإدارية وبالتالي فقد عاملهم بمثل تلك الطرق والأساليب .

مسوغات الطعن والخروج على عثمان رضي الله عنه:

أولاً : تخلفه يوم بدر

خرجت قريش لنجدة قافلتها التجارية التي جهزتها بأموال المهاجرين الذين فروا إلى المدينة بدينهم تاركين دورهم وأموالهم نهياً لقريش ، وكان النبي الكريم ﷺ قد أمر بالخروج

من كان مستعداً من أصحابه ذلك اليوم ، حتى أنه ﷺ لم ينتظر جهوزية أهل الحوالي الذين يسكنون بأعلى المدينة وخارجها ، وقد انتدب الناس " فخف بعضهم وثقل بعض ظناً منهم أن النبي ﷺ لا يلقي حرباً " (1).

ولحكمة أظهرها الله بعد زمن - أي في خلافة عثمان نفسه - تزامن موعد الخروج إلى بدر مع مرض رقية بنت رسول الله ﷺ ، وهي زوج عثمان بن عفان رضي الله عنه وعنهما ، فصدر أمر النبي ﷺ لصهره وصاحبه عثمان بالقعود عن مرافقته لبدر والالتزام بتمريض رقية بنت رسول الله ﷺ (2).

وما لم يدركه المرجفون أن الرسول الكريم هو الذي أمر عثمان بالمقام إلى جانب زوجته ، ولم يطلب عثمان البقاء من ذات نفسه وهذه واحدة ، أما الثانية فالتابت أن بقاءه بأمر الرسول الكريم كان لحكم و عبر ، ظهر أولها يوم أقبل البشير إلى المدينة يزف خبر انتصار الرسول وصحبه في بدر على كفار قريش (3) وقت وفاة ابنة رسول الله رقية ، فهذا توافق عجيب كان الصادق الأمين يعلمه ، ولهذا أمر عثمان بعدم مرافقته إلى بدر والبقاء إلى جانب زوجته حتى يشهد وفاتها ويقوم بواجب دفنها ، فمن جانب هي بنت رسول الله ﷺ وخير من يدخلها قبرها الشريف زوجها عثمان ولا شك ، وقبل ذلك فإن أفضل من يرهاها في مرضها زوجها عثمان ، وكأن رسول الله أراد لعثمان أن يطيب زوجته ، ثم يكفنها ويدفنها ولن يكون لهذه المهمة خير من عثمان.

1 (شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج1، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، 1996، ص153.

2 (عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية، ج1، بيروت ، دار المعارف ، 1990، ص 510.

3 (ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج3، ص 607.

وزاد الصادق الأمين أن ضرب لعثمان سهم البدرين (1) ، فجعله كمن شهدها سواء بسواء ، وقد روى أن رجلاً من أهل مصر حج البيت ، فرأى قوماً جلوساً " فقال : من هؤلاء القوم ؟ فقالوا : هؤلاء قريش ، فمن الشيخ منهم ؟ قالوا : عبد الله بن عمر ، قال يا ابن عم ، إني سألتك عن شيء فحدثني عنه ، هل تعلم أن عثمان فر يوم أحد ؟ قال : نعم ، فقال : تعلم أنه تغيب عن بدر ولم يشهدا ؟ قال : نعم قال : الله أكبر ، فقال ابن عمر : تعال أبين لك ، أما فراره يوم أحد فأشهد أن الله عفا عنه وغفر له ، أما تغيبه عن بدر فإنه كان تحته بنت رسول الله ﷺ ، وكانت مريضة فقال رسول الله ﷺ : إن لك أجر رجل ممن شهد بدرًا وسهمه....." (2).

والثابت أن رسول الله ﷺ لم ينكر على عثمان غيابه عن بدر ، بل هو من أمره بالبقاء بالمدينة ، وهو صلى الله ﷺ من اعتبره حاضراً مجاهداً يوم بدر ، بل وضرب له بسهم مجاهد فيها كالحاضرين سواء بسواء ، ولم ينكر أي من الصحابة الكبار لا في حياة الصادق الأمين ولا بعد وفاته ذلك على عثمان ، فهذا علي بن أبي طالب يصرح لسائل عن عثمان بن عفان فيقول " ذاك امرؤ يدعى في المأ الأعلى ذا النورين ، كان ختن رسول الله ﷺ على ابنتيه ، وضمن له بيت في الجنة " (3) .

وأنكر أبو هريرة صاحب الصادق الأمين مقتل عثمان ، فقيل إنه رأى يوم استشهاده عثمان ممسكاً بظفيرتيه وهو يقول " والله لقد قتل عثمان على غير وجه الحق " (4) ،

1 (الإمام أحمد، المسند ، ص 82.

2 (سليمان العودة، عبد الله بن سبأ ودوره في إحداث الفتنة ، الرياض ، دار طيبة ، 2009 ، ص 130.

3 (الصلابي، عثمان بن عفان، ص 345.

4 (أبو القاسم علي بن الحسن بن بن عساكر، تاريخ دمشق ، دمشق ، دار الفكر ، ص 493.

وشهد الحسن بن علي بن أبي طالب بأن عثمان قتل مظلوماً⁽¹⁾ ، وأقر ابن عباس رضي الله عنه بفضل عثمان فقال : " كان والله أفضل البررة ، وأكرم الحفدة ، ومجهز جيش العسرة ، كثير الاستغفار ، هجاعاً بالأسحار ، سريع الدموع عند ذكر النار ، دائم الفكر فيما يعينه في الليل والنهار ، مبادراً إلى كل مكرمة ، فاراً من كل مهلكة ، ولقد عاش سعيداً ومات شهيداً ، فأعقب الله من قتله اللعنة إلى يوم القيامة " (2).

فمن يتخلف عن غزوة من غزوات الرسول الكريم صلى الله عليه وآله ويضرب له بسهم من الغنيمة كسهم من حضر ، ويثبت له أجر من جاهد فيها، فإنه من باب أولى ألا يكون عليه حجة بعدر التخلف وعدم الحضور.

ثانياً : تولى عثمان يوم غزوة أحد:

جاءت قريش في العام التالي لبدر طلباً للثأر من هزيمتها على يد الرسول الكريم وصحبه ، وحدث ما لا يخفي من مخالفة الرماة على جبل أحد لأمر البشير الكريم لهم بعدم مشاركتهم القتال أو المغنم ما حدث ، ثم كان ما كان من زلزلة أمر الجيش المسلمين وكثر القتل في صفوفه نتيجة اضطرابه ، فكان لوقع المفاجأة تأثيرها على الأبطال والصناديد ، فجفل من جفل وفر من فر ، وثبتت قلة في مقدمهم رسول الله ﷺ في وجه تلك الموجة العاتية من مقاتلي قريش وفرسانها ومن استعدوهم من قبائل قريش.

1 (محمد بن عمر بن مبارك الحضرمي، الحسام المسلول على منتقضي أصحاب الرسول ﷺ ، القاهرة ، مطبعة المدني ، ص 71.

2 (عمر بن شبة النميري ، تاريخ المدينة ، ج4 ، تحقيق فهيم محمد شلتوت ، مطبعة القدس ، ص145.

وكان عثمان في تلك التلة التي تولت طلباً للنجاة ، ثم انجلت الموقعة وظهر الدرس للمسلمين جلياً (لا تجوز مخالفة أمر الرسول الكريم لأن أوامره من عند الله تعالى) وليس للمسلم إلا أن يسمع ويطيع .

ولأن كل شيء هو من عند الله ، فقد أكمل سبحانه وتعالى فضله على صحابة رسول الله المؤمنين بأن وجه خطاباً واضحاً نزل في سورة آل عمران ، بيت في قضية أولئك المدبرين عن معركة أحد ، فقال عز من قائل " إن الذين تولوا منكم يوم النقي الجمعان إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم إن الله غفور رحيم " (1).

ولم يتول في ذلك اليوم عثمان وحده ، بل إن جمعاً كبيراً من الصحابة فر مع من فر ، فقد ذكر ابن كثير أن الصحابة قد تفرقوا عن رسول الله ﷺ ، ودخل بعضهم المدينة ، وانطلقت طائفة فوق الجبل حتى قال رسول الله ﷺ " إلى عباد الله ، إلى عباد الله " (2).

وقد عفا الله تعالى عن كل الهاربين بمن فيهم عثمان بن عفان رضي الله عنه ، زيادة على أن ذلك الأمر لا يحل بأي حال الخروج عليه في استخلافه ولا يستحل دمه ، ولو كان من عقاب أو جزاء لعثمان وغيره ممن فروا يوم أحد ، لكان الصادق الأمين ﷺ أولى بذلك من غيره.

ولم يكن صحابة رسول الله ﷺ يرون بعد وفاته فيما حدث في غزوة أحد ما يستوجب المراجعة ونقض الموضوع برمته ، والطعن على من هرب يوم أحد ، لأنهم ببساطة شديدة يعلمون عظمة القرآن ، وجسامته أن يصدر عفو من رب العباد ويجادل فيه بعض العباد ، بل أن الأمر وصل بصحابة الصادق الأمين ﷺ أن رأوا عثمان جديراً بالخلافة ، خليقاً بأن يلي أمر الأمة الإسلامية وهو ما كان ، حيث بايعه كبار صحابة الرسول

1 (سورة آل عمران، من الآية 152.

2 (ابن كثير، البداية والنهاية، ج2، ص 529.

الكريم ﷺ بدءاً بعبد الرحمن بن عرف وهو من هو في وزنه ومقامه ، ثم تبعه كبار الصحابة ، فالناس من ورائهم⁽¹⁾.

ورغم ذلك فقد طعن عليه الطاعنون ، وهم خوارج الأمة على ما ذكر الشهرستاني من أنهم على اختلاف مذاهبهم كخوارج قد طعنوا على عثمان للأحداث التي ذكرت⁽²⁾ ، وإن كانت الخوارج بصورتها المذهبية قد ظهرت في زمن لاحق لخلافة عثمان رضي الله عنه. ثالثاً : عدم حضور عثمان بيعة الرضوان عام الحديبية :

كانت بيعة الرضوان المعروفة في ذي القعدة من العام السادس للهجرة الشريفة في مكان قريب من مكة يسمى الحديبية ، ولعل أي قارئ لأحداث الحديبية وبيعة الرضوان يدرك بدون كثير إعمال فكر ، السبب الذي من أجله لم يشهد عثمان بيعة الرضوان ، فقد بعثه النبي الكريم ﷺ إلى أهل مكة يفاوضهم بشأن مجيء الرسول الكريم وصحبه لزيارة البيت العتيق سلماً ولا نية لديهم في مناخزة قريش الحرب ، وقد أورد ابن كثير أن رسول الله ﷺ دعا عثمان بن عفان فبعثه إلى أبي سفيان وأشرف قريش يخبرهم أنه لم يأتي لحرب ، وإنما جاء زائراً لهذا البيت معظماً لحرمة ، فخرج عثمان إلى مكة ، فلقه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة ، فحمله بين يديه ثم أجاره حتى بلغ رسالة رسول الله ﷺ ، فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظماة قريش فبلغهم عن رسول الله ﷺ ما أرسله به ، فقالوا لعثمان : إن شئت أن تطوف بالبيت فطف ، فقال : ما كنت لأطوف

1 (الحميدي ، الإبانة عما للصحابة من المنزلة والمكانة، ص 102.

2 (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ، الملل والنحل ، ج1، القاهرة ، مؤسسة الحلبي ، ص 117.

بالبيت حتى يطوف به رسول الله ﷺ ، واحتبسته قريش عندها ، فبلغ رسول الله ﷺ والمسلمين أن عثمان قد قتل " (1).

وكان هذا الخبر تحديداً ، أي خبر قيام قريش بقتل عثمان مبعوث رسول الله ﷺ ، هو الدافع الأول لما حدث تالياً من قرار الرسول الكريم وصحبه مناجزة قريش ، ثم أمر ببيعة الرضوان ، فقد ورد في سيرة ابن هشام أن الرسول الكريم ﷺ حين علم أن عثمان قتله قريش قال " لا نبرح حتى نناجز القوم " (2) ، ثم بايع الناس الرسول الكريم بيعة الرضوان تحت الشجرة ، وذكر عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي الكريم ﷺ وبعد أن جاءه خبر سلامة عثمان ، بايع عن عثمان بيده الشريفة ، حيث وضع يمينه الشريفة بشماله الشريفة (3).

ولا مرأى من أن بيعة الرضوان كانت نتيجة بعض الاحداث التي كان عثمان أساسها ، فقام المسلمون بمبايعة رسول الله الكريم على النصر بعدما أشيع فيهم أن قريشاً قد غدرت بعثمان وعلى هذا فالأمر برمته منقبة لعثمان لا مثلبة ، وذلك لمن رأى الأمر بصورته الصحيحة وليس من باب الطعن كما اتفق بلا تدقيق ولا تمحيص (4).

والواقع أن منزلة عثمان لدى رسول الله ﷺ تجلت في ذلك اليوم من عدة وجوه ، أولها أن انتداب الرسول الكريم له دون غيره من الصحابة دليل على فضل عثمان ومكانته وصلاحه لتلك المهمة ، وثانيها أن عثمان تميز عن غيره من الصحابة بأن الرسول ﷺ

1 (ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج2 ، ص595.

2 (أبو محمد عبد الملك بن هشام ، السيرة النبوية ، ج2 ، القاهرة ، المطبعة الخيرية ، 1329 ، ص316.

3 (ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج2 ، ص596 . ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج2 ، ص316.

4 (الغبان ، فتنة مقتل عثمان ، ص ص 68 ، 69.

بايع عنه ببده الشريفة وهي خير من أيدي جميع الصحابة رضي الله عنهم أجمعين ،
وثالثها أن البيعة إنما عقدت لعدة أسباب كان عثمان نفسه أحد تلك الأسباب.

رابعاً : مسألة جمع القرآن :

الأصل في الباعث لعثمان بن عفان على جمع القرآن الكريم هو استدراك اختلاف
القراءات باختلاف القراء وتعدد الألسن ورواية القرآن الكريم بوجوه عدة ، وصلت إلى حد
تخطئة بعض القراء لبعض ، بل وإلى تكفير بعضهم بعضاً في بعض الأحيان⁽¹⁾.

ومبتدأ الباعث لعثمان على جمع القرآن ما روى أن الصحابي حذيفة بن اليمان قدم
المدينة بعد غزاة للمسلمين في بلاد ما وراء النهر ، لمس حذيفة خلال تجواله في بعض
بلاد المسلمين القاصية أن هناك اختلافاً في قراءة القرآن الكريم باختلاف الروايات
والقراءات والألسن ، فأدرك أن هذا ربما يقود إلى اختلاف الأمة وتشرذمها وتمسك كل
فريق بما يحفظون من القراءات ، فدخل من فوره على عثمان ووجه إليه بأن يتدارك أمة
محمد قبل أن تختلف في القرآن.

أرسل عثمان بن عفان إلى حفصة بنت عمر رضي الله عنهما أن أرسلني إلينا
بالصحف التي جمع منها القرآن فأرسلتها ، ثم بدأ يحدث الناس على الإتيان بما لديهم من
القرآن مكتوباً⁽²⁾ وذلك لمقارنتها بالصحف التي كانت عند حفصة⁽³⁾ ، وقد أعجب الذهبي

1 (فهد بن عبد الرحمن الرومي ، جمع القرآن في عهد الخلفاء الراشدين ، ط1 ، الرياض ، مركز تفسير
للدراسات القرآنية ، 2003 ، ص 19 .

2 (الغبان ، فتنة مقتل عثمان ، ص ص 76 ، 77 .

3 (أبو بكر بن العربي المالكي ، العواصم من القواصم ، ط6 ، القاهرة ، مكتبة السنة ، 1412 ،

بهذا الإجراء المنهجي من عثمان واعتبر ذلك من دلائل مرتبته ومكانته رضي الله عنه حيث قال " من نظر في تحريه وقت أمره بجمع القرآن ، علم مرتبته وجلالته " (1).

ثم انتدب عثمان بعض صحابة رسول الله ﷺ منهم زيد بن ثابت وسعيد بن العاص وعبد الله بن الزبير وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام وأمرهم بكتابة القرآن الكريم فإن اختلفوا في لفظ كلمة منه فليكتبوها بلسان قريش لأن القرآن نزل بلسانهم (2).

وبعد إتمام نسخ عدة من المصحف الصحيح بلسان قريش مقارنة بالنسخة التي كانت لدى أم المؤمنين حفصة رضي الله عنها ، أمر عثمان بإرسالها إلى الأقطار الإسلامية (3) ومع كل مصحف مقرئ من الذين توافق قراءته قراءة أهل ذلك القطر.

ثم أمر عثمان رضي الله عنه بحرق أو غسل ما عدا تلك النسخ من المصاحف ، ليستأصل بذلك شأفة الخلاف والاختلاف بين المسلمين في قراءتهم للقرآن الكريم ، وقد رتب السور الشريفة على الترتيب والوجه المعروف الآن (4) .

وقد عاب البعض من المتأخرين على عثمان جمعه القرآن ، حيث اعتبروا عمله بدعة ، وكذا تحريق المصاحف بدعة غير مستساغة (5) ، ويكفي عثمان فضلاً أنه أقر له بأنه من

1 (شمس الدين أبو عبد الله محمد الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، ج1، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1998، ص 9.

2 (أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ج9 ، بيروت ، دار المعرفة ،

1379، ص 9.

3 (الرومي ، جمع القرآن في عهد الخلفاء الراشدين ، ص24.

4 (نفس المرجع ، ص 391.

5 (أبو بكر بن العربي ، العواصم من القواصم، ص 76.

أفضل من قرأ القرآن وتلاه على عهد رسول الله ﷺ ، فهو وفق ألفاظ الذهبي " أفضل من قرأ القرآن على النبي ﷺ " (1).

والذي حدث واقعاً أن الأمة الإسلامية اطمأنت للمصحف الذي نسخ على عهد عثمان رضي الله عنه ولا تزال نسخ ذلك المصحف تسمى المصاحف العثمانية نسبة إلى عثمان، ولا شبهة في أن ذلك العمل كان الحكمة عين الحكمة ، لأن هذا الصنيع من لدن عثمان قد أبقى للقرآن صفاءه كما أوحاه الله تعالى إلى رسوله الكريم (2).

وقد أقر علي بن أبي طالب كرم الله وجهه بجميل صنع عثمان في المصحف ، حيث قال للصحابية " لا تغلوا من عثمان ، ولا تقولوا إلا خيراً ، فوالله ما فعل الذي فعل إلا على مأل منا جميعاً ، و والله لو وليت لفعلت مثل الذي فعل " (3) أي أنني كنت سأفعل بالمصحف فعل عثمان تماماً.

ولما أغلق عثمان بصنيعه هذا باب الفرقة والخلاف انبرت ألسن الروافض والشعوبيين إلى التشييع على عثمان فيما صنع وتصوير فعله بالبدعة السيئة ، وذلك ليسوقوا خروجهم ويطنون في أفعاله رضي الله عنه ، محاولين أن يظهروا للناس أن فعل عثمان بالمصحف إنما هو من باب الابتداع السيئ الموجب للخروج عليه (4).

حاول البعض بث أوجه الطعن في موضوع جمع المصحف استناداً إلى فرية مختلقة عن الصحابي عبد الله بن مسعود و إنكاره ذلك الصنيع ، وأنه عاب على عثمان جمعه القرآن

1 (الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، ص 9.

2 (حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام ، ج1 ، القاهرة ، مكتبة النهضة ، 1986 ، ص 130.

3 (ابن حجر ، فتح الباري ، ج9 ، ص 18.

4 (الغبان ، فتنة مقتل عثمان ، ص 82.

مما حدا بعثمان لتعذيب ابن مسعود والتصديق عليه (1) ، ومما يكفي للرد على ذلك ما أورده بعض الثقات من المؤرخين ، فابن كثير أكد على أن ابن مسعود كان على وفاق مع عثمان وصنيع عثمان (2) ، كما ذكر ابن سعد في طبقاته أن ابن مسعود أوصى المسلمين بعدم الفرقة في عهد عثمان حين قال "إنا اجتمعنا أصحاب محمد ﷺ ، فلم نأل من خير ذي فوق ، فبايعنا أمير المؤمنين عثمان : فبايعوه" (3).

خامساً : مسألة الحمى:

الحمى أرض خصصت لإبل الصدقة على عهد رسول الله ﷺ ، وهي أرض محمية(4)، مخصصة لأنعام المسلمين وصدقاتهم ولا يجوز تملكها أو الرعي فيها بالأنعام الخاصة.

وقد ذكر عثمان لخصومه في قضية الحمى ما نصه: " فأما الحمى فإن عمر حماه قبلي لإبل الصدقة ، فلما وليت زادت إبل الصدقة فزدت من الحمى لما زاد من إبل الصدقة " (5) وهذا معناه أن زيادة ظاهرة حدثت في أعداد إبل الصدقة بزيادة أعداد المسلمين واتساع الفتوحات ومن ثم زيادة المال والمداخيل والصدقات من ضمنها ، فالزيادة في أرض الحمى كانت الحل الأمثل لاتقاء الزيادة الحاصلة في إبل الصدقة.

1 (طه حسين ، الفتنة الكبرى - عثمان ، ج1، بيروت ، دار المعارف ، ص 159.

2 (ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج7 ، ص 228.

3 (أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع بن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج3 ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1990، ص 63.

4 (ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري ، ج5 ، ص 44.

5 (محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج5 ، لندن ، مطبعة بريل ، 1879، ص 44.

ولم يكن عثمان رضي الله عنه قد ابتدع الحمى من لدن نفسه ، فقد سبقه رسول الله ﷺ ثم عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، وهذا دليل على جواز الحمى للخليفة ومن عمل من لدنهم من ولاة الأقاليم ، والمتمتعن في حديث النبي الكريم الناهي عن الحمى والذي نصه " لا حمى إلا الله ولرسوله " إنما يعني ذلك النوع من الحمى المتبع في الجاهلية قبل الإسلام والذي كان شيخ القبيلة وكبيرها يختص به لنفسه (1).

ولما كان من سبق عثمان قد حمى دون أن ينكر أحد عليهم ذلك ، فما وجه الاعتراض والإنكار على عثمان رضي الله عنه ، لمجرد أن وسع في الحمى بدافع كثرة الإبل الخاصة بالصدقة وهي من مجملها ملك عام للمسلمين ليس لعثمان منها شيء (2).

ويكفي عثمان أن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال عن موضوع الحمى " أما الحمى فإنه حماه لإبل الصدقة لتسمن ، ولم يحمه لإبل ولا لغنمه ، وقد حماه عمر من قبله " (3)، كما دافعت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن صنيع عثمان في الحمى بأن ذلك من الأمور التي سبقه الشيخان إليها ، ولا يصلح أمر الزكاة إلا بها ، حيث قالت : " وموضع من مواضع الحمى حماها لهم ، وهي أمور قد سبق إليها لا يصلح غيرها ، فتابعهم ونزع لهم عنها استصلاحاً لهم " (4).

سادسا : إتمام الصلاة في منى رباعية:

1 (ابن حجر العسقلاني ، فتح الباري ، ج 5 ، ص 354.

2 (الصلابي ، عثمان بن عفان ، ص 112.

3 (ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج 7 ، ص 187.

4 (الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج 4 ، ص ص 488 ، 489.

كان رسول الله ﷺ يقصر الصلاة الرباعية في منى إلى ركعتين ، وتبعه الشيخان رضوان الله عليها دون اجتهاد في تبديل أو تغيير ، وتبعهم عثمان في أولى سنوات خلافته ، ثم اجتهد وأتم الصلاة في منى غير مقصورة.

وقد كان مبرر عثمان في إتمام الصلاة المقصورة في منى بعدة حجج : منها أنه اعتبر نفسه مقيماً بمكة منذ مقدمه إليها ، فاعتبر نفسه قاراً بمكة مقيماً بها وبالتالي فلا قصر عليه لأن حكمه حكم المقيم ، كما قيل بأن عثمان سمع من بعض حجاج الأعراب أنهم وبعدهما قصروا الصلاة في منى وأبوا عن حجهم إلى أهلهم ، استمروا في قصر الصلاة الرباعية في أوطانهم تحججاً منهم بما فعلوه في منى من القصر ، فخشى عثمان أن يستتوا ذلك بشكل واسع (1) ، وقد أورد ذلك ابن حجر العسقلاني بقوله : " إنما صلى عثمان بمنى أربعاً ، لأن الأعراب كثروا في ذلك العام فأحب أن يعلمهم أن الصلاة أربع " (2)، كما أن عثمان اجتهد برأيه أن القصر الذي استته الرسول الكريم ﷺ كان من باب التخفيف على الأمة (3) ، لكنه اختار لنفسه الأشد (4).

إذاً فأمر المؤمنين عثمان رضي الله عنه اجتهد وساق مع اجتهاده حجتة ، وهو بلا ريب من كبار الصحابة وله من الفقه والورع ما لا يقبل الجدل والشك فليده " جملة كثيرة من العلم " (5) ، وقد لازم رضوان الله عليه رسول الله ﷺ فاستفاد من علمه وهديه مما جعله من كبار علماء الصحابة (6).

1 (الغبان ، فتنة مقتل عثمان، ص 87.

2 (ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج2، ص 571.

3 (الغبان ، فتنة مقتل عثمان، ص 88.

4 (ابن حجر العسقلاني، فتح الباري، ج2، ص 571.

5 (الذهبي، تذكرة الحفاظ، ص 9.

6 (الصلابي، عثمان بن عفان، ص 81.

ولو قيل إن اجتهاد عثمان بن عفان في إتمام الصلاة المقصورة في منى لم يكن في محله رغم ما ساقه رضي الله عنه من حجج في ذلك ، فإن ذلك كله لا يجوز أن يكون مسوغاً وحجة بأي حال يسوغ خلع طاعته والخروج عليه فضلاً عن قتله .
سابعاً : معاملته لبعض الصحابة:

طعن البعض على عثمان أنه ضرب عمار بن ياسر و عبدالله بن مسعود ، وأخرج أبا ذر الغفاري وأبا الدرداء من المدينة ، ويقول صاحب (العواصم من القواصم) في ذلك ما يلي :

((أما ضربه لعمار وابن مسعود ومنع العطاء عنه فزور ⁽¹⁾ ، وأما نفيه أبا ذر فلم يفعل ، وكان أبو ذر زاهداً ، وكان يقرع عمال عثمان فوقع بينه وبين معاوية كلام بالشام ، فخرج إلى المدينة فاجتمع إليه الناس..... فقال عثمان : لو اعتزلت فخرج إلى الريدة زاهداً ، ووقع بين أبي الدرداء ومعاوية كلام ، وكان أبو الدرداء قاضياً..... فلما اشتد في الحق وأخرج طريقة عمر بن الخطاب في قوم لم يحتملوها ، عزلوه)) (2) .
أساليب الطاعنين :

بنظرة متأنية لظاهرة الطعن على عثمان رضي الله عنه وما تضمنه من تصديق العامة لما سيق فيه من مطاعن ، يبرز سؤال على قدر من الأهمية مؤداه : كيف استطاع الخارجون والطاعنون رغم أنهم على غير الحق أن يقنعوا الناس بدعواهم ؟ وكيف وجدت كلماتهم صدى في النفوس ؟ بل ما هي الأساليب التي اتبعوها لتحقيق أهدافهم ؟ ولفهم ذلك وجب أن ندرك أن جموع الداخلين في الإسلام حتى عهد عثمان لم تكن قاصرة

(1) أبو بكر بن العربي المالكي ، العواصم من القواصم ، ط6 ، القاهرة ، مكتبة السنة ، 1412هـ ،

على أقحاح العرب وأجذامهم ، بل تعدتهم إلى عناصر وشعوب وأقوام وألسن وألوان وأهواء عديدة ، وذلك بعد الفتوحات العظيمة زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، التي أدت إلى تنوع عناصر المجتمع المسلم في عهد عثمان بن عفان بدخول أمم وأقوام وشعوب تحت مظلة دولة الإسلام فتحاً ، وبالتالي لم يكن الجميع ممن دخل الإسلام على درجة واحدة من الاقتناع والإيمان الراسخ ، ففيهم الشعوبيون الذين لم يرق لهم بروز أمة العرب كحاملة للواء الإسلام ، وفيهم المنافقون الموتورون الذين اجتمع فيهم فوق الحقد والدهاء والمكر والتخطيط.

ففي نسيج المجتمع الإسلامي زمن عثمان نجد العربي والفارسي والرومي والقطبي والبربري والتركي والصفلي والإفريقي وغيرهم ، كانوا على ملل ونحل مختلفة بين الوثنية والمسيحية والزرادشتية والطوطمية والمجوسية والإلحادية ، مع كل ما فيها من طقوس تعبدية وممارسات شعائرية متجذرة منذ القدم فيهم.

وقد جمع ذلك بعضاً من مظاهر الامتعاظ والحزن على دولهم التي قوضتها الفتوحات وأمجاد أسلافهم التي اندثرت ، وآلهتهم التي زالت ، فتشكل مظهر من مظاهر الغيظ مع فيض من الضغينة والحقد ، علاوة على كل موتور أجمته شريعة الإسلام عن أهوائه ، أو تعرض لحدٍ أو تعزيز أو مات له في الفتوحات أعلاج من القرابة والأهل .
والمتمتعن من هذا الخليط العجيب لا يستغرب وصفهم بالدهماء والغوغاء ، الذين لا يربطهم إلا رباط تحين الفرص للفتن في عضد دولة الإسلام ، والتحرر مما زعموه من سطوة العرب عليهم.

إذاً فطائفة كهذه تعتبر أرضاً خصبة وقاعدة مهيأة لقبول الأقاويل وتلقف المطاعن وتصديق الشائعات لأسباب عديدة ، بل ربما تهيأ لهم الجو لمزيد من الزيادة والاختلاق في الأقاويل والطعون والقذف ، دفعاً نحو الهدف المرسوم المتمثل في زوال الإسلام، وعلى هذا فإن هذه الطائفة بدأت تتقبل تصديق كل ما يشاع حول عثمان لأنه

وافق هواها وتواءم مع أهدافها ومبتغاها ، زيادة على أن إحكام المؤامرة والتدبير كان عاملاً آخر لا يملك أمامه كل ذي لب ضعيف إلا أن يصدق ما يسمع ويؤمن بما يشاع .
ومما تحذلق فيه الطاعنون من الأساليب واتبعوه من الطرق ما يلي :

الشائعات والإذاعة ، تهيج الناس ، استخدام عبارات التكبير والتهليل ليتوهم الناس أنه عمل لله ، نشر الفوضى و التجمهر ، استخدام الناس والتشويش بهم على الخليفة تزوير الحقائق و كثرة الأكاذيب ، تصوير الخروج على أنه مصلحة للعامة ومطلب للناس تهويل الأمور ومحاولة إراقة الدماء ليحدث انفلات يصعب لجمه ، الضرب على وتر الحاجة وتصوير الخليفة بصورة المانع للخير عن الناس ، تزيين صورة المستقبل بعد التخلص من الخليفة .

ومن أساليبهم وطرق تهبيجهم للناس ما يلي : ((أهم هذه الأساليب إشاعة الأراجيف حيث ترددت كلمة الإشاعة والإذاعة كثيرًا ، والتحريض..... وصعدوا الأحداث حتى وصلت إلى القتل ، وإلى جوار هذه الوسائل استخدموا مجموعة من الشعارات منها التكبير ، ومنها أن جهادهم هذا ضد الظالم ، ومنها أنهم ما يقومون إلا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ثم تطورت إلى المطالبة بخلع عثمان ، إلى أن تبادوا في جرأتهم وطالبوا بل سارعوا إلى قتل الخليفة والتشوق إلى قتله بأي وسيلة)) (1) .

فسبحان الله على هكذا طرق وأساليب هيجت الناس و أعمتهم ، فخرجوا ظانين أنهم على حق ، والتبست عليهم الحقائق بالأباطيل .

الخاتمة

علم الناس في غير عصر بأغلب تفاصيل سيرة عثمان بن عفان جملة وتفصيلاً ، ويبقى الفيصل في استنباط العبرة واستخلاص العظة ، وخطورة أن ينتهج بعض الموتورين

1 (الصلابي ، عثمان بن عفان ، ط1، القاهرة ، دار التوزيع والنشر ، 2002 ، ص332

أسلوب التهيج والقذف والطعن على خليفة مسلم ، ولاه رب العزة من أمر أمة محمد ما ولاه ، فنازعه فيه من نازعه وتفاقم الأم حتى أمسى فتنة وخروجاً.

ككيف بنا إذا تبصرنا بحقيقة ما جرى في زمن عثمان : ألم تمض الحوادث وينقض الأمر ؟ أم أن مدبر الكون قضى بذلك لنعمل بصائرنا فيه وفي دوافعه وأهدافه و مراميه ؟ والأهم نتائجه وما ترتب عليه من انقسام بين المسلمين و تقائلهم بدعاوى من هذا و ردود من ذلك ، ولا مستفيد من هذا و ذلك إلا عدو الإسلام والمسلمين .

المصادر والمراجع

_ أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، تهذيب الأسماء واللغات، ج1، تعليق محمد عبد القادر عطا، بيروت، دار الكتب العلمية 2007 م.

_ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية، ج7، ط1، تحقيق عبد الله التركي، القاهرة ، دار هجر، 1997م.

_ الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل ، المسند، ج 4 ، بيروت ،مؤسسة الرسالة ، 1421 .

_ أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني ، حلية الأولياء ، ج18، القاهرة، مطبعة السعادة ، 1996 .

_ أبو عبد الله محمد بن سعد بن منيع بن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج3 ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1990.

_ محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج5 ، ليدن ، مطبعة بريل ، 1879.

_ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج1، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، 1996.

_ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن كثير، البداية والنهاية، ج1، بيروت ، دار المعارف ، 1990.

- _ عبد الله بن أحمد بن محمد بن حنبل، فضائل عثمان بن عفان، تحقيق طلعت الحلواني، ط1، جدة، دار ماجد عسيري ، 2000م.
- _ أبو جعفر أحمد المحب الطبري ، الرياض النضرة في مناقب العشرة ، ج3، ط1، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1984م.
- _ أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج3، بيروت، دار الكتب العلمية ، 1994.
- _ أبوبكر بن العربي المالكي ، العواصم من القواصم ، ط6 ، القاهرة، مكتبة السنة ، 1412هـ،
- _ أبو العباس تقي الدين أحمد بن تيمية ، منهاج السنة النبوية ، الرياض، جامعة الإمام ، 1986،
- _ محمد بن عمر بن مبارك الحضرمي، الحسام المسلول على منتقصي أصحاب الرسول ﷺ ، القاهرة ، مطبعة المدني ، 1386هـ ..
- _ عمر بن شبة النميري ، تاريخ المدينة ، ج4 ، تحقيق فهيم محمد شلتوت ، مطبعة القدس.
- _ أبو القاسم علي بن الحسن بن عساكر، تاريخ دمشق ، عدة أجزاء، دمشق، دار الفكر، 1995.
- _ أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني ، الملل والنحل ، ج1، القاهرة ، مؤسسة الحلبي، 1968.
- _ أبو محمد عبد الملك بن هشام ، السيرة النبوية ، ج2 ، القاهرة ، المطبعة الخيرية ، 1329.
- _ فهد بن عبد الرحمن الرومي ، جمع القرآن في عهد الخلفاء الراشدين ، ط1، الرياض، مركز تفسير للدراسات القرآنية ، 2003.

- _ أبوبكر بن العربي المالكي ، العواصم من القواصم ، ط6 ، القاهرة ، مكتبة السنة 1412هـ .
- _ شمس الدين أبوعبد الله محمد الذهبي ، تذكرة الحفاظ ، ج1، بيروت ، دار الكتب العلمية ، 1998.
- _ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، ج9 ، بيروت ، دار المعرفة ، 1379.
- _ علي الصلابي، تيسير الكريم المنان في سيرة عثمان بن عفان، القاهرة ، دار الفجر ، 2010.
- _ عبد الله بن أحمد بن حنبل، فضائل عثمان بن عفان ، جدة ، دار عسيري ، 1421.
- _ محمد بن عبد الله الغبان، فتنة مقتل عثمان، المدينة المنورة ، الجامعة الإسلامية 1999.
- _ محمد حسين هي ، عثمان بن عفان ، القاهرة ، دار المعارف ، 1964.
- _ محمد أحمد إسماعيل المقدم ، بصائر في الفتنة ، القاهرة ، الدار العالمية ، 2010.
- حمد بن عبد الله بن إبراهيم الحميدي ، الإبانة لما للصحابة من المنزلة والمكانة ، الرياض ، دار القاسم ، 2000.
- _ سليمان العودة، عبد الله بن سبأ ودوره في إحداث الفتنة ، الرياض ، دار طيبة ، 2009 .
- _ حسن إبراهيم حسن ، تاريخ الإسلام ، ج1 ، القاهرة ، مكتبة النهضة ، 1986.
- _ طه حسين ، الفتنة الكبرى - عثمان ، ج1، القاهرة ، دار المعارف .

كفاءة الايدي العاملة سياحيا واثرا على جودة الخدمات بفنادق مدينة الخمس
 (دراسة تطبيقية لآراء عينة من العاملين في قطاع الفنادق بمدينة الخمس)
 د. خالد سالم معوال - د. صالحة علي فلاح

المقدمة

تسعى المنشآت الفندقية في العصر الحالي إلى إثبات وجودها من خلال تقديم أفضل ماتستطيع من خدمات بحيث تفوق هذه الخدمات توقعات السياح ومتطلباتهم ، فتقديم الافضل هو المفتاح الأساسي الذي تدخل من خلاله هذه المنشآت الفندقية إلى تحقيق التقدم والتميز على منافسيها، وذلك لأن بيئة الأعمال الحالية أصبحت بيئة تتسم بالسرعة في التغيير كما أن الأسلوب أو الطريقة المعتادة في أداء الأعمال باتت غير ملائمة لهذه البيئة من هنا أصبحت المنشآت الفندقية ملزمة في البحث عن كل مايمكن أن يحقق لها استراتيجياتها بمختلف الأساليب والطرق مما يساعدها في تحقيق أعلى مستويات الأداء والتميز للوصول إلى أعلى مراتب رضى السياح إذا أصبح السائح في دائرة الاهتمام والتركيز ومحط أنظار العديد من المنشآت الفندقية التي تحاول اجتذابه بشتى الطرق والوسائل الممكنة .

ويرجع أهم الأسباب التي دفعت الحكومات الدول السياحية في العالم الى دعم القطاع الفندقي وتفعيل بتنمية الخدمات السياحية وجودتها هو قدرة هذا القطاع على

خلق فرص عمل متنوعة وخاصة إذا تطور النشاط السياحي وتوسع وقد تكون فرص عمل مباشرة أو غير مباشرة ، إن فرص العمل المباشرة تضم مهن مختلفة حيث تشمل العمل في السياحة ، والنقل والإيواء من فنادق ودور الضيافة وخدمات الأطعمة والمشروبات وخدمات التسلية والترفيه الأخرى لذلك مع هذا العدد من الأنواع من الوظائف والمهن لابد أن تكون أيدي عاملة مدربة مؤهلة تستطيع مواكبة القصور الحالي والمستقبلي في القطاع السياحي؛ لتحقيق جودة عالية للخدمات وإرضاء رغبات السياح بمختلف مستوياتهم.

وقد أدركت العديد من الدول أن هناك حقيقة مهمة في هذا الصدد وهي أن السياحة تحتاج إلى أيدي عاملة مدربة ومؤهلة تستطيع مواكبة التطور وهذا لايتأتى إلا من خلال التوسع في عقد دورات التدريب في المجال السياحي والفندقي بحيث يتم فيها تأهيل وتدريب الشباب الراغبين في العمل في هذا المجال بمايؤدي إلى النهوض بهذا القطاع المهم من القطاعات الاقتصادية.

فالتدريب يساعد المنشآت السياحية والفندقية على تحقيق الاكتفاء الذاتي وبالتالي تقليل الاعتماد على الأيدي العاملة الأجنبية، وهناك عدة مستويات من التدريب منها: تدريب العاملين الجدد أو التدريب أثناء العمل أو تحديد المعلومات لاكساب العاملين مهارات الجديدة في مجال تخصصهم.

وسنحاول في هذه الدراسة تقييم الأيدي العاملة في الفنادق بمنطقة الخمس ومشاكلهم وسبل تطوير مستواها بما يضمن النهوض بمستوى هذا القطاع ، وبالتالي تحسين الخدمات المقدمة للسياح بصورة مرضية.

وتأكيدا على ما تقدم لا يمكن أن يتحقق كل ذلك إلا من خلال وجود استراتيجية واضحة؛ لتنمية الموارد البشرية في مجال استخدام التكنولوجيا المعلومات في القطاع السياحي بحيث يتم تأهيل وتدريب الشباب الراغبين في العمل في هذا المجال من الناحية العلمية والتقنية بهدف النهوض بقطاع السياحة والفندقة، ومن هنا تتجلى أهمية هذا البحث في تسليط الضوء على مستوى جودة الخدمات الفندقية التي تقدمها للسياح ، وواقع الأيدي العاملة في القطاع الفندقي وسبل تطويرها.

إشكالية البحث: تتمثل مشكلة البحث في معرفة العاملين في القطاع السياحي قادرين على النهوض في هذا القطاع من خلال المهارات العلمية والتقنية التي يمتلكونها، وأسلوب توفير الأيدي العاملة المؤهلة للخدمات السياحية وكيفية المحافظة عليها.

أهداف البحث: يهدف البحث لتحقيق :. 1. تحليل واقع الأيدي العاملة في القطاع السياحي الفندقي في منطقة الخمس حول مدى توفر المهارات التقنية والعلمية لدى العاملين فيها.

2. استطلاع آراء العاملين في القطاع السياحي الفندقي بالمنطقة حول مدى موافقة البرامج التعليمية والتدريبية لمتطلبات سوق العمل في مجال السياحة في المنطقة، ومدى مساهمتهم حن خلال خبراتهم في تطوير وتنمية قطاع السياحة بالمنطقة.

3. اقتراح السبل والوسائل الممكن تبنيها من أجل تعزيز دور الأيدي العاملة في الفنادق وبالتالي تطوير الخدمات السياحية في الفنادق .

منهجية الدراسة: سيتم اتباع المنهج الوصفي التحليلي في هذا البحث معتمدا على تقديم إطار نظري يتناول المفاهيم والدراسات السابقة التي تناولت موضوع البحث، وإطار عملي يعتمد على إعداد استبيان صمم لغرض جمع البيانات من افراد عينة الدراسة.

فرضية البحث : حيث بنيت فرضية البحث على الآتي:

يلعب التدريب دورا رئيسا ومهما في إعداد الكوادر الفندقية المتخصصة ويؤثر ذلك على تقديم الخدمات لضيوف الفنادق.

حدود الدراسة: 1. الحدود المكانية: ركزت على الفنادق الموجودة في منطقة الخمس ، وقد شملت الدراسة الفنادق سوء المصنفة أو الغير مصنفة.

2. الحدود البشرية: شملت العاملين في الفنادق بالمنطقة.

الدراسات السابقة: 1. دراسة قصى الصفوري 2007 (دور القطاع السياحي والمرافق والخدمات السياحية في الاقتصاد الأردني). تهدف دراسته الى التعرف على دور القطاع السياحي والمرافق والخدمات السياحية في الاقتصاد الأردني من خلال تحليل بيانات موظفي وزارة السياحة والآثار وقطاع الفنادق ووكالات السفر في الأردن وإبراز الدور الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والسياسي والبيئي للقطاع السياحي وعوامل الجذب السياحي للأردن ومستوى الخدمات المقدمة للسائحين في مواقع الجذب السياح وكما أشارت نتائج دراسته أن القطاع السياحي يسهم برفع ميزانية الدولة وتأمين فرص عمل للعمالة الماهرة وغير ماهرة.

2. دراسة الهادي المغيربي 2006 (بنية التكوين المهني السياحي في الجماهيرية العظمى بين الواقع والطموح) تناولت دراسته الموارد البشرية في القطاع السياحي في ليبيا وأسفرت الدراسة على عدة نتائج منها أن للجماهيرية خصوصية معينة تتجلى في تباطؤ النمو في إعداد الكادر البشري الفني المتخصص في أخذ دورة في عملية التنمية. وأوصى بتطوير الكوادر البشرية بكافة المجالات وإن تحقيق المستوى العالي في الكفاءة والمهارة للعنصر البشري.

الإطار النظري

- نظرة تاريخية حول تطور التعليم السياحي: تعتبر السياحة من العلوم الحديثة التي ازدهرت في العقود الثلاث الأخيرة وقد نشأت بداية في أوروبا وأمريكا مع تطور الحركة السياحية من خلال أقسام العلوم الاجتماعية، ولكن مع ازدهار السياحة اشتد الطلب على العمالة السياحية ، فظهرت المعاهد والكليات وجامعات متخصصة في كل من سويسرا وإيطاليا وفرنسا وإسبانيا والولايات المتحدة الأمريكية أما في مجال الفنادق فقد كان الأمر مبكرا حيث ظهرت المدارس والجامعات الفندقية في بداية الثلاثينات من القرن الماضي ، نذكر منها لوزان/سويسرا وميلانو/إيطاليا ، وفي الوطن العربي كانت جامعة حلوان السياحية في مصر ثم تليها دول المغرب العربي لبنان والأردن وسوريا وأخيرا دول الخليج خاصة البحرين وعمان والإمارات والسعودية. وأن البرامج الأكاديمية التي تقدمها المعاهد والكليات في الوطن العربي تركز على المهارات الأساسية والعملية في صناعة السياحة في حين أن البرامج الأكاديمية التي تقدمها الجامعات تركز غالبا على المهارات الإدارية والوظيفية والعملية المتخصصة .

وتمثل فرص العمل الجديدة التي توفرها المشروعات الإنمائية ومنها القطاع السياحي أحد الأهداف الأساسية في الخطط الإنمائية في البلدان النامية كما وأن المهارات المطلوبة من العمال من الأمور المهمة في سوق العمل من حيث وجود

الفائض أو العجز في هذه المهارات ومن حيث إمكانية توفيرها محليا أو استيرادها من الخارج أو أن يوفرها سوق العمل السياحي على حساب قطاعات أخرى، ولا جدوى من السياحة إن لم تكن الأيدي العاملة في مجال السياحة محلية المنشأ .

- المفاهيم الأساسية للتدريب السياحي والخدمة السياحية :

يفهم التدريب السياحي بأنه هو سلسلة اجراءات وعمليات متعاقبة معتمدة على خطة مدروسة تكسب العاملين تجربة وخبرة جديدة .

أما الخدمة السياحية فعرفت بأنها مجموعة من الأعمال والنشاطات التي توفر للسياح الراحة والتسهيلات عن شراء واستهلاك الخدمات والبضائع السياحية خلال وقت سفرهم أو إقامتهم في المرافق السياحية بعيدا عن مكانهم الأصلي.

- أثر السياحة على نمو حجم القوة العاملة:

تعد السياحة واحدة من أكبر القطاعات توليدا للوظائف في مجالات متنوعة حيث تعتبر السياحة صناعة كثيفة العمالة كما أن معدل خلق الوظائف في قطاع السياحة يعد أكثر سرعة من المعدلات السائدة في القطاعات الأخرى بنحو 1.5 مرة ، ويلعب النشاط السياحي دورا مهما في خلق فرص التوظيف سواء بشكل مباشر يتصل باستغلال المقاصم السياحية أي داخل قطاع السياحة ذاته كالعمالة المخصصة بالنقل السياحي والإرشاد السياحي ، أو بشكل غير مباشر بالإسهام في

خلق فرص عمل بالقطاعات التي تمد السياحة باحتياجاتها من السلع والخدمات كالعاملين بالبنية الأساسية والزراعية.

وطبقا لدراسات مكتب العمل الدولي فإن معدل خلق وظائف مباشرة في قطاع الفندق فقط يتراوح بين 0.5 إلى فرصة عمل واحدة لكل غرفة جديدة في فندق ، ويرتفع هذا المعدل في الدول ذات الرواتب المنخفضة نسبيا ليصل إلى 1.5 أو أكثر كما تقدر دراسات أخرى أن إضافة سرير جديد في فندق بتونس يسهم في توظيف سنوي نحو 27 شخص في قطاع البناء والتجهيزات الأساسية (كادوات المطبخ والمناضد وغيرها من المنقولات المنزلية) بالإضافة إلى خلق مايزيد من فرص التوظيف من خلال مضاعف التشغيل وأن إضافة غرفة جديدة لفندق في مصر تساعد في توفير 1.8 فرصة عمل، كما تتوقع منظمة السياحة العالمية أن يتمتع قطاع السياحي العالمي بنمو مستدام بواقع 4.3% سنويا خلال الفترة 2018/2008 وسيرافق هذا النمو زيادة في تشغيل الأيدي العاملة في هذا القطاع وقد بلغ عدد العاملين الكلي في القطاع السياحي (مباشر وغير مباشر) 231.2 مليون عامل بما تمثل نسبته 8.3 % من حجم العمالة العالمي ويشكل 12.1 من كل فرصة عمل عالمية ومن المتوقع أن يرتفع هذا العدد الى 262.6 مليون فرصة عمل في عام 2018 .

- تنوع العمالة في القطاع السياحي:

يعمل قطاع السياحة على توليد ثلاثة أنواع من العمالة وهي:

1. العمالة المباشرة: وتشمل فرص العمل المتاحة في المنشآت السياحية والفندقية كوكالات السفر وشركات النقل السياحي وبيع التذاكر والتسويق السياحي والفنادق والمطاعم وغيرها.

2. العمالة غير المباشرة : وتشمل فرص العمالة التي تتولد في القطاعات التي يعتمد عليها القطاع السياحي والفندقي في توريد الطعام والشرب والأثاث وغيرها.

3. العمالة الموسمية :الذين تجذبهم صناعة السياحة ليعملوا بأنشطتها خلال موسم ذروة النشاط السياحي وهم غالبا من سكان الإقليم السياحي وليس من خارجه.

4. العمالة المستفيدة من النشاط السياحي ويطلق عليها العمالة المستحبة وتضم العاملين في مجال البناء والتشييد وغيرها.

- توفير العمالة المطلوبة للقطاع السياحي الفندقي:

إن عملية توفير وإعداد العمالة للقطاع السياحي تمثل ركيزة أساسية لنجاح تشغيل وإدارة المشروعات السياحية المتنوعة حيث إن العمل في تلك المشروعات يتطلب قدرات وخبرات فنية وإدارية لمواجهة متطلبات هذا القطاع في ضوء التطور المستمر للنشاط السياحي وتنوعه.

وبناء عليه فإن عملية توفير العمالة تبرز أهمية التعرف على عدة أمور منها عرض العمالة المتاحة لذلك القطاع وطبيعة الطلب عليها من أجل تحديد الأفراد المطلوبين لأداء الأعمال المختلفة ويتوقف توفير العمالة لقطاع السياحة على عدة أمور تتكامل فيما بينها في توفير ورفع كفاءة العمالة المطلوبة لهذا القطاع وتتمثل فيما يأتي:

1. حصر المهارات المتاحة من العمالة السياحية ، حيث تمثل في تجميع المهارات المتاحة للأفراد الموجودين في المنطقة التي تقام فيها المشروعات السياحية المتنوعة خصوصا وأن الاعتماد على العمالة الأجنبية يشكل عنصرا غير مرغوب فيه ومكلف ولذلك من الأهمية الاعتماد على العمالة المحلية ومحاولة تدريبها ورفع مهاراتهم وإكسابهم المزيد من الخبرات.

2. التعليم والتدريب للعمالة في القطاع السياحي، تعد هذه العملية في غاية الأهمية في إعداد وتجهيز العمالة السياحية داخل قوى العمل السياحية أو التي ستتضم مستقبلا. فالتعليم المستمر يزيد من معارف وخبرات الفرد بخصوص أداء العمل ومن شأنه أن يسهم في إعداد الفرد ورفع كفاءته للقيام بمهام وظيفته خصوصا في الوظائف المختلفة في القطاع السياحي.

وتوجد عدة أسس يقوم عليها التدريب في القطاع السياحي أهمها ما يلي:

أ . أن التدريب ليس برنامجاً يبدأ ثم ينتهي في فترة معينة ، فهو عملية مستمرة ، إذ يجب ملاحقة التطورات التي تحدث سواء من الناحية الإدارية أو التنظيمية.

ب . يجب أن يشمل التدريب جميع العاملين في المنشآت السياحية والفندقية بما فيهم العاملين القدامى؛ لضمان مستوى معين من الخدمة.

ج . إن التدريب يتطلب معايير معينة من أجل إنجازه منها:

1. المكان المناسب للتدريب بمختلف مستوياته.

2. المدربون الأكفاء الذين لديهم القدرة على نقل معلوماتهم للغير .

3 وسائل وأدوات التدريب التي تتناسب مع التخصصات المختلفة.

4. جهاز يقوم بوضع برامج التدريب وأهدافه ثم يجري تقييم للدورات التدريبية المختلفة.

د . أن تدريب المدربين أمر ضروري قد يتم محليا أو في الخارج أو من خلال دعوة الخبراء من الخارج لقيام بالتدريب .

هـ . يستخدم التدريب أساليب متعددة فقد يستخدم أسلوب المشاهدة أو دراسة الحالات أو الزيارات الميدانية أو التمرين العملي وغيرها.

و . يجب أن يتسع التدريب أيضا ليشمل كيفية تحقيق الاتصال بين المستويات المختلفة من العمالة في المنشآت السياحية أو الفندقية وهو نوع من التدريب يمكن أن يتم أثناء العمل.

ومن أجل إنجاح تطور القوى العاملة الحالية في القطاع السياحي لابد من اتباع سياسة محددة في كيفية توفير المدربين والمدرسين الأكفاء والقادرين على تأهيل العاملين وذلك عن طريق دعوة الخبراء والمختصين ضمن عقود واتفاقيات للتعاون مع كل من الدول التي لها تجربة ناجحة في تنظيم الدورات التدريبية المتخصصة للعاملين في القطاع الفندقي كدولة مصر مثلا.

ولابد من إقامة مدرسة فندقية بمنطقة الخمس مشابهة للمدرسة الفندقية بجنزور . طرابلس وتدعيم الاختصاصات من المدرسين والمدربين فيها عن طريق التعاقد معهم من الدول العربية، وكذلك الاستفادة من مواقع الفنادق ذات الدرجات الممتازة بأن يكون موقع المدرسة قريب منها لغرض الدراسات التطبيقية العملية أثناء العمل، وكذلك إنشاء قسم السياحة والفندقة في جامعة المرقب بحيث يشمل التخصصات السياحة والإرشاد السياحي وإدارة الفنادق وإدارة شركات سياحية..

- مميزات العاملين بالقطاع السياحي الفندقي:

إن العمل في قطاع السياحة والفندقة يستلزم أن يكون الفرد على مستوى مرتفع من الناحية المهنية والسلوكية علاوة على المظهر اللائق مع إجادة اللغات الأجنبية على الأقل لغة أجنبية واحدة ، فتشغيل أفراد ينقصهم التعليم والتأهيل والتدريب الكافي يؤدي إلى فشل هذه المشروعات السياحية ، فالسياحة هي صناعة خدمات تتطلب مستوى معيناً من المهارة سوء في الخدمة السياحية (عمالة مباشرة في المشروعات السياحية) أو الخدمات المعاونة (الجهات وثيقة الصلة بالخدمة السياحية كالجوازات وغيرها) . ومن هنا لابد من توفير الصفات الآتية لعامل قطاع السياحة والفندقة:

1. أن يكون حسن المظهر والشكل، فمحافظة العاملين على ارتداء ملابس مميزة لهم في الخدمة الفندقية تبعث الارتياح للسياح .
2. أن يكون الفرد معتدا بنفسه: أي يتطلب من العامل أن يحب عمله ومقتنع به ولديه ثقافة ومعلومات عامة وثقة بالنفس؛ مهما كانت وظيفته متواضعة فهو يتعامل مع سائحين لا يعرفون إلا القليل من العادات الاجتماعية المحلية.
3. أن يتمتع الفرد بصفة الصبر والتعاطف مع الآخرين : فالسائح يأتي إلى المنطقة السياحية بعد عناء ومشقة وأحياناً يتعرض لمشاكل سوء من جهات الجمارك أو الجوازات أو النقل ومن هنا تبرز حاجته لشخص يتوفر لديه صفتي

الصبر والمرونة والتعاطف لتفهم نفسيته ومواجهة طلبات السائح الكثيرة ومحاولة امتصاص غضب السائح وبعث الاطمئنان والراحة إلى نفسه.

4. القدرة على التعامل مع المواقف: كثير مايتصف السائحون بالعدول عن رأيهم فهم يصلون إلى مكان غالبا ما يرونه لأول مرة حيث يجذبهم اهتمامات كثيرة في هذا المكان وقد تتغير قراراتهم بالنسبة إلى رؤية أماكن أخرى إضافية. فالمطلوب من العامل أن يواجه هذه الحالات بمرونة عالية حفاظا على إرضاء الزبون وسرعة اتخاذ القرار والتعامل مع هذا الموقف بحكمة.

5. القدرة على التكيف: إن العامل في المجال السياحي والفندقي يجب أن يكون متعاوننا يعمل بتناسق مع زملائه فالعمل السياحي والفندقي هو عمل فريق واحد وأي تعارض أو اختلاف بين العاملين ينعكس فورا على الأداء العام.

الدراسات التطبيقية: تضمنت الدراسة العملية إعداد استمارة استبيان مكونة من (12) سؤال موزعة على عينة عشوائية مكونة من (30) موظف وعامل في الأقسام السياحية في عدد من فنادق الخمس.

تحليل ومناقشة نتائج الاستبيان:

أولاً: الخصائص الشخصية والوظيفية لعينة العاملين في الفنادق.

1- الجنس: جدول رقم (1)

الجنس	العدد	النسبة المئوية
ذكور	28	93.33
إناث	2	6.66
المجموع	30	%100

يتبين من الجدول أن عدد الذكور بلغ 28 أي مانسبته 93.33% أما الإناث فقد بلغ عددهن 2 أي مانسبته 6.66% مما يعنى تدني نسبة ما تحتله الإناث من عمالة في الفنادق في حين أن نسبة العاملين من الذكور عالية جدا وقد يرجع ذلك إلى طبيعة المجتمع الليبي عامة والخمس خاصة الذي يتيح مجال أوسع للذكور في العمل الفندقية أكثر من الإناث لذلك أصبحت النسبة عالية من الذكور.

2. الفئة العمرية: جدول رقم (2)

العمر	اقل من 40 سنة		اكثر من 40 سنة		المجموع
	العدد	%	العدد	%	
الجنس					
ذكور	26	68.6	3	10	29
إناث	—	—	1	3.3	1
المجموع	26		4		30
					%100

يمكن ملاحظة أن الفئة العمرية اقل من 40 سنة تمثل نسبة عالية جدا ويفسر ذلك بأن مجال إدارة الفنادق قد زج بمجموعة من الشباب القادرين على إدارة مثل هذه المرافق

السياحية مع إمكانية إشراكهم بالبرامج التدريبية نتيجة للقابلية في الاستيعاب، في حين الفئة العمرية أكثر من 40 سنة شكلت النسبة الأضعف وخاصة في العنصر النسائي.

3. الخبرة العملية: جدول رقم (3)

المجموع		15 سنة فأكثر		10 سنوات فأقل		الخبرة العملية
%	العدد	%	العدد	%	العدد	الجنس
93.33	28	20	6	73.3	22	ذكور
6.66	2	-	-	6.6	2	إناث
%100	30	6		24		المجموع

فيما يتعلق بعدد سنوات الخبرة العملية في مجال السياحة والفندقة تشير النتائج إلى أن النسبة الأكبر 73.3% من أفراد عينة البحث هم لهم خبرة 10 سنوات فأقل، جاءت بعدها نسبة الذين لديهم خبرة من 15 سنة فأكثر وهذا يبدو واضحا أن هناك تباينا كبيرا في الخبرة الفندقية مما يؤكد ضرورة القيام بالتدريب التخصصي لتطور قابليتهم المهنية والإدارية.

4. الحالة الاجتماعية: جدول رقم (4)

المجموع	متزوج	أعزب	الحالة الاجتماعية

الجنس	العدد	%	العدد	%	العدد	%
ذكور	21	70	7	23.3	28	93.3
إناث	2	6.66	—	—	2	6.66
المجموع	23	—	7	—	30	100%

ظهرت نسبة الذكور العزاب 70% من حجم أفراد العينة في حين بلغت نسبة الإناث 6.66% من حجم أفراد عينة البحث لكن نلاحظ أن نسبة المتزوجين من الذكور 23.3% من حجم العينة والإناث لا يوجد. وربما يرجع ذلك إلى عدم إقبال الإناث المتزوجات على العمل في الفنادق.

5. الجنسية.: جدول رقم (5)

الجنسية	ليبي		مصري		سوداني		مغربي		تونسي		فلسطيني		المجموع
	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	
ذكور	27	96	—	—	—	—	—	—	1	3.3	—	—	28
إناث	—	—	—	—	—	—	—	—	2	10.6	—	—	2
مجموع	27	—	—	—	—	—	—	—	3	—	—	—	30

نجد من خلال الجدول أن النسبة الأكبر كانت لليبيين بين أفراد عينة الدراسة حيث بلغت نسبتهم 96% من حجم العينة ما يدل على أن الأعم والأغلب من موظفين وعاملين بالفنادق كانت جنسيتهم ليبية وقد يرجع ذلك إلى توجه الليبيين إلى الخدمة في المجال السياحي والفندقي فضلا عن الوضع السياسي والأمني الذي يحول دون دخول خبرات إدارية أجنبية في ليبيا.

6. نوع الوظيفة: جدول رقم (6)

المجموع		اقسام اخرى		موظف سياحي		محاسب		كاتب اداري		رئيس قسم		مدير		نوع الوظيفة
%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	الجنس
93.33	28	30	9	23.3	7	20	6	3.3	1	10	3	6.6	2	ذكور
6.66	2	6.66	2											إناث
%100	30	11		7		6		1		3		2		المجموع

فيما يتعلق بالوظيفة فإن النسبة الأكبر من أفراد عينة البحث من الذكور والتي بلغت حوالي 30% والإناث 6.66% من حجم العينة وهي للعاملين في أقسام أخرى، في حين بلغت نسبة الذكور في موظف السياحي حوالي 23.3% من حجم العينة ، أما باقي الوظائف فسجلت نسب متفاوتة وقليلة وتعطي مؤشرا إلى أن العاملين يعملون في مجالات عمل ليست لها علاقة في مجال السياحة .

7. القسم الذي يعمل فيه: جدول رقم (7)

القسم الذي تعمل فيه		الاستقبال		المطعم		المقهى		المطبخ		التدبير الفندقي		الادارة		الحساب
العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد
10	33.3	1	3.33	5	16.6	3	10	3	10	3	10	2	6.66	4
		1	3.33			1	3.3							
المجموع	10	2		5		4		3		3		2		4

يمكن ملاحظة أن نسبة الذين يعملون في قسم الاستقبال من الذكور بلغت 33.3% من حجم العينة .في حين تفاوتت نسبة العاملين في الأقسام الأخرى من

المطعم والمقهى والمطبخ فبلغت نسبة عدد الذكور في المطعم 3.33% من حجم العينة والمقهى 16.6% في حين تساوت نسب العاملين في التدبير الفندقي والمطبخ حيث بلغت 10% من حجم العينة، بينما الحسابات بلغت عدد العاملين 13.3% من حجم العينة ، أما بالنسبة للإناث فقد تساوت نسبتهن في المطعم والمطبخ حيث بلغت 3.33% من حجم العينة وقد يرجع ذلك إلى تناسب هذا العمل مع المرأة أكثر من الأقسام الأخرى.

8- المستوى التعليمي: جدول رقم (8)

يوضح الجدول أن نسبة الحاصلين على شهادة جامعة من عينة الدراسة كانت عالية حيث

جامعة	تخصص سياحة وإدارة فنادق		دورات تدريبية		خريج مهن شاملة		معهد مهن سياحية		ثانوي		اعدادي		ابتدائي	
	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%
36.6	11	3.33	1		23.3	7	16.6	5	6.6	2	6.6	2		
		6.66	2											
11			3			7		5		2		2		

بلغت 36.6% من حجم العينة وجاء في المرتبة الثانية خريجي المهن الشاملة حيث بلغت 23.3% من حجم العينة في حين بلغت نسبة حملة خريج معهد المهن السياحية 16.6% من حجم العينة أما باقي نسبة حملة الشهادات الأخرى متفاوتة كشهادة الثانوي 6.6% والإعدادي 6.6% من حجم العينة في حين تخصص السياحة وإدارة الفنادق 3.33% من حجم العينة وهذا مؤشر غير جيد مما يشير

إلى أن العاملين في الفنادق هم يحملون مؤهلات علمية غير التي حددها البحث، وهذه النتيجة جاءت مؤشر سلبي لكون العاملين في الفنادق من الذين يحملون تخصص في مجال السياحة لايشكلون نسبة كبيرة حيث بلغت 3.3% بالنسبة للذكور في حين الإناث شكلت حوالي 6.6% من حجم العينة.

س2: هل تعتقد أن التعليم السياحي ضروريا للمهن السياحية من خلال ممارستك عمالك في الفندق؟ جدول رقم (9)

المجموع		لا		نعم		الوصف
العدد	%	العدد	%	العدد	%	الجنس
28	93.33	3	10	25	83.3	ذكور
2	6.66	1	3.3	1	3.3	إناث
30	100%	4		26		المجموع

يلحظ من الجدول أن النسبة الأكثر تعتقد أن التعليم السياحي ضروريا للمهنة السياحية حيث بلغت نسبة الذكور 83.3% والإناث 3.3% من حجم العينة . وهذا مؤشر جيد لتفهم مدى أهمية التعليم السياحي في المجال الفندقي . أما من يعتقد أن التعليم السياحي ليس ضروريا للمهن السياحية بلغت نسبة الذكور 10% والإناث 3.3% من حجم العينة.

س3: كيف اكتسبت الخبرة في العمل الفندقي؟ جدول رقم (10)

المجموع		بالدراسة في معهد السياحة		عن طريق التدريب		الوصف
%	العدد	%	العدد	%	العدد	الجنس
93.33	28	6.6	2	86.6	26	ذكور
6.66	2	3.3	2	—	—	إناث
%100	30					المجموع

تشير النتائج الموضحة في الجدول (10) إلى أن أكثر من نصف أفراد عينة البحث والبالغة نسبتهم 86.6% من الذكور عن طريق التدريب في دورة تدريبية متخصصة أو التدريب أثناء العمل بعد أن تم تعيينه كعامل في الفندق. وذلك ليكونوا مؤهلين للعمل في المجال السياحي ويجدون فرص عمل أفضل من الأشخاص الذين لم يتلقوا أي دورات تدريبية. كما أن نسبة الذين اكتسبوا الخبرة عن طريق الدراسة في معهد السياحة فقد بلغت نسبة الذكور 6.6% والإناث 3.3% من حجم العينة. وهذا مايدل على إثبات فرضية إنشاء معاهد وكليات سياحية لإنعاش القطاع السياحي ولتطوير قدراتهم العلمية والتقنية.

س4: هل التحقت بدورات تدريبية في المجالات الآتية؟

جدول رقم (11)

المجموع		ذكور وإناث		ذكور وإناث		الجنس
		لا		نعم		
%	العدد	%	العدد	%	العدد	الوصف
100	30	43.3	13	56.6	17	استخدام الحاسوب
100	30	80	24	20	6	تخصص السياحة

يشير الجدول (11) إلى أن عدد الذكور والإناث بلغ 56.6% من حجم العينة من العاملين قد التحقوا بدورات في مجال الحاسوب وهذا مؤشر جيد يدل على اهتمام المكاتب بتطوير قدرات العاملين في مجال التكنولوجيا والمعلومات. أما الدورات التدريبية في مجال السياحة فقد بلغت نسبة الذين لم يلتحقوا بأي دورة في مجال السياحة حوالي 80% من حجم العينة ذكور وإناث وهذا يشكل مؤشر سلبي وعدم اهتمام بتطوير مهارات العاملين النظرية والعملية في مجال السياحة والذي قد يعود لضعف إعداد الجامعات والمعاهد المتخصصة في مجال السياحة.

س5: هل تركت العمل في فندق آخر قبل عملك هنا؟

جدول رقم (12)

المجموع	لا	نعم	الوصف
---------	----	-----	-------

الجنس	العدد	%	العدد	%	العدد	%
ذكور	3	10	25	83.3	28	93.33
إناث	2	6.6			2	6.66
المجموع	5		25		30	100

يوضح الجدول أن الذين تركوا العمل في الفندق آخر قبل عملهم في الفندق الحالي بلغت نسبة الذكور 10% من حجم العينة أما الإناث 6.6% من حجم العينة في حين سجلت نسبة مرتفعة للعينة الذين لم يتركوا العمل من قبل فقد بلغت حوالي 83.3% من حجم العينة.

س6: هل تعتقد أن نظام الأجور والرواتب يختلف من فندق إلى آخر؟ جدول رقم (13)

الوصف	نعم		لا		المجموع	
الجنس	العدد	%	العدد	%	العدد	%
ذكور	23	76.6	5	16.6	28	93.33
إناث	1	3.33	1	3.33	2	6.66
المجموع	24		6		30	100

بلغت نسبة الذكور 76.6% ممن يعتقدون أن نظام الرواتب تختلف من فندق لآخر في حين نسبة الإناث متساوية فيمن يعتقد أن نظام الرواتب تختلف من فندق لآخر وممن لا يعتقد ذلك حيث بلغت 3.33% من حجم العينة، في حين بلغت نسبة الذكور الذين لا يعتقدون أن نسبة نظام الرواتب بلغت 16.6% من حجم العينة

ويمكن إرجاع السبب إلى حسب درجة تصنيف الفندق ومستوى التحصيل الدراسي للعاملين وكذلك معاملة مدراء الفنادق حيث يلعب هذا العامل الدور البارز في ذلك.

س7: هل تعمل في الفندق بصورة دائمة طيلة السنة؟ جدول رقم (14)

المجموع		لا		نعم		الوصف
%	العدد	%	العدد	%	العدد	الجنس
93.33	28	10	3	83.3	25	ذكور
6.66	2	6.66	2			إناث
	30		5		25	المجموع

من خلال الجدول (14) نلاحظ أن نسبة الذكور سجلت أعلى نسبة بلغت حوالي 83.3% ممن يعملون طيلة السنة وربما يرجع السبب في ذلك لرغبتهم على العمل في المجال الفندقي وتحسين مستواهم المادي. أما النسبة المتبقية ممن لا يعملون طيلة السنة بالفندق بلغت 10% من الذكور والإناث 6.66% من حجم العينة .

س8: هل ترغب في العمل في مجال غير العمل في الفندق؟ جدول رقم (15)

المجموع		لا		نعم		الوصف
%	العدد	%	العدد	%	العدد	الجنس
93.33	28	40	12	53.3	16	ذكور
6.66	2	3.33	1	3.33	1	إناث
100	30		13		17	المجموع

نجد في الجدول أن نسبة الذكور الذين يرغبون في العمل غير المجال الفندقي بلغت نسبتهم 53.3% من حجم العينة وهذا ما يؤكد أن عددا كبيرا من الأيدي العاملة هم يعملون بدون قناعة أو أنهم لا يجدون الحافز التشجيعي للعمل وغير مدركين لأهمية المجال السياحي والفندقي.

في حين نجد أن نسبة الإناث متساوية بين الذين يرغبوا أو لا يرغبون بالعمل في الفندق حيث بلغت 3.33% والذكور 40% من حجم العينة.

س9: ما الطريقة التي من خلالها حصلت على فرصة العمل في الفندق؟

جدول (16)

المجموع		عن طريق اخر		عن طريق شخص معين		المراجعة الشخصية		الاعلانات		الجراند		الوصف
%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	الجنس
93.3	28	10	3	63.3	19	13.3	4	6.6	2			ذكور
6.6	2			3.3	1	3.3	1					إناث
100	30	3		20		5		2				المجموع

يوضح الجدول أن أعلى نسبة بلغت للذكور 63.3% من حجم عينة الذين تحصلوا على العمل عن طريق شخص معين للفندق وتأتي في المرتبة الثانية عن طريق المراجعة الشخصية حيث بلغت نسبة الذكور 13.3% من حجم العينة وأما الذين حصلوا على الوظيفة عن طريق الإعلانات فكانت نسبة الذكور 6.6% من حجم العينة فحين بلغت نسبة الذكور الذين تحصلوا على العمل عن طريق آخر فبلغت

10% من حجم العينة، بالنسبة للإناث فكانت نسبتهم متساوية في طريقة الحصول على الوظيفة سواء عن طريق شخص معين أو مراجعة شخصية فبلغت حوالي 3.3% من حجم العينة، وهنا نستنتج أن طريقة الحصول على عمل في فندق هي عن (طريق شخص) هي المتبعة ولها النسبة العالية في تشغيل الأيدي العاملة في الفنادق .

س10: ما اللغات التي تجيدها عدا اللغة العربية؟ جدول رقم (17)

الوصف	اللغة الإنجليزية		اللغة الفرنسية		اللغة الإيطالية		اللغة الألمانية		أكثر من لغة		المجموع	
	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%	العدد	%
ذكور	20	66.6	6	20			1	3.33	1	3.33	28	93.33
إناث			2	6.66							2	6.66
المجموع	20		8				1		1		30	100

تشير النتائج الموضحة إلى أن 66.6% من أفراد عينة البحث يجيدون اللغة الإنجليزية من الذكور، وبلغت نسب الذين يجيدون لغة واحدة أخرى نسب متفاوتة حيث بلغت نسبة الذكور الذين يجيدون الفرنسية 20% من حجم العينة والإناث 6.66% والألمانية فنسبة الذكور بلغت 3.33% من حجم العينة أما نسبة الذين يجيدون أكثر من لغة فقد بلغت 3.33% من حجم العينة. ونستنتج أن اللغة الإنجليزية أن غالبية العاملين يجيدونها والتي يمكن اعتبارها شرط من شروط التشغيل.

س11: ما المشاكل في رأيك التي تواجه العاملين في الفنادق أثناء العمل؟

حيث تم تبويب هذه المشاكل على حسب آراء العاملين من أفراد عينة البحث كمايلي: 1. وجود أيدي عاملة غير مدرکه للعمل الفندقی وتعاملهم مع الزبائن بصورة غير لائقة.

2. المشاكل الإدارية والضعف الإداري وصعوبة التعامل مع مدراء الفنادق.

3. نقص الكفاءات والخبرات المؤهلة للعمل في الفندق .

4. قلة الرواتب وعدم وجود حوافز تشجيعية بالنسبة للعاملين في الفندق.

6. عدم استقرار الوضع الأمني بشكل عام وانعدام الحركة السياحية بسبب ما تمر به البلاد من مشاكل أمنية.

7. عدم توفر المواصلات والنقل للعاملين بالفندق.

8. المشكلة الاقتصادية تؤثر سلبا على العمل وبالتالي على الموظفين.

9. عدم توفير دورات تدريبية في مجال السياحة.

10. قلة الإمكانيات والمستلزمات العمل الفندقی من معدات وآلات وملابس خاصة بالعاملين أثناء العمل.

11. عدم إتقان اللغة الأجنبية لبعض العاملين بالفندق.

س12: هل يمكن اقتراح بعض السبل التي يمكن بها توفير أيدي عاملة ماهرة وكفوة في الفندق؟

حيث تم ترتيب المقترحات حسب آراء أفراد عينة البحث كما يلي:.

1. تدريب الأيدي العاملة في الاستقبال وكيفية حسن المعاملة للزبائن.

2. إنشاء المعاهد والمدارس الفندقية والسياحة بمنطقة الخمس.

- 3- توفير الإعلانات للباحثين عن العمل في المجال الفندقي وتنشيط دور الإعلام السياحي .
- 4- الاهتمام بالفنادق بالصيانة الدورية والسعي للتطوير ومواكبة كل ما هو جديد في مجال الفندقي.
- 5- توفير سبل الراحة للعاملين من خلال رفع الروح المعنوية من خلال التشجيع وزيادة المرتبات وتنظيم الترفيات .
- 6- توفير جميع الاحتياجات اللازمة التي يحتاج لها العامل في الفندق.
- 7- إقامة دورات تدريبية دورية للعاملين بالفندق في مجال اللغات والحاسوب والسياحة.
- 8- استجلاب كفاءات أجنبية ذات خبرة تقوم بتدريب العناصر المحلية لتطوير القطاع الفندقي والسياحي ليكون حافزا لتشغيل أكبر عدد من العناصر المحلية ودعمها .
- 9- المعاملة الجيدة من إدارة الفندق.

الاستنتاجات

يمكن تلخيص أهم الاستنتاجات التي تم الحصول عليها من خلال تحليل استمارات الاستبيان كما يلي: 1- نجد أن أكثر من نصف أفراد عينة البحث هم من الذكور ومن الذين يحملون شهادات في تخصصات بعيدة عن تخصص السياحة حيث شكلت نسبة 3.33% من الأيدي العاملة في الأقسام السياحية في عينة الفنادق هم يحملون شهادة سياحية مهنية فقط.

- 2- عدم التوسع في افتتاح المراكز والمعاهد السياحية والفندقية في مناطق الجذب السياحي الليبي وخاصة بمنطقة الخمس ذات الطلب العالي للسياحة إضافة إلى ضعف الإعلام السياحي للتشجيع في ممارسة السياحة.
- 3- انعدام التبادل التدريبي السياحي مع الدول المرتبطة باتفاقيات سياحية مع ليبيا أسوة بالدول الإقليمية السياحية.
- 4- غياب المؤتمرات السياحية المتضمنة واقع الخدمات السياحية وسبل تطويرها من خلال تأهيل العاملين في الفنادق بعد زجهم في برامج تدريبية.
- 5- إن نسبة الأيدي العاملة الوطنية مرتفعة مقارنة بالأجانب من العاملين.
- 6- ضعف المراكز التدريبية والمعاهد السياحية المتخصصة علميا وعمليا في تطوير وتنمية المهارة المهنية ضمن التطبيقات العملية لديها.
- 7- إن أغلب العاملين في الفنادق حصلوا على عملهم من خلال شخص معين للفندق حيث بلغت نسبتهم 63.6% من الأيدي العاملة في عينة البحث.

التوصيات

1. التركز على مهارات اللغة الأجنبية في البرامج والخطط الدراسية لأقسام السياحة ويفضل أن تكون لغة التدريس هي اللغة الإنجليزية والحاق العاملين بدورات تدريبية تركز على تطوير مهارات اللغة.
2. تنمية وتطوير مهارات التعامل مع الحاسوب والانترنت في الخطط والبرامج الدراسية لأقسام السياحة.
3. العمل على توفير كوادر تدريبية للجامعات والمعاهد المتخصصة في المجال السياحي مؤهلة بشكل علمي جيد لتكون قادرة على إعداد عاملين مؤهلين للعمل في القطاع السياحي.
4. إنضاج فكرة افتتاح المراكز التدريبية والاستشارية للإسهام تقديم البرامج التدريبية والاستشارية للمؤسسات السياحية لرفع كفاءة أداء العاملين لديها.
5. التوسع في افتتاح المراكز والمعاهد السياحية والفندقية في المناطق السياحية بليبيا عامة ومنطقة الخمس بشكل خاص.
6. إعادة النظر في نظام الحوافز والرواتب للعاملين في الأقسام المتخصصة وتبني مفهوم التدرج المهني لتفعيل نشاط الخدمات وتخفيض ظاهرة دوران العمل العالي.
7. ضرورة تحسين ظروف العمل المادية والاجتماعية للعاملين في القطاع السياحي من أجل استقطاب الطلبة المتميزين للانخراط في هذه المهمة من كلا الجانبين ، وخاصة الإناث حيث لوحظ انخفاض نسبة الإناث العاملات في هذا القطاع.

8: على المؤسسات الفندقية أن تدرك أن احتياجات السائح تتطور من وقت لآخر ولذلك يجب عليها أن تواكب هذه التطورات بالتحسين المستمر لمستويات الخدمة وذلك من أجل ضمان استمراريتها في السوق.

9: الحاجة الماسة إلى الكتب والمنشورات المتخصصة في التدريب السياحي والفندقي.

10: يوصى بضرورة إنشاء دورات تدريبية تتعلق بكيفية الارتقاء بجودة الخدمة الفندقية لجميع المدراء ورؤساء الأقسام في الفنادق.

المصادر و المراجع

1: زهير عباس القريشي ، أثر وسائل الإعلام في تنمية الوعي السياحي للسياحة الدينية في مدينة كربلاء ، دكتوراه ، كلية الإدارة والاقتصاد، جامعة المستنصرية، 2013.

2: فؤاد رشيد سمارة، تسويق الخدمات السياحية، دار المستقبل للنشر والتوزيع، طبعة الأولى، الاردن، 2001.

3: عبد الجبار منديل ، أسس التسويق الحديث، دار العلمية الدولية ودار الثقافة للنشر والتوزيع ، الأردن، 2002.

4: عبد الأمير عبد كاظم زوين، فن وإدارة الفنادق، دار وائل للنشر، عمان، الأردن، 2003.

5: السيد عليه، تحديد الاتجاهات التدريبية ، مطبعة مصر الجديدة، الطبعة الأولى، مصر، 2001.

من بعض استعمالات الحرف في الإعمال والإهمال

د. صالح حسين الأخضر

مقدمة

لقد استعمل الحرف استعمالات عدة غير الاستعمال البنائي للكلمة الذي لا دور للمعنى فيه، بل هو رمز لصوت تتركب منه الألفاظ، وهو معروف معلوم حتى لدى المبتدئين، فأول ما يدرس الدراس الحرف المكون للكلمة، وأما الاستعمال الذي نريده فإن للمعنى فيه دورا بارزا؛ لأنه يتضمن معنى وهو قسمان: قسم يندمج مع الكلمة فيتحد معها ويضفي عليها معنى جديدا غير المعنى الأصلي الذي تؤديه، كألف الفاعلية، وحروف المضارعة، والآخر يدخل على المفردات وعلى الجمل فيؤثر في معناها فقط، أو في معناها ومبناها، وهو ما يسمى عند النحاة بالحروف العاملة وغير العاملة.

فالحروف غير العاملة لا تخرج عن كونها مفضية إلى معنى يضاف إلى التركيب الذي تدخل عليه سواء أكان مفردا نحو السين من "سيذهب" أم جملة نحو همزة الاستفهام من "أقام زيد" أو أزيد قائم، فالسين في الأول مخرج للفعل من الحال إلى الاستقبال، والهمزة مخرجة للجملة من الخبر إلى الإنشاء، ولا أثر له في العمل، إذ لم يترتب عليه أثر إعرابي، وفي تصنيف الكلمة فإن الحرف أحد أقسامها، فهو قسم مستقل لذاته؛ إلا أنه يخرج عنه إلى غيره كأن يكون اسما، فاستعمال الحرف على وجهين: اسما تاما بحيث يخرج من الحرفية إلى الاسمية، ولم تعد له علاقة بالحرفية إلا الصورة، ويعد في قسم الأسماء - وإن كان في الأصل حرف - كالضمائر نحو: ألف الاثنين، أو واو الجماعة، أو نون النسوة، أو ياء المتكلم والمخاطب وغيرها، وليس هذا موضوع البحث إلا في كونه مركبا تركيب الحرف.

وحرف بقي على حرفيته متضمن لمعنى وينقسم إلى قسمين: حروف عاملة وحروف غير عاملة، فغير العاملة نحو "قد" و"هل" و"بل"، والعامل منها نحو "إن" و"لام الأمر" وحروف الجر.

ولقد ثار جدل بين النحاة المتأخرين في أصل العمل فضلا عن عمل الحرف نفسه، هل العامل في اللغة موجود حقيقة أو هو شيء متخيل من صنع النحاة، وإذا قلنا: إنه موجود فما دلالة وجوده حتى يتبينه القارئ، وهل هذا العامل هو المتحكم في المتكلم ضرورة فلا يستطيع أن يخرج عنه أراد أو لم يرد، وكيف يكون حال من جهله ويتكلم على سجيته وفطرته.

ومن هنا نتساءل هل تتساوى أقسام الكلمة في كونها عاملة؟ أو كون بعضها عاملا والبعض الآخر غير عامل، وما السبب في العمل؟، وبالنظرة السريعة إلى أقسام الكلمة وتتبع أقوال النحاة في أعاريبهم نجد أن أكثر ما يوصف بالعمل هو الفعل، ثم الأسماء المشتقة، ثم الحرف، فهل كل منها عامل بذاته أم لا؟، ومن تعرض لعمل الحرف فلا شك أنه يطلع على أن هناك حروفا عاملة وأخرى غير عاملة، فما الفرق بينهما؟، ومن هنا جاءت فكرة بناء البحث على استعمال الحرف وإعماله وسميته "من بعض استعمالات الحرف في الإعمال والإهمال" وبنيته على مقدمة وثلاثة مباحث:

الأول: يعنى ببناء الحرف واستعمالاته.

الثاني: يعنى بقضية العامل في الحرف ومقارنته بالاسم والفعل.

الثالث: يعنى ببعض الحروف المختصة بالأسماء العاملة وغير العاملة.

الرابع: يعنى ببعض الحروف المختصة بالأفعال العاملة وغير العاملة.

الخامس: يعنى ببعض الحروف المشتركة.

وفي كل ذلك لم أتعرض لجميع الحروف؛ بل أخذ عينات منها عليا تقي بالغرض المطلوب، ثم ذيلته بخاتمة لخصت فيها نتائج البحث، وفهرس للمصادر والمراجع فأسال الله تعالى التوفيق والسداد إنه على كل شيء قدير وبالإجابة جدير

المبحث الأول: بناء الحرف واستعمالاته

الحرف في اللغة جانب الشيء أو طرفه قال الجوهري: "حرف كل شيء: طرفه وشفيره وحده، ومنه حرف الجبل، وهو أعلاه المحدد"⁽¹⁾، قال تعالى ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ ﴾⁽²⁾ أي: على وجه وطريقة، هي ريب وشك⁽³⁾ وسمي بالحرف لخروجه من طرف اللسان قال الجرجاني: "لأن الحرف في اللغة هو الطرف، ومنه يقال: حرف الجبل أي: طرفه، فسمي حرفا؛ لأنه يأتي في طرف الكلام"⁽⁴⁾.

وفي اصطلاح النحاة ما دل على معنى في غيره قال المرادي: "وقد حد بحدود كثيرة، ومن أحسنها قول بعضهم: الحرف كلمة تدل على معنى في غيرها فقط"⁽⁵⁾.

وما الحرف المكتوب إلا رمز للصوت المنطوق المخرج من اللسان فالباء: الصوت المخرج من بين الشفتين، والهمز هو الصوت الخارج من عند الحبلين الصوتيين، ولا معنى لهذه الحروف مفردة، وما هي إلا مجرد أصوات، وهي التي تسمى حروف المباني، فاللغة يجري التركيب فيها على مرحلتين:

(1) الصحاح "ح ر ف" 1342/4.

(2) الحج الآية رقم 11.

(3) ينظر: المحرر الوجيز 44/1. وينظر: الجنى الداني في حروف المعاني ص 24.

(4) أسرار العربية ص 12.

(5) الجنى الداني في حروف المعاني ص 20.

المرحلة الأولى: هي ما تتركب فيها الألفاظ من الحروف، دالة على معنى مفرد، فالسما، دالة على ما علانا، والأرض دالة على ما تقلنا، والشمس دالة على ما يضيء نهارنا، والقمر دالة على ما ينير ليلنا، وقرأ، وسار، ونام، وقام، ويقرأ، ويسير، وبنام، ويقوم، تدل على أفعال لنا، ومن، وعن، ولم، ولا، وإن، لا تدل على معنى حالة أفرادها، وتدل على معنى بعد تركيبها في جملة.

المرحلة الثانية: تركيب الإسناد الذي يستفاد منه معنى مركبا لا معنى مفردا، وهو ما تتركب فيه الكلمات مع بعضها لتؤدي معنى أشمل وأوسع، إذ لو بقيت الكلمات مفردة لما استطاعت الإنسانية التفاهم مع بعضها، فمثلا الشمس، والحرارة، والنجوم، والجمال، والسما، والصفو، مفردات لا تفيد معنى مركبا، فكل منها لها معنى لا يتعلق بما يقابلها ضرورة، فالشمس لا ترتبط بالحرارة وحدها ارتباطا بالطبيعة، إذا قد يسند إليها الطلوع، والغيباب، والقرب، والبعد، والشعاع، وغيرها مما يتعلق بالشمس، والحرارة قد تكون للنار، وتكون للماء إذا سخن، وتكون للاحتكاك وغيرها، فإذا أسندت الحرارة إلى الشمس تعينت لها، وفهم هذا المعنى من خلال هذا التركيب، فإذا أفردت فلا رابط بينهما، كذلك بين النجوم والجمال، والسما والصفو،

إذا أسندت فهم المعنى فنقول: الشمس حارة، واشتدت حرارة الشمس، والنجوم جميلة، والسما صافية.

والرابط بين الأسماء التي تمثل الجثث، وأحداثها الصادرة عنها الذي يمثله الفعل إما بإسناد الفعل نحو قام زيد، وأمطرت السما، وغابت النجوم، وتسمى الجملة الفعلية، أو بالإسناد على الخبرية نحو: محمد قائم، والشمس طالعة، والجو جميل وتسمى الجملة الاسمية.

وليس على كل حال يتم بهما المعنى فقط؛ بل قد نحتاج إلى رابط آخر يربط بينهما؛ إذ لو أردنا التعبير عن المغادرة من مكة إلى المدينة في قولك: غادرت مكة

المدينة لما كان كلاما مفيدا، فالفعل "غادر" يعمل في مفعول واحد وهو مكة، ولا يمكن إعماله في المدينة؛ لأنها غاية له، والمغادرة تعني ترك المكان والانتقال إلى غيره على كل حال، فكلمتا غادرت مكانا انتقلت إلى غيره، ولكن أحيانا لا يذكر لعدم أهمية ذكره للمخاطب، كأن يقول المخاطب هل غادرت مكة؟ دون إرادة أين الوجهة الأخرى أجبت غادرت مكة، وتارة لا بد من ذكر المكان المنتقل إليه فتجيبه غادرت مكة "المدينة"، وهنا لا يتم الكلام إلا بوجود حرف يوصل أثر الفعل إلى المفعول الثاني "المدينة" ويبين الغاية التي تؤديه وهو حرف "إلى" واكتسبته من سياق الخطاب فتقيد وتكمل المعنى فنقول: غادرت مكة إلى المدينة، فلا بد من وجود الحرف ضرورة في بعض التراكيب حتى يتم المعنى، وإذا لم يصل الفعل إلى معمول إلا بواسطة الحرف تحمل الحرف معنى يؤديه في تلك الجملة كـ"من" في نحو: خرجت من البيت، وقمت للصلاة، جئت لأتعلم، وأعرضت عن زيد، وأقام عمرو؟، ولا يعلم الغيب إلا الله، وما محمد إلا رسول، فيمتنع خرجت البيت، وقمت الصلاة وكذا في البواقي، فباكتسابها المعنى من خلال التركيب عدت حرف معنى، وبهذا تكون الحروف نوعان:

حروف مبان: وهي الحروف التي تتركب منها الألفاظ، التي تكون أقسام الكلمة الثلاثة: الاسم والفعل والحرف نحو: محمد، ضرب، لكن، ولا معنى لهذه الحروف فلا يقال: ما معنى الحاء من "محمد"، ولا معنى الباء من "ضرب"، ولا معنى اللام من "لكن" وكذا بقية حروف المعجم، وإنما يتم بتركبها مع بعض تولد اللفظ الذي بدوره يفيد معنى مفردا.

حروف معان: وهي الحروف التي تتضمن معنى بتركبها في جملة، ويحدد

معناها السياق كمعنى "عن" التي للمجازة نحو: عفوت عن زيد، أي: تجاوزت عنه، فهذا معناها الأصلي وقد تتعداه إلى غيره نحو قوله تعالى ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾⁽¹⁾ فإنها بمعنى "بعد" أي: حالا بعد حال مجاوزين الطبق إلى غيره⁽²⁾، وقوله تعالى ﴿وَمَنْ يَبْخُلْ فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَن نَّفْسِهِ﴾⁽³⁾ فإنها بمعنى "على"، أي: على نفسه⁽⁴⁾، وكقول الشاعر:

لَا هِ إِئِنَّ عَمَّكَ لَا أَفْضَلْتَ فِي حَسَبِ عَنِّي وَلَا أَنْتَ دَيَانِي فَتُخْزِنِي⁽⁵⁾

أي: علي⁽⁶⁾. ويتوقف معنى الحرف على أمرين:

الأول: ما استعادت عليه العرب استعماله في معنى خاص كالاستفهام في الهمزة، فدخلها في أول الجملة يفيد معنى الاستفهام نحو: أمحمد قائم؟، وأقام زيد؟، والسين وسوف للاستقبال.

الثاني: تعلق الحرف بمعنى يربط بين كلمتين، كتعلق حرف الجر بالفعل، والحروف الناسخة بالابتداء، فمعناها وأثرها مرتبط بالمبتدأ والخبر نحو: كتبت بالقلم، ف"القلم" آلة الكتابة، ولولا الحرف لما كان هناك ارتباط بين "كتب" والقلم، فلا يقال: كتبت القلم إلا على إرادة حذف مضاف أي: كتبت كلمة القلم، وهنا وقع أثر الفعل على الكلمة لا على القلم إلا أن المضاف إليه حل محل المضاف فأخذ حكمه، والمراد غير هذا، وإنما كون القلم آلة للكتابة الذي يفيد حرف الباء، فالجملتان مختلفتان، وإن محمدا قائم، فإن مؤكدة

(1) سورة الانشقاق الآية 19.

(2) أنوار التأويل وأسرار التأويل 516/3.

(3) سورة محمد الآية 39.

(4) ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني ص246.

(5) البيت من البحر البسيط لذي الأصبع العدواني من قصيدة له مشهورة مطلعها:

يَا مَنْ لِقَلْبٍ شَدِيدٍ أَلْهَمَ مَخْرُونَ أَمْسَى تَنْكَرَ رَبِّي أَمْ هَارُونَ

ينظر: أمالي القالي 255/1، خزانة الأدب 222/3.

(6) ينظر: أوضح المسالك 91/2.

لارتباط الخبر بالمبتدأ، إذ قد يكون الكلام مخالفا للواقع، فدخول إن يؤكد وقوعه، كأنك قلت: أوكد قيام زيد، ولهذا يقول النحاة: إن الحرف الناسخ عمل لتضمنه معنى الفعل⁽¹⁾. وعلاقة الحرف بالمعنى يرجع إلى معنى الفعل؛ لأجل أن الفعل يطلب المفعول على وجه لا يحققه الفعل مجردا دون دعم ما يساعده للوصول في العمل والمعنى، فالفعل اللازم لا يتعدى إلى مفعول؛ لأن معناه لا يتجاوز فاعله، وهو مختص به فـ"فرح زيد" لا يتعدى الفرح فاعله؛ لأنه شيء كامن في نفسه لا أثر له على حيز خارج عنه، وكذلك الفعل "ضحك" لا يتعدى صاحبه، فإن أردت تعديته بمعنى انتقال أثر الفعل من فاعله إلى غيره استعنت بالحرف إما بالهمزة نحو، أفرحت زيدا، وأضحكت عمرا، أو بالتضعيف نحو: فرحت زيدا وضحكت عمرا، أو غيرها من المعديات، فلا يصل أثر الفعل اللازم إلى مفعول إلا بواسطة الحرف.

والمتعدى إلى مفعول لا يصل إلى غيره إلا بنفس الوسطة أيضا فيصل إلى مفعول مباشرة، وإلى الثاني بواسطة الحرف كالفعل أنبأ قال العكبري: "فأما "نبأت" و"أنبأت" ففعالان متعديان إلى شيء واحد، وإلى ثان بحرف الجر كقولك: نبأت زيدا عن حال عمرو، أو بحال عمرو، وقد يحذف حرف الجر كقوله تعالى ﴿مَنْ أَنْبَأَكَ هَذَا﴾⁽²⁾ أي: عن هذا، وقد ذهب قوم إلى أنه يتعدى بنفسه، واستدل بهذه الآية وليس فيه دليل؛ لأنه قد استعمل في مواضع أخر بحرف الجر أكثر من استعماله بغير حرف الجر"⁽³⁾.

إن الأصل في بناء الحرف أن يكون على حرف واحد الذي هو أصله صوت ليس له معنى يؤديه، وإنما هو مؤد إلى تركيب مفرد مؤد بدوره إلى تضمن معنى، سواء أكان اسما أم فعلا أم حرفا، ومعروف أن أقل ما تتركب منه الأسماء والأفعال ثلاثة أحرف،

(1) ينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف 178/1.

(2) سورة التحريم الآية 3.

(3) اللباب في علل البناء والإعراب 256/1.

وهذا لا يعنينا في هذا البحث، وإنما الذي يعنينا منه المركب الحرفي، فالمركب الحرفي ينقسم إلى:

* الاسم المركب على صورة الحرف.

وهو الذي يدل على معنى في نفسه غير مرتبط بزمن لكنه مشابه للحرف في التركيب، فالأسماء منها المتمكن الذي يستقل عن غيره في لفظه ومعناه، ومنها المشابه للفعال بوجه من الوجوه ويسمى غير المتمكن، والقسم الثالث: المشابه للحرف وهو الذي يعنينا.

إننا إذا ما نظرنا إليه أنه اسم فليست ضمن دراسة هذا البحث؛ لأن بحثنا يختص بالحرف، ولكن لوجود صورة الحرف في الاسم تعرضنا له، إذ أن هذا الاسم هو حرف في الأصل ثم استعمل اسماً، فالحروف المستعملة استعمال الأسماء تنقسم إلى قسمين:

1- حروف تحولت إلى أسماء بلفظها ومعناها ويمكن أن نمثل لها بالضمائر، وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة.

أولاً: الضمائر

الضمائر أسماء ركبت تركيب الحروف فمنها ما ركب على حرف واحد كتاء الفاعل، وألف الاثنين، وواو الجماعة، ونون النسوة، وياء التكلم والمخاطبة، وكاف الخطاب وتائها وغيرها، تقول: قمت، وقاما، وقاموا، وقمن، وكتابي، وقومي، وكلمتك، وما ركب من حرفين كبعض الضمائر متصلة أو منفصلة نحو: "نا" الدالة على الفاعلين أو المفعولين كضربنا وضربنا، و"هم" الدالة على جماعة الذكور الغائبين نصباً وجراً نحو كلمتهم وكتابهم، و"كم" لجماعة الذكور في الخطاب نصباً وجراً نحو: كلمتكم وإليكم، و"هو" في مثل: هو رجل مجد، و"هي" نحو: هي ذات علم، و"هم" لجماعة الذكور مثل: هم طلاب متميزون، وما ركب من ثلاثة أحرف ك"أنت" للمذكر والمؤنث نحو أنت رجل

مخلص، وأنتِ معلمة مجدة، وهما تلميذان مجتهدان، أو أربعة أحرف كأنتم نحو أنتم قوم، أو خمسة أحرف ك"أنتما" و"أنتن" نحو أنتما سائقان ماهران، وأنتن نساء مسلمات.

وهذه الحروف انفصلت بالكلية عن أصلها في اللفظ والمعنى، فلم تعد لها علاقة بالحرف، فاللفظ اسم، ومعناه الدلالة على معنى في نفسه كما يدل العلم، ولم يبق من صور الحرفية إلا بناؤه، فهذه الأسماء "الضمائر" مبنية بناء الحرف، والصور الجامعة بينهما هي الحرفية التي أبقت على هذا، وهو سبب بناؤها كما قال ابن مالك في ألفيته:

والاسم منه معرب ومبني لشبهه من الحروف مدني
كالشبه الوضعي في اسمي جنتنا

وما يعيننا من ذلك أن الحرف قد استعمل اسما دون تركيب، وإن ركب في بعضها من حرفين أو ثلاثة أو أكثر، فما ركب منها لا تتسحب عليه علة البناء، ولكن لأجل أن الضمائر صورت صورة الحرف للاختصار، وتتمثل فيما ركب من حرفين ثم من حرفين، فلم يعتد بما هو أكثر من ذلك، واطرد فيها البناء؛ لأن المشابهة في الوضع تتأتى فيما ركب من حرف أو حرفين، ولا تتأتى فيما ركب من ثلاثة أحرف فما فوق؛ لأن ذلك هو تركيب الأسماء والأفعال.

وعلى هذا النمط استعمل الحرف اسم إشارة كالذال في "ذا" و"تا" على رأي الكوفيين قال الرضي: "وقال الكوفيون: الاسم: الذال وحدها والألف زائدة"⁽¹⁾، وأما البصريون فيجعلونه ثلاثيا قال الرضي: "قال الأخفش: هو من مضاعف الياء؛ لأن سيبويه حكى فيه الإمالة"⁽²⁾، فعلى رأي الكوفيين هو مركب من حرف واحد، وإن كان التحقيق في ذلك يحتاج إلى مزيد بحث، وهو اسم دون شك قال المطرزي في إطار كلامه عن الاسم:

(1) شرح الرضي على الكافية 474/2، وينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف المسألة 669/2، المسألة 95.

(2) شرح الرضي على الكافية 474/2.

"ومنها: المبهم، وهو نوعان: أسماء الإشارة " ذا " وتآ ..."⁽¹⁾، ومن الموصولات "من" و "ما" و"أل" قال ابن مالك في ألفيته:

وَمَنْ وَمَا وَأَلٌ تَسَاوِي مَادُكِرُ

ف"من" حرف استعمل اسم موصول نحو قوله تعالى ﴿وَبِاللّٰهِ يَسْتَجِدُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾⁽²⁾ وقول الشاعر:

أَسْرَبَ الْقَطَا هَلْ مَنْ يُعِيرُ جَنَاحَهُ لَعَلِّي إِلَى مَنْ قَدْ هَوَيْتُ أَطِيرُ⁽³⁾

ف"من" في الآية اسم موصول بمعنى الذي، أي: كل الذي في السموات والأرض، و"من" في "من يعير" بمعنى "الذي"، والثانية بمعنى "التي" أي: التي قد هويتها. و"ما" أيضا في نحو قوله تعالى ﴿سَبِّحْ لِلّٰهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾⁽⁴⁾ وقول الشاعر:

فَأِمَّا كِرَامٌ مُّوسِرُونَ لَقَيْنُهُمْ فَحَسْبِي مَنِ ذُو عِنْدَهُمْ مَا كَفَانِيَا⁽⁵⁾

وفي رواية "ذي" على الإعراب لا البناء⁽⁶⁾، ف"ما" في الآية والبيت بمعنى "الذي" أي: الذي في السموات، والذي في الأرض، والذي كفانيا قال التبريزي في شرح البيت: "ويكون "ذو"

(1) المغرب في ترتيب المعرب 402/2.

(2) الرعد الآية 16.

(3) البيت من البحر الطويل ينسب إلى مجنون ليلي، وإلى العباس بن الأحنف أيضا.

ينظر: الدرر اللوامع 87/1. شرح شواهد العيني 431 /1 .

(4) سورة الحشر الآية رقم 1، سورة الصف الآية رقم 1.

(5) البيت من البحر الطويل لمنظور بن سحيم الفقعسي في ديوان الحماسة من قطعة مطلعها

وَلَسْتُ بِهَاجٍ فِي الْقُرَى أَهْلَ مَنْزِلٍ عَلَى زَادِهِمْ أَبْكِي وَأَبْكِي الْبَوَاكِيَا

ينظر: شرح ديوان الحماسة للخطيب التبريزي 712/2.

(6) ينظر: شرح التصريح على التوضيح 160/1.

بمعنى الذي، و"عندهم" في صلته، و "نو" هذه طائفة، ولا يعدل عن هذه الرواية في هذا البيت⁽¹⁾، وهي بحسب الأصل حرف لا اسم.

و"أل" هي حرف تعريف يدخل على النكرة فيعرفها، وله عدة معان، ولكنه يستعمل اسم موصول عند جمهور النحاة يشترك فيه العاقل وغيره قال المرادي: "وأل" يشترك فيه العاقل وغيره، وهي اسم موصول عند الجمهور، وذهب المازني إلى أنها حرف موصول، وذهب الأخفش إلى أنها حرف تعريف، والصحيح أنها اسم⁽²⁾، وقال عباس حسن: "ومع أن "أل" اسم موصول، وتعتبر كلمة مستقلة فإن الإعراب لا يظهر عليها؛ وإنما يظهر على الصفة الصريحة المتصلة بها التي تعرب مع مرفوعها صلة لها"⁽³⁾.

والقسم الثاني: حروف استعملت أسماءً ولكنها لم تتخذ عن حرفيتها ويمكن التمثيل

لها بالآتي:

حروف الجر:

الكاف

الكاف يكون حرفاً واسماً على رأي الأخفش والفارسي وكثير من النحويين، ولها

ثلاثة أحوال:

الأول: تعين الحرفية إذا وقعت زائدة نحو قوله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾⁽⁴⁾

أو كاف أخرى كقول الشاعر

(1) شرح ديوان الحماسة للخطيب التبريزي 713/2.

(2) توضيح المقاصد والمسالك 434/1، وينظر: شرح ابن عقيل 149/1.

(3) النحو الوافي 357/1.

(4) سورة الشورى الآية رقم 9.

وغيرِ وَدِّ جَادِلٍ أَوْ وَدَّيْنٍ وَصَالِيَاتٍ كَمَا يُؤْتَفَيْنُ⁽¹⁾

وجعلها سيبويه اسماً قال: "ومعنى الكاف معنى مثل"⁽²⁾، وقال ابن جني: "والكاف الثانية في قوله [البيت السابق] أي: كمثل يؤتفين"⁽³⁾، أو أن تقع مع مجرورها صلة عند بعض النحاة كقول الشاعر:

مَا يَزُتَجَى وَمَا يَخَافُ جَمْعًا فَهُوَ الَّذِي كَالْعَيْثِ وَاللَّيْثِ مَعًا⁽⁴⁾

تتعين الحرفية في البيت لتعين حذف المبتدأ في الصلة قال المرادي: "تتعين الحرفية في ذلك، لإجماعهم على استحسانه. ولو كانت الكاف في ذلك اسماً لزم أن يكون المبتدأ محذوفاً من الصلة، أي: فهو الذي هو كالغيث. وحذف المبتدأ من صلة الذي في مثل ذلك قبيح"⁽⁵⁾.

الثاني: تعين الاسمة فيما إذا كان مجروراً بحرف الجر أو بالإضافة نحو:

بِكَ اللَّقْوَةُ الشَّغْوَاءُ جُنْتُ فَلَمْ أَكُنْ لِأَوْلَعِ إِلَّا بِالْكَمِيِّ الْمُقْتَعِ⁽⁶⁾

وقول آخر:

تَيَّمِ الْقَلْبَ حُبِّ كَالْبَدْرِ لَا بَلَّ فَاقَ حُسْنًا مَنْ تَيَّمِ الْقَلْبَ حُبًّا⁽⁷⁾

أو كونه مرفوعاً بالفاعلية، أو الابتداء، أو اسم كان نحو:

(1) البيت من بحر السريع - وقد خطأ البغدادي من قال إنه من الرجز - لخطام المجاشعي من قطعة مطلعها

حي ديار الحي بين الشهبين وطلحة الدوم وقد تعفين

ينظر: الكتاب 32/1، 480، الخصائص 368/2، خزنة الأدب 367/1.

(2) الكتاب 32/1.

(3) الخصائص 368/2.

(4) البيت من بحر الرجز مستشهد به على تعين الحرفية. ينظر: مغني اللبيب 181/1، الجني الداني 81.

(5) الجني الداني 81.

(6) البيت من البحر الطويل مجهول القائل. ينظر: الدرر اللوامع 73/2، شرح شواهد العيني هامش الخزنة 295.

(7) البيت من البحر الخفيف مجهول القائل. ينظر: الدرر اللوامع 73/2، خزنة الأدب 263/4، همع الهوامع 198/4.

أَتَنَّهُونَ وَلَنْ يَنْهَى دَوِي شَطَطٍ كَالطَّعْنِ يَذْهَبُ فِيهِ الزَّيْتُ وَالْفُتْلُ⁽¹⁾

قال الجرجاني: "الكاف ههنا اسم؛ لأنها فاعلة، وهي في موضع رفع بإسناد الفعل إليها"⁽²⁾ وقول الشاعر

أَبْدَأُ كَالْفَرَاءِ فَوْقَ ذُرَاهَا حِينَ يَطْوِي الْمَسَامِعَ الصَّرَّارُ⁽³⁾

قال العيني: "الكاف اسم في محل الرفع على الابتداء، والظرف - أعني قوله "فوق ذراها" - خبره"⁽⁴⁾، وقول آخر:

لَوْ كَانَ فِي قَلْبِي كَقَدْرِ قُلَامَةٍ حُبًّا لِعَيْرِكَ مَا أَتَيْتُكَ رَسَائِلِي⁽⁵⁾

والتقدير: لو كان مثل قدر قلامة حبا، قال المرادي: "واعلم أن منهم من تأول هذا كله على حذف موصوف وإقامة الصفة التي هي الجار والمجرور مقامه"⁽⁶⁾.

الثالث: ما تجوز فيه الحرفية والاسمية في نحو زيد كالأسد، فيجوز أن تقدر الكاف بـ"مثل" والتقدير زيد مثل الأسد، أو تكون حرف تشبيه لا غير قال المرادي: "مذهب الأخفش والفارسي، وكثير من النحويين، أنه يجوز أن تكون حرفاً واسماً في الاختيار"⁽⁷⁾

(1) البيت من البحر الطويل للأعشى في ديوانه من قصيدته المشهورة التي مطلعها

وَدَعَّ هُرَيْرَةَ إِنَّ الرُّكْبَ مُرْتَجِلٌ وَهَلْ تُطِيقُ وَدَاعاً أُبْهَى الرَّجُلُ

الديوان ص 287.

(2) أسرار العربية ص 258.

(3) البيت من البحر الخفيف مجهول القائل. ينظر: شرح شواهد العيني بهامش الخزانة 292/3.

(4) شرح شواهد العيني بهامش الخزانة 293/3.

(5) ديوان جميل بثينة من قصيدة في ديوانه مطلعها

أَبْتَيْنَ إِنَّكَ مَلَكْتِ فَاسْجَحِي وَخُذِي بِحِظِّكَ مِنْ كَرِيمٍ وَاصِلِ

الديوان ص 170.

ويروي "فضل وصلتك" بدل "حبا لغيرك"، و "ما أتأها أُرْسَلِي"

(6) الجنى الداني في حروف المعاني ص 83.

(7) الجنى الداني في حروف المعاني ص 79.

وأكتفي بما قد يكون موفيا بالغرض الذي هو إيضاح أن من استعملات الحرف الاسمية لحلوله محل الاسم، ومن الحروف التي استعملت أسماء وحروفا: عن، على، الكاف، إلى، قد، أن، أل.

المبحث الثاني : العمل في الحرف

إن النحاة كثيرا ما يستعملون لفظ العامل، فيقولون "العامل فيه، و"معمول الفعل" والمعمولات، العامل الظاهر والمقدر، وغيرها من هذه المصطلحات، وقد استعمله النحاة في غير ما موضع من كتبهم مثال ذلك قول سيبويه: "وإنما ذكرتُ لك ثمانية مجار لأفرقَ بين ما يدخله ضربٌ من هذه الأربعة لما يُحدثُ فيه العامل"⁽¹⁾، وقول المبرد: "واعلم أن التبيين إذا كان العامل فيه فعلا جاز تقديمه لتصرف الفعل"⁽²⁾، وخصص لها ابن السراج بابا ذكر في أوله "ذكر العوامل من الكلم الثلاثة الاسم والفعل والحرف"⁽³⁾، كما نقل الأتباري عن الكوفيين استعمالهم له فقال: "ولا يمتنع أن يكون كل واحد منهما عاملا ومعمولا"⁽⁴⁾، فجل النحاة يثبتون العامل، وألف أبو علي الفارسي كتابا سماه "مختصر عوامل الإعراب" كما ألف الجرجاني كتابا آخر سماه "العوامل المائة"، ولهذا يقولون في تعريف الإعراب: ما جاء لمقتضى العامل قال ابن مالك: "ما جاء به لبيان مقتضى العامل من حركة أو حرف أو سكون أو حذف"⁽⁵⁾، ولا زال علماء النحو يتعاملون مع العامل مقرين بوجوده.

(1) الكتاب 13/1.

(2) المقتضب 36/3، وينظر: الأصول 51/1، الخصائص 428/2، أسرار العربية ص 22.

(3) الأصول 51/1 .

(4) الإنصاف في مسائل الخلاف المسألة 5، 45/1.

(5) شرح التسهيل 33/1، وينظر: توضيح المقاصد والمسالك 296/1، شرح الأشموني 54/1، شرح التصريح على

التوضيح 56/1، همع الهوامع 40/1.

إلا أن هناك بعض النحاة ينفون وجود العامل بوجه من الوجوه ويقولون إن المتكلم هو العامل بنفسه، فهو الذي يرفع وينصب ويجر، وعلى رأس هؤلاء ابن مضاء القرطبي الذي شن حملة على النحاة، وحذا حذوه بعض المعاصرين مثل: إبراهيم مصطفى، ومهدي المخزومي، وعبد المتعال الصعيدي، وشوقي ضيف وغيرهم ممن نادوا بحذف العامل كلياً أو جزئياً من مصطلحات النحو، ودمج بعض أبواب النحو في بعض، وقد دعاهم إلى ذلك رؤيتهم أن المتكلم ذاته هو العامل، واللفظ لا عبء له، يقول ابن مضاء القرطبي في كتابه "الرد على النحاة": "قصدي في هذا الكتاب أن أحذف من النحو ما يستغني النحوي عنه، وأنبه على ما أجمعوا على الخطأ فيه، فمن ذلك ادعائهم أن النصب والخفض والجزم لا يكون إلا بعامل لفظي، وأن الرفع منها يكون بعامل لفظي ومعنوي... فظاهر هذا أن العامل أحدث الإعراب، وذلك بين الفساد"⁽¹⁾، ثم قال بعد إيراده جملة قالها ابن جني في كتاب الخصائص "وأما في الحقيقة ومحصول الحديث، فالعمل من الرفع والنصب والجر والجزم، إنما هو للمتكلم نفسه لا لشيء غيره"⁽²⁾.

ومقتضي العمل في الجملة- والذي درج عليه النحاة- هو الفعل والاسم الجاري مجرى الأفعال "الأسماء المشتقة"؛ لاقتضائها معناه كاسم الفاعل واسم المفعول، فإن فيها معنى الفعل، فأقسام الكلمة ثلاثة:

الأول: الاسم وهو ما دل على معنى في نفسه غير مقترن بزمن كما عرفه النحاة، وهو ينقسم إلى قسمين:

1 - العلم: وهو ما دل على ذات معينة جثة كانت نحو زيد، مرتجلاً كان أو منقولاً، أو معنى كالحلم والصبر، ومجرد وجوده لا يقتضي شيئاً، وبذا فإنه لا يعمل؛ لأن الذات غير متغيرة فيقتضي تغييرها إلى مغير أو مؤثر، ولهذا فإننا نجد بعض النحاة لا يعملون المبتدأ

(1) كتاب الرد على النحاة ص76 .

(2) المصدر نفسه ص77.

في الخبر مع أنه لا تتم الفائدة إلا به؛ لأنه في الأصل غير مقتضيه، وإنما المقتضي الإسناد لا المبتدأ، والكوفيون يعملونه في الخبر، ويعملون الخبر فيه، وهذا ما يحتاج إلى مزيد إيضاح وبيان في بحث خاص.

2 - الوصف: وهو الاسم المشتق الذي يتضمن معنيين:

أ- معنى الحدث ويمثله في التركيب أحرف الفعل، ف"ذاهب" فيه مضمون الحدث الذي يؤديه الفعل "ذهب" وهي الذال والهاء والباء، و"كاتب" فيه مضمون "كتب" بحروفه.
ب- الذات المتصفة بمعنى الفعل سواء بالفاعلية أو المفعولية ك"ضارب" و"مضروب"، فالأول متصف به على أنه الفاعل، والثاني متصف به على أنه وقع عليه معنى الفعل.

كما يفيد مع هذين المعنيين في بعض المشتقات الأخرى معنى ثالثاً، وهو إفادته المبالغة والتفضيل في صيغ المبالغة والتفضيل وغيرها.

الثاني: الفعل: وهو ما دل على معنى في نفسه مقترن بزمن ماضٍ أو حاضر أو مستقبل، خبراً أو إنشاءً، والفعل عَمَّ على حدث وقوع فعل من فاعله، وفاعله الذات، فمجرد وقوع الفعل يقتضي فاعله، ويقتضي إن كان متعدي الأثر إلى من وقع عليه، ويقتضي مكاناً وزماناً، ويقتضي هيئةً، فلا وجود لفعل دون فاعل أو مكان وزمان له.

الثالث: الحرف: وهو ما لا يدل على معنى في نفسه، وإنما يفيد معنى من خلال سياقه، ولهذا تعددت معاني الحرف الواحد، حتى أن النحاة اختلفوا في معاني الحرف، هل هو على هذه المعاني كلها على وجه الحقيقة، وبذلك يكون المحال باجتماع معانٍ متعددة على موضع واحد، وإما أن لها معنى أصلياً والمعاني الأخرى تعاقبها مجازاً.

ومن هنا يقتضي إجابة عن سؤال: هل الحرف عامل بلفظه أو بمعناه على أنه يقتضي معمولاً كما يقتضي الفعل؟، مثلما يقولون في حروف الجر، أو غير عامل بنفسه كما قال بعض النحاة في "إلا" وما هو واسطة بين العامل والمعمول.

انتق النحاة على أن العمل للفعل؛ لأنه إذا وقع الفعل استلزم فاعلا يطلبه، فإذا كان الفعل هو الطالب للفاعل فكأنه معمول له في التركيب، إذ لولا الفعل في الجملة لما كان الفاعل، ولو كان في الأصل أن الفاعل هو محدث الفعل لا العكس، فالمنظور إليه هنا التعلق في التركيب لا واقع الحال، وإنما الكلام ممثل للواقع كما في قولهم: هو فاعل في المعنى كالتمييز في: طببت نفسا فـ"نفسا" وإن كانت منصوبة على التمييز وهي فضلة، إلا أنها في المعنى عمدة؛ لأنها هي الفاعل حقيقة، إذ أصل المعنى طبابت نفسك قال ابن السراج: "والمفعول هو فاعل في المعنى وذلك قولك: قد تفقأ زيد شحما، وتصيب عرقا، وطببت بذلك نفسا، وامتلأ الإناء ماء، وضقت به ذرعا، فالماء هو الذي ملأ الإناء، والنفس هي التي طببت، والعرق هو الذي تصيب، فلفظه لفظ المفعول وهو في المعنى فاعل"⁽¹⁾ ففي تركيب طببت نفسا، فاعل الفعل في اللفظ ضمير المخاطب مضاف إليه الفاعل في المعنى، فنفسه التي طببت وليس هو، والأصل: طبابت نفسك، ثم نسب الفعل إلى المضاف مبالغة ولكن

على الإبهام كما إذا قلت: طببت، فقط ثم ميز بـ"نفسا"، وهو الفاعل في المعنى.

والخبر معمول المبتدأ ومسند إليه، فالمبتدأ متعلق بالخبر ولو كان بناء الجملة على الاسم المبتدأ به كما في قولنا: زيد قائم، إلا أن صورة اللفظ حصول الإخبار بما فعل لمن يجهله، فالعامل الذي جعل الخبر مرفوعا طلبُ المبتدأ له على سبيل الإسناد، فالخبر مسند للمبتدأ الذي هو فاعل في الأصل إذ معنى قولك: زيد قائم هو قام زيد.

وأما الحرف فأبعد ما يكون عن العمل في أصل الوضع؛ لأنه لا معنى له في ذاته في الأصل، ولا يفيد معنى إلا من خلال سياق جملة، وإن جرد عن التركيب لم يعد له معنى فلا نقول مثلا "بـ" وحدها - دون متعلق لها - معناها كذا؛ لأن حروف الجر لا بد لها

(1) . الأصول 1/ 222 .

من متعلق، ولذا تعددت معانيها، فالباء لها عدة معان لا تستبين إلا من خلال الجملة كالاستعانة، والإلصاق، والتعدية، وهي وحدها لا تفيد شيئاً ولا يعرف شيء من هذه المعاني، فإذا قلت: مررت بزيد قيل عنها: إنها للإلصاق، وإذا قلت: ذبحت بالسكين كانت للاستعانة، وعمل الحرف هنا متصل بالفعل لا من ذاته؛ لأنه إذا حذف نصب وهو الذي يسميه النحاة النصب على نزع الخافض، وكأن الإعراب رجع إلى أثر الفعل مباشرة، ولو كان هو العامل لما جاز حذفه ولا دليل عليه، ويكثر قول النحاة على الجار والمجرور "متعلق بكذا".

والأحرف تختلف في تحملها المعاني بين الأفراد والتعدد، فمنها ما يقتصر على معنى واحد نحو "لم" للنفي، و "لن" للنهي، والسين للاستقبال، ومنها ما تتعدد معانيها كحروف الجر.

وتتعد معاني حروف الجر تبعاً لوجه طلب الفعل له، فالأفعال تطلب المفاعيل بأوجه مختلفة فقد يقع عليها أثر الفعل نحو كتبت كلمة، أو به نحو كتبت بالقلم، أو عليه نحو كتبت على الورقة، أو يقع بجواره نحو: مررت بزيد، أو بدلا منه نحو اشتريت الكتاب بدرهم، أو ظرفية نحو: جلست بالحجرة، أو بصحبته نحو قوله تعالى ﴿اهْبِطْ بِسَلَامٍ﴾⁽¹⁾ أي: مصاحباً، فيتعلق الحرف بعامل على الوجه الذي يتفق معه معنى الفعل مع ما بعد حرف الجر، وعلاقة الفعل بمعنى الحرف تحتاج إلى بحث أطول وأوسع وأشمل.

والحرف هو الأداة التي تسمى الرابطة؛ لأنها تربط الاسم بالاسم والفعل بالفعل كـ"عن" و"على" ونحوهما قال ابن منظور: "قال الأزهري: كل كلمة بنيت أداة عارية في الكلام لتفرقة المعاني واسمها حرف"⁽²⁾.

(1) سورة هود الآية رقم 48.

(2) لسان العرب "حرف" 41/9.

واختلف أسلوب العرب في إعمال الحرف وإهماله فتارة يعملونه وأخرى يهملوه، فهل لإهمالهم وإعمالهم للحرف من وجه يطرده أو لا؟، يقول النحويون: إذا اختص الحرف بشيء على وجه الاطراد عمل، وإن لم يختص بأهمل.

ويعنى بالاختصاص عند النحاة انفراده به قال الراغب: "والاختصاص: تفرد بعض الشيء بما يشاركه فيه جملة" (1) وقال أبو هلال العسكري: "الاختصاص انفراد بعض الأشياء بمعنى دون غيره كالانفراد بالعلم والملك" (2)، والاختصاص في اللغة القصر يقال: اختصته به، قصرته عليه، وهنا يعنى به اختصاص الحرف بنوع من أنواع الكلمة كاختصاص حروف الجر بالاسم، وحروف الجزم بالفعل، فإذا اختص بقبيل منها عمل قال الرضي: "وشرط العامل الاختصاص بأحد القبيلين" (3)، ويقول السيوطي: "والأصل في كل حرف يختص أن يعمل فيما اختص به، وفي كل حرف لا يختص ألا يعمل، وقيد أبو حيان الأول بالألا ينتزل منه منزلة الجزء، فإن تنزل ك"أل" وسين التنفيس لم يعمل" (4)، ولا يضر زوال الاختصاص لأنه عارض عليه لا أصل، والعبرة بالأصل قال الصبان: "يكفي في صحة الإعمال الاختصاص بحسب الأصل، ولا يضر عروض زواله" (5).

وعدم العمل إما على الإطلاق أو فيما اختص به لتظهر مزية الاختصاص من عدمه، فإذا لم يختص وصار مشتركا كهزمة الاستفهام فإنها تدخل على الاسم والفعل والحرف فلا تظهر لها مزية بقبيل ما أهمل؛ لعدم إرادة التمييز في أحد القبيلين قال

(1) المفردات في غريب القرآن "خ ص ص" ص 149.

(2) معجم الفروق اللغوية ص 27.

(3) شرح الرضي على الكافية 53/4.

(4) همع الهوامع 27/1.

(5) حاشية الصبان على الأشموني 439/1.

الصبان: "تظهر ميزة الاختصاص الدال على قوة تأثير الحرف في القبيل المختص به"⁽¹⁾، والحروف بهذا الاعتبار تنقسم إلى ثلاثة أقسام: مختص بالأسماء، ومختص بالأفعال، ومشترك بينهما.

المبحث الثالث

الحروف المختصة بالأسماء العاملة وغير العاملة

اختصت بعض الحروف بالأسماء فلا تدخل على الأفعال وهي على وجهين:

1 - مختصة بالاسم عاملة فيه نحو: حروف الجر

حروف الجر تُعَدِّي أثر الفعل إلى الاسم في المعنى والإعراب، فهي رابطة لمعنى الفعل بالاسم، وبيان للعلاقة بينهما، فالفعل اللازم لا يصل إلى مفعول فيؤثر فيه، فهو مقصور على فاعله، ولهذا لقبه بعض النحاة بالفعل القاصر، فأفعال السجايا نحو جاع، وعطش، وفرح، ونام، وقام، أفعال لازمة غير متعدية لقصورها على فاعليها، ولكن قد ترتبط بمفعول عن طريق علاقة ما، ولا تظهر تلك العلاقة إلا بالحرف نحو: فرحت بك، فالفعل "فرح" لازم؛ لأن صدره من فاعله واقع عليه دون غيره فلا يتعداه، ولكن إن صدر منه لعلاقة بغيره تعدى بالحرف الذي يفيد تلك العلاقة، فالمجرور في المثال سبب لحدوث الفرحة من فاعله، أي: أن المخاطب فيه قام بما يفرح المتكلم نحو فرحت بنجاحك، فالنجاح هو سبب حصول الفرحة، فالباء هنا أفادت السببية التي يحتاجها الفعل، وتقيد الإلصاق مع الفعل "مَرَّ" نحو: مررت بزيد، أو الاستعانة مع الفعل "ذبح" نحو: ذبحت بالسكين، ولا يستقيم استعماله على وجه التعدي فنقول: ذبحت السكين؛ لأن الذبح وقع به لا عليه، كما يصح أن نقول: ذبحت الشاة دون الباء لوقوع فعل الذبح عليها.

(1) المصدر نفسه/73.

والفعل "عجب" لازم يتعدى بالهمزة، أو بـ"من"، نحو: عجبت من كلامك، فالعجب شعور يحدث في النفس بتأثير خارجي، والشيء الجاري على غير العادة يحدث في النفس أثاراً يقول الجرجاني: "تغير النفس بما خفي سببه وخرج عن العادة مثله"⁽¹⁾، فيقال: أعجبنى الحديث، فتعدى فعل التعجب بالهمزة، التي صيرت الفعل متعدياً بعد اللزوم قال القُحَيْفُ العُقَيْلِي :
 إِذَا رَضِيَتْ عَلَيَّ بَنُو قُشَيْرٍ لَعَمْرُ اللَّهِ أَعْجَبَنِي رِضَاهَا⁽²⁾

فالـ"الرضا" فاعل، وباء المتكلم مفعول به، ولا يقال: عجبنى الحديث أو عجبنى رضاها، ويقال: تعجبت منه، أي: حدث لي عجب بسببه، فتعدى بـ"من" السببية قال البحرني:
 مَهْمَا تَعَجَّبْتَ مِنْ شَيْءٍ فَلَسْتَ تَرَى شُرُوءَ اللَّيَالِي إِذَا أَكُدْتُ وَشُرُوءَانَا⁽³⁾

وأرى أن سبب العمل في حروف الجر ليس بالاختصاص وحده، وإن كان هو المعتبر في الأصل، إنما يضاف إليه ما أنيط بالحرف من عمل، فالحرف في حد ذاته ليس هو العامل وإن ارتبط به، فحيثما كان حرف الجر كان الاسم مجروراً، وإنما الفعل الذي احتاج إلى الحرف لإيصال أثر الاسم الذي بعده، فالمجرور في الحقيقة هو مفعول للفعل؛ إلا أن الفعل قصر عنه فلم يؤثر فيه نصبا؛ لأن المعنى يمنعه، إذ لو قلت: كتبت بالقلم، لا يستقيم أن تقول: كتبت القلم كما في نظيره في تركيب كسرت القلم، فالمعنى لا يستقيم أن يؤثر فعل "كتب" على القلم، كما يؤثر على القصة في قولك: كتبت القصة، فوصول أثر الفعل لا يستقيم إلا بالباء؛ لكون القلم مستعان به لا نفسه المكتوب، وأما

(1) كتاب التعريفات (ع ج ب) 105.

(2) البيت من البحر الوافر . ينظر: خزنة الأدب 247/4، الدرر اللوامع 57/2.

(3) البيت من البحر الطويل للبحرني في ديوانه 2150/1.

الفعل "كسر" فإنه يقع عليه دون حاجة إلى الحرف، فوظيفة الحرف هي الربط بين العامل والمعمول، وخص بالجر للفرق بينه وبين ما يصل إليه الفعل بنفسه، فما يصل إليه بحرف أضعف مما يصل إليه بنفسه.

2- غير مختصة بالاسم وعاملة فيه نحو:

أ- "إن" التوكيدية الناسخة

هي حرف توكيد يعمل في الجملة النصب والرفع؛ لحلوله محل الفعل لتضمنه معناه، فالـ"إن" للتأكيد، والفعل الذي بمعناها أكد يؤكد، وعمله أن يرفع فاعلا، وينصب مفعولا، و"إن" وأخواتها محمولة عليه وفتح عنه، ولا تختص في دخولها على الجملة بالاسم وحده؛ بل دخولها على الجملة بأكملها فلا يصح أن يقال: إن زيدا ونسكت؛ لعدم الفائدة، ولذا فإن "إن" لم تعمل في الاسم كحرف يماثل حرف الجر؛ بل عملت في كون الاسم أحد جزأي الجملة، فهي مؤكدة لما أسند للاسم من خبر، مشابهة في التركيب للجملة للفعلية من فعل وفاعل ومفعول، فعملت عمل الفعل معكوسا، فلو كانت مختصة بالاسم لعملت الجر فيه مثل حرف الجر، ولا وجه للنصب فيها، وعلّة عملها النصب والرفع في المبتدأ والخبر؛ لأنها أشبهت الأفعال في اللفظ والمعنى، فالمشابهة اللفظية مجبوؤها على ثلاثة أحرف أو أكثر، وفي المعنى أن كل حرف منها يدل على معنى معين، والفرق بينها وبين حروف الجر أن حروف الجر اكتسبت عملها من كونها واسطة بين الفعل ومفعوله الذي هو الاسم واختصت به، والحروف الناسخة متضمنة لمعنى الفعل الذي حلت محله، فالـ"إن" تدل على معنى أوكد⁽¹⁾، ولا تدخل إلا على الجملة الاسمية إلا إن خففت فيقل عملها قال ابن مالك في الألفية:

وَحُفِّقَتْ إِنَّ فَقَلَّ الْعَمَلُ

(1) ينظر: هامش 2 من تحقيق أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ليوسف البقاعي 50/1.

وإن فتحت همزتها ففي إعمالها مذاهب أجمله السيوطي بقوله: "وفي إعمالها حينئذ مذاهب:

أحدها: إنها لا تعمل شيئاً لا في ظاهر ولا في مضمّر، وتكون حرفاً مصدرياً مهملًا كسائر الحروف المصدرية وعليه سيبويه والكوفيون.

الثاني: أنها تعمل في المضمّر وفي الظاهر نحو: علمت أن زيدا قائم، وقرئ ﴿أَنْ غَضِبَ اللهُ عَلَيْهَا﴾⁽¹⁾ وعليه طائفة من المغاربة.

الثالث: أنها تعمل جوازا في مضمّر لا ظاهر وعليه الجمهور قال ابن مالك: فإن قيل ما الذي دعا إلى تقدير اسم لها محذوف؛ وجعل الجملة بعدها في موضع خبرها، وهلا قيل إنها ملغاة ولم يتكلف الحذف، فالجواب أن سبب عملها الاختصاص بالاسم، فما دام الاختصاص ينبغي أن يعتقد أنها عاملة، وكون العرب تستقبح وقوع الأفعال بعدها إلا بفصل، ثم لا يلزم أن يكون ذلك الضمير المحذوف ضمير الشأن كما زعم بعض المغاربة؛ بل إذا أمكن عوده إلى حاضر أو غائب معلوم كان أولى"⁽²⁾.

ب - لا النافية للجنس

"لا" النافية للجنس حرف يختص بالدخول على الجملة الاسمية، وعامل فيها، وهي محمولة في عملها على "إن"، إلا أن "لا" تبنى مع اسمها إن كان مفردا نحو: لا رجل في الدار، وتتصبه إن كان مضافا أو شبيها بالمضاف نحو: لا غلام رجل حاضر، ولا طالعا جبلا ظاهرا، قال الشيخ خالد الأزهرى: "فإن قيل: "لا" النافية غير مختصة مع أنها عاملة، فالجواب ما قاله المرادي أن "لا" إذا قصد به النفي العام اختصت بالاسم فليست إذن الداخلة على الفعل"⁽³⁾، واختلف النحاة في خبرها، فسبويه يرفعه خبرا على

(1) سورة النور الآية 9.

(2) همع الهوامع 184/2.

(3) شرح التصريح على التوضيح 338/1.

محل "لا" واسمها قال الأزهري: "وأما إذا ركبت فعن سيبويه أنها لا تعمل في الخبر، بل النكرة مع "لا" في موضع رفع بالابتداء والخبر خبر المبتدأ، مرفوع بما كان مرفوعاً به قبل دخول "لا"، والأصح عند الناظم أنه مرفوع بها أيضاً، وهو مذهب الأخفش والمازني والمبرد"⁽¹⁾.

وفي الموضوعين نستطيع أن نقول إنها اختصت لاختصاصها بالجملة الاسمية، فالاسم صدر الجملة، ولا ترى إلا متصلة به، إلا أن تأثيرها على كلا جزأي الجملة، وذاك عكس حروف الجر لقصور أثره على الاسم مفردا.

2 - مختصة بالاسم وغير عاملة فيه نحو: "أل" التعريفية

لام التعريف حرف ينقل الاسم من التثنية إلى التعريف، ومختص به فلا يدخل إلا على الأسماء، ودخولها على الفعل في بعض المواضع مؤول عند جمهرة النحاة نحو قول الشاعر:

يَقُولُ الْخَنَا وَأَبْعَضُ الْعُرْبِ نَاطِقًا إِلَى رَبَّنَا صَوْتُ الْجِمَارِ يُجَدِّعُ⁽²⁾

ف قيل: هي في البيت اسم موصول، وقيل أراد الشاعر "الذي يجده، وقيل بقية الذي"⁽³⁾، قال الرضي: "بل هي اسم موصول دخل على صريح الفعل لمشابهته لاسم المفعول، وهو مع ذلك شاذ قبيح لا يجيء إلا في ضرورة الشعر"⁽⁴⁾، ومثله قول الفرزدق:

مَا أَنْتَ بِالْحَكَمِ التُّرْصَى حُكُومَتُهُ وَلَا الْأَصِيلِ وَلَا ذِي الرَّأْيِ وَالْجَدَلِ⁽⁵⁾

(1) المصدر نفسه 337/1

(2) البيت من البحر الطويل لذي الخرق الطهوي. ينظر: نوادر أبي زيد ص276، الخزانة/14.

(3) ينظر: شرح الكافية الشافية/1/298، الجنى الداني ص201، الخزانة/14.

(4) شرح الكافية للرضي/1/44.

(5) البيت من البحر البسيط. ينظر: الخزانة/1/14، شرح شواهد العيني بهامش الخزانة/1/111.

ف"أل" هي حرف مختص بالاسم يدخل عليه فيفيده تعريفا بعد تكثير؛ وأما الفعل فلا يتعرف، فأغلب الأحيان لا يكون إلا جملة، فلا يستقل بنفسه في معنى الكلام إلا إن أريد لفظه، فلا ينطق إلا مع فاعله ظاهرا أو مضمرا، والجمل من النكرات، وكذلك الحرف.

ومع أن "أل" مختص بالاسم إلا أنه لا يعمل فيه، وأصبح كالجزم منه، ولذا يتعداه العامل فيعمل فيما دخل عليه، قال ابن عقيل: "وإنما قيل "ولم يكن كالجزم منه احترازا من الألف واللام فإنها اختصت بالاسم ولم تعمل فيه شيئا؛ لكونها كالجزم منه، بدليل تخطي العامل لها نحو: مررت بالغلام"⁽¹⁾، وهي بمثابة الفصل بين العامل والمعمول فقولك: مررت برجل، ومررت بالرجل سيان في الإعراب، إلا أن في ذلك نظر، لملاحظة أن المدخول عليه ليس واحدا، بل هما قسمان منفصلان، فالنكرة قسم، والمعرفة قسم ثان، ففي المثال الأول دخلت على نكرة، وفي المثال دخلت على معرفة، وخلاصة الأمر أن "أل" اختصت بالاسم ولم تعمل فيه.

المبحث الرابع: الحروف المختصة بالأفعال

هناك من الحروف ما لا يدخل إلا على الأفعال وهي على قسمين عاملة وغير

عاملة:

أولا: مختصة بالفعل عاملة فيه

بعض الحروف اختصت بالفعل فعملت فيه؛ لمزية لها عن الحروف الأخرى التي هي إما تكون قد اختصت بالاسم، أو لم تختص، لا بالفعل ولا بالاسم، ولتلك المزية التي انفردت بها عملت فيه من ذلك على سبيل المثال لا الحصر:

1 - لم

(1) شرح ابن عقيل 1/590.

"لم" حرف نفي حصول الحدث في الزمن الماضي، ويختص بالفعل المضارع فيجزمه إعراباً، وإن كان بعض النحاة يجعلونه مبنيًا على الأصل في الأفعال، ويقلب زمنه إلى الماضي، فالجزم من خواص الأفعال المعربة وعلامة له في مقابل الجر في الأسماء قال ابن مالك:

..... فِعْلٌ مُضَارِعٌ يَلِي لَمْ كَيْشَمَ

ولما كانت "لم" تختص بالدخول على الفعل المضارع وعاملة فيه فناسب أن يكون لعملها علامة وهو الجزم قال تعالى ﴿ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴾⁽¹⁾ وقوله ﴿ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ ﴾⁽²⁾ وقول النابغة الجعدي

نُضِيءُ كَمِثْلِ سِرَاجِ السَّلِيطِ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ فِيهِ نُحَاسًا⁽³⁾

2- لن

"لن" حرف نفي في الزمن المستقبل يختص بالفعل المضارع أيضا فينصبه نحو قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً ﴾⁽⁴⁾ وقوله ﴿ إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴾⁽⁵⁾ وقول حسان بن ثابت

وَأَنْ سَيَمْنَعُهُمْ مِمَّا نَوَّوْا حَسَبَ لَنْ يَبْلُغَ الْمَجْدَ وَالْعُلَيَاءَ مَقْطُوعُ⁽⁶⁾

3- "لام الأمر"

(1) سورة الإخلاص الآية رقم 3.

(2) سورة النور الآية رقم 39.

(3) البيت من البحر المتقارب. ينظر: الديوان 100.

(4) سورة البقرة الآية رقم 54.

(5) سورة الإسراء الآية رقم 37.

(6) البيت من البحر البسيط. ينظر: الديوان ص 254.

للأم معان كثيرة، ويتعدد أثر عملها حسب تلك المعاني فتكون جارة وناصفة وجازمة، ومن معانيها إفادتها الأمر عند دخولها على الفعل المضارع جازمة إياه، وهي مفيدة لطلب حصول معنى الفعل الذي بعدها نحو: ليقم زيدٌ قال المرادي: "والأولى أن يقال: لام الطلب ليشمل الأمر نحو ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ﴾⁽¹⁾ والدعاء نحو: ﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾⁽²⁾»⁽³⁾، وعملت في الفعل المضارع الجزم لاختصاصها به، فالأمر في الفعل له صيغة تخصه على وزن افعال في الثلاثي، كما له أوزان في الرباعي المجرد والمزيد، وكذلك الخماسي، فالفعل بصيغته مفيد للأمر.

ولا تدخل على الماضي للتناقض في زمن حدوث الفعل، فالماضي قد مضى وحصل، وللأمر زمن مستقبل مطلوب أن يقع معنى الفعل فيه، فلا يقال: لقام، لقال، أو لضرب، كما يقال: ليقم، وليقل، وليضرب، وبذلك فإن لام الأمر لا تدخل إلا على المضارع فتحيله من دلالاته على حصول الفعل في الحال أو الاستقبال إلى طلب حصول الفعل في الاستقبال قال الأنباري: "إنما يجب أن تعمل لاختصاصها بالفعل، وإنما يجب أن تعمل الجزم وذلك لأن "لم" لما كانت تدخل على الفعل المضارع فتنقله إلى معنى الماضي، كما أن "إن" التي للشرط والجزاء تدخل على الفعل الماضي فتنقله إلى معنى المستقبل فقد أشبهت حرف الشرط، وحرف الشرط يعمل الجزم فكذلك ما أشبهه"⁽⁴⁾، وقال العكبري: "وأما لام الأمر فعملت لاختصاصها، وإنما جزمت لأمرين: أحدهما: ما تقدم من أنها أحدثت في الفعل معنى زاد ثقله به، والثاني: أن الأمر طلب وهو غرض للأمر، فأشبهت لأمه لام المفعول له، وتلك جارة، فيجب أن تكون هذه جازمة؛ لأن الجزم في

(1) سورة الزخرف الآية رقم 77.

(2) سورة الطلاق الآية رقم 6.

(3) الجني الداني 110.

(4) أسرار العربية ص333.

الأفعال نظير الجر في الأسماء، ولشبهها بها كسرت⁽¹⁾، وإذا سبقت بحرف عطف جاز إسكانها نحو قوله تعالى ﴿ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَنَّهُمْ وَلِيُوقُوا نُذْرَهُمْ﴾⁽²⁾ قال ابن السراج: "وأما لام الأمر فهي مكسورة، ويجوز أن تسكن، ولا تسكن إلا أن يكون قبلها شيء نحو قولك: فليقم زيد"⁽³⁾، فهذه الحروف اتصلت بالفعل المضارع فعملت فيه النصب أو الجزم.

ثانياً: مختصة بالفعل غير عاملة فيه وهي على وجهين:

1- ما تبنى عليه الكلمة ويصبح جزءاً منها من ذلك:

أ- أحرف المضارعة

يدل الفعل على زمن وقوع فعله بصيغته، فالماضي على وزن فعل بفتح الفاء ثلاثي العين، ويصار إلى المضارع بتغيير صيغته من الثلاثي إلى الرباعي بزيادة أحرف المضارعة في أوله، فأحرف المضارعة تغير زمن الفعل من المضي إلى المضارعة، بالإضافة إلى إفادتها نوع الفاعل قال الرضي: "وحروف المضارعة على معنى في المضارع، وعلى حال الفاعل أيضاً"⁽⁴⁾، ولكنها تتركب مع كأنها حرف منه، حتى أصبحت جزءاً من أجزائه لا تتفك عنه، ولشدة اتصالها به يقول الصرفيون عن الفعل المضارع أنه مجرد لا مزيد على رغم زيادتها وظهورها في الميزان فيقال في وزن أخرج ونخرج: أفعال ونفعل.

ومع التأثير الحاصل للفعل بسببها بتغيير زمنه من المضي إلى المضارعة لا تعمل؛ لأنها أصبحت جزءاً منه في حال المضارعة، وبني الفعل المضارع عليها، فلا يقال

(1) اللباب في علل البناء والإعراب 49/2.

(2) سورة الحج الآية رقم 27.

(3) الأصول في النحو 219/2.

(4) شرح الكافية للرضي 25/1.

على الفعل فعل مضارع إلا وهو متصل بها قال الخصري في علة رفع المضارع: "وقال الكسائي رفع بأحرف المضارعة، ورد بأن جزء الشيء لا يعمل فيه"⁽¹⁾.

ب- السين

السين حرف يختص بالفعل المضارع ينقله من زمن الحال إلى زمن الاستقبال القريب نحو قوله تعالى ﴿سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾⁽²⁾، فالفعل المضارع المجرد منها يطلق على الحال نحو: يقوم زيد، ويكتب عمرو، ويفيد الاستقبال قال محيي الدين عبد الحميد: "والمضارع: ما دل على حدث يقع في زمان التكلم أو بعده"⁽³⁾، والمضارع الخالي مما يعينه لغير الحال فهو يختص به، فقد أخرجته أحرف المضارعة مع تغيير الصيغة من الماضي إلى المضارعة فلا يكون زمنه مستقبلاً إلا إذا اتصلت به، والسين - من وجهة نظري - تخرجه من الحال إلى الاستقبال القريب، لتأكيد استقباله، وهي من بنية صيغة المضارع المفيد للاستقبال، حقيقة فيه مجاز في غيره، قال الفخر الرازي: "أعوذ: فعل مضارع، وهو يصلح للحال والاستقبال، فهل هو حقيقة فيهما؟ والحق أنه حقيقة في الحال مجاز في الاستقبال، وإنما يختص به بحرف السين وسوف"⁽⁴⁾، وقال ابن السراج: "والأفعال التي يسميها النحويون "المضارعة" هي التي في أوائلها الزوائد الأربع: الألف والتاء والياء والنون تصلح لما أنت فيه من الزمان، ولما يستقبل نحو: أكل، وتأكل، ويأكل، وتأكل، فجميع هذا يصلح لما أنت فيه من الزمان، ولما يستقبل، ولا دليل في لفظه

(1) حاشية الخصري على ابن عقيل 2/110.

(2) سورة الطلاق الآية رقم 6.

(3) التحفة السننية شرح المقدمة الأجرومية ص 5.

(4) مفاتيح الغيب 85/1.

على أي الزمانين تريد كما أنه لا دليل في قولك: رجل فعل كذا وكذا، أي الرجال تريد حتى تبينه بشيء آخر فإذا قلت: سيفعل، أو سوف يفعل دل على أنك تريد المستقبل وترك الحاضر على لفظه؛ لأنه أولى به؛ إذ كانت الحقيقة إنما هي للحاضر الموجود لا لما يتوقع، أو قد مضى⁽¹⁾، وقد قسمه عباس حسن إلى أربع حالات والقرينة تعين إحداها قال: "للمضارع من ناحية الزمن أربع حالات، لا تتعين حالة منها إلا بشرط ألا تعارضها قرينة تعينها لحالة أخرى، الأولى: أن يصلح للحال والاستقبال إذا لم توجد قرينة تقيده بأحدهما، وتفسره عليه، وحين يصلح للحال والاستقبال يكون اعتباره للحال أرجح؛ لأن الزمن الماضي له صيغة خاصة تدل عليه، وللمستقبل صيغة خاصة أيضا، هي الأمر، وليس للحال صيغة تخصه، فجعلت دلالاته على الحال أرجح، عند تجرده من القرائن؛ جبرا لما فاتته من الاختصاص بصيغة مقصورة عليه كما يقولون، هذا إلى أن اللفظ إن كان صالحا للزمن الأقرب والزمن الأبعد؛ فالأقرب أولى، والحال أقرب من المستقبل؛ فهو أحق بالاتجاه إليه"⁽²⁾.

2 - ما تدخل على الفعل منفصلة عنه ولا تعمل فيه من ذلك:

1 - سوف

"سوف" بمثابة السين، إلا أن السين مركب من حرف واحد، وهذه مركبة من ثلاثة أحرف، ولذا لم تبن السين وأحرف المضارعة، ويرى البصريون أنها أصل بنفسها خلافا للكوفيين الذين يرون السين مقتطع من سوف⁽³⁾، والسين تفيد حصول الفعل في الزمن المستقبل القريب، و"سوف" تفيد حصول الفعل في الزمن المستقبل البعيد، يقول الغلابيني: "وكذلك "سوف" إلا أنها أطول زماناً من السين، ولذلك يسمونها "حرف

(1) الأصول 39/1.

(2) النحو الوافي 1/57.

(3) ينظر: الجنى الداني ص 59. الإنصاف في مسائل الخلاف 2/646 المسألة 92.

تسويّف"، فتقول: سيثب الغلام، وسوف يشيخ الفتى لقرب زمان الشباب من الغلام، وبعد زمان الشيخوخة من الفتى⁽¹⁾، وقد تحل إحداهما محل الأخرى نحو قوله تعالى ﴿سَيَصَلَّى نَارًا﴾⁽²⁾ ومعلوم أن الاصطلاء بنار جهنم بعيد زمننا إلا إن جعل على معنى قوله تعالى ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا وَنَرَاهُ قَرِيبًا﴾⁽³⁾، وعلى عكس ذلك قوله تعالى ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾⁽⁴⁾ فهي على حقيقتها، وكلا الأمرين يوم القيامة .

وحروف المضارعة والسين وسوف لا تعمل في الفعل؛ لأنها جزء منه تماثل لام التعريف مع الاسم النكرة فإنها تدخل عليه ولا تعمل فيه، قال العكبري: "وأما السين وسوف فلم يعمل؛ لأنهما كجزء من الفعل إذ كان الفعل دالا على الزمان، وهما تخصصانه حتى يدل على ما وضع له، وهما مع الفعل بمنزلة فعل موضوع دال على الزمان المستقبل من غير اشتراك"⁽⁵⁾.

2 - قد

"قد" حرف يدخل على الفعل ماضيا أو مضارعا، ولا يختص بأحدهما قال المرادي: "وأما "قد" الحرفية فحرف مختص بالفعل، وتدخل على الماضي بشرط أن يكون متصرفاً، وعلى المضارع بشرط تجرده من جازم وناصب وحرف تنفيس"⁽⁶⁾، وهي تفيد معان عدة قال سعيد الأفغاني: "و"قد" للتحقيق وللتنقيل وللتوقع"⁽⁷⁾، فالتحقيق في الماضي

(1) جامع الدروس العربية 264/3.

(2) سورة المسد الآية رقم 3.

(3) سورة المعارج الآية رقم 6.

(4) سورة الليل الآية رقم 21.

(5) اللبب في علل البناء والإعراب 208/1.

(6) الجنى الداني ص254.

(7) الموجز في قواعد اللغة العربية ص390.

نحو قوله تعالى ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾⁽¹⁾، وفي المضارع نحو قوله تعالى ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُّكَ الَّذِي يَقُولُونَ﴾⁽²⁾ والتقليل والتوقع نحو قد يجود البخيل، قد يقدم المسافر الليلة قال الزمخشري: "وهو قد يقرب الماضي من الحال إذا قلت: قد فعل، ومنه قول المؤذن قد قامت الصلاة لا بد فيه من معنى التوقع قال سيبويه: وأما "قد" فجواب هل فعل؟ وقال أيضا: فجواب لما يفعل، وقال الخليل: هذا الكلام لقوم ينتظرون الخبر، ويكون للتقليل بمنزلة "ربما" إذا دخلت على المضارع كقولهم: إن الكذوب قد يصدق"⁽³⁾.

ولا تدخل على الأسماء فلا يصح أن يقال: قد زيد قام، ولا قد الرجل مسافر؛ لأجل أن "قد" للتقليل أو التحقيق، وهذه المعاني تتعلق بالمتغيرات، والأسماء ثوابت ومعانيها الذوات، والذوات لا تغيير فيها، وإنما التغيير يقع بالأحداث "الأفعال" وهي متغيرة تحتاج تحقيقا أو تقليلا أو تقريبا، كذلك لا تدخل على الحرف فلا يقال: قد لا، ولا قد لم، ولا قد إن للعللة السابقة، فلا معنى للفعل في نفسه وإنما في غيره، والذي يبدو لي من خلال تصور المعنى أن التحقيق والتقليل والتقريب لم تقع على الفعل وحده، وإنما على النسبة الإنسانية فلو قلت: قد قام زيد، فالتحقيق وقع على نسبة القيام من زيد، كما أن النفي ينفي تلك النسبة نحو: لم يقم زيد، فالنفي نفي نسبة القيام لزيد لا الفعل في ذاته؛ لأن الفعل لا يمكن أن يتركب منه كلام مفيد إلا بإسناده، والفعل المجرد الدال على الحدث فقط لا يثبت ولا ينفي، ومع أنها اختصت بالفعل لكنها لم تعمل فيه لنقصان اختصاصها؛ لأن الفعل أقسام ثلاثة فتدخل على الماضي وعلى المضارع ولا تدخل على الأمر فلا يقال: قد أخرج ولا قد سافر، وفي هذه الحالة لم تختص بأحد الثلاثة، ودخولها على الماضي لا تأثير فيه

(1) سورة الأعلى الآية رقم 14.

(2) سورة الأنعام الآية 34.

(3) ينظر: شرح المفصل لابن يعيش 147/8.

لبنائه فلم يبق إلا المضارع وهو معرب، ولم تعمل فيه لعدم الاختصاص، وذلك عكس "لم" في المضارع لاختصاصها به، فلا تدخل على ماض ولا على أمر؛ لذا جعلها النحاة علامة عليه قال ابن مالك:

..... فعل مضارع يلي لم كيشم

ولعلي أضيف شيئاً يحتاج إلى مزيد تحقيق وهو أن الحرف لا يعمل في الفعل إلا إذا اختص بقسم من أقسامه، وليس من أقسامه ما هو معرب فيعمل فيه الحرف إلا المضارع؛ لذا لا يعمل في المضارع إلا ما كان مختصاً به لا يدخل على القسمين الآخرين الماضي والأمر .

3 - حروف التحضيض

من الحروف التي اختصت بالفعل حروف التحضيض، والتحضيض هو الحث على فعل ينبغي على المخاطب العمل به قال الرازي: "حضه على القتال: حثه"⁽¹⁾، ونقل ابن منظور عن الأزهري أنها في الخير قال: "الأزهري الحض: الحث على الخير، ويقال حضضت القوم على القتال تحضيضاً إذا حرصتهم"⁽²⁾، والتحضيض معنى كالنفي والاستفهام فجعلت له حروفاً اختصاراً كما جعلت لغيره قال الرضي: "ولا شك أن التحضيض، والعرض، والاستفهام، والنفي، والشرط، والنهي، والتمني، معان تليق بالفعل، فكان القياس اختصاص الحروف الدالة عليها بالأفعال، إلا أن بعضها بقيت على ذلك الأصل من الاختصاص كحروف التحضيض"⁽³⁾، وجعل ابن هشام النوع السابع اشتراط

(1) مختار الصحاح "ح ض ض" 142.

(2) لسان العرب "ح ض ض" 136/7.

(3) شرح الرضي على الكافية 470/1.

الجملة الفعلية فقال: "اشتراطُ الجملة الفعلية في بعض المواضع، والاسمية في بعض، ومن الأول جملة الشرط...والجمل التالية أحرف التحضيض"⁽¹⁾.

وحروفه: "هلا، وآلاً، ولولا، ولوماً"، ولها الصدارة في صدر جملتها، قال المرادي في حرف "ألاً": "حرف تحضيض لا عمل لها، وهي مختصة بالأفعال، كسائر أحرف التحضيض، فلا يليها إلا فعل، نحو: ألا فعلت، أو معمول فعل ظاهر نحو: ألا زيدا ضربت، أو مضمر، نحو: ألا زيدا ضربته، وقال بعض النحويين: يجوز مجيء الجملة الاسمية، بعد أدوات التحضيض، كقول الشاعر:

فَهَلَّا نَفْسٌ لَيْلَى شَفِيعُهَا⁽²⁾

ولا حجة في هذا البيت. ويأتي بيان ذلك في هلا"⁽³⁾.

وإذا جاء الاسم بعدها نصب بفعل مقدر؛ لأن هذه الحروف لا يأتي بعدها إلا الفعل، فالاسم متقدم من تأخير نحو: هلاً أخاك أكرمته، والتقدير هلا أكرمت أخاك أكرمته، وهو من باب الاشتغال، وعدم عملها في الفعل بعده يمكن أن يفسر بما فسرت به "قد" لعدم اختصاصها بالفعل المضارع، ودخولها على النوعين فتقول: هلاً قام زيد، وهلا يقوم زيد، إلا أنه في الماضي فيه مفهوم التوبيخ؛ لأن الفعل قد مضى ولا يمكن تدارك إتيانه، وإنما الغرض الحث على مثله فيما يستقبل نحو هلا قمت لمعلمك، لمن رأيتَه يسلم على معلمه جالسا، فهذا حث على إن تكرر الأمر أن تسلم على معلمك قائما لا جالسا،

(1) مغني اللبيب عن كتب الأعراب 581/2.

(2) البيت من البحر منسوب لابن الدمينية وللصمة بن عبد الله القشيري وقبل لمجنون ليلي صدره

وَوُتِّئْتُ لَيْلَى أُرْسَلْتُ بِشَفَاعَةٍ

شرح الحماسة للتبريزي 742/2، شرح الحماسة لأبي العلاء المعري 760/2، خزنة الأدب 464/1، شرح شواهد

العيني هامش الخزنة 416/3.

(3) الجنى الداني ص 509.

وإذا كان الأمر مضارعا حال الكلام أو مستقبلا فيه حث على الفعل لإمكان الإتيان به نحو: هلاً تقوم لمعلمك، فعدم الاختصاص أفقدها العمل؛ لأن الإعمال ميزة الاختصاص.

المبحث الخامس : الحروف المشتركة

من المعاني العامة التي ما تشترك فيه الأسماء والأفعال الاستفهام والنفي والعطف، فكما يستفهم عن الجملة الاسمية يستفهم عن الجملة الفعلية، وكما تنفي الاسمية تنفي الفعلية، وكما تعطف الجملة الاسمية تعطف الجملة الفعلية، وأتخذت لها حروفا تمثلها، وقد تتوب منابها بعض الأسماء، فتلك الحروف التي لا تختص بأحد القسمين بل تدخل على الأسماء كدخولها على الأفعال :

أولاً: الاستفهام

الاستفهام معنى عام يفيد معنى طلب الفهم جعلت له العرب حروفا والهمزة فيه أم الباب إذ الأصل في المعاني العامة أن يعبر عنها بالحروف اختصاراً، وشاركتها "هل" فأدت مؤداها "هل" نحو: هل قام زيد؟، أو هل زيد قائم؟، ثم جرت مجراها بعض الأسماء فيستفهم عن الذات، وعن الأحداث، وعن المكان، وعن الزمان، وعن الكيفية نحو: من القارئ؟، ما كتب زيد؟، أين الكتاب؟، متى الغروب؟، وأنى شئت؟، وكيف تقوم؟.

الهمزة حرف مفرد له معان كثيرة من بينها الاستفهام، وتدخل على الجملتين، ولا تختص بإحدهما دون الأخرى نحو أمحمد قائم؟، أقام محمد؟، قال المرادي: "فأما همزة الاستفهام فهي حرف مشترك: يدخل على الأسماء والأفعال"⁽¹⁾، ولكن الغالب أن يليها الفعل؛ لأن السؤال دائماً ما يتطرق إلى المتغيرات، والأحداث دائمة التغير، فكان الاستفهام عنها أكثر من الاستفهام عن الذات؟ لأنها ثابتة قال ابن هشام: "أن يكون الاسم بعد شيء الغالب أن يليه فعل ولذلك أمثلة: منها همزة الاستفهام"⁽²⁾، وتختص من بين أدوات

(1) الجنى الداني ص30.

(2) أوضح المسالك 7/2.

الاستفهام بتصدرها مطلقاً حتى على حروف العطف قال الشنقيطي في تفسير قوله تعالى ﴿أَوْ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ﴾⁽¹⁾: "وقد قدمنا مرارا أن همزة الاستفهام إذا جاءت بعدها أداة عطف كالواو والفاء، و "ثم" نحو ﴿أَوْ آبَاؤُنَا﴾⁽²⁾، ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى﴾⁽³⁾، ﴿أَنْتُمْ إِذَا مَا وَقَعَ﴾⁽⁴⁾ أن في ذلك وجهين لعلماء العربية والمفسرين الأول منهما: أن أداة العطف عاطفة للجملة المصدرة بالاستفهام على ما قبلها، وهمزة الاستفهام متأخرة رتبة عن حرف العطف، ولكنها قدمت عليه لفظاً لا معنى؛ لأن الأصل في الاستفهام التصدير به كما هو معلوم في محله، والمعنى على هذا واضح، وهو أنهم أنكروا بعثهم أنفسهم بأداة الإنكار التي هي الهمزة، وعطفوا على ذلك بالواو إنكارهم بعث آبائهم الأولين بأداة الإنكار التي هي الهمزة المقدمة عن محلها لفظاً لا رتبة، وهذا القول هو قول الأقدمين من علماء العربية، واختاره أبو حيان في البحر المحيط وابن هشام في مغني اللبيب، وهو الذي صرنا نميل إليه أخيراً بعد أن كنا نميل إلى غيره، الوجه الثاني: هو أن همزة الاستفهام في محلها الأصلي، وأنها متعلقة بجملة محذوفة، والجملة المصدرة بالاستفهام معطوفة على المحذوفة بحرف العطف الذي بعد الهمزة، وهذا الوجه يميل إليه الزمخشري في أكثر المواضع من كشافه، وربما مال إلى غيره"⁽⁵⁾.

ولكون همزة الاستفهام غير مختصة بأحد الجملتين الاسمية أو الفعلية أهملت ولم تعمل شيئاً فيما دخلت عليه، ولو عملت فإما أن تعمل الرفع أو النصب أو الجر في الاسم، أو الرفع والنصب والجزم في الفعل، وما يشترك فيه الاسم مع الفعل هو الرفع

(1) سورة الواقعة الآية رقم 51.

(2) سورة الواقعة الآية رقم 51.

(3) سورة الأعراف الآية رقم 96.

(4) سورة يونس الآية رقم 51.

(5) أضواء البيان 833/7.

والنصب، فإما أن تكون العلامتان متفقتين أو مختلفتين، فإن اتفقتا فوجه العمل في كليهما إما أن يكونا منصوبين، فتكون الجهة منفكة، فالاسم ينصب مفعولاً، أو تميزاً أو حالاً أو تابعاً، والفعل ليس كذلك، وعلى الرفع فإما أن يكون مبتدأً أو فاعلاً أو نائب فاعل، والفعل ليس كذلك، وعند ذلك تكون العلامان متفقتين صورة، مختلفتين دلالة، وإذا اختلفت الدلالة فما المراد من وراء العلامة؟، وإن اختلفت فكيف بحرف يعمل عملين مختلفين، ولو عملت في كليهما دون التفريق في المعنى لما كان للإعراب ميزة تبين المعنى المراد إذ جعل الإعراب علامة على المعنى المراد بخصوصه، فكان عدم إعمالها أولى لاشتراكها بين القبيلين قال الأشموني: "حق الحرف المشترك الإهمال"⁽¹⁾.

ثانياً: حروف النفي:

ما، ولا، ولات، وإن المشبهات بليس.

حروف محمولة في المعنى على الفعل "ليس" فاليس "فعل مفيد للنفي على رأي

جمهور النحاة، وشبهت بها هذه الحروف معنى وعملاً، وتسمى حروف النفي، وسأقتصر على "ما" رجاء عدم إطالة البحث الذي ليس مراده البحث تقصي الحرف بصورة موسعة، ولكن المقصد دراسة عمل الحرف لا غير.

ف"ما" حرف نفي لا يختص بالفعل؛ بل يدخل على كلا النوعين: الاسم والفعل، فمثال دخوله على الاسم قوله تعالى ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾⁽²⁾ وقوله ﴿مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدَيَّ إِلَيْكَ لِأَفْتُنَّكَ﴾⁽³⁾ ودخولها على الفعل قوله تعالى ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾⁽⁴⁾ وقوله ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ

(1) شرح الأشموني 49/1.

(2) سورة آل عمران الآية رقم 144.

(3) سورة المائدة الآية رقم 30.

(4) سورة البقرة الآية رقم 104.

عَلَيْكُمْ مِنْ حَرْجٍ⁽¹⁾، وليس دخولها على الاسم مفرداً؛ بل على الجملة الاسمية فيفيد نفي المعنى عن الخبر في الزمن الحالي عند الإطلاق مثبته بـ"ليس".

وهي عند العرب على وجهين عاملة ومهمله، فبعض العرب كالحجازيين يعملونها، وبنو تميم يهملونها نحو قوله تعالى ﴿مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ﴾⁽²⁾، وقوله تعالى ﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾⁽³⁾ قال سيبويه: "في لغة أهل الحجاز، وبنو تميم يرفعونها إلا من درى كيف هي في المصحف، فإذا قلت: ما منطلق عبد الله، أو ما مسيء من أعتب رفعت"⁽⁴⁾ وقال الحريري: "وفي لغة بني تميم لا تعمل شيئاً، فيرفع ما بعدها بالابتداء والخبر؛ فهي عندهم كحروف الاستفهام الداخلة على الاسم والفعل"⁽⁵⁾، وعلل المبرد عدم عمله عند التميميين بقوله: "فأما قول بني تميم فعلى أنهم أدخلوا "ما" على المبتدأ وقد عمل في خبره كما يعمل الفعل في فاعله، فكأن قولهم: ما زيد عاقل، بمنزلة: ما قام زيد؛ لأنهم أدخلوها على كلام قد عمل بعضه في بعض، فلم يغير لأنه لا يدخل عامل على عامل"⁽⁶⁾ وما جاء منه منصوباً فقد خرج الكوفيون على نزع الخافض قال الأنباري: "وذهب الكوفيون إلى أن الخبر منصوب بحذف حرف الجر، وهذا فاسد؛ لأن حذف حرف الجر لا يوجب النصب"⁽⁷⁾، والقياس في "ما" هو كما عليه بنو تميم مهمله لعدم اختصاصها بالفعل، وشرط العمل الاختصاص.

ثالثاً: حروف العطف

(1) سورة المائدة الآية رقم 7.

(2) سورة المجادلة الآية رقم 2.

(3) سورة يوسف الآية رقم 31.

(4) الكتاب 59/1.

(5) اللحة في شرح الملحّة 587/2.

(6) المقتضب 189/4.

(7) أسرار العربية ص 144. وينظر: الإنصاف في مسائل الخلاف المسألة "19" 165/1.

حروف العطف الواو والفاء و"ثم"، وغيرها من الحروف التي تردف الثاني على الأول في حكم الإعراب، فحروف العطف الثلاثة هي أم الباب، وتدخل ما بعدها في حكم ما قبلها في المعنى والإعراب، ولكنها تختلف من حيث زمن حصول الفعل، فالواو عند جمهور النحاة مشرقة للثاني في حكم الأول لا غير دون ترتيب، والفاء مع إفادتها التشريك مفيدة للترتيب عن تأخر وقرب، و"ثم" مفيدة للترتيب عن تأخر وبعد تقول: جاء زيد وعمر، وجاء زيد فعمرو، وجاء زيد ثم جاء عمرو.

وهذه الحروف يعطف بها الاسم على الاسم نحو ما قوله تعالى: ﴿السَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ * وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾⁽¹⁾ وقوله ﴿فِيهَا فَآكِهَةٌ وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ * وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ وَالرَّيْحَانُ﴾⁽²⁾ وقوله تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ﴾⁽³⁾ ويعطف الفعل على الفعل نحو قوله تعالى ﴿فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّبَنَاتِنَا فَمَحَوْنَا آيَةَ النَّهَارِ وَجَعَلْنَا آيَةَ اللَّيْلِ مُبْصِرَةً لِّبَنَاتِنَا﴾⁽⁴⁾، وبعد هذا من عطف الجمل، ويعطف الفعل على الاسم نحو قوله تعالى ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَائِتٍ وَيَقْبِضْنَ﴾⁽⁵⁾، ﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا * فَأَنْزَنَّ بِهِ نَفْعًا﴾⁽⁶⁾ قال السمين الحلبي: "عَطَفَ الْفِعْلَ عَلَى الْاسْمِ لِأَنَّهُ بِمَعْنَاهُ أَي: وَقَابِضَاتٍ، فَالْفِعْلُ هُنَا مُؤُولٌ بِالْاسْمِ... فَاللَّاتِي أَعْرَنَ فَأَنْزَرَ، وَمِثْلُ هَذَا الْعَطْفِ فَصِيحٌ وَكَذَا عَكْسُهُ، إِلَّا عِنْدَ

(1) سورة الرحمن الآية رقم 3، 4.

(2) سورة الرحمن الآية رقم 9، 10.

(3) سورة الحج الآية رقم 18.

(4) سورة الإسراء الآية رقم 12.

(5) سورة الملك الآية رقم 19.

(6) سورة العاديات الآية رقم 3، 4.

السهيلي فإنه قبيح" (1) ونحو قول الشاعر:

لَلْبُسِّ عِبَاءَةٌ وَتَقَرَّرَ عَيْنِي أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ لُبْسِ الشُّفُوفِ (2)

قال العلائي: "وهو ما إذا عطف فعل على اسم ملفوظ به، فلا يمكن ذلك لما فيه من المخالفة، ولأن المقصود بالواو الجمع بين الشئيين، لا مجرد العطف" (3)، كما عطف المضارع على الاسم بواسطة "ثم" في قول الشاعر أنس بن مدركة:

إِنِّي وَقَتْلِي سُلَيْكًا ثُمَّ أَعْقَلُهُ كَالثَّوْرِ يُضْرَبُ لَمَّا عَاقَتِ الْبَقْرُ (4)

والتقدير: قتلي سليكا ثم عقلي إياه كما في قوله تعالى ﴿إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلُ﴾ (5) والتقدير - والله أعلم - إلا وحيا أو إرسالاً (6)، ويعطف الاسم على الفعل كما في قوله تعالى ﴿يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجِ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ﴾ (7) على رأي ابن مالك ويرى الزمخشري: أن "مخرج" معطوف على "فالق"؛ فيكون من عطف الاسم على الاسم، وعرض ابن الشجري لعطف اسم الفاعل على المضارع والعكس فقال: "عطف اسم الفاعل على ما يفعل، وعطف يفعل على اسم الفاعل جائز لما بينهما من المضارعة التي استحق بها "يفعل" الإعراب، واستحق بها اسم الفاعل الإعمال، وذلك جريان اسم الفاعل على

(1) الدر المصون 346/6.

(2) البيت من البحر الوافر لميسون بنت بحدل بن أنيف الكلبية، وهي امرأة معاوية بن أبي سفيان.

ينظر: خزنة الأدب 592/3، 621، الدرر اللوامع 26/2.

(3) الفصول المفيدة في الواو المزیدة ص 219.

(4) البيت من البحر البسيط لأنس بن مدرك بن كعب الخثعمي.

ينظر: شرح شواهد العيني بهامش خزنة الأدب 599/3، الدرر اللوامع 28/2.

(5) سورة الشورى الآية رقم 96.

(6) ينظر: المقتضب 34/2، الدر المصون 88/6.

(7) سورة الأنعام الآية رقم 96.

يفعل⁽¹⁾ ولا يسع الحديث هنا عن حروف العطف كلها لأن البحث مقصور على الأعمال والإهمال، فحروف العطف غير عاملة لعدم اختصاصها بنوع معين لا في الأسماء ولا في الأفعال، فلو عملت لعملت عملا واحدا، والواقع أن ما بعدها متفق الإعراب مع ما قبلها، فهي نائبة عن تكرار العامل إذ وجودها مختزل لذكره مرة أخرى قال ابن السراج: "لأن الواو تقوم مقام العامل في كل الكلام"⁽²⁾ وقال الأتباري "وإذا كان يدخل على الاسم والفعل لم يعمل كحروف العطف"⁽³⁾، وقال: "لأن الواو حرف عطف، وحرف العطف لا يعمل شيئا؛ لأن الحرف إنما يعمل إذا كان مختصا، وحرف العطف غير مختص، فوجب أن لا يكون عاملا"⁽⁴⁾.

والمتأمل في معاني حروف العطف لا يجد فيها معنى متضمنا تضمن "إن" للتوكيد، و"ليت" للتمني، وإنما مفيدة لمعنى عام هو إلحاق ما بعدها لما قبلها، ولكنها قد تكون موصلة لأثر الفعل كحروف الجر كما يقول بعض النحاة، فإنهم قد اختلفوا في العامل في المعطوف قال العلاتي: "اختلف فيه أئمة العربية وهو العامل في المعطوف وفيه ثلاثة أقوال: أحدها وهو قول سيوييه وجمهور المحققين أن العامل فيه العامل في المعطوف عليه، فإذا قلت: ضربت زيدا وعمرا، فقد انتصبا جميعا بـ"ضربت" والحرف العاطف دخل بمعناه، وشرك بينهما، وإنما عمل الفعل فيهما بواسطة حرف العطف، وحجة هذا القول اختلاف العمل لاختلاف العامل المتقدم من رفع ونصب وخفض وجزم، وقال أبو علي الفارسي وأبو الفتح بن جني العامل في المعطوف حرف العطف؛ لأنه إنما وضع لينوب عن العامل ويغني عن إعادته، فلما أعنت الواو في مثل قام زيد وعمرو عن إعادة "قام"

(1) أمالي ابن الشجري/2/437.

(2) الأصول في النحو /2/65.

(3) أسرار العربية 144.

(4) الإنصاف في مسائل الخلاف /1/377.

مرة أخرى قامت مقامه فرفعت ما بعدها، وكذلك في النصب والخفض والجزم، وهذا اختيار ابن السراج أيضا، واعترض الجمهور عليه بأن الحرف لا يعمل عند البصريين حتى يختص وحروف العطف غير مختصة فلا تصلح للعمل؛ لأنها تدخل على الأسماء والأفعال، والقول الثالث: أن العامل في المعطوف فعل محذوف مقدر بعد حرف العطف من جنس الفعل العامل في المعطوف عليه، وحرف العطف دال على ذلك المقدر، وذكر ابن يعيش أن هذا اختيار الفارسي وابن جني وهو الأصح عنهما، واختاره أيضا أبو القاسم

السهيلي في نتائج الفكر واحتج عليه بالقياس والسماع⁽¹⁾.

ولكن حرف الجر مع مجروره في محل المفعول للفعل، وليس كذلك حروف العطف، ولم تكن مختصة بقبيل معين حتى يجعل له علامة تدل على ذلك الاختصاص كما جعل الجر علامة لحرف الجر لاختصاصه بالاسم، ولما لم تكن مختصة بقبيل معين أهملت إعرابا، وأعملت معنى.

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد النبي الكريم، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين.

إن هذا البحث ليس بحثا استقرائيا يستقصي جميع الحروف، وقد درست دراسات مستفيضة من قبل كبار النحاة كالمرادي في الجنى الداني والمالقي في رصف المباني، وابن جني في سر صناعة الإعراب، وابن هشام في المغني، ولكني في هذا أردت التعرّيج على عمل الحرف من حيث كونه ذاتيا فيه أم لا، أو بما يتضمن من معنى كما هو الحال

(1) الفصول المفيدة في الواو المزيدة ص57.

- في الفعل، أو هو محمول عليه كاسم الفاعل على الفعل، فأخذت بعض الأحرف وحاولت بيان الصلة بين الحرف والعمل الإعرابي الذي يؤديه فاهتديت بإذن الله إلى النتائج التالية:
- عمل الحرف لا لخصوصية تركيبه، ولا ذاتية فيه، ولو كان كذلك لكانت جميع الحروف عاملة، وكان العمل على وجه واحد رفعا أو نصبا أو جرا أو جزما.
 - الحرف ليس له معنى محدود فنقول: إن معنى الحرف هو المؤثر إعرابيا كما الحال في الفعل، فتأثير معنى الفعل على الفعل اختلافه لزوما وتعديّة.
 - الحرف يتضمن معنى في التركيب بعد أن لم يكن كذلك، وإنما ارتبطت به لكثرة دورانها في التراكيب كالظرفية في "في" ولو كانت متضمنة إياه كما يقول بعض النحاة لتعارضت المعاني فيكون بمعنيين في آن واحد فيلزم وجود النقيضين معا.
 - العامل الأساس في عمل الحرف الاختصاص، فإذا اختص الحرف بقبيل جعلت له علامة دلالة الاختصاص كحرف الجر الرابط بين العامل والاسم المعمول فيه بعده، ونحو "لم" في اتصالها في نفي المضارع وقلب معناه إلى الماضي، و"لن" في نفيها في المستقبل.

المصادر والمراجع:

- أسرار العربية لأبي البركات الأنباري، تح: محمد بهجت البيطار، مطبعة الترقى، دمشق، 1377هـ، 1957م.
- الأصول في النحو لابن السراج، تح: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط. الثالثة 1408هـ - 1988م.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطي، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، دار عالم الفوائد.
- أمالي ابن الشجري، تح: محمود محمد الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط. الأولى 1413هـ - 1992م.

- الأمالي لأبي علي القالي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- الإنصاف في مسائل الخلاف لعبد الرحمن بن محمد الأنباري ومعه كتاب الانتصاف من الإنصاف، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية للطباعة والنشر والتوزيع، صيدا، بيروت، 1407هـ-1987م.
- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام، تح: هادي حسن حمودي، دار الكتاب العربي، ط. الثانية 1414هـ - 1994م.
- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك لابن هشام، تح: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- التحفة السنية شرح المقدمة الأجرومية لمحمد محيي الدين عبد الحميد.
- توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك للمرادي، تح: عبد الرحمن علي سليمان، دار الفكر العربي، القاهرة، ط. الأولى 1422هـ - 2001م.
- جامع الدروس العربية للغلابيين، مراجعة: عبد المنعم خفاجة، المكتبة العصرية صيدا، بيروت.
- الجنى الداني في حروف النعاني للمرادي، تح: فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. 1413هـ - 1992م.
- حاشية الخضري على شرح ابن عقيل، دار الفكر للطباعة والنشر.
- حاشية الصبان على شرح الأشموني، دار الفكر، بيروت، ط. الأولى 1419هـ- 1999م.
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب لعبد القادر بن عمر البغدادي، دار صادر، بيروت.
- الخصائص لأبي الفتح عثمان بن جني، تح: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية 1952م.

- الدرر اللوامع على همع الهوامع للشنقيطي، تح: أحمد السيد سيد أحمد علي، المكتبة التوفيقية، القاهرة.
- الدر المصون للسامين الحلبي، تح: علي محمد معوض وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى 1414هـ - 1993م .
- ديوان البحترى، تح: حسن كامل الصيرفي، دار المعارف بمصر.
- ديوان جميل بثينة، تح: أميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، ط. الثانية 1416هـ - 1996م.
- ديوان حسان بن ثابت، تح: سيد حنفي حسنين، دار المعارف، القاهرة.
- ديوان النابغة الجعدي، تح: واضح الصمد، دار صادر، بيروت، ط. الأولى 1998م.
- شرح الأشموني، تح: عبد الحميد السيد محمد عبد الحميد، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة.
- شرح ديوان الحماسة للخطيب التبريزي، تح: غريد الشيخ، وأحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. الأولى 1421هـ - 2000م .
- شرح ديوان الحماسة لأبي العلاء المعري، تح: حسين محمد نقشة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1411هـ - 1991م .
- شرح الرضي على الكافية الحاجب لرضي الدين محمد بن الحسن الأسترابادي، تح: يوسف حسن عمر، جامعة قار يونس 1398هـ 1978م.
- شرح شواهد العيني بهامش خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب لعبد القادر بن عمر البغدادي، دار صادر، بيروت.
- شرح ابن عقيل، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد.
- شرح التسهيل لابن مالك، تح: عبد الرحمن السيد، ومحمد بدوي المختون، دار هجر للطباعة، ط. الأولى 1410هـ - 1990م.

- شرح التصريح على التوضيح للأزهري، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت 1421هـ - 2000م.
- شرح ديوان الأعشى الكبير، تح: حنى نصر الحتي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط. الثانية 1414هـ 1994م .
- شرح الكافية الشافية لابن مالك، تح: عبد المنعم أحمد هريدي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.
- شرح المفصل لابن يعيش، عالم الكتب، بيروت، مكتبة المتنبي، القاهرة.
- الصحاح للجوهري، تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط. الرابعة 1417هـ - 1987م.
- الفصول المفيدة في الواو المزيدة للعلائي، تح: حسن موسى الشاعر، دار البشير، عمان، الأردن، ط. الأولى 1410هـ 1990م.
- معجم الفروق اللغوية الحاوي لكتاب أبي هلال العسكري وجزءا من كتاب السيد نور الدين الجزائري، تح: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم المقدسة، تنظيم: الشيخ بيت الله بيات، ط. الأولى.
- كتاب التعريفات للجرجاني، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط. الأولى 1426-2005م.
- كتاب الرد على النحاة لابن مضاء القرطبي، تح: شوقي ضيف، دار المعارف، ط. الثانية.
- كتاب سيبويه لأبي بشر عمر بن عثمان بن قنبر، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الجيل بيروت، ط. 1 .
- اللباب في علل البناء والإعراب لأبي البقاء العكبري، تح: غازي مختار طليمات، عبد الإله نيهان، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، ط. 1، 1416هـ - 1995م.

- لسان العرب لابن منظور، ط. الثالثة، دار صادر، بيروت 1414 هـ - 1994 م.
- الملحّة في شرح الملحّة للحريري، للصايغ، تح: إبراهيم بن سالم الصاعدي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط. الأولى 1424 هـ/2004 م.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية، تح: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت ط. الأولى 1422 هـ - 2001 م.
- المغرب في ترتيب المعرب للمطرزي، تح: محمود فاخوري و عبد الحميد مختار، الناشر: مكتبة أسامة بن زيد، حلب، ط. الأولى 1979.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب لابن هشام، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الشام للتراث.
- مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية، بيروت 1421 هـ - 2000 م.
- المفردات في غريب القرآن للراغب الأصبهاني، تح: محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، لبنان.
- المقتضب للمبرد، تح: محمد عبد الخالق عزيمة، عالم الكتب، بيروت.
- الموجز في قواعد اللغة العربية لسعيد الأفغاني، دار الفكر، بيروت، لبنان، ط. 1424 هـ - 2003 م.
- النحو الوافي لعباس حسن.
- النوادر في اللغة لأبي زيد الأنصاري، تح: محمد عبد القادر أحمد، منشورات جامعة الفاتح، ط. الأولى.
- همع الهوامع في شرح جمع الجوامع للإمام جلال الدين السيوطي، تح: د. عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة بيروت ط. 2، 1987. دار البحوث العلمية للنشر والتوزيع الكويت 1977 م.

الثروة المائية في ليبيا بين العرض والطلب

د. عمر إبراهيم المنشاز

المقدمة:

الماء هو الشريان الرئيسي الذي يمد الغلاف الحيوي بالحياة، إذ يرتبط وجود الحياة منذ فجر التاريخ إلى يومنا هذا بعدم انقطاع إمدادات هذا الشريان (المياه) إلى الكوكب الأرضي، حيث قامت الحضارات على روافد الأنهار كحضارات الفراعنة وبلاد الرافدين وغيرها، ولكن هذه المياه تواجه نقصاً حاداً في كثير من دول العالم، نتيجة لتزايد استهلاكها، وتدهور نوعيتها، وتزايد الطلب عليها مع المتطلبات المتزايدة للتنمية الاقتصادية والاجتماعية للمجتمعات، ومن ضمن الدول التي تعاني من النقص المائي المتزايد هي ليبيا، حيث تتعرض مياهها لاستنزاف شديد وطلب متزايد مع محدودية في التغذية لتعويض الفاقد، حيث قدر العجز في الميزان المائي من الموارد المائية 2000م بحوالي 3310 مليون م³ (1) وحسب تقرير منظمة الفاو 2013م حوالي 3720 مليون م³ (2).

مشكلة البحث: أدى الاستنزاف الشديد للمياه إلى نشوء عجز كبير في الموازنة المائية في ليبيا، وهذا العجز يتزايد بشكل متسارع مع زيادة الطلب على المياه بسبب الزيادة السكانية ومتطلبات التنمية، وفي مواجهة هذه المشكلة اتجهت ليبيا بشكل واضح لحل هذه المشكلة عن طريق استجلاب المياه من الخزانات الجوفية من جنوب ليبيا عن طريق مشروع النهر الصناعي (3) أي أنها اتجهت لزيادة العرض دون غيرها من الوسائل، مع عدم وجود

(1) أبو لقمة: الهادي، القزيري: سعد(تحرير)، الجماهيرية دراسة في الجغرافيا، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، 1995م، ص.

(2) تقرير منظمة الفاو، 2013م، AQUSTAT, ALAWUK-NE 10.3 Groundwater A tables، ص2.

(3) الهيئة العامة للمياه، دراسة الوضع المائي في ليبيا 2000-2025م، ص 7.

إستراتيجية واضحة لإدارة باقي الموارد المائية، وهذا لن يحل المشكلة على المدى الطويل نظرا لعدم وجود تغذية لهذه الأحواض، ومحدودية الزمن الذي ستضخ فيه المياه، إذ قدره الخبراء بحوالي 50 سنة من الضخ الاقتصادي فقط.

أهمية موضوع البحث: يسهم هذا البحث في توضيح أزمة المياه في ليبيا، وأنها لم تحل على الرغم من جلب مياه النهر الصناعي من الجنوب، كما يوضح الخطأ الاستراتيجي في التخطيط لحل مشكلة المياه في ليبيا، وذلك بالتركيز على زيادة العرض وبطريقة واحدة فقط لحل هذه المشكلة.

أهداف البحث: توضيح الصورة الحقيقية للوضع المائي في ليبيا.

1: توضيح الأخطاء التخطيطية على المدى الطويل لحل مشكلة المياه في ليبيا.

2: الوصول إلى حلول ومسارات رئيسية لحل المشكلة.

منهجية البحث: استخدم الباحث المنهج الوصفي التحليلي في وصف حالة ووضع المياه في ليبيا، وتحليل البيانات والمعلومات للوصول إلى حلول للمشكلة.

فرضية البحث: يفترض الباحث وجود مشكلة متفاقمة وخطيرة للمياه في ليبيا، وأن الأدوات والإجراءات المستخدمة متوسطة المدى لا تحل المشكلة على المدى البعيد.

الوضع المائي في ليبيا: تقع ليبيا في منتصف شمال أفريقيا بين خطي

طول. $18^{\circ}09' - 59^{\circ}24'$ شرقاً، وبين دائرتي عرض $45^{\circ}18' - 32^{\circ}57'$ شمالاً⁽¹⁾

(خارطة (1)) إن شريان المياه يرتبط بأوردة تمثل مصادر لجلب إكسير الحياة له، وتتمثل هذه المصادر في مياه الأمطار ومياه الأودية(المياه السطحية)، مع عدم وجود لمصادر مياه دائمة الجريان (خارطة(2) توضح الأودية في ليبيا)، مقرونة بمناخ صحراوي يشمل جميع مساحة ليبيا عدا بعض المساحات الصغيرة التي تقع على ساحل البحر، والتي تمتد

(¹) زكري: يوسف، مناخ ليبيا-دراسة تطبيقية لأنماط المناخ الفسيولوجي، أطروحة دكتوراه، جامعة منتوري،

قسنطينة، الجزائر، 2005م، ص5.

الأثر إليها في بعض الأحيان نتيجة العوامل المناخية، مع معدل سقوط للأمطار لا يزيد عن 100 ملم في 92% من البلاد⁽¹⁾. أما المياه الجوفية فتتمثل نسبة 95% من المصادر المائية في ليبيا.

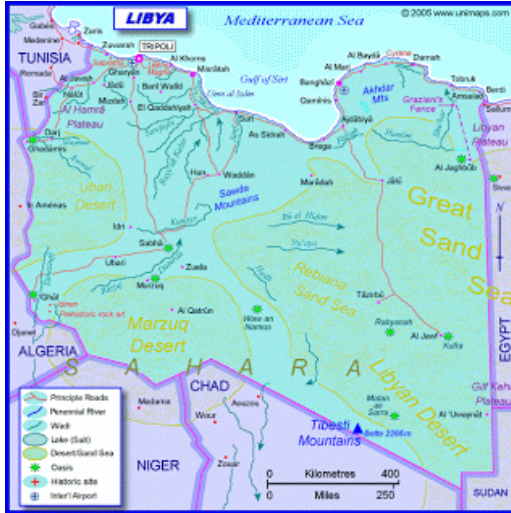
خارطة (1) توضح موقع ليبيا من شمال أفريقيا والعالم



المصدر: الهيئة العامة للمياه والمركز العربي لدراسات المناطق الجافة والأراضي القاحلة (أكساد)، 2005م

(1) الهيئة العامة للمياه، دراسة الوضع المائي في ليبيا 2000-2025م، مصدر سابق، ص2.

خارطة رقم(2) توضح الأودية في ليبيا



المصدر: www. Unimaps.com 2005

إن هذه المعطيات توضح لنا الظروف المكانية التي تعيشها ليبيا، والتي شكلت محدودية تغذية المياه الجوفية عن طريق مياه الأمطار المتذبذبة في الكمية والزمن والمكان، والتي تمثل المصدر الأول لتغذيتها في غياب مجاري المياه الدائمة، ولقد دلت الدراسات السابقة⁽¹⁾ أن ليبيا يتوفر فيها سنة 1994م حوالي 745 من المصادر الجوفية المتجددة، و600 مليون م³ عام 2013م حسب تقرير منظمة الفاو، و1600 مليون م³ من المصادر غير المتجددة، ولكنها متوفرة للسحب عبر منظومات النهر الصناعي على مدى 50 سنة من الضخ الاقتصادي، أي ما مجموعه 2345 مليون م³.

(1) تقرير منظمة الفاو، 2013م، AQUSTAT, ALAWUK-NE 10.3 Groundwater A tables، مصدر سابق، ص2، والغرياني: سعد، الأمن الغذائي في الجماهيرية وإمكانيات تحقيقه، مداوات الندوة العلمية حول الأمن الغذائي، مصراتة، ليبيا، 1994م، ص4.

وحسب تقديرات الهيئة العامة للمياه للوضع المائي 1990-2025م أن المتاح قد يصل إلى 2914 مليون م³ بحلول 2020م⁽¹⁾ (جدول (1) يوضح هذه التقديرات).
جدول رقم (1) يوضح تقديرات الوضع المائي في ليبيا 1990-2025م بالمليون متر مكعب: أولاً: الطلب على المياه

السنة	1990	2000	2010	2020	2025
الشرب	408	647	745	1512	1759
الصناعة	74	132	236	422	566
الزراعة	4275	4800	5325	5850	6640
الإجمالي	5757	5579	6576	7784	8965

المصدر: الهيئة العامة للمياه، دراسة الوضع المائي في ليبيا 1990-2025م.

ثانياً: المتاح للسحب:

السنة	1990	2000	2010	2020	2025
مياه متجددة	500	500	500	500	500
مصادر غير تقليدية	105	127	155	188	208
مياه النهر الصناعي	-	1642	2226	2226	2226
الإجمالي	604	2269	2881	2914	2934

ثالثاً: تقديرات العجز المائي:

السنة	1990	2000	2010	2020	2025
العجز	4153	3310	3395	4870	6031

المصدر: الهيئة العامة للمياه، دراسة الوضع المائي في ليبيا 1990-2025م، وباعتبار نتائج التعداد السكاني 2006م التي بلغ فيها عدد السكان حوالي 5.3 مليون نسمة، فإن

(¹) الهيئة العامة للمياه، دراسة الوضع المائي في ليبيا 1990-2025م، ص 7.

حصة الفرد لا تصل إلى 500 م³ سنوياً، وإذا ما اعتمدنا تصريحات رئيس مصلحة الأحوال المدنية في ليبيا 10 مارس 2018م بأن عدد سكان ليبيا مع نهاية 2017م بلغ 7.2 مليون نسمة⁽¹⁾، ومع 2020م يقدر عدد السكان في ليبيا بحوالي 7.7 مليون نسمة، لذا فإن حصة الفرد ستتناقص إلى حوالي 378 م³ سنوياً من المصادر المائية التقليدية وغير التقليدية بما في ذلك المياه الحفرية وغير المتجددة التي يجلبها مشروع النهر الصناعي إلى الشمال وفق أكثر النظرات تفاؤلاً، حيث إن التقرير العالمي لتنمية المياه 2015م يقدر حصة الفرد في ليبيا بـ 120 م³ سنوياً فقط⁽²⁾، فإذا ما اعتمدنا مؤشر الإجهاد المائي Water stress index التي قامت به مالين فولكينمارت⁽³⁾، وخط الفقر المائي الذي اتفق الكثير من الباحثين على أنه 1000م³ سنوياً⁽⁴⁾، فيمكننا بذلك أن نعتبر ليبيا من مناطق الإجهاد المائي رغم جلب المياه من الأحواض الجنوبية، نلاحظ من الجدول السابق أن مشكلة نقص المياه في تزايد واضح فالعجز في تزايد (يقدر بـ 4870 مليون م³ عام 2020، ويقدر بـ 6031 مليون م³ عام 2025م)، ولو استمرت التقديرات لمدى أطول لتفاقت بشكل كبير، وبخاصة مع توقف ضخ المياه من النهر بعد نفاذها، كما يجدر التنويه هنا إلى أن تقديرات المتاح غير دقيقة، فمياه النهر لم يستمر ضخها بنفس النمط المقدر، إذ تعرضت للإفقال عدة مرات، وزيادة الضخ في مرات أخرى نتيجة تدهور الأحوال الأمنية في ليبيا، كما أن بعض من المياه المتاحة تتعرض للتلوث مع ملاحظة والأخذ بعين الاعتبار المناخ الجاف لليبيا، حيث يرتفع معدل التبخر، وتنخفض

(1) شبكة المعلومات الدولية، صحيفة المتوسط، <http://www.almotawaset.com>.

(2) حميدان: ريماء، سياسات إدارة الموارد المائية في ليبيا، المنظمة الليبية للسياسات والاستراتيجيات، 2017م،

ص2. نقلاً عن: The United Nations World Water Development Report-2015.

(3) الغرياني: سعد، أزمة المياه وتواصل التنمية جدلية مستمرة، مؤتمر المياه الأول، قاربونس، 1995م، ص6.

(4) الأيوبي: فضل، حول أزمة المياه في الوطن العربي، الملتقى الجغرافي الأول، الزاوية، 25-29/5/1993م،

منشورات جامعة السابع من أبريل، ص16.

الرطوبة النسبية، وتزيد قابلية الهواء للتبخير وبخاصة عند ارتفاع درجة الحرارة في هذه العروض، والاستعمال المكثوف للماء نتيجة اللاوعي، تتكون ليبيا من خمسة أحواض رئيسية (خارطة (3)) ليست متساوية في العجز المائي، إذ يعد حوض سهل الجفارة الأكثر عجزاً كما هو موضح في الجدول (2) في الموازنة المائية، وتعرضت مياه هذا الخزان إلى الاستنزاف الشديد وتداخل مياه البحر، والهبوط الدائم لمنسوب المياه فيه؛ نظراً للكثافة السكانية العالية، والنشاطات البشرية الزراعية والصناعية فيه.

جدول (2) يوضح الموازنة المائية في الأحواض المائية في ليبيا بالمليون متر مكعب

الحوض	المتاح	المستهلك	العجز	ملاحظات
سهل الجفارة	240	1300	-1300	هبوط شديد في المنسوب وتداخل مياه البحر
الحمادة الحمراء	275	421	-146	هبوط ملحوظ للمنسوب في بعض المناطق
الجل الأخضر وسهل بنغازي	230	550	-320	هبوط ملحوظ للمنسوب في بعض المناطق مع تداخل مياه البحر
مرزق	2000	900	1100 +	يتم نقل المياه منه عبر النهر الصناعي
الكفرة والسرير	2010	700	1300 +	يتم نقل المياه منه عبر النهر الصناعي

المصدر: المهدي: جغرافيا ليبيا البشرية، جامعة قاريونس، ط2، 1990، ص93.

ونلاحظ أيضاً من خلال الجدول أن العجز يزداد مع عدد السكان، حيث يلي حوض سهل الجفارة ذي العدد الأعلى من السكان حوض الجل الأخضر وسهل بنغازي الذي يليه في عدد السكان، ثم المنطقة الوسطى المتمثلة في حوض الحمادة الحمراء. أما حوضي مرزق والكفرة فيتميزان بفائض مائي كبير، إلا أنه من الملاحظ ارتفاع قيمة المستهلك فيهما (900,700 مليون م³) والتي يستغل أغلبها في الزراعة، وقد يرجع ذلك إلى أن نسبة

التبخر عالية، فإنتاج الحبوب في الجفارة يحتاج إلى 3100م³/هكتار سنوياً، بينما يحتاج في حوض مرزق وحوض الكفرة إلى 10350م³/هكتار سنوياً، وتحتاج الأعلاف في الجفارة إلى 15000م³

هكتار سنوياً، بينما يحتاج في حوض مرزق وحوض الكفرة إلى 25000م³/هكتار سنوياً⁽¹⁾، إضافة إلى ما يسببه الري المتكرر في هذه الأحواض من تملح للتربة، الأمر الذي يضعف إنتاجيتها.

خارطة (3) توضح الأحواض المائية في ليبيا



(1) الهيئة العامة للمياه، دراسة الوضع المائي في ليبيا 1990-2025م، مصدر سابق، ص 11.

المصدر: الأطلس التعليمي، اللجنة الشعبية العامة للتعليم، 1985م، ص42.
الطلب على المياه والعوامل المؤثرة فيه:

"استهلكت الزراعة في سنة 1980م حوالي 461.5 مليون م³، وأن نصف هذه الكمية (217.5 مليون م³) تستهلكها أشجار الحمضيات والفاواكه"⁽¹⁾ الأمر الذي يطرح علينا تساؤلاً هاماً وهو: ما قيمة الحمضيات الغذائية حتى نرضى بأن تستهلك هذا القدر الكبير من المياه؟!.

إن سراب الوفرة* والعامل الاجتماعي هو الذي سبب في التثبث بهذه الأشجار المستنزفة للمياه، لذلك يجب الاتجاه نحو تنمية الإنسان في حد ذاته لأنه لا شك سيقف عائقاً أمام أي تصور لإدارة الطلب وتنظيم استهلاك المياه، إذ توجد مجموعة من القوانين البيئية الكافية إن نفذت وتوع تطبيقها، وهذا لن يتأتى سريعاً في الوقت الحاضر.

تلعب الزيادة السكانية دوراً كبيراً في زيادة هذه المشكلة، فتزايد أعداد السكان في ليبيا يزيد من استعمالات المياه في ظل الاتجاه نحو التنمية والتطور التقني والتكنولوجي، وتوفير الاحتياجات المائية لكل شخص وكل مزرعة، وبخاصة أن أهم أهداف التنمية الرئيسية في ليبيا هي الاكتفاء الذاتي من الغذاء، وتنويع هيكل النشاط الاقتصادي بالصناعة، والذي يتطلب صرف كميات أكبر من المياه التي أتفق على محدوديتها في ليبيا.

الإستراتيجية المتبعة ومخاطرها:

إن الأسلوب التقليدي المتبع حالياً لمواجهة الزيادة في الطلب بالبحث عن موارد جديدة (زيادة العرض) قد لا يكون مجدياً في المستقبل لسببين رئيسيين أولهما هو عدم وجود أي مصادر إضافية في ليبيا يمكن تنميتها بطريقة اقتصادية، وثانيهما أنه حتى في

(1) أبو لقمة: الهادي، لشرب من البحر، مجلة قاريونس العلمية، العدد(1)، السنة الثانية، 1989م، ص3.

حالة توفر مياه غير تقليدية ستستغرق فترة تنمية هذه المصادر زمناً طويلاً قبل الاستفادة منها في سد العجز المائي المتوقع، وبهذا فإنه لا يتم ترك أي مجال لتواصل التنمية⁽¹⁾، وبخاصة أن الاعتماد الأساسي على النفط في البرامج التخطيطية والنفط مثل الماء في بلادنا مورد قابل للنفاذ.

إنه بالعمليات الزراعية الحالية المستمرة في ظروف المناخ المتصف بالجفاف في ليبيا قد نُحوّل الموارد المائية من حالة سائلة إلى غازية لا يمكن استرجاعها، وبهذا نضع حجر الأساس في تحول أراضينا تدريجياً إلى أراض مملحة غير منتجة زراعياً (متصحرة)، وبالتالي المساهمة في زيادة المشاكل التي ستعانيها الأجيال القادمة التي من الممكن أن تستطيع معالجتها إذا عدّلت الاتجاهات الزراعية الحالية بحيث تقلل من الإجهاد للمياه كالاتجاه نحو التشجير بدل الاتجاه نحو زراعة البرسيم والشوفان (الأعلاف)، وزراعة الطماطم والدلاع إضافة إلى الحمضيات التي تستهلك قدراً كبيراً من المياه التي نحتاجها بشدة، ويزداد احتياجنا لها مع مرور الأيام.

الحلول المقترحة:

إن الاتجاه نحو زراعة أشجار معينة لا تستهلك قدراً كبيراً من المياه ونحتاج إلى ثمارها داخل الوطن أو خارجه يحقق عائداً مالياً كبيراً إذا ما زرع وفق توصيات الخبراء، كما أن هناك ضرورة لتعديل الاتجاهات التنموية نحو نشاطات تقلل من استهلاك المياه كالاتجاه نحو السياحة، واستخراج الثروة البحرية بحيث تحقق عائداً مالياً مستمراً يمكن به

(1) الغرياني: سعد، أزمة المياه وتواصل التنمية جدلية مستمرة، مرجع سابق، ص 5.

*: سراب الوفرة: ينشأ هذا التوهم من توفر المياه للسحب للسكان بدون انقطاع، مما يجعلهم يظنون أنها متوفرة، ويستهلكونها بإسراف، بينما في الحقيقة هناك أزمة حقيقية في توفيرها.

تمويل وتنمية موارد مائية جديدة من مصادر غير تقليدية لتعويض الموارد المائية المستنزفة والمستنفذة.

وباعتبار أن البيئة وحدة واحدة وكل متكامل، وأن كل مشكلة بيئية لا بد أن تؤثر في غيرها، فعندما يتم النظر إلى مشكلة نقص المياه لا بد أن يتم النظر في نفس الاتجاه ونفس القوة إلى مشكلة نقص الغذاء، ومشكلة الإخلال بالتوازن البيئي والتصحر والتزايد السكاني، وغير ذلك من مشاكل العصر المتعلقة ببعضها لنستطيع من خلال ذلك تكوين نظرة تمت إلى الواقع بصلة، وتستهدف وضع حلول عملية قابلة للتطبيق.

إن الأدوات والأساليب التي أدت إلى ازدهار التنمية الاقتصادية والاجتماعية الحالية هي نفسها التي بدأت تؤدي إلى بروز أضرار واضحة وفي بعض الحالات مدمرة للموارد المائية، وبقية الموارد البيئية، لذلك فلا بد من تفهم واستيعاب كيفية استعمال الأدوات والمفاهيم الاقتصادية وتسخيرها لحماية البيئة والموارد الطبيعية الأخرى بما في ذلك الموارد المائية، وأهم هذه المفاهيم التي من الممكن أن تسهم في حل المعضلة تكمن في التركيز على إدارة الطلب، والذي يهدف إلى محاولة ضمانة وجود الماء بكميات كافية وجودة مناسبة تلبي الاستعمالات البشرية المختلفة في الزراعة والصناعة والأغراض المنزلية مع تحديثها وتقنين أولوياتها، وحيث أن الظروف المناخية في ليبيا لا تلبي هذا الضمان فهذا يدعو إلى إتباع عدة استراتيجيات بالتحكم في عنصر أو أكثر من عناصر النظام الهيدرولوجي، إذ يجب الإقلال من الأشجار المستهلكة للمياه كالحمضيات، وبعض أنواع المزروعات كالطماطم والدلاع، وفي ذات الوقت يجب غرس بعض أنواع النباتات المقاومة للجفاف بشكل غابي، والذي يقلل من الجريان السطحي عند سقوط الأمطار، ويزيد من نسبة المتسرب في الأرض إلى المياه الجوفية مما يزيد من معدل تغذيتها، كما تقوم الأشجار بالتقليل من معدل التبخر من التربة، وبتظليلها مما يمنع عملية السحب من المخزون الجوفي عن طريق الخاصية الشعرية، يعد مشروع النهر الصناعي الذي أقيم من

ضمن الأدوات والأساليب التي استخدمت في حل المعضلة ولو كان مؤقتاً، فاستخدامه يعطي فرصة للخزانات الجوفية الشمالية لاستعادة عافيتها، والحد من تغلغل مياه البحر ولكن الاستنزاف الكبير الحالي مع زيادة في حفر الآبار الجوفية، ومحدودية المياه المنقولة من النهر الصناعي، وضعف معدل تغذيتها، والآثار المترتبة على نقلها يفرض علينا ضرورة مساندة هذا المشروع بإدارة الطلب لكي يحقق ما أنشأ من أجله.

كما يمكن الاستفادة من الزحف الإسمنتي وانتشار المدن والطرق والمطارات عن طريق إقامة الخزانات الأرضية المنزلية بتجميع مياه أسقف المنازل والمياه الجارية على السطوح الإسمنتية، وذلك للاستفادة من مياه الأمطار بأكبر صورة ممكنة فهي تسد على الأقل حاجة الإنسان في بعض الاستعمالات المنزلية، ومما يجعل هذه الفكرة عملية هي تجدد هذه المياه بسقوط الأمطار كل سنة والذي يؤدي بدون شك إلى الإقلال من كميات السحب من المخزون الجوفي ولو كان بنسبة ضئيلة، إذ يتضح هذا التأثير بالعمليات الترافقية والتي يمكن أن نحدثها لتعمل ككل إلى تآكل جسم هذه المعضلة...

إضافة إلى ذلك توجد العديد من الطرق التي يمكن تطويرها لتؤدي مهامها في توفير جزء مهم من الاحتياجات البشرية والصناعية والزراعية للمياه بإنشاء سدود لحجز المياه في ليبيا يمكن بإدخال التحويلات للاستفادة الأفضل منه بالحد من كمية الفاقد بالبحر، والتقليل من هذه النسبة التي تزداد في ليبيا نتيجة لمناخها الجاف، وذلك بتغطية سطح بحيرات السودان بطبقة من الفلين تمثل عازلاً بين الهواء والماء، أو باستعمال محلول الكانول كطبقة رقيقة عازلة.

ونظراً لأن سطح الماء يسخن من أعلى مما يزيد من معدل التبخر لذلك يمكن تخفيض درجة حرارة الماء بطريقة الخلط الرأسي مما يقلل من عملية التبخر، وبما أن الرياح تعمل على إزاحة طبقة الهواء المشبعة بالرطوبة من فوق سطح الماء، وإحلال هواء جاف آخر محله لديه القدرة الكبيرة لامتصاص بخار الماء، الأمر الذي يؤدي إلى ارتفاع

معدلات التبخر، عليه فإن أي عمل يقلل من سرعة الرياح فوق المسطح المائي هو في حقيقة الأمر يؤدي إلى التقليل من معدل التبخر، ومن ثم فكر الإنسان في عمل مصدات للرياح بالتشجير أو بإنشاء الأسوار حول بحيرات السدود.

كما توجد العديد من الحلول التي يمكن اتخاذها لتوفير الاحتياجات المائية بالاستفادة من المقومات الطبيعية لمناخ ليبيا، والاستفادة من خبرات الأقدمين في هذا المجال، إذ قام الفلاحون النبطيون بجمع الصخور الملساء حول جذوع أشجار الكروم، والتي تبرد سطوحها أثناء الليالي الصافية إلى أدنى من درجة التكاثف فيتكون الندى في قطرات تسيل إلى جذوع الأشجار، وفي النهار تقوم أكوام الصخور بتظليل التربة، ونقل من معدل التبخر منها، كما أن بعض الدراسات أثبتت أن في صحراء فلسطين يمكن تجميع 37 سم سنوياً من ماء الندى⁽¹⁾، لذلك فمن المهم جداً الاستفادة من هذا المورد غير المنظور لاستزراع بعض النباتات المهمة غذائياً، وذلك بإقامة ألواح باردة ومائلة تنتهي أقدامها عند جذوع الأشجار لتجميع قطرات الندى والضباب، هذا عدا امتصاص هذه الأشجار مباشرة عن طريق أوراقها لقطرات الندى والضباب، وبذلك يمكن توفير كمية كبيرة من المياه لري هذه المزروعات والتي كانت لا تستفيد منها كلها بل أغلبها يتبخر. ويمكن توفير كمية أكبر من المياه عن طريق استزراع السحب بنترات الفضة أو ثاني أكسيد الكربون، ولقد قامت ليبيا بإجراء بعض المحاولات للقيام بهذه العملية إلا أن شروطها المعقدة، وعدم ضمان مكان سقوطها، والمناقشات حول جدواها الاقتصادية حال دون الاستمرار في هذه العملية.

(1) امقلي: إحمد عياد، الندى في ليبيا، (بحث غير منشور).

وتعد عملية معالجة مياه المجاري إسهاما في توفير كمية من المياه صالحة للاستعمال الزراعي أو البشري حسب درجة تنقيتها إذ توجد فكرة لا تتطلب تقنية معقدة⁽¹⁾، وهي عبارة عن عدد من أحواض وخزانات تصمم خصيصاً لهذا الغرض تتم فيها تنقية مياه المجاري بيولوجياً لتتزع منها المركبات والعناصر الضارة والمسببة للأمراض مثل الفيروسات والبكتيريا والفطريات والديدان الطفيلية، وذلك بحجز مياه المجاري مدة زمنية طويلة، ومعالجتها في أحواض في الهواء ثم بمعزل عنه، والذي يؤدي إلى انخفاض تركيز المادة العضوية بالمياه، والذي يعمل على اكتفاء المزروعات عند ريها بهذا النوع من المواد العضوية، ولا تحتاج بذلك إلى أسمدة ومواد كيميائية مما يحقق ثلاث أغراض في ذات الوقت، وهي اتقاء مزار الأسمدة الكيميائية والمساهمة في حل مشكلة نقص المياه في ليبيا، ومشكلة التلوث البيئي بمياه المجاري.

كما حاولت ليبيا استخدام محطات التحلية لتوفير جزء من الاحتياجات المائية غير أن عمر هذه المحطات الافتراضي انتهى، وفي بعض الأحيان قبل أن تبدأ عملها⁽²⁾، وتراكمت عليها المشاكل من نقص قطع الغيار والفعالية... ناهيك عن مساهمتها في تلوث الهواء، لذلك فهي تحتاج إلى تجديد وتقنين لتنتم المساهمة بجزء من الاحتياجات المائية. ويمكن تطوير فكرة استخدام محطات التحلية، وذلك باستخدام مصدرين طبيعيين مهمين في عملية التحلية إذ من المعروف أن العامل الأساسي في زيادة تكاليف تحلية المياه هو مصدر الطاقة، وبذلك يمكن استخدام المصدر الطبيعي الأول الطاقة الشمسية، والمتوفرة في ليبيا، والمصدر الطبيعي الثاني مياه البحر، فلو استطعنا تحلية مياه البحر باستخدام الطاقة الشمسية لوفرنا مورد مائي دائم، ويلزم في هذا المجال تكليف مهندسينا باختيار

(1) بوسنيل:ساندرا، مواجهة ندرة المياه، الواحة الأخيرة(تر: أبو بكر العامري)، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، 1995م، ص23.

(2) أبو لقمة: الهادي، لشرب من البحر، مرجع سابق، ص7.

الطريقة الأمثل والأقل تكلفة في استخدام الطاقة الشمسية، والتي تنطلق من أساس بسيط يتمثل في تجميع الأشعة الشمسية لتكون مصدر حرارة قوي يتم من خلال ذلك التبخير مع توفير مسطح بارد ليحدث التكاثف عليه.

إن مشكلة نقص المياه تكرر مشكلات أخرى منها نقص الغذاء، وذلك بتحول الأراضي الزراعية إلى أراضي غير منتجة زراعياً نتيجة لتملحها، وبالتالي انخفاض مساحات الغطاء النباتي، وتناقص أعداد الحيوانات كنتيجة لنقص الغطاء النباتي مما يفقدنا بالتالي إلى نقص الغذاء الإنساني والمتكون من النبات والحيوان، وفي ظروف ندرة المياه، ومحاولة إدارة الطلب الذي قد يقلل من المساحات الزراعية المستغلة ويضبط الأنواع التي يمكن زرعها أو غرسها، يمكننا من إقامة مشاريع زراعية مشتركة مع بعض الدول العربية والأفريقية التي تسمح مواردها المائية بالتوسع الزراعي لتأمين الحصول على الغذاء، وتتقصها الموارد المالية مع التأكيد على ضمانات استمرار تدفق الغذاء من هذه المشاريع بتوثيق العلاقات الاقتصادية وتشابكها مع الدولة المختارة بحيث يصعب عليها منع تدفق منتوجات هذه المشاريع، أو اختيار أكثر من دولة لضمان التدفق، كما يمكننا إدارة الطلب بالتحكم في عناصر النظام الهيدرولوجي، واستخدام كل ما من شأنه تقليل التبخر من التربة، واستخدام الري بالتنقيط أو بالحقن، لكي نضمن عدم هدر الماء، وزيادة القيمة الفعلية للماء المستغل.

يتبين مما سبق ضرورة إدارة الطلب جنباً إلى جنب مع زيادة العرض وتوفير الماء لتضييق الخناق على مشكلة المياه ومحاصرتها، فالإتجاه نحو زيادة العرض وحده يكرس نظرة سراب الوفرة، والتي تعمل على زيادة النشاطات البشرية الإنتاجية وغير الإنتاجية، وإنشاء صناعات جديدة الأمر الذي يعمل على زيادة معدلات الاستهلاك الكلية للمياه، لذلك ينبغي الشروع في اتخاذ جميع الإجراءات العلاجية المتعلقة بإدارة الطلب وتطبيقها، فمن ملاحظة الوضع المائي في ليبيا يمكن القول أنه يوجد تضارب في

عمليات استخدام المياه، فهي من جهة سلعة تخدم الهدف الاقتصادي لغرض تحقيق إنتاج زراعي، وتطور صناعي، ونمو حضري، ومن جهة أخرى تمثل عصب حياة الإنسان بالدرجة الأولى ثم باقي الكائنات الحية والمجموعات الطبيعية الأخرى، من هذا التضارب في الاستخدامات يمكن القول بأنه للخروج من الأزمة يجب أن نختار بين الاثنتين طريقاً يميل إلى استعماله للشرب أولاً للحفاظ على الحياة ثم نستخدمه في الاستعمالات الأخرى على أضيق نطاق بما يخدم الإنسان.

الاستنتاجات والتوصيات:

على الرغم من التفصيل الذي أورد في البحث عن نتائج وحلول المشكلة إلا أنه يمكن الإيجاز في بعض النقاط المهمة:

- 1: اتضح أن السياسة المتبعة تركز على مدى متوسط، وليست إستراتيجية (طويلة المدى) بدليل تفاقم العجز الحالي، والمتوقع مع ضخ مياه النهر الصناعي.
- 2: ركزت الحلول في السياسة المتبعة على زيادة العرض ولم تركز على إدارة الطلب، حيث أشار تقرير الوضع المائي في ليبيا 2000-2025م إلى ذلك.
- 3: تم التركيز على بعض الجوانب فقط من زيادة العرض بدليل الإهمال الذي طال قطاع التحلية وتوقف كثير من المحطات.
- 4: استخدام الري بالتنقيط في التشجير وزراعة المحاصيل.
- 5: تغطية بحيرات السدود بطبقة عازلة لمنع التبخر.
- 6: يتم التوجه نحو أحد الخيارين التاليين: إنشاء مشاريع زراعية خارج البلاد، والاستفادة منها في المزروعات الأكثر استهلاكاً للمياه، أو استيراده إذا كانت أفضل من الناحية الاقتصادية.

- 7: الاهتمام بإدارة الطلب وبخاصة في قطاع الزراعة الذي يساهم باستهلاك نسبة عالية من المياه (يصل إلى 85%)⁽¹⁾، مع إنتاج ضعيف لا يبرر هذا الاستهلاك.
- 8: الاستفادة من الندى الذي قد تقارب كميته كميات سقوط الأمطار في مناخنا.
- 9: الاتجاه نحو تحلية مياه البحر بالاستفادة من مصادر الطاقة الطبيعية وهي: الطاقة الشمسية والرياح.
- 10: الاستفادة من الزحف الإسمنتي، وتجميع مياه أسقف المباني.
- 11: معالجة مياه الصرف الصحي بمحطات صغيرة يستفاد منها في ري الأشجار.
- 12: تحديد وتقنين الأولويات على أسس جديدة.
- 13: إحلال والتوسع في غرس أشجار جديدة مفيدة للإنسان أو الحيوان، ويمكنها تحمل ظروف الجفاف.

المصادر والمراجع:

- 1: الأيوبي: فضل، حول أزمة المياه في الوطن العربي، الملتقى الجغرافي الأول، الزاوية، 25-29/5/1993م، منشورات جامعة السابع من أبريل.
- 2: أبو لقمة: الهادي، لنشرب من البحر، مجلة قاريونس العلمية، العدد(1)، السنة الثانية، 1989م.
- 3: الأطلس التعليمي، اللجنة الشعبية العامة للتعليم، 1985م.
- 4: امقيلي: إمحمد عياد، الندى في ليبيا، (بحث غير منشور).
- 5: بوستيل: ساندر، مواجهة ندرة المياه، الواحة الأخيرة (تر: أبو بكر العامري)، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، 1995م.
- 6: تقرير منظمة الفاو، 2013م، 10.3 ALAWUK-NE AQUSTAT, Groundwater A tables.

(¹) الهيئة العامة للمياه، دراسة الوضع المائي في ليبيا 1990-2025م، مصدر سابق، ص 9.

- 7: حميدان: ريماء، سياسات إدارة الموارد المائية في ليبيا، المنظمة الليبية للسياسات والاستراتيجيات، 2017م، ص2. نقلاً عن: The United Nations World Water Development Report-2015.
- 8: زكري: يوسف، مناخ ليبيا-دراسة تطبيقية لأنماط المناخ الفسيولوجي، أطروحة دكتوراة، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2005م.
- 9: شبكة المعلومات الدولية، صحيفة المتوسط، <http://www.almotawaset.com>.
- 10: شبكة المعلومات الدولية، 2005 www. Unimaps.com .
- 11: الغرياني: سعد، الأمن الغذائي في الجماهيرية وإمكانيات تحقيقه، مداولات الندوة العلمية حول الأمن الغذائي، مصراتة، ليبيا، 1994م.
- 12: الغرياني: سعد، أزمة المياه وتواصل التنمية جدلية مستمرة، مؤتمر المياه الأول، قاريونس، 1995م.
- 13: المهدي: جغرافيا ليبيا البشرية، منشورات جامعة قاريونس، ط2، 1990.
- 14: قاسم: أحمد محمد، بعض الجوانب المرتبطة بالاستخدام الحالي والمستقبلي للموارد المائية في ليبيا، ص1، شبكة المعلومات العالمية، تم الاطلاع 2018/5/5م <http://www.kenanaonline.com>.
- 15: الهيئة العامة للمياه، دراسة الوضع المائي في ليبيا 2000-2025م.
- 16: الهيئة العامة للمياه والمركز العربي لدراسات المناطق الجافة والأراضي القاحلة (أكساد)، 2005م.

The Effectiveness of Teaching Grammar in Context: Teaching Conjunctions as an Example

Mohammed O. Ramadan

This study seeks to find out whether or not teaching conjunctions in the context can help improve these Libyan EFL learners' use of these devices. In so doing, a quasi-experimental design with pre- and post-intervention control group (CG henceforth) and treatment group (TG henceforth) was used to collect data. The results of pre-intervention results of both groups showed that the Libyan EFL learners experience different sorts of problems (namely misuse, underuse and overuse) in using conjunctions. An intervention course was then conducted where the TG was taught conjunctions in the context of their use in texts, while the CG was taught conjunctions in the traditional way (i.e. the way conjunctions are taught in the Libyan context). The post-intervention results for the CG showed little or no improvement in using conjunctions whereas the TG showed significant improvements in the use of conjunctions. This improvement was reflected in greater properties of correct use and fewer cases of misuse, underuse, and overuse. More diversity in using conjunctions was also evident, including in the TG participants' use of conjunctions which had not been used before. This suggests the need to move towards teaching grammar in context rather than in isolation, as currently is often the case in ELT in Libya.

Keywords: conjunctions, context, teaching, Libyan EFL learners

1. Introduction:

Libyan students, as many EFL Learners, face many English language problems. One which is often noticed in the writing of Libyan Learners of English as a Foreign Language (LLsEFL henceforth) is a lack of cohesion and coherence (El-Aswad 2002; Aldabbus 2008). In his work contrasting the composition processes involved in Arabic and English, El-Aswad (ibid: 307) argued that, generally speaking, one of the most common features in the writing of Libyan third year university students was the lack of cohesive devices in general and conjunctions in particular. This often made the writing unclear and, therefore, harder to follow. No doubt many factors contribute to this problem, but surely the lack or improper use of conjunctions is a major problem which contributes to the lack of cohesion in LLsEFL writing. It has been widely reported in previous studies (e.g. Halliday and Hasan 1976; Witte and Faigley 1981; that the use of conjunctions as well as other cohesive devices contributes greatly to the cohesiveness and coherence of texts. Since conjunctions are one of the essential requirements for a cohesive text, one would assume that their improper use would cause problems in its flow. From my own experience as a student and then a teacher in Libya, I have often observed that the use of conjunctions is problematic for LLsEFL. Therefore, this study aims to look at this issue and explore the sorts of the problems that LEFL have in using these devices and to try to test whether or not teaching conjunctions in context would help these learners improve their use of these devices.

2. Literature Review:

2.1 Definitions of English Conjunctions

Conjunctions are one type of rhetorical resources available in English for producing coherent discourse. They serve to both relate what has been said previously to what follows (as shown in examples 1a-1d above) so as to form a unified whole instead of a collection of irrelevant fragments, and specify the relationships among the discourse segments they unite (Greenbaum and Quirk 1990). Their explicit signalling of the connections between the segments renders them salient devices for shaping textual coherence. However, “conjunctive elements [i.e. conjunctions] are cohesive not in themselves but indirectly, by virtue of their specific meanings” (Halliday and Hasan 1976:226). This statement reveals a couple of significant aspects of the meaning of an expression when it functions as a conjunction. One is that a conjunction does not raise new propositions in a single integrated text; the other is that every conjunction has a central meaning which is enriched by the context. They can occur in more than one form, include coordinating (e.g. ‘but’, ‘and’) and subordinating conjunctions (e.g. ‘because’, ‘although’), adverbs (e.g. ‘however’, ‘moreover’) and prepositional phrases (e.g. ‘in addition’, ‘on the contrary’). In addition to the above categories, Conjunctions can link “units of discourse of differing sizes” (Biber et al. 1999:725). These units can vary from clauses to sentences, to paragraphs and even to longer expanses of discourse (Quirk et al. 1985). In Halliday and Hasan’s (1976:232) view, “cohesion is a relation between sentences, not a relation within the sentence”. The sentence here means an independent clause which consists of a subject and a finite verb which can be used on its own. As a result, fundamental criterion is that the minimal units connected must be no less than clauses. If the connected constituents were words or phrases, then the expression could not be incorporated into the

realm of conjunctions. Moreover, as mentioned earlier, cohesion is an inter-sentential relation rather than an intra-sentential one. The relationship which conjunctions represent must extend beyond the sentence in which they occur. Moreover, conjunctions mark the semantic relationship between linguistic segments they link. In the process of forming a coherent discourse, what conjunctions actually combine are propositional rather than grammatical constituents (Nunan 1999:304). Any two linguistic segments with an independent proposition can be placed side by side in a multitude of ways. Their association can consequently be constructed in numerous ways as well. The employment of a conjunction clarifies the relationship between two segments by the strength of the specific meanings it has. In the same vein, in defining conjunctions, Nunan (ibid) stated that they “make explicit the functional relationships between different ideas in a text”. Acting as landmarks, conjunctions signal how one idea relates to another (Leech and Svartvik 1994).

2.2 Importance of Conjunctions in Written Discourse

Although many people are in no doubt about the importance of this category of linguistic items, some may not see them as such. Those who believe that conjunctions are not an essential set of propositions, consequently, does not see that their underuse or misuse as causing serious breakdowns in communication, they probably look at conjunctions from the rather narrow perspective of grammar. In other words, conjunctions are seen in terms of their weight in grammar in comparison with other more important categories such as the tenses and passive voice. However, if one looks at conjunctions and their functions in a broader perspective, in terms of how they operate and function within longer stretches

of language (i.e. discourse) one would soon come to realise the significant and necessary role they play alongside other categories of grammar in signifying meaning. The importance of conjunctions in the production of good quality texts is strongly correlated with the functions they perform in written communication. Owing to “physical distance and temporal distance” (Brown 2001:304) between the writer and the reader, writing lacks the paralinguistic and kinetic channels such as facial expression, head or eye movement, gesture and tone of voice, available in spoken interaction. Lexicalization and syntactic structures become the principal media through which the writer can encode meaning (Tannen 1982, cited in Brown 2001). Writing, however, does involve numerous linguistic features carrying similar capabilities to those of paralinguistic to add support or emphasis and to convey the interlocutors’ attitudes in spoken discourse. Conjunctions are one of such linguistic features. And the appropriate use of conjunctions is an essential element for students to acquire as they learn to write, as asserted by researchers on discourse and writing pedagogy (e.g. McCarthy 1991). This necessity mainly derives from their signalling function. Conjunctions not only signal the logical flow of a text to the reader but also signal the writer’s line of thought toward the shape of his/her argument. That is, by using a conjunction, the writer is guiding readers in the direction of his/her argument by showing them the relationship between propositions such as in using a contrast, additive, and exemplification. In other words, the use of conjunctions, as Blakemore (1987:77) explains, help to minimise the effort needed by the reader to process the intended meaning by directing him/her towards the intended interpretation of our utterances. To fulfil the signalling function, conjunctions,

make discourse structures obvious, and notify the reader of the progression of discourse content. Communication in English tends to be sender-centred compared with Semitic (including Arabic) and East-Asian languages. For example, punctuation marks, which are considered to be essential in writing, did not exist in Arabic until recently (Othman 2004). In fact, even in modern written Arabic texts, punctuation marks are still not treated as important and, therefore, it is still not uncommon to read a written text with very few or no punctuation marks. Unlike in English for example, Arabic tends to leave the task of defining the boundaries of sentences and propositions in the text to the reader who is expected to work out these features from the co-text and context. In other words, there is more onus in Arabic on the reader to establish the intended meaning. In English, it is the writer's responsibility to make the focus and direction of a text lucid and thus it becomes more relatively important how the writer joins her/his ideas together. This then has a great deal to do with how successful the communication is. The employment of conjunctions can assist in easing the reconstructive role of the reader and accomplishing the goal of written communication more economically, since "connections reflect the writer's positioning of one point in relation to another in creating a text" (Basturkmen 2002:51).

As for reading comprehension, although research findings on whether or not conjunctions play a role in facilitating reading have been contradictory, many believe that they do contribute to reading comprehension. Geva (1992, cited in Innajih 2007), for instance, found that the better university level EFLLs handled the logical implications of conjunctions in reading tasks, the better

they could integrate and understand textual information. Moreover, conjunctions convey the writer's attitudes and emphases on the arrangement of discourse proposition. In contrast with other constituents of clauses, conjunctions have a "relatively detached role" (Quirk et al. 1985:631). They are not an indispensable part of the prepositional content of the sentences which they join. However, their absence does remove a powerful clue about the writer's perception of the connections between antecedent and subsequent ideas. Conjunctions allow the writer to mark the development of their arguments and reflect the decision to highlight certain relationships in the text to accommodate the reader's understanding. Through this mechanism, the writer obtains the power to manoeuvre information flow in order to constrain what can be recovered from the discourse, and guides the reader towards the writer's preferred interpretations so that his/her intentions can be accurately inferred (Biber et al. 1999). Conjunctions, hence, play a critical role in facilitating the progress of written communication, and EFLLs should be trained in their use so as to lower the possibility of misinterpretation in their writing. However, mastering the use of conjunctions is a challenging undertaking for EFLLs who are not always capable of taking advantage of conjunctions and difficulties are often encountered.

2.3 Sources of Difficulty Among EFLLs in Learning Conjunctions

The difficulty that encounters many EFL learners in learning can be largely attributed to two sources: the linguistic nature of conjunctions (Tanko 2004) and the other concerns the teaching of conjunctions (Crewe 1999; Milton and Tsang 2003). The

linguistic factors which make learning conjunctions difficult are their semantic, syntactic and discourse-functional characteristics. The first difficulty stems from the abstract and ambiguous meanings of conjunctions. To master the use of a conjunction, EFLLs need to know the meaning of the word (Steffani and Nippold 1997). However, the meaning of conjunctions is often elusive, which makes it hard for learners to appreciate their essence. “Although it seems likely that the commoner, more comprehensible ones [conjunctions] can provide a clue to the logical structure of text, many others are too abstract or too opaque to offer much help” (Wright and Leung 1985:61). The cause of such elusiveness can be explained in accordance with Blakemore’s idea of procedural meaning. Blakemore (1992) proposed that conjunctions do not have a conceptual meaning, which specifies a definite set of semantic features, in the same way of lexical items such as ‘boy’ and ‘girl’ do, but they only have a procedural meaning which contains instruction on how to manipulate the representation of conceptual meaning in a text. Another source of difficulty also related to the meaning of conjunctions is their hidden nuances. Parrott (2000) pointed out that clear differences in meaning between conjunctions are often exceedingly subtle. For instance, how to distinguish the use of the conjunction ‘besides’ from ‘moreover’ can be confusing. Although these two conjunctions perform similar functions to signifying an additional point in an argument, the difference is that ‘besides’ is considered to be more proper under certain circumstances. The other source of difficulty for EFLLs originates in the various kinds of syntactic categories conjunctions can occupy. Conjunctions are composed of three types of origins: coordinating and subordinating conjunctions, adverbs, and

prepositional phrases. Examples of these three types are: ‘but’ as in ‘we went to the park, but we did not have time for the museum’; ‘although’ as in ‘they went running, although it was very hot’; and ‘however’ as in ‘the new measures taken by the government seem to be effective. However, there are still many challenges ahead’, and ‘in spite of’ as in ‘in spite of the bad weather, many people managed to go out’. Moreover, the multiple functions of conjunctions can be a further source of difficulty. The main role conjunctions play in written discourse is to serve to specify the semantic relations between linguistic units. For example, the role of ‘but’, in ‘They tried but did not succeed’ is to explicitly show the contrastive relationship that exists between these two clauses. However, McCarthy (1991) indicated that the relationship between conjunctions and their semantic functions cannot always be established on a one-to-one basis. Many conjunctions in English can signal more than one semantic function. For instance, in Quirk et al.’s (1985) model of classification the conjunction ‘in other words’ is located in the appositive category and in the inferential category as well as in the reformulatory group in the contrastive category. The final source of difficulty in learning conjunction is the methods of teaching them (Milton and Tsang 2003; Tanko 2004). While introducing these devices, writing textbooks normally provide learners with lists of conjunctions categorised according to their semantic functions, such as adversative or causal relations, without further explanation of the semantic, syntactic and stylistic restrictions of individual conjunctions. Zamel (1983:24) argued that “because these lists do not demonstrate how cohesive devices establish the logical relationship between the ideas presented, they are ineffective as an aid in teaching these links”. For lack of context,

such lists are neither able to assist students in identifying the types of linguistic elements conjunctions usually occurs with, nor are they able to assist students in comprehending the scope of the linguistic units that conjunctions can span. The way conjunctions are presented may also lead students to conclude that words under the same functional category are equivalent and interchangeable. In fact, even though conjunctions under the same category do share similar semantic functions, there are many subtle nuances of their meanings. In addition, conjunctions belonging to the same category could relate to dissimilar parts of speech and carry different grammatical weight. EFLs who follow the advice and alternate conjunctions with one another can jeopardise the readability of their compositions because the apparent alternatives may represent different logical or illogical progressions in an argument.

2.4 Presentation of Conjunctions in Libyan EFL Textbooks

In the textbooks that I reviewed, the textual cohesion was in most cases non-existent. In some cases where cohesive devices were introduced; they are done so inconsistently and in a potentially misleading way. Conjunctions, as with many other grammatical elements, are still very much considered at the level of the sentence in most Libyan EFL text-books. The following is an example of how conjunctions are presented in some Libya EFL text-books:

Table 1: An example of how conjunctions presented in one of the Libyan EFL text-books

Additive words	Also, and, as well as, besides, equally important, further, furthermore, in addition, likewise, moreover, too, not only....but also.
Amplifications words	As, for example, for instance, in fact, such as, that is, to illustrate.
Contrast words	But, conversely, despite, even though, however, in contrast, on the one hand/on the other hand, although, whereas, yet, nevertheless, on the contrary, in spite of this.
Cause and affect words.	Accordingly, as a result, because, consequently, for this reason, since, as, so, then, therefore, thus.
Summary words	Finally, in conclusion, in short, to sum up, to conclude.

Although teachers may provide one or two examples to illustrate the function of each conjunction, and, in some cases translate these conjunctions into Arabic in order to help the learners understand their meanings, presenting conjunctions in such a list does not help learners to understand their meanings and functions. This is simply because conjunctions are introduced out-of-context and without considering their functions in discourse. As Borkin (1978, cited in Zamel 1983:24) argued, presenting conjunctions in a list is absurd since it gives learners the wrong impression that they express similar logical relationships. These conjunctions cannot be understood without taking into consideration the discourse contexts in which they appear. Dubin and Olshtian

(1980:356) also pointed out that teaching conjunctions in lists can be misleading because it fails to recognise that “the most important characteristic of cohesion is the fact that it does not constitute a class of items but rather a set of relations”. Widdowson (1978:15) made the same type of criticism of materials and teaching strategies that focus on the conjuncts to be learned rather than on how these links make contextually related ideas clear and logical. Many other problems are created for EFLs when they are given such lists. Some conjunctions may have more than one function in English. For example, ‘since’ can be used to signal time, as in ‘since I arrived here, the weather has been awful’ or it can signal cause, as in ‘since they did not study hard, they failed the exam’ (Zamel 1983:25). Another problem with teaching conjunctions in lists is that it classifies conjunctions according to their functions, and thus ignores their semantic and syntactic restrictions, giving the student the wrong idea that they can be used interchangeably (ibid: 22). For example, ‘however’ and ‘but’ cannot replace ‘on the contrary’, despite the fact that they are, according to the list given above, classified in the same category. What makes things worse is not only the way conjunctions are introduced, but also the exercises designed as a follow up. These exercises are designed on the sentence-level and do not really lead learners to appreciate how conjunctions function in a broader context, as further demonstrated in the following exercises:

6.1 Re-write the following sentences using ‘although’ as in the example below:

Example: *She has a car. She comes to work by train.*

Although she has a car, she comes to work by train.

- 1- It was raining. She went out.
- 2- She was hungry. She did not eat well.
- 3- Ahmed is smart. He didn't do well in the test.

6.2 Re-write the following sentences filling in the blanks with 'unless' or 'therefore':

- 1- He cannot go _____ she comes.
- 2- _____ you speak to her she won't eat her food.
- 3- She is smart _____ , she will pass her exams.

2.5 Previous Studies

As discussed earlier, conjunctions are relatively difficult linguistic items for EFLLs to learn due to their complexity and ambiguity. Moreover, this difficulty is compounded by inappropriate teaching techniques and materials. The combination of these two factors seems to have contributed to their problematic nature for EFLLs. Numerous research studies (e.g. Field and Yip 1992; Granger and Tyson 1996; Altenberg and Tapper 1998; Milton and Tsang 2003; Bolton et al. 2003; Tanko 2004; Jalilifar 2009, among others) have been conducted in the last two decades on the use of conjunctions in EFLLs' written discourse, Crewe (1999:317) has even claimed that the misuse of conjunctions is "a universal" feature of EFLL writing. Although no clear evidence was cited to support this claim, the immense interest to investigate the use of these devices by EFLLs from different L1 backgrounds (e.g. Chinese, French,

Swedish, Hungarian, Iranians, Turkish, Lithuanian, Taiwanese, Hong Kong, Japanese, Spanish, and German) may to some extent justify his claim. Whether or not the misuse of conjunctions is universal is an open question. However, what seems to be agreed on in the literature is that their use is often problematic for EFLs. Moreover, most of these studies (e.g. Field and Yip 1992; Granger and Tyson 1996; Crewe 1999; Zamel 1999; Altenberg and Tapper 1998; Milton and Tsang 2003; Bolton et al. 2003; Tanko 2004; Jalilifar 2009) categorically agree that the main source of all sorts of problems EFL learners encounter in using these devices is mainly due to the methods of teaching conjunctions. However, despite this widely shared view, no study, to the best of the present researcher's knowledge, has yet empirically tried any technique or method in order to help to overcome those difficulties. This study, therefore, hopes to contribute to the existing and relevant literature by empirically testing whether or not teaching conjunctions in context could help in improving EFL learners use of these devices.

3. Methodology

3.1 Research Question

The study is designed to answer the following research question:

- To what extent does the teaching of conjunctions in the context of reading lead to improvement in the use of these devices by Libyan students under study?

3.2 Research Method

To achieve the present study stated aim and question, a quasi-experimental was chosen as a method for gathering the needed

data. In educational research, it is well known that one of the researchers' tasks is to find weaknesses in particular educational phenomena in order to suggest possible remedies. As Bouma and Atkinson (1995:126) reported, "while the other research designs provide useful information, experimental design can provide the most rigorous test of a hypothesis which specifies that X causes Y". Experimentation is defined by Campbell and Stanley (1972:1) as "research in which variables are manipulated and their effects upon other variables observed". In the present study, every effort was made to control all variables that could potentially affect the results. By adopting an experimental approach many issues in education such as comparing one method of teaching or material with another can be considered. However, experimentation has its limitations because, as Campbell and Stanley (1972:4) stressed, "it is a refining process superimposed upon the probably valuable accumulations of wise practice". It is well known that the manipulation and control of all variables can only be applied in a laboratory with inanimate objects. In education, where participants are humans, ethical and legal constraints have also to be considered. Thus, for the reasons mentioned above, the type of experiment taken into consideration the participants' circumstances and the regulations applied by the educational authority in Libya. This ensured that the study was conducted in an atmosphere which students would normally experience in their regular classes, thus preventing affects which could be claimed to have impacted on the study participants' performance in the experiment.

3.4 *Study Participants*

Participants chosen for this study were fourth year English major students at the University of Sirte, Libya. Fourth year students were selected based on the assumption that they were in their final year at university and, at this level, they should have higher proficiency in English and therefore they would be expected to make fewer mistakes. Table 3.1 below summarizes information about the study's participants.

Table 1: Some background information on the study's participants

No	Nationality	L1	Age	Sex		Type of school	Years of Learning English	English Proficiency
				F	M			
20	Libyans	Arabic	21-24	18	2	Public	10 years (7 years pre- university, 3 years at university)	Fourth year undergraduate /upper-intermediate

As illustrated in Table 3.1, the majority of the participants were female and ages ranged between 21 and 24. All participants were NNSs of English, shared Arabic as their L1 and had studied in state-run public schools. They had all been studying EFL for at least 10 years. Moreover, none of them studied in an English-speaking country and their level of English, according to proficiency standards in the department, was considered to be an upper-intermediate. 20 students took part in this study and they were randomly divided into a CG and TG each consisted of 10 students, as further explained in the next subsection.

3.5 Allocation to the CG & TG

An announcement was made on the department's notice board for fourth year students who might be interested in voluntarily taking part in the study. Initially 33 students came forward and agreed to take part in the study. However, at a later stage, some of the students, for various reasons, asked to be excused from the study. All in all 20 students were happy to stay and take part in the study. The next step was then to divide participants into a CG and a TG. In order to ensure random allocation to the two groups, I assigned a number to each participant, and then used a computer program available online to randomly assign the participants to the CG and TG.

3.6 Intervention Course

3.6.1 Treatment Group

Table 3.2 below provides some information regarding the intervention course including its location, number of participants and their ages and English proficiency levels. The number and the length of sessions in the intervention are also included.

Table 2: خطأ! لا يوجد نص من النمط المعين في المستند. Summary of the intervention course

Location	Department	English Language and Literature
	University	University of Sirt
	City/ Country	Sirt/Libya
Participants	No	10 Libyan Fourth Year EFL undergraduates
	Gender	9 females/1 male
	Ages	21-24
	English Proficiency	Upper intermediate

Duration of the Intervention	8 weeks	
Number and length of sessions	No of sessions	12 sessions
	Length of session	70-90 minutes
Teacher	The present researcher	

3.6.1.1 *Materials & Instructional Activities*

Twelve texts were selected to be used in teaching conjunctions to the TG. These texts were carefully selected in consultation with the reading tutor in the department to suit the level of the students. The texts were of different types and represented different genres (e.g. book introductions/ and newspaper articles, see appendix B for samples of these texts)) and were of suitable length for the duration of the class and other activities. For a detailed account for the instructional activities for the TG and TG please refer to appendix C)

3.6 *Measuring Instrument*

3.6.1 *Pre- and Post- Intervention Tests*

The pre- and post-intervention test compositions written by the present study's participants were used to measure the learners' use of conjunctions. The pre-intervention compositions were used first to measure the participants' prior knowledge of the use of conjunctions. Following the intervention, both groups were then post-tested in order to measure any improvements in their use of conjunctions compared to the pre-intervention test. When administering the pre-intervention test, neither group was told of the purpose of the exercise. Participants were merely told that it was a data gathering exercise but they should do their

best. At this stage, it was important that participants were not aware of the focus of the exercise as their writing should be as uncontrived as possible. In the post-intervention test, participants were informed that the exercise was similar to the initial exercise (the pre-intervention) and since they had just finished the course on conjunctions, it would be a measure of their ability in using them.

3.6.1.2 Content and Format of Pre- and Post-intervention Tests

Argumentation was chosen to be the mode of the compositions. There were two reasons for choosing this mode. Firstly, there were greater opportunities to elicit a maximum possible number of conjunctions using this mode. Field and Yip (1992:18) contended that conjunctions “are likely to feature much more prominently in argumentative writing than in a description of a holiday outing”. The CG and TG were required to write an essay of 350/400 words on one of the following topics:

- In recent years, the education system has witnessed some changes such as the introduction of the new Curriculum which is known as the “Cooperative learning Curriculum”.
- Women’s lives in the Libyan society have seen dramatic changes over the last twenty years. Some people believe that these have given women a greater role in society and therefore women are now more active and effective in society where others people argue that women’s lives have, in fact, become worse due to these changes.
- Many people around the world believe that war in Yemen is totally unjustified. Others, however, argue that there were good reasons for it.

3.7 *Selection of Conjunctions*; The selection of conjunctions in this study was based on Halliday and Hasan’s (1976) taxonomy of conjunctions (See Appendix A).

3.8 *Extraction of Conjunctions*, Each instance of a conjunction was highlighted and recorded manually in the present study as shown in the following excerpt:

...For example, the students in primary stage need an easy course at subjects and the content of those subjects should be clear. Moreover, I also think that the number of subjects is important because at this stage the learners can't not be able to get many much information at this stage and age... (ESSAY: PTTG46).

To be marked as a conjunction, the expression must be in Halliday and Hasan's list (see appendix A). Moreover, they must satisfy the conditions of the definition of conjunctions discussed above. In terms of grammatical status, conjunctions must belong to one syntactic category which constitute conjunctions; that is, coordinating (e.g. 'and', 'but'), and subordinating conjunctions (e.g. 'because'), adverbs (e.g. 'however', 'nevertheless'), or prepositional phrases (e.g. 'in addition', 'in other words'). Secondly, conjunctions must connect linguistic units within and/or above the sentence level.

3.9 Definitions of Misuse, Underuse and Overuse

For the purpose of carrying out the error-analysis of students' compositions, three major problems were identified and they are defined operationally as shown in Table 3.4:

Table 3.4: Definitions and examples of misuse, underuse and overuse of conjunctions. خطأ! لا يوجد نص من النمط المعين في المستند.

Categories	Definitions	Examples
Misuse	1-The conjunction used is not consistent with the relationship that exists between the sentences it connects.	I think the old generations of people know better than the young people don't have wise decisions because of this life as our grandmother and grandfather. The young generation have advantages because they have like mobiles, TV, and electronic games and others goods that they didn't have in the past days. (ESSAY: PRCG35, Appendix 1)
	2-The conjunction used is often associated with a different register such as spoken/informal.	1-....After what happening in USA in September the crazy and they say they wanted to kill all terrorism in Iraq was occupied because of its religion because of this country... By the way , may be they will come next time to the Arabic or Muslim countries saying they wanted to

		PRCG15, Appendix 4)
Underuse	1- A conjunction is not used where it is needed.	The education ministry always try for changes and changes in the education system to improve it better. Six years ago they introduced the postgraduate studie students now able to now do masters and in other PhD. [However] The postgraduate system is still no needing many of improvements. [Thus/Therefore] students like to go to other countries and complete th (ESSAY: PRCG14, Appendix 4)
Overuse	1-The use of a particular conjunction that has appeared repetitively in an essay when it is not necessary.	...I know other things in the world better than the w and we can spend the world money and resources fo And we can spend the money to help the poor people any foods and waters in some areas in the world. A spending the money and resources and in how we o the planet what called the climate change in the w should concerned in how to make the energy res futures. And the money for the war of Iraq can be sp drugs and diseases such AIDS and is killing millic countries and in parts...(ESSAY: PRCG13, Appendix 4)

3.9 Data Analysis Method

The data was analysed quantitatively using manual and statistical analysis and qualitatively using text analysis. The manual analysis was conducted by manually counting all cases of correct use, misuse, underuse, and overuse in each essay and the total use of each category was then counted in all essays and the sum was multiplied by 100 and divided by the total sum of all conjunctions used in each group's individual essays to obtain the percentage of use in each category. For instance, in order to obtain the percentage of correct use in the CG, the number of correct uses (70) was multiplied by 100 (=700) which was then divided by the total usage of this category (285) which gives us the percentage of the correct use of 24.56%. As for the statistical analysis

(using SPSS, version 2007), a paired-sampled t-test was conducted to see if any statistical significant improvement has occurred after the intervention.

4. Results & Discussion

4.2 Pre-Intervention Results

4.2.1 Overall Frequency of Conjunctions

Table 4.1 below presents the total number of words and the total conjunction tokens in the pre-intervention data. The frequency of conjunctions based on 1,000 words is also given to facilitate a comparison with the overall figures. This is because there seems to be a marginal difference in the length of essays written by the two groups. Information about the number of conjunction types used by the two groups is shown last. Table.4: Summary of total number and types of conjunctions per words

Groups	CG	TG
Total number of words in the essays	6883	6939
Number of conjunctions	285	303
Conjs. per 1000 words	41.15	43.66
Types of conjunctions	18	21

As can be seen in the above table, out of a total of 6883 words used in the CG essays, 285 conjunctions were identified whereas in the TG 303 conjunctions were employed out of a total of 6939 words used in all their essays. This suggests that the groups are very similar in the frequency of using conjunctions.

4.2.2 Pre- intervention Results in the CG & TG

4.2.2.1 Results of Misuse, Underuse and Overuse

As revealed in the table below, misuse is the most common feature in the pre-intervention data. Table 4.2 also reveals that in the CG conjunctions were misused 101 times out of 285 times. The situation is similar in the TG where conjunctions were misused 118 times out of 330 times the essays. As for the underuse, both experimental groups were similar in their levels of underuse, indicating that participants did not use a conjunction in about 30% of the occasions where they could (or should) have done so. However, although these figures are useful in giving us a general picture overall underuse, another look at underuse in each semantic category was needed in order to find out whether or not specific semantic categories tended to be underused. Finally, the overuse is the third most common feature in our data. Although the overall total of overuse, according to Table 4.4, is slightly higher in the TG than in the CG, their percentages are almost identical. This slight difference of overuse between the two groups is probably due to the fact that, TG participants used more conjunctions in general than those in the CG.

Table.5: Use of conjunctions in CG and TG pre-intervention

Groups		Correct Use	Misuse	Underuse	Overuse	Total
CG	Number	70	101	85	29	285
	Percentage	24.56%	35.45%	29.82%	10.17%	100%
TG	Number	77	118	100	35	330
	Percentage	23.4%	35.7%	30.3%	10.6%	100%

4.3 Post-intervention Results

4.3.1 CG Post-intervention Results

As can be seen from below (Table 4.8), there has been almost no improvement in the CG's use of conjunctions. In fact, the results suggest that in the categories of misuse and overuse, performance seems to have deteriorated in the post-intervention test. Although it is not clear why this happened, it might be merely because participants used more

conjunctions in the post-intervention test. This might be because, even though participants were not told about the focus of the intervention, in the fear that this might affect the outcome of the study, focusing specifically on conjunctions could have led to the production of more of them. Another reason could be that participants might have been told by someone in the department about the aim of the study (i.e. to investigate the use of conjunctions), which could have given them the impression that they should use more conjunctions in their writing. What is important to note here, however, is that despite the increase in the quantity of conjunctions used in the post-intervention test, the quality of their use did not improve. According to Table 4.8, the only category which seems to have improved in the post-intervention is underuse. Again, this is not surprising taking into account, as just mentioned, that the number of conjunctions used is higher than in the pre-intervention test.

Table.6: Summary of use of conjunctions in CG pre and post-intervention

Test-type		Correct Use	Misuse	Underuse	Overuse	Total
Pre-intervention	Number	70	101	85	29	285
	Percentage	24.56%	35.45%	29.82%	10.17%	100%
Post-intervention	Number	77	146	71	45	339
	Percentage	22.6%	43.5%	20.7%	13.2%	100%

Even though the results so far reveal no clear improvement between the CG pre- and post-intervention results, a further t-test was conducted to ensure that there was no statistically significant improvement. The mean and the standard deviations of the scores are shown in Table 4.9 below.

Table.7: Mean and standard deviation of CG pre- and post-intervention results

Category	Test	Mean	SD
Correct use	Pre-intervention	2.19	1.030
	Post intervention	2.41	0.946
Misuse	Pre- intervention	3.75	1.391
	Post- intervention	4.25	1.270
Overuse	Pre- intervention	1.13	0.942
	Post- intervention	1.41	0.946
Underuse	Pre- intervention	2.69	1.281
	Post- intervention	2.22	1.408

A paired-samples t-test was selected for this comparison of the results for the same group. The null hypothesis here states that 'there was no significant difference between the means of the CG's pre- and post-intervention results. The level of significance was chosen to be 0.05, as commonly used in the social sciences. The t-test was conducted on all categories of use (i.e. correct use, misuse, underuse and overuse) and the results are shown in table 4.10:

Table.8: CG pre- and post-intervention t-test results

Category	Test	Mean	SD	P-value
Correct use	Pre-intervention	2.19	1.030	.344
	Post intervention	2.41	0.946	
Misuse	Pre- intervention	3.75	1.391	.084
	Post- intervention	4.25	1.270	
Overuse	Pre- intervention	1.13	0.942	.174
	Post- intervention	1.41	0.946	
Underuse	Pre- intervention	2.69	1.281	.150
	Post- intervention	2.22	1.408	

As shown in the Table 4.10, all probability values are greater than the threshold value of 0.05. This means that there were no statistically

significant differences between the means of the CG pre- and post-intervention results. This suggests that the traditional teaching programme has had little or no effect on the CG use of conjunctions.

4.3.2 TG Post-intervention Results

The results presented in table 4.11 below indicate that although the number of conjunctions used in the pre- and post-intervention tests are very similar (330 and 340 respectively), there have been clear improvements in every category in the post-intervention test. For example, in the pre-intervention, participants used conjunctions correctly 23.4% of the time whereas in the post-intervention they were used properly 60.58%, an increase of 37.18%. This improvement is attributed to the effect of the intervention where participants were shown how conjunctions function in texts and how NSs use them in real life communication. This way of teaching grammar rules meaningfully facilitates the learning of structure of the target language. Krashen (1981) stated that grammatical structures can be internalized if learners are situated in a particular context in which they use the structures for authentic communication.

Table.9: Use of conjunctions in TG pre-intervention results

Groups		Correct Use	Misuse	Underuse	Overuse	Total
Pre-intervention	Number	77	118	100	35	330
	Percentage	23.4%	35.7%	30.3%	10.6%	100%
Post-intervention	Number	206	58	46	30	340
	Percentage	60.58%	17.5%	13.52%	8.85%	100%

Having looked at the quantitative results which suggest a substantial improvement in the TG, the qualitative results are presented and discussed next to see how the improvement suggested by the quantitative results is reflected in the participants' actual use of conjunctions.

i. Correct use

As pointed out above, correct use increased significantly in the post-intervention test. This is further supported by the qualitative analysis which shows that participants had begun to use conjunctions more appropriately in the post-intervention, as illustrated in the following examples:

Example (1a/pre-intervention)

...(1) *I think the old generations of people know better than now. Today young people don't have wise decisions because they don't learn from this life as our grandmother and grandfather.* (2) *Moreover, the young generation have advantages because they have technologies like mobiles, TV, and electronic games and others good things that didn't have in the past days...* (ESSAY: PRCG35).

Example (1b/post-intervention) *...The system of education changed as a result of society changes. Moreover, the system of education changes also reflect changes of people changes and the society in general...The changes like these are very important to improve the system and improve it better for the students and the teachers. However, I see only on problem for me with the changes which that no one tested the changes before they apply we try it in our education. Finally, changes can lead to good and better things but we need carefulness in doing them and try to test gradually and no overnight.* (ESSAY: PTTG5,).

These two extracts were written by the same participant. This student writer used one conjunction in the pre- intervention test but it was used inappropriately since it did not indicate the relationship that existed between sentences 1 and 2. In the post-intervention test, however, the

student writer used four conjunctions and they were all used appropriately. The student writer in example 1b seems to have been aware of the relationship between his/her sentences, which helped him/her to choose the appropriate conjunctions. This improvement in the participants' understanding of the relationship between sentences and paragraphs is, I believe, probably due to the intervention where great attention was paid to how ideas and arguments develop in a text and how conjunctions and other linguistic devices are used to signal these developments. One of the activities included in the intervention, for example, aimed to raise the learners' awareness of patterns in the texts. This involved presenting learners with examples of texts that show coherence and cohesion. The students read through the text individually, then I led the class in discussing the patterns which existed in it and how one part is related to another. For example, when using the sample text about polar bears, I asked students what the conventional thinking about animals adopting offspring (sentence 2) and what the new idea is (sentence 3). I then highlighted the sequence of sentences 2 and 3 as a 'hypothetical-real' reason, and asked about other relationships between sentence 1 and sentences 2, 3 and 4 as a 'preview-detail' pattern, and the relationship between sentences 3 and 4 as a 'consequence-cause' pattern. Following this, I asked students to suggest devices that could be used to overtly signal these relationships among ideas present in the text. The aim of such activity was twofold: to draw the learners' attention to typical patterns in English texts, and emphasizes the need for writers to consider how their ideas are related, and how to sequence ideas to reflect the nature of the relationships which, I believe, are needed in deciding whether or not to use a conjunction and which one to use. These activities seemed to be very helpful in guiding the participants to choose the appropriate conjunctions in linking their sentences, as demonstrated by the post-intervention results.

ii. *Underuse*, Underuse is the second most improved category after misuse. This suggests that the TG participants had started to realize that the presence of

conjunctions can, to a large extent, reduce the effort needed for readers to process a text by explicitly marking the relationship between sentences. The following example illustrates how TG participants seemed to have become aware of the need for conjunctions to mark the relationships between sentences:

Example (2a/pre-intervention) *In the past times the education was very a bit boring because the teachers was control of the classroom and he make big part of teaching. Teachers controllng and everything and all the teaching depending so much on teachers. (1)[However]With the changes happening now I think can help make good improvements in classrooms. One good thing in changes is we have semesters system not like before for one year studying. Semester system the students can have breaks and its short than a years system. (2) [Moreover/In addition, etc] Changing the system of exams I think good and useful than before because now there styles of questions and more interesting than in past exams papers. (3)[Finally/To sum up, etc]I think I like little bit of changes happening and we need more and more different things like teachers needing aids and tools not only blackboards. Any good system of education can't be worked by itself we need to help and improve all the sides in education like teachers, classroom, equipments etc... (ESSAY: PRTG12).*

Example (2b/post-intervention) *There is four of the stages in Libyan system of education. Firstly primary school, it is consisting of six years. At this stage the students enters....Secondly, preparatory schools which includes three years.... For example, in the primary school, students studying the basic of subjects such as maths, Arabic and religion. However, in the last three recent years the students studying the three basic of subjects and the three other general subjects. ...Thirdly, the secondary schools which are different in Libya from the other countries and we call... Finally, after students completed from the secondary school they enter... (ESSAY: PTTG21).*

What can be seen from these two examples written by the same participant is that in the post-intervention he/she started to use conjunctions to link the text. Although it can be argued that even without the presence of conjunctions example 2a is still comprehensible, there is no doubt that the presence of conjunctions in example 2b makes it much easier for the reader to follow the ideas and the arguments. Moreover, even though conjunctions are often seen as optional, since

they do not contribute to the propositional content of a message, their presence could tell us about the competence of the writer. As Schiffrin (1987:67) put it “discourse markers [i.e. Conjunctions] tell us not only about the linguistic properties (e.g. semantic and pragmatic meanings, source, functions) of a set of frequently used expressions, and the organization of social interaction and situations in which they are used, but also about the cognitive, expressive, social and textual competence of those who use them”. Moreover, conjunctions signal not only the logical flow of a text to the reader but also the writer’s line of thought towards the shape of his/her argument. That is, by using a conjunction, the writer is guiding the readers in the direction of his/her argument by showing them the relationship between propositions such as in contrast, addition, and exemplification. This helps to minimise the effort needed by the reader to process the intended meaning by directing him/her towards the intended interpretation of the utterances (Blakemore 1987). The improvement in the participants’ clear lines of thinking and their awareness and understanding of how their texts developed is probably a result of the intervention, where great emphasis was placed on how writers develop their ideas and arguments and how conjunctions as well as other devices are used to show such transitions explicitly. Of course, one could claim that there are other linguistic devices which could be used to help readers understand the text, and that the presence of conjunctions is not always crucial. However, as discussed earlier, conjunctions not only serve syntactic and cohesive functions, but rhetorical ones too. Conjunctions provide the writer with a means of regulating the way in which readers will interpret the text (Mauranen 1992). In this sense, their importance is not limited to making the text hang together or reducing the readers’ choices in the process of reception and making sense but also in constituting a potentially effective mean means of persuading readers to see things as the writer does, or as the writer wants them to see things (ibid). Having that said, the use of conjunctions should not be overemphasised at the expense of other cohesive devices. Over-emphasizing the need for using

conjunctions might lead to overuse which in turn would have a negative effect on the writing quality. Tanko (2004: 44) further argued that overuse “can have a disastrous effect on the clarity of a writer’s message and produce an adverse effect on the reader”. This adverse effect has been also observed although not frequently, in some of our participants post-intervention essays. Crewe (1999:324) also argued that using more conjunctions than are actually needed makes the text less comprehensible. In his words: “overuse [of conjunctions] at best clutters the text unnecessarily, and at worst causes the thread of the argument to zigzag”. Even though the main focus of this study is on improving the current participants’ use of conjunctions, the main emphasis of the intervention was not only to encourage learners to use more conjunctions but rather to show them how ideas develop in texts and how writers use certain devices (including conjunctions) in order to explicitly signal those relationships. For example, in the text about the ‘polar bears’ mentioned earlier, I pointed out to the learners that the text uses only one conjunction but we, as readers, are able to infer how the ideas are related. Students were told that writers also make their writing cohesive by using lexical ties, such as the use of word repetition, synonyms and antonyms, and superordinates. However, the fact that the participants used 340 conjunctions in the post-intervention test suggests that more practice is needed to help these learners make use of other types of cohesive ties.

iii. Overuse >The slight decrease found in overuse was surprising since the results indicated that the use of ‘and’, which was responsible for almost all of the overuse in the data, had substantially decreased in the post-intervention test. For this reason, the participants’ post-intervention essays were examined closely in searching for the possible cause of this continuing overuse. It was found that, although participants reduced their use of ‘and’, they tended to overuse other conjunctions such as ‘moreover’. This probably explained the only slight improvement in overuse in the post-intervention test in the TG, as further demonstrated in the following examples:

Example (3a) (pre-intervention)...*And we can spend the money to help the poor people living without any foods and waters in some areas in the world. And we can be spending the money and resources and in how we can to protect the planet what called the climate change in the world. And we should concerned in how to make the energy resources in for futures. And the money for the war of Iraq can be spended for the drugs and diseases such AIDS and is killing millions in African countries and in parts...* (ESSAY: PRCG13).

Example (3b) (post-intervention)...*Nowadays, you can say that every one has education because education is for all people in Libya. But in the past people couldn't get education in particular for women. Moreover, our grandmothers did not educated because the situation was very hard and the society did n't given chance to learn... Moreover, women have rights now and women work in every job like the men. Moreover, women in Libya take very much care of the families...* (ESSAY: PTTG18).

Although two different subjects are discussed in these examples due to the choices of topics available, they were written by the same participant. In the pre-intervention essay (example 3a) 'and' was used very frequently and exclusively to link the text, whereas in the post-intervention essay (example 3b) it was used only occasionally and 'moreover' was overused instead. The fact that participants reduced their use of 'and' while starting to overuse other conjunctions such as 'moreover' is probably because it was assumed that the intention of the intervention course was to have them use less of 'and' and more of other conjunctions. Of course, this is true to some extent, but the intention was not merely to have them replace 'and' with other conjunctions. Rather it was to make them aware of conjunctions which could serve similar functions by explaining to them the difference between the usage of this word in English and Arabic and encouraging them to think of other possible choices before they used it. The explanation of the differences and similarities between the L1 and L2, especially in the use of 'and', was often conducted in Arabic. The use of L1 has been advocated by some researchers as a useful technique in FL teaching, especially when dealing with difficult grammatical concepts (Mohammed 1998; de la

Campa and Nassaji 2009). A recent study by de la Campa and Nassaji (2009, cited in Nassaji and Fotos 2011) of the amount, purpose, and reason for L1 use in FL classrooms concluded that teachers tended to use it most frequently for instructional purposes, for example in explaining difficult grammatical concepts, translating lexical meanings, and providing instructions for communicative tasks and activities. One of the most widely recommended uses of the learners' mother-tongue is the presentation of contrastive comparisons between two languages so as to make learners aware of their differences and similarities (ibid). This technique is believed to help learners understand when to transfer from their native language and when not to. In this study, the use of L1 was aimed, and only limited, to explaining the similarities and differences in the uses and functions of conjunctions when this was likely to be influenced by the L1 such as 'and'. The post-intervention results presented so far suggest that, despite some less encouraging results, the TG seemed to have shown improvement in the use of conjunctions compared with the pre-intervention test. However, in order to be sure that these results are statistically significant and could not have occurred merely by chance, a t-test analysis examined the post-intervention improvement. The means and the standard deviations of the data are shown in Table 4.12.

Table.10: Mean and standard deviation of TG pre- and post-intervention results

Category	Test	Mean	SD
Correct use	Pre-intervention	2.44	1.366
	Post intervention	6.56	1.625
Misuse	Pre- intervention	3.66	2.522
	Post- intervention	1.81	1.091
Overuse	Pre- intervention	1.09	1.532
	Post- intervention	0.69	.535
	Pre- intervention	3.13	1.809

Underuse	Post- intervention	1.44	0.840
-----------------	--------------------	------	-------

The null hypothesis of the t-test in this case states that ‘there was no statistically significant difference between the performance of the TG in relation to the correct use, misuse, overuse and underuse of conjunctions before and after the intervention. The t-test results are summarized in Table 4.13:

Table.11: TG pre- and post-intervention t-test results

Category	Test	Mean	SD	P-value
Correct use	Pre-intervention	2.44	1.366	.001
	Post intervention	6.56	1.625	
Misuse	Pre- intervention	3.66	2.522	.001
	Post- intervention	1.81	1.091	
Overuse	Pre- intervention	1.09	1.532	.030
	Post- intervention	0.69	0.535	
Underuse	Pre- intervention	3.13	1.809	.001
	Post- intervention	1.44	0.840	

According to this Table, all the t-statistics probability values are lower than the threshold value of 0.05. This shows that there are statistically significant differences between the means of the pre- and post-intervention scores. Thus, the null hypothesis was rejected in all cases. This improvement is claimed to be a result of the intervention, which aimed at making learners aware of other conjunctions and how they are used in text. In other words, because learners had been shown how conjunctions are employed in texts and the function that they serve, they became more confident in using other terms which express the intended relationship. For example, one of the common misuses found in the pre-intervention data was that learners use ‘moreover’ to mark a contrastive relationship or to use ‘however’ to mark an additive relation. When

students were shown how ideas and propositions are developed in the text and how conjunctions and other devices to express relationships between sentences, the learners seemed to have become more aware that conjunctions are not used randomly but rather express specific relationships implied by the global and local discourse preceding and following them. To sum up, it is apparent from the TG's post-intervention results that it gained good improvements in the use of conjunctions. These results provide an answer to the research question, namely: 'Does teaching conjunctions in the context of reading lead to improvement in the use of these devices by LLsEFL?' However, it is worth noting at this point that improvements in the participants' ability to use conjunctions differed between categories of use. One reason for this is probably the relatively short duration of the intervention of 8 weeks, which may not have been long enough for all of the participants to fully understand how each conjunction functions in a text. Secondly, although all participants shared a very similar educational background and every care was taken to ensure that they had similar levels of language proficiency, there were inevitably individual differences among learners which could have impacted on overall improvements. Language learning is a highly complex process involving many factors such as learners' readiness to acquire a particular form, motivation, and teaching quality amongst others (Nassaji and Fotos 2011:136).

5. Conclusion:

The aim of this study has been to find out whether or not teaching conjunctions in the context would help to improve the LLsEFL use of conjunctions. The results have shown that there was a significant improvement in the use of conjunctions when they were taught in context. However, despite this improvement in the use of conjunctions, the results also show that this improvement was not always substantial. For example, overuse decreased only slightly in the post-intervention TG, despite the decrease in the use of 'and'. This was attributed to the

fact that the learners tended to use 'and' less but instead overused other conjunctions such as 'moreover'. With that said, the overall results show a very good overall improvement in the use of conjunctions in the TG. These findings suggest that the intervention was, to a large extent, successful in improving the TG participants' use of these devices, and that teaching conjunctions in context can be very useful in improving the employment of problematic grammar items which in turn would help them to make use of these items in their own output.

5.2 Pedagogical Implications (Towards Teaching Grammar in Context)

There is an on-going debate on whether or not to teach grammar as such (see, for example, Nassaji and Fotos 2004; 2011). Some argue that we should, while others argue we should not. I am not going to go into this debate here, but the most likely answer in such a debate in the Libyan context is a categorical 'yes' in favour of teaching grammar. This is because most LLEFL and teachers still hold deep-seated beliefs about grammar teaching, believing that language cannot be learned without specifically teaching its grammar. This is not the problem since, as mentioned earlier; many SLA researchers also share this view and believe that grammar instruction is needed in language learning. What Libyan EFL teachers and curriculum designers need to think about, however, is the way grammar is taught. Grammar in the Libyan context is, as shown in the case of conjunctions, still being taught in isolation of other subjects and the language skills. In the light of the current study's findings as well as those of previous research (e.g. Weaver 1996; Hinkel 2002b; 2002c), there is a need to integrate the language skills and sub-skills in EFL teaching in the Libyan context. Integrating the language skills with sub-skills provide learners with ample opportunities for input and output which will help improve their mastery of language. This is particularly important in situations where there is lack of exposure and opportunity to practise outside of the classroom. Relying on a few hours

of formal classroom instructions cannot be sufficient for language learning. From my experience in the Libyan context, LLEFL make hardly any effort outside the classroom to learn the language, such as by watching or listening to English television or radio programmes or reading English newspapers. This lack of self-motivation could be compensated for by the integration of language skills. This can, for example, be achieved through relating what the students have learned in their previous grammar lessons to their reading class. For example, if previous grammar instruction has been about the passive voice, the reading class teacher could point out instances of the passive voice encountered in texts and ask students to think about the functions that these forms serve there. Moreover, s/he could also point out why the passive voice and not the active was used, for example. This is similar to what was done in this study and corresponds to Spada's and Lightbown (2008, cited in Nassaji and Fotos 2011:131) notion of integrative grammar instruction where attention to form occurs while learners' primary focus is on meaning. In the Libyan context, it is not only grammar that is still being taught separately, but also other language skills. It is high time to move towards the integration of the teaching of different language skills, which could be very effective in enhancing students' communicative abilities. Combining reading and writing, for example, could help improve our EFLs' writing by making them aware of how writers develop and organise their ideas in English, which would in turn help them apply it in their own writing. Reading classes should not only be about content, reading a text silently and aloud and answering a few comprehension questions, as is currently practised in the Libyan EFL context, but should also, in my opinion, include a focus on form by raising the learners' awareness of the grammatical structures that they have already learned in their grammar classes and guiding them to look critically and analytically at the text in hand. Such practices could also assist our learners to avoid the influence of Arabic rhetorical styles which is often noticed in their writing. In the current study, for example, one of the causes of overuse of additives in general and 'and'

in particular was the apparent influence of Arabic style where for rhetorical and syntactic purposes, many additives represented mainly by 'and' are used. Although these kinds of problems may not always hinder communication they can, combined with other grammatical errors, negatively affect writing quality.

References

- Aldabbus, S., 2008. An investigation into the impact of language games on classroom interaction and pupil learning in Libyan EFL primary school. Thesis (PhD). University of Newcastle Upon Tyne, UK.
- Altenberg, B., & Tapper, M., 1998. The use of adverbials connectors in advanced Swedish learner's written English. In J.M., Sinclair.. How to use corpora in second langue teaching. eds. Philadelphia, PA, USA: Johan Benjamin Publishing Company.
- Basturkmen, H., 2002. Clause relations and macro patterns: cohesion and coherence and the writing of advanced ESOL students. *English Teaching Forum*, 40(1), 50-56.
- Bolton, K., Nelson G., & Hung, J., 2003. A corpus-based study of connectors in student writing. *International Journal of Corpus Linguistics*, 7(12), 165-182.
- Biber, D., Johansson S., Leech G., Conoard S., & Finegan, E., 1999. *The Longman grammar of spoken and written English*. London: Longman.
- Blakemore, D., 1987. *Semantic constraints on relevance*. Oxford: Blackwell.

Celce-Murcia, M., 2002. Why it makes sense to teach grammar in context and through discourse. In E. Hinkel and S. Fotos New perspectives on grammar teaching in second language classrooms. eds. Mahwah, NJ: Erlbaum.

Crewe, W.J., 1999. The illogic of logical connectives. *ELT Journal*, 44/4: 316-325.

El-Aswad, A., 2002. A study of the L1 and L2 writing processes strategies of Arab learners with special reference to third-year Libyan university students. Thesis (PhD). Newcastle Upon Tyne University, UK.

Ellis, R., 1994. *The study of second language acquisition*. Oxford: Oxford University Press.

Field, Y., & Yip L.M.O., 1992. A comparison of internal conjunctive cohesion in the English essay writing of Cantonese speakers and native speakers of English. *RELC Journal*, 23/1:15-28.

Fraser, B., 1999. What are discourse markers? *Journal of Pragmatics*, 31,925-931.

Granger, S., & Tyson S., 1996. Connectors' usage in the English essay writing of native and non-native EFL speakers of English. *World Englishes*, 15(1), 17-27.

Halliday, M.A.K., & Hasan R., 1976. *Cohesion in English*. London: Longman.

Hinkel, E., 2002a. Why English passive is difficult to teach (and learn). In E. Hinkel & S. Fotos, *New perspectives on grammar teaching and learning*. eds. Cambridge: Cambridge University Press.

Hinkel, E., 2002b. Grammar teaching in writing classes: tense and cohesion. In E. Hinkel & S. Fotos, *New perspectives on grammar teaching and learning*. eds. Cambridge: Cambridge University Press.

Innajih, A.A., 2007. The impact of textual cohesive conjunctions on the reading comprehension of 4th year English major students in Libyan universities. Thesis (PhD). University of Newcastle Upon Tyne, UK.

Jalilifar, A., 2009. Discourse markers in composition writings: the case of Iranian learners of English as a foreign language. *English Language Teaching*, 1 (2), 114-122. <http://ccsenet.org/journal/index.php/elt/article/view/460/472>. [accessed on July 2009].

McCarthy, M., 1991. *Discourse analysis for language teachers*. Cambridge: Cambridge University Press.

Mauranen, A., 1992. Cultural differences in academic rhetoric: a linguistic study. Thesis (PhD). University of Birmingham, UK.

Nassaji, H., & Fotos, S., 2011. *Teaching grammar in second language classrooms: integrating form focussed instruction in communicative context*. London: Routledge.

Tanko, G., 2004. The use of adverbial connectors in Hungarian university students' argumentative essays. In J.M., Sinclair. *How*

to use corpora in second language teaching. ed. Philadelphia, PA: Johan Benjamin Publishing Company.

Quirk, R., Greenbaum S., Leech G., & Svartvik J., 1985. A comprehensive grammar of the English language. London: Longman.

Schiffrin, D., 1987. Discourse markers. New York: Cambridge University Press.

Weaver, C., 1996. Teaching grammar in context. Portsmouth. NH: Heinemann.

Widdowson, H.G., 1978. Teaching language as communication. Oxford: Oxford University Press.

Appendix (A) Summary Table of conjunctive relations (Halliday and Hasan, 1976: 242-43)

Summary Table of Conjunctive Relations

	External/internal	Internal (unless otherwise specified)		
Additive	Additive, simple: Additive <i>and, and also</i> Negative <i>not, and . . . not</i> Alternative <i>or, or else</i>	Complex, emphatic: Additive <i>Furthermore, in addition, besides</i> Alternative <i>alternatively</i> Complex, de-emphatic: Afterthought <i>incidentally, by the way</i>	Apposition: Expository <i>that is, I mean, in other words</i> Exemplificatory <i>for instance, thus</i>	Comparison: Similar <i>likewise, similarly, in the same way</i> Dissimilar <i>on the other hand, by contrast</i>
	Adversative	Adversative 'proper': Simple <i>yet, though, only</i> Containing 'and' Emphatic <i>however, nevertheless, despite this</i>	Contrastive: Avowal <i>in fact, actually, as a matter of fact</i> Contrastive (external): Simple <i>but, and</i> Emphatic <i>however, on the other hand, at the same time</i>	Correction: Of meaning <i>instead, rather, on the contrary</i> Of wording <i>at least, rather, I mean</i>

	External/internal	Internal (unless otherwise specified)		
Causal	Causal, general: Simple <i>so, then, hence, therefore</i> Emphatic <i>consequently, because of this</i> Causal, specific: Reason <i>for this reason, on account of this</i> Result <i>as a result, in consequence</i> Purpose <i>for this purpose, with this in mind</i>	Reversed causal: Simple <i>for, because</i> Causal, specific: Reason <i>it follows, on this basis</i> Result <i>arising out of this</i> Purpose <i>to this end</i>	Conditional (also external): Simple <i>then</i> Emphatic <i>in that case, in such an event, that being so</i> Generalized <i>under the circumstances</i> Reversed polarity <i>otherwise, under other circumstances</i>	Respective: Direct <i>in this respect, in this regard, with reference to this</i> Reversed polarity <i>otherwise, in other respects, aside from this</i>
	Temporal	Complex (external only): Immediate <i>at once, thereupon</i> Interrupted <i>soon, after a time</i> Repetitive <i>next time, on another occasion</i> Specific <i>next day, an hour later</i> Durative <i>until then</i> Terminal <i>at this moment</i> Functilar	Internal temporal: Sequential <i>then, next, sequentially</i> Conclusive <i>finally, in conclusion</i> Correlative forms: Sequential <i>first . . . next</i> Conclusive <i>. . . finally</i>	'Here and now': Past <i>up to now, hitherto</i> Present <i>at this point, here</i> Future <i>from now on, henceforward</i>

Appendix B: Sample of the Teaching Materials used in the Intervention course (*Adopted from Hyland, 2003*)

Series Editor's Preface

Learning how to write in a second language is one of the most challenging aspects of second language learning. Perhaps this is not surprising in view of the fact that even for those who speak English as a first language, the ability to write effectively is something that requires extensive and specialized instruction and which has consequently spawned a vast freshman composition industry in American colleges and universities. Within the field of second and foreign language teaching, the teaching of writing has assumed

Appendix B: Polar Bears text (From New Scientist, March 11, 2007:21,

Adopted from Bustrkmen 2002)

Polar Bears

Polar bear mothers may accidentally adopt other cubs because they are not very good at recognising their own. Evolutionary theory suggests that animals should adopt offspring they are related to, such as nephews or nieces. But a genetic study of polar bears by Nick Lunn of the Canadian Wildlife Service in Edmonton, Alberta, and his colleagues revealed that cubs recently adopted in the wild were completely unrelated to their adoptive mothers. Polar bears are usually solitary and their ability to identify their cubs might not be very well recognised, the researchers suggest.

Appendix B: Some suggested combinations by TG's participants.

➤ Sentences 3 and 4 form a consequence-cause pattern
James Dwyer from the University of Southern California suggests avoiding very high doses of vitamins. A study of 573 middle-aged men and women found that those taking 500 milligrams of vitamin C supplement per day, the equivalent of 10 oranges, had 2.5 times as much thickening of their arteries as people who took no supplements.

➤ Sentences 2 and 5 form a preview- detail pattern
There is bad news for the countless health fanatics who take vitamin C. In high doses Vitamin C may clog up arteries, the American Heart Association meeting in San Diego heard last week.

➤ Sentences 4 and 1 form a contrast
A study of 573 middle-aged men and women found that those taking 500 milligrams of vitamin C supplement per day, the equivalent of 10 oranges, had 2.5 times as much thickening of their arteries as people who took no supplements. Among smokers thickening rises fivefold.

Appendix B: *Vitamin C Warning* (From *New Scientist*, May 20, 2007: 13, Adopted from Bustrkmen, 2002)

Appendix C: Instructional Activities for CG and TG

Control Group Instructional Activities

Session No	Aim of the Session	Procedures and Instructions
1 st Session	Introduce students to the additive category	<ul style="list-style-type: none"> ➤ Students were introduced to a list additive conjunctions (e.g. also, and, as well as, besides, equally important, further, furthermore, in addition, likewise, moreover) ➤ Meaning and functions of each conjunction were explained with examples for illustration. ➤ Students were then asked to write some examples using each conjunction. ➤ Some gap filling exercises were also given to students where they were asked to fill the gaps with the appropriate conjunction.
2 nd Session	Introduce students to the adversative category	<ul style="list-style-type: none"> ➤ Students were introduced to a list additive conjunctions (e.g. but, despite, even though, however, in contrast, notwithstanding, on the one hand/on the other hand, although, whereas, yet, nevertheless, on the contrary). ➤ Meaning and functions of each conjunction were explained with examples for illustration. ➤ Students were then asked to write some examples using each conjunction. ➤ Some gap filling exercises were also given to students where they were asked to fill the gaps with the appropriate conjunction.
3 rd Session	Introduce students to the causal category	<ul style="list-style-type: none"> ➤ Students were introduced to a list additive conjunctions (e.g. accordingly, as a result, because, consequently, for this reason, since, as, so, therefore, thus). ➤ Meaning and functions of each conjunction were explained with examples for illustration. ➤ Students were then asked to write some examples using each conjunction. ➤ Some gap filling exercises were also given to students where they were asked to fill the gaps with the appropriate conjunction.

<p>4th Session</p>	<p>Introduce students to the temporal category</p>	<ul style="list-style-type: none"> ➤ Students were introduced to a list additive conjunctions (e.g. before, while, meanwhile first/second, next, finally, then) ➤ Meaning and functions of each conjunction were explained with examples for illustration. ➤ Students were then asked to write some examples using each conjunction. ➤ Some gap filling exercises were also given to students where they were asked to fill the gaps with the appropriate conjunction.
-----------------------------------	----------------------------------------------------	------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------------

Treatment Group Instructional Activities

i. Skimming: As a first step, participants were presented with a text and asked to skim it and then scan it and were encouraged to try and guess any new word or expression from the context. However, if the participants were having any difficulty with the text, my role, as a teacher-researcher, was to explain and clarify anything which might hinder their understanding of the text. In most cases participants expressed no great difficulty in understanding the texts presented to them throughout the course which had been carefully chosen to suit their level. Participants were then asked to work in pairs and answer some direct and inferential questions for comprehension. Afterwards, participants were asked to work in pairs and identify the type of text (for example, argumentative or expository, etc), and genre (for example, book introduction or newspaper article) and the register (formal or informal). The purpose of such activities were to make sure that participants were aware of these features which are important in understanding how conjunctions in particular are used differently to serve different functions, as discussed earlier.

ii. Highlighting Conjunctions: This activity involved participants working in pairs and underlining any conjunction found in the text . What was intended was rather to encourage participants to notice the presence of these devices in the text which would pave the way for illustration of how conjunctions function in relation to their context, as demonstrated in the next three steps (i.e. iii iv, vi).

iii. Raising Participants' Awareness of Patterns in Texts: This activity required examples to be given of texts that showed coherence and cohesion. Participants read through the text individually, and then I led the class in discussion of the

patterns in the text and how one part was related to another, as further illustrated using the sample text below:

(1) Learning how to write in a second language is one of the most challenging aspects of second language learning. (2) Perhaps this is not surprising in view of the fact that even for those who speak English as a first language, the ability to write effectively is something that requires extensive and specialized instruction and which has consequently spawned a vast freshman composition industry in American colleges and universities. (3) Within the field of second and foreign language teaching, the teaching of writing has come to assume a much central position that it occupied twenty or thirty years ago.(4) This is perhaps the result of two factors.

(5) On the one hand, command.... (6) A further strengthening of the status of writing.....(Hyland 2003: iv; for the full text, see Appendix B)

Using a sample text, participants were shown how the writer begins by giving a general statement in sentence 1. Then, in sentence 2, he goes on to elaborate on his first statement, explaining how writing is considered to be challenging even for NSs and the fact that this difficulty has ‘... spawned a vast freshman composition industry in American colleges and universities’. As for sentence 4, participants were shown how this sentence has a double function; a) concluding the paragraph, b) introducing the next one. In this sentence, the demonstrative pronoun ‘this’ functions as a reference to all previous points and elaborations (i.e. ‘writing is difficult for both native and non-natives’ + ‘teaching of writing has gained more interest recently’) made in the preceding paragraph. Thus, all of these issues are a result of two factors which he is then going to mention later in the next paragraph. The function of sentence 4 is therefore to conclude the paragraph and at the same time gives hints to the reader about what is going to be mentioned in the next one (i.e. to discuss the two factors that, according to the writer, have contributed to the increasing interest to the teaching in writing). The second paragraph begins in sentence 5 by discussing these two factors which the writer alluded to in the previous sentence 4. He starts by saying ‘on the one hand’ and goes on to discuss and explain the first factor which the writer believes has contributed to the teaching of writing gaining more interest. After that, he goes on to talk about the second factor in sentence 6. By doing this type of activity, I tried to make participants aware of how writers develop

their ideas logically and how each sentence functions in relation to what has preceded and will follow.

When using sample text about polar bears (see Appendix B), I asked participants what was the conventional thinking about animals adopting offspring (sentence 2) and what the new idea is (sentence 3). Then I highlighted the sequence of sentences 2 and 3 which is ‘a hypothetical–real pattern’, and asked about other relationships among the sentences in the text. For instance, the relationship between sentence 1 and sentences 2, 3 and 4 is a ‘preview–detail pattern’, and the relationship between sentences 3 and 4 is a ‘consequence–cause pattern’. After that, I asked the participants to suggest devices that could be used to signal the relationship between ideas. This step paved the way for the subsequent step, which involved showing participants how writers use conjunctions and other devices in the text so as to make the relationship between their prepositions and ideas more clear and explicit.

iv. Functions of Conjunctions: At this stage, I would go through the text and show participants how each individual conjunction was used and the function it served in the local context (i.e. at the level of a clause and/or sentence) and the global context (i.e. at the level of paragraph and/or text level). Participants were also shown how conjunctions are used to explicitly show propositional relations such as contrastive or additive that already exist between the two units of discourse that they connect. For example, when coming across the word ‘thus’ in a text, participants were shown why the writer used this word instead of, say, ‘moreover’. It was explained to participants that the reason why the writer used the former because the relationship expressed by the propositions linked by ‘thus’ is cause-effect and not additive which requires a conjunction belonging to the causal category. The reason for showing participants such a seemingly obvious semantic distinction as causal versus additive was that it was observed that some participants in this study sometimes seemed unaware of such distinctions, which led them to erroneously choose a conjunction which was not compatible with the relationship implied between the sentences.

Thus, the previous step showed participants that the choice of which semantic category of conjunction such as additive and adversative to use is determined by the relationship that exists between the units of discourse (or, more accurately in the writer’s mind). In addition to the semantic function of

conjunctions, their stylistic functions were also pointed out. Participants were made aware of how the use of conjunctions is often determined by features such as text-type, genre and register. For example, when encountering the word 'thus' in a text, participants were made aware of other options within the causal category such as 'so' which the writer did not use in that text (perhaps due to its greater informality) and the fact that the word 'so' tends to be associated with the spoken register. Conversely the word 'thus' is often used within more formal and written discourse. This was done in order to raise participants' sensitivity to differences in register in using conjunctions. In addition to the semantic and stylistic functions of conjunctions, their discursual functions were also pointed out, where conjunctions link two units of discourse by relating the unit they introduce to the one that precedes or follows it. The grammatical function (e.g. coordinators, subordinators, adverbs or prepositional phrases) of each conjunction encountered in the text was also pointed out and the differences between them were explained. For example, participants were shown how coordinators such as 'and' and 'but' are often used to link two dependent clauses/sentences, and adverbs like 'however' and 'moreover' are frequently used to connect two independent clauses/sentences. On some occasions, I used Arabic in order to explain, especially in the case of the differences and similarities in the use of the word 'and' in English and Arabic. This is because, as shown later in, LLS-EFL tend to use this word quite frequently in their writing, probably as a sign of transfer from the L1 where 'and', 'wa', is very frequently used in Arabic texts.

vi. Reformulating: In this type of activity, I took sentences from a text and separated them, often rearranging the order. Participants were then asked to combine ideas by joining two or more sentences together and to articulate the nature of the relationship between them (For some combinations suggested by participants, see Appendix B).

Example: Vitamin C Warning

- Among smokers thickening rises fivefold.
- There is bad news for the countless health fanatics who take vitamin C.

- James Dwyer from the University of Southern California suggests avoiding very high doses of vitamins.
- A study of 573 middle-aged men and women found that those taking 500 milligrams of vitamin C supplement per day, the equivalent of 10 oranges, had 2.5 times as much thickening of their arteries as people who took no supplements.
- In high doses Vitamin C may clog up arteries, the American Heart Association meeting in San Diego heard last week.

Following this reformulating and combining activity, participants were shown the original text to see how ideas were organised and any overt signalling used (For the original text, see Appendix B).

vii. Composing: In the second half of the course, this type of text analysis, which was shown in previous steps, was followed by a short composition session in which participants were asked to write a short summary of the text they had been presented with. This was done in order to give participants an opportunity to practice what they had learned in the use of conjunctions before they were post-tested.

viii. Editing: In this activity, participants reviewed their writing with particular emphasis on the sequencing of ideas and the signalling of relationships between them. When they had completed an initial draft of a piece of writing, for example a mini-summary of texts they had read, I asked them to review it to locate where they had used conjunctions. They then reread their draft and checked a) whether or not conjunctions they had used were necessary and b) whether or not conjunctions they had used reflected the relationships implied by their clauses, sentences and units. If they found it difficult to understand the nature of the relationship, I advised them to consider again one or more of the following solutions:

- include more information or remove the idea(s)
- change the sequence of ideas
- use a signalling device (conjunction)

- remove the signalling device because it is misleading or change it to a more accurate one
- xi. Homework: After a few sessions, it was felt that participants were familiar with these steps, they were given a text (or were sometimes left to choose their own) and were asked to follow the same steps described above. Participants were asked to read for meaning and at the same time looking at how conjunctions (as well as other grammatical items) were used and functioned in the text. The purpose of this activity was to encourage learners a) get used to the habit of reading outside the classroom and b) provide them with ample exposure to how conjunctions are used in a meaningful contexts which could help them to internalize their use which would thus become part of their intake.

A research paper entitled “lack of coherence in a translation text”

Mr. Mohammed Ben Fayed - Mr. Khiri *Saad Elkut*

Abstract

The success of translation can be assessed only by the readership's subsequent behaviour. In this study, the researchers investigate the re-establishing the coherence in the target text. This paper is based on a descriptive analysis of a text in terms of coherence. It is an analysis of the translated texts produced by 4th year students (English Department) at Elmergib University. The analysis is based on three elements:

- 1- Identification of translation strategies adopted by subjects in their translations.
- 2- Identification of the cohesive devices used in translated texts.

3- Identification of the acceptability and unacceptability of the text (coherence).

This paper concentrates on the coherence, as the measure to the translated text. This paper is based on the analysis of the translated texts with regard to coherence. Also, it focuses on the translation of cohesive devices which integrate to cause coherent texts. Students tend to produce sentence- based translation. There is no logical continuity of ideas in their translation. These mistranslations can be attributed to students' lack of target language linguistic competence and the comprehension problems in the source text.

Introduction: (General background)

The ultimate goal of translation is to achieve cohesive and coherent text. This paper sheds light on the importance of re-establishing coherence in the target language text. These are said to be coherent. The success of translation can be evaluated only by the readership's

subsequent behaviour. This paper will test 4th year students studying at Elmergib university (Alkhums city) in terms of coherence. The test will be carried out to see whether participants produce coherent texts or not. This paper assumes that English language students take care of sentences and their meanings, but they do not care very much on how to link these sentences. i.e. they do not look at the text as a whole. It is impossible to get decent translation without ideas and then putting them in good order.

The scope of the study This paper will be carried out in Elmergib University (Alkhums city) to test 4th year students who study in the department of English language, the text set to test them in terms of coherence. This paper suggests that Libyan 4th students do care about words and sentences and how to translate them separately, without taking care of the most important aspect (coherence), which is how to link those ideas and achieve the logical continuity of ideas. The text (legal text) will be set to test coherence.

The importance of the study An Awareness of cohesion and coherence in all texts is an essential skill for students to develop. Coherence is a yardstick of translation. It is a very important tool to the students who are interested in being translators. The translator cannot produce a good translation if s/he deals with the text as one unit. Thus, therefore, s/he should read the text two or three times before starting to translate it as a whole.

Research issue and hypothesis

The crucial goal of translation is to achieve cohesion and coherence. The translator should re-establish the coherence in the target language similar to that which the source text has. In fact, English and Arabic languages differ from each other in terms of syntax and style. The translators should consider them to produce coherent and cohesive text. The result is that most students produce incoherent texts.

This paper assumes that students do not produce coherent texts. This may lead to many hypotheses:

- Lack of foreign language competence.
- Lack of practice.
- The difficulties that face Libyan English Language students because of the complete difference between Arabic and English languages.
- Libyan English Language students do not pay too much attention to coherence.
- Focusing on a traditional way of translation (Literal translation) that restricts them to concentrate on the words and the sentences instead of text.

Aims and objectives of the study

This paper aims to find out whether 4th year English Language Learners in Elmergib University achieve coherence texts when

translating texts or not. Since coherence is the vital objective in translation. This paper assumes that Libyan English Language students follow a traditional way of translation. They translate the words and sentences separately. This paper will test whether Libyan English Language students consider coherence in their translations or not. It will analyse the coherence problems that encounter Libyan students while translating texts.

Literature Review

To the best of our knowledge, there might not be studies that shed light on this subject. However, there are studies that tackled problems correlating with it. One of them is, Text Cohesion in English- Arabic Translation, written by, Ali Al-Ghryani (2004). It was a descriptive analytic study of the translation of English cohesive devices into Arabic. It investigates the textual cohesion. The paper is based on a descriptive analytic study of (107) English

texts and their Arabic translations. 89 of the Arabic translations are published translations, and 18 have been transferred by two translation teachers of the English department of Al-Mergib University. The analysis is based on identification of cohesive devices used in Arabic as a TL for the cohesive devices used in English as a SL, and the identification of the degrees of cohesiveness, explicitness and accuracy in translating English cohesive devices into Arabic, and also the identification of the implications of mistranslating English cohesive devices into Arabic. The result was non-cohesive and incoherent translations.

Translation is a process that operates on texts (rather than words or sentences) and hence its products also need to be studied within the framework of text linguistics. Neubert (1992, 10) points out that “translation is a textual process in which linguistic form and process are incorporated. Texts are the building blocks of communication in

general and of translation in particular. The text has to be considered the primary object of translation study”.

Halliday and Hassan (1984) define texture as the qualities that cause a stretch of language to be read as a text rather than as an unordered and unorganized jumble of linguistic items or even as an ordered or principled list of items like those that constitute parts of. For example, phone books, dictionaries, shopping lists, inventories, lists of examples in phrase books and so on. A text is an entity somehow beyond the sum of its parts; it is an entity that allows for telling, rephrasing and for summarizing to produce gist.

Texture is usually considered to be created by two phenomena, coherence and cohesion which interact closely.

Cohesion

The concept of cohesion implies the idea of joining the surface structure of a text, and how this can affect the meanings intended. It

can be achieved through joining sentences and paragraphs. For instance, some of the patterns of cohesive ties are as follows: the use of pronouns, conjunctions, substitution and lexical cohesion.

Halliday and Hassan (1984, 10) assert that “Cohesion refers to the range of possibilities that exist for linking something with what has gone before”. Horning (Internet) illustrates that:

“Cohesion is only one component of coherence, in addition to cohesion; at least one other factor must be present for a text to have coherence, that factor is organization”. Cohesive ties are the relations between or three elements of a text which are independent of the structure. These cohesive ties make the sentences cohere with one another. Cohesive ties are the ellipses, conjunctions, lexical organization, reference, substitution, collocation, repetition, pronouns... and so on.

Each language, of course, has its own range of cohesive devices, but some general types can be found cross-linguistically.

Coherence

Interest in the notion of coherence grew in the early 1980s, when British linguists began to talk about what may be called a cognitive turn away from what had until then been a primary interest in texts. The more cohesive, the more formalized a text is, the more information, as a unit, affords the translator”.

The translator should consider first the text’s genre; knowing the type of the text will assist the translator accordingly in understanding the text. And she/he must take into consideration the structure of the text. It may be useful to the translator to note deviations from these and other standard structures.

Coherence is the essential property of a text. Coherence needs to be maintained to get a successful communication. It is a yardstick to

measure text. Coherence is also a feature of the reader's perception of a text. It is wrong to separate the receiver from the text since each comes into being through the other.

Different writers have different views about coherence. Coherence can be thought of how meanings and sequences of ideas relate to each other. Typical examples would be general > particular; statement > example; problem > solution > answer; claims > counter-claim.

Translators also have to pay attention to:

“Text does not make sense by itself, but rather by the interaction of text-oriented knowledge with people's stored knowledge of the world ” (Beaugrande & Dressler, 1994, 6).

According to Hatim & Mason (1991), coherence is not something which is created by text, but rather an assumption made by language users that, with accordance to the cooperative principle, texts are

intended to be coherent. In other words, text procedures intend meaning and receivers interpret in by virtue of the textual record.

Coherence and cohesion are interdependent rather than arranged hierarchically. Coherence and cohesion are related to each other, they are complementary. It is impossible to achieve coherence without cohesive devices, and cohesive devices mean nothing without coherence. So they complete each other.

The difference between coherence and cohesion is discussed in several textbooks of linguistics and translation. Occurring in the more abstract level, coherence implies an intelligible progression need to be logical, and must also be sufficiently explicit and rational, in the sense of referring overtly to concepts shared by writer and reader. Discussions in the literature tend to imply that cohesion, or the explicit, concrete marking of the more abstract flow of an arrangement, is the more superficial level. The main concepts

of discourse analysis are cohesion- the features that bind sentences to each other grammatically and lexically- and coherence- which is the notional and logical unity of a text (Newmark, 1988).

Research methodology and data analysis

The data collected in Alkhums city, Libya during two weeks period from 14 to 27 of December 2016. The material is a legal text presented to students for translation. The subjects were selected randomly. They are 4th year students of English language department at Elmergib University (Alkhums city).

The following text presented to students (12 students) to be translated into Arabic:

The charter recalls the determination of the United Nations ‘to promote social progress and better standards of life in larger freedom’. This should serve as a timely reminder to all of us to rededicate ourselves to the task of making the Charter of the United

Nations a living hope for all humanity; to eradicate poverty as a prime cause of conflict; and to strive energetically and purposefully towards the general welfare of mankind as a basis for a just and enduring peace.

Model translation

يعيد الميثاق الي الأذهان تصميم الأمم المتحدة علي "العمل علي نشر التقدم الاجتماعي، وعلي تعميم مستوي أفضل للمعيشة في جو أكبر من الحرية". ويجب أن يكون هذا حافظا لنا- جاء في وقته- لنعيد تكريس أنفسنا لمهمة جعل ميثاق الأمم المتحدة أملا حيا للبشرية جمعاء، ولنستأصل الفقر كسبب رئيسي للصراع، ولنجاهد بحماس مستهدفين الخير العام للبشرية كأساس العادل الدائم.

The analysis is based on:

- 1- Identification of translation strategies adopted by subjects in their translations.

The text is divided into three units:

The first unit:

يعيد الميثاق الي الأذهان تصميم الأمم المتحدة علي " العمل علي نشر التقدم الاجتماعي،
وعلي تعمينم مستوي أفضل للمعيشة في جو أكبر من الحرية"

The second unit:

ويجب أن يكون هذا حافظا لنا- جاء في وقته- لتعيد تكريس أنفسنا لمهمة جعل ميثاق الأمم
المتحدة أملا حيا للبشرية جمعا.

The third unit:

ولنتأصل الفقر كسبب رئيسي للصراع، ولنجاهد بحماس مستهدفين الخير العام للبشرية
كأساس للسلام العادل الدائم

After analyzing this criterion, most subjects relied thoroughly on literal translation, thus their production was unnatural and meaningless. They produced wrong translations.

2- Identification of cohesive devices used in translated texts.

Through the analysis of this criterion, it is obvious to note that most subjects relied on the original link in the second unit of the text to link ideas, ignoring the big difference between English and Arabic languages. In the original, the relative 'this' is the link between the two first units in the text. In Arabic half of students linked the first two ideas literally by the same word هذا. The other students used the conjunction 'و' to link the second idea with the first one. It is an accepted link, it gives meaning.

3- Identification of acceptability of the text (coherence).

While analysing the text, the researchers noted that the combination of the previous two aspects of analysis helps in clarifying the acceptability of the text. Text is said to be coherent. The reader is the judge in translation process. So the readers of a translated text could be able to understand and appreciate it in essentially the same manner as the original readers did. The success of translation can be assessed only by the readership's subsequent behaviour. The

majority of texts are not acceptable. They are translated literally and there is no logic in most translations. As sentences, they are acceptable but as a text is not acceptable. There is no logic (unnatural), but also there is no logical continuity of ideas. Translation needs to be not only equivalent, but also acceptable and natural.

Results

Through analysis, the researchers conclude the following problems:

1; Students rely on literal translation method as the only method they have. They tend to stick to the TL text structure, style, links, and sometimes word order ignoring the vast difference between the two languages.

2; Students lack English language competence. They are not competent enough in English language. Also, they are not competent enough in Arabic language.

3; The lack of practice in both languages. They need more practice in both languages. Translation is a skill and skills achieved through practice.

4; They do not do a revision to their translated texts. If they revise they could reformulate the text. It will be very helpful.

5; Lack of awareness of the differences between the two languages and between different text types at the discourse level.

6; Lack of cohesive devices that lead to coherent texts.

It can be tentatively assumed that one of the reasons underlying these problems is the Sentence-Based Approach still adopted by most students, and their lack of awareness of the difference between different text types at the discourse level.

Conclusion

From the previous elements of analysis, it can be said that students have problems in ST comprehension and in adopting the suitable

strategy to a text (Literal translation). Also, they are not competent enough in the TL. They have some problems in linking ideas. Additionally, they do not look at the text as a whole. Moreover, there is a lack of practice. The combination of the previous problems leads to incoherent texts. They fail to retain the same effect and coherence of the original. So there is loss of coherence in TL.

References

- Al-Gharyani, A. (2004). Text Coherence in English- Arabic Translation. (A Dissertation in Translation and Interpreting. Academy of High Studies (Janzoor).
- Beaugrand, R & Dressler, (1994). Introduction to Text Linguistics. Eastbourne/ Antony Rowe.
- File:// E: / Coherence and Translation. Htm.
- Halliday, M & Hasan, R. (1984). Cohesion in English, Singapore/ The Print House.

- Hatim, b & Mason, I. (1991). The translator as communicator. New York/Roytledge.
- Neubart, A. (1992). Translation as Text. Kent/ the Kent State University Press.
- Newmark, P. (1988). A Textbook of Translation. Great Britian/ Prentice Hall International

WRITING ERRORS COMMITTED BY SECOND YEAR
STUDENTS IN ENGLISH DEPARTMENT, ARTS COLLEGE AT
ELMURGIB UNIVERSITY

Prepared by Abdulsalam Hamed Omar Altoumi

ABSTRACT

This study is conducted to investigate the common errors in English writing committed by English Language students who study at Elmergib University in Alkhoms. The participants are in the second year. They were 20 female students. The research method used in the present study was a test conducted for the participants to write a paragraph.

The data were gathered and analyzed and all errors were categorized into different categorization. The findings of the current study revealed that the participants committed several errors such as spelling, wrong use of prepositions, using singular and plural forms errors. The most frequent error type is improper use of punctuation, while the least frequent error type is a wrong word order. Lack of English writing practice, negative interference, overgeneralization and the difference between the mother tongue and the target language are the main causes of these errors.

.1 Introduction

Nowadays English Language is the most important language in the world. It is an international language. English language consists of four skills. Writing is one of the four skills. Learners should be

exposed to writing and the other skills to successfully learn English Language. Learners may face some difficulties when they are trying to write in English Language. Consequently, their writing is full of mistakes. This research will show the errors committed by English Language students at Elmergib University and how to avoid them.

1.2 Statement of the problem

Writing is a productive, active and expressive skill. Writing is a complicated process. It is a difficult skill to acquire. Murcia and Olshtain (2001) claim that writing skill requires a high level of language control, problem solving form, generating ideas, planning, goal setting, monitoring and assessing what has been produced. Therefore, written production is one of the most difficult tasks for many ESL\EFL learners. Students commit different types of errors.

1.3 Research questions

The present study aims to answer the following research questions:

1. What are the types of writing errors committed by Elmergib University -English Language students?
2. How frequent do writing errors occur in the students' written paragraphs?

1.4 The hypothesis

The main reason that makes students make mistakes in their English writing is their first language. The interference between Arabic Language and English Language.

1.5 The significance of the study

It is important to understand the learners' problems in writing skill in order to improve the quality of second or foreign language writing. This research is important for both teachers and students. It will enable the teacher to be aware of the errors committed by students. Teachers can warn students about these errors before asking them to write and students should try to avoid them.

1.6 The scope of the study

Errors committed by second year English Language students at Elmergib University in writing paragraphs.

1.7 Definition of terms

To have a better understanding of the significant terms of the study, the following are defined literally and operationally.

1. Writing: is a sequence of letters, words, or symbols marked on a surface (Oxford Dictionary, 2016).
2. Common: occurring frequently or habitually; usual. Widely known or frequently encountered; ordinary. Seen or happening often, quite, normal or usual (Dictionary of English Language, 2011).

3. An error: is an action which is inaccurate or incorrect. In some usages, an error is synonymous with a mistake (Free encyclopedia, 2016).

4. EFL: abbreviation for English as a foreign language. English taught to people who need to learn it for studies or their career and who do not live in an English-speaking country (Macmillan Dictionary, 2010).

5. EFL: abbreviation for English as a second language. The teaching of English to people who speak a different language and who live in a country where English is the main spoken language. (Merriam Webster Learner's Dictionary, 2016).

2. METHODOLOGY

2.1 Research design

The study aims at knowing the types and the frequency of writing errors committed by Elmergib English Language students. In this study, quantitative research design will be used for data analysis to obtain reliable and valid results.

2.2 Research method

The method used to collect the data is testing. The main source of data used to answer the research questions is the written paragraph test. Students were asked to write a paragraph about an optional topic in order to test their writing.

2.3 Participants

The participants are 20 female students who study English Language at Elmergib University. They are in the second year. Their ages range from 18 to 22 years.

3. LITERATURE REVIEW

3.1 Background of the study

Many researches have been conducted to investigate the common English writing errors committed by students.

Sibwa (1987) investigated the causes of syntactic errors in English essays among Taiwan University Students. The results of the study showed that the predominant error among male students were prepositions, pronouns and tense. The most predominant error type for female students was prepositions.

Fadi Alkasawneh (2003) investigated writing errors committed by Ajloun National University students. The results of the study showed that the most frequent error type was "wrong use of articles"; while the least frequent performed error was "irregular verb".

Mural & Khalil (2015) investigated English writing errors committed by Arab learners who live in Israel. The findings of the study revealed that the participants committed four types of errors in varying degrees; they are errors in content and organization, vocabulary, language use and mechanism. The most frequent error type is language use.

This type of errors consists of word order, negation, copula and auxiliary omission, subject\verb agreement and prepositions. The causes of these errors attributed to interlingual factor i.e. negation transfer of interference and overgeneralization. Neither gender nor age played any important role in this study.

Zawaherh(2012) investigated writing errors committed by tenth-grade students who study at Ajloun governate schools in Jordan. The results the study showed that the most dominant error among tenth-grade students in Ajloun Schools was the lack of agreement between the subject and the main verb. Also, the results of the study suggested that the cause of students writing errors might be attributed to Arabic interference.

3.2 Definition of a paragraph

A paragraph is a short part of a text, consisting of at least one sentence and beginning on a new line. It usually deals with a single event, description, idea, etc. (Cambridge Advanced Learner's Dictionary,2008, P.1030). A paragraph is a group of sentences that fleshes out a single idea. In order for a paragraph to be effective, it must begin with a topic sentence, have sentences that support the main idea and maintain a consistent flow (Monmouth University,2013,P.2).A paragraph is a piece of writing that consists of one or more sentences (Paragraph Structure, 2011).A paragraph is a group of related sentences about a single topic. The topic of a paragraph is one, and only one idea (Oshima & Hogue, 2006,p2.).

3.3 Definition of writing

Writing is a group of letters or symbols written or marked on a surface as a means of communicating ideas by making each symbol stand for an idea, concept, or thing by using each symbol represent a set of sounds grouped into syllables (syllabic writing), or by regarding each symbol as corresponding roughly or exactly to each of the sounds in the language (English Dictionary,1919).

Byrne (1996) defined writing as encoding of a certain message or idea through writing it in a shape of a sequence of sentences put together in a systematic way.

Writing is a method of representing language in visual or tactile form. Writing systems use sets of symbols to represent the sounds of speech, and may also have symbols for such things as punctuation and numerals. (Ominglo,2000).

Writing is a mental process which includes generating ideas, writing these ideas for evaluation purpose and good writing must include a sufficient knowledge of grammatical rules, lexical items and logical connections. (Fadi Alkhasawneh, 2003).

3.4 Common writing errors

There are many common writing errors committed by students all over the world. These errors are discourse, organization, cohesion and paragraphing (Al-Hazmi & Scholfield,2007).Chen (2002) stated that vocabulary and grammar are problem areas in writing. Grammar is the main concern in writing competency.

A wrong verb form, prepositions, spelling and punctuation errors were of the highest errors in students' writing (Masanjya & Lozada, 2009).

Subject\verb agreement and run-on sentences are the common errors in writing (University of Alaska).

3.5 Benefits of error analysis

Crystal (1999,P.108) defines error analysis in language teaching and learning as "the study of the unacceptable forms produced by someone learning a language, especially a foreign language."

Error analysis is significant for all the parts involved in learning process (Kwok, 1998). Corder (1974) affirms the importance of identifying errors committed by second or foreign language learners.Corder (1974, P.125) states that the study of errors is one of the process of language learning.

4. PRESENTATION OF DATA

Data are collected. Students wrote paragraphs in English so during writing test, they committed various types of writing errors in varying degrees. This section presents the collected data, analyzes it and discusses the findings of the current study.

4.1 Data collection

This section presents the types of writing errors committed by second year English Language students at Elmergib University and the frequency of these errors.

4.1.1 Types of writing errors committed by English Language students at Almergeb University

This section presents the results which aim to give answer to the first research question: What are the types of writing errors committed by English Language students at Elmergib University when they are writing English paragraphs?

Table 1 shows the types of writing errors committed by students.

NO.	Types of writing errors
1	Punctuation errors
2	Wrong use of articles
3	Spelling errors
4	Wrong use of prepositions
5	Singular and plural forms errors
6	Verb tense errors
7	Fragments
8	Conjunctions errors
9	Subject\verb agreement errors
10	Pronouns errors
11	Adjectives and adverbs errors
12	Wrong use of vocabulary
13	Word order errors

4.1.2 Frequency of writing errors committed by students

This section presents the results which aim to answer the second research question: How frequent do writing errors occur in students written paragraphs?

Table 2 shows the frequency of writing errors committed by students

NO.	Types of writing errors	Frequency	Percentage
1	Punctuation errors	60	27%
2	Wrong use of articles	31	14%
3	Spelling errors	25	11%
4	Wrong use of prepositions	22	10%
5	Singular and plural forms errors	16	7%
6	Verb tense errors	14	6%
7	Fragments	11	5%
8	Conjunctions errors	11	5%
9	Subject\verb agreement errors	9	4%
10	Pronouns errors	9	4%
11	Wrong use of vocabulary	8	4%
12	Adjectives and adverbs errors	4	2%
13	Word order errors	2	1%

Total222 % 100

4.2 Data analysis

Table 1 shows the types of writing errors committed by second year English Language students which are punctuation and capitalization errors, wrong use of articles, spelling errors, wrong

use of prepositions, singular and plural errors, verb tense errors, fragments, conjunctions errors, subject/verb agreement errors, pronouns errors, wrong use of vocabulary, adjectives and adverbs errors and word order errors.

Table 2 shows the frequency of writing errors committed by students. Students' errors are grammatical errors, mechanical errors and usage errors.

The most frequent error category is the grammatical errors. More than half of the errors is grammatical errors which include articles, prepositions, subject/verb agreement, word order, verb tense, singular and plural forms, pronouns, adjectives and adverbs errors.

The percentage of grammatical errors is 58%. The most frequent grammatical error type is wrong use of articles. Students face difficulties in dealing with articles. This happens as a result of the mother tongue which is Arabic Language. Arabic Language has different articles' rules and this makes students confused. Lack of knowledge of second language structure is another reason behind students' errors.

Wrong use of prepositions forms 10% of the total errors. Students think in their mother tongue then they translate their mother tongue then they translate their ideas into English Language. This is another problem area. Arabic Language is not the same as English Language.

One of these errors is I go to home to my home at 2:00 p.m. The reason behind such an error related to Arabic transfer of mother tongue rules.

Singular and plural forms errors form 7% of the total errors. It is followed by fragments errors with 6%. Conjunctions errors and subject\ verb agreement errors percentage are 5% and 4% for pronouns errors. They are followed by adjectives and adverbs errors with 2%. The least frequent error type is word order errors with 1%.

Mechanical errors discuss errors related to orthography (spelling) errors and punctuation errors. Mechanical errors form 38% of the total errors. Punctuation and capitalization errors are the predominant error with 27%. It is followed by spelling errors with 11%.

Usage error is a word or a string of words in a sentence that is grammatically possible, but not usual in Standard English. Usage errors which include wrong use of vocabulary form 4% of the total errors.

The results of the study revealed that the most frequent error type among second year English language students is improper punctuation and capitalization, while the least frequent error type is wrong word error.

4.3 Discussion

The present study aimed at investigating writing errors committed by Elmergib University students when they write

English paragraphs. The results revealed that students' top four errors are punctuation and capitalization errors, wrong use of articles, spelling errors and wrong use of prepositions. Total of sixty errors were committed in the use of punctuation and capitalization. Using more than one kind of punctuation in a sentence is hard to discern since punctuation is used in a particular situation according to Adelsein and Pival (1984).

Thirty-one are the total errors in the use of articles. Twenty-five errors are in spelling. Spelling is one of the most sensitive aspects of language development because the students need more exposure to the language before decoding the correct spelling (HerarldTaylor, 1998). It suggests that the students who got high errors need to be more exposed and familiar with more words adding to their vocabulary.

Twenty-two errors were committed in the use of prepositions. Negative transfer and translation from the mother tongue into the target language make students commit errors in prepositions.

Sixteen errors were committed in the use of singular and plural forms and fourteen errors for verb tenses. The difference between spoken English and written English is one of the reasons that make students commit errors in writing sentences. Spoken English is characterized by short sentences, single words, ellipsis and fragments. On the other hand, written English follows the grammatical rules and it is formal. This is why students wrote eleven fragments in their writing. Conjunctions and fragments are the same in the number of the performed errors.

Pronouns and subject\verb agreement errors are nine errors for each type. Errors committed in the use of vocabulary are eight errors. It is followed by four errors committed in the use of adjectives and adverbs. The least frequent error type is word order errors with two errors.

The present study revealed that lack of knowledge of second language structure, interference and lack of practicing target language writing are the main reasons behind second year English language students' errors.

5. CONCLUSION AND RECOMMENDATION

This section presents the conclusion and recommendations based on the findings of the study.

5.1 Conclusion

The current study aimed at investigating the types and frequency of writing errors committed by second year English language students at Elmergib University. The findings of the present study revealed that students committed several writing errors which were basically mechanical and grammatical errors. Improper punctuation, wrong use of articles, spelling errors and wrong use of prepositions are the common errors in students' writings. The students faced difficulties in writing paragraphs. They have problems with the grammatical structures. This study has shed light on the importance of knowing common writing errors. This study showed that students lack knowledge of the second or foreign language structure.

Negative interference and overgeneralization are other problem areas for students.

Improper use of punctuation is the most frequent error type in students written paragraphs, while the least performed error type is word order errors

5.2 Recommendations

1. Teachers should warn students about these errors.
2. Teachers should always ask students to write English Language paragraphs about various topics.
3. Teachers should correct students' writings and they should give students corrective and constructive feedback.
4. Teachers should develop students' knowledge about English Language grammar.
5. Students should have good knowledge about the second language and about the difficulties that face students in order to overcome these difficulties.
6. Students should try to avoid translation from Arabic Language to English Language, so negative interference does not occur in their writings.

REFERENCES

Al-khasawneh, F. (2003). Error analysis of written English paragraphs by Jordanian undergraduate students. *Ijellh*, pp. 1-9.

Byrne, D. (1996). *Teaching Writing Skills*. United Kingdom: Longman Group, pages 13-15.

Corder, S. (1974). *Techniques in Applied Linguistics*. London: Oxford University Press, First Edition, pages 122-125.

Crystal, D. (1999). *Error analysis*. Retrieved May 12, 2016 from <http://www.Penguindictionaryoflanguage.Com>.

Herarld, T. (1998). *Three paradigms of spelling instruction*. Retrieved June 1, 2016 from <http://www.readingteacher.Com>.

Masangya, E. Lozada,L(2009)An Investigation on the relationship between the language exposure of high school students.Retrieved May29,2016from <http://www.philippine-esl journal. Com>.

Murad, T. & Khalil, M. (2015). *Analysis of errors in English writings committed by Arab first-year college students of EFL in Israel*. *Journal of Language Teaching and Research*, pp. 1-4.

Murcia, M. & Olshtain, E (2001). *Discourse and Context in Language Tteaching: aguide for language teachers*. Cambridge: Cambridge University Press, First Edition, pages 214-220.

Oshima, A. & Hogue, A. (2006). *Writing Academic English*. America: Pearson Longman, Fourth Edition, page 2.

Sibwa, E. (1987). *Investigating writing errors among university students in Uganda* *International Journal of Applied Sciences*, pp. 45-60.

Zawaherh, F. (2012). Applied error analysis of written production of English essays of tenth grade students in Ajloun schools, Jordan. International Journal of Learning and Development, pp. 1-2.